

المنتخب

في تفسير القرآن الكريم

تأليف

لجنة القرآن والسنة

في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
والمجاهدة

شؤون توزيع

دار الشريعة

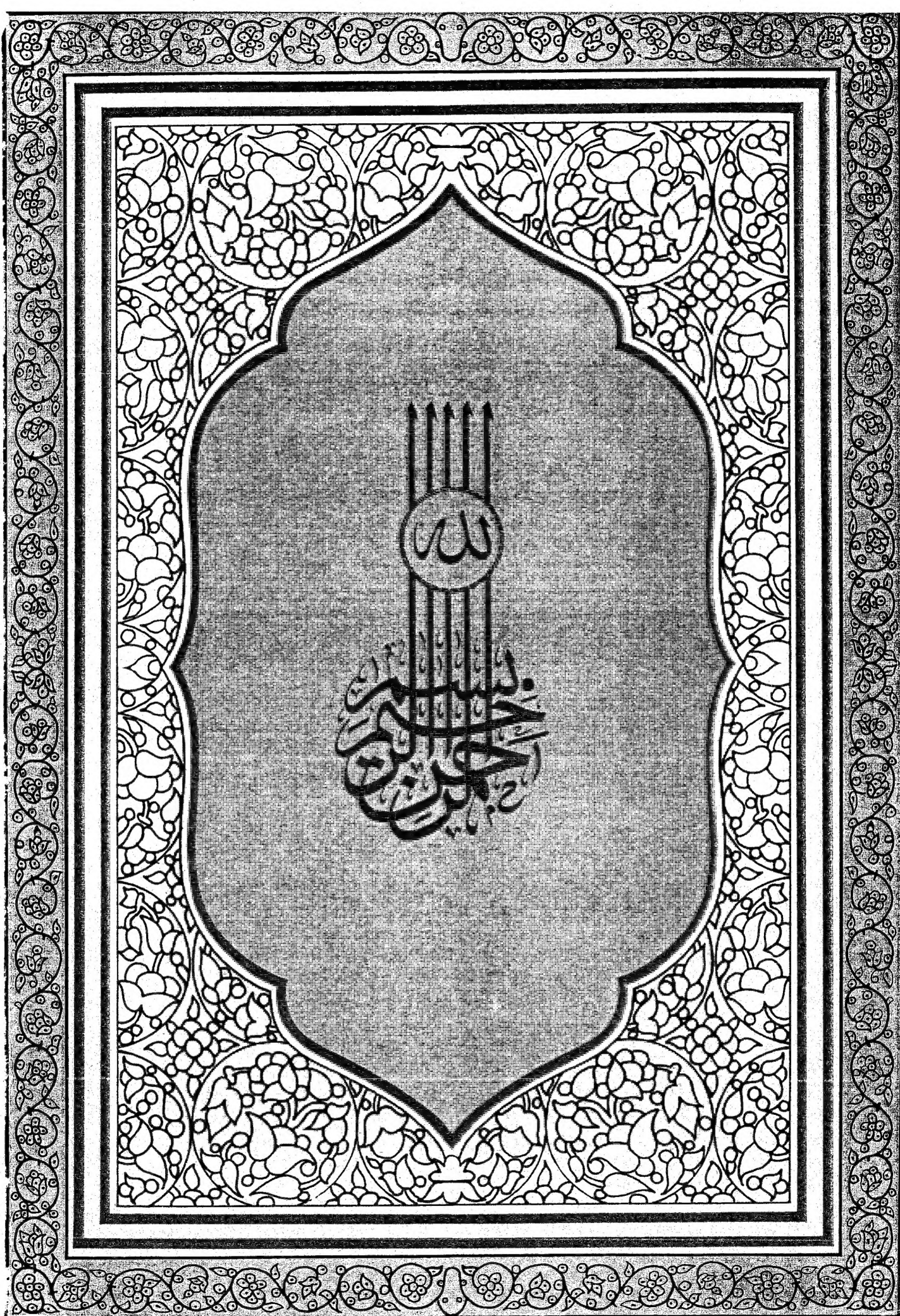
الدوحة

سِتْرُ تَوَرِيعٍ
وَلَا الشَّكَّافَةِ

الدُّعَا - ص ٢٢٢

تقديم الطبعات الجديدة
بقلم الأستاذ الدكتور

جمال الدين محمد محمود
أستاذ عام الفقه والأصول في الأزهر الشريف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

في ظل الذكرى المجيدة لميلاد الرسول والنبى الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم .
يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، أن يقدم إلى المكتبة الإسلامية ، الطبعة
الثامنة ، من المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، والذي أعدته لجنة القرآن والسنة
بالمجلس .

وقد جاء محققاً لآمال القراء والدارسين وتميز بملاءمة حجمه وعظم فائدته
وشموله لما يهم المسلم العابد أو الدارس لتفسير كتاب الله العظيم ، والذي هو الآية
الكبرى على نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، في أصدق صورة ، وأبلغ
عبارة ، وأقدس معنى .

وهذا التفسير يقدم المعانى القرآنية للقارئ والدارس ويوضح إعجاز القرآن
الكريم من جميع وجوهه ، من خلال العبارة التى أحسن اختيارها ، وتحقق من
خلال صياغتها تقديم المعنى القرآنى المراد دون ما تفصيل لوجوه البلاغة أو مواقع
الإعراب ومواضع الإعجاز كما أشير فى هامش التفسير إلى وجوه من الإعجاز
تتصل بما حقق العلم من تقدم يهدف إلى لفت الأنظار وكشف الصلة بين هذا الوجه
من وجوه الإعجاز ، وبين الواقع الذى يحياه الناس ، وقد تحقق ذلك من خلال
هامش فى الصفحة يتزود بقراءته من يشاء دون تداخل بينه وبين المعنى القرآنى فى
التفسير والبيان .

وبهذا الأسلوب استطاع المجلس أن يضع هذا التفسير القرآنى العظيم بين يدى
كل راغب فى التعرف على ما تضمنه القرآن الكريم من معان ، وما جاء به من أوامر
ونواه من أجل خير الإنسان ، وما رسمه لنا من خلق وآداب وما أشار إليه من

علوم ، وما تضمنته أخباره من مواظب وعبر ، توضح لنا سبيل الصالحين وتبعد الناس عن أهواء الطالحين ، حتى يكونوا من المفلحين مصداقاً لقول المولى جل وعلا في محكم كتابه العزيز :

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيُصَلُّونَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ وَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيُصَلُّونَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ وَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَيُصَلُّونَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۚ وَلَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۚ

”صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ“

ولعلنا بذلك قد أسهمنا في خدمة كتاب الله ، ومهما كان الجهد في تقديم المعاني القرآنية في هذا التفسير ، فإنه يقصر عن إدراكها جميعاً . فالقرآن معجزة دائمة حاضرة ، ومنهج حياة يجمع بين التكامل والكمال ، وهيهات أن يحصر المفسرون في عصر من العصور أوجه الإعجاز أو يصلوا إلى أطراف هذا الكمال ، وسوف يظل القرآن الكريم مدداً لا ينفد من المعارف ، وزاداً لا ينتهى من الخير ، ينهل منه المسلمون في كل عصر ومصر ما ينفعهم في الدنيا والآخرة .

والله نسأل أن ينفع بهذا التفسير ، - الذى يقدمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - كل قارئ ، ودارس ، وعابد .

والله المستعان

جمال الدين محمد محمود

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تقديم الطبعة السابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فالقرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ للتحدى والإعجاز المتعبد بتلاوته المنقول إلينا تواتراً ، المجموع بين الدفتين من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ، أنزله الله تعالى على خاتم رسله ليكون آخر الكتب المنزلة إلى الناس كافة ، مشتملاً على ما فيه اسعاد البشرية وإصلاح حالها في عاجلها وآجلها ودنياها وآخرتها ، تنزل منجماً مفرقاً آيات وسوراً على حسب الوقائع والحوادث ، فى مدى ثلاث وعشرين سنة من حياة الرسول ﷺ ، فنزل بعضه قبل هجرته من مكة إلى المدينة ، ونزل بعضه الآخر بعد هذه الهجرة ، وقد تنزلت الآيات والصور المكية وهى تشتمل غالباً على أصول العقائد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ثم تنزلت الآيات والصور المدنية وهى تشتمل على العبادات والفروع والأحكام الشرعية .

فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا .

فيه نبأ من قبلنا من الأمم السابقة والقرون الماضية ، فيه من قصص الأنبياء والمرسلين ، والأمم والجماعات والأشخاص والحوادث والكائنات والمسيرة التاريخية للجماعة البشرية ما فيه عبرة لمن اعتبر ، وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وينطق بسنة الله التى لا تتخلف فى إهلاك الضالين

الظالمين ، ونجاة المهتدين الراشدين ، وأن دنيا الناس على طول العصور والدهور لا تصلح بغير دين الله ، وأن الإنسانية أينما كانت لا تتحقق سعادتها المنشودة إلا إذا استضاءت بهدى الله ورسالاته .

وفيه خبر ما بعدنا من أحوال اليوم الآخر ، وحياة الدار الآخرة يوم يقوم الناس لرب العالمين « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » الأمر الذى تضافرت على بيانه أدلة النقل وبراهين العقل .

وفيه حكم ما بيننا من المشاكل والمسائل التى نحتاج فيها إلى بيان وإرشاد من المسائل الاعتقادية والفكرية ، والمسائل الأخلاقية والسلوكية والمعاملات المالية ، وفروع العبادات والأحكام الشرعية شخصية وغير شخصية « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا »^(١) « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ »^(٢) ما من حكم شرعى دينى ، أو قضية أو مشكلة تلامس دنيا الناس وحياتهم ، أو تتعمقها إلا وله فى كل ذلك عرق ينبض ، أو معين لا ينضب ، وله هدى وبيان وإرشاد إما بالنص أو الاستنباط « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهdy به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »^(٣) .

نعم ، لقد كان هذا القرآن العظيم مشعل هداية على طريق الإنسانية أضاء لها ، فأخرجها من الظلمات إلى النور ، وأخذ بأيديها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وكان نقطة تحول فى تاريخها الطويل ، وانتقل بها من حياة الإثم والفساد والضلال إلى حياة الخير والحق والرشاد ، وأحدث فى العالم كله من القيم

(١) سورة النساء الآية ١٧٤

(٢) سورة النحل الآية ٨٩

(٣) سورة المائدة الآية ١٥

والمفاهيم والمعايير ما صعد بالإنسانية من دركها الأسفل إلى أبهج صورها وأسمى كمالاتها .

الهدايات والمعاني التي تضمنها القرآن ، وسبقت الإشارة إليها لا يمكن معرفتها إلا بواسطة التفسير لنصوص القرآن وآياته ، والتفسير هو الكشف عن مراد الله تعالى ، ومعرفة هذا المراد من خلال كلماته في هذا القرآن على قدر الطاقة البشرية ، وقد نشأ علم التفسير شيئاً فشيئاً ، ونما رويداً رويداً حتى اكتمل عقده وبلغ تمام نموه ، فصار على الصورة الرائعة التي نعرفها اليوم ، ففي عصر نزول القرآن ، وحياة الرسول لم تكن الحاجة ماسة إلى وضع تفسير ، ولا تدوين علم تفسير ، لأن القرآن في مجمل أمره كان واضحاً مفهوماً للرسول ولأصحابه ، وبرغم ذلك كان للنبي ﷺ تفسيرات لبعض الآيات والألفاظ التي قد يخفى المراد منها ، وكان للصحابة والتابعين وتابعيهم كذلك تفسيرات لكثير من الآيات التي تختلف في فهمها الأنظار ، ويدور حولها جدال لأى سبب من الأسباب التي لا بد من حدوثها في فجر أمة ناهضة فتية اتسعت أمامها الفتوحات ، واعتورت حياتها الأحداث التاريخية ، والجدالات المذهبية ، والخلافات الفقهية والسياسية .

كان القرآن ولا يزال محوراً للثقافة الإسلامية ، والحركات الفكرية وسائر النشاطات العقلية ، وقد حرصت آياته على النظر فيه والتأمل فقال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »^(١) وقال « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »^(٢) وقال « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »^(٣) وما تفسيره إلا نتيجة للتأمل والتدبر ، وقد اختلفت أنظار المفسرين وطرقهم ومشاربهم في تفسيره ، فمنهم من غلبت عليه النزعة الفكرية العقائدية الجدلية فتوسع توسعاً كبيراً في شرح الآيات

المتصلة بهذه المعاني ، وغلبت على تفسيره هذه الظاهرة ، ومنهم من غلبت عليه النزعة اللغوية والبلاغية والأسلوبية الأدبية ، فتوسع توسعاً كبيراً في هذه النواحي ومنهم من غلبت عليه النزعة الفقهية الشرعية ، فتوسع فيها وهكذا كان من توسع في القصص والأخبار ومن توسع في الأخلاق والتصوف والمواعظ وآيات الله في الأنفس والآفاق ونحو ذلك ، كذلك كان من المفسرين من أطال حتى أمل ، وكان منهم من اختصر حتى أخل ، ومنهم من توسط بين هذا وذاك ، وكان منهم من يميل إلى التفسير بالمأثور ، ومن يميل إلى التفسير بالرأى ، ومن يمزج التفسير بعلوم أخرى كثيرة وكان منهم من كتب تفسيره بأسلوب غامض ، ومن كتب بأسلوب واضح وكان من جميع هؤلاء وهؤلاء وبما تركوه وألفوه من الكتب ثروة علمية ضخمة ، وحركة فكرية تنتزع الإعجاب والتقدير وتستوجب الثناء على أمة خدمت كتاب ربها بما لم يخدم به أى كتاب عرفه وجه الأرض حفظاً وضبطاً ، وشرحاً واستنباطاً ، واستهداء وإعزازاً وتقديساً على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن ، تتلوها قرون أخرى كثيرة من الزمن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »^(١) « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »^(٢).

الأفكار في تجدد والثقافات تتلاقح ، والحياة في تطور ، والمحاصيل الفكرية لبنى البشر يعتريها كل يوم جديد ، والبشر كلما تقدم بهم الزمن تقاربوا وامتزج بعضهم ببعض ، ووسائل الاتصال وال عمران البشرى ساعدت على ذلك ، كأنما تريد أن تفسر عملياً قول هذا القرآن « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

(١) سورة الحجر الآية ٩

(٢) سورة فصلت الآية ٤١

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير»^(١).

والعكوف على ما قاله الأولون دون مجديد وابتكار جمود وتخلف ، والاقتدار على الحركة والتصرف ، وتمييز الغث من السمين ، وتنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، علامة الحياة ، ومنطق الوجود وسنة الله في خلقه ، وكتاب الله بحر لا ساحل له لا يدرك عمقه ولا يسبر غوره .

لا يسأمه البحث والتأمل ولا ينتهى فيه الفكر والتطور :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

هذا هو الذى فتح ولا يزال يفتح المجال لكل ما يجد من التفسير والمفسرين .

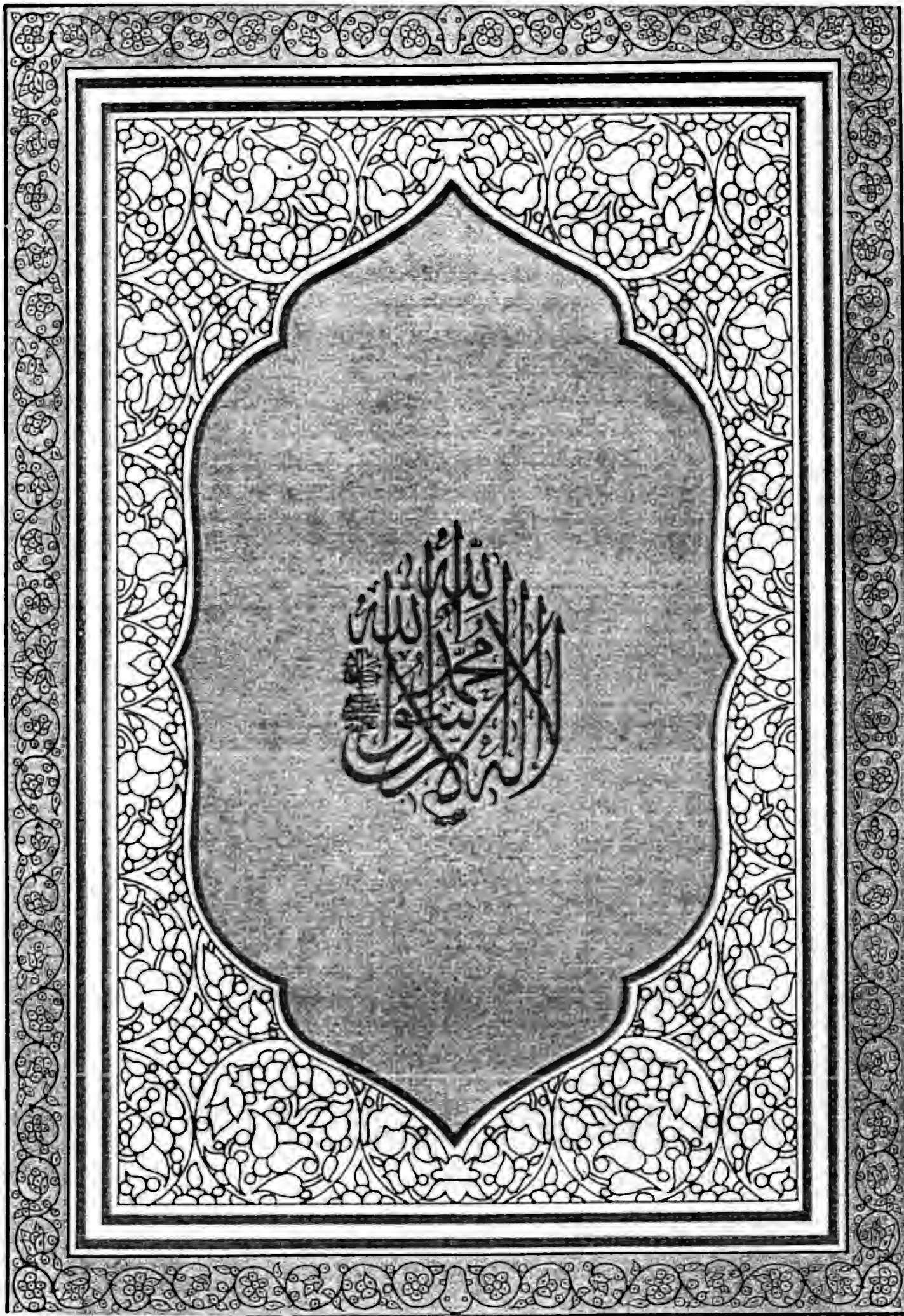
وهذا هو الذى حدا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى أن يشكل هذه اللجان العلمية من جهابذة العلماء وفطاحل الباحثين والمفكرين ، ليتوفروا على تأليف هذا التفسير بأسلوب عصرى سهل مبسط واضح العبارة ، وجيز لا يخل ولا يمل ، بعيد عن الخلافات المذهبية ، والمصطلحات الفنية والحشو والتعقيدات اللفظية ، حتى يكون على حالة مرضية من الصلاحية لترجمته إلى اللغات الأجنبية التى يرجى للمتكلمين بها أن يطلعوا على ما فى هذا القرآن من العقائد والمبادئ والتعاليم التى يهتدون بهديها ، إنجازاً للواجب الملقى على عاتقنا نحن المتكلمين باللغة العربية ، من وجوب ترجمة معانى القرآن إلى غير العربية ، فيتسنى للرسالة المحمدية أن تكون كافة للناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم فإن الله تعالى يقول : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »^(٢) ويقول المفسرون : إذا كانت رسالة الرسول عامة إلى الناس ، وهو عربى بلسان قومه العرب فإن رسالته

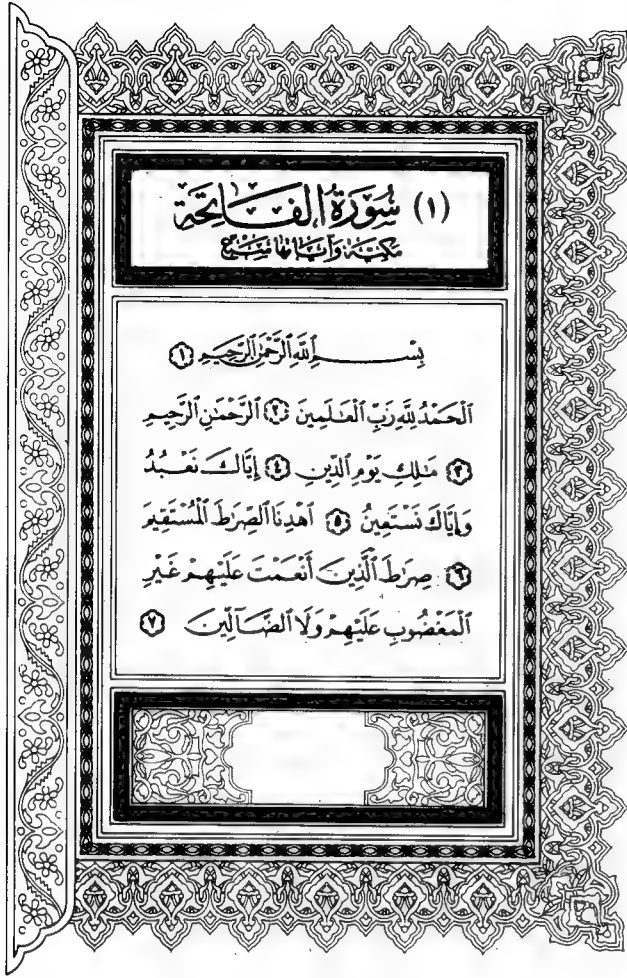
تبلغ إلى غير العرب عن طريق الترجمة التي تقوم مقام الأصل ، وبهذه الترجمة الدقيقة الصحيحة التي تراعى فيها الأمانة ، وتقوم على إدراك ووعى بالمرجم عنه ، والمترجم إليه نسد الطريق أمام كثير من الترجمات الزائفة المغرضة المحسوة بالتخريف والأباطيل .

وسوف يتلو هذا التفسير الوجيز تفسير آخر وسيط في شيء من البسط ، يعنى فيه بمزيد من البحث والنظر ، واستخلاص العبر والآداب والتعاليم ، والتوجيهات التي تأخذ بيد المسلمين لينهضوا ويكيفوا حياتهم على ما تقتضيه آيات هذا الذكر الحكيم من الأخذ بأسباب القوة والعزة والكرامة ، ويشار فيه إلى ما ترشد إليه الآيات من نواميس الحياة وأسرار الكون ووقائعه العلمية التي لم تعرف إلا في العصور الأخيرة عصور الكشف العلمي ، ولا يمكن أن يكون القرآن قد أشار إليها لأنه ليس من كلام بشر ، ولكنه من كلام خلاق القوى والقدر ، الذى وعد بذلك فى محكم هذا الكتاب فقال « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (١) والله ولى التوفيق .

لجنة القرآن والسنة

القرآن الكريم





بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفاتحة

هذه السورة مكية، نزلت في مكة قبل الهجرة، وسميت الفاتحة لأنها أولى السور في ترتيب المصحف الشريف. وهي أول سورة نزلت بتمامها، وهي تشتمل على مجمل مافي القرآن، وكأنها اجمال يحلو بعده التفصيل.

ومقاصد القرآن هي: بيان التوحيد، وبيان الوعد والبشرى للمؤمن المحسن، وبيان الوعيد والانذار للكافر والمسيء، وبيان العبادة، وبيان طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وقصص الذين أطاعوا الله ففازوا، وقصص الذين عصوه فخابوا.

والفاتحة تشتمل، بطريق الایجاز والاشارة، على هذه المقاصد، ولذلك سميت « أم الكتاب ».

١- بتدیه باسم الله الذي لا معبود بحق سواه، والمتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، وهو صاحب الرحمة الذي يفيض بالنعم جليلها ودقيقها، عامها وخاصها، وهو المتصف بصفة الرحمة الدائمة.

٢- الثناء الجمیل بكل أنواعه وعلى كل حال لله وحده، ونثى عليه الثناء كله لأنه منشئ المخلوقات والقائم عليها.

٣- وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها، ينعم بكل النعم صغيرها وكبيرها.

٤- وهو وحده المالك لیوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة، يتصرف فيه لا يشاركه أحد في التصرف ولو في الظاهر.

٥- لا نعبد الا اياك، ولا نطلب المعونة الا منك.

٦- نسألك أن توفقنا إلى طريق الحق والخیر والسعادة.

٧- وهو طريق عبادك الذين وفقهم إلى الايمان بك، ووهبت لهم نعمتي الهداية والرضا، لا طريق الذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخیر لأنهم أعرضوا عن الايمان بك والاذعان لهديك.

سورة البقرة

هذه السورة مدنية نزلت بالمدينة بعد الهجرة وهي أطول سورة في القرآن الكريم، حسب ترتيب المصحف، وقد ابتدأت هذه السورة بتفصيل ما انتهت اليه سورة الفاتحة فقد ذكرت أن القرآن هو مصدر الهدى، وذكرت الذين أنعم الله عليهم بالرضا، والذين غضب عليهم من الكفار والمنافقين.

وقد تحدثت السورة عن صدق القرآن، وأن دعوته حق لاريب فيها، ثم تحدثت عن أصناف الناس الثلاثة: المؤمنين والكافرين والمنافقين، وعن الدعوة إلى عبادة الله وحده. وعن انذار الكافرين وتبشير المؤمنين، ثم خصت بنى اسرائيل بالدعوة والمرابطة، وجاء فيها تذكيرهم بأيام الله ويحوادثهم مع موسى عليه السلام، وتذكيرهم كذلك

بإبراهيم واسماعيل وبنائهما الكعبة، واستغرق ذلك نحو نصف السورة، وتحلله حديث موجه الى المؤمنين للاعتبار بما حدث لليهود والنصارى.

وانتقل الحديث الى خطاب أهل القرآن بذكر ما هو مشترك بين قوم موسى وقوم محمد من فضل إبراهيم وهدايته ونسبه، وبذكر مسألة القبلة ونحوها.

ثم جاء الحديث عن التوحيد والتذكير بآيات الله الدالة عليه، وجاء الحديث عن الشرك، وعن المحرمات من الطعام، وأن التحريم والتحليل من حق الله وحده.

وتعرضت السورة لبيان أصول البر. وذكر بعض احكام الصيام والوصية وأكل أموال الناس بالباطل، والقصاص والقتال والحج والخمر والميسر والنكاح والطلاق والرضاع والعدة وغيرها، كما تعرضت للحديث عن العقائد العامة كالرسالة والتوحيد والبعث، وتحدثت عن الاتفاق والربا والتجارة وكتابة الدين، ثم ختمت السورة بدعاء من المؤمنين لربهم أن ينصرهم ويؤيدهم.

وقد تضمنت هذه السورة عدة قواعد منها:

ان اتباع سبيل الله واقامة دينه هما الموجدان للسعادة في الدنيا والآخرة، وأنه لا يلقى بعاقل أن يدعو الى البر والفضيلة وينسى نفسه، وأنه يجب ايثار الخير على الشر، وترجيح الأعلى على الأدنى.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ

وَأَنبَأْنَا مَا مَنَعَتْ وَأُفْلِحُوا وَكَانَ يُنَادِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ ١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ

مِّن قَبْلِكَ وَيَا أَلْخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ٤)

وأن أصول الدين ثلاثة، وهى: الإيمان بالله، والإيمان بالبعث، والعمل الصالح.

وأن الجزاء على الإيمان والعمل معا، وأن شرط الإيمان هو الإذعان النفسى والتسليم القلبى لكل ما جاء به الرسول، وأن غير المسلمين لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبع المسلمون دين هؤلاء..

أن الولاية العامة الشرعية يجب أن تكون لأهل الإيمان والعدل، لا لأهل الكفر والظلم. وأن الإيمان بدين الله كما أنزله يستلزم الوحدة والاتفاق وأن ترك الاهتداء بذلك يورث الاختلاف والشقاق، وأن تحقيق الأمور الجليلة يستعان عليه بالصبر والصلاة، وأن التقليد الأعمى باطل يؤدى الى الجهالة والعصبية.

وأن الله أحل لعباده الطيبات من المطعم. وحرّم أشياء خبيثة محدودة، ولا يجوز لغير الله أن يحل أو يحرم، وأن المحرمات تباح للمضطر لأن الضرورات تبيح المحظورات وتقدر الضرورة بقدرها، وأن الدين مبنى على اليسر ورفع الحرج فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يأمر عباده إلا بما يطيقون. وأن لقاء النفس الى التهلكة حرام لا يجوز وأن الأشياء تطلب بأسبابها ووسائلها المؤدية إليها، وأن الإكراه فى الدين ممنوع، وأن القتال مشروع فى الاسلام للدفاع، ولتأمين حرية الدين، وتأمين سيادة الاسلام فى مجتمعه.

وأن للمسلم أن يطلب حظه من الدنيا، كما يؤدى واجبه نحو الآخرة، وأن سد الذرائع وتقرير المصالح من مقاصد الشريعة.

وأن الإيمان والصبر سببان لنصرة القلة العادلة على الكثرة الباغية، وأن أكل أموال الناس بالباطل حرام، وأن الإنسان مجزى بعمله لا بعمل غيره، وأن حكمة التشريع يدركها العقل السليم لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد.

- ١ - ألف لام ميم : هذه حروف ابتدأ الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التى يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن، وهى مع ذلك تنطوى على تنبيه للاستماع لتمييز جرسها.
- ٢ - هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذى نزل ليرتاب عاقل منصف فى كونه من عند الله، ولا فى صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام، وفيه الهداية الكاملة للذين يستعدون لطلب الحق، ويتوقون الضرر وأسباب العقاب.
- ٣ - وهؤلاء هم الذين يصدقون - فى حزم واذعان - بما غاب عنهم، ويعتقدون فيما وراء المحسوس كالملائكة واليوم الآخر، لأن أساس التدين هو الإيمان بالغيب، ويؤدون الصلاة مستقيمة، بتوجه الى الله وخشوع حقيقى له، والذين ينفقون جانباً مما يرزقهم الله به فى وجوه الخير والبر.
- ٤ - والذين يصدقون بالقرآن المنزل عليك من الله، وبما فيه من أحكام وأخبار ويعملون بمقتضاه ويصدقون بالكتب الإلهية التى نزلت على من سبقك من الأنبياء والرسل كالتوراة والإنجيل وغيرها، لأن رسالات الله واحدة فى أصولها - يتميزون بأنهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بجميى يوم القيامة وبما فيه من حساب وثواب وعقاب.

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

٥ - هؤلاء الموصوفون بما سبق من صفات ، متمكنون من أسباب الهداية الالهية ، مستقرون عليها ، أولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ثوابا لسعيهم واجتهادهم وامتناعهم الأوامر واجتنابهم النواهي .

٦ - هذا شأن المهتدين ، أما الجاهلون الذين فقدوا الاستعداد للإيمان اعراضا منهم وعنادا فلن يستجيبوا لله ، فيستوى عندهم تخويفك لهم وعدم تخويفك .

٧ - هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كأن قلوبهم مختوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها ، وكأن أسماعهم مختوم عليها كذلك ، فلا تسمع وعده الحق ، وكأن أبصارهم قد غشيتها غطاء فهي لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان ، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد .

٨ - ومن الكافرين قوم آخرون من الناس يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، يظهرون الإيمان فيقولون : اننا آمنّا بالله ويوم القيامة ، وليسوا بصادقين في قلوبهم ، فلا يدخلون في جماعة المؤمنين .

٩ - انهم يخدعون المؤمنين بما يصنعون ويظنون انهم يخادعون الله ، إذ يتوهمون أنه غير مطلع على خفائهم ، مع أنه يعلم السر والنجوى ، وهم في الواقع يخدعون أنفسهم لأن ضرر عملهم لاحق بهم ، عاجلا وأجلا ، ولأن من يخدع غيره ، يحسبه جاهلا - وهو ليس كذلك - إنما يخدع نفسه .

١٠ - هؤلاء في قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة ، وزادهم الله على مرضهم مرضا بنصره للحق ، إذ كان ذلك مؤذيا لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم ، ول هؤلاء عذاب أليم في الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ

١١ - وإذا قال أحد من المهتدين هؤلاء المنافقين : لا تفسدوا في الأرض بالصد عن سبيل الله ، ونشر الفتنة وإيقاد نار الحرب برءوا أنفسهم من الفساد ، وقالوا مانحن الا مصلحون وذلك لفرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد خبيث مغرور يزعم فسادة اصلاحا .

١٢ - ألا فتنبها أيها المؤمنون الى أنهم هم أهل الفساد حقا ، ولكتم لا يشعرون بفسادهم لغرورهم ولا بسوء العاقبة التي ستصيبهم بسبب هذا النفاق .

١٣ - وإذا قال قائل لهم ينصحهم ويرشدهم : أقبلا على ما يجب ، وهو أن تؤمنوا إيمانا مخلصا مثل إيمان الناس الكاملين المستجيبين لصوت العقل سخروا وتهكوا وقالوا : لا يليق بنا أن نتبع هؤلاء الجهلاء ضعاف العقول ، فرد الله عليهم تطاولهم وحكم عليهم بأنهم - وحدهم - الجهلاء الحق . ولكتم لا يعلمون علما يقينا أن الجهل ونقص الادراك محصور فيهم ومقصور عليهم .

١٤ - وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين المخلصين ، قالوا : آمنا بما أنتم به مؤمنون من صدق الرسول ودعوته ، ونحن معكم في الاعتقاد ، وإذا انصرفوا عنهم واجتمعوا بأصحابهم الذين يشبهون الشياطين في الفتنة والفساد ، قالوا لهم : انا معكم على طريقتكم وعملكم ، وإنما كان قولنا للمؤمنين ما قلنا استخفافا بهم واستهزاء .

١٥ - والله سبحانه يجازيهم على استهزائهم ، ويكتب عليهم الهوان الموجب للسخرية والاحتقار ، فيعاملهم بذلك معاملة المستهزىء ، ويمهلهم في ظلمهم الفاحش الذي يجعلهم في عمى الحق ثم يأخذهم بعذابه .

١٦ - وهؤلاء اذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذي يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح في تجارته ، ويضيع رأس ماله ، وهم في عملهم غير مهتدين .

لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ بُكِّرُ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم

١٧ - حال هؤلاء في نفاقهم كحال من أوقد نارا ليتنفع بها مع قومه ، فلما انارت ماحوله من الأنبياء ذهب الله بنورهم وترك موقديها في ظلمات كثيفة لا يبصرون معها شيئا ، لأن الله قدم إليهم أسباب الهداية فلم يتمسكوا بها فصارت بصائرهم مطموسة ، فاستحقوا أن يبقوا في الحيرة والضلال .

١٨ - هؤلاء كالصم ، لأنهم قد فقدوا منفعة السمع ، اذ لا يسمعون الحق سماع قبول واستجابة وهم كالبيكم الخرس . لأنهم لا ينطقون بالهدى أو الحق وهم كالذين فقدوا أبصارهم لأنهم لا ينتفعون بها في اعتبار أو انزجار ، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم .

١٩ - أو حالهم في حيرتهم وشدة الأمر عليهم وعدم ادراكهم لما ينفعهم ويضرهم ، كحال قوم نزل عليهم مطر من السماء ورعد وصواعق ، يضعون أطراف أصابعهم في آذانهم كي لا يسمعوا أصوات الصواعق ، خائفين من الموت ، زاعمين أن وضع الأصابع يمنعهم منه .

وهؤلاء اذا نزل القرآن - وفيه بيان لظلمات الكفر والوعيد عليه ، وبيان الايمان ونوره المتألق ، وبيان النذر وألوان العذاب - أعرضوا عنه وحاولوا الخلاص منه زاعمين أن اعراضهم عنه سيعفيهم من العقاب . . ولكن الله عليم بالكافرين المسيطر عليهم من كل جهة بعلمه وقدرته .

٢٠ - ان هذا البرق الشديد النذر يكاد يخطف منهم أبصارهم لشدته ، وهو يضيء لهم الطريق حينما فيسيرون خطوات مستعنيين بضوئه وحين ينقطع البرق ويشد الظلام يقفون متحيرين ضالين ، وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهتهم أضواؤها فيهمون أن يهتدوا ، ولكنهم بعد قليل يعودون الى الكفر والنفاق .

واسع القدرة إذا أراد شيئا فعله ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

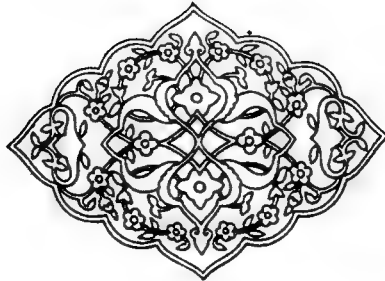
٢١ - يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي أنشأكم وخلقكم وغناكم كما خلق الذين سبقوكم ، فهو خالق كل شيء . لعلكم بذلك تعدون انفسكم وتهيئونها لتعظيم الله ومراقبته ، فتتظهر بذلك نفوسكم وتذعن للحق ، وتخاف سوء العاقبة .

الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَزَلَّ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّخِذَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

٢٢ - انه وحده هو الذى مهد لكم الارض بقدرته ، وبسط رقعتها ليسهل عليكم الإقامة فيها والانتفاع بها ، وجعل مافوقكم من السماء وأجرامها وكواكبها كالبنيان المشيد ، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فجعله سببا لاختراع النباتات والأشجار المثمرة التى رزقكم بفوائدها ، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا أن الله نظراء لعبادهم كعبادته لأنه ليس له مثيل ولا شريك ، وأنتم بفطرتكم الأصلية تعلمون أنه لا مثيل له ولا شريك . فلا تحرفوا هذه الطبيعة .

٢٣ - وان كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع أنزلنا له على عبدنا محمد . فلديكم الحجة الظاهرة التى تبين الحق لكم فحاولوا أن تأتوا بسورة ماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها وسائر هدايتها ، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة ماثلة له فاستعينوا بهم ولن تجدوهم ، وهؤلاء الشهداء هم غير الله لأن الله يؤيد عبده بكتابه ويشهد له بأفعاله هذا إن كنتم صادقين فى ارتياحكم فى هذا القرآن .

٢٤ - فإن لم تستطيعوا الاتيان بسورة ماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال لأنه ليس من طاقة المخلوقين ، إذ القرآن كلام الخالق - فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التى تؤدى بكم الى عذاب الآخرة ، وهو النار التى سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام ، وقد هيئت هذه النار لتعذيب المجاهدين المعاندين .



وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ

٢٥ - وإذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين فالجنة مثنى المؤمنين ، فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه ، وأذعنوا للحق دون شك أو ارتياب وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة أخبرهم بخبر يسرهم ويشرح صدورهم ، وهو أن الله أعد لهم عند جنات مشمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم في هذه الجنات رزقا من بعض ثمارها قالوا : ان هذا يشبه مارزقنا من قبل ، لان هذه الثمرات التي ينالونها تشابه أفرادها في الصورة والجنس ولكنها تتمايز في الطعم واللذة ، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب . وسيبقون في هذه الجنة في حياة أبدية لا يخرجون منها .

٢٦ - يضرب الله الأمثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصغائر الاحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لا يؤمنون ضرب المثل بصغائر الأحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه أنه لا يعتريه ما يعترى الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده ما يشاء من أمور بأى مثل مهما كان صغيرا ، فيصح أن يجعل المثل بعوضة أو ما فوقها والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله ، والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار ويقولون : ما الذى أراد الله بهذا المثل ؟ وأن هذا المثل يكون سببا لاضلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سببا لهداية المؤمنين بالحق الذين يطلبونه ، فلا يضل به الا المنحرفون المتمردون .

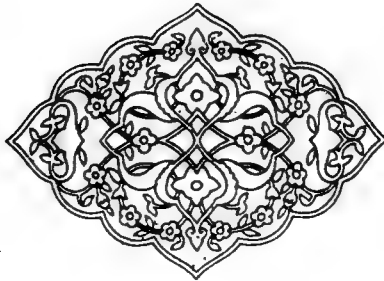
٢٧ - الذين ينقضون عهد الله ، وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوى الذى أنشأه في نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقا بالعقل المدرك ومؤيدا بالرسالة ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولا كوصل ذوى الأرحام ، والتواد والتعارف والتراحم بين بنى الانسان ، ويفسدون في الأرض بسوء المعاملات وبإثارة الفتن وإيقاد الحروب وافساد العمران ، أولئك هم الذين يخسرون بافسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلك لهم الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة .

تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ

٢٨ - ان حالكم تثير العجب ! كيف تكفرون ولا توجد شبهة تعتمدون عليها في كفركم ؟ ونظرة إلى حالكم تأبى هذا الكفر ولا تدع لكم عذرا فيه ، فقد كنتم أمواتا ، فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التقويم ، ثم هو الذى يعيدكم أمواتا عند انتهاء أجلكم ، ثم يبعثكم أحياء مرة أخرى للحساب والعقاب ثم اليه ، لا إلى غيره ، تعودون فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم .

٢٩ - وان الله الذى تحب عبادته واطاعته هو الذى تفضل عليكم فخلق لمنفعتكم ، فإندتكم كل النعم الموجودة فى الأرض ، ثم قد توجهت ارادته مع خلقه الأرض بمنافعها الى السماء فجعل منها سبع سموات منتظمت فيها ماترون وما لا ترون ، والله محيط بكل شىء عالم به .

٣٠ - بين سبحانه أنه هو الذى أحيأ الانسان ومكن له فى الأرض ، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الانسان وما أودع فيه من علم الأشياء وذكره به ، فاذا ذكر يا محمد نعمة أخرى من ربك على الانسان ، وهى أنه قال للملائكة : انى جاعل فى الأرض من أمكنة منها وأجعله صاحب سلطان فيها وهو آدم وذريته ، استخلفهم الله فى عمارة الأرض وأذكر قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصى ومن يسفك الدماء بالعدوان والقتل لما فى طبيعته من شهوات . بينما نحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، ونظهر ذكرك ونجسده ، فأجابهم ربه : انى أعلم ما لم تعلموا من المصلحة فى ذلك .



إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أُنْبِأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَوْنِ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا

٣١ - وبعد أن خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن في الأرض ويستفيع بها ، عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم : أخبروني بأسماء هذه الأشياء وخواصها ان كنتم صدقتم في ظنكم أنكم أحق بخلافة الأرض ولا يوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم .

٣٢ - وقد ظهر للملائكة عجزهم فقالوا : اننا نزهك يا ربنا التنزيه اللائق بك ، ونقر بعجزنا وعدم اعتراضنا ، فلا علم عندنا الا ما وهبتنا إياه ، وأنت العالم بكل شيء الحكيم في كل أمر تفعله .

٣٣ - قال الله لآدم : أخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء ، فأجاب وأظهر فضله عليهم ، وهنا قال الله لهم مذكرا لهم باحاطة علمه : ألم أقل لكم إني أعلم كل ما غاب في السموات والأرض ولا يعلمه غيري ، وأعلم ما تظهرون في قولكم وما تخفون في نفوسكم .

٣٤ - واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة : اخضعوا لآدم تحية له واقراراً بفضله ، فأطاع الملائكة كلهم إلا إبليس ، امتنع عن السجود وصار من العاصين له ، والكافرين بنعم الله وحكته وعلمه .

٣٥ - ثم خلق الله آدم وزوجته وأمرها أن تعيشا في جنة النعيم فقال له : اسكن أنت وامراتك الجنة وكلا منها ماتشاءان أكلا هنيئاً وافرأ بلا تعب من أى مكان أو ثمر تريدان ، ولكن الله ذكر لها شجرة معينة وحذرهما الأكل منها وقال لهما : لا تدنوا من هذه الشجرة ولا تأكلا منها ، والا كنتما من الظالمين العاصين .

٣٦ - ولكن إبليس الحاسد لآدم ، الحاقد ، أخذ يحتمل عليها ويفريها بالأكل من الشجرة حتى زلا فأكلا منها فأخرجها الله مما كانا فيه من النعيم والتكريم ، وأمرها الله تعالى بالزول الى الأرض ليعيشا هما وذريتهما فيها ، ويكون بعضهم لبعض عدوا بسبب المنافسة واغواء الشيطان ، ولكم في الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة ، وتمتع ينتهى بآتهاء الأجل .

٣٧ - وأحس آدم هو وزوجته بخطئها وظلمها لأنفسها ، فألم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار ، فقالها ، فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة ، وهو الرحيم بعباده الضعفاء .

مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهِيبٌ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ إِلَّا كَتَبَ

٣٨ - وقلنا لآدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وإبليس : اهبطوا الى الأرض وستكلفون تكاليفات فيها ، فان جاءكم ذلك من عندي - وسيأتيكم حتما - فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداى لا يشعرون بخوف ، ولا يصيبهم حزن لفوات ثواب ، لأن الله لا يضع أجر من أحسن عملا .

٣٩ - والذين جحدوا وكذبوا برسلى الله وكتبه ، أولئك أهل النار ، يظنون فيها أبدا لا يخرجون ولا يفنون .
٤٠ - يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى تفضلت بها عليكم أنتم وأباؤكم بالتفكير فيها والقيام بواجب شكرها وأوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم وأقررتوه على أنفسكم ، وهو الايمان ، والعمل الصالح ، والتصديق بمن يبعث بعد موسى من الأنبياء ، حتى أوفى بوعدى لكم وهو حسن الثواب والنعيم المقيم ، ولا تخافوا أحدا غيرى ، واحذروا من أسباب غضبى لكم .

٤١ - وصدقوا بالقرآن الذى أنزلت مصدقا لما عندكم من كتب ، وعلم من التوحيد وعبادة الله ، والعدل بين الناس ، ولا تسارعوا الى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغى أن تكونوا أول المؤمنين به ، ولا تتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضا قليلا زائلا من متاع الحياة الدنيا ، وخصونى بالخوف فاتبعوا طريقى ، وأعرضوا عن الباطل .

٤٢ - لا تخطوا الحق المنزل من عندى بالباطل المقتضى من عندكم ، حتى لا يشتبه هذا بذاك ، ولا تكتموا الحق ومنه صدق محمد ، وأنتم تعلمون أنه حق وصدق .

٤٣ - واستجيبوا للإيمان ، فأدوا الصلاة مستقيمة الأركان ، وأعطوا الزكاة لمستحقها ، وصلوا مع جماعة المسلمين لتنالوا ثواب الصلاة وثواب الجماعة وهذا يستلزم أن تكونوا مسلمين .



أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

٤٤ - أتطلبون من الناس أن يتوسعوا في الخير، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المعصية، ثم لا تعملون بما تقولون، ولا تلتزمون ما تطلبون وفي ذلك تضيق لأنفسكم كأنكم تنسونها، مع أنكم تقرأون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للعمل، أليس لديكم عقل يردعكم على هذا التصرف الذمير؟

٤٥ - واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ما تكره، ومن ذلك الصوم، وبالصلاة العظيمة الشأن التي تنقى القلب وتنتهى عن الفحشاء والمنكر، ولذلك كانت ثقيلة شاقة إلا على الخاضعين الهيين للطاعة، الذين أطمأنت قلوبهم لذكر الله.

٤٦ - أولئك الخاضعون المطمئنة قلوبهم، الذين يؤمنون باليوم الآخر ويوقنون بأنهم سيقاؤون ربهم عند البعث، واليه وحده يعودون ليحاسبهم على ما قدمت أيديهم ويشيهم عليه.

٤٧ - يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت بها عليكم، من إخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتمكينكم في الأرض بعد أن كنتم مستضعفين فيها، واشكروا واهبها بطاعتكم له، واذكروا أنني أعطيت آباءكم الذين انحدرتم منهم مالم أعطه أحدا من معاصريكم. والمحطاب لجنس اليهود ويمثلهم المعاضرون للرسول.

٤٨ - وخافوا يوم الحساب الشديد: يوم القيامة الذي لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئا، ولا تغنى فيه نفس عن نفس أخرى شيئا، ولا يقبل من أى نفس تقديم أى شفع، كما لا يقبل عرض تغدى به الذنوب، ولا يستطيع أحد أن يدفع العذاب عن مستحقه.

٤٩ - واذكروا من نعمنا عليكم أن نجيناكم من ظلم فرعون وأعوانه. الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب، فهم يذبحون الذكور من أولادكم لتوهم أن يكون منهم من يذهب بملك فرعون ويستيقن الاناث، ليستخدموهن، وفي هذا العذاب والتعرض للفناء ابتلاء شديد من ربكم واختبار عظيم لكم.

وَإِذْ فَرَقْنَا بُكْرَ الْبَحْرِ فَأُجْبَيْنَكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومُ إِنْتُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِالْحَاذِكُرِ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ بِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ ۖ وَالسَّلْوَىٰ طُكُلًا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ

٥٠ - واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر - وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه - فتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده ، وبفضلنا نجوتكم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فأغرقناهم أمام أبصاركم - فأنتم ترونهم وهم يفرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه .

٥١ - واذكروا حين وعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته ، فلما ذهب الى ميعاده ، وعاد وجدكم قد انحرفتُم واتخذتم العجل الذي صنعه السامري معبودا لكم ، وكنتم ظالمين باتخاذكم شريكا لله الذي خلقكم ونجاكم .

٥٢ - ثم عَفَوْنَا عَنْكُمْ ومَحَوْنَا عَقُوبَتَكُمْ حين تبتُم واستغفرتُم من انكمم ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

٥٣ - واذكروا حين أنعمنا عليكم فأنزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة وهو الذي يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحرام ، لكي تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبر ما فيها .

٥٤ - واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى يا قومي ، لقد ظلمتم أنفسكم باتخاذكم عجل السامري معبودا ، فتوبوا الى ربكم خالقكم من العدم ، بأن تغضبوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها ، لتتجدد بنفوس مطهرة فأعانكم الله على ذلك ووفقكم له وكان ذلك خيرا لكم عند خالقكم ، ولهذا قبل توبتكم وعفا عنكم ، فهو كثير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

٥٥ - واذكروا قولكم لموسى : اتنا لن نقر لك بالآيمان حتى نرى الله جهارا عيانا بحاسة البصر لا يحجبه عنا شيء ، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون حالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب في الصاعقة .

٥٦ - ثم أيقظناكم من غشيتكم وهودكم ، وعلمناكم لكي تشكروا نعمتنا في ذلك ، وتودوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ مُبَجَّدًا وَقُولُوا
حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ * وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ
الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ
مُقْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ

٥٧ - ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد، وأنزلنا عليكم المن، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس، كما أنزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسمان، فهو يأتيكم بأسراره بكرة وعشيا لتأكلوا وتتمتعوا، وقلنا لكم كلوا من طيبات رزقنا - فكفر هؤلاء بالنعمة، ولم يكن ذلك بضائرنا، ولكنهم يظلمون أنفسهم لأن ضرر العصيان واقع عليهم^(١).

٥٨ - واذكروا يا بني إسرائيل حين قلنا لكم ادخلوا المدينة الكبيرة التي ذكرها لكم موسى نبيكم، فكلوا مما فيها كما تشاءون، كثيرا واسعا، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع من الباب الذي سماه لكم نبيكم، واسألوا الله عند ذلك أن يغفر لكم خطاياكم، فن يفعل ذلك باخلاص نغفر له خطاياه، ومن كان محسنا مطيعا زدناه ثوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة.

٥٩ - ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم، فقالوا غير ما أمرهم بقوله، استهزاء وتمردا، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم.

٦٠ - واذكروا يا بني إسرائيل يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش في التيه، رحمنكم وقلنا لموسى: اضرب بعصاك الحجر فانفجر الماء من اثنتي عشرة عينا فصار لكل جماعة عين وكانوا اثنتي عشرة جماعة فعرفت كل قبيلة مكان شربها، وقلنا لكم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه، ولا تسرفوا في الفساد في الأرض بل امتنعوا عن المعاصي.

(١) في قوله تعالى « وأنزلنا عليكم المن والسلوى » ذكر لحقيقة علمية كشفها العلم أخيرا وهي ان المواد البروتينية التي تكون من أصل حيواني كالحوم الحيوانات والطيور، ومنها السمان (السلوى) أفضل في تغذية الإنسان من بروتينات البقول النباتية من حيث التمثيل الحيوي واستفادة الجسم كما أن المن أساسه مواد سكرية تعد من أهم أسباب قوى النشاط والحركة لجسم الإنسان.

بَقْلَهَا وَقَتْنَاهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصْلَهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۖ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّدِيقِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآءَ تَابِتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ

٦١ - واذكروا أيها اليهود أيضا يوم سيطر البطر على اسلافكم . ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى : اتنا لن نصبر على طعام واحد (وهو المن والسلوى) فادع لنا ربك كي يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقولها وقتائها وعدسها واثومها وبصلها ، فتعجب موسى من ذلك ، وانكره عليهم فقال لهم : أنفضلون هذه الاصناف على ما هو أفضل وأحسن ، وهو المن والسلوى . . فانزلوا اذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فانكم ستجدون فيها ماتريدون وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقر والخنوع واستحقوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان ، وماجروا عليه من الكفر بآيات الله ويقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر وقد جأهم على ذلك الكفر وهذا القتل ، ماركب في نفوسهم من التمرد والعدوان ومجازة الحد في المعاصي .

٦٢ - ان الذين آمنوا بالأنبياء من قبل ، واليهود والنصارى ، ومن يقصدون الكواكب والملائكة . ومن آمن برسالة محمد بعد بعثته ، ووحده الله تعالى وآمن بالبعث والحساب يوم القيامة ، وعمل الأعمال الصالحة في دنياه فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم ، ولا يلحقهم خوف من عقاب . ولا ينالهم حزن على فوات ثواب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

٦٣ - اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطور ، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم من هدى وارشاد بمجد واجتهاد ، واذكروا ما فيه ذكر من يستجيب له ويعمل به كي تصونوا بذلك أنفسكم من العقاب .

٦٤ - ثم انكم أعرضتم بعد ذلك كله ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخيره العذاب عنكم لكنتم من الضالين الهالكين .

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُّ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آدَعْ لَنَا رَبَّكَ يَبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ

٦٥ - وأنتم بلاربب قدعرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم في يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه مع أنه يوم راحة وعيد ، والعمل محرم فيه ، فسبح الله قلوب المخالفين ، وصاروا كالقردة في نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبعدين من رحمة الله ، مطرودين كالكلاب ينفر الناس من مجالستهم ويشمرون من مخالطتهم .

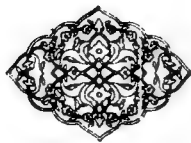
٦٦ - وقد جعل الله هذه الحال التي آلا إليها عبرة وتحذيرا لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم جعلها عبرة لمعاصيهم ومن يأتي بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

٦٧ - واذكر حين قال موسى لقومه وقد قتل فيهم قتيل لم يعرفوا قاتله ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحا لمعرفة القاتل ، ولكنهم استغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين : أتسخر منا ياموسى ، فرد عليهم قائلا : انى أعتصم بتأديب الله لى أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده .

٦٨ - هنا قالوا لموسى مترددين في أمر البقرة ، اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة فقال لهم : ان الله أخبرنى بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة ، بل هى وسط بين الكبير والصغر ، فنفذوا ما أمرهم الله به .

٦٩ - ولكنهم استمروا في ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة ، فأجابهم موسى : بأن الله يقول : انها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تعجب الناظر إليها لصفاء لونها ووضوحه .

٧٠ - ثم لجوا في أسألهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة ، لأن البقر تشابه علينا ، وسنهندي إليها بمشيئة الله .



لَا ذُلُّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَسْقِ الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَأَشْيَةٍ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَلَبَّجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾
وَاذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ
الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ * أَفَتَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَمُحُّونَهُ

٧١ - فقال لهم : ان الله يقول انها بقرة لم تذلل بالعمل في حرث الأرض وقلها للزراعة ، ولا في سقى الأرض
المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبات وهي بريئة من العيوب سالمة من الآفات لا لون فيها يخالف سائر جسدها فقالوا
له الآن جئت بالبيان الواضح ، وبحنوا عز البقرة المتصفة بهذه الأوصاف فذبحوها وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك
لكثرة أسئلتهم وطول لجاحهم .

٧٢ - اذكروا يوم قتلتم نفساً وتخاصمت وتدافعت الجريمة ، فاتهم بعضهم بعضاً بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو
كاشفها ومظهرها مع كتابكم لها .

٧٣ - فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القتل بجزء من هذه البقرة ، ففعلتم فأحيا الله القتل وذكر اسم
قاتله ، ثم سقط ميتاً وكانت معجزة من الله لموسى^(١) .

لأن الله قادر على كل شيء ، وبقدرة هذه يحى الموتى يوم القيامة . ويرىكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها
وتعتبرون بها .

٧٤ - ثم انكم بعد هذه الآيات كلها لم تستجيبوا ولم تستقيموا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع ، بل غلظت
وتصلبت وبقيت على قسوتها ، بل انها أشد قسوة منها ، لأن الحجارة قد تتأثر وتتفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها
المياه الكثيرة فتجرى أنهاراً ، وهناك أحجار تشقق فيخرج منها الماء عيوناً فوارة ومنها ما يتأثر بقدرته الله وينقاد
لمشيئته فيتردى من أعلى الجبال انقياداً لما أَرَادَهُ اللهُ تعالى به ، أما قلوبكم أيها اليهود فإنها لا تتأثر ولا تلين ولكم
الويل على ذلك ، فالله ليس بغافل عن أعمالكم وهو سيؤدبكم بألوان النقم ، اذا لم تشكروا أنواع النعم ..

(١) ذكر بعض الكتاب في عصرنا الحاضر ، وهو المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ان قوله تعالى : « اضربوه ببعضها » المراد به
بعض أجزاء القتل ، والمراد باحيائها القصاص له ، لأن الضرب ببعض أجزاء المقتول يحمل القاتل على الاعتراف ، وكثيرا ما تكون رؤية
القتيل باعنة على الاعتراف ، وتكون هذه القصة منفصلة عن الامر بالذبح وأمر الله تعالى بالذبح ، وأن أمر الله تعالى لهم بأن يذبحوا بقرة
كان ليأكلوها ، وفي ذلك تربية نفسية لهم ، لانهم كانوا مع المصريين الذين يقدسون البقر ، وكانت فيهم بقية من هذا التقديس بدليل أنهم
عبدوا تمثال العجل من بعد ذلك . فكان لابد لاقتلاع هذه البقية من نفوسهم بتكليفهم ذبح البقرة ، فكان لذلك الأمر بالذبح ، وكان لذلك
المجادلة والتلؤكؤ منهم فذبحوها وماكادوا يقومون بالذبح .

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ يَوْمَ يُخَالِفُ الْمَذْلُومَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِ لَّهُمْ تَمَّا كَتَبْتُ بِأَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلِ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ

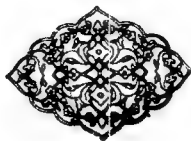
٧٥ - ما كان ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا في أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقد اجتمعت في مختلف فرقهم أشتات الرذائل التي تباعد بينهم وبين الإيمان بالحق ، فقد كان فريق منهم (وهم الأخبار) يسمعون كلام الله في التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون أنه الحق ، وأن كتب الله المذلة لا يجوز تغييرها .

٧٦ - وكان فريق من منافقيهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم آمنا بأنكم على الحق وأن محمداً هو النبي الذي جاء وصفه في التوراة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم ، إذ تنزلق السنتهم في أثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولا يستدعيها الخداع فيذكرون لهم ما ورد في التوراة من أوصاف محمد ويعطونهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة .

٧٧ - وهل غاب عن هؤلاء وأولئك أن الله ليس في حاجة إلى مثل هذه الحجة لأنه يعلم ما يخفون وما يبدون .

٧٨ - ومن اليهود فريق جهلة أميون لا يعرفون عن التوراة إلا أكاذيب تتفق مع أمانيتهم ، لفقها لهم أخبارهم وألقوا في ظنهم أنها حقائق من الكتاب .

٧٩ - فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأخبار الذين يكتبون كتباً بأيديهم ثم يقولون للأمينين هذه هي التوراة التي جاءت من عند الله ، ليصلوا من وراء ذلك إلى غرض تافه من أغراض الدنيا فيشتروا هذا التافه بثمن هو الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما تقولوه على الله ، وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .



عَلَى اللَّهِ مَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ يٰۤاَيُّهَا مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ ۖ فَاتَّبِعْ أَمْرَ اللَّهِ لَعَلَّكَ تَكُونُ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تَحْرُجُونَ أَنفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فِرْيَاقًا مِّنكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُواكُمُ اسْرِي تَقْلُدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَآبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۖ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِّنكُمْ إِلَّا نِزَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ

٨٠ - ومن اختلاقاتهم هذه ما يتلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهودياً مهما ارتكب من المعاصي إلا أياماً معدودة ، فقل لهم يا محمد ، هل تعاهدتم مع الله على ذلك ، فاطمأنتم لأن الله لا يخلف عهده ، أم أنكم تفترون الكذب عليه ؟

٨١ - الحق أنكم تفترون الكذب على الله . فحكم الله العام نافذ في خلقه جميعاً لا فرق بين يهودي وغير يهودي ، لأن من ارتكب سيئة وأحاطت به آثامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

٨٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة لأنهم آمنوا وأدوا ما يفرضه عليهم إيمانهم من صالح الأعمال ، فهم فيها خالدون .

٨٣ - وأن لكم معشر اليهود بجانب هذا كله ماضياً حافلاً بالاثم ونقض الموائيق ، وتعدى ما وضعه الله لكم من حدود ، فلتذكروا إذ أخذنا عليكم في التوراة ميثاقاً ألا تعبدوا إلا الله ، وأن تحسنوا إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ، وتستخدموا في حديثكم مع الناس القول الطيب الذي يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفرهم منكم ، وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة ، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق إذ نقضتموه وأعرضتم عنه إلا قليلاً منكم ممن أذعن للحق .

٨٤ - وإذ أخذنا ميثاقاً عليكم في التوراة ألا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ، وهو ميثاق تقررون أنه في كتابكم وتشهدون على صحته .

الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

٨٥ - وهأنتم أولاء يقتل بعضهم بعضاً، ويخرج فريق منكم آخر من ديارهم متعاونين في ذلك عليهم مع غيركم بالائتم والعدوان، ثم ان وقع فريق منكم أسرى لدى من يتعاونون معهم تعملون على انقاذهم من الأسر بافتدائهم، وان سئلتهم عما حملكم على افتدائهم قلتم لأن أسفارنا أمرتنا أن نفدى أسرانا من اليهود أولم تأمركم أسفاركم كذلك ألا تسفكوا دماء اخوانكم، وألا تخرجوهم من ديارهم؟ افتدعون لبعض ما جاء في الكتاب وتكفرون ببعض؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردهم الله المطلع على أعمالهم وسرايرهم الى أشد العذاب^(١).

٨٦ - وذلك لأنهم قد آثروا أعراض الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم، وكانوا بهذا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فلن يخفف عنهم عذاب جهنم، ولن يجددوا من ينقذهم منه.

٨٧ - ولتذكروا كذلك معشر اليهود مواقفكم الضالة الآثمة حيال موسى ومن بعثناه من بعده اليكم من المرسلين. فلقد ارسلنا اليكم موسى وآتيناه التوراة وبعثنا اليكم على آثارة عدة رسل، منهم، عيسى ابن مريم الذي امددناه بالمعجزات وايدناه بروح القدس وهو جبريل رسول الوحي الأمين، فكنتم كلما جاءكم رسول من هؤلاء بما لا تهوى أنفسكم تستكبرون عن اتباعه، ففريق كذبتموه وفريق آخر قتلتموه.

٨٨ - وكذلك كان موقفكم حيال رسولنا محمد خاتم النبيين. فلقد قلتم له حينما دعاكم إلى الاسلام: ان قلوبنا مغطاة بأغشية لا تنفذ اليها دعوتك فلا نكاد نفقه شيئاً مما تقول ولم تكن قلوبهم كما يزعمون، ولكنهم استكبروا وآثروا الضلالة على الهدى، فلعنهم الله بكفرهم وأوهن يقينهم وأضعف إيمانهم.

(١) كان بالمدينة قبل الاسلام قبيلتان عربيتان متعاديتان: هما الاوس والخزرج، وطائفتان من اليهود هما: بنو قريظة وبنو النضير، وكان بنو قريظة حلفاء للاوس وكان بنو النضير حلفاء للخزرج، وكان اذا اقتتل القبيلتان العربيتان انضم الى كل قبيلة حلفاؤها من اليهود واشتركوا معها في قتال القبيلة الاخرى وقتال من انضم اليها من اخواتهم في الدين ولم يدخروا جهداً في سفك دماهم والعمل على اخراجهم من ديارهم، ولكن كلا من الطائفتين من اليهود كانت تعمل على افتدائهم من كان يقع في أيدي حليفتها من أسرى الطائفة الاخرى فاذا سئلوا: كيف تفدونهم وقد كانوا يقاتلون مع اعدائكم؟ قالوا: لأن الله أمرنا في التوراة أن نفدى أسرى اليهود، ويتجاهلون ان الله أمرهم كذلك في التوراة الا يسفك بعضهم دماء بعض، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم فهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض.

وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
 بَلَسَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَلَبَّاهُ
 بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَقُولُوا نَحْنُ مُؤْمِنُونَ
 عَلَيْهِمْ وَيَكْفُرُونَ ۖ وَمَا وِرَاءَهُمْ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾
 * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

٨٩ - ولما جاءهم رسولنا بالقرآن وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة ، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما في هذا الكتاب ، كفروا به عناداً وحسداً لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبيهم بنى إسرائيل مع أنهم كانوا من قبل إذا اشتبكوا مع المشركين في صراع حربي أو جدلي ذكروا أن الله سينصرهم بارسال خاتم النبيين الذي بشر به كتابهم ، والذي تتفق صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد . . ألا لعنة الله على أمثالهم من المعاندين الجاحدين .

٩٠ - وليس ما باعوا به أنفسهم بغياً وعدواناً ، اذ مالوا مع أهوائهم وتعصبهم لشعبيهم فكفروا بما أنزلنا ، ناقلين على غيرهم أن خصهم الله دونهم بارسال رسول منهم منكبين على الله أن يكون له مطلق الخيرة في أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب لكفرهم وعنادهم وحسدهم ، ولئلهم من الكافرين عذاب مذل يؤلم .

٩١ - هذا هو ما كانت تنطوى عليه نفوسهم ، ولكنهم كانوا يبررون أمام الخلق عدم إيمانهم بالقرآن حينما يطلب اليهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون الا بما أنزل عليهم هم ويكفرون بغيره ولقد كذبوا فيما يدعون من إيمانهم بما أنزل عليهم من توراة لأن كفرهم بهذا الكتاب المصدق لما في كتابهم هو كفر بكتابهم نفسه ، ولأنهم قد قتلوا الأنبياء الذين دعوا الى ما أنزل عليهم وقتلهم لهؤلاء أقطع دليل على عدم إيمانهم برسالتهم .

٩٢ - بل لقد كفرتم أيها اليهود كفراً صريحاً بكتبكم ، ورجعتم الى الشرك في عهد موسى نفسه فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه لكنه لم يلبث أن تغيب لمناجاة ربه حتى عبدتم العجل ورجعتم الى سابق وثنيتكم وأنتم ظالمون مبطلون .

الطُّورُ خُذُوا مَاءَ اتِّبَنَتْكُمْ يَقُوَّةً وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَثَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلُ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بَلِّسَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ
لِمَعْنُكُمُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ
كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
عَلَى حَبِيرَةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوْءُ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ وَلِلَّهِ بَصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا

٩٣ - وحينما جاءكم بالتوراة، ورأيتم ما فيها من تكاليف شاقة، فاستثقلتم أعباءها وارتيتم فيها، أراكم الله آية على صدق هذا الكتاب وفائدة تعاليمه لكم، فرفع جبل الطور فوق رؤوسكم حتى صار كأنه ظلة وظننتم أنه واقع بكم، وحينئذ أعلنتم القبول والطاعة، فأخذنا عليكم ميثاقاً ألا يأخذكم هوى في الامتثال لما جاء في هذا الكتاب، فقلتم: أمنا وسمعنا، ولكن أعمالكم تكشف عن عصيانكم وتتردكم، وأن الإيمان لم يخالط قلوبكم، ولا يمكن أن يكون الإيمان قد خالط قلوب قوم شغفوا حباً بعبادة العجل فلبس ما اليه إيمانكم الذي تزعمون.

٩٤ - ولقد زعمتم أن الله سيخصكم من بين سائر الناس بنعيم الجنة بعد المات، فان كنتم مؤمنين حقاً بما تقولون فليكن الموت محبباً اليكم، ولتتمنوه حتى لا يبسط عنكم هذا النعيم الذي تدعون

٩٥ - ولكنهم في الواقع لا يرغبون في الموت أبداً لما اقترفوا من ظلم لا يخفى أمره على الله، ويعلمهم أنهم كاذبون فيما يدعون، وأن النعيم يوم القيامة للمتقين لا للفسجار أمثالهم.

٩٦ - بل انك لتجدنهم أحرص الناس جميعاً على حياتهم على أى شكل عزيزة أو ذليلة، وحرصهم أكثر من حرص المشركين الذين لا يؤمنون ببعث ولا جنة، ولذلك يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، ولن يبعد عنه تعميره مهما طال ما ينتظر من عذاب الله انه عليم بالظالمين وسيذيبهم جزاء ما اقترفوه.

٩٧ - ولقد زعم بعضهم أنهم يعادونك ويكفرون بكتابك لأنهم اعداء لجبريل الذي يبلغك هذا الكتاب فقل أيها النبي لهم: من كان عدواً لجبريل فهو عدو لله، لأن جبريل ما يجيء بهذا الكتاب من عنده وإنما ينزله بأمر الله مصداقاً لما سبقه من الكتب السابوية.. ومصدقاً لكتابهم نفسه.. وهدى وبشرى للمؤمنين.

٩٨ - فمن كان عدواً لجبريل أو ميكائيل أو إلهي ملك أو رسول من ملائكة الله ورسله الذين لا يفعلون ولا يبلغون الا ما يأمرهم به الله، فانه بذلك يكون عدواً لله وكافراً به، والله عدو الكافرين.

إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ سَاعَةَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾

٩٩ - وما ينزل جبريل على قلبك إلا بآيات بينات لا يسع طالباً للحق إلا الإيمان بها ، وما يكفر بمثلها إلا المعاندون الخارجون عن سنة الفطرة .

١٠٠ - وكما تذبذبوا في العقيدة والإيمان ، تذبذبوا كذلك فيما يرمونه من عهدود : فكانوا كلما عاهدوا المسلمين وغيرهم عهداً نبذوه فريق منهم . لأن معظمهم لا يؤمن بحزمة عهد ولا بقداسة ميثاق .

١٠١ - ولما جاءهم رسول من عند الله مطابقة أوصافه لما في أسأفرهم وهو محمد عليه السلام ، نبذ فريق منهم ما ذكر في كتبهم عن هذا الرسول ، كأنه لم يرد فيها ولم يعلموا شيئاً عنه .

١٠٢ - ولقد صدقوا ما تنقله شياطينهم وفجرتهم على ملك سليمان ، إذ زعموا أن سليمان لم يكن نبياً ولا رسولاً ينزل عليه الوحي من الله ، بل كان مجرد ساحر يستمد العون من سحره ، وإن سحره هذا هو الذي وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطير والرياح فنسبوا بذلك الكفر لسليمان وما كفر سليمان ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا ، إذ تقولوا عليه هذه الأقاويل ، وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم ومن آثار ما أنزل ببابل على الملكين هاروت وماروت مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حتى يقولوا له إنما تعلمك ما يؤدي إلى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره وتوق العمل به . ولكن الناس لم ينتصحووا بهذه النصيحة ، فاستخدموا مما تعلموه منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه . نعم كفر هؤلاء الشياطين الفجرة إذ تقولوا هذه الأقاويل من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر وما هم بضارين بسحرهم هذا من أحد ، ولكن الله هو الذي يأذن بالضرر إن شاء ، وأن ما يؤخذ عنهم من سحر ليضر من تعلمه في دينه ودنياه ولا يفيد شيئاً ، وهم أنفسهم يعلمون حق العلم أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ في نعيم الآخرة ، ولبس ما اختاروه لأنفسهم لو كانت بهم بقية من علم .

١٠٣ - ولو أنهم آمنوا بالحق وخافوا مقام ربهم لأنابهم الله ثواباً حسناً . ولكن ذلك خيراً مما يلقونه من أساطير ويضمرونه من خبث لو كانوا يميزون النافع من الضار .

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رِعْنَا وَقُولُوا نَنْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

١٠٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حذرکم من هؤلاء اليهود فلا تقولوا للرسل حينما يتلو عليكم الوحي : (راعنا : قاصدين أن يجعلكم موضع رعايته ، ويتمهل عليكم في تلاوته حتى تعوه وتحفظوه ، لأن خيئاء اليهود يتظاهرون بمحاكاتكم في ذلك ، ويلوون الستهم بهذه الكلمة حتى تصير مطابقة لكلمة سبب يعرفونها ويوجهونها للرسل ليسخروا منه فيما بينهم ، ولكن استخدموا كلمة أخرى لا يجد اليهود فيها مجالاً لخبثهم وسخريتهم ، فقولوا : (أنظرنا) وأحسنوا الاصفاء الى ما يتلو عليكم الرسول ، وان الله ليذكر يوم القيامة عذاباً أليماً هؤلاء المستهزئين بالرسول .

١٠٥ - ولتعلموا أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين من عبدة الأصنام لا يرجون الا ضرركم ولا يودون أن ينزل عليكم خير من ربكم . والله لا يقيم وزناً لما يرجون وما يكرهون فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

١٠٦ - ولقد طلبوا منك يا محمد أن تأتيهم بالمعجزات التي جاءهم بها موسى وأنبياء بني اسرائيل ، وحسبنا أننا أيدناك بالقرآن ، وأنتا اذا تركنا تأييد نبي متأخر بمعجزة كانت لنبي سابق ، أو أنسينا الناس أثر هذه المعجزة فانتا تأتي على يديه بخير منها أو مثلها في الدلالة على صدقه ، فالله على كل شيء قدير .

١٠٧ - وهو الذي بيده ملكوت السموات والأرض ، وليس لكم أيها الناس من دونه ولي يعينكم ولا سند ينصركم .

١٠٨ - لعلكم تريدون باقتراحكم معجزات معينة على رسولكم محمد ، أن تحاكو بني اسرائيل المعاصرين لموسى ، اذ طلبوا اليه معجزات خاصة ، ان اقتراحكم هذا ليخفق وراءه العناد والجنوح الى الكفر ، كما كان يخفق ذلك اقتراح بني اسرائيل على رسولهم ومن يؤثر العناد والكفر على الاخلاص للحق والايان ، فقد حاد عن الطريق السوي المستقيم .

لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

١٠٩ - ولقد تمى كثير من اليهود أن يردوكم - أي المسلمون - إلى الكفر بعد إيمانكم ، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق ، وما ذلك إلا لأنهم يحسدونكم ويحشون أن ينتقل اليكم السلطان ويفلت من أيديهم فاعرضوا عنهم ، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم فهو القادر على أن يمتكنكم منهم ، وهو على شيء قدير .

١١٠ - وحافظوا على شعار دينكم ، فأقيموا الصلاة ، واعطوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدقة تجدوا ثوابها عند الله ان الله بما تعملون عليم ، علم من يبصر ويرى .

١١١ - ومن أباطيل اليهود والنصارى وأمانيتهم الكاذبة ، ما يزعمه كل منهم من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان على دينه . فلتطلبوا اليهم أن يأتوا برهان على ذلك ان كانوا صادقين .

١١٢ - ولن يجدوا على ذلك برهاناً ، فالحق ان الذين يدخر لهم الله تعالى نعيم الجنة ويشيهم يوم القيامة ويقيهم الخوف والحزن هم الذين يخلصون لله ويتبعون الحق ، ويحسنون ما يؤدونه من أعمال .

١١٣ - ومن عجب أنهم كما يعادون الاسلام يعادى بعضهم بعضاً ، فيقول اليهود : ليست النصارى على شيء من الحق ، ويقول النصارى في اليهود مثل ذلك ، وكلاهما يستدل بأسفاره ، ويقول المشركون من العرب الذين لا يعلمون شيئاً عن الكتب المنزلة في اليهود والنصارى معاً ما يقوله كلاهما في الآخر ولقد صدقوا جميعاً في ذلك . فليس منهم فريق على حق ، وسيتبين ذلك حيناً يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ^ع
 لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ
 أَوْ تَأْتِينَا آيَةً كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

١١٤ - ومن مظاهر عدائهم لبعض ، وعدائهم للمسلمين ، أن بعض طوائفهم خربت معابد الطوائف الأخرى ، وأن المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام ، وليس ثمة أحد أشد ظلماً ممن يحول دون ذكر الله في أماكن العبادة ويسعى في خرابها ، فأولئك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . وما كان لهم أن يقتربوا مثل هذا الجرم الخطير ، وإنما كان ينبغي أن يحفظوا للمعابد حرمتها ، فلا يدخلوها الا خاشعين ، ولا يمنعوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله .

١١٥ - وإذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصلاة في المسجد الحرام . فلن يمنعهم هذا من الصلاة وعبادة الله ، فجميع الجهات وجميع البقاع في الأرض لله ، وأن الله ليتقبل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أيًا كانت البقعة التي يؤدي فيها عبادته ، فالله واسع لا يضيق على عباده ، وهو عليم بنية من يتجه إليه .

١١٦ - ومن كان هذا شأنه ، وكان جميع ما في الكون مسخراً لأمره ، خاضعاً لمشيئته ، فهو أرفع وأجل من أن يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً كما يقول هؤلاء اليهود والنصارى والمشركون .

١١٧ - وكيف يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً من أبدع السموات والأرض وأذن كل ما فيها لإرادته فلا يستعصى شيء عليه ، وإذا أراد أمراً فأنما يقول له : كن ، فيكون ؟ .

١١٨ - هذا ويعين المشركون من العرب في عنادهم لمحمد ، فيطلبون اليه مثل ما طلبته الأمم السابقة من أنبيائهم ، فقد قالوا : أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا كلمهم الله وجاءتهم آية حسية تدل على صدقه . كما قال بنو اسرائيل لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله ويكلمنا ، وكما طلب أصحاب عيسى إليه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، وما ذلك الا لأن قلوب الكفار والمعادين في كل أمة متشابهة ، وأنه لا يستبين الحق الا من صفت بصائرهم وأذعنت عقولهم لليقين ، وطلبت الحق .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ لَوْلَا نَصِيرَةٌ ۚ لَآلَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٠﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٢﴾ * وَلَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٣﴾

١١٩ - وقد ارسلناك بحقائق يقينية بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، وليس عليك الا تبليغ رسالتنا ، ولن تسأل عن عدم ايمان من لم يؤمن بك من أصحاب الجحيم .

١٢٠ - فلا ترهق نفسك في استرضاء المعاندين من اليهود والنصارى ، فان هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم التي يزعمون أنها الهدى ، وليس ثمة هدى الا هدى الله في الاسلام ، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما أنزلناه اليك من الحق ، فلن يكون له يوم القيامة من دون الله ولى يعينه ، ولا نصير يدفع عنه العذاب .

١٢١ - غير أن ثمة فريقاً من اليهود والنصارى قد تفقهوا في أسفارهم الأصيلية ، وتلواها حق التلاوة ، وفطنوا الى ما دخلها من تحريف ، فأولئك يؤمنون بحقائقها ويؤمنون تبعاً لذلك بالقرآن ، ومن يكفر بكتاب منزل فأولئك هم الخاسرون .

١٢٢ - يا بنى اسرائيل آمنوا ، واذكروا نعمتى العظيمة التى أنعمت بها عليكم باخراجكم من ظلم فرعون واغراقه ، واعطائكم المن والسلوى وبعث الأنبياء فيكم وتعليمكم الكتاب وغير ذلك مما شرفتكم به ، وأنى فضلتكم وقتاً من الزمان على الناس فى جعل مصدر النبوات منكم .

١٢٣ - وخافوا عقاب الله فى يوم لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها فداء ، ولا يجيد فيه الكافرون نصيراً لهم من دون الله .

١٢٤ - واذكروا اذ ابتلى الله جدكم ابراهيم بتكاليف فقام بها على أتم وجه ، فقال له : انى جاعلك للناس اماماً ، يتبعونك ويقتدون بك ، فطلب ابراهيم من ربه أن يجعل من ذريته أئمة كذلك ، فأجابه بأن هذا لن يصل اليه منهم الظالمون ، وأشار أنه سيكون من ذريته الأبرار والفقار .

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

١٢٥ - واذكروا كذلك قصة بناء ابراهيم مع ابنه اسماعيل لبيت الله الحرام بمكة، وفي هذه القصة عظة بالغة لمن كان له قلب سليم، فلتذكروا اذ جعلنا هذا البيت ملاذاً للخلق وأمناً لكل من يلجأ اليه، واذ أمرنا الناس بأن يتخذوا من موضع قيام ابراهيم لبناء الكعبة مكاناً يصلون فيه، وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن يصونا البيت محالاً يليق بحرمته، وأن يهيئاه تهيئة صالحة لمن يؤمه من الطائفين والمعتكفين والمصلين.

١٢٦ - واذكروا اذ طلب ابراهيم الى ربه أن يجعل البلد الذي سينشأ حول البيت بلداً آمناً، وأن يرزق من ثمرات الأرض وخيراتها من آمن من أهله بالله واليوم الآخر، فأجابه الله بأنه لن يضرن على الكافر نفسه بالرزق في أثناء حياته القصيرة، ثم يلجئه يوم القيامة الى عذاب جهنم. ولبس المصير.. مصير هؤلاء.

١٢٧ - واذ يرفع ابراهيم هو وابنه اسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله: ربنا يا خالقنا وبارئنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك، فأنت السميع لدعائنا العليم بصدق نياتنا (١).

١٢٨ - ربنا وفقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريتنا جماعة مخصصة لك، وعلمنا طريقة عبادتنا لك في بيتك الحرام وما حوله، وتب علينا ان نسينا أو أخطأنا إنك أنت كثير القبول لتوبة عبادك، الغافر لهم بفضلك ورحمتك.

١٢٩ - ربنا وابعث في ذريتنا رسولا منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلمهم ما يوحى اليه به من كتاب وعلم نافع وشرعية محكمة، ويظهرهم من ذمير الأخلاق، إنك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تفعل وما تأمر به وما تنهى عنه.

(١) الكعبة بيت الله الحرام بمكة أقدم الأماكن المقدسة وكان العرب يحجون إليها قبل الاسلام منذ عهد ابراهيم، والمتواتر في أمر البيت ان ابراهيم واسماعيل هما أول من رفع قواعد وقيل ان أول بناء بنته الملائكة من احجار الجنة عند هبوط آدم الى الارض وظلت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جدهما قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي العربي محمد ﷺ ثم جددت بعد ذلك في العصور الاسلامية غير مرة وكان آخرها البناء الذي حدث سنة ١٠٤٠ هجرية الموافق ١٦٣٠ ميلادية وهو الذي يطوف به المسلمون الآن.

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسَلَّمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

١٣٠ - ولنعم ما فعله ابراهيم وما دعا الله به ، وما اتبعه من ملة قويمه ، وأنه لا يعرض عن ملة ابراهيم الا من امتن انسانيته وعقله ، ولقد اصطفاه الله في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين المقربين .

١٣١ - ولقد استجاب لأمر ربه حينما طلب الله اليه أن يذعن فقال : أذعنت لرب العالمين جميعاً من جن وانس وملائكة .

١٣٢ - ولم يكف بذلك بل أوصى بنيه بأن يسيروا على هديه ، وحاكاه حفيده يعقوب : فأوصى هو الآخر بنيه كذلك أن يتبعوا هذه السنن ، وبين لأبنائه أن الله اصطفى لهم دين التوحيد وأخذ عليهم العهد الا يموتوا الا هم مسلمون ثابتون على هذا الدين .

١٣٣ - ولقد زعمتم أيها اليهود أنكم تسرون على الدين الذي مات عليه يعقوب ، فهل كنتم شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ الْمَوْتَ فَعَرَفْتُمُ الْمِلَّةَ الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا ؟ الا فلتعلموا أن يعقوب وأبنائه كانوا مسلمين موحدين ولم يكونوا يهوداً مثلكم ولا نصارى ، وأن يعقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأجابوا : نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له خاضعون .

١٣٤ - ثم ما لكم أيها اليهود والمجذل في هؤلاء ؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ثم لهم وحدهم ما كسبوا في حياتهم ، فلن تسألوا عن أعمالهم ، ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٣٥ - ولكنهم لا ينفكون . يمعنون في لجاجهم ويزعم كل فريق منهم أن ملته هي الملة المثلى ، فيقول لكم اليهود ، كونوا يهوداً تهتدوا إلى الطريق القويم ، ويقول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا إلى الحق المستقيم ، فلتردوا عليهم بأننا لا نتبع هذه الملة ولا تلك ، لأن كليهما قد حرفت وخرجت عن أصولها الصحيحة ، ومازجها الشرك ، وبعدت عن ملة ابراهيم ، وإنما نتبع الاسلام الذى أحيا ملة ابراهيم نقية طاهرة .

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلِ اتَّحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلِ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ

١٣٦ - قولوا لهم : آمنا بالله وما أنزل الينا في القرآن ، وآمنا كذلك بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنه الأسباط ، وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى غير محرقة ، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى غير محرف ، وبما أوتي جميع النبيين من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض ، ونحن في هذا كله مدعون لأمر الله .

١٣٧ - فان آمنوا إيماناً مطابقاً لإيمانكم فقد اهتدوا ، وان تمادوا في عنادهم واعراضهم فانما هم في نزاع مستمر وخلاف معكم ، وسيكفيكم الله أمرهم بآية النبي ، ويريحكم من لجأهم وشقاقهم ، فهو السميع لما يقولون ، العليم بما عليه صدورهم .

١٣٨ - قولوا لهم : ان الله قد هدانا بهديته ، وأرشدنا الى حجته ، ومن أحسن من الله هداية وحجة ، واننا لا نخضع الا لله ، ولا نتبع الا ما هدانا وأرشدنا اليه .

١٣٩ - قولوا لهم : اتجادلوننا في الله زاعمين أنه لا يصطفى أنبياء الا منكم ؟ وهو ربكم ورب كل شيء ، لا يختص به قوم دون قوم ، يصيب برحمته من يشاء ، ويجزي كل قوم بأعمالهم ، غير ناظر إلى أنسابهم ، ولا أحسابهم وقد هدانا الطريق المستقيم في أعمالنا ، ورزقنا صفة الاخلاص له .

١٤٠ - قولوا لهم : اتجادلوننا في ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأبنائه الأسباط ، زاعمين أنهم كانوا يهوداً أو نصارى مثلكم ، مع أننا ما أنزلنا التوراة والإنجيل اللذين قامت عليهما اليهودية والنصرانية الا من بعد هؤلاء ، وقد أخبرنا الله بذلك ، أفأنتم أعلم أم الله ، بل إن الله قد أخبركم أنتم بذلك في أسفاركم ، فلا تكتموا الحق المدون في أسفاركم هذه ، ومن أظلم ممن كتم حقيقة يعلمها من كتابه ، وسيجازيكم الله على ما تلجون فيه من باطل ، فإنا الله بغافل عما تعملون (١) .

(١) تعاقب القوانين الوضعية في مختلف الدول على شهادة الزور وهي قول غير الحق ويعاقب عليها القرآن أيضاً ولكن هذه الآية تجعل مجرد كتمان الشهادة إثمًا وظلماً وهي جريمة ليس لها حد أي عقوبة معينة في الشريعة الإسلامية والعقاب عليها متروك لولي الأمر فهي داخلة في باب التعزير .

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ * سَبَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَّبِعُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زَرَى ثَقَلُوبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ

١٤١ - ثم ما لكم أيها اليهود والنصارى والجدل في هؤلاء ؟ فأولئك قوم فد مضوا لسبيلهم ، لهم ما كسبوا في حياتهم ، ولن تسألوا عن أعمالهم ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

١٤٢ - إن ضعاف العقول الذين أضلّتهم أهواؤهم عن التفكير والتدبر من اليهود والمشرّكين والمنافقين ، سينكرون على المؤمنين تحولهم من قبلّة بيت المقدس التي كانوا يصلون متجهين إليها ويعتقدون أنها أحق إلى قبلّة أخرى وهي الكعبة فقل لهم أيها النبي : إن الجهات كلها لله ، لا فضل لجهة على أخرى بذاتها ، بل الله هو الذي يختار منها ما يشاء ليكون قبلّة للصلاة ، وهو يهدي بمشيئته كل أمة من الأمم إلى طريق قوم يختاره لها ويخصها به ، وقد جاءت الرسالة المحمدية فنسخت ما قبلها من الرسائل ، وصارت القبلة الحقة هي الكعبة (١)

١٤٣ - ولهذه المشيئة هديناكم إلى الطريق الأقوم وجعلناكم أمة عدولاً خياراً بما وفقناكم إليه من الدين الصحيح والعمل الصالح لتكونوا مقررّى الحق بالنسبة للشرائع السابقة ، وليكون الرسول مهيمناً عليكم ، يسدّكم بارشاده في حياته ، وبنهجه وسنته بعد وفاته ، وأما قبلّة بيت المقدس التي شرعناها لك حيناً من الدهر فانما جعلناها امتحاناً للمسلمين ليميز من يدّعن فيقبلها عن طواعية ، ومن يغلب عليه هوى تعصبه العربي لتراث إبراهيم فيعصى أمر الله ويضل عن سواء السبيل . ولقد كان الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس من الأمور الشاقة إلا على من وفقه الله بهدائه ، وكان امتثال هذا الأمر من أركان الإيمان ، فمن استقبل بيت المقدس حين الأمر باستقباله فلن يضيع عليه إيمانه وعبادته رافة من الله ورحمة .

(١) كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة على رأس نحو سبعة عشر شهراً من مقدم النبي ﷺ إلى المدينة .

وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ
وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾
الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ إِنَّ مَتَكُونُوا

١٤٤ - ولقد رأينا كيف كنت تتطلع الى السماء عسى أن ينزل الوحي بتغيير قبلة بيت المقدس الى الكعبة التي تحبها لأنها قبلة ابراهيم ابى الأنبياء ، وأبى اليهود والعرب ، وبها مقام إبراهيم ، فهي لذلك القبلة الجامعة وإن كانت تخالف قبلة اليهود ، فهانحن أولاء نؤتيك سؤلك فاستقبل في صلاتك المسجد الحرام ، واستقبلوه كذلك أيها المؤمنون في أى مكان تكونون . وأن أهل الكتاب الذين ينكرون عليكم التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا في كتبهم أنكم أهل الكعبة ، وعلموا أن أمر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة ، وأن هذا هو الحق من ربهم ، ولكنهم يريدون فتننكم وتشكيكنكم في دينكم ، والله ليس غافلاً عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

١٤٥ - وما كان انكار أهل الكتاب عليكم لشبهة تزيلها الهجة ، بل هو انكار عناد ومكابرة فلئن جئتهم أيها الرسول بكل حجة قطعية على أن قبلك هي الحق ما تبعوا قبلك ، وإذا كان اليهود منهم يطمعون في رجوعك الى قبلتهم ويعلقون اسلامهم على ذلك فقد خاب رجاءهم وما أنت بتابع قبلتهم ، وأهل الكتاب أنفسهم يتمسك كل فريق منهم بقبلته : فلا النصراني يتبعون قبلة اليهود ولا اليهود يتبعون قبلة النصراني ، وكل فريق يعتقد أن الآخر ليس على حق ، فثبت على قبلك ولا تتبع أهواءهم ، فمن اتبع أهواءهم بعد العلم بطلانها والعلم بأن ما عليه هو الحق فهو من الظالمين الراسخين في الظلم .

١٤٦ - وأن أهل الكتاب ليعلمون أن التحويل الى القبلة حق ، ومسلمون أنك النبي المنعوت في كتبهم بنعوت من جلتها أنه يصل الى الكعبة ومعرفتهم نبوتك وقبلك كمعرفتهم أبناءهم في الوضع والجلاء ، ولكن بعضهم يخفون هذا الحق على علم اتباعاً لهواهم ، وتعصباً باطلاً لملتهم حفظاً على سلطانهم ، ويحاولون تضليلكم .

١٤٧ - وإنما الحق هو ما صدر لك من الله تعالى لا ما يضل به أهل الكتاب ، فكونوا على يقين منه ، ولا تكونوا من أهل الشك والتردد ، ومن ذلك الحق أمر القبلة فامضوا عليه ولا تبالوا المعارضين .



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ نَزَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ نَزَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِيكُمْ عَلَيْهِمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكَ رَسُولًا بِتِلْكَ آيَاتِنَا وَبِزِكْرٍ وَعِلْمٍ

١٤٨ - ان هذه القبلة التي حولناك اليها هي قبلتك وقبلة أمتك ، وكذلك لكل أمة قبلة تتجه اليها في صلاتها حسب شريعتها السابقة وليس في ذلك شيء من التفاضل ، وانما التفاضل في فعل الطاعات وعمل الخيرات ، فسارعوا الى الخيرات وتنافسوا فيها ، وسيجاسبكم الله على ذلك فانه سيجمعكم يوم القيامة من أى موضع كنتم ، ولن يفلت منه أحد ، وييده كل شيء بما في ذلك الأمانة والاحياء والبعث والنشور .

١٤٩ - فاستقبل المسجد الحرام في صلاتك من كل مكان كنت فيه ، سواء أكان ذلك في حال اقامتك ام في حال سفرك وخروجك من مكان اقامتك ، وإن هذا هو الحق الموافق لحكمة ربك الرفيق بك ، فأحرص عليه أنت وأمتك ، فان الله سيجازيكم أحسن الجزاء والله عالم علما لا يخفى عليه شيء من عملكم .

١٥٠ - والتزم أمر الله في القبلة وأحرص عليه أنت وأمتك ، فاجعل وجهك في ناحية المسجد الحرام من كل مكان خرجت اليه في أسفارك ، واستقبلوه حيث كنتم من أقطار الأرض مسافرين أو مقيمين ، لينقطع ما يحاجكم به المخالفون ويجادلونكم به اذا لم تمتثلوا لأمر هذا التحويل ، فيقول اليهود : كيف يصل محمد الى بيت المقدس والنبي المنعوت في كتبنا من أوصافه التحول الى الكعبة ؟ وسيقول المشركون العرب ، كيف يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته ؟ على أن الظالمين الزائغين عن الحق من الجانبين لن ينقطع جداهم وضلالهم ، بل سيقولون : ماتحول الى الكعبة الاميلا الى دين قومه وحبا لبلده ، فالتالوا بهم فان مطاعنهم لاتضركم ، واخشوني فلا تخالفوا أمرى ، وقد اردنا بهذا الأمر أن نتم النعمة عليكم وأن تكون هذه القبلة التي وجهناكم اليها ادعى الى ثباتكم على الهداية والتوفيق .



الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ
وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَارِ اللَّهِ

١٥١ - وأن توجيهكم الى المسجد الحرام هو بارسالنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آيات من اقام نعمتنا عليكم كما أقمنا عليكم النعمة - القرآن - ويطهر نفوسكم عمليا من دنس الشرك وسيء الأخلاق والعبادات ويكلمكم علميا بعارف القرآن والعلوم النافعة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ، فقد كنتم في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

١٥٢ - فاذكروني أيها المؤمنون بالطاعة اذكركم بالثواب ، واشكروا لي ما أسبغت عليكم من النعم ولا تتجحدوا هذه النعم بعضيان ما أمرتكم به .

١٥٣ - واستعينوا أيها المؤمنون في كل مآتون ومآتذرون بالصبر على الأمور الشاقة والصلاة التي هي أم العبادات ، ان الله بقدرته القاهرة مع الصابرين فهو وليهم وناصرهم .

١٥٤ - ولن يؤدي الصبر الا الى الخير والسعادة في الدارين ، فلاتقعدوا عن الجهاد في سبيل الله ، ولا تهربوا الموت فيه ، فمن مات في الجهاد ليس يميت بل هو حي حياة عالية وان كان الاحياء لا يحسون بها .

١٥٥ - والصبر درع المؤمن وسلاحه الذي يتغلب به على الشدائد والمشاق ، وسيصادفكم كثير من الشدائد فسنمتحنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلة الزاد والنقص في الأموال والأنفس والثمرات ، ولن يعصمكم في هذا الامتحان القاسي الا الصبر ، فبشر بأيها النبي (الصابرين) بالقلب وباللسان :

١٥٦ - الذين اذا نزل بهم مايؤلمهم يؤمنون أن الخير والشر من الله ، وأن الأمر كله لله فيقولون : انا ملك الله تعالى ، وراجعون اليه ، فليس لنا من أمرنا شيء ، وله الشكر على العطاء وعلينا الصبر عند البلاء ، وعند المثوبة والجزاء .

١٥٧ - فهؤلاء الصابرون المؤمنون بالله لهم البشارة المحسنة بفران الله واحسانه وهم المهتدون الى طريق الخير والرشاد .

فَنَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَيُحْدِثُونَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦١﴾ وَلِلَّهِ كُفْرُ الْوَاحِدِ وَالْآلِهَةِ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٢﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

١٥٨ - وكما أن الله رفع شأن الكعبة يجعلها قبلة الصلاة ، رفع أمر الجبلين اللذين يشارفانها وهما الصفا والمروة فجعلهما من مناسك الحج ، فيجب بعد الطواف السعى بينهما سبع مرات ، وقد كان منكم من يرى في ذلك حرجا لانه من عمل الجاهلية ، ولكن الحق أنه من معالم الاسلام ، فلا حرج على من ينوى الحج أو العمرة أن يسعى بين هذين الجبلين ، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فان الله عليم بعمله ومنيبه عليه .

١٥٩ - وأولئك الذين أنكروا عليكم أمر دينكم فريقان : فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحق ويخفونه على علم وعناد ، وفريق المشركين الذين عميت قلوبهم عن الحق ، فاتخذوا اربابا من دون الله ، فأهل الكتاب الذين عرفوا براهين صدقك ، تبينوا الحق في دينك ثم أخفوا هذه الدلائل وكنتموها الناس ، أولئك يصب الله عليهم غضبه ويبعدهم عن رحمته ، ويدعو عليهم الداعون من الملائكة ومؤمنى الثقيلين بالطرد من رحمة الله .

١٦٠ - ولا يستثنى منهم الا من تاب وأحسن فرجع عن الكتمان وتدارك أمره باظهار ماكان يخفيه من وصف الرسول والاسلام فان الله يتقبل توبته ويمحو ذنبه ، فهو الذى يقبل التوبة من عباده رافة منه ورحمة .

١٦١ - اما الذين استمروا على الكفر ، وماتوا على ذلك دون توبة ولاندم ، فجزاؤهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

١٦٢ - وسيستمرزون في هذه اللعنة وفي النار ، لا يخفف عنهم العذاب ، ولن يمهلوا ويؤخروا ، ولو طلبوا الامهال والتأخير لم يجابوا اليه .

١٦٣ - ان الهكم الذى ينفرد بالعبودية واحد ، فلا إله غيره ، ولا سلطان لسواه ، ثم هو قد اتصف بالرحمة فهو رحيم بعباده فى انشائهم وتكوينهم .

وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٦﴾ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنْكَ كَذَلِكَ يُرِيدُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٨﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا

١٦٤ - وقد أقام دلائل وآيات لكل ذى عقل على وجوده والوهيته . ومن ذلك السموات التى ترونها تسير فيها الكواكب بانتظام دون تزاحم ولا صدام تبعث الحرارة والنور لهذا العالم ، والأرض وما فيها من البر والبحر ، وتعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من المنافع ، وما يجرى فى البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ، ولا يسيرها الا الله فهو الذى يرسل الرياح التى يسير بها المطر ينزل فيحيى الحيوان ويسقى الأرض والنبات ، والرياح وهبوبها فى مهاجها المختلفة ، والسحاب المعلق بين السماء والأرض . أقامت هذه الأشياء كلها بهذا الاتقان والاحكام من تلقاء نفسها أم هى صنع العليم القدير؟ (١).

١٦٥ - ومع هذه الدلائل الواضحة اخذ بعض الناس ممن ضلت عقولهم أربابا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم كعبادة الله ويجعلونهم مثل الله ، والمؤمن يسلم القيادة لله وحده وطاعته له لا تنقطع ، أما هم فان ولائهم لآلهتهم يتزلزل عند النوائب فيلجئون الى الله سبحانه ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عاينوا ماسيناهم من العذاب يوم الجزاء ، حين ينكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده ، لانتهاوا عن جرمهم وأقلعوا عن انهم .

١٦٦ - فى ذلك اليوم يرجو الأنبا أن ينجيهم رؤسائهم من الضلال فيتنكرون لهم ويتبرءون منهم ويقولون : مادعوناكم لطاعتنا فى معصية ربكم وانما هو هواكم وسوء تصرفكم ، وتنقطع بينهم الصلات والمودات التى كانت بينهم فى الدنيا ويصير بعضهم لبعض عدا .

١٦٧ - وهنا يتبين الأنبا أنهم كانوا فى ضلال حين اتبعوا رؤسائهم فى الباطل ويتمنون أن يعودوا الى الدنيا فيتنكروا لرؤسائهم كما تبرءوا منهم فى هذا اليوم ، وتبدو لهم أعمالهم السيئة فتكون حسرات عليهم ويندمون ، وقد ألقى بهم فى النار فلا يبرحونها .

(١) سبقت هذه الآية ما قرره العلم من أن الكون المرن يعج بأجرام سماوية وتوجه الآية نظر الانسان الى ما فى الوجود من حقائق علمية ينطوى تحتها خلق أجرام السماء المتباينة والنظم التى تحكمها والافلاك التى تسير فيها وكذلك دوران الأرض حول محورها مما يسبب تنابع الليل والنهار . ثم تشير الآية الى المواصلات المائية على الأرض ، وإلى الماء الذى ينزل من السماء فى دورات متتابعة تبدأ بتبخير ماء البحر ثم تكاثفه ثم هطوله وهو ما يسبب الحياة على الأرض وكذلك تشير الآية الى الرياح ودورانها وأن الدارس لهذه الحقائق لابد أن يلمس قدرة الله تعالى .

(١) سبق القرآن الكريم الطب الحديث بتحريم الميتة لأن ما يموت بشيخوخة أو مرض يكون موته بسبب مواد سامة ضارة تصل الى من يأكله. وفوق ذلك فإن الموت بالاختناق، أو المرض ينحسب فيه الدم، وفيه مواد ضارة كثيرة يشتمل عليها العرق والبول، والخنزير ينقل الامراض الخطيرة مثل التيفاء كما أنه الحيوان الوحيد الذي يصاب بالتركيتا التي تصيب أكله اذا أكله.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَنِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ * لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ

١٧٣ - وليس المحرم مازعمه المشركون ومازعه اليهود ، وإنما المحرم عليكم أيها المؤمنون الميتة التي لم تذبح من الحيوان ، ومثله في التحريم لحم الخنزير ، وما ذكر على ذبحه غير اسم الله من الوثن ونحوه ، على أن من اضطر (١) إلى تناول شيء من هذه المحظورات للجوع لا يجحد ما يدفعه غيرها أو لا كراه على أكله فلا بأس عليه ، وليتجنب سبيل الجاهلية من طلب هذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع .

١٧٤ - هذا وقد كان من العالمين بما أنزل الله فريق يخفى بعض الوحي لقاء عرض من أعراض الدنيا : فإن اليهود كتموا كثيرا مما جاء في التوراة من نعت الرسول خشية أن يسلم أهل ملتهم فيزول أمرهم وتضيع مكاسبهم ولذيد مطاعهم ، وإن مطاعهم من هذا السبيل لى كالنار يأكلونها ، لأنها ستقودهم الى النار ، وسيعرض الله عنهم يوم القيامة ، ولا يطهرهم من دنسهم ، وأمامهم عذاب شديد موجه .

١٧٥ - وأولئك هم الآثمون الذين اختاروا الضلالة على الهدى فاستحقوا العذاب في الآخرة بدل الغفران ، فكانوا كمن يشتري الباطل بالحق ، ومافيه ضلال بما فيه هداية ، وأن حالهم لتدعو إلى العجب ، إذ يصبرون على موجبات العذاب ويستطيون ما يؤدي بهم اليه .

١٧٦ - ولقد استوجبا ما قدر لهم من الجزاء لكفرهم بكتاب الله الذي أنزله بالحق والصدق ، ولقد اختلفوا فيه اختلافا كبيرا ، دفع اليه حب الجدل ومجانبة الحق والانقياد للهوى ، فحرفوه وأفسدوه وفسروه بغير معانيه .

(١) حال الاضطرار تسوغ ما يحرم لأن الموت المؤكد أشد من الضرر المحتمل ولأن الجماع تنبيه أجهزة هضمه فيغلب على المواد الضارة ولذا لا يصح للمضطر أن يتجاوز حد الضرورة ، ولا يفي ما اضطر اليه .

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكَ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى
فَقَدْ عَنَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ قَاتِبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكَ وَرَحْمَةٌ مِّنْ أَعْتَدَى

١٧٧ - لقد أكثر الناس الكلام في أمر القبلة كأنها هي وحدها الخير، وليس هذا هو الحق، فليس استقبال جهة معينة في المشرق أو المغرب هو قوام الدين وجماع الخير، ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة، وبعضها من أهيات الفضائل والعبادات، فالأول هو: الايمان بالله ويوم البعث والنشور والحساب وما يتبعه يوم القيامة، والايمان بالملائكة وبالكتاب المنزل على الأنبياء وبالأنبيا أنفسهم. والثاني هو: بذل المال عن رغبة وطيب نفس للفقراء من الأقارب واليتامى، ولمن اشتدت حاجتهم وفاقتهم من الناس، وللمسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلا يجدون ما يلبفهم مقصدهم، وللسائلين الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال ولغرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق: وثالثها: المحافظة على الصلاة. ورابعها: اخراج الزكاة المفروضة. وخامسها: الوفاء بالعهد في النفس والمال. وسادسها: الصبر في الأذى ينزل بالنفس أو المال، أو وقت مجاهدة العدو في مواطن الحروب. فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الخيرة هم الذين صدقوا في ايمانهم، وهم الذين اتقوا الكفر والردائل وتجنبوها.

١٧٨ - ومن الشرائع التي فرضناها على المؤمنين، أحكام القتل العمد، فقد فرضنا عليكم القصاص بسبب القتل، ولاتأخذوا بظلم أهل الجاهلية^(١) الذين كانوا يقتلون الحر غير القتال بالعد، والذكر الذي لم يقتل بالأنثى، والرئيس غير القاتل بالمرءوس القاتل دون مجازاة القاتل نفسه، فالحر القاتل يقتل بالحر المقتول، وكذلك العبد بالعد والآنثى بالأنثى، فأساس القصاص هو دفع الاعتداء في القتل بقتل القاتل للثمن والبغى، فان سميت نفوس أهل الدم ودفعوا بالتي هي أحسن فأثروا العفو عن اخوانهم وجب لهم دية قتلهم، وعلى أولياء الدم اتباع

(١) كان العرب في الجاهلية لا يسون بين الانراف والضعفاء فاذا قتل زعيم لا يقتل بقاتله بل قد يترك القاتل ليقصص من زعيم قبيلة القاتل فالدماء عندهم ليست متساوية والنفوس ليست واحدة وما كان الاسلام ليسمح بهذا بل يجرع القصاص فالنفس بالنفس فمن قتل يقتل فالحر أيا كان يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد والآنثى تقتل بالأنثى فهذا موجب المساواة في الدماء ليس هناك دم أزرق شريف ودم غير شريف. وقد يفهم بالإنارة ان العبد لا يقتل بالحر أو الحر لا يقتل بالعبد ولكن صريح العبارة في آية أخرى وفي احاديث نبوية تفيد ان القصاص فيه النفس بالنفس وهي شريعة خالدة كانت في التوراة والانجيل والقرآن فقد قال تعالى: « وكنتا عليهم فيها ان النفس بالنفس » راجع سورة المائدة. والنهي يقول « المسلمون تتكافأ دماؤهم » ويقول: « النفس بالنفس ».

ويلاحظ ان الاسلام في القصاص للقتل نظر الى أمر لم ينظر اليه القانونيون وهو انه جعل القصاص حقا لأولياء الدم شفاء لفيظ نفوسهم ومنعوا لاهداد دم برىء ولذلك كان لهم حق العفو أو القصاص ولم يمنع ولي الأمر من ان يقتل تعزيرا اذا رأى في ذلك مصلحة. ولم ينظر الاسلام الى البواعت لان القاتل ظالم مها تكن البواعت وقد أدى النظر في البواعت الى الرأفة بالقاتل واهمال المصطفى عليه بما أدى الى عادة الأخذ بالتأثر وتسلسل جرائم القتل لانه لم يشف اولياء الدم وان هذه النظرية الاسلامية تدرس الآن في الجامعات الأوروبية.

بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكَ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوهُ مِنَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

هذا الحكم بالتسامح دون اجهاد للقاتل أو تعنيف ، وعلى القاتل أداء الدية دون مماطلة أو بخس ، وفي حكم القتل الذى فرضناه على هذا الوجه تخفيف على المؤمنين بالنسبة الى حكم التوراة الذى يوجب فى القتل القصاص ، كما فيه رحمة بهم بالنسبة إلى الذين يدعون الى العفو من غير تعرض للقاتل ، فمن جاوز هذا الحكم بعد ذلك فله عذاب أليم فى الدنيا والآخرة .

١٧٩ - وان رحمة الله بكم لعظيمة فى فرض القصاص عليكم ، فبفضل القصاص عليكم يتحقق للمجتمع حياة آمنة سليمة . وذلك أن من يهم بالقتل اذا علم أن فى ذلك هلاك نفسه لم ينفذ ما هم به ، وفى ذلك حياته وحياة من هم يقتله ، واذا قتل الرئيس بالمرءوس وغير المذنب بالمذنب ، كما هو شأن الجاهلية كان ذلك مثارا للفتن واختلال النظام والأمن . فيتدبر أولو العقول مزية القصاص فان ذلك يحملهم على ادراك لطف الله بهم الى سبيل التقوى وامتنال أوامر الله سبحانه .

١٨٠ - وكما شرعنا القصاص لصالح الأمة وحفظ المجتمع ، كذلك شرعنا شريعة فيها صلاح الأسرة وحفظ كيانها وهى شريعة الوصية . فعلى من ظهرت أمامه إمارات الموت وعلم أنه ميت لا محالة ، وكان ذا مال يعتد به أن يجعل من ماله نصيبا لمن يدرك من والديه وأقاربه - الأقربين غير الوارثين - وليراعى فى ذلك ما يحسن ويقبل فى عرف العقلاء فلا يعطى الغنى ويدع الفقير ، بل يؤثر ذوى الحاجة ولا يسوى الا بين المتساوين فى الفاقة ، وكان ذلك الفرض حقا واجبا على من أثر التقوى واتباع أوامر الدين .

١٨١ - واذا صدرت الوصية عن الموصى كانت حقا واجبا لا يجوز تغييره ولا تبديله ، الا اذا كانت الوصية مجافية للعدل ، فمن بدل هذا الحق فغير الوصية العادلة القويمة بعد ما علم هذا الحكم وثبت عنده فقد ارتكب ذنبا عظيما ينال عقابه ، وقد برىء الموصى من تبعته ، ولا يظن أحد أن يفعل ذلك ولا يجازى عليه ، فان الله سميع عليم لا يخفى عليه خافية .

١٨٢ - أما اذا كانت الوصية زائفة عن العدل وعن الصراط القويم الذى بيناه بأن حرم الموصى الفقير وأعطى الغنى ، أو ترك الأقربين وراعى الفقراء غير الوارثين الأجانب ، فسعى ساع فى سبيل الخير وأصلح بين الموصى اليهم ليرد الوصية إلى الصواب ، فلا إثم عليه فيما يحدثه من تغيير الوصية وتبديلها على هذا الوجه ، ولا يؤاخذ الله على ذلك ، فان الله غفور رحيم .

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ
إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ

١٨٣ - وكما شرعنا لكم القصاص والوصية لصالح مجتمعكم، والحفاظ على أسركم، شرعنا فريضة الصيام تهذيباً لنفوسكم، وتقويماً لشهواتكم، وتفضيلاً لكم على الحيوان الأعجم الذي ينقاد لغرائزه وشهواته، وكان فرض الصيام^(١) عليكم مثل ما فرض على من سبقكم من الأمم فلا يشق عليكم أمره. لأنه فرض على الناس جميعاً، وكان وجوب الصيام والقيام به، لتتربى فيكم روح التقوى، ويقوى وجدانكم، وتتهذب نفوسكم.

١٨٤ - وفرض عليكم الصيام في أيام معدودة قليلة لو شاء الله لأطال مدته، ولم يكلفكم في الصوم ما لا تطيقون، فمن كان مريضاً مرضاً يضر معه الصوم، أو كان في سفر، فله أن يفطر ويقضى الصوم بعد برئه من المرض أو رجوعه من السفر، أما غير المريض والمسافر من لا يستطيع الصوم إلا بشقة لعذر دائم كشيخوخة ومرض لا يرجى برؤه فله الفطر حينئذ، وعليه أن يطعم مسكيناً لا يجد قوت يومه، ومن صام متطوعاً زيادة على الفرض فهو خير له، لأن الصيام خير دائماً لمن يعلم حقائق العبادات.

١٨٥ - وهذه الأيام هي شهر رمضان الجليل القدر عند الله، لقد أنزل فيه القرآن يهدي جميع الناس إلى رشد بياناته الواضحة الموصلة إلى الخير، والفاصلة بين الحق والباطل على مر العصور والأجيال، فمن أدرك هذا الشهر سليماً غير مريض، مقياً غير مسافر فعليه صومه، ومن كان مريضاً مرضاً يضر معه الصوم أو كان في سفر، فله أن يفطر وعليه قضاء صيام ما أفطره من أيام الصوم، فإن الله لا يريد أن يشق عليكم في التكليف وإنما يريد لكم اليسر، وقد بين لكم شهر الصوم وهداكم إليه لتكملوا عدة الأيام التي تصومونها وتكبروا الله على هدايته إياكم وحسن توفيقه.

١٨٦ - وإنى مطلع على العباد، عليم بما يأتون وما يذرون، فإذا سألك يا محمد عبادي قائلين: هل الله قريب منا بحيث يعلم ما نخفي وما نعلن وما نترك؟ فقل لهم: أفي أقرب اليهم مما يظنون، ودليل ذلك أن دعوة الداعي تصل في حينها، وأنا الذي أجيبها في حينها كذلك، وإذا كنت استجبت لها فليستجيبوا هم لي بالآيمان والطاعة فإن ذلك سبيل إرشادهم وسدادهم.

(١) علاوة على فوائد الصيام الروحية والتهديبية فقد أثبت الطب الحديث أن للصيام فوائد طبية عدة فهو يفيد في علاج كثير من الأمراض كضغط الدم المرتفع وتصلب الشرايين والبول السكري، ويصلح الجهاز الهضمي ويهبط القلب والتهاب المفاصل ويعطى الجسم الأنسجة فرصة للراحة والتخلص من كثير من الفضلات الضارة بالجسم كما أنه وقاية من كثير من الأمراض المختلفة.

لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لِّهِنَّ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ مُحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْعَنَ بَشَرُهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ
ثُمَّ أُمَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا
مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ

١٨٧ - أحل الله لكم ليلة الصوم اتيان نسائكم لاختلاطكم بهن واختلاطهن بكم في الحياة
والمبيت، وعسر ابتعادكم عنهن وتخفيفا عليكم. وقد علم الله أنكم كنتم تنقصون حظ نفوسكم
وتظلمونها، فتحرمون عليها اتيان النساء في ليل رمضان فتأب عليكم من الغلو وعفا عنكم، والآن وقد
تبين لكم حل ذلك فلا تتحرجوا من مباشرتهن، وتمعنوا بما أباحه الله لكم وكلوا واشربوا في ليل
رمضان حتى يظهر لكم نور الفجر، متميزا من ظلام الليل، كما يتميز الخيط الأبيض من الخيط
الأسود، وإذا ظهر ذلك فصوموا وأتموا الصيام الى غروب الشمس.

وإذا كان الصيام من العبادات التي يجب التفرغ لها والتجرد من شهوات النفس ومقاربة النساء في
نهار الصوم، فكذلك عبادة الاعتكاف في المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التمتع بالنساء مادام
المرء ملتزما بها. وما شرعنا لكم في الصوم والاعتكاف حدودا وضعها الله لكم فحافظوا عليها
ولا تقربوها لتجاوزوا أوامرها، وقد أوسع الله في بيانها للناس على هذا النحو ليتقوها ويتجنبوا تبعاتها.

١٨٨ - وقد حرم عليكم أكل مال غيركم دون وجه من الحق دائما فلا يستحل أحدكم مال غيره
إلا بوجه من الوجوه التي شرعها الله كال ميراث والهبة والعقد الصحيح المبيع للملك (١) وقد ينازع أحدكم
أخاه في المال وهو مبطل، ويرفع أمره الى الحاكم أو القاضى ليحكم له وينتزع من أخيه ماله بشهادة باطلة أو بينة
كاذبة، أو رشوة خبيثة، فبئس ما يفعل وما يجير على نفسه من سوء الجزاء.

(١) هذه الآية الكريمة اشارة إلى جريمة الرشوة وهي أخطر الجرائم التي تودي بالأمم. وفي نص الآية جميع الأركان لتلك الجريمة من
رائى صاحب حاجة ومرتنش وهو أحد الحكام ذوى السلطان يبيع سلطاته الوظيفية ليعطى الراشئ ماليس له به حق أو يعطل على صاحب
الحق حقه لمصلحة الراشئ.

بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَتَقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾
وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونََكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ
وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ
فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى

١٨٩ - ويسألك قوم عن الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، ولا يكون على حالة واحدة كالشمس ، فإراء هذا التغير ، حتى صار في كل شهر هلال وصارت هناك أهلة ؟

فقل لهم : ان لتكرار هذه الأهلة واختلاف نموها حكما ومصالح دينية ودنيوية ، فهي امارات تحدد أوقات (١) المعاملات في معاشكم ، وتعين أوقات الحج الذى هو من أركان دينكم ، ولو استقر الهلال على حاله كالشمس ما استقام لكم توقيت معاشكم وحجكم ، وليس جهلكم بحكمة اختلاف الهلال مدعاة للشك في حكمة الخالق . وليس من البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ، متميزين بذلك عن الناس ، ولكن البر هو تقوى القلوب واخلاصها وأن تأتوا البيوت من أبوابها كما يأق كل الناس ، وأن تطلبوا الحق والدليل المستقيم ، فاطلبوا رضا الله واتقوا عذابه وارجوا بذلك فلاحكم وفوزكم ونجاتكم من عذاب النار .

١٩٠ - ومن تقوى الله تحمل المشاق في طاعته وأشد المشاق على النفس هو قتال أعداء الله (٢) ولكن اذا اعتدى عليكم فقاتلوا المعتدين ، وقد اذن لكم برد اعتداءاتهم ، ولكن لاتعتدوا ببيادتهم أو بقتل من لا يقاتل ولا رأى له في القتال فان الله لا يحب المعتدين .

١٩١ - واقتلوا اولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم ، وأخرجوكم من مكة وطنكم الذى حملوكم على الخروج منه ، ولاتخرجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشد من القتل في المسجد الحرام اذ حاولوا فتنه المؤمنين عن دينهم بالتعذيب في مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم ، ولكن للمسجد الحرام حرمة فلا تنتهكوها إلا اذا انتهكوها هم بقتالكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله ، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم .
١٩٢ - فان رجعوا عن الكفر وانقادوا الى الاسلام فان الاسلام يَجِبُ ما قبله ، والله يغفر لهم ماسلف من كفرهم بفضل منه ورحمة .

(١) ان القمر يعكس ضوء الشمس نحو الأرض من أجزاء سطحه المرتبة والمضيئة فتظهر الالهة فاذا كان القمر في (الاقتران) أى بين الشمس والأرض فهو في الحاق ويبدأ ميلاد الهلال الجديد لجميع سكان الأرض وإذا كان في الاستقبال أى الجهة المقابلة للشمس بالنسبة للأرض يظهر بدرًا ثم يأخذ في التناقص حتى الاقتران الثانى ويتم الدورة الاقترانية أى الشهر المسمى في مدى ٢٩,٥٣٠٩ يوما وعلى ذلك فانه يمكن تعيين التاريخ العربى من ساعة الهلال وشدة إضاءته فاذا شوهد الهلال خطا رقيقا عند الأفق الغربى وغرب بعد الغروب يبضع دقائق تمكن الرؤية بعد هذا الغروب وتثبت بداية الشهر ويتيسر تعيين التاريخ من هذا الشهر للنس . ودورة القمر هى التى علمت الناس حساب الشهور ومنها شهر الحج وبدايته .

(٢) اتهم الاسلام بأنه قام بحد السيف وهذه الآية واحدة من الآيات القرآنية الكثيرة التى تدحض هذا الزعم وهى تتضمن أمرا صريحا للمسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير وسلوك هذا السبيل اعتداء مكروه من الله لأنه لا يحب المعتدين وهذه الآية ثانى آية نزل بها الوحي من آيات القتال الأولى آية ٣٩ من سورة الحج وهى « أن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .

لَا تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونا الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
وَالْحَرُمَتُ قِصَاصٌ مَن أَعْتَدَى عَلَيْكَ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

١٩٣ - وقالوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالأيذاء والتعذيب ، حتى تستأصل جذور
الفتنة ويخلص الدين لله . فان انتهوا عن كفرهم فقد نجوا أنفسهم وخلصوا من العقاب ، فلا ينبغي الاعتداء عليهم
حينئذ وانما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها بالمعاصي وتجاوز العدل في القول والفعل .
١٩٤ - فاذا اعتدوا عليكم في الشهر الحرام فلا تعتدوا عن قتالهم فيه فانه حرام عليهم ، كما هو حرام
عليكم ، واذا انتهكوا حرمة عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه ، وفي الحرمات والمقدسات شرع
القصاص والمعاملة بالمثل فن اعتدى عليكم في مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بمثل ما اتقوا الله فلا تسرفوا في
المجازاة والقصاص ، واعلموا ان الله ناصر المتقين .

١٩٥ - جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال ، فأنفقوا في الاعداد للقتال ، واعلموا أن قتال
هؤلاء قتال في سبيل الله ، فلا تعتدوا عنه ، وابذلوا الأموال فيه فانكم ان تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدو وأذلكم
فكأنما ألقيت أنفسكم بأيديكم الى الهلاك ، فافعلوا ما يجب عليكم باحسان واتقان ، فان الله يحب اذا عمل أحدكم
عملا أن يحسنه .

= وموجز الدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى رسم لرسوله طريق الدعوة إلى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادل أهل الكتاب
بالحق هي أحسن . ثم أمره أن يدعو الناس إلى الايمان عن طريق العقل بالنظر إلى بديع صنعه في خلقه وظل الرسول يدعو بالحسنى ثلاثة
عشر عاما قضاها في مكة لم يشرع فيها سيفاً ولم يرق دما ولم يرد على ما ألحقه الكفار به وبأتباعه من أذى بل أمرهم بالهجرة إلى الحبشة
فرارا بدينهم ثم نابت قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب وهم خاصة أهل رسول الله وأنذروهم بالخروج من مكة أو يسلمون محمدا إليهم
ليقتلوه فلما أبوا ذلك قاموا بأهم أعمال الحرب إذ حاصروهم في شعب بنى هاشم بمكة وكتبوا بذلك معاهدة علقوها في جوف الكعبة تصادفوا
فيها بالأيديهم ولا يبتاعون منهم ولا يزوجههم ولا يتزوجون منهم . وامتد الحصار ثلاث سنوات اشتد فيها الكرب على المسلمين حتى أكلوا
الحشائش الجافة وكادوا يهلكون جوعا . وهناك أذن الرسول لهم أن يتسللوا ليلا فيهاجروا فرادى إلى الحبشة مرة ثانية ولما سمعوا أن الرسول
اعتزم الهجرة إلى المدينة تأمروا على قتله بواسطة جماعة قتل مختلف القبائل بحيث يتفرق دمه في القبائل . ولما أفلت من المؤامرة تبصوه
فنصره الله وأعمى أعينهم عن مكان الغار فازدادوا حنقا واشتدوا بالأذى وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد على أتباعه فتبصوه
أرسالا إلى المدينة تاركين خلفهم أموالهم وديارهم وفزارهم فلما استقر المسلمون بالمدينة : كانت حالة الحرب التي أعلنتها قريش منذ الحصار
قائمة وظل كل فريق بعد الهجرة يترصد طريق الآخر ويستمع أخباره . فترصد المسلمون قافلة أي سفيان فأصرت قريش رغم عدم المساس
بالقافلة على أن تخرج بقضها وقضيضها لتقضى على الاسلام والمسلمين بالمدينة . فكان لابد للمسلمين من رد الاعتداء وهتلك أذن الله لهم
بالقتال فزلت أولى آيات القتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج وهي
صرحة في أن الترخيص بالقتال جاء معللا بأن الكفار يقاتلونهم ظلما وبغيا . ثم وصف الله المسلمين بأنهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير
حق الا أن يقولوا ربنا الله . وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد هزيمتهم بيد نادى كبيرهم (الحرب بامحمد سجال وموعدا الصام
القابل في أحد) فكان ذلك استمرارا لحالة الحرب الملعنة من جانب قريش ودفاعا من جانب المسلمين . . وجاءوا بجيش جرار إلى أحد
وهي على بعد ستة أميال من المدينة وهذا كانت غزوة أحد اعتداء من قريش ودفاعا من جانب المسلمين وكذلك الشأن في موقعة الخندق
حيث أشرف جيش الكفار وبقية الأحزاب على ساكني المدينة فاضطر المسلمون إلى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرفيها
اعتداء من قريش ودفاعا من المسلمين . . ولما استتب الأمر للاسلام في الجزيرة العربية أرسل الرسول رسله إلى الملوك والأمراء في أنحاء
المعمورة يدعوهم إلى الاسلام فزق كسرى كتاب الرسول وأرسل من يأتي برأس محمد وبذلك أعلنت الفرس الحرب ضد المسلمين فحاضروها
حربا دفاعية فتح الله بها ملك كسرى وأتباعه من ملوك العرب « المناذرة » .

أما شرحبيل بن عمرو الفسافي أمير الفساسنة في الشام الذين كانوا يتبعون دولة الروم فقد قتل حامل كتاب رسول الله وهو في طريقه
إلى هرقل ثم قتل المسلمين الذين أسلموا من رعاياه وعياً جيشا لقتال دولة الاسلام في الجزيرة العربية فدافع المسلمون وأورثهم الله ملك
دولة الروم الشرقية وهكذا لم يشرع الاسلام سيفاً إلا ردا على اعتداء أو تأمينا للدعوة الاسلامية وصدق الله إذ يقول « لا إكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي » سورة البقرة آية ٢٥٦ .

وَأَتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ^٤ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا

١٩٦ - وأدوا الحج والعمرة لله على وجه التمام والكمال قاصدين بها وجه الله ، ولا تقصدوا بها اصابة عرض دنيوى من شهرة ونحوها . واذا قصدتم الحج والعمرة وأحصرتم بها فتمتعكم عدو في الطريق فلكم ان تحللوا من احرامكم بحلق رهوسكم ، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح ما تيسر لكم - من شاة أو بعير أو بقرة - والتصدق به على المساكين ، ولا تحلقوا رهوسكم حتى تقوموا بهذه النسك ، ومن كان محرما وأذاه شعر رأسه لمرض أو هوام في رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه ، وعليه حينئذ أن يفدى عن ذلك بصيام ثلاثة أيام ، أو التصدق على ستة مساكين بقوت يوم أو ذبح شاة والتصدق بها على الفقراء والمساكين . واذا كنتم في دار الأمان والسلام ولم يعترض طريقكم عدو ، وقصدتم الحج والعمرة وتمتعتم أولا بالعمرة الى أن يحين وقت الحج فتنحرموا ، فعليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه ، فمن لم يجد شاة أو لم يقدر على ثمنها صام ثلاثة أيام في مكة وسبعة أيام اذا رجع الى أهله ، وهذا على من لم يكن من أهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه اذا تمتع .

١٩٧ - والحج يقع في أشهر معلومة لكم ، اذ كان أمره معروفا عندكم من عهد ابراهيم عليه السلام ، وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه في هذه الاشهر ودخل فيه فليراع آدابه ، ومن آداب الحج أن يتنزه الحرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصى من السباب وغيره وعن الجدال والمراء مع رفقته في الحج ، وعن كل ما يجر الى الشحناء والخصام حتى يخرج الحرم مهذب النفس ، وليجتهد في فعل الخير وطلب الأجر من الله بالعمل الصالح فان الله عليم بذلك ومجاز عليه ، وتزودوا لآخرتكم بالتقوى والاثار بأوامر الله واجتناب نواهيه ، فان ذلك خير الزاد واستشعروا خشية الله فيما تأتون وماتذرون كما هو مقتضى العقل والحكمة ، فلا تشوبوا شيئا من أفعالكم بدواعى الهوى والغرض الدنيوى .

مِنْ رَبِّكَ فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنِ الْنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَصِيبْ مَا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ * وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ

١٩٨ - ولقد كان منكم من يجد حرجاً في مزاوله التجارة وابتغاء الرزق في موسم الحج ، فلاحرج عليكم في ذلك ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته ، وإذا صدر الحجاج من عرفات بعد الوقوف بها ووصلوا المزدلفة ليلة عيد النحر فليذكروا الله عند هذا المشعر الحرام ، وهو جبل المزدلفة ، بالتهليل والتلبية والتكبير ، وليجدوه وليحمدوه على هدايته إياهم الى الدين الحق والعبادة القوية في الحج وغيره ، وقد كانوا من قبل ذلك في ضلال عن صراط الهدى والرشاد .

١٩٩ - وقد كان قوم من العرب وهم قريش لا يقفون مع الناس في عرفات مع علمهم أنه موقف أبيهم ابراهيم ، وذلك ترفعا أن يساوا غيرهم وهم أهل بيت الله وقطان حرمه ، وزعماً منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذي لا يريدون الخروج منه الى عرفات ، وهى من الحلال لامن الحرام ، فطالبهم الله بأن يقلعوا عن عادات الجاهلية ويقفوا بعرفات ويصدروا عنها كما يصدر جمهور الناس ، فلافضل لأحد على الآخر في أداء العبادة ، وعليهم أن يستغفروا الله في هذه المواطن المباركة فذلك أدعى أن يغفر الله لهم ما فرط منهم من الذنوب والآثام ويرحمهم بفضله .

٢٠٠ - وإذا فرغتم من أعمال الحج وعبادته فدعوا ما كنتم عليه في الجاهلية من التفاخر بالآباء وذكر مآثرهم وليكن ذكركم وتمجيدكم لله فاذكروه كما كنتم تذكرون آباءكم ، بل اذكروه أكثر من ذكر آبائكم لانه ولى النعمة عليكم وعلى آبائكم ، ومواطن الحج هى مواطن الدعاء وسؤال الفضل والخير والرحمة من عند الله ، وقد كان فريق من الحجاج يقصر دعاءه على عرض الدنيا وخيراتها ولا يلقى بالا للآخرة فهذا لا نصيب له في الآخرة .

٢٠١ - ومن الناس من وقفه الله فاتجه بقلبه الى طلب خيرى الدنيا والآخرة ، ودعا الله أن يجنبه شر النار وعذابها .

٢٠٢ - فهؤلاء يعطون ما قدر لهم مما كسبوه بالطلب والركون الى الله والله يجزى كلا بما يستحق وهو سريع الحساب والجزاء .

فَلَا إِيمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأْتَرَ فَلَا إِيمَ عَلَيْهِ لِمَنْ أَتَى وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِيمِ ۖ فَحَسَبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

٢٠٣ - واذكروا الله بالتكبير وغيره في أيام معدودات هي أيام رمى الجمار بمنى وهي : الحادى عشر . والثانى عشر . والثالث عشر ، وليس بلام لان قوام الخير تقوى الله ، لامقدار العدد ، واتقوا الله دائما واعلموا أنكم اليه تحشرون ومستولون عن اعمالكم .

٢٠٤ - واذا كانت تقوى الله هي الاساس فالحشر لفريق من الناس ، يختلف الذى تضمره قلوبهم عن الذى تنطق به ألسنتهم ، أوتوا حلاوة في صوغ الكلام ، يعجبك قولهم فيما يحتالون به على جلب المنفعة في الحياة الدنيا ، ويؤيدون لك زعمهم بأن الله يعلم صدق قلوبهم فيما تقوله ألسنتهم ، وأنهم لأشد الناس خصومة لك وأقساهم عليك .

٢٠٥ - واذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لا يكون سعيه للاصلاح ، بل للافساد واهلاك الزرع والنسل ، والله لا يحبّه ، لان الله تعالى لا يحب الفساد .

٢٠٦ - واذا نصحت له حينئذ بالخوف من الله ثارت في نفسه الحمية وظن ذلك هدما لعزته ، وحمله على ارتكاب الاتم فيما نهته عنه لجاجة وعنادا ، فحسبه على ذلك عذاب جهنم ولبس المستقر .

٢٠٧ - فا أبعد الفرق بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين الصادقين الذين يبيع أحدهم نفسه في سبيل مرضاة الله واعلاء كلمة الحق ويكون هذا القسم مقابلا للقسم الاول ، ويكون توليه أمرا من أمور الناس من رافة الله بعباده ، والله تعالى يرحمهم يجعل الولاية هؤلاء ليدفع بهم أذى الأشرار .

٢٠٨ - يا أيها الذين آمنوا كونوا جميعا مسالمين فيما بينكم ولا تتبرأوا العصبية الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف ، ولا تسيروا في طريق الشيطان الذى يدفعكم الى الشقاق فانه لكم عدو مبين^(١) .

(١) هذا النص القرآنى فيه دعوة عامة من المؤمنين إلى السلام ، وتفيد أن الحرب والخصام هي من السير وراء الشيطان ، وأنها تدعو عامة المؤمنين إلى أن يكونوا مسالمين مع غيرهم . ومسالمين في داخل أنفسهم . فلا حرب مع غيرهم . ولا حرب فيما بينهم . وأن هذا النص يدل على أن الأصل في العلاقة بين الدول الاسلامية وغيرها هي السلم . وأن ذلك هو مبدأ الأديان الساوية كلها ، فمن الوقت الذى كان قانون الغابة هو الذى يحكم بين الدول ، وهو الذى يحدد العلاقات بينها ، القوى يأكل الضعيف جاء الاسلام بذلك المبدأ السامى ، وهو أن العلاقة هي السلم . وإذا كان القتال ، فانه لدفع الاعتداء . أى لحمل المعتدى على أن يكون مسالما . فالجواب الذى شرعها الاسلام ، وشرعتها الأديان هي لتثبيت دعائم السلم ، وتحقيق العدل . فهي حرب السلام . لاستقرار العدل والسلام .

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّمَاتِ بَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا

٢٠٩ - فان انحرفتم عن هذا الطريق الذى دعيتم اليه جميعا من بعد ظهور الحجج القاطعة على أنه طريق الحق ، فاعلموا أنكم مؤاخذون بهذا الانحراف لأن الله عزيز يعاقب من يعرض عن سبيله ، حكيم يقدر العقوبة بقدرها .

٢١٠ - وهل ينتظر هؤلاء المعرضون عن الاسلام ليقتنعوا أن يروا الله تعالى جهرة في غمام سائر مع الملائكة وقد قضى الأمر بقطع مطامعهم ، لأن الشئون جميعا في قبضة الله بصرفها هو حيث يشاء وقد قضى فيها قضاءه الذى سينفذ لامحالة .

٢١١ - سل بني اسرائيل كم سقنا اليهم الأدلة القاطعة على صدق الرسول ، وفي ذلك نعمة هدايتهم الى الله فكفروا بهذه الأدلة وعمدوا بتكذيبهم لها الى تبديل الغرض منها ، فبعد أن وضعت للهداية أصبحت بالنسبة لكفر هؤلاء بها سببا في زيادة ضلالهم واثمهم ، ومن يبدل نعم الله بهذه الصورة يحق عليه العذاب لأن الله شديد العقاب .

٢١٢ - وأن السبب في الانحراف والكفر هو طلب الدنيا ، فقد زين للذين كفروا شهوات الحياة الدنيا فضاوا يسخرون من الذين آمنوا لانشغالهم بالحياة الآخرة - والله جاعل الذين آمنوا أعلى مكانا منهم في الآخرة . فأما زيادة هؤلاء الكفار بالمال والزينة في الدنيا فلا يدل على أفضليتهم لأن رزق الله لا يقدر على حساب الايمان والكفر بل يجرى تبعا لمشيئته ، فمن الناس من يزداد له الرزق استدراجا ومنهم من يقتر عليه اختبارا .

٢١٣ - وأن الناس طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة ، ومنهم من تستولى عليه أسباب الهداية ، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ولذلك اختلفوا فبعث الله اليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق ، لتكون هي الحكم بين الناس فينقطع النزاع ، ولكن الذين انتفعوا بهدى النبيين هم الذين آمنوا فقط ، الذين هداهم الله في موضع الاختلاف الى الحق والله هو الذى يوفق أهل الحق اذا اخلصوا .

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْأَسَاسِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقَرِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدْعَنْ سَبِيلَ اللَّهِ وَكُفْرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ

٢١٤ - فهل حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد اقراركم بكلمة الاسلام بدون أن تصابوا بمثل ما أصاب الذين من قبلكم ، فقد أصابهم الشدائد والنوازل وزلزلوا حتى بلغ بهم الأمر أن قال رسولهم نفسه وقالوا معه : متى نصر الله ؟ فيبر ربه بوعده فيجابون عندئذ بأن نصر الله قريب .

٢١٥ - يسألك المؤمنون في شأن الانفاق فقل لهم : ان الانفاق يكون من المال الطيب ، ويعطى للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ومن انقطع عن ماله وأهله ، وما تفعلوه من عمل خير فان الله يعلمه وهو يشيكم عليه .

٢١٦ - فاذا كان في الإنفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حماية للمجتمع في داخله فان القتال حماية له من أعدائه في الخارج ، ولذلك فرض عليكم أيها المسلمون القتال لحماية دينكم والدفاع عن أنفسكم ، وأن نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرهاً شديداً ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم وأحببت ما فيه شركم ، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم ، وأنتم لا تعلمون فاستجيبوا لما فرض عليكم .

٢١٧ - وقد كره المسلمون القتال في الشهر الحرام فسألك عنه ، فقل لهم : نعم ان القتال في الشهر الحرام^(١) اثم كبير ، ولكن أكبر منه ما حدث من أعدائكم من صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، واخراج المسلمين من مكة ، وقد كان ايذاؤهم للمسلمين لاخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل

(١) الأشهر الحرم أربعة وردت عدتها في سورة التوبة حيث قال سبحانه وتعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » الآية ٢٥ التوبة ، وقد حدد الرسول ﷺ هذه الأشهر الأربعة بأسمائها في حديثه الشريف الذي أخرجه البخاري عن خطبته في حجة الوداع حيث قال : « أيها الناس ان النسوة زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يملونه عاما ويحرمونه عاما ليواطوا عدة ما حرم الله فيلعلوا ياحرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدد الشهور اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والحرم وربيع هو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وكانت قبيلة ربيعة تستنقل القتال في رمضان لشدة الحرارة فكانت تسميه رجب وتحرمه ولذا حدد الرسول رجب الحرام بأنه رجب قبيلة مضر الذي بين جمادى وشعبان ، وحكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم أن جعلها الله هدنة إجبارية (بخلاف) الناس فيها إلى الراحة والهدوء والقيام على أمور معائنهم من زراعة وتجارة وهذه الحرمة قائمة مفروضة منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، ومنذ فرض الله على الناس حج بيته « الكعبة » والوقوف يعرفات في اليوم العاشر من ذي الحجة فحرم القتال في هذا الشهر فالشهر الذي قبله والشهر الذي بعده رحمة من الله بعباده وليأمن الحجاج على أنفسهم وأموالهم في هذا الموسم ومنذ

رَحِمَتْ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ
وَلِأَكْثَرِ الْأَكْبَرِ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلِخَوْنِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَئِمَّةٌ
مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ

ولذلك ابيح القتال في الشهر الحرام لقمع هذه الشرور فهو عمل كبير يتق به ما هو أكبر منه . واعلموا ،
أيها المسلمون ، أن سبيل هؤلاء معكم سبيل التجنى والظلم ، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق ،
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يضعف أمام هجاءهم ويرتد عن دينه
حتى يموت على الكفر ، فأولئك بطلت أعمالهم الصالحة في الدنيا والآخرة ، وأولئك أهل النار هم فيها
خالدون .

٢١٨ - وأن الذين آمنوا إيماناً صادقاً دفعهم الى الهجرة لنصرة الدين والجهاد لاعلان كلمته فأولئك ينتظرون
عظيم نواب الله لهم ، وان قصروا في شيء ، لأن الله غفور يفر الذنوب ، رحيم يرحم عباده بالهداية والنواب .
٢١٩ - ويسألونك يا محمد عن حكم الخمر والقمار ، فقل ان فيها ضرراً كبيراً من افساد الصحة وهذاب
العقل والمال واثارة البغضاء والعدوان بين الناس ، وفيها منافع كالتسليه والريح السهل . ولكن ضررها أكبر من
نفعها فاجتنبوها . ويسألونك عما ينفقون ، فأجيبهم أن ينفقوا في ذات الله السهل اليسير الذي لا يشق عليكم
انفاقه ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة (١) .

٢٢٠ - ويسألونك بشأن اليتامى الذي يوجب الاسلام حيالهم ، فقل ان الخير لكم ولهم في اصلاحهم ، وأن
تضموهم الى بيوتكم ، وأن تخالطوهم بقصد الاصلاح لا الفساد ، فهم اخوانكم في الدنيا يستدعون منكم هذه
المخالطة ، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا . ولو شاء الله لشق عليكم ، فألزمكم رعاية اليتامى من غير
مخالطة لهم ، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم ، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك افساداً لجماعتكم واعنائاً
لكم ، اذ أن قهرهم وذهم يجعل منهم البغضيين للجماعة المفسدين فيها . وان الله عزيز غلب على أمره ، ولكنه حكيم
لا يشرع الا ما فيه مصلحتكم .

== أن يخرجوا من ديارهم قاصدين مكة إلى أن يعودوا إليها بعد أداء مناسك الحج والعمرة ثلاثة أشهر متواليات حرم الله فيها القتال ليصم
الأمن والسلام جميع الناس من خرج منهم حاجاً ومن لم يخرج أما الشهر الرابع وهو رجب فهو وسط بين بقية أشهر العام .

حتى يحل الجهاد في الأشهر الحرم ؟ الحكم في ذلك أنزله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالجواز متى كان دفعاً لاعتداء ، والمناسبة
التي نزل فيها الوحي بهذا الحكم في سرية عبد الله بن جحش وحاصل الخبر أن الرسول بعثه وسلمه كتاباً أمره ألا يفضه إلا بعد مسيرة
يومين ، ثم يقرأه على رفاقه ولا يكوئن أحداً على السير معه بعد أن يعلمهم بمهمته وهي « أن تسير مع من يتبعك حتى تأتى بطن نخلة - مكان
بين نجد والطائف - ترصد بها غير قريش وتعلم لنا من أخبارهم » والكتاب صريح بعدم القتال وإنما استطلاع حركات العدو ولكن الذي
حدث بعد قراءة كتاب النبي ان اثنين من رجال عبد الله بن جحش ذهبوا يطلبان بعيراً لهما ضل فاستريتا قريش ، وهما سعد بن أبي وقاص
وعتبة بن غزوان ثم نزل الراكب بنخلة فرث بهم غير قريش تحمل تجارة عليها عمرو بن الحضرمي وكان ذلك في آخر شهر رجب ، وكانت
قريش قد حجزت أموال بعض المسلمين في مكة عند الهجرة منهم بعض من كان في سرية ابن جحش فتشاوروا في قتال أهل العير وحاروا
فيما يصنعون ان تركوا العير تمضي ليلتها امتنعت بالحرم وفاتهم تعويض ما حجزته قريش في هذه الفرصة ، وان قاتلوا أهلها قاتلوهم في شهر
حرام هو شهر رجب ولكنهم اندفعوا للقتال فقتلوا عمرو الحضرمي وأسروا رجلين مشركين وأصابوا بعض الغنائم . فلما رجعوا الى المدينة
وقدموا لرسول الله ﷺ الخمس من غنيمتهم فأباه واستكر عملهم وقال ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ، وساءت مقابلتهم من أهل المدينة ==

وَلَوْ أَجَبَكُمُ أَؤْتِيَكُمُ الْبَرَكَاتِ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءٌ وَكُذْرٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَوْنَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ

٢٢١ - وإذا كانت مخالطة البنات لا حرج فيها فإن الحرج في مخالطة أهل الشرك ، فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماوى ولا يحمل المراء منكم على زواج المشركة ما لها وجمالها وحسبها ونسبها . فالمؤمنة التى وقع عليها الرق خير من المشركة الحرة ذات المال والجمال والحسب والنسب . ولا يزوج المراء منكم من له عليه ولاية من النساء مشركاً لا يؤمن بالكتب السماوية ، ولا يبعث أحدهم على إثارة الشرك غناه وشرفه ، فخير منه العبد المؤمن فأولئك المشركون يجتذبون عشاءهم الى المعصية والشرك فيستوجبون النار . والله اذ يدعوكم الى اعتزال المشركين فى النكاح يدعوكم الى ما فيه صلاحكم ورشادكم فتتألون الجنة والمغفرة ، وتسرون فى طريق الخير بتيسيره ، والله يبين شرائعه وهديه للناس لعلهم يعرفون صلاحهم ورشادهم .

٢٢٢ - ويسألونك عن اتیان الزوجات زمن الحيض ، فأجبهم أن الحيض أذى فامتنعوا عن اتیانهن مدته ولا تأتوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن فى المكان الطبيعى ، ومن كان وقع منه شيء من ذلك فليتب فان الله يحب من عباده كثرة التوبة والطهارة من الأفتار والفحش .

٢٢٣ - زوجاتكم هن موضع النسل كموضع البذر ينبت النبات ، فيباح لكم أن تأتوهن على أى طريقة تشاءون اذا كان ذلك فى موضع النسل ، واتقوا الله أن تعصوه فى مخالطة المرأة واعلموا أنكم ملقون مسئولون عنده ، والبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدونها .

== الى أن نزل الوحي بالآية الكريمة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

(١) هذه الآية تقرر حقيقة نابتة هي أن للخمر والميسر منافع عرضية ، كما أن فيها أفاعيلاً كبيرة وأن هذا الهم أكبر مما يترامى فيها من منافع . فتشرب الخمر ينتفع ببعض النشوة التى تنقلب الى خمر يؤذى شربها بعد ذلك الى اصابته بمختلف الامراض التى تقود شاربها الى الادمان عليها ويتعدى ضررها ذلك الى الاضرار بكثير من أجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الهضمى والعصبى والدورى والدموى وفى تجارتها منافع مادية ولكن هذه المنافع لا تعتبر شيئاً بجانب الاضرار الجسيمة التى يحدنها ترويحها بين الناس .

والميسر كاخمر ، فالنشوة التى يشربها المقامر على حساب أعصابه والريح الذى يرمحه قد يضيع فى جلسة واحدة أو فى مرات تالية بل قد يصيبه ادمانه بالافلاس والقوائد المادية التى يرمحها أصحاب دور القمار لاتساوى شيئاً بجانب الاضرار الجسيمة التى تنجم عن نشر هذه الجريمة بين الناس .

عُرْضَةً لِّأَيْمَنِكَ أَنْ تَبْرَأَ وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَنِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

٢٢٤ - لا تجعلوا اسم الله معرضاً لكثرة الحلف به ، لأن ذلك ينافي تعظيم اسم الله ، وأن التصون عن كثرة الحلف باسم الله يؤدي الى البر والتقوى والقدرة على الاصلاح بين الناس ، اذ يكون المتصون جليل القدر في أعين الناس موثقاً به بينهم فيقبل قوله ، والله سميع لأقوالكم وإيمانكم عليه بنيانكم .

٢٢٥ - عفا الله عنكم في بعض الأيمان ، فاجرى على الألسنة من صور الايمان ولم يصحبه قصد ولا عقد قلب ، أو كان يحلف على شيء يعتقد حصوله وهو لم يحصل فان الله لا يؤاخذ عليه ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من عزم على ايقاع فعل أو عدم ايقاعه . وعلى الكذب في القول مع التوثيق باليمين ، فانه غفور لمن يتوب ، حلیم يعفو عما لا يكتسبه القلب .

٢٢٦ - وهؤلاء الذين حلفوا الا يقربوا نساءهم يمهلون أربعة أشهر ، فان أتوا نساءهم في اثنائها استمر الزواج وعليهم كفارة اليمين وغفر لهم ويقبل الكفارة رحمة بهم .

٢٢٧ - وان لم يأتوا نساءهم في هذه المدة كان ذلك اضراً بالمرأة ، فليس الا الطلاق ، والله سميع لايمانهم عليهم بأحوالهم ومحاسنهم على ذلك يوم القيامة .

٢٢٨ - وعلى المطلقات أن ينتظرن دون الطموح الى زواج يستأنف مدة ثلاث حيضات (١) ، استبراء للرحم (٢) ، وفسحة لاحتمال المراجعة ولا يحل لمن أن يكتمن ما يكون في ارحامهن من جنين أو دم حيض ، وذلك شأن المؤمنات بالله ولقائه في اليوم الآخر ، وأزواجهن لهم الحق في ارجاعهن للزوجية ثانياً مدة العدة ، وعلى

(١) تنبيهان :

الأول : جرى التفسير في جعل العدة ثلاث حيضات على تفسير كلمة « القرء » الواردة في النص القرآني بالحيض ، وهذا رأى جمهور الفقهاء ، وفسر الشافعي « القرء » بالطهر بين الحيضتين ، فعل ذلك تكون العدة عنده ثلاثة أطهار .

الثاني : بقية أنواع العدة وأحكامها ستأتى في أماكن أخرى .

(٢) شرعت العدة استبراء للرحم أولاً ، وذلك ان الاستبراء للرحم من الحمل لا يكون مؤكداً الا بعد ثلاث حيضات ، والحامل لا تحيض عادة ، وان حاضت فان ذلك يكون مرة أو اثنتين على الأكثر اذ أن الجنين يكون قد نما بعد هذه المدة الى درجة يلا معها تحييف الرحم فيمنع نزول دم الحيض ، ذلك تقدير الله في خلقه وما كان معلوماً عند العرب ، وما كان للنبي الامي أن يعلمه ولكن الله أنزل عليه القرآن فعلم أمته . وشرعت العدة ثانياً ليكون عند المطلق فرصة المراجعة لزوجته اذ قد يكون طلق امراته التي دخل بها تحت تأثير نوبة غضب جامحة فاذا تاب اليه رشده ندم على ما فعل فحينئذ يجد رحمة الله واسعة ، وشرعه حكماً ، قد اعطاه الحق في ان يقول (راجعتمك) فتعود اليه زوجته ولكن تحتسب عليه الطلقة من ثلاث طلاقات .

دَرَجَةً وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَلِأَسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

الأزواج عند استعمال هذا الحق أن يقصدوا الى الاصلاح لا المضرة وللزوجات من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات بما لا ينكره (١) الشرع الشريف وللرجال عليهن درجة الرعاية والمحافظة على الحياة الزوجية وشئون الأولاد، والله سبحانه فوق عباده يشرع لهم ما يتفق مع الحكمة.

٢٢٩ - الطلاق مرتان (٢) يكون للزوج بعد كل واحدة منها الحق في أن يمسك زوجته برجعتها في العدة أو أعادتها الى عصمته بمقد جديد، وفي هذه الحال يجب أن يكون فصده الاسماك بالعدل والمعاملة بالحسنى، وأن ينهى الحياة الزوجية مع المعاملة الحسنة واکرامها من غير مجافاة. ولا يحل لكم أيها الأزواج أن تأخذوا مما أعطيتموهن شيئاً الا عند خشية عدم اقامة حقوق الزوجية التي بينها الله سبحانه وتعالى، وألزم بها. فان خفتم يا معشر المسلمين الا يؤدي الزوجات حقوق الزوجية سليمة كما بينها الله فقد شرع للزوجة أن تقدم مالا في مقابل افتراقها عن زوجها، وهذه هي أحكام الله المقررة فلا تخالفوها وتتجاوزوها لأن من يفعل ذلك ظالم لنفسه وظالم للمجتمع الذي يعيش فيه.

(١) جعل الله تعالى للمرأة من الحقوق بمقدار ما عليها من واجبات وجعل للزوج درجة الرعاية والمحافظة وعليه واجب العدالة وأن التسوية في الحقوق الزوجية بالنسبة للمرأة بين الحقوق والواجبات مبدأ لم يكن عند الأمم السابقة، فكانت المرأة عند الرومان أمة في بيت زوجها عليها واجبات وليس لها حقوق وكذلك كانت في فارس وقد سبق الاسلام بهذه العدالة.

(٢) شرع الله سبحانه وتعالى الطلاق وجعله بيد الرجل ابتداء وقد توهم بعض الناس ان ذلك يؤدي الى الاضرار بالحياة وإلى سهولة المحلل الاسرة وزكوا كلامهم بأن نسبة الطلاق في مصر قد بلغت نحو ٣٠٪ أو تزيد وأن هذا أدى الى كثرة التشرد والواجب علينا ان نتكلم في اعطاء الحق للزوج ثم فيما ادعوا انه ترتب عليه.

(١) أما اعطاء حق الطلاق للزوج فهو لم يعط ذلك الحق غير مقيد بل قيد بقيود نفسية وقيدو عديدة بالنسبة للزوجة التي دخل بها زوجها وتلك القيود هي:

أولا - لا يطلق الا طلقة واحدة رجعية أى يكون له حق المراجعة في أثناء العدة فاما أن يرجع في العدة واما أن يتركها ويكون هذا دليلا على كمال النفرة ولا يصح بقاء زوجية مع شدة النفرة.

ثانيا - ان لا يطلقها في وقت الحيض لأنها تكون في حالة معصية ولا يكون ثمة اقبال عليها وقد تكون هذه الحال العارضة سبب هذه النفرة التي اشتدت فلا يطلق الا عند الاقبال.

ثالثا - لا يطلق في طهر قد دخل بها فيه لأن ذلك يفسر بالنفرة تكون لعدم وجود الرغبة فيها فاذا كانت هذه الامور فان الطلاق يكون في حالة نفرة شديدة وانقطاع المودة الدائمة.

(ب) وأما ادعاء زيادة نسبة الطلاق بنحو ٣٠٪ فع التسليم بها تكون أقل مما عند الانجليز والامريكان والفرنسيين على أنه ليس كل طلاق يوجد انفصالا وان الطلاق قبل الدخول لا يعد كارتة زوجية بل يعد منعاً لكارتة ولكن تتبين نسبة عدد الرجعات وعده الطلاق من قبل الدخول وعدد الطلاق بتراضى الزوجين وعدد الزواج الذي استؤنف بعد الطلاق ولو استنزل هذا كله لم يبطئ النسبة هبوطا واضحا الى درجة أن يكون الطلاق الذي أدى الى الانفصال التام نادر وقد قننا بهذه التجربة في بعض المحاكم التي يكثر فيها الطلاق فوجدنا نسبة الطلاق الذي يوجد انفصالا يحتمل اساءة استعمال ذلك الحق تهيئ الى نحو ١٪ أو ٢٪.

(ج) وأما بالنسبة للتشرد فقد اثبتت الاحصاءات ان الطلاق يقل عند وجود الولد ويكثر اذا لم يكن ولد وقد اثبتت الاحصاءات ان ٧٥٪ من وقائع الطلاق تكون في أعقاب أى ولد وان كان ١٧٪ من وقائع الطلاق بعد اعقاب ولد واحد ثم تهبط النسبة بعد ذلك كلما كثر الاولاد حتى اذا وصل العدد الى خمسة اولاد هبطت النسبة حتى تصل الى ربع في المائة من وقائع الطلاق فهل يوجد برهان اقوى من هذا يدل على ان التشرد ليس سببه الطلاق انما سببه الحقيقي هو ضعف الرقابة على الولي على النفس الذي يقوم بتربية الاطفال ورعايتهم على ان الاحصاء بالنسبة لجرائم الاحداث اثبت ان الانفصال الجسدى وهجر الاب للبيت أكثر من الطلاق تأثيرا.

تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَقْنَ أَجُلَهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ مَرَحُوهُنَّ
بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَقْنَ أَجُلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ

٢٣٠ - فان طلق الزوج امرأته مرة ثالثة بعد التطليقتين السابقتين فلا تحل له حينئذ الا بعد أن تتزوج زوجاً
غيره ويدخل بها . فان طلقها من بعد ذلك الزوج الثاني وصارت أهلاً لأن يعقد عليها عقداً جديداً فلا اثم عليها
ولا على زوجها الأول في أن يستأنفا حياة زوجية جديدة بعقد جديد ، وعليها أن يعترضا اقامة حياة زوجية صالحة
تراعى فيها كل الأحكام الشرعية التي حددها الله سبحانه وتعالى ، وقد بينت هذه الحدود لمن يؤمن بالشرع
الاسلامى ويريد العلم والعمل به .

٢٣١ - واذا طلقتم النساء فشارفن انتهاء عدتهن ، فلكم أن تراجعوهن قاصدين اقامة العدل وحسن الصحبة
وعدم المضارة ، ولكم أن تتركوهن لتتقضى عدتهن ملاحظين المعاملة اللائقة عند الفراق من غير جفوة ولا يجوز أن
يكون القصد من المراجعة مضارة المرأة وتطويل عدتها ، ومن يفعل ذلك فقد حرم نفسه سعادة الحياة الزوجية وثقة
الناس به واستحق سخط الله عليه ، ولا تتخذوا أحكام الله في الأسرة التي جاءت بها الآيات وجعلت زمام الأسرة
بيد الوكيل سخرية وهواً وعبثاً . تطلقون لغير سبب وترجعونها مضارة وايداء . واذكروا نعمة الله عليكم بتنظيم
الحياة الزوجية تنظيماً عالياً وبما أنزل عليكم من كتاب مبين للرسالة المحمدية والعلوم النافعة والأمثال والقصص التي
بها تتعظون وتهتدون ، واتخذوا بينكم وبين غضب الله وقاية واعلموا أن الله يعلم سركم وجهركم ونياتكم وأعمالكم
وهو مجازيكم بما كنتم تعملون .

٢٣٢ - واذا طلقتم النساء وأتمتم عدتهن ، وأرادت احدها أن تستأنف زوجاً جديداً من المطلق أو من
رجل آخر غيره ، فلا يحل للأولياء ولا للزوج المطلق أن يمنعونها من ذلك ، واذا تراضى الطرفان على عقد جديد
وارادة حياة كريمة تؤدي إلى حسن العشرة بينها ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، ذلكم
ادعى إلى تنمية العلاقات الشريفة في مجتمعكم وأطهر في نفوسكم من الأدناس والعلاقات المريبة ، والله يعلم من
مصالح البشر وأسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول إليه .

رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا وَلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا أَنْفُسُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْفُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ

٢٣٣ - وعلى الأمهات أن يقمن^(١) بارضاع أولادهن مدة عامين تامين مراعاة لمصلحة الطفل ، إذا طلب أحد الوالدين أو كلاهما استيفاء مدة الرضاعة تامة لاحتياج الولد إليها ، ويلزم الوالد - باعتبار الولد منسوباً إليه - بالاتفاق على الأمهات حينئذ باطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا اسراف ولا تقصير . فانه لا يلزم إنسان إلا بما يقدر عليه ويستطيعه . ولا ينبغي أن يكون سبباً في الحاق الضرر بأمه بأن يهضم حقها في نفقتها أو حضانتها ولدها ، كما لا ينبغي أن يكون الولد سبباً في الحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه في ولده ، وإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد لو كان له مال ، فان رغب الوالدان أو كلاهما في فطام الطفل قبل تمام العامين وقد تراضيا على ذلك ونظراً الى مصلحة الرضيع فلا تبعة عليهما ، وإذا شتم أيها الآباء أن تتخذوا مراضع للأطفال غير أمهاتهم فلا تبعة عليكم في ذلك ، ولتدفعوا إليهن ما أنفقتم عليه من الأجر بالرضا والمحاسنة ، وراقبوا الله في أعمالكم ، واعلموا أنه مطلع عليها ومجازيكم بها .

٢٣٤ - والذين يتوفون منكم أيها الرجال ويتركون زوجات لهم غير حوامل فعليهن أن يمكن بعدهم دون تعرض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال بأيامها استبراء للرحم وحداداً على الأزواج . فإذا انتهت هذه المدة فلا تبعة عليكم أيها الأولياء لو تركتموهن يأتين من شريف الأعمال التي يرضاها الشرع ليصلن بها الى الزواج . فلا ينبغي أن تمنعهن من ذلك ولا يجوز لهن أن يأتين من الأعمال ما ينكره الشرع ويأباه فان الله مطلع على سرائركم ويعلم أعمالكم فيحاسبكم على ما تعملون .

(١) النص القرآني يعتبر وجوب الارضاع على الام ولا يكون الاسترضاع الا حيث لا يمكنها الارضاع وقد اتفق الفقهاء على وجوب الارضاع عليها صيانة لان الارضاع هو المظم الطبيعي للمولود اذ لبن الام يلائم حياة الطفل كل الملاممة فيزداد حجماً بزيادة حجم المولود وتتعدد محتوياته حسب حاجاته والرضاعة تفيد الام ولا تضرها الا في أحوال شاذة اذ أن الرضاعة تعمل على تحسين الحالة الصحية العامة للمرضع بتنشيط الجهاز الهضمي وحمله على العمل للحصول على المواد الغذائية اللازمة للمولود وذلك فوق ما تعيده الرضاعة في الجهاز التناسلي اذ تعيده الى أوضاعه الطبيعية بعد عملية الولادة والنظام الطبي يكون تدريجياً ويجوز ان يقطع الصغير لاقل من عامين من ولادته إذا كانت صحته تعاونه على ذلك أما اذا كانت صحته لاتعاونه ولا يستسيغ الطعام الخارجى فانه يستمر حولين كاملين وبعدها يمكن ان يستغنى الطفل استغناء كاملاً عن لبن الام .

أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ^{٢٣٥} عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَأْوَعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ^{٢٣٦} وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ^{٢٣٧} وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً^{٢٣٨} وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ^{٢٣٩} حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ^{٢٤٠} إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى

٢٣٥ - ولا اثم عليكم أيها الرجال في مدة العدة إذا لم تحتم للمعتدات من وفاة بالزواج أو أضمرتم ذلك في قلوبكم ، فان الله يعلم أنكم لا تصبرون عن التحدث في شأنهن لميل الرجال الى النساء بالفطرة ، ولهذا أباح لكم التلويح دون التصريح ، فلا تعطوهن وعداً بالزواج الا أن يكون ذلك اشارة لا نكر فيها ولا فحش ، ولا تبرموا عقد الزواج حتى تنقضي العدة . وابتعدوا ان الله مطلع على ما تخفونه في قلوبكم ، فخافوا عقابه ولا تقدموا على ما نهاكم عنه ، ولا تياسوا من رحمته أن خالفتم أمره فانه واسع المغفرة يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، كما أنه حلیم لا يعجل بالعقوبة لمن انتهك المحرمات ...

٢٣٦ - ولا اثم عليكم أيها الأزواج ، ولا مهر إذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بهن وقبل أن تقدروا لهن مهراً ، ولكن اعطوهن عطية من المال يتمتن بها لتخفيف آلام نفوسهن ولتكن عن رضا وطيب خاطر وليدفعها الفنى بقدر وسعه والفقير بقدر حاله ، وهذه العطية من أعمال البر التي يلتزمها ذور المروءات وأهل الخير والاحسان .

٢٣٧ - وإذا طلقتم النساء قبل الدخول بهن بعد تقدير مهورهن ، فقد وجب لهن نصف المهر المقدر ويدفع اليهن ، الا اذا تنازلت عنه الزوجة ، كما انهن لا يعطين أكثر من النصف الا اذا سمحت نفس الزوج فأعطاه المهر كله ، وسماحة كل من الزوجين اكرم وارضى عند الله واليق بأهل التقوى فلا تتركوها ، واذكروا ان الخير في التفضل وحسن المعاملة ، لأن ذلك أجلب للمودة والتحاب بين الناس ، والله مطلع على ضائركم وسيجازيكم على ما تفعلون .

وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذِرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَزَجُوا مِنْ دَيْرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

٢٣٨ - احرصوا على إقامة الصلوات كلها ، وداوموا عليها ، واحرصوا على أن تكون صلاتكم هي الصلاة الفضلى بإقامة أركانها والاخلاص الكامل لله فيها ، وأتموا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله .

٢٣٩ - فإذا أدرتكم الصلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلوا كما استطعتم مشاة أو راكبين فإذا زال الخوف عنكم فصلوا الصلاة مستوفية الأركان كما علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علمكم إياه وما من به عليكم من نعمة الأمن .

٢٤٠ - والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات لهم ، فقد أوصى الله بهن أن يقمن في بيت الزوجية عاماً كاملاً مواساة لهن وإزالة لوحشتن . ولا يحق لأحد أن يخرجهن ، فان خرجن بأنفسهن في أثناء العام فلا اثم عليكم أيها الأولياء أن تتركوهن يتصرفن في أنفسهن بما لا ينكره الشرع الشريف عليهن ، وأطيعوا الله في أحكامه واعملوا بما شرع لكم فانه قادر على أن ينتقم ممن يخالف أمره ، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرع لكم الا ما فيه المصلحة وان غابت حكمتها عن علمكم .

٢٤١ - وللنساء اللاتي يطلقن بعد الدخول حق في أن يعطين ما يتمتعن به من المال جبراً لحاظرهن ، يدفع اليهن بالحسنى على قدر غنى الزوج وفقره لأن ذلك مما توجبه تقوى الله ويلزم به أهل الايمان .

٢٤٢ - بمثل هذه البيانات والتشريعات الواضحة المحققة للمصلحة ، يبين الله لكم أحكامه ونعمه وآياته لتدبروها وتعملوا بما فيها من الخير .



لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُسْرِوْا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ

٢٤٣ - تنبه أيها النبي الى القصة العجيبة واعلمها ، وهى حالة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد خشية الموت فيه وهم ألوف كثيرة ففضى الله عليهم بالموت والهوان من اعدائهم ، حتى اذا استبسلت بقيتهم وقامت بالجهاد أحياء الله جماعتهم به ، وأن هذه الحياة العزيزة بعد الذلة المميتة من فضل الله ، الذى يستوجب الشكران ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ..

٢٤٤ - واذا علمتم أن الفرار من الموت لا ينجى منه ، فجاهدوا وابذلوا أنفسكم لاعلاء كلمة الله ، وأيقنوا أن الله يسمع ما يقول المتخلفون وما يقول المجاهدون ، ويعلم ما يضر كل فى نفسه فيجازى بالخير خيراً وبالشر شراً ..

٢٤٥ - والجهاد فى سبيل الله يحتاج الى المال فقدموا أموالكم ، فأى امرئ لا يبذل أمواله لله طيبة بها نفسه وقد وعد الله أن يردها عليه مضاعفة أضغافاً كثيرة ، والرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم واليه مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم ، ومع أن الرزق من فضل الله وعنايته وأنه هو الذى يعطى ويمنع ، سمي المنفق مقرضاً للثمن على الاتفاق والتحبب فيه ، وتأكيد الجزاء المضاعف فى الدنيا والآخرة .

٢٤٦ - تنبه الى النبأ العجيب عن جماعة من بنى اسرائيل بعد عهد موسى طلبوا من نبيهم فى ذلك الوقت أن يجعل عليهم حاكماً يجمع شملهم بعد تفرق ويقودهم تحت لوائه اعلاء لكلمة الله واسترداداً لعزتهم ، سألهم ليستوثق من جدهم فى الأمر : ألا ينتظر منكم أن تهربوا عن القتال اذا فرض عليكم ؟ . فأنكروا أن يقع ذلك منهم قائلين : وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدو من أوطاننا .. فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال أحجموا الا جماعة قليلة منهم ، وكان أحجامهم ظلماً لأنفسهم ونبيهم ودينهم ، والله يعلم ذلك منهم وسيجزىهم جزاء الظالمين .

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

٢٤٧ - وقال لهم نبيهم ان الله استجاب لكم فاختر طالوت حاكماً عليكم ، فاعترض كبرائهم على اختيار الله قائلين : كيف يكون ملكاً علينا ونحن أولى منه ، لأنه ليس بذى نسب ولا مال ، فرد عليهم نبيهم قائلاً ان الله اختاره حاكماً عليكم لتوافر صفات القيادة فيه ، وهى سعة الخبرة بشئون الحرب وسياسة الحكم مع قوة الجسم والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على ورائة أو مال ، وفضل الله وعلمه شامل ، يختار ما فيه مصالحكم .

٢٤٨ - وقال لهم نبيهم ان دليل صدق على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعود اليكم صندوق التوراة الذى سلب منكم تحمله الملائكة ، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدها - وفى احضاره تطمئن قلوبكم ، وان فى ذلك لدليلاً يدفعكم الى اتباعه والرضا به ان كنتم تدعون للحق وتؤمنون به .

٢٤٩ - فلما خرج بهم طالوت قال لهم ان الله يختبركم بنهر فمَنْ شرب منه فلا تشربوا منه الا غرفة فن شرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جمعنا لخروجه عن طاعة الله ، ولن يصحبني الا من لم يشرب منه أكثر من غرفة ، فلم يصبروا على هذا الاختبار وشربوا منه كثيراً الا جماعة قليلة ، فاصطحب هذه القلة الصابرة واجتاز بها النهر ، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا : لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقتلتنا ، فقال نفر منهم - ثبت الله قلوبهم لرجائهم فى ثواب الله عند لقائه - لا تخافوا فكثيراً ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، فاصبروا فان نصر الله يكون للصابرين .

٢٥٠ - ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا الى الله ضارعين داعين له أن يلاهم بالصبر ، ويقوى عزائمهم ويشبهم فى ميدان القتال ، وأن ينصرهم على أعدائهم الكافرين .

وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ * تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَنُهِمُ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

٢٥١ - فهزموا عدوهم باذن الله تعالى وقتل داود - وهو أحد جنود طالوت - جالوت قائد الكفار ، وأعطاه الله الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم النافع وعلمه مما يشاء ، وسنة الله أن ينصر الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون ، لولا أن الله يسلط جنوده على المفسدين لمهو فسادهم ، ويسلط الأشرار بعضهم على بعض ، لما عمرت الأرض ، ولكن الله دائم الاحسان والفضل على عباده .

٢٥٢ - تلك القصة من العبر التي نقصها عليك بالصدق لتكون أسوة لك ودليلاً على صدق رسالتك ، ولتعلم أننا سننصرك كما نصرنا من قبلك الرسل .

٢٥٣ - هؤلاء الرسل الذين ذكرنا فريقاً منهم وقد فضلنا بعضهم على بعض . فمنهم من كلمه الله دون سفير كموسى ، ومنهم من رفعه الله درجات فوق درجاتهم جميعاً وهو محمد الذي اختص بعموم الرسالة ، وكال الشريعة ، وختمه الرسالات . ومنهم عيسى ابن مريم الذي أمدناه بالمعجزات كاحياء الموق ، وإبراء الأكمه والابرس وأيدناه بجبريل روح القدس وقد جاء هؤلاء الرسل بالهدى ، ودين الحق ، والبيّنات الهادية وكان مقتضى هذا أن يؤمن الناس جميعاً ، ولا يختلفوا ولا يقتتلوا ، ولو شاء الله ألا يقتتل الناس من بعد مجيء الرسل اليهم بالآيات الواضحة الدالة على الحق ، ما حدث اقتتال ولا اختلاف ، ولكن الله لم يشأ ذلك ، ولهذا اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولا اختلفوا بل يكونون جميعاً على الحق ، ولكنه يفعل ما يريد لحكمة قدرها .

٢٥٤ - يأياها المؤمنون بالله واليوم الآخر انفقوا بعض ما رزقكم الله في وجوه الخير ، وبادروا بذلك قبل أن يأتي يوم القيامة الذي يكون كله للخير ولا توجد فيه أسباب النزاع ، لا تستطيعون فيه تدارك ما فاتكم في الدنيا ، ولا ينفع فيه بيع ولا صداقة ولا شفاعة أحد من الناس دون الله ، والكافرون هم الذين يظهر ظلمهم في ذلك اليوم ، إذ لم يستجيبوا لدعوة الحق ..

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ۚ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي

٢٥٥ - الله هو الذي يستحق أن يعبد دون سواء ، وهو الباقي القائم على شئون خلقه دائماً ، الذي لا يغفل أبداً ، فلا يصيبه فتور ولا نوم ولا ما يشبه ذلك لأنه لا يتصف بالنقص في شيء ، وهو المخلص بملك السموات والأرض لا يشاركه في ذلك أحد ، وهذا لا يستطيع أى مخلوق كان أن يشفع لأحد إلا بإذن الله ، وهو سبحانه وتعالى محيط بكل شيء عالم بما كان وما سيكون ، ولا يستطيع أحد أن يدرك شيئاً من علم الله إلا ما أراد أن يعلم به من يرتضيه ، وسلطانه واسع يشمل السموات والأرض ، ولا يصعب عليه تدبير ذلك لأنه المتعالى عن النقص والعجز ، العظيم بجلاله وسلطانه .

٢٥٦ - لا إجبار لأحد في الدخول في الدين ، وقد وضع بالآيات الباهرة طريق الحق ، وطريق الضلال ، فمن اهتدى إلى الإيمان وكفر بكل ما يطفئ على العقل ، وبصرفه عن الحق ، فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردى في الضلال كمن تمسك بعروة متينة محكمة الرباط تمنعه من التردى في هوة . والله سميع لما تقولون ، عليم بما تفعلون ومجازيكم على أفعالكم (١) .

٢٥٧ - الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم ويخرجهم من ظلمات الشك والحيرة إلى نور الحق والاطمئنان ، والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذي فطروا عليه والذي وضع بالأدلة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد ، هؤلاء الكافرون هم أهل النار مخلدون فيها .

(١) سبق التعليق عليها من ناحية القانون الدولى عند التعليق على آيات القتال من ١٩٠ - ١٩٥ من سورة البقرة .

كَفَرُوا بِاللَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ
 اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
 فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
 ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي
 الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَبْطِئَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى
 كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

٢٥٨ - ألم تر إلى من عصى عن أدلة الايمان وجادل إبراهيم خليل الله في الوهية ربه ووحدانيته ، وكيف أخرجه غروره بملكه الذي وهبه ربه من نور الفطرة إلى ظلام الكفر فعندما قال له إبراهيم : ان الله يحيى ويميت ، ينفخ الروح في الجسم وإخراجها منه ، قال أنا أحيى وأميت بالعمى والقتل فقال إبراهيم ليقطع مجادلته : ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ان كنت إلهاً كما تدعى ، فتحرير وانقطع جدله من قوة الحجّة التي كشفت عجزه وغروره ، والله لا يوفق المصيرين المعاندين إلى اتباع الحق .

٢٥٩ - ثم تدبر في مثل هذه القصة العجيبة ، قصة الذي مر على قرية مهتمة سقطت سقفها وهدمت حيطانها وهلك أهلها ، فقال : كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم ؟ فأما الله وأبقاه على موته مائة عام ثم بعثه ليظهر له سهولة البعث ويزول استعباده ثم سئل أى مدة مكثها ميتاً ؟ قال : غير شاعر بطول المدة - : يوماً أو بعض يوم ، قيل له بل مكثت على هذه الحالة مائة عام ، ثم لفت الله نظره إلى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له : فانظر إلى طعامك لم يفسد ، وإلى شرابك لم يتغير ، وانظر إلى حمارك أيضاً ، وقد فعلنا ذلك لتعائن ما استبعدته من احياء بعد الموت ولنجعلك آية ناطقة للناس تدل على صدق البعث ، ثم أمره الله أن ينظر إلى عجيب خلقه للأحياء ، وكيف يركب عظامها ، ثم يكسوها لحماً ، ثم ينفخ فيها الروح فتتحرك ، فلما وضحت له قدرته تعالى وسهولة البعث ، قال أعلم ان الله قادر على كل شيء .

٢٦٠ - واذكر كذلك قصة إبراهيم ، إذ قال إبراهيم : رب أرى كيفية إحياء الموتى ، فسأله ربه عن إيمانه بأحياء الموتى ليجيب إبراهيم بما يزيل كل الشك في إيمانه ، فقال الله له : أو لم تؤمن بأحياء الموتى ، قال : إني آمنتم ولكنى طلبت ذلك ليزداد اطمئنان قلبي . قال : فخذ أربعة من الطير احمى فضعها إليك لتعرفهن جيداً ، ثم جزهن بعد ذبحهن ، واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءاً منهن ، ثم نادهن فسيأتينك ساعيات وفيهن الحياة كما هي ، واعلم أن الله لا يعجز عن شيء ، وهو ذو حكمة بالغة في كل أمر (١) .

(١) ذكر الفخر الرازى وغيره ان هناك رأياً آخر في تفسير النصي الكريم وهو أن ابراهيم لم يذبحهن ولم يؤمر بالذبح وانه أمر بضمهن اليه ترويضاً لمن على البقاء عنده ثم قسمهن فجعل على كل جبل واحدة من الاربع ثم دعاهن فجئن اليه وهذا تصوير لخلق الله تعالى للانشاء من أنها تكون بأمره للنبي كن فيكون كما دعاهن فجئن اليه .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُتْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّبِعُوا صَدَقَتَكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُفِّلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ رَّيَوْهُ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ

٢٦١ - ان حال الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ووجوه الخير، وينالون على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافاً كثيرة، كحال من يبذر حبة في الأرض طيبة فتنبت منها شجرة فيها سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة، وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الإنفاق في الدنيا، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء فهو واسع الفضل، عليم بمن يستحق وبمن لا يستحق.

٢٦٢ - ان الذين ينفقون أموالهم في وجوه البر المشروعة دون من أو تفاخر أو تطاول على المحسن إليه. لهم أجرهم العظيم الموعود به عند ربهم، ولا يصيبهم خوف من شيء ولا حزن على شيء.

٢٦٣ - قول تطيب به النفوس وتسترم معه حال الفقير فلا تذكر لغيره، خير من عطاء يتبعه إيذاء بالقول أو الفعل، والله سبحانه وتعالى غني عن كل عطاء مصحوب بالأذى، ويمكن الفقراء من الرزق الطيب، ولا يجعل بعقوبته من لا يعطى رجاء أن يمتد إلى العطاء.

٢٦٤ - لا تضيعوا ثواب صدقاتكم أيها المؤمنون - باظهار فضلكم على المحتاجين وإيذائهم فتكونوا كالذين ينفقون أموالهم بدافع الرغبة في الشهرة وحسب الثناء من الناس، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، فان حال المرائي في نفقته كحال حجر أملس عليه تراب، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب.. فكما أن المطر الغزير يزيل التراب المحصب المنتج من الحجر الأملس، فكذلك المن والأذى والرياء تبطل ثواب الصدقات.. فلا ينتفع المنتفعون بشيء منها، وتلك صفات الكفار فتجنبوها، لأن الله لا يوفق الكافرين إلى الخير والارشاد.

٢٦٥ - حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتثبيتاً لأنفسهم على الايمان، كحال صاحب بستان بأرض خصبة مرتفعة ^(١) يفيد كثير الماء وقليله، فان أصابه مطر غزير أنمر مثلين، وان لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكنى لاثماره لجودة الأرض وطيبها، فهو مشعر في الحالتين - فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم، والله لا يخفى عليه شيء من أفعالكم.

(١) في تعبير القرآن الكريم بكلمة روية وهي الارض الخصبة المرتفعة اشارة الى ماكشفه العلم الحديث لانها بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية فيغوص الجموع الجذرى في التربة من غير ماء يضره ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء لسيقان الجموع الخضرى فيتضاعف الحصول للوالب من الأمطار فائدة فوق التغذية إذ أنه يذيب بعض المواد التى تحتاج اليها النباتات ويصلها بما يعطل نموها كما يصلها من الآفات.

جَنَّةٍ مِّنْ لَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّنْ طَبِيتَ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا

٢٦٦ - انه لا يجب أحد منكم أن يكون له بستان من نخيل وأعناب تجرى خلالها الأنهار وقد أقر له البستان من كل الثمرات التي يريدها (١) وأصابه ضعف الكبر وله ذرية ضعاف لا يقدرين على الكسب ولا يستطيع هو لكبره شيئاً، وجف بستانه في هذه الحال العاجزة بسبب ربح شديدة فيها نار فأحرقته، وصاحبه وذريته أحوج ما يكون إليه، وكذلك شأن من ينفق ويتصدق ثم يعقب النفقة والصدقة بالبن والأذى والرياء فيبطل بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع أن يتصدق من بعد ذلك طيبة نفسه، ومثل هذا البيان بين الله لكم الآيات لتفكروا فيها وتعملوا بها.

٢٦٧ - يا أيها المؤمنون أنفقوا من جيد ما تحصلونه بعملكم، وما يتيسر لكم إخراجها من الأرض من زرع ومعادن وغيرها، ولا تعتمدوا الانفاق من ردىء المال وخبيثه مع أنكم لا تأخذونه لو قدم إليكم إلا على اغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث ورداءة، واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم، مستحق للحمد بما أُرشدكم إليه من خير وصلاح.

٢٦٨ - الشيطان يخوفكم من الفقر ويثنى عن كل عمل صالح ليصرفكم عن الانفاق في وجوه الخير وبغريكم بالمعاصي، والله واسع المغفرة قادر على إغنائكم، لا يخفى عليه شيء من أموركم.

٢٦٩ - يعطى صفة الحكمة من إصابة الحق في القول والعمل من يشاء من عباده، ومن أعطى ذلك فقد نال خيراً كثيراً لأن به انتظام أمر الدنيا والآخرة، وما ينتفع بالعظة والاعتبار بأعمال القرآن إلا ذوو العقول السليمة التي تدرك الحقائق من غير طغيان الأهواء الفاسدة.

٢٧٠ - وما أنفقتُم من نفقة في الخير أو الشر، أو التزمت بنفقة في طاعة، فإن الله يعلمه وسيجزىكم عليه، وليس للظالمين الذين ينفقون رياء أو يؤذون في نفقتهم أو ينفقون في المعاصي، أعوان يدفعون عنهم عذاب الله في الآخرة.

(١) يفسر العلم الحديث الإعصار بأنه اضطراب جوى يتميز برياح شديدة يصحبه رعد وبرق وأمطار وقد يكون فيه نار إذا كان مقترناً بتفريغ شحنات كهربائية من السحب أو يحمل قذائف نارية من بركان ناتر قريب تملك ماحولها من أشجار وغرها والنص القرآني يشير إلى كل هذه المعاني.

الْصَّدَقَاتِ فَيَعْمَاهِ ۖ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ * لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُنْفِسْكُمْ ۖ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ النَّعْفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۚ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَنْ

٢٧١ - وان تظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم مرضى منكم ، ممدوح من ربكم ، وان تعطوها الفقراء سرّاً منعاً لحرجهم وخشية الرياء فذلك خير لكم ، والله يغفر لكم من ذنوبكم بسبب إخلاصكم في صدقاتكم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم نياتكم في إعلانكم وإخفائكم .

٢٧٢ - ليس عليك يا محمد هداية هؤلاء الضالين أو حملهم على الخير ، وإنما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء ، وما تبذلونه من معونة لغيركم ففائدته عائدة عليكم ، والله ميثيقكم عليه ، وهذا إذا كنتم لا تقصدون بالانفاق إلا رضاه الله وأى خير تنفقونه على هذا الوجه يعود إليكم ، ويصلكم ثوابه كاملاً دون أن ينالكم ظلم .

٢٧٣ - وذلك الانفاق والبذل يكون للفقراء الذين كانوا بسبب الجهاد في سبيل الله غير قادرين على الكسب ، أو لأنهم أصيبوا في الجهاد بجراحات أقعدتهم عن السعى في الأرض ، وهم متعففون عن السؤال بحسبهم الجاهل بمجاهم أغنياء ، ولكنك إذا تعرفت حالهم عرفت هذه الحالة بعلامتها . وما تبذلونه من معروف فان الله عليم به ، سيجزيكم عليه الجزاء الآتئ .

٢٧٤ - الذين من شأنهم الانفاق تسخو نفوسهم في الليل والنهار وفي العلانية والسر ، لهم جزاؤهم عند ربهم ، لا ينالهم خوف من أمر مستقبلهم ، ولا حزن على شيء فاتهم .

جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

٢٧٥ - الذين يتعاملون بالربا لا يكونون في سعيهم وتصرفهم وسائر أحوالهم إلا في اضطراب وخلل ، كالذى أفسد الشيطان عقله فصار يتعثر من الجنون الذى أصابه . لأنهم يزعمون أن البيع مثل الربا في أن كلاً منها فيه معاوضة وكسب . فيجب أن يكون كلاهما حلالاً وقد رد الله عليهم زعمهم فيبين لهم أن التحليل والتحريم ليس من شأنهم ، وأن التماثل الذى زعموه ليس صادقاً . والله قد أحل البيع وحرم الربا ، فمن جاءه أمر ربه بتحريم الربا واهتدى به ، فله ما أخذه من الربا قبل تحريمه ، وأمره موكل إلى عفو الله . ومن عاد إلى التعامل بالربا باستحلاله بعد تحريمه ، فأولئك يلزمون النار خالدين فيها (١) .

٢٧٦ - ان الله يذهب بالزيادة المأخوذة من الربا ويبارك في المال الذى تؤخذ منه الصدقات ويشب عليها أضعافاً مضاعفة : والله لا يحب الذين يصرون على تحليل المحرمات كالربا ، ولا الذين يستمرون على ارتكابها .

٢٧٧ - ان الذين آمنوا بالله ، وامتثلوا أوامره فعملوا الصالحات التى أمر بها ، وتركوا المحرمات التى نهى عنها ، وأدوا الصلاة على الوجه الأكمل ، وأعطوا الزكاة لأهلها ، لهم نوابهم العظيم المدخر عند ربهم ، ولا خوف عليهم من شيء فى المستقبل ، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم .

(١) الربا المذكور فى الآية هو ربا الجاهلية وهو الزيادة فى الدينون فى نظير الاجل وهو حرام فى قليله وكثيره . وقال الامام أحمد « لا يسع مسلماً ان ينكره » ويقابله ربا البيوع وهو ثابت بالسنة فى قوله عليه السلام : « البر بالبر مثلاً بمنل يدا بيد والشعير بالشعير مثلاً بمنل يدا بيد والذهب بالذهب مثلاً بمنل يدا بيد والفضة بالفضة مثلاً بمنل يدا بيد ، والقر بالقر مثلاً بمنل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى » .

وقد اتفق الفقهاء على تحريم الزيادة عند المبادلة مع اتحاد الجنس فى هذه الاشياء وباحوا الزيادة اذا اختلف الجنس ولكن حرموا التأجيل من هذه الاصناف واختلفوا فى قياس غيرها عليها اختلافاً طويلاً واقرب الاراء ان يقاس عليها كل ما هو مطعوم قابل للاذخار وربا الجاهلية لا خلاف فيه فنكره كافر ، وان ربا الجاهلية يصيب آكله ومؤاكله باضطرابات نفسية وعصبية نتيجة ارهاقه وتركيز ذهنه فى المال الذى اقرضه أو أخذه فالدائن فى قلق بسبب انحصار ذهنه وفراغ نفسه من كل عمل والمدين فى هم وخوف من ألا يسدده . وقد أسند بعض كبار الاطباء كثرة ضغط الدم والنزلات القلبية الى كثرة التعامل بالربا .

وتحريم الربا فى القرآن كما هو فى كل الديانات المساوية لتنظيم اقتصادى ويتفق التحريم مع ماقرره الفلاسفة ذلك لان النقد لايلد النقد والاقتصاديون يقررون أن طرق الكسب اربعة : ثلاثة منها منتجة ، والرابعة غير منتجة فالثلاثة المنتجة : العمل وبيعته الصناعة والزراعة والخطارة فى التجارة لانها بنقل الاشياء من مكان انتاجها الى مكان استهلاكها تتعرض لمخاطر ولانها تزيد قيمتها بهذا الانتقال وذلك فى ذاته انتاج . أما الرابعة فهى الفائدة أو الربا وهذه لاخطارة فيها لأن القرض لا يتعرض للخسارة بل له الكسب دائماً ولأنه لا إنتاج إلا العمل المقرض الفائدة نتيجة لقيمة القرض . . . واذا كان السبب هو القرض فهو بتوسط غيره من غير تعرض للخسارة . والطبيعى ان كان ينتج بنفسه ويفرض ذلك فان شيوع الكسب بالفائدة يؤدى الى تحكم رؤوس الاموال فى العمل ويؤدى الى فراغ وعطل فيكون الاضطراب والكسل .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتِمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْعًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَن يُمْلَ ۖ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيهِ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۚ إِلَّا أَن تَكُونَ بَحْرَةً خَاسِئَةً تَدْرُسُهَا بُيُوتُكُمْ

٢٧٨ - يأها الذين آمنوا خافوا الله واستشعروا هيئته في قلوبكم ، واتركوا طلب ما بقى لكم من الربا في ذمة الناس إن كنتم مؤمنين حقا .

٢٧٩ - فإن لم تفعلوا ما أمركم الله به من ترك الربا فكونوا على يقين من انكم في حرب من الله ورسوله لمعاندتكم لأمره ، فإن أردتم توبة مقبولة فلكم رؤوس أموالكم فلا تأخذوا زيادة عليها قلت أو كثرت وأيا كان سبب الدين ومصرفه ، لأن الزيادة التي تأخذونها ظلم لغيركم ، كما أن ترك جزء من رؤوس الأموال ظلم لكم .

٢٨٠ - وإن وجد ذو عسرة فأعطوه وأمهلوه عند انقضاء أجل الدين إلى وقت ميسرته ، وتصدقكم عليه بالتنازل عن الدين أو بعضه خير لكم إن كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله الذي يعلمكم المروءة والانسانية .

٢٨١ - وخافوا أهوال يوم تعودون فيه إلى الله ، ثم تستوفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر .

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً
فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا
فَإِنَّهُ إِيمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ

٢٨٢ - يأيا الذين آمنوا إذا دأب بعضكم بعضا بدين مؤجل إلى أجل، ينبغي أن يكون الأجل معلوما، فالتكثيرة حفظا للحقوق وتفاديا من النزاع وعلى الكاتب أن يكون عادلا في كتابته، ولا يتمتع كاتب عن الكتابة، شكرا لله الذي علمه ما لم يكن يعلم، فليكتب ذلك الدين حسب اعتراف المدين وليخش المدين ربه ولا ينقص من الدين شيئا، فإن كان المدين لا يحسن التصرف ولا يقدر الأمور تقديرا حسنا، أو كان ضعيفا لصغر أو مرض أو شيخوخة، أو كان لا يستطيع الاملاء لخرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوثيقة، فلينب عنه وليه الذي عينه الشرع أو الحاكم، أو اختاره هو في إملاء الدين على الكاتب بالعدل التام. وأشهدوا على ذلك الدين شاهدين من رجالكم، فإن لم يوجدوا فليشهد رجل وامرأتان تشهدان معا لتؤدبا الشهادة معا عند الإنكار، حتى إذا نسيت أحداها ذكرتاه الأخرى، ولا يجوز الامتناع عن أداء الشهادة إذا ما طلب الشهود - ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا مادام مؤجلا لأن ذلك أعدل في شريعة الله وأقوى في الدلالة على صحة الشهادة، وأقرب إلى درء الشكوك بينكم، إلا إذا كان التعامل على سبيل التجارة المحاضرة، تتعاملون بها بينكم، فلا مانع من ترك الكتابة إذ لا ضرورة إليها. ويطلب منكم أن تشهدوا على المبايعة حسبا للنزاع وتفادوا أن يلحق أى ضرر بكاتب أو شاهد، فذلك خروج على طاعة الله وخافوا الله واستحضروا هيئته في أوامره ونواهيه، فإن ذلك يلزم قلوبكم الانصاف والعدالة، والله يبين مالكم وما عليكم، وهو بكل شيء - من أعمالكم وغيرها - عليم (١).

٢٨٣ - وإذا كنتم في سفر فلم تجدوا من يكتب لكم الدين، فليكن ضمان الدين رهنا يأخذه الدائن من المدين. وإذا أودع أحدكم آخر ودیعة تكون أمانة عنده، وقد اعتمد على أمانته، فليؤد المؤتمن الأمانة عند طلبها، وليخش الله الذي ربه وتولاه بالعناية حتى لا يقطع عنه نعمته في الدنيا والآخرة. ولا تكتُموا الشهادة عند طلبها، ومن يكتُمها فهو آثم خبيث القلب، والله بما تعملون عليم، سيجزيكم عليه حسب ما تستحقون.

(١) من أدق المسائل القانونية في جميع القوانين الحديثة قواعد الایات وهي الطرق التي ينبت بها صاحب الحق حقه إذا ما لجأ إلى القضاء يطلبه من خصمه.

يوجب القرآن على الناس الانصاف والعدل ولو انصف الناس لاستراح القاضى ولكن النفوس البشرية بما جبلت عليه من مختلف الطبائع من طمع الى حب للمال والى شهرة الى اثر الى نسيان الى رغبة في الانتقام كل ذلك جعل الحقوق بينها متنازعا عليها مختلفا فيها فوجب ان تكون هناك قواعد للایات تكون وسيلة في تبيين وجه الحق.

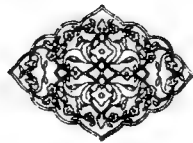
ولانزاع ان الكتابة عند الخلف هي اقوى الادلة لان عند عدم الخلف قد يعترف الغريم بحق خصمه فاذا بعثك أو أجزتلك أو داينتلك وجب ان يثبت كل ذلك بالكتابة ولو فعل كل الناس ذلك لضاقت شقة الخلف بينهم. ولكن وقد تقدم العمران واشتجبت مصالح الناس عمدوا الى وسائل السرعة فاصبحت التقاليد التجارية تسمح للتاجر في لندن ان يعقد عقدا كبيرا القيمة برسالة تليفونية أو لاسلكية في نيويورك مرغما على ان لا يحتم الكتابة في صفته التي قد تصل الى الملايين فاذا ما اختلف العاقدان على الصفقة ولجأ الى القضاء اباح لها.

أَوْ يُخَفِّهُ يَحْسَبُكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْ رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٤ - واعلموا أن الله ما في السموات وما في الأرض قد أحاط به قدرة وعلمها ، وسواء أظهرتم ما في أنفسكم أو أخفيتموه فإن الله عليم خبير ، سيحاسبكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو تعالى على كل شيء قدير ..

٢٨٥ - إن ما أنزل إلى الرسول محمد هو الحق من عند الله ، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهم يسوون بين رسل الله في الإيمان بهم وتعظيمهم قائلين : لانفرق بين أحد من رسله ، وأكدوا إيمانهم القلبي بقولهم اللسان متجهين إلى الله في خطايهم : ربنا سمعنا تنزيلك المحكم واستجبنا لما فيه ، فامنحنا اللهم مغفرتك ، وإليك وحدك المصير والمرجع .

٢٨٦ - إن الله لا يكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله : إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فاضرعوا إلى الله أيها المؤمنون داعين : ربنا لاتعاقبنا إن وقعنا في النسيان لما كلفتنا إياه ، أو تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ ، ربنا ولا تشدد علينا في التشريع كما شددت على اليهود بسبب تعنتهم وظلمهم ، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به من التكاليف ، واعف عنا بكرمك ، واغفر لنا بفضلك ، وارحمنا برحمتك الواسعة انك مولانا . فانصرنا يارب - من أجل اعلاء كلمتك ونشر دينك - على القوم الجاحدين .



(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَكْنِيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَانِيَاتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ٦) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ

يتحدث القرآن الكريم من خلال ما يذكره من قصص عن سنن الله الكونية، وعن العبرات والعبر التي تستنتج، وبين في أثناء القصة الكثير من العقائد والأحكام والأخلاق. وقد ذكر في السورة السابقة طرفا من سيرة بنى إسرائيل صور فيه الكثير من انحرافهم، وفي هذه السورة يذكر جوانب أخرى من ضلالهم وانحرافهم، ويرشد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن في عقيدته وسلوكه وبين حقيقة الدين السامى، ويشير إلى آداب المجادلة، ويذكر العادات في الانتصار والفشل أحيانا. وبين مقام الشهداء يوم القيامة والجزاء وعمومه للذكر والأنثى وطريق الفلاح، وتبتدىء هذه السورة الكريمة بما ابتدأت به السورة السابقة.

- ١ - الم، حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف، ولتنبيههم فيسمعوا.
- ٢ - الله واحد لا إله غيره، وكل ما في العالم من تنسيق وإبداع يشهد بذلك، وهو الحى الذى لا يموت، القائم بأمر العالم يديره ويصرفه.
- ٣ - نزل عليك يا محمد القرآن مشتملا على الحق في كل ما تضمنه من أصول الشرائع الساموية في الكتب السابقة، ولقد أنزل الله من قبله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى.
- ٤ - أنزلها قبل القرآن لهداية الناس، فلما انحرفوا أنزل القرآن فارقا بين الحق والباطل، ومبين الرشد من الغي، فهو الكتاب الصادق الدائم، وكل من ترك ما أنزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد، والله قادر لا يغلبه شئ، منتقم ممن يستحق الانتقام.
- ٥ - إن الله عليم بكل شئ، فهو لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء، صغيرا كان أو كبيرا، ظاهرا أو باطنا.

فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ
لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَّابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمْ

٦ - وهو الذى يصوركم وأنتم أجنة فى الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد ، لا إله إلا هو العزيز فى ملكه ،
الحكيم فى صنعه (١) .

٧ - وهو الذى أنزل عليك القرآن ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المعنى بينة المقاصد ،
هى الأصل واليهما المرجع ، وأخر متشابهات يلقى معناها على أذهان كثير من الناس ، وتشبهه على غير الراسخين
فى العلم ، وقد نزلت هذه التشابهات لتبث العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر فى الاجتهاد ، وفى البحث فى
الدين ، وشأن الزائعين عن الحق أن يتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة فى إثارة الفتنة ، ويؤلوا حسب أهوائهم .
وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق إلا الله والذين تثبتوا فى العلم وتمكنوا منه - وأولئك المتمكنون منه يقولون إنا
نوقن بأن ذلك من عند الله ، لا نفرق فى الإيمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه ، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول
السليمة التى لا تخضع للهوى والشهوة .

٨ - وأولئك العلماء العاقلون يقولون : ربنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحق بعد إذ أرشدتنا إليه ، وامنحنا
اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت إنك أنت المانع المعطى .

٩ - ربنا إنك جامع الناس ليوم لا شك فيه لتجازى كلا على ما فعل ، فقد وعدت بذلك وأنت لا تخلف
الميعاد .

١٠ - إن الكافرين لن تدفع عنهم فى هذا اليوم أموالهم مهما عظمت ، ولا أولادهم مهما كثرت ، وسيكونون
حطباً للنار تشتعل بهم .

(١) « تشير الآية الكريمة الى وجه من الوجوه المعجزة لقدرة البارئ المصور وهو تحول البويضة المخصبة وهى خلية واحدة ضئيلة
الحجم الى انسان سوى بكل ما يحويه جسمه من أجهزة وأعضاء وانسجة بمللين الخلايا وآيات فى البنيان والوظيفة . وسوف تتوالى فى
القرآن الكريم آيات تفصل بعض اطوار النمو الجنيني . ولكن الذى تتوه به هذه الآية الكريمة على وجه الخصوص هو المشيئة الالهية المطلقة
فى تصوير الجنين اذ ان الله يودع فى البويضة الدقيقة الحجم جميع المورثات الجنينية التى تحدد جنس المولود ونصيبه من الخصائص الإنسانية
بل ومواهبه العقلية والنفسية والسمات الرئيسية فى تكوين الشخصية الواحدة وان كانت تسير على قوانين ثابتة الا ان هذا التحديد لكل فرد
بذاته من التقاء بويضة بحيوان منوى بعينه من بين الملايين من أقرانه هو من دلائل المشيئة المطلقة حتى انه لا يتائل فردان فى العالم
تماماً كاملاً اللهم الا فى توائم البويضة الواحدة تكاد تتطابق .

اللَّهُ يَذُنُّهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَمَحْشَرُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِحَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ

١١ - وشأن هؤلاء شأن قوم فرعون والمعادين من قبلهم ، كذبوا بآيات الله مع وضوحها فنكل الله بهم بسبب ما ارتكبوه من الذنوب ، والله شديد العقاب .

١٢ - قل أيها النبي هؤلاء الذين كفروا ، إنكم في الدنيا ستهزمون وفي الآخرة ستعذبون ، وتكون جهنم فراشا وبئس الفراش .

١٣ - لقد كان لكم آية بينة وعبرة ظاهرة طافتين من المحارزين النقياء يوم بدر ، إحداها مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق ، والأخرى كافرة تحارب في سبيل الأهواء والشهوات ، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقي ، وبذلك وقع الرعب في قلوب الكفار فانهزموا . والله يمنح نصره لمن يشاء . وإن في ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التي لا تنحرف في إدراكها عن الحق .

١٤ - إن البشر جبلوا على حب الشهوات التي تتمثل في النساء ، والبنين والكثرة من الذهب والفضة ، والخيول الحسان المعلقة ، والأنعام التي منها الإبل والبقر والغنم ، وتتمثل أيضا في الزرع الكثير . لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية ، وهو لا يعد شيئا إذا قيس بإحسان الله إلى عباده الذين يجاهدون في سبيله عند أوبتهم إليه في الآخرة .

١٥ - قل يا أيها النبي ، أخبركم بما هو خير من ذلك الذي زين للناس في الدنيا ، إن للذين اتقوا ثوابا مضمونا عند ربهم ، هو جنات تجري من تحت ظللال أشجارها الأنهار ، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لا يساورهم خوف من زوال نعيمها إذ كتب لهم الخلود فيها . وأزواج طاهرة نقية من كل ما يشين نساء الدنيا ، ورضاء من الله يشعرون في ظله بنعيم أكبر . والله مطلع على أحوال عباده ، لا يخفى عليه أمر أوسر من أمورهم وأسرارهم .

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۚ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ ۖ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ

١٦ - ينال هذا الجزاء أولئك الذين ملأوا الإيمان قلوبهم وأعلنوا ذلك بألسنتهم فقالوا ضارعين إلى الله : ربنا اننا آمننا استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا ، واحفظنا من عذاب النار .

١٧ - والذين يتحملون المشقة في سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه ، الذين يصدقون في أقوالهم وأفعالهم ونياتهم ، المداومون على الطاعة في خشوع وضراعة الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره في وجوه التأمل والتفكير في عظمة الخالق .

١٨ - بين الله بما بث في الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقل ، أنه واحد لا شريك له ، وأنه قائم على شئون خلقه بالعدل ، وأقرت بذلك ملائكته الأطهار ، وعلمه أهل العلم موقنين به ، وأنه جل شأنه المنفرد بالألوهية الذي لا يغلبه أحد على أمره ، وشملت حكمته كل شيء .

١٩ - ان الدين الحق المرضي عند الله ، هو التوحيد والخضوع لله في اخلاص ، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى في هذا الدين فحرفوا وبدلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم ، بل كان للتحاسد والتطاول ، ومن يمجّد بآيات الله فليتنظر حساب الله السريع .

٢٠ - فإن جادلوك هؤلاء في هذا الدين بعد أن أقمت لهم الحجج ، فلا تجارهم في الجدل ، وقل أخلصت عبادتي لله وحده أنا ومن اتبعني من المؤمنين وقل لليهود والنصارى ومشركي العرب قد بانت لكم الدلائل فأسلموا ، فإن أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه ، وإن اعرضوا فلا تبعة عليك في إعراضهم ، فليس عليك إلا أن تبلفهم رسالة الله ، والله مطلع على عبادته لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم .

يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسَنَ النَّارَ أَلًا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ وَغَرَّهمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۚ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

٢١ - إن الذين يمحذون آيات الله الكونية والمغزلة ، ويقتلون من بعثهم الله لهدايتهم من الأنبياء - ولا يكون بحق أبداً ، بل هو أعظم الظلم ، ويقتلون دعاة الناس إلى القسط والعدل ، يستحقون العذاب الأليم فبشرهم به .

٢٢ - أولئك المتصفون بتلك الصفات بطلت أعمالهم ولو كان بعضها طيباً ، وخلت من ثمراتها فلم تنفعهم في الدنيا ، وأعقبهم الخزي والنكال في الآخرة ، وليس من ينقذهم من الخسران والعذاب .

٢٣ - ألم تعلم حال الذين أعطوا حظاً من الكتاب والعلم يدعون إلى كتاب الله وهو القرآن ليفصل الحق من الباطل فيما شجر بينهم من خلاف فلا يسارعون إلى اجابة الداعي ، بل يعرض عنه فريق منهم شأنه الاعراض عن دعوة الخير .

٢٤ - إن أولئك المعرضين من اليهود ، زين لهم ذلك الاعراض أنهم يبنون أنفسهم بالأمانى الباطلة ، فيزعمون أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات ودفعهم إلى ذلك الغرور وتلك الأمانى افترأاتهم المستمرة في دينهم .

٢٥ - فكيف يكون حالهم وقت أن يجمعهم الله في الآخرة التي لا شك في وجودها ولا حسابها فكل نفس تعطى جزاءها فيها وافياً ، وهم جديرون بما ينالهم من عذاب المجيم .

٢٦ - قل - أيها النبي - ضارعا إليه مقرا بجبروته : اللهم أنت وحدك مالك التصرف في الأمر كله ، تمنح من تشاء من الحكم والسلطان ، وتنزعه ممن تشاء وتهب العزة من تريد من عبادك بتوقيفه إلى الأخذ بأسبابها ، وتضرب الذل والهوان على من تشاء ، فأنت وحدك تملك الخير ، لا يعجزك شيء عن تنفيذ مرادك ، وما تقتضيه حكمتك في نظام خلقك .

تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَحْجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَعْمَلَتٍ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّلُو أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

٢٧ - وأنت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسنة، تدخل من الليل في النهار ما يزيد به النهار طولاً، وتدخل من النهار في الليل ما يزيد به الليل طولاً، وتخرج المتصف بظاهر الحياة من فاقدها، كما تخرج فاقد الحياة من الحي المتمكن من أسباب الحياة، وتهب عطائك الواسع من تشاء كما تريد على نظام حكمتك، فلا رقيب يحاسبك، ومن كان هذا شأنه لا يعجزه أن يمنح رسوله وأصفياءه، السيادة والسلطان والغنى واليسار كما وعدهم^(١).

٢٨ - إذا كان الله سبحانه وتعالى هو وحده مالك الملك، ويعز ويذل، ويبيده وحده الخير والخلق والرزق، فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين ولاية عليهم، متجاوزين نصرة المؤمنين. لأن في هذا خذلانا للدين وإيذاء لأهله، واضعافاً للولاية الإسلامية، ومن يسلك هذا المسلك فليس من ولاية الله مالك الملك في شيء، ولا يرضى مؤمن بولايتهم إلا أن يكون مضطراً لذلك، فيتقأ أذاهم بإظهار الولاء لهم. وعلى المؤمنين أن يكونوا في الولاية الإسلامية دائماً وهي ولاية الله. وليحذروا أن يخرجوا إلى غير ولايته، فيتولى عقابهم بنفسه بكتابة الذلة عليهم بعد العزة. وإليه وحده المصير فلا مفر من سلطانه في الدنيا ولا في الآخرة.

٢٩ - قل - أيها النبي - إن تخفوا ما في صدوركم أو نظهروه في أفعالكم وأقوالكم فإن الله يعلمه، ويعلم جميع ما في السموات وما في الأرض ما ظهر منه وما استتر، وقدرته نافذة في جميع خلقه.

٣٠ - فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عملها من الخير معها قل مشاهداً حاضراً، وما اقترفته من سوء تتمنى أن يكون بعيداً عنها بعداً شاسعاً حتى لا تراه استقباحاً له وخوفاً من الوقوع في مغيبته، ويحذركم الله عقابه إذا خرجتم من ولايته التي هي رافة ورحمة بالعباد.

٣١ - قل : إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم الله : فاتبعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه، لأنني مبلغ عن الله، فإن ذلك يحبكم الله به، يثيبكم الله عليه بالاحسان اليكم والتجاوز عن خطاياكم، والله كثير الغفران والرحمة لعباده.

(١) «دورة الحياة والموت هي معجزة الكون وسر الحياة نفسها. والسبات الرئيسية في هذه الدورة ان الماء وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين والأملاح غير العضوية في التربة تتحول بفضل طاقة الشمس والنباتات الخضراء وأنواع معينة من البكتيريا إلى مواد عضوية هي مادة الحياة في النبات والحيوان أما في الشق الثاني من هذه الدورة فتعود هذه المواد إلى عالم الموت في صورة نفايات الأحياء ونواتج أيضها وتنفسها.

ثم في صورة أجسامها كلها عندما تموت وتستسلم لعوامل التحلل البكتيري والكأوى التي تحيلها إلى مواد غير عضوية بسيطة مهياة للدخول في دورة جديدة من دورات الحياة وهكذا في كل لحظة من الزمان يخرج الخالق القدير حياة من الموت وموتاً من الحياة وهذه الدورة المتكررة لا تتم إلا في وجود كائن أودعه الله سر الحياة كبنوة النبات مثلاً.

والآية الكريمة تذكر أولى الالباب بالمعجزة الأولى وهي خلق الحياة من مادة الأرض الميتة ثم تكرار الدورة كما سبق. وهكذا جاء في الآية الكريمة اخراج الحي من الميت سابقاً لاجراء الميت من الحي وهذا هو الاعجاز بعينه.

وَالرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ إِنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٢ - قل : أطيعوا الله ورسوله ، فإن أعرضوا عنك فهم كافرون بالله ورسوله ، والله لا يحب الكافرين .

٣٣ - كما اصطفى الله محمدا لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله ومغفرته ورحمته ، ذكر أنه اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى نوحا بالرسالة ، واصطفى ابراهيم وآله اسماعيل واسحاق والأنبياء من أولادهم ، ومنهم موسى عليهم السلام ، واختار آل عمران واختار منهم عيسى وأمه ، فعيسى جعله الله رسولا لبني إسرائيل ، ومريم جعلها أما لعيسى من غير أب .

٣٤ - اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم وما تكنه صدورهم .

٣٥ - واذكر أيها النبي حال امرأة عمران اذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصا لعبادة الله وخدمة بيته ، قائلة يارب : انى نذرت ما فى بطنى خالصا لخدمة بيتك فاقبل منى ذلك ، انك السميع لكل قول ، العليم بكل حال ،

٣٦ - فلما وضعت حملها قالت معذرة تناجى ربه . انى ولدت أنثى والله عليم بما ولدت ، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذكر . وقالت : انى سميتها مريم وانى أسألك أن تحصنها هى وذريتها من غواية الشيطان الرجيم .

٣٧ - فتقبل الله مريم نذرا لأمرها ، وأجاب دعاءها ، فأنبثها نباتا حسنا ، ورباها فى خيرها ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها ، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقا كثيرا - وكلما دخل عليها زكريا فى معبدها وجد عندها رزقا غير معهود فى وقته . قال متعجبا يا مريم : من أين لك هذا الرزق ؟ قالت : هو من فضل الله ، وجعل زكريا عليه السلام كافلا لها . وكان زكريا بغير عدد ولا إحصاء .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَايِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ ءَابِتُكَ إِلَّا نُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا ۖ وَآذِ كُرَّرَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاتَّجِدِي وَارْتَكَبِي مَعَ الرَّائِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمْنَاهُمْ

٣٨ - لما رأى زكريا عليه السلام ما رآه من نعمة الله على مريم ، اتجه إلى الله ضارعا أن يهبه من فضله وكرمه وبقدرته ولدا ، فهو يسمع دعاء الضارعين ، وهو القدير على الاجابة وإن وقفت الأسباب العادية من شيخوخة أو عقم دون تحقيقها .

٣٩ - فاستجاب الله دعاءه ، فنادته الملائكة وهو قائم في معبده متجها إلى ربه ، بأن الله يبشرك بولد اسمه يحيى ، يؤمن بعيسى عليه السلام الذى سيوجد بكلمة من الله فيكون على غير السنة العامة في التوالد ، ويجعله (أى يحيى) يسود قومه بالعلم والصلاة ، ويعزف عن الشهوات والأهواء ، ويجعله من الأنبياء والصالحين .

٤٠ - ولما سيق اليه هذه البشرى ، اتجه إلى ربه متشوقا إلى معرفة الكيفية التى يكون بها هذا الفلام ، مع عدم توافر الأسباب العادية لكبر سنه وعقم زوجه ورد الله عليه بأنه متى شاء أمرا أوجد له سبيه ، أو خلقه بغير الأسباب المعروفة . فهو يفعل ما يشاء .

٤١ - فدعا زكريا ربه أن يجعل له علامة لتحقق هذه البشرى ، فأجابه الله بأن علامتك أن تعجز عن كلام الناس ثلاثة أيام إلا بالإشارة إليهم بما تريد وثابر على ذكر ربك وتزنيه في المساء والصباح .

٤٢ - واذكر أيها النبي إذ قالت الملائكة يامريم ان الله اختارك لتكوني أم نبيه ، وطهرتك من كل دنس ، وخصك بأموئتك لعيسى بفضل على كل نساء العالمين .

٤٣ - وهذا يامريم يستوجب منك الشكر لربك ، فالزمى طاعته ، وصلى له ، وشاركى الذين يعبدونه ويصلون

أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِيَّاكَ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكَ بِعَاقِبَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ أَنَّىٰ أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُمْ بِعَاقِبَةٍ مِّن

٤٤ - ذلك الذى قصه القرآن عليك يا محمد من الأخبار العظيمة عن اصطفاها الله ، هى من الغيب الذى أوحى الله به إليك . وما كنت حاضرا معهم وهم يقتربون بالسهم ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم ، وما كنت معهم وهم يختصمون فى نيل هذا الشرف العظيم .

٤٥ - اذكر - أيها النبى - إذ بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السنة العادية فى التوالد ، اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وقد خلقه الله ذا مكانة فى الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب ، وفى الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين أولى العزم .

٤٦ - وميزه الله بخصائص ، فكان يكلم الناس وهو طفل فى مهده كلاما مفهوما حكيما ، كما يكلمهم وهو رجل سوى ، من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة . وكان ممن منحهم الله الصلاح .

٤٧ - قالت مريم متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد : من أين يكون لى ولد ولم يمسنى رجل ؟ فذكر الله تعالى لها أن الله يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية ، فإنه إذا أراد شيئا أوجده بتأثير قدرته فى مراده من غير افتقار إلى موجب آخر .

٤٨ - والله يعلم هذا الوليد الكتابة ، والعلم الصحيح النافع ، والتوراة (كتاب موسى) والانجيل الذى أوحاه الله إليه .

٤٩ - ويبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل ، مستدلا على صدق رسالته بمعجزات من الله ، هى أن يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ننفخ فيها فتحل فيها الحياة وتتحرك طائرا بارادة الله ، ويشق بتقدير الله من ولد أعمى فيبصر ، ومن به برص فيزول برصه ، ويعيد الحياة إلى من فقدوها . كل ذلك بإذن الله وإرادته . ويخبرهم بما يدخرون فى بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول لهم ان هذه الآيات التى أظهرها الله على يدى حجة على أن رسالتى حق ان كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به .

رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا مِمَّنْ كَرَّ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنْبِ كَفْرًا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَ بِهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

٥٠ - وأرسلت اليكم مصدقا لشرعية التوراة التي نزلت على موسى ولا يبيح لكم بأمر الله بعض ما حرم عليكم من قبل ، وقد جئتمكم بآية من الله على صدق رسالتي . فاتقوا الله وأطيعوا .

٥١ - لان الله مفيض على وعليكم ألوان احسانه ، فرباني ورباكم ، فأخلصوا العبادة له ، فإن هذا هو الطريق الذي لا عوج فيه .

٥٢ - ولما جاء عيسى عليه السلام ، دعا قومه الى الصراط المستقيم ، فأبى أكثرهم ، فلما علم منهم ذلك اتجه إليهم مناديا : من يناصرني في هذا الحق الذي ادعو إليه ؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبه : نحن نؤيدك وننصرك لأنك داع إلى الله واشهد بأننا مخلصون لله منقادون لأمره .

٥٣ - ونحن نقول : يا ربنا ، صدقنا بكتابك الذي أنزلته على نبيك ، وامتثلنا أمر رسولك عيسى عليه السلام ، فاثبتنا من الشاهدين لرسولك بالتبليغ ، وعلى بنى إسرائيل بالكفر والجحود .

٥٤ - أما المجاهدون فقد دبروا تدبيرا خفيا يحاربون به دعوة عيسى ، فأبطل الله كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا ، والله أحكم المدبرين وأقواهم .

٥٥ - واذكر أيها النبي إذ قال الله يا عيسى اني مستوف أجلك ، ولا أمكن أحدا من قتلك ، واني رافعك إلى محل كرامتي ، ومنجيك من أعدائك الذين قصدوا قتلك ، وجاعل المتبعين لك ، الذين لم ينحرفوا عن دينك ، ظاهرين بالقوة والسلطان على الذين لم يمتدوا بهديك إلى يوم القيامة . ثم إلى مصيركم في الآخرة فأقضى بينكم في الذي تنازعتم فيه من أمر الدين .

٥٦ - فأما المجاهدون ، فأذيقهم عذاب الحزى والتكال بتسليط الأمم عليهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأخزى . وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله .

الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

٥٧ - وأما المهتدون بهدى الله، العاملون على سنن الخير، فيعطيهم الله جزاء أفعالهم وافيا. وشأن الله أنه لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاغين على دعوته واحسانه، ولا يرفع لهم قدرا.

٥٨ - ذلك الذى قصصناه عليك، من الحجج الدالة على صدق رسالتك، وهو من القرآن الكريم، المشتمل على العلم النافع.

٥٩ - ضل قوم فى أمر عيسى، فزعموا أنه ابن الله لأنه ولد من غير أب، فقال الله لهم، ان شأن عيسى فى خلقه من غير أب كشأن آدم فى خلقه من تراب من غير أب ولا أم، فقد صوره وأراد أن يكون فكان بشرا سويا.

٦٠ - هذا البيان فى خلق عيسى هو الصدق الذى بين الواقع بأخبار رب الوجود قدم على يقينك، ولا تكن من الشاكين.

٦١ - فن جادلك بأبها النهى فى شأن عيسى من بعد ما جاءك من خبر الله الذى لا شبهة فيه، فقل لهم قولا يظهر علمك اليقنى وباطلهم الزائف، تعالوا يدع كل منا ومنكم أبناءه ونسائه ونفسه، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب فى أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله.

٦٢ - وذلك هو الحق الذى لا مرية فيه، فليس فى الوجود إله إلا الله الذى خلق كل شئ وأنه هو المنفرد بالعزة فى ملكه والحكمة فى خلقه.

٦٣ - فإن أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم، ولم يرجعوا عن ضلالاتهم فهم المفسدون، والله عليهم بهم.

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ مُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَآذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَابَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ

٦٤ - قل - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ عَادِلَةٍ جَامِعَةٍ تَجْرَى بَيْنَنَا وَنَذْكُرُهَا عَلَى السَّوَاءِ ، وَهِيَ أَنْ نَخْصِ اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَلَا نَجْعَلَ غَيْرَهُ شَرِيكًا لَهُ فِيهَا ، وَلَا نَطْبِعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَنِنْقَادَ لَهُ فِي تَحْلِيلِ شَيْءٍ أَوْ تَحْسِرِهِ ، تَارِكًا حُكْمَ اللَّهِ فِيمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ ، فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْحَقَّةِ فَقُولُوا لَهُمْ : اشْهَدُوا بِأَنَّا مُنْقَادُونَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ ، مُخْلِصُونَ لَهُ الدِّينَ لَا نَدْعُو سِوَاهُ .

٦٥ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَاذَا تَتَنَازَعُونَ وَتُجَادِلُونَ فِي دِينِ إِبْرَاهِيمَ : كُلُّكُمْ يَدْعِي أَنَّهُ عَلَى دِينِهِ . فِي حِينِ أَنْ إِبْرَاهِيمَ سَابِقٌ فِي الْوُجُودِ عَلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِشَرِيعَةٍ خَاصَّةٍ ، وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا . أَلَيْسَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تَدْرِكُونَ بِهَا بَطْلَانَ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يَنْقَاضُ الْوَاقِعُ ؟

٦٦ - هَآأَنْتُمْ يَا هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ فِي أَمْرِ عِيسَى وَمُوسَى الَّذِي لَكُمْ بِهِ مَعْرِفَةٌ - كَمَا تَزْعُمُونَ - فَكَيْفَ تُجَادِلُونَ فِي كَوْنِ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَلَيْسَ لَكُمْ بِذَلِكَ عِلْمٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَا تَتَنَازَعْتُمْ فِيهِ ، وَأَنْتُمْ لَا عِلْمَ لَكُمْ بِذَلِكَ .

٦٧ - إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ عَلَى دِينِ الْيَهُودِ وَلَا عَلَى دِينِ النَّصَارَى ، وَلَكِنْ كَانَ مُنْصَرَفًا عَنِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ ، مُنْقَادًا لِلَّهِ ، مُخْلِصًا فِي طَاعَتِهِ وَمَا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَشْرُكُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرِهِ فِي الْعِبَادَةِ .

٦٨ - إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْإِتْسَابِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ لِلَّذِينَ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَاهْتَدَوْا بِهَدْيِهِ فِي زَمَنِهِ ، وَكَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ وَهُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ وَيَنْصُرُهُمْ لِأَنَّهُمْ أَوْلِيَآؤُهُ ، وَيُجَازِيهِمُ بِالْحَسَنَى وَزِيَادَةٍ .

٦٩ - إِنْ فَرِيقًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَتَمَنُونَ اضْلالَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَتَنَتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ ، بِالْقَاءِ الشَّبهِ الَّتِي تُوَهِّنُ الْإِعْتِقَادَ . وَهُمْ فِي عَمَلِهِمْ هَآذَا لَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ بِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الضَّلَالِ الَّذِي يَحْبِقُ بِهِمْ وَحُدُومِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ عَاقِبَةَ سَعْيِهِمْ هَآذَا لَاحِقَةٌ بِهِمْ وَلَا تَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ .

تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ إِلَىٰ شِيءٍ لَّا يَمَنُّ بِدِينِكَ قُلْ إِنَّا لَهْدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّا لَفَضْلٌ بِّدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأْمَنُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُؤْذِهِ ۚ إِلَيْكَ لَمَّا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّةِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

٧٠ - يا أهل الكتاب لم تكذبون بآيات الله المنزل الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ : وأنتم تعلمون أنها حق .

٧١ - يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق الذي جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب بالشبهات الواهية ، والتأويلات الباطلة ، ولا تذيعون الحق صريحاً واضحاً بعيداً عن التخليط ، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظيم .

٧٢ - وأن أهل الكتاب - في سبيل اضلال المؤمنين - قالوا لآخوانهم آمنوا بالقرآن الذي نزل على محمد واتبعه فيه المؤمنون أول النهار ، واكفروا في آخره . لعلكم تستطيعون بهذا فتنهم بيت الريب والشك فيهم ، فيرجعوا عن دينهم .

٧٣ - وقالوا أيضاً : لا تدعونا إلا لمن تبع دينكم ، خشية أن يدعى أحد أنه أوفى مثل ما عندكم ، أو يحتاج عليكم بأذعانكم عند ربكم ، قل لهم أيها النبي - ان الهدى ينزل من عند الله ، فهو الذي يفيض به ويختار له من يشاء وقل لهم - أيها النبي - ان الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده ، وهو واسع الفضل ، عليم بمن يستحقه ومن ينزله عليه .

٧٤ - فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة ، ومن خصه بذلك فانما هو محض فضله ، والله صاحب الفضل العظيم ، لا ينازعه فيه غيره ، ولا يحجر عليه في عطائه .

٧٥ - هذا سلوك أهل الكتاب في الاعتقاد أما سلوكهم في المال ، فنهى من ان استأمنته على قنطار من الذهب أو الفضة أداه اليك لا ينقص منه شيئاً ، ومهم من ان استأمنته على دينار واحد لا يؤديه اليك إلا اذا لازمته وأخرجته ، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أميون ، وأنهم لا ترعى لهم حقوق ، ويدعون أن ذلك حكم الله ، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى .

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَأْمِنُهُمْ مِمَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

٧٦ - حقا لقد افترضوا على الله الكذب ، فإن من أدى حق غيره ووفاه في وقته كما عاهده عليه وخاف الله فلم ينقص ولم ياطل ، فإنه يفوز بحبة الله لأنه اتقاها (١) .

٧٧ - إن الذين يتركون عهد الله الذي عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات ، ويتركون إيمانهم التي أقسموا بها على الوفاء - فمن قليل من أعراض الدنيا معها عظم في نظرهم لا نصيب لهم في متاع الآخرة ، ويعرض عنهم ربهم ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة ، ولا يغفر لهم آثامهم ، ولهم عذاب مؤلم مستمر الإيلام .

٧٨ - وإن من هؤلاء فريقا يميلون الستهم فينطقون بما ليس من الكتاب ، يحاولون أن يكون شبيها له ، ليحسبه السامع من الكتاب وما هو منه في شيء ، ويدعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحي في شيء وهم بهذا يكذبون على الله ، وهم في أنفسهم يعلمون أنهم كاذبون .

٧٩ - وما كان معقولا ولا سائغا لبشر ينزل الله عليه الكتاب ، ويؤتيه العلم النافع والتحدث عن الله - أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله .

ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذي خلقهم بمقتضى ما علمهم من علم الكتاب وما يدرسون منه .

٨٠ - ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أربابا من دون الله ، وإن ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن صرتم مسلمين وجوهكم لله .

(١) توجب الآية الوفاء بالعهد وفي الوفاء بالعهد آيات أخرى سبقت فيها (٢٧) من سورة « البقرة » ولقد اتهم الاسلام والمسلمون بأنهم لا يراعون العهد ولا يقصدون معاهدة الحاجة مؤقتة وينقضونها كلما حانت لهم الفرصة وقد مر الرد على هذه الفرية ومن جوامع كلم الامام علي بن ابي طالب ما ورد في كتابه للاشتر النخعي - وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس أنشد اجتماعا عليه مع تفرق أهوانهم من تعظيم الوفاء بالمهود فلا تغدرن بذمتك وتحت بعهدك ..

وحدث ان احد قواد المسلمين رد الى معاهديه الجزية التي اقتضاها عماله منهم لما أحس بعدم قدرته على الدفاع عنهم وكان ذلك شرطا من شروط العهد .

وَلَنَنْصُرَنَّكَ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ ۖ إِنصِرُوا لِلْأَمْرِ الَّهِ ۚ إِنَّهُ سَوْدٌ لَّكُمْ ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ

٨١ - واذكر لهم أيها النبي أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أنزل عليه الكتاب وآتاه العلم النافع ، انه إذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤمنن به وينصرنه . وأخذ الاقرار من كل نبي بذلك العهد ، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم ، وبلغوه لأمتهم ، إن ذلك العهد يوجب عليهم الايمان والنصرة ان ادرکوه وإن لم يدركوه ، فحق على أمتهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعا لما التزم به أنبياءهم .

٨٢ - فن أعرض عن الايمان بالنبي بعد هذا الميثاق المؤكد ، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله ، الكافر بالأنبياء أولهم وآخرهم .

٨٣ - أبطلون دينا غير دين محمد وهو دين الأنبياء - وهو وحده دين الله - الذي خضع له كل من في السموات والأرض طوعا بالارادة والاختيار ، أو كرها بالخلق والتكوين ، وإليه وحده يرجع الخلق كله .

٨٤ - أكد الله وحدة الألوهية والرسالة ، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدقنا بالله المعبود وحده ، ومرسل رسله ، وآمنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشرعة ، وما نزل من كتب وشرائع على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الاثني عشر ، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الانجيل ، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق في الايمان بين أحد منهم . ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله .

٨٥ - فن يطلب بعد مبعث محمد ﷺ دينا وشرعة غير دين الاسلام وشريعته ، فلن يرضى الله منه ذلك ، وهو عند الله في دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم .

٨٦ - إن الله لا يوفق قوما شهدوا بأن الرسول حق ، وجاءتهم الأدلة على ذلك ، ثم بعد ذلك كفروا به ، وجمعزاته ، فكان ذلك ظلما منهم ، والله لا يوفق الظالمين .

أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٠﴾ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩١﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِيَئْسَ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ الْتَّورَةُ ؕ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٢﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى

٨٧ - أولئك عقوبتهم عند الله ، استحقاق غضبه عليهم ، ولعنته ، ولعنة صفوة الخلق جميعا من ملائكة وبشر .

٨٨ - لا تفارقهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يهلون .

٨٩ - لكن الذين أقلعوا عن ذنوبهم ، ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا ، فإن الله تعالى يفر لهم برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية .

٩٠ - وأن قبول التوبة والرحمة بالغفران ، شرطها الاستمرار على الإيمان ، فالذين يجحدون الحق بعد الازعان والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جحودا وفسادا وإيذاء للمؤمنين ، فلن يقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لأنها لا يمكن أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنه .

٩١ - وإن الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى ماتوا وهم جاحدون ، فلن يستطيع أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله سبحانه وتعالى شيئا ، ولو كان الذي يقدمه فدية له ، ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع ، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام .

٩٢ - لن تنالوا أيها المؤمنون الخير الكامل الذي تطلبونه ويرضاه الله تعالى ، إلا إذا بذلتم مما تحبون وأنفقتموه في سبيل الله المتنوعة ، وأن الذي تنفقونه قليلا أو كثيرا ، نفيسا أو غيره ، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

٩٣ - اعترض اليهود على استحابة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الابل وألبانها ، وادعوا أن ذلك حرمة شريعة ابراهيم . فرد الله سبحانه دعواهم ببيان أن تناول كل المطعومات كان مباحا لى يعقوب من قبل نزول التوراة ، إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم . وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة ابراهيم تحرم ذلك ان كانوا صادقين ، فعجزوا وأفحموا .

اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

٩٤ - وإذ ثبت عجزهم ، فن اختلق منهم الكذب على الله من بعد لزوم الحجة فهم المسترون على الظلم المتصفون به حقا .

٩٥ - وبعد تعجزهم أمر الله النبي أن يبين لهم أنه بعد افحامهم ثبت صدق الله فيما أخبر ، فاتبعوا شريعة ابراهيم التي يدعوكم اليها وتكذبون عليها ، فهذا بعيد عن الأديان الباطلة ، فليس من أهل الشرك بالله .

٩٦ - وإن من اتباع ملة ابراهيم ، الاتجاه في الصلاة إلى البيت الذي بناه والحج إليه ، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر : ان أول بيت في القدم والشرف جعله الله متعبدا للناس هو الذي في مكة ، وهو كثير الخيرات والبركات ، وأودع الله سبحانه وتعالى البركة فيه ، وهو مكان هداية الناس بالحج والاتجاه في الصلاة إليه^(١) .

٩٧ - وفيه دلائل واضحات على حرمة ومزيد فضله ، منها مكان قيام ابراهيم للصلاة فيه ، ومن دخله يكون آمنا لا يتعرض له بسوء ، وحج هذا البيت واجب على المستطيع من الناس ، ومن أبى وتمرد على أمر الله وجحد دينه ، فالحسran عائد عليه ، وإن الله غنى عن الناس كلهم .

٩٨ - أمر الله سبحانه وتعالى رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال : قل لهم : يا أهل الكتاب لا وجه لكفركم ، فلأى سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوة محمد وصدقه ، والله مطلع على أفعالكم وبجازيكم عليها .

٩٩ - يا أهل الكتاب كيف تحاولون صرف من آمن بالله ورسوله وأذعن للحق عن سبيل الله الحق المستقيمة ، وتحاولون أن تصورها معوجة ، وأنتم عالمون أنها حق ، وليس الله غافلا عن أعمالكم وسيجازيكم عليها .

(١) « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة الكعبة أول بيت وضع للناس لعبادة الله الواحد القهار بينا بقية الشعوب والقبائل في سائر انحاء الارض كانوا يبنون البيوت لعبادة الاصنام والتمائم والمصريين كانوا يعبدون آلهة متعددة تارة في وقت واحد وتارة في أوقات متعددة . فن عبادة الشمس الى عبادة الصور الى عبادة الآلهة الثلاثة اوزيريس واوزيس وابنتها حوريس وأقاموا لذلك التماثيل . وكان الاشوريون يعبدون بعل مشموش . أى اله الشمس ويصنعون له صنعا على نحو أبى الهول له رأس انسان وجسم أسد وله أجنحة . وكان الكنعانيون يعبدون البعل وهو على وصف أبى الهول ولا يزال تمثال الكنعانيين موجودا . وان كان مشوها حتى اليوم بيمبلك . وبكة هى عين مكة . ومن المعلوم ان بعض القبائل العربية تبدل الباء ميما وبالعكس . فيقولون مكان (بكان) وفى بكر (مكر) وتوجد فى بعض جهات الاقليم الجنوبى الصعيد من جمهورية مصر العربية أثر من ذلك حتى اليوم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُشْكِنُ عَلَيْنَا ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِكَرُ رَسُولِهِ ۖ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُم إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا ۖ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ

١٠٠ - وقد حذر الله المؤمنين مما يثيره بعض أهل الكتاب من شبهة قائلا : ان تطيعوا بعض أهل الكتاب فيما يثبتونه من الشبهة في دينكم ، تعودوا إلى الضلال بعد الهداية ، ويردوكم جاحدين بعد الايمان .

١٠١ - وتصوروا حالكم العجيبة وأنتم تضلون وتكفرون بعد الايمان ، والقرآن يتلى عليكم ، ورسول الله بينكم ، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم ، ومن يلجأ إلى ربه ويستمسك بدينه فنعم ما فعل ، فقد هداه ربه إلى طريق الفوز والفلاح .

١٠٢ - وإن باب النار مفتوح إذا لم تتقوا الله ، فيا أيها الذين آمنوا خافوا الله الخوف الواجب بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات ، ودوموا على الاسلام حتى تلقوا الله .

١٠٣ - وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه ، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقنكم ، وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم في الجاهلية متعادين ، فألف بين قلوبكم بالاسلام فصرتم متحابين - وكنتم بسبب كفركم وتفرقكم على طرف حفرة من النار فخلصكم منها بالاسلام ، بمثل ذلك البيان البديع بين الله لكم دائما طرق الخير لتدوموا على الهدى .

١٠٤ - وان السبيل للاجتماع الكامل على الحق في ظل كتاب الله ورسوله ، أن تكونوا أمة يدعون إلى كل ما فيه صلاح ديني أو دنيوي ، ويأمرون بالطاعة ، وينهون عن المعصية ، أولئك هم الفائزون فوزا كاملا .

١٠٥ - ولا تكونوا بإهمالكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يجمعانكم على الخير والدين الحق ، كأولئك الذين أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتفرقوا شيعا ، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الحجج الواضحة المبينة للحق ، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم .

وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ
فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يُضِلُّوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِقَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً

١٠٦ - ذلك العذاب العظيم في اليوم الذي تبيض بالسرور فيه وجوه المؤمنين ، وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين ، ويقال لهم توبيخا : أكفرتم بعد أن فطرتم على الايمان والاذعان للحق وجاءكم البينات عليه ، فذوقوا العذاب بسبب كفركم .

١٠٧ - وأما الذين ابيضت وجوههم سرورا ، ففي الجنة التي رحمهم الله بها هم فيها خالدون .

١٠٨ - وإن تلك الآيات الواردة بجزاء المحسن والمسي تلتوها عليك مشتملة على الحق والعدل ، وما الله يريد ظلما لأحد من الناس والجن .

١٠٩ - والله وحده ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتصرفا وإليه مصير أمورهم ، فيجأزي كما يستحقه .

١١٠ - أنتم يا أمة محمد أفضل أمة خلقها الله لنفع الناس ، مادمت تأمرون بالطاعات وتنهون عن المعاصي ، ومؤمنون بالله ايمانا صحيحا صادقا ، ولو صدق أهل الكتاب في إيمانهم مثلكم لكان خيرا لهم بما هم عليه ، ولكن منهم المؤمنون وأكثرهم خارجون عن حدود الايمان وواجباته .

١١١ - لن يضرركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به ، ويكون له أثر فيكم ، وإن كان قد يحصل منهم أذى لا يبق له أثر ، وإن يقاتلوكم يهزموا فارين من لقاءكم ، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم مادمت متمسكين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١١٢ - وأخبر سبحانه بأنه الزمهم المهانة في أى مكان وجدوا فيه ، إلا بعقد الذمة الذي هو عهد الله وعهد المسلمين . وأنهم استوجبا غضب الله والزمهم الاستكانة والخضوع لغيرهم ، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة محمد ، ورضاهم من قبل بقتل الأنبياء الذي لا يمكن أن يكون بحق ، بل هو عصيان منهم واعتداء .

مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا
مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْعًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُبْنُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِمُحِبِّيهِمْ وَلَا يُمِيزُونَ بِالْكِتَابِ كُلَّهُ وَإِذَا لَقُوكُمْ

١١٣ - وان أهل الكتاب لبسوا متساوين ، فإن منهم جماعة مستقيمة عادلة يقرءون كتاب الله في ساعات الليل وهم يصلون .

١١٤ - ويصدقون بوجود الله ووحدانيته وبالرسل - لا يعبدون الا الله - وبعسى يوم القيامة ويأمرهم بالطاعات وينهون عن المعاصي ، ويبادرون إلى فعل الخيرات ، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين .

١١٥ - وما يفعلوا من خير فلن يحرموا ثوابه والله محيط بأحوالهم ومجازيهم عليها .

١١٦ - إن الذين كفروا ، لن تدفع عنهم أموالهم لو اقتدوا بها أنفسهم ، ولا أولادهم لو استعانوا بهم شيئاً ولو يسيراً من عذاب الله في الآخرة . وهؤلاء الملازمون للنار ، الباقون فيها .

١١٧ - إن حال ما ينفقه الكفار في الدنيا صدقة أو قرية في ضياعه في الآخرة ، كحال زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ، أصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم . وما ظلمهم الله بضياع أجور أعمالهم ، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما أوجب ضياعها ، وهو جحود دلالات الايمان والكفر بالله .

١١٨ - يا أيها الذين آمنوا : لا تتخذوا أصفياء تستعينون بهم من غير أهل دينكم ، تطلعونهم على أسراركم ، لأنهم لا يقصرون في إفساد أموركم . إذ هم يودون أن يرهقوكم ويضروكم أشد الضرر . وقد ظهرت أمارات البغضاء لكم من فلتات الستهم ، وما تضره قلوبهم أعظم مما بدا قد أظهرنا لكم العلامات التي يتميز بها الولي من العدو ان كنتم من أهل العقل والادراك الصحيح .

قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰ عُنُقِكُمْ ۖ الْآنَ لِمَنِ الْأَمَلُ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾
 إِنْ تَمَسَّكُ حَسَنَةً نَّسُومُهَا وَإِنْ تَصْبِرْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾
 وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾
 إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾
 وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾
 إِذْ يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَ رَبُّكُمْ ثَلَاثَةَ آلِ فِرْعَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَتَرِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلِ فِرْعَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

١١٩ - هأنتم أولاء أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة أو مودة ، ولا يحبونكم لتعصبيهم لدينهم ، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزل ، وإذا لقوكم أظهروا الإيمان خداعا لكم ، وإذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظا وأسفا . قل أيها النبي : دوموا على غيظكم إلى الموت ، وأن الله عليم بما تخفيه الصدور ، ويجازيكم عليه .

١٢٠ - إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة - تحزنهم ، وإن تصيبكم مساء كجذب وهزيمة يسروا باصابتكم ، وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيتهم عنه من موالاتهم ، لا يضركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر ، لأنه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد فلا يعجزه رده عنكم .

١٢١ - واذكر أيها النبي حين خرجت مبكرا من عند أهلك إلى أحد قاصدا إنزال المؤمنين في مراكز القتال والله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم .

١٢٢ - حين خطر لطائفتين من المؤمنين أن تفشلا وترجعا ، فعصمهم الله فثبتوا ومضوا للقتال لأنه متولى أمرها بالعصمة والتوفيق ، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة ، وليتوكلوا عليه لينصرهم .

١٢٣ - ذكر الله المؤمنين بنعمة النصر في غزوة بدر (١) حين صبروا ، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة ، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمة .

١٢٤ - وكان النصر حين قال الرسول للمؤمنين : أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ فِي طَمَآنِينَةِ أَنْفُسِكُمْ إِيَّانَا رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسَلِينَ من عند الله لتقويتكم .

(١) « بدر على مسيرة نحو ١٢٠ ميلا من الجنوب الغربي للمدينة وكان اللقاء فيها بين المسلمين وقريش في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من رمضان من السنة الثانية للهجرة (١٣ مارس سنة ٦٢٤ من الميلاد المسيحي) وكان خروج النبي ﷺ في أصحابه من المدينة ثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة (٥ مارس سنة ٦٢٤ للميلاد المسيحي) وكان عدد المقاتلين من المسلمين . . في هذه الغزوة ثلاثمائة رجل أو يزيدون قليلا ، وعدد المشركين ثلاثة أمثالهم وقد أنجز الله في هذه الغزوة وعده وكان النصر مالا تفعله القوة المادية . وكان النصر المبين في هذه الغزوة سببا في أن صارت كلمة الإيمان هي العليا إذ كانت مقبلة لانتصارات بعدها زامت ظل الاسلام إلى الجزيرة العربية كلها . ثم لما وراها بعدها .

مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَاسِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أضعافاً مضاعفةً ۖ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

١٢٥ - بل يكفيكم ذلك الامداد ، وان تصبروا على القتال ، وتلتزموا ، التقوى ، ويأتكم أعداؤكم على الفور يزد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم .
١٢٦ - وما جعل الله الامداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ، ولتسكن به قلوبكم ، وليس النصر إلا من عند الله الغالب الذى يضع الأشياء فى مواضعها ، ويدبر الأمور لعباده المؤمنين .
١٢٧ - وقد نصركم ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل ، أو ينلهم ويغيظهم بالهزيمة والعار والخسزى ، فيرجعوا خائبين .

١٢٨ - ليس لك من التصرف فى أمر عبادى شئ ، بل الأمر لله ، فاما أن يتوب عليهم بالايان ، أو يعذبهم بالقتل والخسزى والعذاب يوم القيامة لأنهم ظالمون .
١٢٩ - ان الله وحده ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا . وهو القادر على كل شئ ، وفى يده كل شئ ، يغفر لمن يريد له المغفرة ، ويعذب من يريد تعذيبه ، ومغفرته أقرب ، ورحمته أرجى لأنه كثير المغفرة والرحمة .
١٣٠ - يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا فى الدين إلا رهوس أموالكم ، فلا تزيدوا عليها زيادة تجس سنة بعد أخرى فتتضاعف وخافوا الله ، فلا تأكلوا أموال الناس بالباطل ، فانكم تفلحون وتفوزون باجتناكم الربا قليلا وكثيره (١) .

١٣١ - واحذروا النار التى هيئت للكافرين باجتنا ما يوجبها من استغلال الربا .
١٣٢ - وأطيعوا الله والرسول فى كل أمر ونهى لترحموا فى الدنيا والآخرة .
١٣٣ - وبادروا بالأعمال الصالحة ، لتناووا مغفرة عظيمة لذنوبكم من الله مالك أمركم ، وجنة واسعة عرضها كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون الله وعذابه .

(١) وصف الربا بأنه اضعاف مضاعفة وهذا يدعو إلى الكلام من الناحية الاقتصادية عن الربا فالربا نوعان - ربا النسبة وهو ما حرم بالنص القرآنى وضابطه كل قرض جرنعا للمقرض فى مقابل النسبة أى التأخير سواء كانت المنفعة نقدا أو عينا كثيرة أو قليلة لا كما ذهب إليه القوانين الوضعية من جعل الربا جائزا فى حدود معينة ٦٪ مثلا .

أما الربا الفضل فهو بيع ربوى بمثل أو زيادة كاردب قح جيد ياردب وكيلتين باتفاق الطرفين ويكون فى المطعومات التى تخرج منها الزكاة وفى النقدية وتحريمه ثابت بالحديث الشريف الذى مر ذكره بمحدث آخر عن ابن عمر (لا تبيعوا الذهب بالذهب الا مثلا بمثل ولا تبيعوا الورق الا مثلا بمثل سواء اتى اخشى عليكم الرماء أى الربا) وبعض العلماء يرى أن الاول هو المحرم مؤكدا بنص القرآن لانه هو الربح المركب الذى يؤكل به الربا اضعافا مضاعفة واما ربا الفضل فضرره قليل ولم يحرم بالحديث لذاته لانه قد يجرى الى ربا النسبة وذلك من باب سد الذرائع فهو يباح عند الضرورة والحاجة والربا من الناحية الاقتصادية من أخطر الوسائل على الثروة والانتاج لانه وسيلة الى كز النقد والاستكثار منه دون عمل سوى الاتجار به مع أنه فى الاصل لم يوجد الا كواسطة تقدم بها المنتجات والحاصلات حتى يمكن التبادل عليها وتقييمها بالنسبة لبعضها البعض وديانة اليهود تحرمه بين اليهودى واليهودى وانما احلوه مع الآخرين لمصلحتهم وللأضرار بالآخرين والتحكم فى الاقتصاد الدولى بشئ ما يصنعون .

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ ۖ وَلَا يُمْسِكُوا عَلَيْهِمْ ۚ فَتَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

١٣٤ - الذين ينفقون أموالهم ارضاء لله في أحوال الرخاء واليسر، والقدرة والضعف، والعسر، ويحبسون أنفسهم عن أن يؤدي غيظهم إلى إنزال عقوبة بمن أساء إليهم خاصة، ويتجاوزون عن المسيء، انهم بهذا يعدون محسنين، والله تعالى يثبت المحسنين ويرضى عنهم.

١٣٥ - والذين إذا فعلوا خطيئة كبيرة، أو تحملوا ذنبا صغيرا، تذكروا الله وجلاله، وعقابه وثوابه، ورحمته ونعمته، فندموا، وطلبوا مغفرته، وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه.

١٣٦ - أولئك المتصفون بهذه الصفات أجبرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك أمرهم، وجنات تجري الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها. ونعم ذلك ثوابا للعاملين بأمر الله.

١٣٧ - قد مضت من قبلكم أيها المؤمنون سنن الله في الأمم المكذبة، بامهالهم، ثم أخذهم بذنوبهم، فتأملوا كيف كان عاقبة أمر المكذبين.

١٣٨ - وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله في الماضين، فيه بيان للناس وارشاد لهم إلى طريق الخير وزجر عن طريق الشر.

١٣٩ - ولا تضعفوا عن الجهاد في سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه، ولا تحزنوا على من يقتل منكم، وأنتم بتأييد الله وإيمانكم، وقوة الحق الذي تدافعون عنه، الأعلون، ولكم الغلب ان صدق إيمانكم ودمتم عليه.

الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْفَكُ عَنْ أَفْعَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كُتِبَ مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٠ - إن يكن قد مسكم « بأحد » قتل أو جراح عميقة في أجسامكم ، وأثرت في نفوسكم ، فلا تنهوا ولا تحزنوا ، لأنه قد أصاب خصومكم مثله يوم بدر . وإن أوقات النصر يصرفها الله بين الناس ، فيكون النصر لهؤلاء أحياناً ولأولئك أخرى ، اختباراً للمؤمنين ، ولِيُمِيزَ الله الثابتين على الايمان وليكرم قوما بالاستشهاد في سبيله ، والله لا يحب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم .

١٤١ - وينق الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين ، ويطهرهم من مرضى القلوب وضعفاء الايمان ، ودعاة الهزيمة والتردد ، ويستأصل بذلك الكفر وأهله .

١٤٢ - لا تظنوا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة دون أن يتبين منكم المجاهدون الصابرون الذين تطهرهم المحن والشدائد .

١٤٣ - لقد كنتم تطلبون الموت في سبيل الله من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله ، فقد رأيتم الموت حين قتل اخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون .

١٤٤ - لما أشيع قتل محمد في غزوة أحد ، هم بعض المسلمين بالارتداد فأنكر الله عليهم ذلك قائلاً : ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله ، وسيموت كما ماتوا ، وسيمضي كما مضوا ، فإن مات أو قتل رجعتكم على أعقابكم إلى الكفر ، ومن يرجع إلى الكفر بعد الايمان فلن يضر الله شيئاً من الضرر ، وإنما يضر نفسه بتعريضها للعذاب ، وسيثيب الله الثابتين على الاسلام الشاكرين لنعمه .

١٤٥ - لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله ، وقد كتب الله ذلك في كتاب مشتمل على الآجال . ومن يرد منافع الدنيا يؤته منها ، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها ، وسيجزي الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره .

وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ ۖ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۖ إِذْ تَحْسُونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَسِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ وَاصْتَبْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

١٤٦ - وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم ، فاجتبت قلوبهم ولا فترت عزائمهم ، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم في سبيل الله ، لأنهم في طاعته والله يثيب الصابرين على البلاء .

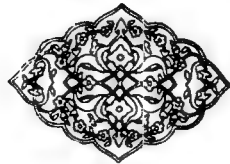
١٤٧ - وما كان قولهم عند شدائد الحرب إلا أن قالوا : ربنا تجاوز عما يكون منا من صفائر الذنوب وكبائرهما ، وثبتنا في مواطن الحرب وانصرنا على أعداء دينك ، الكافرين بك وبرسالة رسلك .

١٤٨ - فأعطاهم الله النصر والتوفيق في الدنيا ، وضمن لهم الجزاء الحسن في الآخرة ، والله يثيب الذين يحسنون أعمالهم .

١٤٩ - يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه ، فيما يدعونكم إليه من قول أو فعل ، يقلبكم إلى الكفر فتخسروا الدنيا والآخرة .

١٥٠ - والله هو ناصركم ، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين .

١٥١ - ولا يضعفكم ما أصابكم يوم أحد فسنقذف الخوف ، والفرع في قلوب أعدائكم ، لاشراكهم بالله آلهة لم ينزل الله بعبادتها حجة ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، ومستقرهم النار في الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاما .



وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلَوْنِ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُثْرِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَيْرِ لَكِبَلٍ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِّنْكُمْ يَوْمَ

١٥٢ - وان نصر الله محقق واقع ، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم أول الأمر بإرادته ، حتى إذا ضعف رأيكم في القتال ، واختلفتم في فهم أمر النبي اياكم بالمقام في مراكركم ، فرأى بعضكم ترك موقفه حيث ظهر النصر ، ورأى البعض البقاء حتى النهاية ، وعصى فريق منكم أمر الرسول فضى لطلب الغنيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر ، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا ، ومنكم من يريد ثواب الآخرة ، لما كان ذلك ، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم ، ليتمحنكم فيظهر المخلص من غيره ، ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم . والله ذو الفضل عليكم بالعفو وقبول التوبة .

١٥٣ - اذكروا أيها المؤمنون حالكم وقت أن كنتم تبعدون في الأرض هاربين ، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب ، والرسول يناديكم من ورائكم لترجعوا ، فجازاكم الله حزنا غامرا كالغمة ، توالى على نفوسكم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة ، والله عليم بمقاصدكم وأعمالكم .

١٥٤ - ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغم نعمة أمن ، وكان مظهرها نعاسا يغشى فريق الصادقين في إيمانهم وتفويضهم لله ، أما الطائفة الأخرى فقد كان همهم أنفسهم لا يعنون إلا بها ، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية ، يقولون مستنكرين : هل كان لنا من أمر النصر الذي وعدنا به شيء ؟ قل - أيها النبي - الأمر كله في النصر والهزيمة لله ، يصرف الأمر في عباده ان اتخذوا أسباب النصر ، أو وقعوا في أسباب الهزيمة . وهم إذ يقولون ذلك يخفون في أنفسهم أمرا لا يبديونه . إذ يقولون في أنفسهم لو كان لنا اختيار لم نخرج قلم نقلب . قل لهم . لو كنتم في منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا إلى مصارعهم فقتلوا . وقد فعل الله ما فعل في أحد لمصالح جهة ، ليختبر ما في سرائركم من الاخلاص وليظهر قلوبكم ، والله يعلم ما في قلوبكم من الخفايا علما بليغا .

الَّتِي الْجَحَمَانِ إِنَّمَا أَسْتَرْهُمْ الشَّيْطَانُ بَعْضُ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَنَازِلُهُمْ إِنَّمَا يُنْصِرُكُمْ مِنَ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ

١٥٥ - إن الذين انصرفوا منكم عن الثبات في أماكنهم - يامعشر المسلمين - يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد ، انما جرهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول ، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم .

١٥٦ - يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا في شأن إخوانهم إذا أبعدوا في الأرض لطلب العيش فاتوا أو كانوا غزاة فقتلوا ، لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة في قلوبهم ، والله هو الذي يحيى ويميت ، ويبدد مقادير كل شيء ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر ، وبمازيكم عليه .

١٥٧ - ولئن قتلتم في الجهاد أو مِتُّم في أثناءه ، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم ، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم .

١٥٨ - ولئن مِتُّم أو قتلتم في الجهاد فلن تضعي أعمالكم ، بل ستحشرون إلى الله فيثيبكم على جهادكم وإخلاصكم .

١٥٩ - كان رحمة من الله بك وبهم أن لنت لهم ولم تغلظ في القول بسبب خطئهم ، ولو كنت جاني المعاملة قاسي القلب ، لتفرقوا من حولك ، فتجاوز عن خطئهم ، واطلب المغفرة لهم ، واستشرهم في الأمر متصرفاً آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى ، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه متوكلاً على الله ، لأن الله يحب من يفوض أموره إليه (١) .

١٦٠ - إن يؤيدكم الله بنصره - كما حصل يوم بدر - فلن يغلبكم أحد - وإن قدر لكم الخذلان لعدم اتخاذكم أسباب النصر - كما حصل يوم أحد فلا ناصر لكم سواه ، وعلى الله وحده يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه .

(١) الشورى أصل أصيل وركن ركين في الاسلام ولقد قيل ماخاب من استخار ولا ندم من استشار والقرآن على نهجه في التشريع يشرع كبريات الاسس والقواعد ويدع التفاصيل للجماعة بحسب ظروف الزمان والمكان فقد يكون النظام النيابي في الحكم والنشورى صالحاً لبلاد معينة كإنجلترا وفرنسا بحيث يكون رجال الحكومة مسئولين أمام البرلمان . لانهم نشأوا على ذلك ومرجع الأمر عندهم تاريخى يتفق مع البيئة التي هم فيها . وقد يكون نظام الحكم الرئاسى وفيه نوع كبير من الشورى مناسباً لبلاد الولايات المتحدة لما تنبىه من نهوض سريع وعدم تعويق التقدم والرق يسقوط الوزارات كما هو حادث في فرنسا البرلمانية حيث لم تكن الوزارة قبل الحرب الاخيرة لتبقى اكثر من ثلاثة أشهر وقد تكون الشورى على نظام وسط بين الرئاسى والبرلمان كما هو الحال في جمهورية مصر العربية ؟

فكل دولة وكل جماعة لها اثر تسن طريق الشورى وفق ظروفها أو تاريخها وبيئتها والمهم ان مبدأ الشورى يكون موجوداً خشية تسلط الفرد وتحكمه وطغيانه ولذلك اكتب القرآن بالنص على المبدأ منذ أربعة عشر قرناً سابقاً بذلك كل المدينيات المصرية التي تشدق بالحرية .

بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانِ اللَّهِ كُنْ بَاءً بِسَخِطِ
مِنْ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلَ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَأَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَثْكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ

١٦١ - ما صح لني أن يخون في المغنم كما أنشاع المنافقون الكذابون ، لأن الخيانة تنافي النبوة ، فلا تظنوا به ذلك ، ومن يخن يأت يوم القيامة باثم ما خان فيه ، ثم تعطى كل نفس جزاء ما عملت وأفيا ، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب .

١٦٢ - ليس من سعى في طلب رضا الله بالعمل والطاعة ، مثل الذي باء بفضب عظيم من الله بسبب المعصية . ومصير العاصي جهنم وبئس ذلك المصير .

١٦٣ - ليس الفريقان سواء ، بل هم متفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على حسبها .

١٦٤ - لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبي ، بأن يبعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويظهرهم من سوء العقيدة ، ويعلمهم علم القرآن والسنة . وقد كانوا من قبل بعثه في جهالة وحيرة وضياح .

١٦٥ - أجزعتم وتخاذلتم ، وقلتم مستغربين حين أصابكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم ضعفيا يوم بدر : من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا ؟ قل : الذي أصابكم من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم الرسول والله قادر على كل شيء ، وقد جازاكم بما عملتم .

١٦٦ - إن الذي أصابكم أيها المؤمنون يوم التقى جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس ما علمه من إيمان المؤمن حقا .

مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

١٦٧ - وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قبل لهم حين انصرفوا يوم أحد عن القتال : تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله أو قاتلوا دفاعا عن أنفسكم قالوا : لو نعلم أنكم ستلقون قتالا لذهبنا معكم - وهم حين قالوا هذا القول أقرب للكفر منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم : ليس هناك حرب ، مع أنهم يعتقدون في قلوبهم أنها واقعة ، والله أعلم بما يضمرون من النفاق ، لأنه يعلم نتيجة أسرارهم .

١٦٨ - وانهم هم الذين تخلفوا عن القتال وقعدوا عنه ، وقالوا في شأن اخوانهم الذين خرجوا وقتلوا : لو أطاعونا وقعدوا كما قعدنا لنجوا من القتل كما نجونا . قل : فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في أن الحذر كان يمنعكم من القدر .

١٦٩ - ولا تظن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل هم أحياء حياة استأثر الله بعلمها ، يرزقون عند ربهم رزقا حسنا يعلمه هو .

١٧٠ - يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من المزايا ، ويفرحون باخوانهم الذين تركوهم في الدنيا أحياء مقيمين على منهج الإيمان والجهاد ، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات محبوب .

١٧١ - تتألق وجوه الشهداء بما من الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة وعظيم الكرامة ، وبأنه لا يضيع أجر المؤمنين .

١٧٢ - الذين لبوا دعوة الرسول إلى استئناف الجهاد من بعد ما أصابهم في غزوة أحد من الجرح العميق وبذلك أحسنوا واتقوا عصيان أمر الله ورسوله فاستحقوا الأجر العظيم في دار الجزاء والنعيم .

١٧٣ - الذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم : إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشا كثيفا فخافوهم ، فاضعفوا وما وهنوا ، بل ازدادوا إيمانا بالله وثقة بنصره ، وكان ردهم : الله كافينا ، وهو المتولى أمورنا ، وهو نعم من يفوض إليه الأمر كله .

فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّا يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَّهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ وَلَتَنْقُزُوا فَلَكَ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْزَنَ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَآءِ أَنَّهُمْ آلَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ

١٧٤ - ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكثيف ، ولكن المشركين جنوا عن اللقاء ، فعاد المؤمنون فائزين بنعمة السلامة مع الرغبة في الجهاد ، وفوزهم بثوابه ، وفضل الله عليهم في لقاء الرعب في قلوب عدوهم فلم ينلهم أذى . وابتغوا رضوان الله فصاروا أهلاً لفضله ، والله صاحب الفضل العظيم .

١٧٥ - يبين الله سبحانه للمؤمنين أن أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجنّبوا عن لقاءهم ليسوا إلا أعوانا للشيطان الذي يخوف اتباعه فيجعلهم جناء ولستم منهم . فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا الله وحده إن كنتم صادقي الايمان ، قائمين بما يفرضه عليكم هذا الايمان .

١٧٦ - لا تحزن - أيها النبي - إذا رأيت الذين يزدادون كفرا ويسرعون بالانتقال من سيئ إلى أسوأ ، فهم لن ينالوا الله بأى ضرر ، لأنه القاهر فوق عباده ، بل يريد الله ألا يجعل لهم نصيباً من ثواب الآخرة ، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم ، عذاب عظيم .

١٧٧ - إن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالايمان ، فابتغوا الكفر وتركوا الايمان ، لن يضرّوا الله شيئاً ، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم شديد الايلام .

١٧٨ - لا يحسن هؤلاء الكافرون أن إهمالنا لهم حين غد في اعمارهم ونهيب لهم أسباب النعيم في حياتهم الدنيا ، خير لهم . فإن اطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم إلى الاستمرار في اكتساب الاثم واستحقاق ما أعد الله لهم من عذاب مهين .

١٧٩ - ما كان الله ليرككم يامعشر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق ، حتى يميز بينكم بالحنة والتكليف لتروا المنافق الخبيث والمؤمن الطيب ، ولم تجر سنة الله باطلاع أحد من خلقه على شيء من غيبه . ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء باطلاعه على ما يشاء من غيبه ، وان تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته يدخلكم الجنة جزاء ، ونعم الجزاء إذ هي جزاء عظيم .

هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّجَارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ

١٨٠ - لا يظن الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلا منه ، ولا يبدلون في الواجبات وسبل الخير ، ان البخل خير لهم ، بل انه شر سي العاقبة عليهم ، وسيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة ، وسيكون العذاب ملازما لهم ملازمة الطوق للعنق . وإن كل ما في الوجود يوول لله سبحانه وتعالى وهو المالك له ، وهو سبحانه يعلم كل ما تعملون ، وسيجازيكم عليه .

١٨١ - ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثها ، فقد قال بعض اليهود متهمين ان الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالانفاق ، ونحن أغنياء تنفق أولا تنفق ، لقد سمع الله قولهم هذا وسجل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلما وعدوانا وسيقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب النار المحرقة .

١٨٢ - وذلك العذاب بما قدمت أيديهم من الآثام ، وعقاب الله لا يكون إلا عدلا ، فهو لا يظلم العباد أبدا .

١٨٣ - انهم هم الذين قالوا ان الله أمرنا في التوراة الا نؤمن مدعين لرسول إلا إذا دلل على صدقه بأن يأتينا بشئ يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله ، فقل لهم أيها النبي : ان رسلا من الله قد جاءوا من قبل بالأدلة الواضحة ، وجاءوا بما اقترحتم ، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم . فلم فعلتم ذلك إن كنتم صادقين في وعدكم بالايان عندما يتحقق ما تريدون ؟ .

١٨٤ - وإن كذبوك أيها النبي ، فلا تحزن ، فقد سبق قبلك كثيرون كذبهم أقوامهم تغتا وعنادا - مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والكتب السماوية الدالة على صدق رسالتهم .

يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ مَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
 * لَتَبْلُوَنَّ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
 لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّعًا قَلِيْلًا ۖ فَبَشِّرْهُم بِمَا يَكْسِبُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
 يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾
 وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ

١٨٥ - كل نفس تذوق الموت لا محالة ، وإذا أصابتكم آلام في الدنيا فانما توفون ثوابكم كاملا يوم القيامة .
 ومن قارب النار وزحزح عنها فقد نال الفوز . وما الحياة الدنيا الا متاع زائل يفر ولا يبقى .

١٨٦ - تأكدوا أيها المؤمنون أنكم سحترتون في أموالكم بالنقص أو الانفاق ، وفي أنفسكم بالجهاد
 وبالأفراض والآلام . وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيرا مما يؤذيكُم من السب والظعن ، وإن
 تقابلوا ذلك بالصبر وتقوى الله ، فإن ذلك من الأمور الصالحة التي يجب العزم على تنفيذها .

١٨٧ - واذكر أيها النبي ، إذ أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه ، ألا يخفوا شيئا من
 آياته عن الناس ، فألقوه وراء ظهورهم نابذين له ، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبيين له ، ومتاع الدنيا مهما يكن
 كالقن البخس الحقير في مقابل الهداية والارشاد فقبحا لما فعلوا .

١٨٨ - لا تظن الذين يفرحون دائما بما يأتون من أفعال قبيحة ويحبون الثناء بما لم يفعلوه ، لا تظن هؤلاء
 بمنجاة من العذاب ، لأن من شأنهم أن يفلقوا على أنفسهم باب الايمان والحق كاليهود ، ولهم عذاب مؤلم يوم
 القيامة .

١٨٩ - الله وحده هو المالك لأمر السموات والأرض ، وهو القادر على كل شيء ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم
 ويثيب المحسنين على احسانهم .

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَتِي لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ

١٩٠ - إن في خلق الله للسماوات والأرض مع ما فيها من ابداع واحكام ، واختلاف الليل والنهار نورا وظلمة وطولا وقصرا ، لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته (١) .

١٩١ - وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون في نفوسهم عظمة الله وجلاله في كل مكان ، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتدبرون في خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب قائلين ربنا ما خلقت هذا إلا لحكمة قدرتها وأنت منزّه عن النقص ، بل خلقته دليلا على قدرتك ، وعنوانا لبالغ حكمتك ، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا إلى طاعتك .

(١) « ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

« في هذا النص تنبيه الى حقائق كونية تدل على عظمة الخالق ، ذلك ان السماء هي آية من آيات الله بدت لنا بتأثير الانعسة الشمسية على الغلاف الجوي الذي يحيط بالارض . فعندما تسقط هذه الانعسة على ذرات العناصر الكيماوية التي يتألف منها الجو وعلى ما يعملها هذا الجو من أثرة دقيقة عالقة به منعكس من هذه الذرات وتلك الاتربة تشتت في جهات مختلفة ومن المعلوم ان الضوء الابيض يتألف من جميع الالوان المرئية . وان هذه الذرات تمتص بعض الالوان من بعضها الآخر .

وقد اتضح من تجارب واعتبارات خاصة بطاقته . ان اللون الاكثر تشتتا هو اللون الأزرق ويتجلى هذا بصورة أوضح عندما تكون الشمس في سمت الراس . وتتناقص زرقة هذا اللون شيئا فشيئا حتى اذا بلغت الشمس الافق اى وقت الغروب أو الشروق . فان اشعاعها يخترق جو الارض في مسافات أطول بكثير . ولهذا فان اللون الاحمر يظهر تشتته اكثر من غيره .

وصفوة القول : ان ضوء النهار يتطلب الانعاع الشمسى وكمية متناسبة من الغبار الجوى والدليل على ذلك ما حدث سنة ١٩٤٤ حيث اظلمت السماء فجأة في وضع النهار . ولشدة ظلمتها صار النهار كأنه الليل . وظل الامر كذلك زمنا وجيزا ، ثم تحولت السماء الى لون احمر ثم تدرج الى لون برتقالى قاصفر . حتى عادت السماء الى حالتها الطبيعية بعد حوالى ساعة أو أكثر . وقد تبين فيما بعد ان هذه الظاهرة نشأت من نفث مترتب في السماء فاستحال الى رماد وحلته الرياح الى مسافات بعيدة من أواسط افريقية الى شمالها وتجاوزت الى غربي آسيا حيث شوهدت هذه الظاهرة في اقليم سوريا .

وتفسير ذلك ان الغبار المعلق في الهواء قد حجب نور الشمس فلما قلت كثافته أخذ الضوء في الاحمرار والاصفرار الخ . . ولو ارتفع الانسان في الفضاء فانه سوف يمر بطبقات جوية تختلف خصائصها ويميزاتها بعضها عن بعض فهو يشاهد السماء تأخذ في الزرقة الشديدة شيئا فشيئا حتى اذا ما بلغ عتبة الفضاء الخارجى الحالية من المواد التي يتألف منها الغلاف الجوى والاتربة الصالقة به بدت له السماء معتمة كأنها ليل على الرغم من وجود الشمس فوق الافق والخالصة ان هناك سموات متطابقة في هيئة قباب تختلف في خصائصها وألوانها وتمتد الى اقصى اعماق الفضاء وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى التي تتجلى في خلقه كل مافي السماوات والأرض . وضوء النهار يتطلب سقوط الأشعة الشمسية ذرات من الغلاف الجوى الذي يحمل جسيمات من الغبار بكيات متفاوتة وضوء النهار يبلغ من الشدة حدا بحيث يججب الاضواء الخافتة المنبعثة من النجوم أو من احتكاك الشهب والنيازك بالغلاف الجوى . وعندما تختص اشعة الشمس تحت الافق بمسافات بعيدة فان أضواء النجوم الخافتة تظهر لبعدها الناسح عنا قليلة التأثير على الغلاف الجوى بحيث لا تحدث نورا يشبه نور النهار .

وينشأ تعاقب الليل والنهار من دوران الارض حول محورها ومرجع التفاوت الزمنى بين الليل والنهار هو دورة الارض حول الشمس وميل محورها عن مستوى مدارها فتختلف الفترات الزمنية باختلاف الفصول وعروض البلاد . ومن حكته جلست قدرته ان التعاقب بين الليل والنهار وتراوحها على فترات قصيرة يؤدى الى اعتدال في درجة الحرارة والمناخ ويهيئ البيئة الصالحة للحياة والاحياء . ولهذا فان اللون الأحمر يظهر بسبب التشعب الناجم عن الغبار المجمعى .

أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِي بِعَظْمٍ
مِنْ بَعْضٍ فَأَلْذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لِأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَا دَخِلَتْهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرَنَكَ
تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ

١٩٢ - يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا . إن من يستحق النار وتدخله فيها فقد أخزته وليس للظالم الذي استحق النار من نصير يمنعه منها .

١٩٣ - يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا اننا سمعنا رسولك يدعو إلى الإيمان بك فأطعناه وآمنا به ، ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامح عنا صفائر سيئاتنا واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الأخيار .

١٩٤ - يا خالقنا ، والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا ، اعطنا الذي وعدتنا على السنة رسلك من نصر وتأييد في الدنيا ، ولا تدخلنا النار فتخزنا - يوم القيامة - فشأنك ألا تخلف الميعاد .

١٩٥ - فأجاب ربهم دعاءهم ، مبينا لهم أنه لا يضيع على عامل منهم ثواب عمله ، سواء أكان ذكرا أم أنثى ، فالأنثى من الذكر والذكر من الأنثى . فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم ، ونالهم الأذى في سبيل الله وقاتلوا وتعرضوا للقتل ، وقتل منهم من قتل ، كتب الله على نفسه أنه سيمحو عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار جزاء كريما عاليا من عند الله ، والله - وحده - عنده الثواب الحسن الجميل .

١٩٦ - لا تتأثر - أيها النبي - بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب في التعيم والتصرف في التجارة والمكاسب .

١٩٧ - فإن ذلك متاع ، زائل ، وكل زائل قليل ، ثم يكون المأوى الذي يتجهون اليه جهنم وبئس منزلا

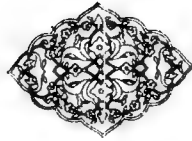
جهنم .

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا تِلْكَ أَمْثِلُ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝ ١٩٩ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَاطِبُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ٢٠٠

١٩٨ - ذلك جزاء الكافرين أما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار مخلدين فيها ، نازلين في كرم الله سبحانه وما عند الله خير للأبرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل .

١٩٩ - إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله ، تراهم خاضعين لله ضارعين إليه ، لا يستبدلون بالبينات الظاهرة عرضاً من اعراض الدنيا مهما عظم فهو قليل ، هؤلاء هم الجزاء الأوفى في دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يعجزه احصاء أعمالهم ومحاسبتهم عليها ، وهو قادر على ذلك وجزاءه نازل بهم لا محالة .

٢٠٠ - أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر ، وغالبوا أعداءكم به ، ولازموا الثغور لحمايتها ، وخافوا ربكم ، ففي كل ذلك رجاء فلاحكم .



(٤) سُورَةُ النِّسَاءِ مَدَنِيَّةٌ وَأَيُّهَا السُّبْحُ وَبَسْمُوحُونَ وَمَا نَزَّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنًى وَتِلْكَ وَرُبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ
أَيُّمِّنْكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنِ نَحْمَلُهُ فَإِنَّ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُنَّ نَفْسًا فَاكُلُوهُ

١ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي أوجدكم من نفس واحدة ، وأنشأ من هذه النفس زوجها ، ومنها نشر في الوجود رجالا كثيرا ونساء ، فأنتم جميعا تتهنون إلى تلك النفس الواحدة ، واتقوا الله الذي تستعينون به في كل ما تحتاجون ويسأل باسمه بعضكم بعضا فيما تتبادلون من أمور ، واتقوا الأرحام فلا تقطعوا قريبتها وبعيدها ، إن الله دائم الرقابة على أنفسكم ، لا تخفى عليه خافية من أموركم ومجازيكم عليها .

٢ - وملكوا اليتامى ما يستحقون من مال ، واحفظوه لهم ، ولا تعطوهم الردى وتحرموهم الجيد ، ولا تأخذوا أموالهم وتضيفوها إلى أموالكم ، إن ذلك كان اثما كبيرا .

٣ - وإن شعرتُم بالخوف من ظلم اليتامى لأنه ذنب كبير ، فخافوا كذلك ألم نسايتكم بعدم العدل بينهن ، والزيادة على أربع ، فتزوجوا منهن اثنتين أو ثلاثا أو أربعا إذا وثقتُم بالقدرة على العدل ، فإن خفتُم عدم العدل فتزوجوا واحدة ، أو استمتعوا بما تملك أيديكم من الإماء ذلك أقرب إلى عدم الوقوع في الظلم والجور ^(١) وأقرب ألا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الانفاق عليهم .

(١) لم تنفرد الشريعة الإسلامية من بين الشرائع المساوية مبدأ تعدد الزوجات ، فشريعة التوراة تثبت أنه يباح للرجل أن يتزوج بن نساء ، وهي تذكر أن الأنبياء كانوا يتزوجون من النساء بال عشرات لا بالاحاد . والتوراة هي كتب العهد القديم الذي يؤخذ به عند النصراني مالم يوجد نص قد جاء في الانجيل أو رسائل الرسل يخالفها ، ولم يوجد نص صريح في المصاحفة ، والكنيسة كانت تأذن بالتعدد ولا تعارض فيه في القرون الوسطى وما بعدها ، وملكوا أوروبا الذين عدوا الزوجات معروفين في تاريخها .
وإذا كان الإسلام قد انفرد بشيء في هذا المقام ، فالذي انفرد به أنه قيد التعدد ، فهو أول شريعة سماوية قيدت التعدد صراحة ، فقد قيدته بثلاثة أمور : أولا لا يزيد عن أربع ، وثانيا لا يكون فيه ظلم لاحداهن ، وثالثا أن يكون قادرا على الانفاق . والشرطان الأخيران لازمان في كل زوج ولو كان الأول ، فقد قرر فقهاء المسلمين على اختلاف فرقهم بالإجماع أنه يحرم الزواج على من يتأكد أنه لا يعدل مع زوجته إذا تزوج غير أن ذلك التحريم ديني لا يقع تحت سلطان القضاء ، لأن العدل أمر نفسي لا يعلم إلا من وجهته ، والقدرة على الانفاق امر نسبي لا تحد بميزان واحد ، ولذلك ترك الأمر فيها إلى تقدير الشخص وهو اثم عليه العقاب يوم القيامة أن خالفه ، ولأن الظلم أو المعجز عن الانفاق أمور تتعلق بالمستقبل ، والعقود لا تنبئ صحتها على أمور متوقفة ، بل تنبئ على أمور واقعة ، والظالم قد يكون عادلا ، والمجازر =

هَنِيئًا مَرِيئًا ۝ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا

٤ - وأعطوا النساء مهورهن عطية خالصة ، وليس لكم حق في شيء من هذه المهور ، فإن طابت نفوسهن بالزول عن شيء من المهر فخذوه وانتفعوا به طيبا محمود العاقبة .

٥ - ولا تعطوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف في المال أموالهم التي هي أموالكم ، فإن مال اليتيم وضعيف العقل مالكم ، يعينكم أمره وإصلاحه حتى لا يضيع المال ، فقد جعله الله قوام الحياة ، وأعطوهم من ثمراتها النصيب الذي يحتاجون إليه في الطعام ، وأكسوهم وعاملوهم بالحسنى ، وقولوا لهم قولاً يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلهم .

= في المال قد يكون قادرا ، فالمال غاد ورائع ، ومع ذلك قرر الاسلام ان الرجل اذا ظلم امرأته أو عجز عن الاتفاق عليها كان لها طلب التفريق ولكن لا يمنحها من العقد اذا دخلت راضية مختارة في انشائه .

والاسلام اذ قد فتح باب التمدد مع التضيق فيه على ذلك النحو قد دفع ادواء اجتماعية : فأولا - قد ينقص عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء الصالحات للزواج ، وخصوصا عقب الحروب المنيية ، فقد لوحظ في بعض الدول الاوربية ان عدد الرجال الصالحين بعد الحرب يعادل واحدا الى سبع من النساء فيكون من كرامة المرأة ان تكون زوجة ولومع اخرى بدل ان تكون حائرة بين أحضان الرجال .

وثانيا - قد يكون بين رجل وامرأة مالا يستطيعان معه الا تكون بينهما علاقة شرعية أو أمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية ان تكون شرعية ، وخير للمرأة ان تكون زوجة من ان تكون خليلية تنتقل بين أحضان الرجال ، واذا كانت هذه صورة شوهاء للتمدد ، فانه فيها خير من عدم التمدد فان التمدد على اقبح صورته يدفع شرا اجتماعيا أعظم منه .

وفالنا - لا يمكن ان تقبل امرأة الزواج من متزوج الا اذا كانت مضطرة الى ذلك اضطرارا ، فاذا كانت الزوجة الاولى ينالها ضرر بالزواج بالثانية ، فانه الثانية ينالها ضرر أشد بالحرم ان تموت انوتها أو تكون ضياعا بين الرجال والضرر الكبير يدفع بالضرر القليل .

رابعا - قد تصاب الزوجة بمرض لا تكون معه صالحة للعلاقة الجنسية ، أو تكون عقيمة ، فيكون من المصلحة الاجتماعية والنفسية التزوج من أخرى .

لهذه المعاني ولغيرها فتح الاسلام الباب مضيقا ، ولم يفلته تماما .

ان الاسلام شريعة الله الذي يعلم كل شيء ، فهو العليم الحكيم .

إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً
فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ
إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ

٦ - واختبروا عقول اليتامى وتبينوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ، حتى إذا أصبحوا صالحين
للزواج وتبينتم رشدهم وسدادهم فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا
وترد إليهم . ومن كان من الأوصياء عليهم غنيا فليستعفف عن أموال اليتامى ، ومن كان فقيرا فليكتف بقدر
ما يكفيه عرفا ، فإذا سلمتموهم أموالهم فاشهدوا عليهم ، والله من ورائكم هو المحاسب والمراقب ، وكفى به حسيبا
ومراقبا .

٧ - للرجال نصيب من الأموال التي يتركها الوالدان والأقربون - ميراثا - وللنساء أيضا نصيب مما ترك
هؤلاء دون منع أو بخس ، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة قلت الأموال أو كثرت .

٨ - وإذا حضر قسمة التركة بعض الأقارب الذين لا يرثون من اليتامى والمساكين ، فأكرموهم بإعطائهم
شيئا من هذه التركة تطيبا لنفوسهم ، ونزعا للحسد من قلوبهم ، وبحسن أن يشفع هذا العطاء بلين القول وحسن
الاعتذار .

٩ - وعلى الناس ألا يظلموا اليتامى ، وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع
اليتامى ، وليتقوا الله فيهم ، وليقولوا قولا مسددا نحو الحق ، غير ظالم لأحد .

١٠ - إن الذين يظلمون اليتامى بأخذ أموالهم في غير حق ، انما يأكلون ما يؤديهم إلى النار ، فسيعذبون يوم
القيامة بنار شديدة الايلام .

بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهِ
كَانَ عَلَيْهَا حَكِيمًا ﴿١١﴾ * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا
تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ
فَلَهُنَّ الثَّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ
أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
أَوْ دِينَ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

١١ - يأمركم الله في شأن توريث أولادكم وأبويكم - إذا متم - بما يحقق العدل والإصلاح وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الانثيين إذا كان الأولاد ذكورا وإناثا . فإن كان جميع الأولاد إناثا يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة . ويفهم من مضمون الآية أن الانثيين نصيبها كنصيب الأكثر من إثنين . وإن ترك بنتا واحدة فلهما نصف ما ترك . وإن ترك أبا وأما فلكل منهما السدس إن كان له ولد معها ، ولد ذكر أو أنثى . فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلامه الثلث والباقي للأب . فإن كان له فلامه السدس والباقي للأب ولا شيء للأخوة . تعطى هذه الأنصبة لمستحقها بعد أداء ما يكون عليه من دين ، وتنفيذ ما وصى به في حدود ما أجازاه الشارع ، هذا حكم الله فإنه عدل وحكمة ، وأنتم لا تدرُونَ الأقرب لكم نفعاً من الآباء والأبناء ، والخير فيما أمر الله ، فهو العليم بمصالحكم الحكيم فيما فرض لكم .

١٢ - للزوج نصف ما تركت الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره فإن كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية توصي بها أودين . وللزوجة - واحدة أو متعددة - الربع مما ترك الزوج إن لم يكن له منها أو من غيرها ولد ، فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يوصي بها أودين ، وولد الابن كالولد فيما تقدم . وإن كان الميت رجلا أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أخا لأم أو أختا لأم فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يستوى في ذلك ذكرهم وأنثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التي عليه وتنفيذ الوصية التي لا تضر الورثة وهي التي لا تتجاوز ثلث الباقي بعد الدين ، فالزموا أيها المؤمنون ما وصاكم الله به فإنه عليم بمن جار أو عدل منكم ، حليم لا يعاجل الجائر بعقوبة .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَاهُمَا مِنْكُمْ

١٣ - تلك الأحكام المذكورة في بيان الموارث وما سبقها، شرائع الله التي حددها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها، ومن يطع الله ورسوله فيا حكم به كان جزاؤه الجنة التي تجرى فيها الأنهار خالدا فيها وذلك الفوز العظيم (١).

١٤ - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود ما شرعه مستبيحا ذلك التعدي، يحجزه نارا مخلدا فيها، يعذب بها بدنه، إلى جانب عذاب مهين تتألم به روحه.

١٥ - واللاق يأتين الزنا من النساء ان شهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يمسن في البيوت محافظة عليهن ودفعاً للفساد والشر حتى يأتين الموت أو يفتح الله لهن طريقاً للحياة المستقيمة بالزواج والتوبة.

(١) نظام الميراث الذي بينه القرآن الكريم أعدل نظام للتوريث عرف في كل قوانين العالم، وقد اعترف بذلك كل علماء القانون في أوروبا، وهو دليل على ان القرآن من عند الله، إذ أنه لم يكن مثله ولا قريب منه معروفا عند الفرس ولا عند الرومان، ولا في أى شريعة أخرى قبله، وقد اتبع فيه النظم العادلة الآتية:

أولها - انه جعل التوريث ينتظم الشارع لا بإرادة المالك، من غير ان يجعل هذه الإرادة، بل جعل له الوصية بالمعروف في الثلث ليتدارك تقصيرا دينيا فاته، كزكوات لم يؤدها، أو ليعين بعض ذوى الحاجة عن تربطه به صلة مودة أو قرابة لا تستحق ميراثا، ومنع الوصية اذا كان الباعث عليها معصية أو تخريضا على الاستمرار في معصية، وتولى الشارع توزيع الثلثين ان كانت وصية، أو توزيع الكل اذا لم تكن وصية، أو كانت بأقل من الثلث فوزع الشارع الباقي.

وثانيها - أنه في توليه سبحانه توزيع الثلثين اعطى الاقرب فالأقرب من غير تفرقة بين صغير وكبير، ولذلك كان الأولاد أكثر حظا من غيرهم في الميراث، لانهم امتداد لشخص المالك، ولأنهم في الغالب ضعاف، ومع ذلك لم يستأثروا بالميراث، بل يشاركهم الأم والجدة، والأب، والجد، وإن كانوا يأخذون أقل من الأولاد.

وثالثها - انه يلاحظ في التوريث مقدار الحاجة، ولذلك كان نصيب الأولاد أكبر. لانهم أكثر احتياجا، إذ هم مقبلون على الحياة والآباء والأمهات مدبرون عنها.

وان ملاحظة الحاجة هي التي جعلت نصيب المرأة على النصف من نصيب الرجل في أكثر أحوال الميراث، إذ ان التكاليف المالية التي يطالب بها الرجل أكبر، فهو المطالب بنفقة الاولاد واصلاحهم، وهو المطالب بنفقة المرأة، إذ أن الفطرة الانسانية هي التي جعلت المرأة قواما على البيت وتديبره، ورعاية الاولاد، وتهية راحتهم، وجعلت الرجل كادحا يعمل خارج البيت، ويقدم المال المطلوب لميزانية الأسرة.

وان الاعطاء على مقدار الحاجة هو العدل، والمساواة مع تفاوت الحاجة هي الظلم.

ورابعها - ان الشرع الاسلامي في توزيعه للتركة يتجه الى التوزيع دون التجميع، فلم يجعلها للولد البكر، ولم يجعلها للابن دون البنات، ولا للاولاد دون الاباء، ولم يحرم من ليسوا من عمود النسب، كالاخوة والاعمام وأبناء الاعمام وان يصدوا، فالميراث يمتد الى مايقارب القبيلة، ولكن يأخذ الأقرب فالأقرب، ولا يوجد في مسائل الميراث ان ينفرده به واحد الا نادرا.

وخامسها - انه لم يحرم المرأة من الميراث كما كان يجري عند العرب، بل لها ميراث، وفي ذلك احترام للمرأة واعطاؤها حقوقها.

وفوق ذلك لم يمنع الاسلام قرابة المرأة من الميراث، بل ورت القرابة التي تكون من جانبها، كما ورت القرابة التي تكون من جانب الأب، فالأخوات والاخوة لأم يأخذون عندما يأخذ الأشقاء، بل في بعض الأحيان يأخذ الأولاد لأم ولا يأخذ الاخوة والأخوات، وهذا بلا شك تكريم للأئمة، واعتراف بقرابتها، ولم يكن ذلك معروفا من قبل، ولكنها شريعة الله العليم الحكيم.

فَعَاذُوهُمْ فَإِنْ تابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا
بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَلَحٍ شَنِ مَبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنطَارًا
فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ

١٦ - والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلهما عقوبة محدودة - إذا ثبت الزنا بشهادة شهود
أربعة عدول - فإن تابا بعد العقوبة فلا تذكروها بما ارتكبا ولا تعيروها به . إن الله يقبل برحمته توبة التائبين .

١٧ - إنما التوبة مضمونة عند الله للذين يعملون السيئات في حال الحماقة والطيش وعدم التبصر ، ثم يبادرون
بالتوبة قبل حضور الموت ، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يخطئ في
تقدير .

١٨ - وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ثم لا يبادرون بالندم عليها ، إلى أن يحضر أحدهم الموت
فيقول : انى اعلن الندم والتوبة الآن ، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر ، وقد أعد الله للفريقين
عذابا مؤلما في دار الجزاء .

١٩ - يأيا الذين آمنوا لا يجوز لكم ان تجعلوا النساء كالمناج ، فترتوهن زوجات لكم من غير صداق ، وهن
كارهات ، ولا تظلموهن بالتضييق عليهن لينزلن عن بعض ما آتيتوهن من مهر ، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا
بعض ما آتيتوهن من مال إلا أن يرتكبن اثما بينا بنشوز أو سوء خلق أو فجور ، فلكم أن تضيقوا عليهن أو
تأخذوا بعض ما آتيتوهن عند الفراق ، وعليكم أيها المؤمنون أن تحسنوا عشرة نساكنكم قولا وعملا فإن كرهتموهن
لعب في الخلق أو الخلق أو غيرها فاصبروا ولا تتعجلوا فراقهن فعسى أن يجعل الله في المكروه لكم خيرا كثيرا
وعلم الأمور كلها عند الله .

٢٠ - وإن أردتم أن تستبدلوا زوجة مكان أخرى واعطيتم واحدة منهن مالا كثيرا فلا يحل لكم أن تأخذوا
منه شيئا ، أتأخذونه على وجه البطلان والاثم المبين ؟ .

مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْنًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُ النِّسَاءِ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ الَّتِي فِي جُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بَيْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۖ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِحْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ قَا أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ ۚ مِنْهُنَّ فَطَاوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ ۚ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ

٢١ - وكيف يسوغ لكم ان تستردوا ما أعطيت من مهر وقد امتزج بعضكم ببعض وأخذن منكم عقدا قويا موثقا أحل الله به العشرة الزوجية .

٢٢ - ولا تتزوجوا - أيها الأبناء - ما تزوج آبائكم من النساء ، انه كان أمرا فاحشا القبح ، يمتنه الله والناس ، وهو أسوأ سبيل ومقصدا ، وان الله يعفو عما قد سلف منكم في زمن الجاهلية (١) .

٢٣ - حرم الله عليكم أن تتزوجوا أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ، وأمهات نسائكم ، والمهرمات لغير النسب : أمهات الرضاعة ، والأخوات من الرضاعة (٢) ، وأمهات الزوجات وبنات الزوجات من غير الأزواج إذا دخل بهن ، وزوجات أبناء الصلب ، والجمع بين الأختين ، وما سلف في الجاهلية فإنه معفو عنه . إن الله غفور لما سلف قبل هذا النهج ، رحيم بكم فيما شرع لكم .

(١) كان عند العرب في الجاهلية عادات ليس فيها تكريم للمرأة بل فيها ظلم شديد ، وفيها قطع للعلاقة التي تربط بين الأسرة ، فكان الرجل إذا مات أبوه وكان متزوجا غير أنه يفرض عليها زواجها منه ، أو يرث زواج أبيه من غير عقد يعقده عليها جديد ، وكان الرجل إذا طلق امرأته وقد دخل بها يسترد كل ما أعطها من مهر ظالما معتديا . ومنهم من كان يعمل على منعها من الزواج بغيره معتديا أمّا ، ولا نصير لها في ذلك الوسط ، فجاء الاسلام ، ودفع عنها ذلك الظلم البين ، ونهى عن أن يورث زواج النساء . وان يسترد نساء من المهر ، ولو كان قطارا ، ونهى عن العضل وهو منع المرأة من الزواج أو ايذاؤها لحملها على طلب الطلاق بمال تعطيه . وكان من الجائز عندهم ان الرجل يتزوج من تزوجها أبوه وافترق عنها بطلاق أو نحوه ، فنهى الاسلام عنه . وسماه مقنا ، لأنه أمر فاحش القبح ، يمتنه الله ، ويعتبه أهل العقول المستقيمة ، وذلك عدل الله .

(٢) اختصت شريعة القرآن من بين الشرائع القائمة بالتحريم بسبب الرضاعة ، لأن الرضيع يتغذى من جسم المرضع كما يتغذى من جسم أمه في بطنها فكلها يكون أجزاء جسمه ، ولا فرق بين تكوين في الحبر ، وتكوين في البطن ، وفي التحريم بالرضاعة تكون للرضع إذ تكون كالأم في التحريم ، وفي هذا تشجيع على الارضاع الذي هو الغذاء الطبيعي للأطفال في المهد .

سبق هذه الآية الشريفة علم الوراثة فيما قرره من تحريم زواج الاقارب ، وقد ثبت علميا أخيرا ان زواج الأقارب يسبب ذرية =

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِعْنَتِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أُتِيْنَ بِفَلَاحٍ فَفَعَلَيْنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ

٢٤ - وحرّم عليكم نكاح المزوجات من النساء عامة ، حرائر وغير حرائر إلا من سبيتم وملكتم منهن في حرب بينكم وبين الكفار ، فإن نكاحهن السابق ينفسخ بالسبي فيصرن حلالا لكم بعد إستبراء ارحامهن ، فالزموا ما كتب الله عليكم في تحرّم ما حرم ، ولكم فيما عدا هؤلاء المؤمنات المحرمات ، أن تطلبوا بأموالكم نساء تزوجون بهن ، لا تقصدون الزنا أو المخادنة ، فأى نساء استمتعتم بهن بعد الزواج منهن أحل الله لكم الدخول بهن فوفوهن مهورهن التى قدرتم لهن حقا عليكم لا تسامح فيه تؤدونه في موعد ، ولا حرج عليكم فيما تم بينكم عن تراض من تنازل زوجة عن بعض مهرها أو زيادة زوج فيه . إن الله كان ولم يزل مطلقا على شئون العباد ، مدبرا لهم في احكام ما يصلح به أمرهم .

٢٥ - ومن لم يستطع منكم نكاح الحرائر المؤمنات فله أن يتجاوزهن إلى ما يستطيع من المملوكات المؤمنات ، والله أعلم بحقيقة إيمانكم واخلاصكم ، ولا تستنكفوا من نكاحهن ، فأنتم وهن سواء في الدين ، فتزوجوهن بإذن أصحابهن وأدوا اليهن مهورهن التى تفرضونها لهن حسب المعهود بينكم في حسن التعامل وتوفية الحق ، واختاروهن عفيفات ، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خلية ، فإن اتين الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبة الحرة . وإباحة نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية إلى الزنا وصبركم عن نكاح المملوكات مع العفة خير لكم ، والله كثير المغفرة عظيم الرحمة .

٢٦ - يريد الله أن يوضح لكم أصلح السبل ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من قبلكم ، ويرجع بكم إلى طريق طاعته والله مطلع على شئونكم ، مدبر في أحكامه لما يصلح أمركم .

٢٧ - والله يريد أن يرجع بكم إلى طاعته ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من الكفار والعصاة أن تبعدوا عن طريق الحق بعدا شديدا .

= أفرادها على استعداد للأمراض وبهم عيوب خلقية ، وأن درجة التناسل تقل حتى تصل الى العقم أما زواج الاباعد فانه يأتى بنتائج على عكس ذلك كما تزيد عليها نتيجة عرفت باسم قوة الخليط ، ويقصد بها ان النسل الناتج من رتبة الاباعد يفوق كلا من أبويه في كثير من صفاته ، كما يمتاز النسل كذلك بزيادة الوزن وقوة مقاومته للأمراض وسرعة النمو وقلة الوفيات .

وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا تُهَوَّنُ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ۚ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَلَا تَمْنَوْنَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيبُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا

٢٨ - يريد الله أن ييسر عليكم بتشريع مافيه سهولة لكم ، وتخفيف عليكم ، وقد خلق الله الانسان ضعيفا أمام غرائزه وميوله ، فيناسبه من التكاليف مافيه يسر وسعة . وذلك هو مايكلف الله عباده فضلا وتيسيرا .

٢٩ - يا أيها الذين آمنوا لا يأخذ بعضكم مال بعض بغير الحق . ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضي منكم ، ولا تهلكوا أنفسكم بمخالفة أوامر ربكم ، ولا يمحى أحدكم على أخيه فأنما هي نفس واحدة ، ان الله دائم الرحمة بكم .

٣٠ - ومن يقدم على فعل ما حرم الله اعتداء وتجاوزا لحقه ، فسوف ندخله نارا يحترق فيها ، وكان ذلك على الله هينا يسورا .

٣١ - ان تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التي ينهاكم الله عنها فمح عنكم مآذونها من السيئات والصغائر مادمتما باذلين جهدكم في الاستقامة ، ونزلكم في الدنيا والآخرة منزلا فيه احسان لكم وتكريم .

٣٢ - ولا يتطلع الرجال الى ماميز الله به النساء ، ولا النساء الى ماميز به الرجال ، فان لكل فريق حظا ملائما لما طبع عليه من العمل وما أضيف اليه من الحقوق ، فليتجه كل الى رجاء الاستزادة من فضل الله بتنمية مواهبه والاستعانة على ما نيط به . ان الله كان عالما أتم العلم بكل شيء ، وقد اعطى كل نوع ما يصلح له .

٣٣ - ولكل من الرجال والنساء جعلنا مستحقين لتركهم يكونون خلفاء لهم ، وهم الوالدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم عقدا مقتضاه أن يرثوه اذا مات من غير قرابة ، وينصروه اذا احتاج الى نصرتهم في مقابل ذلك ، فأتوا كل ذى حق حقه ولا تنقصوه شيئا ، ان الله كان رقيبا على كل شيء ، حاضرا معكم ، يشهد ماتصرفون به .

فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَالَ صَلِّحْتُ فَلَنْتَلُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ
وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيكُمْ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا
يُوقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ * وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ
إِمْرُؤُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَجْلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَغْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا أَنْتَهُمُ

٣٤ - الرجال لهم حق الصيانة والرعاية للنساء ، والقيام بشؤونهن بما أعطاهم الله من صفات تهيئهم للقيام بهذا الحق ، وبسبب أنهم هم الذين يكدون ويكدحون لكسب المال الذي ينفقونه على الأسرة ، فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن ، حافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوقيفه لهن . والزوجات اللاتي تظهر منهن بوادر العصيان ، فانصحوهن بالقول المؤثر ، واعتزلوهن في الفراش ، وعاقبوهن بضرب خفيف غير مبرح ولا مهين عند التردد ، فان رجعن الى طاعتكم في أى سبيل من هذه السبل الثلاث ، فلا تتطلبوا السبيل الذى هو أشد منها بغيا عليهن ، ان الله فوقكم وينتقم منكم اذا أذيتوهن أو بغيتن عليهن .

٣٥ - وان حدث خلاف بين الزوجين وخفتم منه حدوث انشقاق بينها يعرضها للانفصال ، فاختاروا حكيم . أحدها من أهله والآخر من أهلها ، ان يريدوا اصلاحا يوفق الله بينها فى الوصول الى ما هو خير للزوجين من معاشرة بالمعروف أو تسريح باحسان . ان الله كان مطلعاً على ظواهر العباد وبواطنهم .

٣٦ - واعبدوا الله وحده ، ولا تجعلوا معه شريكا فى الألوهية والعبادة ، وأحسنوا الى الوالدين احسانا لاتقصير فيه ، والى اقربائكم والى اليتامى ، والذين افتقروا بسبب عجزهم اودهاب الكوارث باموالهم ، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبى ، والرفيق لك فى عمل أو طريق أو جلوس ، والمسافر المحتاج الذى لاقرار له فى بلد معين ، وبما ملكتم من الأرقاء فتيانا وفتيات . ان الله لا يحب من كان متعاليا على الناس : لاتأخذه بهم رحمة ، كثير التمدح بنفسه .

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيعَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَدْعُ الْأَذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ نُسَوِّ بِهِنَّ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

٣٧ - أولئك الذين يضمنون الى التكبر والتباهى البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس ، ويدعون الناس الى مثل صنيعهم من البخل ، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلا ينفقون أنفسهم ولا الناس بذلك ، وقد أعدنا للجاحدين أمثالهم عذابا مؤلما مذلا .

٣٨ - والله لا يحب الذين يبذلون المال للرياء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويعظموهم ، وهم غير مؤمنين بالله ولا بيوم الجزاء ، لأنهم اتبعوا الشيطان فأضلهم ، ومن يكن الشيطان صاحبه فبئس صاحب .

٣٩ - ألا قبحا لهؤلاء ، فإلى الذى يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الايمان ، وما يقتضيه من اخلاص النية ورجاء الثواب . والله عالم كل العلم ببواطن الأمور وظواهرها .

٤٠ - ان الله لا يظلم أحدا شيئا فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد في عذابه شيئا ، ويضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت ، ويعطى من فضله عطاء كبيرا غير مقابل بالحسنات التى يضاعفها .

٤١ - فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والمعرضين عما أمر الله به ، اذا جئنا يوم القيامة بكل نبي شهيدا على قومه ، وجئنا بك - يا أيها النبي - شهيدا على قومك وفيهم المانعون والمعرضون ؟

٤٢ - يوم يحدث هذا ، يود الجاحدون المعرضون لو يغيثون فى الأرض كما يغيث الأموات فى القبور ، وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله أى شأن من شئونهم ، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم .

بُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً غَفُوراً ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَسْتُرُونَ
الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً ﴿٤٥﴾ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِبِأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا
فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ
إِلَّا قَلِيلاً ﴿٤٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا

٤٣ - يأتيها الذين آمنوا لاتأتوا الصلاة في المساجد حال سكركم حتى تفقهوا ماتقولون ، ولاتدخلوا المساجد وأنتم على جنابة إلا اذا كنتم عابرين المساجد عبورا دون استقرار فيها ، حتى تطهروا بالاغتسال ، وان كنتم مرضى لاتستطيعون استعمال الماء خشية زيادة المرض أو بطة البرء ، أو مسافرين يشق عليكم وجود الماء ، فاقصدوا التراب الطيب ، وكذلك اذا جاء أحد منكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو أتيت النساء فلم تجدوا ماء تطهروا به لفقده ، فاقصدوا ترابا طيبا كذلك فاضربوا به أيديكم ، وامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة .

٤٤ - ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من الكتب السابقة ، يتركون الهدى ويتنفون الضلالة في شأن أنفسهم ، ويريدون منكن أن تبعدوا مثلهم عن الحق وهو صراط الله المستقيم .

٤٥ - والله أعرف منكم بأعدائكم الحقيقيين ، وأخبر بما تنطوى عليه نفوسهم وولاية الله تحميكم وتكفونكم ، فلا تطلبوا ولاية غير ولايته وتكفيكم نصرته فلا تستعينوا بسواه .

٤٦ - من اليهود فريق يميلون الكلام عن معناه ، ويقولون في أنفسهم للنبي : سمعنا القول وعصينا الأمر . ويقولون اسمع كلامنا - لاسمعت دعاء - يدعون بذلك على النبي ويقولون (اسمع غير مسمع) فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه ، ويوهمون أن مرادهم الدعاء له .

ويقولون (راعنا) يلوون بها ألسنتهم يوهمون أنهم يريدون « أنظرننا » فيظهرون أنهم يطلبون رعايته ويبطنون وصفه بالرعونة ، ويطعنون بذلك في الدين لوصف مبلغه بالرعونة .

ولو أنهم استقاموا وقالوا (سمعنا وأطعنا) بدل قولهم (سمعنا وعصينا) وقالوا (اسمع) دون ان يقولوا (غير مسمع) ، وقالوا (أنظرننا) بدل (راعنا) لكان خيرا لهم مما قالوه وأعدل منه سبيلا ، ولكن الله طردهم من رحمته باعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الايمان الا عددا قليلا .

عَلَىٰ أَذْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ وَالطُّغْيَاتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ

٤٧ - يأبى الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله آمنوا بما أنزلنا من القرآن على محمد مصدقا لما معكم ، من قبل أن نزل بكم عقابا تنمحي به معالم وجوهكم فتصير كأقفيتها ، لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب ، أو نطردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل ما نهوا عنه من الصيد يوم السبت . وكان قضاء الله نافذا لا مرد له .

٤٨ - ان الله لا يغفر الاشراك به ، ويعفو عما دون الاشراك من الذنوب لمن يشاء من عباده ، ومن يشرك بالله فقد ارتكب - مفتريا على الله - ذنبا كبيرا لا يستحق معه الغفران .

٤٩ - لاتعجب من هؤلاء الكافرين الذين يفترون بأعمالهم ، فنبين لهم سوء عملهم فيرونه حسنا ، ويشنون على أنفسهم مزكين لها ، والله وحده هو الذى يعلم الخبيث من الطيب ، فيزكى من يشاء ولا يظلم أى انسان قدره مهما كان ضيلا .

٥٠ - كيف يختلقون على الله الكذب بهذا ومثاله ، وكفى بالكذب على الله ذنبا واضحا يكشف عن خبيث طويتهم .

٥١ - ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظا من علم الكتاب ، يرضون عبدة الأصنام والشيطان ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان انهم أهدى من أهل الايمان طريقا .

٥٢ - أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمة ، ومن يخذله الله ويطرده من رحمة فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله .

٥٣ - لقد حرم هؤلاء نعمة الازعان للحق ، كما حرموا السلطان ، ولو أوتوه مانفعوا الناس به بأى قدر ولو كان ضيلا .

إِبْرَاهِيمَ الْكَتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِءَ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَاءَ نَصَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنَّهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ

٥٤ - كيف يستكثر هؤلاء على العرب ما آتاهم الله من فضله بيعت النبي منهم ، مع أن الله قد آتى ابراهيم وآله - وهو أبوكم وأبوهم - الكتاب المنزل والنبوة والملك العظيم .

٥٥ - فمن الذين بعث فيهم ابراهيم وآله من آمن بالكتاب المنزل اليهم ، ومنهم من أعرض عنه ، وحسب هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون نارا حامية .

٥٦ - ان الذين جحدوا حججنا البينات ، وكذبوا الأنبياء ، سوف ندخلهم النار التي تكوى بها جلودهم ، وكلما فقدت الاحساس بالعذاب بدلم الله جلودا غيرها جديدة ليستمروا في ألم العذاب ، ان الله تعالى غالب على أمره ، حكيم في فعله ، يعذب من جحد به وأصر على ذلك حتى مات^(١) .

٥٧ - والذين صدقوا بما جاءهم من ربهم وعملوا الأعمال الصالحة ، سنثيبهم على ايمانهم وعملهم ، فندخلهم جنات تجري تحت أشجارها الأنهار ، لاتنتهى حياتهم فيها أبدا ، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والأدناس ، ونعيمهم حياة ناعمة في ظل ظليل من العيش الطيب والنعيم المقيم .

٥٨ - ان الله يأمركم أيها المؤمنون أن توصلوا جميع ما أئتمتم عليه من الله أو الناس الى أهله بالعدل ، فلا تجوروا في الحكم . هذه موعظة من ربكم فاحضروا عليها ، فنعمت الموعظة التي يعظكم بها . ان الله دائما سميع لما يقال ، بصير بما يفعل ، فيعلم من أدى الأمانة ومن خان ، ومن حكم بالعدل أو جار فيجازى كلا بعمله .

(١) تدل الآية الكريمة على شدة العذاب الذي يتعرض له اصحاب النار بدليل ما تفرقه الحقيقة العلمية من أن الاعصاب المنتشرة في طبقات الجلد هي أكثر الأعصاب حساسية لمتنفس المؤثرات من حرارة وبرودة .

إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

٥٩ - يا أيها الذين صدقوا بما جاء به محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول والذين يلون أمركم من المسلمين القائمين بالحق والعدل والمنفذين الشرع، فان تنازعتم في شئ فيما بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله لتعلموا حكمة، فانه انزل عليكم كتابه وبينه رسوله، وفيه الحكم فيما اختلفتم فيه، وهذا مقتضى ايمانكم بالله واليوم الآخر، وهو خير لكم، لأنكم تهتدون به الى العدل فيما اختلفتم فيه، واحسن عاقبة، لأنه يمنع الخلاف المؤدى الى التنازع والضلال.

٦٠ - ألتعجب - أيها النبي - من الذين يدعون أنهم صدقوا بما أنزل عليك من الكتاب وما أنزل من قبلك من الكتب، يريدون أن يتحاكموا في خصوماتهم الى ما فيه الضلال والفساد وحكم غير الله، وقد أمرهم الله أن يجحدوه ولا يتحاكموا اليه، ويريد الشيطان ان يصدھم عن طريق الحق والهدى، فيضلهم عنه ضلالا بعيدا.

٦١ - واذا قيل لهم أقبلوا على ما أنزل الله من قرآن وشريعة، وعلى رسوله ليبين لكم، رأيت الذين ينافقون يعرضون عنك اعراضا شديدا.

٦٢ - فكيف تكون الحال اذا نزلت بهم نازلة بسبب خبث نفوسهم وسوء اعمالهم، ولم يجحدوا ملجأ الا اليك، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم الا الاحسان وطلب التوفيق.

٦٣ - أولئك الذين يقسمون أنهم لا يريدون الا الاحسان والعمل الموفق، يعلم الله حقيقة ما في قلوبهم وكذب قولهم، فلا تلتفت الى كلامهم وادعهم الى الحق بالموعظة الحسنة، وقل لهم قولاً حكماً بالفا يصل الى أعماق نفوسهم.

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنْبِيًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

٦٤ - وما أرسلنا من رسول الا كان الشأن في رسالته ان يطاع ، وان تكون طاعته باذن من الله وان من ينافق أو يكذب أو يخالفه يكن ظالما لنفسه ، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم رجعوا الى الهدى فجاءوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدموا ، ورجوت المغفرة لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم ، لوجدوا الله سبحانه وتعالى كثير القبول للتوبة رحما بعباده .

٦٥ - فوربك لا بعدون مؤمنين بالحق مدعين له ، حتى يجعلوك حكما فيما يكون بينهم من نزاع ، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ، ويدعوا لك اذعان المؤمنين المصدقين .

٦٦ - ولو أننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهاد المستمر ، وأن يعرضوا أنفسهم للتلطف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائما ، ما أطاع الا عدد قليل ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يكلف الا ما تحمله الطاقة ، ولو أنهم فعلوا وقاموا بحقه لكان في ذلك خير الدنيا والآخرة لهم ، وهو يؤدي الى تثبيت الايمان ، والاستقرار والاطمئنان .

٦٧ - واذا قاموا بحق التكليف الالهى الذى يكون في وسعهم ، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله .

٦٨ - ولكانوا بسبب اطاعتهم فيما يطيقون ، قد هداهم الله الى الطريق المستقيم الذى لا افراط فيه ولا تفريط .

٦٩ - ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرها والرضا بحكمها ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق في الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء في سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم ، وما أحسن هؤلاء رفقاء لا يشق جليسهم ، ولا يمل حديثهم .

وَكَفَى بِاللَّهِ عَظِيمًا ﴿٧٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَن لَّيَبْطُلَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِثَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ * فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ

٧٠ - تلك الميزة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله هي الفضل الكبير من الله ، وهو علم بالأعمال ومثيب عليها ، ويكفي المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ويطلب مرضاته .

٧١ - يأياها الذين آمنوا كونوا في حذر دائم من أعدائكم ، وخذوا الأهبة لرد كيدهم ، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة ، جماعة بعد جماعة ، أو اخرجوا لهم مجتمعين .

٧٢ - واحذروا المشبطين المعوقين فان ممن يعيش معكم من يشبط عن القتال ويتخلف عنه ، فان أصابكم نكبة في الجهاد ، قال ذلك الفريق المتخلف شامتا : قد أنعم الله على اذ لم أشهد معهم هذا القتال .

٧٣ - وان جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بغنائم القتال ، قال ذلك الفريق - متحسرا متمنيا الأمانى - ياليتنى كنت معهم في هذا القتال فأفوز بعظيم الغنائم ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم .

٧٤ - اذا كان منكم من يعوق أو يبطىء ، لضعف في ايمانه ، او خور في عزمته . فليقاتل في سبيل اعلاء كلمة الله والحق الذين يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة ، ومن يقاتل في سبيل اعلاء كلمة الله والحق فسينال احدى الحسنين فاما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد في سبيل الله ، أو ينتصر فينال فضل الفوز في الدنيا ، وهو في كلتا الحالتين يؤتيه الله أجرا عظيما في الآخرة .

٧٥ - كيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا في سبيل الله ، مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين الى الله يقولون : ربنا أخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ومكنا بقوتك ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين ، واجعل لنا من عندك نصيرا ينصرونا .

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 يَخْشَوْنَ النَّاسَ خَشْيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعُ
 الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَظْلُمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
 مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ
 مَنْ عِنْدَ اللَّهِ قَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونِ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ
 مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ

٧٦ - الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله والعدل والحق والذين جحدوا
 أو عاندوا يقاتلون في سبيل الظلم والفساد وبذلك كانوا أولياء الشيطان ، فأيها المؤمنون قاتلوهم لأنهم أعوان
 الشيطان وأنصاره واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد الله ، لأن تدبير الشيطان مها عظم فساد ضعیف ، والغلبة
 للحق .

٧٧ - ألم تنظر يا محمد فتعجب الى الذين رغبوا في القتال قبل ان يحجى الاذن به فقل لهم : لم يأت وقت
 القتال : فكفوا أيديكم عنه ، واحرصوا على اقامة الصلاة وابتاء الزكاة ، فلما فرض الله عليهم القتال اذا طائفة
 منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد . وقالوا مستغربين : لم كتبت علينا القتال ؟ متوهين أن في فرضية القتال
 تعجيلا لآجالهم ، ولذلك قالو : هلا أخرتنا الى زمن قريب نستمتع فيه بما في الدنيا ؟ فقل لهم : تقدموا للقتال
 ولو أدى الى استشهادهم ، فتاع الدنيا مها عظم قليل بجوار متاع الآخرة ، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى الله
 وستجزون على اعمالكم في الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئا مها صغر .

٧٨ - ان الموت الذي تفرون منه ملائكم اينما كنتم ، ولو كانت اقامتكم في حصون مشيدة وأن هؤلاء الخائرين
 لضعف ايمانهم يقولون : ان أصابهم فوز وغنيمة : هي من عند الله ، وان أصابهم جدد أو هزيمة يقولوا لك يا محمد
 هذه من عندك ، وما كان بشؤمك . فقل لهم : كل ما يصيبكم مما تحبون أو تكرهون فهو من تقدير الله ومن عنده
 اختبار وابتلاء ، فاهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولا صحيحا يتحدث به اليهم .

٧٩ - ما يصيبك - أيها النبي - من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك ، يتفضل به احسانا منه
 اليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته . والخطاب للنبي لتصوير
 النفس البشرية وان لم يقع منه ما يستوجب السيئة ، وارسلناك رسولا من عندنا للناس جميعا ، والله شهيد على
 تبليغك وعلى اجابتهم ، وكفى به علما .

وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْيَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهِ الَّذِينَ يَسْتَنِيظُونَهُ مِنْهُمْ ۖ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَاعْرِضْ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ

٨٠ - من يطع الرسول فقد اطاع الله ، لأنه لا يأمر الا بما أمر الله به ، ولا ينهى الا عما نهى الله عنه . فكانت طاعته في الامثال والانتها طاعة لله . ومن أعرض عن طاعتك ، فإرسلاك الا بشيرا نذيرا حفيظا ومهيما عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم ، ان ذلك لنا لا لك .

٨١ - ويقول هذا الفريق المتردد : أملك مطاع ، وليس لك منا الا الطاعة فيما تأمر وتنهى ، ولكن اذا خرجوا من عندك وابتعدوا عنك دبرت طائفة منهم أمرا وبيته ، غير الذي تقوله أنت لهم من أمر ونهى ، والله سبحانه وتعالى يحصى عليهم ما يدبرونه في خفاء . فلا تلتفت اليهم ، واعرض عنهم . وفوض أملك إلى الله ، وتوكل عليه وكفى أن يكون الله وكيلك وحافظك تفوض اليه جميع أمورك .

٨٢ - أفلا يتدبر أولئك المنافقون كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في وجوب طاعته واتباع أملك ، وأن هذا الكتاب من عند الله لا تلاف معانيه وأحكامه ، وتأيد بعضه لبعض . فهذا دليل على أنه من عند الله ، اذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه ، واختلفت احكامه اختلافا كثيرا .

٨٣ - واذا اطلعت - هذه الطائفة المنافقة - على أمر يتعلق بقوة المسلمين أو ضعفهم ، أفشوه ونشروه ، جاهرين به ، للتغريير بالمسلمين أو القاء الرعب في قلوبهم ، أو توصيل أنبائهم الى أعدائهم ، ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف الى الرسول والى أولى الأمر من القواد وكبار الصحابة ، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع واذاعتها ، الحق من جانب الرسول والقادة ، ولولا فضل الله عليكم بتثبيت قلوبكم على الايمان ، ومنع الفتنة ، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار ، لاتباع أكثركم إغواء الشيطان ، ولم ينج من اغوائه إلا القليل .

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَسْتَفْعِ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَسْتَفْعِ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَبِأَحْسَنِ مِنهَا أَوْ رُدُّهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ * قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ النَّارِ فَتَسْتَرْفِعُونَ أَلْسِنَكُمْ أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

٨٤- وإذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم ، وقاتل في سبيل كلمة الله والحق ، فلست مسئولا الا عن نفسك ، ثم ادع المؤمنين الى القتال وحثهم عليه ، لعل الله يدفع بك وبهم شدة الكافرين ، والله مؤيدكم وناصرهم ، وهو أشد قوة وأشد تنكيلا بالكافرين .

٨٥- وان هؤلاء المنافقين يناصرون الفساد ، واهل الايمان يناصرون الحق ، ومن يناصر في أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه ، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه والله مقتدر على كل شيء ، محيط به .

٨٦- وإذا حياكم أحد أيا كان بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره ، فردوا عليه بأحسن منها أو بمثلها ، فان الله محاسب على كل شيء كبيرا كان أو صغيرا .

٨٧- الله الذي لا اله الا هو ولاسلطان لغيره سيعثكم حثا من بعد مماتكم ، وليحشرنكم الى موقف الحساب ، لاشك في ذلك . وهو يقول ذلك فلا تشكوا في حديثه ، وأى قول أصدق من قول الله .

٨٨- ماكان يسوغ لكم أيها المؤمنون أن تختلفوا في شأن المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ، وما يسوغ لكم أن تختلفوا في شأنهم : أهم مؤمنون أم كافرون ؟ ويقتلون أم ينظرون ، وهم قابلون لأن يكونوا مهتدين أم لا ترجى منهم هداية ، انهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال ، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم أن تتوقعوا هداية من قدر الله في علمه الأزلى أنه لن يهتدى ، فان من يكتب في علم الله الأزلى ضلاله ، لن تجدوا طريقا لهدايته .

٨٩- انكم تودون هداية هؤلاء المنافقين ، وهم يودون ان تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين في الكفر معهم ، وإذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم ، ولا تعتبروهم منكم ، حتى يخرجوا مهاجرين ومحاهدين في سبيل الاسلام . وبذلك تزول عنهم صفة النفاق ، فان أعرضوا عن ذلك وانضموا الى اعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء .

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ فَلَمْ يَقْتُلُواكُمْ وَالْقَوْلُ الْبَكْرُ أَلَسَلَّمْ قَبْلَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ أَخْرَيْنَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فخذوهم وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا جَزَاءُوهُ جَهَنَّمَ

٩٠ - استثنى من المنافقين الذين يستحقون القتل لافسادهم لجماعة المؤمنين . . اولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المنتمين لأحد الفريقين ، أو كانوا في حيرة أيقاتلون مع قومهم الذين هم أعداء المسلمين وليس ثمة ميثاق أم يقاتلون مع المؤمنين ؟ فان الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق ، والآخرين يمنع قتلهم لأنهم في حرج ، وان الله تعالى لو شاء لجعلهم يحاربونكم فان أتروا الموقف السلبي وسالوكم فلايسوغ لكم أن تقتلوهم ، لأنه لايسوغ لذلك .

٩١ - فان ظهرتم على الشرك كانوا معكم ، وان ظهر المشركون على الاسلام كانوا مع المشركين فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين - وهؤلاء في ضلال مستمر ونفاق فان لم يعتزلوا قتالكم ويعلموكم بالأمن والسلام فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، لأنهم بعدم اعتزالهم القتال ، قد مكثوا المؤمنين من قتلهم ، وجعل الله تعالى للمؤمنين حجة بينة في قتالهم .

٩٢ - ان تقسيم المنافقين ذلك التقسيم للاحتياط . حتى لا يقتل مؤمن على ظن انه منافق وان قتل المؤمن لايسوغ إلا أن يقع ذلك خطأ غير مقصود ، وفي حال قتل المؤمن خطأ إن كان يعيش في ولاية الدولة الاسلامية فإنه تدفع الدية لأهله تعويضا عما فقدوه ، وتعتق رقية مؤمنة ليعوض جماعة المؤمنين عما فقدت ، لأن عتق الرقية المؤمنة احياءها بالحرية فكأنه يكتفي بتحرير رقية مؤمنة ليعوض المؤمنين عن فقدته (١) وان كان ينتمى لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة سلم ، فانه يجب تحرير رقية مؤمنة ، وتسليم الدية لأهل المقتول ، لأنهم لعدهم لايتخذونها لايذاء المسلمين ، واذا كان القاتل خطأ لايجد رقية مؤمنة يعتقها ، فانه يصوم شهرين متتابعين لايفطر يوما فيها ، لأن ذلك يكون تهديبا لنفسه وتربية لها على الاحتراس والله سبحانه وتعالى عليم بالنفوس والنيات ، وحكيم يضع العقوبات في مواضعها .

(١) لم يسو الشارح بين عقوبة القتل الخطأ والقتل العمد ذلك لان الجاني في القتل العمد تعمد العصيان بالفعل والقلب وعلى ذلك فجرمته مغلظة مما يناسبها شدة العقوبة أما في القتل الخطأ فان الجاني لم يتعمد العصيان بقلبه بل تعلق العصيان بفعله وهذا من الشريعة الاسلامية تنوع للمسئولية الجنائية بحسب نوع العصيان .

والآية الكريمة بينت مايقع على القاتل خطأ فذكرت الكفارة وهي تحرير رقية مؤمنة والصيام عند عدم وجود الرقية المؤمنة والكفارة يدور بين العقوبة والعبادة ، وظاهر ان الذي يتحمل هذه الكفارة هو الجاني وهذا فيه إيلام له وتهذيب وتقرب الى الله حتى يتوب عليه بما فعل .

وفضلا عن الكفارة في القتل الخطأ الدية ، والدية محددة من الشارح وهي لا تختلف في قتل دون قتل وفي هذا أمي مايكون من التسوية بين الناس ، وتكون الدية على العاقلة لان العاقلة هي أهل نصرة الجاني فاذا اشتركوا في العزم فانهم لاشك مانصوه من ارتكاب ماقد ينجم عنه العزم وهذا النوع من الاشتراك في المسئولية يدفع الى تقليل الجرائم

خَلَدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَامٌ كَثِيرٌ ۚ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمُ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

٩٣ - ان من يقتل مؤمنا قتلا عدوانا متعمدا مستحلا ذلك القتل ، يكون جزاؤه الذي يكافئ جريمته ان يدخل جهنم ويستمر فيها ، ويفضض الله عليه ويطرده من رحمته وقد أعد الله له في الآخرة عذابا عظيما ، فان هذه أكبر جريمة في الدنيا .

٩٤ - الاحتراس من قتل المؤمن واجب في حال الغزو ، فاذا سافرتم مجاهدين في سبيل الله تعالى فتعرفوا شأن الذين تقاتلونهم قبل القتال ، أهم أسلموا أولا يزالون على الشرك ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام وشارة الأمن لست مؤمنا ، تريدون بذلك الأموال والغنائم ، بل اقبلوا منهم السلام ، فان الله أعد لكم مغامم كثيرة . وأنتم أيها المؤمنون كنتم على الكفر قبل ذلك وهذاكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم وان الله عليم علما دقيقا لا يخفى عليه شيء ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه .

٩٥ - وأن الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جدا ، فلا يستوى الذين يفقدون عن الجهاد في منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، فقد جعل الله للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قعدوا الا اذا كان القاعدون من ذوي الأعدار التي تمنعهم من الخروج للقتال ، فان عذرهم يرفع عنهم الملامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم ، فقد وعد الله الفريقين المنزلة الحسنى والعاقبة الطيبة .

٩٦ - وهذه الدرجة التي اختص بها المجاهدون درجة عظيمة رفيعة ، حتى كأنها درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ماعداها ، وان لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة .

= وهذا كله لا يمنع ولي الامر من تعزير الجاني بالعقوبة التي يراها اذا وجد في ذلك مصلحة اذ الجرم في القتل الخطأ ثابت حتى من الآية الكريمة فقد جاء في نهايتها عقوبة من الله بقى ان الاجزية الواردة من كفارة ودية مشروعة من العمل القدير لقبول التوبة من الله تعالى وفي هذا اشارة الى ما وقع فيه القاتل خطأ من تقصير بترك الاحتياط ولذلك يقول الفقهاء أن القتل الخطأ لا يأثم اثم القتل وإنما يأثم اثم ترك التحرز والمبالغة في التثبت لان الافعال المباحة لا تجوز مباشرتها الا بشرط ان لا تؤذى أحدا . فاذا أذى أحدا فقد تحقق ترك التحرز فيأثم الفاعل (الزيلعي ج ٦ ص ١٠١) .

ويقول ان القتل الخطأ يمكن الامتناع عنه بالتكليف والمجهود الكاساني ج ٧ ص ٢٥٢ .
وهذه الاجزية جميعا تتفق مع ما يمثل في القتل الخطأ من ضرر جسيم يدعو الشارع لوضع الزواجر عليه وبمقارنة ذلك بالتشريعات الوضعية نجد البون شاسعا حتى أن الناس لم يعودوا يخافون العقاب عما أدى لكثرة هذا النوع من الجرائم والحصول حوادث صارخة دفعت الكثير الى أن ينادوا بتشديد عقاب القتل الخطأ ، ولو اتبع الناس تشريع القرآن لأدى ذلك الى تمويض اهل القتل بما يخفف عليهم الآلام النفسية والحسارة المادية والى زجر الجاني بما يبذل من كفارة فضلا عن الدية التي عليه وعلى العاقلة والى دفع الناس الى منع بعضهم بعضا من ارتكاب الخطأ الذي قد يسبب القتل .

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ لَكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ قَالُوا لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾ * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَافِئَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَافِئَةٌ أُخْرَىٰ لَرَّ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِنَتَكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ

٩٧ - وأن المسلم عليه ان يهاجر الى الدولة الاسلامية ولا يعيش في ذل ، فان الملائكة تسألهم : فيم كنتم حتى ارتضيت حياة الذل والهوان ؟ فيجيبون : كنا مستضعفين في الأرض بذلنا غيرنا فتقول الملائكة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذي تقيمون فيه ، وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال ، مأواهم عذاب جهنم ، وانها أسوأ مصير فالمسلم لا يصح أن يعيش في ذل ، بل يعيش عزيزا كريما .

٩٨ - غير أنه يعني من هذا العقاب من لا يستطيعون الانتقال من الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال ، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولا يجدون سبيلا للخروج .

٩٩ - وأولئك يرجى عفو الله عنهم ، والله تعالى من شأنه العفو والغفران .

١٠٠ - ومن يهاجر طالبا بهجرته مناصرة الحق وتأييده ، يجد في الأرض التي يسير فيها مواضع كثيرة يرغم بها أنف أعداء الحق ، ويجد سعة الحرية والاقامة العزيزة ، وله بذلك الثواب والأجر العظيم ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى موطن الدولة العزيزة التي هي دولة الله ورسوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجره ، وتكرم الله فجعل الأجر حقا عليه ، وغفر له ورحمه ، لأن من شأنه الغفران والرحمة .

١٠١ - الصلاة فريضة محكمة لا تسقط في السفر ، ولكن لا اثم على من يقصرها فيه عن الحضر . فالذين يخرجون مسافرين ان خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون ، لهم أن يقصروا الصلاة ، فالصلاة التي هي أربع ركعات يصلونها اثنتين ، وان الحذر من تعرض الكافرين واجب لأنهم أعداء ، عداوتهم واضحة .

مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ^ط وَخُذُوا حِذْرَكُمْ^ج إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا^{١٠٢} فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقِعُوا^ج وَقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ^ج فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ^ج إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا^{١٠٣} وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ^ج إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَلَهُمْ يَأْلَمُونَ^ط كَمَا تَأْلَمُونَ^ط وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ق وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^{١٠٤} إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

١٠٢ - وإذا كنت أيها النبي الأمين فيهم وقامت صلاة الجماعة ، فلاتنسوا الحذر من الأعداء وذلك بتقسيم المسلمين الى طائفتين : احدهما تبدأ الصلاة مقتدية بك ، وتكون الأخرى قائمة على الأسلحة والأمتعة لحراستها ، فاذا أتممت نصف الصلاة ذهبت التي صلت وراءك وجاءت الأخرى فصليت بها الباقي ، ثم تصلى مافاتهما وتصلى الأولى بقية الصلاة ، وتسمى لاحقة^(١) والأخرى مسبقة ، إذ تؤدي أول الصلاة ، واللاحقة تؤدي آخرها ، وذلك للتنظيم لكي لاتنفوت الصلاة ، وللحذر من الكافرين الذين يودون أن تغفلوا عن اسلحتكم وامتنعكم فيميلون عليكم دفعة واحدة ، وينقضوا عليكم وأنتم في الصلاة ، وأن قتال المشركين مستمر واجب ، ولكن لا اثم عليكم ان تسكنوا اذا كان بكم مرضى أو نزل مطر عاق عن القتال ، ولكن على أن تكونوا على حذر دائم وهذا عقاب الله للكافرين في الدنيا ، وفي الآخرة أعد لهم عذابا مهينا مذلا .

١٠٣ - وإذا اتممت صلاة الحرب التي تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائما فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم قاعدون ، واذكروه وأنتم نائمون ، فان ذكر الله تعالى يقوى القلوب ، وبه اطمئنانها ، فاذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان ، فأدوا الصلاة كاملة فان الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها .

١٠٤ - لاتضعفوا في طلب القوم الكافرين الذين أعلنوا عليكم الحرب ، وحاولوا أن يغيروا عليكم من كل مكان . والحرب بلاشك ألم ، فاذا كنتم تألمون من جراحها وما يكون فيها ، فانهم يألمون أيضا ، والفرق بينكم وبينهم أنهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئا ، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والتعظيم الدائم . والله علیم أعمالكم وأعمالهم حكيم يجازى كلا بما يعمل .

(١) اللاحقة : هي التي تصل مع الامام أول الصلاة وتضطر للتخلف باقيا ، ثم تؤدي الباقي منفردة ، والمسبوق هو الذي يؤدي آخر الصلاة جماعة ثم يؤدي الأول منفردا .

لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيماً ۝١٠٥ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ۝١٠٦
وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ۝١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ۝١٠٨ هَٰئُلَئِمَّ
هَٰؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ۝١١٠ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۝١١١ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا

١٠٥ - أنزلنا إليك القرآن حقاً وصدقاً ، مشتملاً على كل ما هو حق مبيناً للحق إلى يوم القيامة ليكون مناراً
في الحكم بين الناس ، فاحكم بينهم ولا تكن مدافعاً عن الخائنين .

١٠٦ - وعند الحكم بين الناس اتجه إلى الله وتذكر عظمته واطلب مغفرته ورحمته ، فإن المغفرة والرحمة من
شأنه سبحانه وتعالى .

١٠٧ - ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون في اخفاء الخيانة في أنفسهم ، فإن الله لا يحب من يكون من
شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب .

١٠٨ - يخفون ويستترون بخيانتهم من الناس ، ولا يمكن أن تخفى على الله وهو معهم دائماً خياناتهم ، وهم
يتفوقون ليلاً على ما لا يرضى الله من القول من رمى التهم على الأبرياء ، والله تعالى يعلم علماً لا يخفى منه شيء
فما يعملون .

١٠٩ - إذا كنتم تدافعون عنهم في الدنيا فلا يعاقبون عقاب الدنيا ، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة أمام
الله تعالى ، بل من يقبل أن يكون ولياً عليهم ناصراً لهم .

١١٠ - وإن باب التوبة مفتوح ، فمن يعمل أمراً سيئاً في ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي ثم يطلب مغفرة
الله تعالى ، فإنه يجد الله تعالى قابلاً لتوبته غافراً له ، لأن من شأنه المغفرة والرحمة .

١١١ - وإن الذنوب مضارها على نفس من يفعلها ، فمن يكسب ذنباً فإنما هو ضد نفسه ، ومغبته على نفسه .
والله سبحانه وتعالى يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكته ، فيعاقب أو يغفر على حسب ما تقتضيه الحكمة .

وَأَنَّمَا مُبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ^ط وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ^ع وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ^ط وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ * لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ^ع وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ^ط وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ^ع وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ^ع وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ^ع إِلَّا إِنْتًا وَإِن يَدْعُونَ

١١٢ - ومن يرتكب أخطاء تحيط بالنفس وذنوبا ثم يتهم بهذه الذنوب بريئا لم يرتكبها ، كمن يسرق شيئا ويتهم غيره بسرقة ، فقد وقع عليه وزران : أحدهما الكذب والافتراء باتهام الأبرياء ، والثاني : الذنب الواضح البين .

١١٣ - ولولا أن الله تفضل عليك بالوحي ورحمك بالادراك النافذ ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك ، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم ، لأن الله مطلعك ، وبصيرتك نافذة إلى الحق ، لا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم ، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذي هو ميزان الحق ، وأودع قلبك بالحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه إلا بوحي منه ، وإن فضل الله عليك عظيم دائما .

١١٤ - إن الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيما بينهم ، لا خير في هذه الأحاديث في الكثير ، لأن الشر يفرخ في الخفاء لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها ، أو للعزم على القيام بعمل غير مستنكر ، أو تدبير إصلاح بين الناس ، فإن ذلك خير ، ومن يفعله طلبا لرضا الله سبحانه فإن الله تعالى يعطيه جزاء كبيرا على عمله في الدنيا والآخرة .

١١٥ - وإن الذي يكون في شقاق مع الرسول من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية ، ويتبع طريقا غير طريق المؤمنين ، ويدخل في ولاية أعداء أهل الإيمان ، فإنه يكون منهم إذا اختارهم أوليائه ، وسيدخله الله تعالى النار يوم القيامة .

١١٦ - وإن هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك ، لأنهم أعداء الإسلام ، ومثله مثل من أشرك بالله وأن كل ذنب قابل للغفران إلا الشرك بالله ، وعبادة غيره ، ومعاندة رسوله في الحق ، فإن الله من شأنه المغفرة إلا أن يشرك به في عبادة ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وأن من يشرك بالله في عبادته وولائه فقد تاه عن الحق وبعد عنه كثيرا ، لأنه أفسد عقله ونفسه .

إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مِئِينَهِمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَيُبَنِّيَنَّ أَذَانًا أَلَّا نَعْلَمَ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا

١١٧ - وأن من أظهر مظاهر الضلال الذي بعد به عن الحق المشرك بالله أنه يعبد مالا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ويسمى آلهته الباطلة بأسماء الاناث ، كالات والعزى ومناة ، وغيرها من الأسماء المؤنثة ، وأنه يتبع بهذه العبادة الشيطان .

١١٨ - وأن هذا الشيطان طرده الله تعالى من ظل رحمته ، وجعله في طريق غوايته ، وقد أقسم وأخذ على نفسه عهدا أن يتخذ من عباد الله تعالى عددا معلوما مقدرا يستهويهم بغوايته ويوسوس لهم بشره .

١١٩ - وأن قسمه أن يضل الذين استهواهم بإبعادهم عن الحق ويثير أهواءهم وشهواتهم ، ويجعلهم يتبهون في أوهام وأمانى كاذبة يتمنونها ، وإذا صاروا بهذه الأهواء وتلك الأمانى تحت سلطانه ، ودفعهم إلى أمور غير معقولة وحملهم على أن يظنوها عبادة وهى أوهام كاذبة ، فوسوس لهم بأن يقطعوا أذان بعض الابل ويغيروا خلق الله فيها ، وأن ما قطع أذنه لا يذبح ولا يعمل ولا يمنع من مرعى وكل ذلك بأوامره ، ثم يوسوس لهم بأنه دين ، وأنهم بهذا يتبعونه ، ويتخذونه نصيرا متبعا من دون الله ، ومن يتخذهم نصيرا متبعا يخسر خسرا واضحا ، لأنه يضل عن الحقائق ويحمل عقله ، ويناله الفساد في الدنيا والعذاب في الآخرة .

١٢٠ - يزين لهم الشر ، ويعدهم النفع إذا فعلوه ، ويلقى في نفوسهم بأمانى يتمنونها ، وليس وعده وتزيينه إلا تفريرا .

١٢١ - وأن أولئك الذين ألغوا عقولهم واتبعوا وساوس الشيطان في نفوسهم ، مصيرهم إلى جهنم ولا يجدون منها خلاصا .

١٢٢ - هذا مصير أتباع الشيطان ، أما مصير أتباع الله فالخير ، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، ولم يسيروا وراء أوهام كاذبة ، فإن الله تعالى سيدخلهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجري تحت ظلها ، وهى أكبر من أعظم جنات الدنيا وأن ذلك مؤكد ، لأنه وعد الله ، ووعد الله لا يكون إلا حقا ، لا غرور فيه ، إذ هو مالك كل شيء ولا يتصور أن يكون أحد في الوجود أصدق من الله وعدا وقولا .

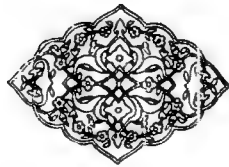
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَاللَّهُ مَافِي السَّمٰوٰتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكَ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ

١٢٣ - ان الجزاء ليس هو ما يتمناه ويحلم به الانسان من غير عمل طيب مثمر ، فليس الجزاء بما تتمنون أيها المسلمون ، ولا بما يتمناه ويحلم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب بالإيمان والعمل الصالح ، ومن يعمل سيئاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله من يواليه أو ينصره .

١٢٤ - ومن يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهم مؤمنون بالله ورسوله ، فإنهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلاً . ولا فرق في الجزاء بين الذكر والأنثى ، لأن الأنثى مكلفة . لها جزاء الخير ، وعليها عذاب الشر .

١٢٥ - وأن أساس عمل الخير منبعث من الاعتقاد السليم ، وأحسن الدين أن يخلص الله تعالى ، فيجعل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه ، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرسل ، وأن يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الأعمال ، ويتبعوا في ذلك أبا الانبياء ابراهيم عليه السلام ، فدينه هو دين الله ، وهو الدين الذى يتجه إلى طلب الحق دائماً . وأن ابراهيم هو الذى تلتق عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى ، فاتبعوا طريقه ، وأن الله أكرم ابراهيم فسماه خليلاً .

١٢٦ - وأن الاخلاص لله واسلام الوجه إليه ، هو اخلاص لمن أنشأ هذا الوجود وملكه ، فله كل ما في السموات والأرض ، من نجوم وأفلاك وشمس وقر وجبال ووهاد وصحارى ومزارع ، وهو مستعين كل شيء ، وهو الذى يعلم علم احاطة بكل ما يعمل الانسان ، ويجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً .



خَيْرٌ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنْذَرُوهُنَّ كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ

١٢٧ - قد استفتى الناس النبي في شأن النساء وكن ولا يزلن ضعيفات ، فبين الله لنبية أن يبين حال النساء وحال الضعفاء في الأسرة من الولدان واليتامى ، وذكر أن يتامى النساء اللاتي يزوجن ولا يأخذن مهورهن والأولاد ، واليتامى ، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية ، وأن كل ما يفعل من خير فإن الله يعلمه وهو الذي سيجزي به .

١٢٨ - وأن الزوجة إذا خافت من زوجها اهمالاً لشئون الأسرة أو اعراضاً عنها وعدم اقبال عليها ، فلا اثم عليها في أن يحاول اصلاح ما بينها بالصلح الجميل والتقريب . والعامل منها يبدأ به والصلح خير دائماً لا شر فيه ، وأن الذي يمنع الصلح هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة ، إذ يسيطر الشح النفسى ، ولا سبيل لعودة المودة إلا التساهل من أحد الجانبين وهو المحسن المتق ، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله ، فإن الله خير بعمله ومجازيه عليه .

١٢٩ - وأن العدل مع النساء بالمهبة الدائمة التي لا تشوبها شائبة ، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادله ، أمر غير ممكن دائماً ، وغير ممكن كذلك المساواة في المهبة بين الزوجات إذا كان عنده أكثر من واحدة ولكن إذا حرصتم فلا تجوروا عليها وقيلوا كل الميل إلى غيرها وتركوها لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة ، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلاح من غير افساد . وتتقوا الله فإن الله يغفر لكم ويرحمكم إذ من شأنه المغفرة والرحمة .

١٣٠ - وإذا لم يمكن الاصلاح واستحكمت النفرة ، فإن التفريق لازم وأن يتفرقا يغن الله كل واحد منها من سعة رحمته وفضله ، والأرزاق بيد الله ، والله واسع الرحمة والفضل ، وهو حكيم يضع الأمور في مواضعها .

تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنَّ يَسْأَلُ ذَهَبَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْأَيْمَانِ شُهُودًا لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أُولَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ نَعَسْتُمْ فَمَا يُكَذِّبُكَ الْوَلَدَيْنِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ذَكِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۚ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ

١٣١ - ان لب الدين هو الخضوع لمشيء الكون ذي الجلال والاکرام والاعتراف بسلطانه المطلق فله كل ما في السموات والأرض ، وهذا السلطان المطلق قال : وصينا أهل الديانات الساهية من أهل الكتاب - وأنتم معشر المسلمين - بأن تحافوه وتعبدوه ، والا تكفروا بعبادته ، فهو صاحب السلطان الأكبر في الأرض والسموات ، لا يخل بسلطانه شيء ، وهو غنى عنكم ، ومع ذلك يحمد لكم أيمانكم ، لأن من شأنه الغنى ، وأن يحمد مع ذلك فعل الخير من عباده .

١٣٢ - والله سبحانه وتعالى تدبير كل ما في السموات والأرض فهو المسيطر والمسير والمدبر وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم ، وأمر الناس ليعبدوه ، ويفوضوا أمورهم إليه ويتقوه .

١٣٣ - انكم معشر العباد في سلطان الله ، وهو القادر القاهر ، ان يسأ يمتكم ويأت بآخرين ، وهو ذو الجلال ، قدبر على ذلك وعلى كل شيء .

١٣٤ - وان الناس إذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم ، فإن الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة ، وهو وحده الذى يملك التعيمين .

١٣٥ - ان العدل هو نظام الوجود ، وهو القانون الذى لا يختلف النظر فيه ، فأيها الذين أذعنتم لله الحق ، ولدعوة رسله ، كونوا مراقبين لأنفسكم في الأذعان للعدل ، ومراقبين للناس ، فانصفوا المظلوم ، وكونوا قاتنين لا لرغبة غنى أو لعطف على فقير ، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير وهو أولى بالنظر في حال الغنى أو الفقير ، وأن الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وان تتولوا اقامة العدل أو تعرضوا عن اقامته فإن الله يعلم ما تعملون علما دقيقا ، ويجازيكم بعملكم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

وَمَلَئِكْتِهِ ۖ وَكُتِبَ ۖ وَرُسُلُهُ ۖ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَدُوا كُفْرًا لَّيْسَ بِكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِيرَ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا
الِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَنُّونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا
فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ

١٣٦ - وان الرسالات الساوية واحدة لوحدة مرسل الرسل ، وهو الله ، فأيها الذين آمنوا أذعنوا لله وأخلصوا له ، وصدقوا رسوله محمدا وصدقوا ما جاء في كتابه الذي أنزله عليه واعملوا به ، وصدقوا بالكتب التي نزلت من قبله كما أنزلها الله من غير تحريف ولا نسيان ، آمنوا بكل ذلك ، فإن من يكفر بالله خالق الوجود ، والملائكة ، وعالم الغيب ، وكتب الله ورسله ، وينكر اليوم الآخر ، فقد تاه عن الطريق المستقيم ، وأوغل في طريق الضلال وأبعد فيه .

١٣٧ - ان الايمان اذعان مطلق وعمل مستمر بالحق ، فالمرتدون المضطربون ليسوا بمؤمنين ، فالذين يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يؤمنون ثم يكفرون ، وهذا يزدادون كفرا ، ما كان الله غافرا لهم ما يفعلون من شر ، ولا ليهديهم إلى الحق ، لأن غفران الله يقتضى توبة واقلاعا عن الشر ، وهدايته تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه .

١٣٨ - بأيها الرسول الكريم أئذر المنافقين بأن لهم عذابا يوم القيامة مؤلما .

١٣٩ - وان أولئك المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين ، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين ؟ ان العزة لله وحده ، يعطيها عباده المؤمنين ، ومن اعترز بالله عز ، ومن اعترز بغيره ذل .

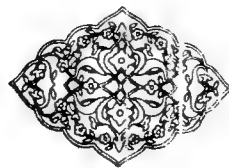
١٤٠ - وقد نزل الله عليكم في القرآن الكريم أنكم كلما سمعتم آية من الكتاب كان منكم الايمان ، وكان من الكافرين الجحود بها والاستهزاء ، وإذا كانت تلك حال الكافرين والمنافقين وسمعتم استهزاءهم فلا تقعدوا معهم حتى ينتقلوا إلى حديث غير حديث الاستهزاء وانكم ان لم تفعلوا وسمعتم استهزاءهم كنتم مثلهم في الاستهزاء بالقرآن وأن العاقبة وخيمة على الكافرين والمنافقين ، فإن الله جامعهم جميعا في النار يوم القيامة .

يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مَذْذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ؕ أُتْرِدُونَ أَنْ

١٤١ - وَأَنَّ أُولَٰئِكَ الْمُنَافِقِينَ يَنْتَظِرُونَ ائْتِنَظَارَ الْحَاقِدِ الْحَاقِقِ الَّذِي يَتَمَنَّى السُّوءَ لَكُمْ إِذَا كُنْتُمْ فِي حَرْبٍ مَعَ الْأَعْدَاءِ ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ لِّطَرِيقِ الْحَقِّ ، قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَنْعَلَهُمُ النَّصْرَ الَّذِي نَصَرَ اللَّهُ بِهِ أَهْلَ الْإِيمَانِ : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ بِاعْتِبَارِنَا مِنْ جَمَاعَتِكُمْ ؟ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ مِّنَ الْغَلْبِ اتَّجَهُوا إِلَيْهِمْ وَقَالُوا لَهُمْ : أَلَمْ نَغْلِبْ أُمُورَكُمْ عَلَيْنَا حَتَّى صَارَتْ أُمُورُنَا وَأَلَمْ نَمْنَحْكُمْ مَوَدَّتَنَا وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ هَٰؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ سَبِيلًا لِلْغَلْبِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى صِفَةِ الْإِيمَانِ الْحَقِّ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

١٤٢ - إِنْ الْمُنَافِقِينَ بِنِفَاقِهِمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُخْفُونَ عَنْهُ حَقِيقَةَ أَنْفُسِهِمْ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ خَادِعُهُمْ ، فَيَمْهَلُهُمْ وَيَتْرَكُهُمْ يَرْتَعُونَ فِي شَرِّهِمْ ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ، وَأَنَّ هَٰؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ مَظْهَرًا حَسْبًا ، وَمَظْهَرًا نَفْسِيًّا ، فَالْحَسَى أَنَّهُمْ يَقُومُونَ إِلَى الصَّلَاةِ كُسَالًا مُتَبَاطِئِينَ ، وَصَلَاتِهِمْ رِيَاءٌ لَا حَقِيقَةَ . وَالْمَظْهَرُ النَّفْسِيُّ أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا أحيانًا نَادِرَةً ، وَلَوْ ذَكَرُوهُ لَتَرَكُوا النِّفَاقَ .

١٤٣ - وَأَنَّ الْمُنَافِقِينَ مُتَرَدِّدُونَ مُضْطَرِبُونَ ، لَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا هُمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ مِنْهُمْ وَذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَضَعْفِ النَّفْسِ ، وَمِنَ الضَّلَالِ عَنِ الْحَقِّ وَمَنْ يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ الْأَزْلَى الضَّلَالَ ، فَلَنْ تَجِدَ سَبِيلًا لِهَدَايَتِهِ .



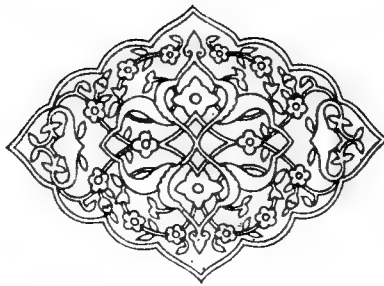
تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
 أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ * لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ

١٤٤ - وان من أسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الإيمان ولاية لهم ونصرة ، فتجنبوا هذا أيها
 المؤمنون ، ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم ، وأنكم ان فعلتم ذلك كان لله حجة عليكم
 بينة ، فتدخلون مع المنافقين وتذلون ، لأنكم لا تجعلون عزتكم من الله ، ومن الحق ، ومن العمل الصالح .

١٤٥ - ان المنافقين بسبب نفاقهم يكونون في أعماق جهنم ، فهم في أسفل مكان فيها ، وأحط درجاتها ، ولن
 تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب .

١٤٦ - إلا الذين يتوبون منهم ويعودون إلى الله تعالى ، ويعتصمون به وحده ، ويخلصون ويسلمون وجوههم
 له ، ويعملون الصالحات ، فإنهم بهذا يكونون من المؤمنين ولهم جزاء المؤمنين وقد أعد الله تعالى جزاء عظيمًا للمؤمنين
 في الدنيا والآخرة .

١٤٧ - وان الله تعالى لا مطلب له منكم إلا الإيمان به ، وشكر نعمته ، وإذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم ،
 ولكن جزاء على الخير والشكر ، وان الله تعالى شاكر يشكر لعباده عمل الخير ، وعليم يعلم كل حالهم من خير
 وشر .



مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبَنَتْ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا

١٤٨ - ينهى الله عباده عن قول السوء ، إلا من وقع عليه ظلم ، فيباح له أن يشكو ظالمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، والله سبحانه سميع لكل المظلوم عليم بظلم الظالم ، ويجازيه على عمله^(١) .

١٤٩ - أن تظهر واقع و تسروه ، أو تصفحوا عن سيء إليكم ، يشكم الله لتخلقكم بأخلاقه - تعالى - من العفو من كمال القدرة ، والله سبحانه عظيم العفو كامل القدرة .

١٥٠ - إن الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والذين يريدون التفرقة في الإيمان بالله ورسوله ، ويقولون : نؤمن ببعض الرسل دون بعض ، فيؤمنون بمن يحبون ، ويكفرون بمن لا يحبون ، والواجب الإيمان بالجميع ، لأن الإيمان لا يقبل أن يتجزأ .

١٥١ - هؤلاء جميعا هم الممعنون في الكفر البين ، وقد أعد الله لهم ولأمثاله عذاباً شديداً مذللاً .
١٥٢ - وأما من آمنوا بالله ورسوله ، ولم يكذبوا بأحد منهم ، فإن الله يشيهم على كامل إيمانهم الثواب العظيم ، والله غفور للثابين رحيم بعباده .

١٥٣ - يسألك - أيها الرسول - أهل الكتاب من اليهود ، متعتين . أن تقيم دليلاً على صدق نبوتك ، فتأتيهم بكتاب خاص ، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ، ويدعوهم إلى الإيمان بك وطاعتك ! فان استكثرت ما سألو فلا تعجل ، فقد تعنت أسلافهم فسألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا أج عيانا . فصاقبهم على تعنتهم ووظلمهم بصاغة أهلكتهم !! ثم اذكر هؤلاء جرماً أشد وأفظع ، وهو أنهم اتخذوا العجل إلهاً لهم من دون خالقهم ، بعد ما عاينوا الأدلة التي أظهرها موسى لفرعون وقومه ! ثم وسعهم عفو الله بعد إنابتهم إليه ، وأيد الله موسى بالحجة الواضحة والكلمة النافذة .

(١) تمنع القوانين الوضعية أي انسان ان يجاهر بفاحش القول أو سيئه بوجهه الى آخر والعللة في ذلك لدى تلك القوانين هي حماية اجماع الناس من ان تتأذى من مثل هذا الجهر وحماية أخلاقهم من أن تنس اليها تلك القبائح لأن في ذلك أذى لمن وجه إليه هذا السوء ويقول القرآن الكريم في هذا « لا يجب الله الجهر بالسوء » ولو انتهت الآية عند لفظ السوء بان كانت « لا يجب الله الجهر بالسوء » لشملت أيضا جريمة الفعل الفاضح العلني ومنها أن يكشف الانسان عن عورته في مكان عام أو ان يكشف ثياب امرأة لتظهر عورتها لكن تحديد السوء هنا بأنه من القول امتنع معه السوء من الفعل ، وهذا الفعل الفاضح العلني وهذه الجريمة متصوص عليها في آية أخرى هي الآية التاسعة عشرة من سورة النور « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة » ، سيجي الكلام عن »

لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنَّ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيتُ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

١٥٤ - ورفع الله الجبل فوق بني اسرائيل ، تهديدا لهم لامتناعهم عن قبول شريعة التوراة ، حتى قبلوا ، وأخذ عليهم الميثاق ، وأمرهم أن يدخلوا القرية خاضعين لله ، وألا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة في يوم السبت ، ولا يعتدوا فيه ، وقد أخذ عليهم في كل ذلك عهدا مؤكدا .

١٥٥ - فغضب الله عليهم ، بسبب نقضهم هذا الميثاق ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ظالمين (ولا يكون ذلك إلا ظلما) ، واصرارهم على الضلال بقولهم قلوبنا محجوبة عن قبول ما ندعى إليه !! وليسوا صادقين في قولهم ، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، فلا يؤمن منهم إلا قلة من الناس !

١٥٦ - وغضب الله عليهم بسبب كفرهم وافتراءهم على مريم افتراء كبيرا .

١٥٧ - وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين ، انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه ، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا . . ولكن شبه لهم ، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه ، وإنما قتلوا وصلبوا من يشبهه ! وقد اختلفوا من بعد ذلك في أن المقتول عيسى أم غيره ، وأنهم جميعا لفي شك من أمره . . والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن ، وما قتلوا عيسى قطعا .

١٥٨ - بل رفع الله عيسى إليه وأنقذه من أعدائه ، ولم يصلبوه ولم يقتلوه والله غالب لا يقهر حكيم في أفعاله .

١٥٩ - وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وأنه عبد الله ورسوله ، ويؤمن به ايمانا لا ينفعه لفوات أوانه ، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلغ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله .

= هذه الآية في مناسبة أخرى ، وبما اصطلحت عليه احدث القوانين الوضعية في جرائم كثيرة منها السب والقذف اعتبار القاذف معنورا اذا ماتبدره غيره بالسب والقذف فاهتاج فرد سببا بسب وقذفا بقذف وقد نصت الآية في بقية لها على عذر من الأعداء القانونية أما الآية كاملة فهي « لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » وهذا الاستثناء لمن ظلم ان يجهر بالسوء مادام غير باغ ولا عاد . ولم تحدد الآية هنا بان يكون الاعتداء بالقول كما حدد السوء بانه من القول ، وهذا الاطلاق قد يجعل الظلم شاملا لحال القول والفعل فيكون معنورا اذا ، وغير مستحق لعقاب أو ملام ينال عليه الغير بالضرب وهو أيضا من يعتدى على ماله والرأى في ظاهر معنى الآية أن من اعتدى عليه ظلما وعدوانا بالفعل أو القول فاهتاج فرد الظلم بسبب أو شتم فلا اثم عليه ، وتجمل الانشارة هنا الى ان الآية التالية مباشرة استدركت لما قد ينشأ من تطرف في فهم عذر الاستفزاز فنصت على ان العفو عن السوء خير من رد السوء بسوء لكي لاتشجع الفاحشة بين الناس فقالت « ان تبدوا خيرا أو تحفوه أو تغفوه عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا » .

كثيراً ۝ وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوٓا۟ وَقَدْ نَهَوٓا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝
لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ۖ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۖ وَالْمُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ * إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا
إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ۖ وَعِيسَىٰ ۚ وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۝ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ
نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝ رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ أُنزِلُوا بِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ

١٦٠ - فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم ، عاقبهم الله ، فحرم عليهم ألوانا من الطيبات كانت حلالا لهم ، وكان من هذا الظلم منعهم كثيرا من الناس من الدخول في دين الله .

١٦١ - وبسبب تعاملهم بالربا - وقد حرمه الله عليهم - وأخذهم أموال الناس بغير حق ، كان عقاب الدين بتحريم بعض الطيبات . وقد أعد الله لمن كفر عذابا مؤلما .

١٦٢ - لكن المشتبون في العلم من اليهود ، المؤمنون من أمتك - أي النبي - يصدقون بما أوحى إليك وما أوحى إلى الرسل من قبلك . والذين يؤدون الصلاة حق الأداء ، ويعطون الزكاة ، ويصدقون بالله وبالبعث والحساب ، أولئك سيجزيهم الله على إيمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء .

١٦٣ - أنا أوحينا إليك - أي النبي - القرآن والشرعة ، كما أوحينا من قبلك إلى نوح وإلى النبيين من بعده ، وكما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب ، وإلى عيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وكما أوحينا إلى داود فأنزلنا عليه كتاب الزبور .

١٦٤ - وكذلك أرسلنا رسلا كثيرين ذكرنا لك أنباءهم من قبل ، ورسلا آخرين لم نذكر قصصهم ، وكانت طريقة الوحي إلى موسى أن كلمه الله تكليما من وراء حجاب بلا واسطة .

١٦٥ - بعثنا هؤلاء الرسل جميعا ، مبشرين من آمن بالثواب ، ومنذرين من كفر بالعقاب ، حتى لا يكون للناس على الله حجة يتعللون بها بعد ارسال الرسل ، والله قادر على كل شيء ، غالب لا سلطان لأحد معه ، حكيم في أفعاله .

وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا

١٦٦ - لكن إذا لم يشهدوا بصدقك ، فالله يشهد بصحة ما أنزل إليك لقد أنزله إليك محكما بمقتضى علمه ، والملائكة يشهدون بذلك ، وتغنيك أيها الرسول شهادة الله عن كل شهادة .

١٦٧ - ان الذين كفروا فلم يصدقوك ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، قد بعدوا عن الحق بعدا شديدا .

١٦٨ - ان الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالكفر . وظلموا الرسول بجدد رسالته ، وظلموا الناس ، إذ كنتموهم الحق ، لن يغفر الله لهم ماداموا على كفرهم ، ولن يهديهم طريق النجاة ، وما كان من شأنه سبحانه أن يغفر لأمثالهم وهم في ضلالهم .

١٦٩ - ولكن يسلك بهم طريق النار . مخلصين فيها أبدا ، وأمر ذلك يسير على الله ،

١٧٠ - يا أيها الناس قد جاءكم الرسول - محمد - بالدين الحق من عند ربكم ، فصدقوا بما جاء به يكن خيرا لكم ، وإن أبيتم إلا الكفر فالله غنى عن إيمانكم ، مالك لكم ، فله ما في السموات والأرض ملكا وخالقا وتصرفا وهو العليم بمخلقه ، الحكيم في صنعه ، لا يضيع أجر المحسن ، ولا يهمل جزاء المسيء .

١٧١ - يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مغالين في دينكم ، ولا تفتروا على الله الكذب ، فتنكروا رسالة عيسى ، أو تجعلوه الها مع الله فإنما المسيح رسول كسائر الرسل ، خلقه الله بقدرته وكلمته التي بشر بها ، ونفخ روحه جبريل في مريم ، فهو سر من أسرار قدرته ، فآمنوا بالله ورسوله جميعا إيمانا صحيحا ولا تدعوا أن الآلهة ثلاثة ، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيرا لكم ، فإنما الله واحد لا شريك له ، وهو منزّه عن أن يكون له ولد ، وكل ما في السموات والأرض ملك له ، وكفى به وحده مدبرا للملكه .

لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ^{١٧٢} وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا^{١٧٣} فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ^{١٧٤} وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا^{١٧٥} يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا^{١٧٦} فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^{١٧٧} يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ^{١٧٨} إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ^{١٧٩} وَهُوَ بِرِثَتِهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتْ أَنْثَىٰ فَلَهَا مِثْلُ ثُلَاثٍ^{١٨٠} مِمَّا تَرَكَ^{١٨١} وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذِي تَرَكَ كِرْمًا مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ^{١٨٢} بَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^{١٨٣}

١٧٢ - لن يترفع المسيح عن أن يكون عبدا لله، ولن يترفع عن ذلك الملائكة المقربون، ومن يتكبر ويرفع عن عبادة الله فلن يفلت من عقابه يوم يجمع الله الناس للحساب.

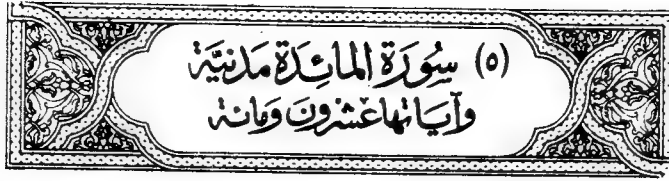
١٧٣ - فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيوفيهم ثواب أعلاهم ويزيدهم من فضله، أكراما وانعاما، وأما الذين أنفوا أن يعبدوه، وترفعوا أن يشكروه فقد أعد لهم عذابا شديدا بالإيلاف، لن يدفعه عنهم معين ولن ينعمهم منه نصير.

١٧٤ - يأياها الناس جميعا. قد جاءكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول محمد، وأنزلنا اليكم على لسانه قرآنا بينا كالنور، بضئ الطريق ويهديكم إلى النجاة.

١٧٥ - فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته، وتمسكوا بدينه، فسيدخلهم في الآخرة جناته، ويغفرهم بفيض رحمته، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقههم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم.

١٧٦ - يسألونك - أيها النبي - عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد: ان حكم الله في ميراث هؤلاء: ان كان للمتوفى أخت، فلها نصف تركته، وان كان للمتوفى أخ فله تركتها، وان كان للوارث أختان فلها ثلثا التركة^(١) وإن كانوا إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين. يبين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا في تقسيم الأنصباء والله عالم علما كاملا بكل شيء من أعمالكم وأفعالكم، ومجازيكم عليها.

(١) وبينت السنة أن الأكثر من الأخنتين كذلك مع أية الموارث التي ذكرت أن الأكثر من بنتين يأخذن الثلثين، فبالأولى الأكثر من الأخنتين، لأن البنات أقرب إلى المتوفى. ويلاحظ أن القوانين الأوروبية، المشتقة من القانون الروماني، لا تورث الأخوة، ولا الأخوات ولا أولادهم، وفوق ذلك تعطى المالك الحق في حرمان كل وريثته. وقد منع ذلك الاسلام فلم يعط المورث حقا إلا في الثلث ولا يزيد عليه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۖ أُحِلَّتْ لَكُم بَيْعَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَيْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعْبَةَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ

هى مدينة ، وعدد آياتها عشرون ومائة وهى من أواخر سور القرآن نزولا ، وقد اشتملت على بيان وجوب الوفاء بالعقود عامة ، سواء أكانت بين العبد وربّه ، أم بين الناس بعضهم مع بعض ، وبينت بعض المحرمات من الأطعمة ، كما بينت الحلال منها وحل نساء أهل الكتاب . وذكر أركان الوضوء ، والتيمم ، وفيها بيان طلب العدالة مع العدو . وقد تضمنت الإشارة إلى نعم الله على المسلمين ، ووجوب المحافظة على كتابهم ، وبينت أن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأن النصارى نسوا حظا مما ذكروا به ، وأنهم كفروا بقولهم أن المسيح ابن الله ، وتكذيب اليهود والنصارى فى ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه . ثم تضمنت بعض أخبار اليهود ، كما تضمنت قصة ولدى آدم التى تثبت أن الاعتداء فى طبيعة ابن آدم ، ثم وجوب القصاص تهديبا لهذه الطبيعة . واشتملت على عقوبة البغاء وعقوبة السرقة . ثم عادت إلى بيان تحريف اليهود للأحكام التشريعية التى اشتملت عليها التوراة ، وبيان أن التوراة والإنجيل كان فيها الحق قبل التحريف ، وقررت وجوب الحكم بما أنزل الله ، وأشارت إلى عداوة اليهود والنصارى الحاليين للمؤمنين ، ووجوب عدم الخضوع لهم ، وعدم الرضا بما يفعلون نحومهم وضرورة مقاومتهم ، وقررت كفر النصارى الذين قالوا : أن الله ثالث ثلاثة ؛ ثم أنصف القرآن فى هذه السورة بعض النصارى الذين أذعنوا للحق وأمنوا به . ثم اشتملت على منع المؤمن من أن يحرم بعض الطيبات عليه ، وبينت كفارة الأيمان إذا حنث ، ثم حرمت الخمر تحريما قاطعا ، ثم بينت بعض مناسك الحج ومكانة الكعبة والأشهر الحرم ، وبطلان بعض ما حرّمه العرب على أنفسهم من غير حجة ولا دليل ، كما بينت حكم الوصية فى السفر . وختمت السورة بالمعجزات التى جرت على يد عيسى عليه السلام ، ومع ذلك كفر به بنو اسرائيل ، وذكرت تبرؤ عيسى عليه السلام من الذين عبده ، وبيان ملك الله سبحانه للسماوات والأرض وكمال قدرته .

١ - يا أيها المؤمنون : التزموا الوفاء بجميع العهود التى بينكم وبين الله ، والعهود المشروعة التى بينكم وبين الناس . وقد أحل الله لكم أكل لحوم الأنعام من الإبل والبقر والغنم ، إلا ما ينص لكم على تحريمه . ولا يجوز لكم صيد البر إذا كنتم محرمين : أو كنتم فى أرض الحرم . أن الله يقضى بحكمته ما يريد من أحكام ، وأن هذا من عهود الله عليكم (١) .

(١) (الوفاء بالعقود يدخل فيه ما يتعاقده الناس فيما بينهم والعقد أصلا يكون بين طرفين وفيه معنى الاستينافق والشد بخلاف عهد يكون من طرف واحد ويدخل فى الأخير الالتزام بالإرادة المنفردة وبهذا سبق القرآن الكريم القوانين الوضعية والآية عامة فى الوفاء بالعقود وجامعة لأن العقد فى الاسلام شرعة المتعاقدين وأى مشرع وضعى لا يمكن أن يأتى بأثم واثم وأذى وأوضح من هذه الآية أو بما يأنلها فى ضرورة الوفاء بالعقود واحترامها) .

وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقِيَ الْيَوْمَ يَسَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

٢ - يأيها المؤمنون لا تستبيحوا حرمة شعائر الله ، كمناسك الحج وقت الاحرام قبل التحلل منه وسائر احكام الشريعة ، ولا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بإثارة الحرب فيها ، ولا تعترضوا لما يهدى من الأنعام إلى بيت الله الحرام باغتصابه أو منع بلوغه محله ، ولا تنزعوا القلائد ، وهى العلامات التى توضع فى الأعناق ، اشعارا بقصد البيت الحرام ، وأنها ستكون ذبيحة فى الحج ، ولا تعترضوا لقصاد بيت الله الحرام يبتغون فضل الله ورضاه ، وإذا تحللتم من الاحرام ، وخرجتم من أرض الحرم ، فلكم أن تصطادوا ، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم صدوكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم . ولتعاونوا^(١) بعضكم مع بعض - أيها المؤمنون - على فعل الخير وجميع الطاعات ، ولا تتعاونوا على المعاصى ومجاوزة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه ، ان الله شديد العقاب لمن خالفه .

٣ - حرم الله عليكم - أيها المؤمنون - أكل لحم الميتة ، (وهى ما فارقت الروح من غير ذبح شرعى) ، وأكل الدم السائل ، ولحم الخنزير ، وما ذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه ، وما مات خنقا ، أو التى ضربت حتى ماتت ، وما سقط من علوفات ، وما مات بسبب نطح غيره له ، وما مات بسبب أكل حيوان مفترس منه . وأما أدركنموه وفيه حياة ، مما يحل لكم أكله ، وذبحتموه ، فهو حلال لكم بالذبح . وحرم الله عليكم ما ذبح قربة للأصنام ، وحرم عليكم أن تطلبوا معرفة ما كتب فى الغيب بواسطة القرعة بالأقداح . وتناول شيء مما سبق تحريمه ذنب عظيم وخروج عن طاعة الله . ومن الآن انقطع رجاء الكفار فى القضاء على دينكم ، فلا تخافوا أن يتغلبوا عليكم ، واتقوا مخالفة أوامرى . اليوم أكملت لكم أحكام دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى باعزازكم وتثبيت أقدامكم ، واخترت لكم الاسلام دينا . فمن ألجأته ضرورة جوع إلى تناول شيء من المحرمات السابقة ، ففعل لدفع الهلاك عن نفسه ، غير منحرف إلى المعصية ، فإن الله يغفر للمضطر ما أكل ، دفعا للهلاك ، وهو رحيم به فيما أباح له^(٢) .

(١) (ان القرآن الكريم فى هذه الآية قد سبق بالدعوة الى التعاون ، جميع التشريعات الوضعية التى تهدف الى التعاون فى الخير بعشرات المئات من السنين) .

(٢) (قد يكون موت الحيوان نتيجة لشيغوخة أو مرض عضوى أو طفيل أو نتيجة لتسممه من مصدر خارجي ، ومن ثم قد يستعمل لحمه على مواد تغذى من يأكله هذا فضلا عن ان الحيوان الذى يموت دون تذكية ينحس فيه دمه وقد يمضى على موته وقت طويل لا يستطيع تحديده فيعرض جسمه للتحلل والفساد .

والدم هو المجرى الذى تلتق فيه مواد الايض « اى التمثيل الغذائى » كلها ففيه ما هو مفيد وما هو ضار مؤذ يكون فى طريقه الى الاعضاء =

مُكَلِّينَ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِمَ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا

٤ - يسألك المؤمنون - أيها الرسول - ماذا أحل الله لهم من طعام وغيره ؟ فقل لهم : أحل الله لكم كل طيب تستطيعه النفوس السليمة ، وأحل لكم ما تصطاده الجوارح التي علمتموها الصيد بالتدريب ، مستمدين ذلك مما علمكم الله . فكلوا من صيدها الذي أرسلتموه إليه وامسكته عليكم ، واذكروا اسم الله عند ارسالها ، واتقوا الله بالتزام ما شرع لكم ، ولا تتجاوزوه ، واحذروا مخالفة الله فيه : فانه سريع الحساب .

٥ - اليوم - منذ نزول هذه الآية - أحل الله لكم كل طيب تستطيعه النفوس السليمة ، وأحل لكم طعام أهل الكتاب ، وذبايحهم ، مما لم يرد نص بتحريمه ، كما أحل لهم طعامكم وأحل لكم زواج الحرائر العفائف من المؤمنات ومن أهل الكتاب ، وإذا أديتم لمن مهورهن قاصدين الزواج ، غير مستبيحين العلاقات غير الشرعية علانية ، أو بطريق اتخاذ الخلال . ومن يجهل الدين فقد ضاع ثواب عمله الذي كان يظن أنه قربي ، وهو في الآخرة من الهالكين .

٦ - فيأيتها المؤمنون - إذا أردتم القيام إلى الصلاة ولم تكونوا متوضئين ، فتوضأوا بفصل وجوهكم وأيديكم مع المرافق ، وامسحوا برؤوسكم - كلها أو بعضها - واغسلوا أرجلكم مع الكعبين . وإن كنتم جنباً عند القيام إلى

= إلى تزيل موموه أو تخرجه من الجسم هذا فضلا عن ان الدم تجتمع فيه أيضا السموم التي تفرزها الكائنات المتطفلة في الجسم كما أن كثيرا من الطفيليات يمضى فيه مراحل قصيرة أو طويلة دورة حياته في عائلة ، ولهذا كله كان تناول الدم كغذاء محرما .

أما الخنزير فهو معرض للاصابة بعدد كبير من الطفيليات التي تصيب الانسان من الفيروسات والسيروكينات (اللبتوسيريا) والمحيوانات الأولية (البروتوزوا) والديدان المفلطحة والاسطوانية وشوكية الرأس واهم هذه الطفيليات مایل :

١ - الحيوان الاولى الهدى السمي بالانتديوم كولاى المسبب للزحار البلنتيدي الذي يماثل الزحار الاميبي شدة وضراوا ومصدره الوحيد للانسان هو الخنزير ويكاد يكون مرضا مهينا لا يصيب سوى المشتغلين بتربية الخنزير وذبحه وبيع لحمه .

٢ - الوشائع الكبدية والمعدة في الترقى الاقصى وبخاصة وشيمة الامعاء الكبيرة (فاسيلو يسس بوسكاى) الواسمة الانتشار في الصين ووشيمة الامعاء الصغيرة جاسترو وسكويديس هومينس التي تصيب الانسان في البنغال وبورما واسام ووشيمة الكبد الصينية (كلونوركس سينتسر) المنتشرة في الصين واليابان وكوريا على الخصوص ويعتبر الخنزير العائل الخازن الرئيسى لهذه الطفيليات وبخاصة الديدان الاولى التي تنطلق فيه تقضى دورة حياتها في عوائلها الاخرى حتى تصيب الانسان ومن ثم فقاومتها في الانسان وحده لا تكفى .

٣ - دودة لحم الخنزير الشريطية (تينيا سوليوم) والدودة الطبيعية لها ان تنتقل بويضاتها من الانسان الى الخنزير حيث تكون اجنتها ديدانا ثمانية في لحمه ثم تنتقل الى أكل هذا اللحم فتتم الى الدودة الشريطية البالغة في أمعائه وهكذا . وهذه إصابة غير خطيرة في المعتاد وتشبه في ذلك دودة لحم البقر الشريطية (تينيا ساجيناتا) ولكن دودة لحم الخنزير تنفرد دون دودة لحم البقر بخصائص تؤهلها لانعكاس هذه الدودة انعكاسا جزئيا أما ابتلاع الانسان للبيضات بيده الملوثة أو مع طعامه الملوث أو بارتداد قطع الدودة (أى اسلاتها) المنقلة بالبيض أو البيض نفسه من الأمعاء الى المعدة حيث ينفق البيض وتنتشر البرقانات في عضلات المصاب مسببة اعراضا شديدة كثيرا ما تكون قاتلة اذا ما أصابت المخ أو النخاع الشوكى أو القلب أو غيرها من الأعضاء الرئيسية والاصابة بهذه الدودة ومضاعفاتها الخطيرة لا تكاد تعرف في البلاد الاسلامية حيث يحرم أكل لحم الخنزير .

نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَافَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَالْتَقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَالْتَقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

الصلاة بسبب ملازمة أزواجكم ، فاغسلوا جميع أبدانكم بالماء ، وإن كنتم مرضى مرضا يمنع من استعمال الماء ، أو كنتم مسافرين يتعسر عليكم وجود الماء ، أو عند رجوعكم من مكان قضاء الحاجة : أو لاستم النساء ولم تجدوا ماء ، فعليكم بالتييم بالتراب الطهور ، بمسح وجوهكم وأيديكم به . ما يريد الله فيما أمركم به أن يضيق عليكم ، ولكنه شرع ذلك لتطهيركم ظاهرا وباطنا ، وليتم نعمه عليكم بالهداية والبيان والتيسير ، لتشكروا الله على هدايته وتقام نعمته بالمداومة على طاعته^(١) .

٧ - واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم ، بهدايتكم إلى الاسلام ، وحافظوا على تنفيذ عهده الذي عاهدكم عليه ، حين بايعتم رسوله - محمدا - على السمع والطاعة ، واتقوا الله بالمحافظة على هذه العهود ، فإنه سبحانه عليم بخفيات قلوبكم ، فجازيكم عليها .

٨ - يا أيها المؤمنون ، حافظوا محافظة تامة على أداء حقوق الله ، وأدوا الشهادة بين الناس على وجهها الحق ، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم على أن تجانبوا العدل معهم ، بل التزموا العدل ، فهو أقرب سبيل إلى خشية الله والبعد^(٢) عن غضبه ، واخشوا الله في كل أموركم ، فإنه - سبحانه - عليم بكل ماتفعلون ، ومجازيكم عليه .

٩ - تفضل الله فوعده الذين صدقوا بدينه ، وعملوا الأعمال الصالحة ، أن يعفو عن ذنوبهم ، ويجزل لهم الثواب .

١٠ - والذين جحدوا دينه ، وكذبوا بآياته الدالة على وحدانيته ، وصدق رسالته ، فأولئك هم أهل جهنم المخلدون فيها .

= ٤ - الدودة الشعرية الحلزونية (تريكيلا سيراالس) وأعراضها الخطيرة مرتبة على انتشار يرقاناتها في عضلات الجسم وأعراض الإصابة بها شديدة متنوعة منها الاضطرابات المعوية والحصى والالام الروماتيزمية العضلية المبرحة وصعوبة المضغ والتنفس وتحريك العينين والتهاب المخ والنخاع الشوكي والسحايا المحيطة بها والأمراض العصبية والعقلية المترتبة على ذلك التسمم والاجهاد العام والارتشاح والمضاعفات النفسية .. الخ . وفي الاصابات القاتلة تحدث الوفاة بين الاسبوعين الرابع والسادس في معظم الأحوال والخنزير هو المصدر الوحيد لاصابة الانسان بهذا المرض الويل إلا في المناطق القطبية الشمالية ومواطن انتشار المرض هي أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية ولكنه بحمد الله غير معروف البتة بين المسلمين . والمحاولات المضنية لتجنب هذا البلاء بقرية الخنازير بطريقة صحيحة وفحص ذبائحها ومعالجة لحومها بوسائل باهظة التكاليف غير مجدية من الناحية العملية ويكنى للدلالة على هذا أن نذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية بها ثلاثة أمثال عدد الاصابات في العالم اجمع . وإن متوسط نسبة الإصابة في ولاياتها المختلفة هو ١٦% مع الوثوق بان هذا الرقم أقل كثيرا من الحقيقة وإن نسبة إصابة الخنازير به تتراوح بين ٥% و ٢٧% في الولايات المختلفة .

يزاد على هذا كله ان دهن الخنزير يختلف تماما في درجة تشبعه عن الزيوت النباتية والدهون الحيوانية الأخرى . ومن ثم فصلاحيته للغذاء موضع شك كبير بين العلماء وينصح الأستاذ « رام » عالم الكيمياء الحيوية الدافاركي الحاصل على جائزة نوبل بعدم المداومة على تناوله حيث أنه قد ثبت بالتجربة أنه من أهم مايسبب حصى المرارة وانسداد قنواتها وتصلبا في الشرايين وبعض أمراض القلب الأخرى وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم الفقهاء يعتبرون لفظ اللحم شاملا للحم والدهن جميعا .

أما ما أهل به لغير الله وماذبح على النصب فهي أوامر تعبدية أما المنخقة والموقودة والمترودة والنطيحة وما أكل السبع فحكها حكم الميتة وإن اختلف سبب موتها .

(١) في الطهارة الاسلامية معنيان : احدهما التوجه القلبي الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف امامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له .

إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ^{١١} وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^{١٢}
 * وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ^{١٣} لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ
 وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ^{١٤} فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ^{١٥} فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ
 لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^{١٦} وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^{١٧} وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ
 عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ^{١٨} إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^{١٩} وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ
 أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ^{٢٠} فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^{٢١} وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ
 بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ^{٢٢} يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَ كُرْ رُسُلُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ

١١ - يأياها المؤمنون، تذكروا نعمة الله عليكم في وقت الشدة، حين هم قوم - جماعة من المشركين - أن يفتكوا بكم، ويرسولكم، فنع أذاهم عنكم، ولجأكم منهم. والزمو تقوى الله، واعتمدوا عليه - وحده - في أموركم، فهو كافيك، وشأن المؤمن أن يكون اعتماده على الله وحده دائما.

١٢ - ان الله أخذ العهد على بني اسرائيل بالسمع والطاعة، فأقام عليهم اثني عشر رئيسا منهم لتنفيذ العهد، ووعدهم الله وعدا مؤكدا بأن يكون معهم بالعون والنصر ان أدوا الصلاة على وجهها، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم، وصدقوا برسله جميعا، ونصروهم، وأنفقوا في سبيل الخير، وإذا ما فعلوا ذلك، تجاوز الله عن ذنوبهم، وأدخلهم جناته التي تجرى من تحتها الأنهار، فن كفر ونقض العهد منهم بعد ذلك، فقد حاد عن الطريق السوي المستقيم.

١٣ - فبسبب نقض بني اسرائيل عهدهم، استحقوا الطرد من رحمة الله، وصارت قلوبهم صلبة لا تلين لقبول الحق، وأخذوا يصرفون كلام الله في التوراة عن معناه، إلى ما يوافق أهواءهم، وتركوا نصيبا وافيا مما أمروا به في التوراة واستظل - أيها الرسول - ترى منهم ألوانا من الغدر ونقض العهد، إلا نفرا قليلا منهم آمنوا بك فلم يخونوا ولم يغدروا. فتجاوز - أيها الرسول - عما فرط من هؤلاء، واصفح وأحسن إليهم، ان الله يحب المحسنين.

١٤ - وكذلك أخذ الله العهد على النصارى - الذين قالوا: انا نصارى - بالايان بالانجيل وبالوحدانية، فتركوا نصيبا وافرا مما أمروا به في الانجيل، فعاقبهم الله على ذلك بإثارة العداوة والخصومة بينهم، فصاروا فرقا متعادية إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله يومئذ بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه.

= وثانيهما - النظافة الحسية بالوضوء وفي ذلك غسل الأعضاء الظاهرة المعرضة للأوساخ والوضوء يتكرر وقد يصل تكراره الى خمس مرات في اليوم وبالاغتسال في حال الاتصال بزوجه وفي حال الحيض والنفاس وفي الوضوء والفسل وقاية من الأتربة الحاملة للجراثيم والأمراض ومد الجسم بنشاط في حركة الدم في الشعيرات الموجودة على ظاهر الجسم وتخفيف حدة توتر الأعصاب ولذلك قال النبي ﷺ « إذا غضبت فتوضأ » والتيمم فيه المعنى الأول وهو التوجه القلبى الى الله تعالى بالاستعداد لذلك وعقد العزم على الوقوف أمامه طاهر النفس مخلصا وخالصا له.

(٢) يدعو الاسلام الى العدالة المطلقة مع الولي ومع العدو على السواء فلا يصح أن يكون البغض حاملا على الظلم وذلك ينطبق على معاملات الافراد، ومعاملات الاسلام مع غيره من الدول والعدالة مع العدو يصرح النص القرآني بأنها أقرب للتقوى ولوطبق ذلك في القانون الدولي لما قامت حرب، فاذا كان لكل دين سمة وعلامة فسمه الاسلام التوحيد والعدالة.

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ۖ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمُ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۚ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَقُومُوا ذُرُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِلكَ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

١٥ - يَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ، مُحَمَّد ، دَاعِيَا إِلَى الْحَقِّ ، يَظْهَرُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَهُ مِنَ التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ ، وَيَدْعُ كَثِيرًا مِمَّا أَخْفَيْتُمُوهُ لَمْ تَدْعِ الْحَاجَةَ إِلَى أَظْهَارِهِ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ شَرِيعَةٌ كَامِلَةٌ هِيَ نُورٌ فِي
ذَاتِهَا ، وَبَيِّنَهَا كِتَابٌ وَاضِحٌ .

١٦ - يَهْدِي اللَّهُ بِهَذَا الْكِتَابِ إِلَى سَبِيلِ النِّجَاةِ مِنْ اتِّجَاهٍ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ
الْإِيمَانِ بِتَوْفِيقِهِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ .

١٧ - لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ زَعَمُوا - بَاطِلًا - أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ !! فَقُلْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُجْتَرِئِينَ
عَلَى مَقَامِ الْأُلُوهِيَّةِ : لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ مَشِيئَةَ اللَّهِ أَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عِيسَى وَأُمَّهُ ، وَهَلْكَ جَمِيعٌ مِنْ فِي الْأَرْضِ
فَإِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ عَلَى أَى مِثَالٍ أَرَادَ ، وَاللَّهُ عَظِيمُ الْقُدْرَةِ لَا يَعْجِزُهُ
شَيْءٌ .

١٨ - وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى : إِنَّا الْمُفَضَّلُونَ ، لِأَنَّا أَبْنَاءُ اللَّهِ وَالْمُحِبُّونَ لَهُ بِهِ فَقُلْ لَهُمْ - أَيُّهَا الرُّسُلُ : فَلِمَ إِذَا
يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، وَيَصْلِيَكُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ؟ لَقَدْ كَذَبْتُمْ لِأَنكُمْ كَسَأْتُمُ الْبَشَرَ مَخْلُوقِينَ وَمَحْسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَيَبِيدُ اللَّهُ
وَحْدَهُ الْمَغْفِرَةَ لِمَن يَشَاءُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ : وَالْعَذَابُ لِمَن يَشَاءُ أَنْ يُعَذِّبَهُ ، لِأَنَّ اللَّهَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَإِلَيْهِ
الْمُنْتَهَى .

١٩ - يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رِسَالَةٌ رَسُولُنَا الَّتِي يَظْهَرُ لَكُمْ الْحَقُّ ، بَعْدَ إِذْ تَوَقَّفَتِ الرِّسَالَاتُ فَتَرَةً مِنْ
الزَّمَنِ ، حَتَّى لَا تَعْتَذَرُوا عَنْ كُفْرِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْكُمْ مَبْشَرًا وَلَا مُنْذِرًا ، هَذَا هُوَ الَّذِي قَدْ أَتَاكُمْ بِبَشِيرٍ وَنَذِيرٍ ، وَاللَّهُ
هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ - وَمِنْهُ انْزَالُ الرِّسَالَاتِ - وَمَحَاسِبَتُكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ .

مَلُوكًا وَءَاتَيْنَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِن يَخْرُجُوا مِنَّا فَإِنَّا ذَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَلَمَّا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ عَظِيمُونَ ﴿٢٣﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَنْ
دْخُلُهَا أَبَدًا مَّادَامَا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا
نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا لَهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ
فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ * وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ

٢٠ - واذكر - أيها الرسول - حينما قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا بالشكر والطاعة نعم الله عليكم ، حيث
اختار منكم أنبياء كثيرين ، وجعلكم أعزة كالمُلوك ، بعد أن كنتم أذلاء في مملكة فرعون ، ومنحكم من النعم الأخرى
ما لم يُوْتِ أحدًا غيركم من العالمين .

٢١ - يا قوم أطيعوا أمر الله ، فادخلوا الأرض المقدسة التي قدر الله عليكم دخولها ، ولا تترجعوا أمام أهلها
الجبارين ، فتعودوا خاسرين نصر الله ورضوانه .

٢٢ - قال بنو إسرائيل مخالفين أمر الله : يا موسى ، ان في هذه الأرض جبارة لا طاقة لنا بهم ، فلن ندخلها
ماداموا فيها ، فإذا ما خرجوا منها دخلناها .

٢٣ - قال رجلان من نقباءهم الذين يخشون الله ، وأنعم الله عليها بالآيمان والطاعة : ادخلوا - أيها القوم -
على الجبارين باب المدينة مفاجئين ، فإذا فعلتم ذلك فإنكم منتصرون عليهم ، وتوكلوا على الله وحده في كل أموركم
ان كنتم صادقين بالآيمان .

٢٤ - فأصروا على المخالفة ، وقالوا : يا موسى ، انا معتمدون ألا ندخل هذه الأرض أبدا ، مادام فيها
الجبارون ! فدعنا نحن ، فليس لك علينا من سلطان ، وادّهب أنت وربك فقاتلا الجبارين ، فانا في هذا المكان
مقيمون .

٢٥ - حين ذلك فزع موسى إلى ربه قائلا : رب لا سلطان لي إلا على نفسي وأخي ، فاقض بعدلك بيننا وبين
هؤلاء المعاندين .

٢٦ - فاستجاب الله لموسى ، وحرّم على أولئك المخالفين دخول هذه الأرض طيلة أربعين عاما ، يضلون في
الصحراء لا يهتدون إلى جهة . قال الله لموسى يواسيه : لا تحزن على ما أصابهم ، فإنهم فاسقون خارجون عن أمر
الله .

يَتَقَبَّلُ مِنَ الْآخِرِ قَالَ لَا قَتْلَنَّاكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لِنَ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ
يَدِي إِلَيْكَ لَا قَتْلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ
النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ
غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتُ أَنْ أُكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ
فَأُورِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ
نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ

٢٧ - وان حب الاعتداء في طبيعة بعض الناس ، فاقراً ، أيها النبي ، على اليهود - وأنت صادق - خبر هابيل وقايل ابني آدم ، حين تقرب كل منهما إلى الله بشيء ، فقبل الله قربان أحدهما لاختلاصه ، ولم يتقبل من الآخر لعدم اختلاصه ، فحسد أخاه وتوعد بالقتل حقداً عليه ، فرد عليه أخوه ميئناً له أن الله لا يتقبل العمل إلا من الأتقياء المخلصين في تفرهم .

٢٨ - وقال له : لئن أغواك الشيطان فددت يدك نحوي لتقتلني ، فلن أعاملك بالمثل ، ولن أمد يدي إليك لاقتلك ، لأنني أخاف عذاب ربي ، وهو الله رب العالمين .

٢٩ - اني لن أقاومك حين تقتلني ، لتحمل ذنب قتلك لي ، مع ذنبك في عدم اختلاصك لله من قبل ، وبذلك تستحق أن تكون في الآخرة من أهل النار ، وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم .

٣٠ - فسهلت له نفسه أن يخالف الفطرة ، وأن يقتل أخاه ، وقتله ، فصار في حكم الله من الخاسرين ، إذ خسر إيمانه وخسر أخاه .

٣١ - بعد قتله أصابته حسرة وحيرة ، ولم يدر ما يصنع بجثته ! فأرسل الله غراباً ينبش تراب الأرض ليدفن غراباً ميتاً ، حتى يعلم ذلك القاتل كيف يسترجع جثة أخيه ! فقال القاتل محسناً بوبال ما ارتكب ، متحسراً على جريمته . أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جثة أخي ؟ ! فصار من النادمين على جرمه ومخالفته دواعي الفطرة (١) .

(١) تشير هذه الآية إلى أول دفن في الإنسانية وكيف أن الدفن في التراب كان وحياً من الله سبحانه وتعالى عن طريق عمل الغراب وحكمة ذلك إرشاد الإنسان إلى أن الدفن يمنع انتشار الأمراض ويجانب ذلك فانه إكرام للميت .

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِن كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمْسِرُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَاءَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْقَدُوهُ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ

٣٢ - بسبب ذلك الطفيان وحب الاعتداء في بعض النفوس ، أوجبنا قتل المعتدى ، لأنه من قتل نفسا بغير ما يوجب القصاص ، أو بغير فساد منها في الأرض ، فكأنه قتل الناس جميعا ، لأنه هناك حرمة دمائهم ، وجرأ عليها غيره ، وقتل النفس الواحدة كقتل الجميع في استجلاب غضب الله وعذابه ! ومن أحياها بالقصاص لها ، فكأنما أحيا الناس كلهم ، لصيانتها دماء البشر ، فيستحق عليهم عظيم الثواب من ربه . ولقد أرسلنا إليهم رسلنا مؤكدين حكمتنا لهم بالأدلة والبراهين ، ثم ان كثيرا من بنى اسرائيل بعد ذلك البيان المؤكد أسرفوا في افسادهم في الأرض^(١) .

٣٣ - انما عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ، بخروجهم على نظام الحكم وأحكام الشرع ، ويفسدون في الأرض بقطع الطريق أو انتهاب الأموال : أن يقتلوا بمن قتلوا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وغصبوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا قطعوا الطريق وغصبوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من بلد إلى بلد ، وأن يحبسوا إذا أخافوا فقط . ذلك العقاب ذل لهم واهانة في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار^(٢) .

٣٤ - إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين للنظام وقطاع الطريق ، من قبل أن تقدروا عليهم وتتمكنوا منهم ، فإن عقوبة الله المذكورة تسقط عنهم وتبقى عليهم حقوق العباد ، واعلموا ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٥ - يا أيها الذين آمنوا ، خافوا الله باجتناب نواهيه واطاعة أوامره ، واطلبوا ما يقربكم إلى ثوابه ، من فعل الطاعات والخيرات ، وجاهدوا في سبيله بإعلاء دينه ومحاربة أعدائه ، لعلكم تفوزون بكرامته وثوابه .

(١) في هذه الآية الشريفة ما يدل على ان الاعتداء على النفس الواحدة بالقتل اعتداء على المجتمع وهو يبرر كون الدعوة عن حق المجتمع يباشرها عنه النائب العام ووكلاؤه أو أية سلطة تقيمها الدولة لهذه الوظيفة في التشريعات الحديثة وهذا هو المقابل لحسب الله في التشريع الاسلامي ، فالتشريع في هذه المسألة له حق السبق . ومن أحسن الى فرد بانفاذ حياته من الهلاك فقد احسن الى المجتمع فالآية بما اشتملت عليه من معنيين تؤكد أن الاسلام يرفع القواعد في المجتمع الصالح وقواعد التعاون بين الأفراد والمجتمعات وفي هذا كله محافظة على الأمن والسلام والتعاون بين الأفراد والمجاعات .

(٢) القرآن الكريم في هذه الآية وفي الآية ٣٨ - ينص على عقوبات لم تراخ فيها إلا المصلحة ومنع الاجرام وان هذه العقوبات من

مَا تُقِيلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ * يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ أَعْرَضُوا عَنْكَ يَكْفُرُونَ بِالْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ يُخْرِقْ قُلُوبَ الَّذِينَ يَشَاءُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ

٣٦ - ان الذين كفروا لو كان عندهم ما في الأرض جميعا من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة، وكان لهم مثل ما في الأرض فوق ما فيها، وأرادوا أن يجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب الله يوم القيامة على كفرهم، ما نفعهم الافتداء بهذا كله، ولا قبل الله منهم ذلك، فلا سبيل إلى خلاصهم من العقاب، ولهم عذاب مؤلم شديد.

٣٧ - يتمنى هؤلاء الكافرون أن يخرجوا من النار، وهم لن يخرجوا منها، ولهم عذاب دائم مستمر.

٣٨ - والذي يسرق، والذي تسرق، اقطعوا أيديها جزاء بما ارتكبا، عقوبة لها، وزجرا وردعا لغيرها. وذلك الحكم لها من الله، والله غالب على أمره، حكيم في تشريعه، يضع لكل جريمة ما تستحق من عقاب رادع مانع من شيعها.

٣٩ - فمن تاب من بعد اعتدائه وأصلح عمله واستقام، فإن الله يتقبل توبته، ان الله واسع المغفرة والرحمة.

٤٠ - اعلم أيها المكلف علما يقينيا أن الله وحده له كل ما في السموات والأرض، يعذب من يشاء تعذيبه بحكمته وقدرته، ويغفر لمن يشاء أن يغفر له بحكمته ورحمته، والله على كل شيء قدير.

== شأنها لو طبقت على وجهها الصحيح ان تقطع الجرائم وتحيل المجتمع الى مجتمع تفرغ عليه السعادة والهناء والأمن والسلام. ويجب التنويه الى ان هذه العقوبات مانعة من شأنها منع ارتكاب الجريمة والتخويف من الوقوع في حياة الضلالة وهي بعد عقوبات تتناسب مع ما للنفس والأموال من حرمة في المجتمع وعلى من يستفطع هذه العقوبات الا يرتكب ما يوجبها وقد نجحت في محاربة الاجرام نجاحا لم تصل اليه التشريعات الوضعية وهي بعد متفقة مع روح العصر ومع كل قبيلة فهي من وحى هذه الشريعة الأبدية التي جاءت لتحقيق مصالح الناس وعلى كل من يستفطع العقوبة ان ينظر الى المجرم أولا والفرم بالغرم.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلصَّحَةِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَلَا تَسْتَرُوا بِعَائِنِي فَمَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ

٤١ - يأيها الرسول لا يحزنك صنع الكافرين الذين ينتقلون في مراتب الكفر من أدناها إلى أعلاها ، مسارعين فيها ، من هؤلاء المخادعين الذين قالوا آمنا بالسنتهم ولم تدعن للحق قلوبهم ، ومن اليهود الذين يكثرون الاستماع إلى مفتريات أحبارهم ويستجيبون لها ، ويكثرون الاستماع والاستجابة لطائفة منهم ولم يحضروا مجلسك تكبرا وبغضا ! وهؤلاء يبدلون ويحرفون ما جاء في التوراة من بعد أن أقامه الله وأحكمه في مواضعه ! ويقولون لأتباعهم : ان أوتيتم هذا الكلام المحرف المبدل فاقبلوه وأطيعوه ، وان لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره ! فلا تحزن ، فن يرد الله ضلاله لانغلاق قلبه ، فلن تستطيع أن تهديه أو أن تنفعه بشيء لم يرد الله له . وأولئك هم الذين أسرفوا في الضلال والعناد ، لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الحقد والعناد والكفر ، ولهم في الدنيا ذل ، بالفضيحة والهزيمة ، ولهم في الآخرة عذاب شديد عظيم .

٤٢ - هم كثيرو الاستماع للافتراء ، كثيرو الأكل للمال المحرام الذي لا بركة فيه ، كالرشوة والربا وغيرها ، فإن جاءوك لتحكم بينهم فاحكم بينهم إذا رأيت المصلحة في ذلك ، أو أعرض عنهم ، وان تعرض عنهم فلن يضررك بأى قدر من الضرر ، لأن الله عاصمك من الناس ، وان حكمت بينهم فاحكم بالعدل الذي أمر الله به ، ان الله يحب العادلين فيحفظهم ويثيبهم .

٤٣ - عجا لهم ! كيف يطلبون حكمك ، مع أن حكم الله منصوص عليه عندهم في التوراة ؟ ! والعجب من أمرهم أنهم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق هواهم ، مع أنه الموافق لما في كتابهم ! وليس هؤلاء من المؤمنين الذين يدعون للحق !

هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذْنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ
هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَلْوَكُمْ فِي مَا أَتَاكُمْ

٤٤ - انا أنزلنا التوراة على موسى فيها هداية إلى الحق ، وبيان منير للأحكام التي يحكم بها النبيون ، والذين
أخلصوا نفوسهم لربهم ، والعلماء السالكون طريقة الأنبياء ، والذين عهد إليهم أن يحفظوا كتابهم من التبديل ،
حراسا عليه ، شاهدين بأنه الحق . فلا تخافوا الناس في أحكامكم ، وخافوني أنا ربكم رب العالمين ، ولا تستبدلوا
بأبائي التي أنزلتها ثمنا قليلا من متاع الدنيا ، كالرشوة والجاه ! ومن لم يحكم بما أنزل الله من شرائع مستهينين بها ،
فهم من الكافرين .

٤٥ - وفرضنا على اليهود في التوراة شرعة القصاص ، لنحفظ بها حياة الناس ، فحكنا بأن تؤخذ النفس
بالنفس ، والعين بالعين ! والأنف بالأنف والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح يقتص فيها إذا أمكن . فمن عفا
وتصدق بحقه في القصاص على الجاني ، كان هذا التصديق كفارة له ، يحو الله بها قدرا من ذنوبه . ومن لم يحكم
بما أنزل الله من القصاص وغيره ، فأولئك هم الظالمون .

٤٦ - وأرسلنا من بعد هؤلاء النبيين عيسى بن مريم ، متبعا لطريقهم ، مصدقا لما سبقه من التوراة ، وأنزلنا
عليه الإنجيل فيه هداية إلى الحق ، وبيان للأحكام ، وأنزلناه مصدقا لما سبقه وهي التوراة ، وفيها هداية إلى الحق
وموعظة للمتقين .

٤٧ - وأمرنا اتباع عيسى وأصحاب الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الخارجون المتمردون على شريعة الله .

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَلْهَكَمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

٤٨ - وأنزلنا إليك - أي النبي - الكتاب الكامل ، وهو القرآن ، ملازما الحق في كل أحكامه وأنبأته ، موافقا ومصدقا لما سبقه من كتبنا ، وشاهدا عليها بالصحة ، ورقيا عليها بسبب حفظه من التغير ، فاحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليك بما أنزله الله عليك ، ولا تتبع في حكمك شهواتهم ورغباتهم ، فتتحرف عما جاءك منا من حق . لكل أمة منكم - أي الناس - جعلنا منهاجا لبيان الحق ، وطريقا واضحا في الدين يمشى عليه ، ولو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة ذات مشارب واحدة ، لا تختلف منهاج ارشادها في جميع العصور ، ولكنه جعلكم هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع ، ليتبين المطيع والعاصي . فانتهزوا الفرص ، وسارعوا إلى عمل الخيرات ، فإن رجوعكم جميعا سيكون إلى الله وحده ، فيخبركم بحقيقة ما كنتم تختلفون فيه ، ويجازي كلا منكم بعمله .

٤٩ - وأمرناك أيها الرسول بأن تحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع رغباتهم في الحكم ، واحذرهم أن يصرفوك عن بعض ما أنزله الله إليك . فإن أعرضوا عن حكم الله وأرادوا غيره ، فاعلم أن الله إنما يريد أن يصيبهم بفساد أمورهم ، لفساد نفوسهم ، بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها من مخالفة أحكامه وشريعته ، ثم يجازيهم عن كل أعمالهم في الآخرة (١) ، وإن كثيرا من الناس لمتردون على أحكام الشريعة .

٥٠ - أريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التي لا عدل فيها ، بل الهوى هو الذي يحكم ، بأن يجعلوا أساس الحكم الميل والمداينة ؟ وهذه هي طريقة أهل الجاهلية ! وهل يوجد أحسن من الله حكما لقوم يوقنون بالشرع ويدعونون للحق ؟ انهم هم الذين يدركون حسن أحكام الله .

(١) في هذه الآية الدليل على أن القرآن الكريم يقرر مبدأ اقليمية القانون بمعنى أن التشريع الاسلامي يطبق في ديار الاسلام على جميع القاطنين بها ومبدأ اقليمية هذا لم يستقر في عالم التشريع الوضعي إلا حديثا .

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۖ فَيُصِيبُحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۖ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ

٥١ - يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالونهم ، فهم سواء في معاداتكم . ومن جعل لهم الولاية عليه فإنه من جملتهم وان الله لا يهدي الذين يظلمون أنفسهم يجعل ولايتهم للكافرين .

٥٢ - وإذا كانت ولايتهم لا يتبعها إلا الظالمون ، فأنك ترى الذين يوالونهم في قلوبهم مرض الضعف والنفاق ، إذ يقولون : نخاف أن تصيبنا كارثة عاما فلا يساعدونا ! فعسى الله أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم أو يظهر نفاق أولئك المنافقين ، فيصيبوا نادمين أسفين على ما كتموه في نفوسهم من كفر وشك !!

٥٣ - وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون ، متعجبين من المنافقين : أهؤلاء الذين أقسموا وبالغوا في القسم بأفهم على أنهم معكم في الدين ، مؤمنون مثلكم ؟ كذبوا وبطلت أعمالهم ، فصاروا خاسرين الايمان ، ونصرة المؤمنين !!

٥٤ - يا أيها الذين آمنوا : من يرجع منكم عن الايمان إلى الكفر ، فلن يضرنا الله بأى قدر من الضرر ! تعالى الله عن ذلك ، فسوف يأتي الله بدلهم بقوم خير منهم ، يحبهم الله فيوفقهم للهدى والطاعة ، ويحبون الله فيطيعونه ، وفيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين ، وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون في الله لومة أى لائم ! ذلك فضل الله بمنحه لمن يشاء ممن يوفقهم للخير ، والله كثير الفضل عليم بمن يستحقونه .

٥٥ - انما ولايتكم - أيها المؤمنون - الله ورسوله وأنفسكم ، ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم خاضعون لله .

٥٦ - ومن يتخذ الله ورسوله والمؤمنين أولياءه ونصراءه ، فإنه يكون من حزب الله ، وحزب الله هم المنتصرون الفائزون .

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكَ مُتَوَبِّعًا عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ

٥٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ سُخْرِيَةً وَلَهُوَ، وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكُونَ، نَصْرَاءَ، وَلَا تَجْعَلُوا وَلَا يَتَّخِذُوا لَكُمْ، وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ.

٥٨ - وَمَنْ اسْتَهْزَأْتُمْ بِهِمْ بِكُمْ: أَنْكُمْ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ بِالْأَذَانِ، اسْتَهْزَأُوا بِالصَّلَاةِ، وَتَضَاحَكُوا عَلَيْهَا وَلَعِبُوا فِيهَا، وَذَٰلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَا يَدْرِكُونَ الْفَرْقَ بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْهُدَى!

٥٩ - قُلْ أَيُّهَا الرُّسُولُ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ، هَلْ تَنْقِمُونَ عَلَيْنَا إِلَّا إِيمَانَنَا بِاللَّهِ وَبِمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَبِمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكِتَابِ الصَّحِيحَةِ: وَإِيمَانُنَا بِأَنَّ أَكْثَرَكُمْ خَارِجُونَ عَلَى شَرِيعَةِ اللَّهِ؟!

٦٠ - قُلْ لَهُمْ: أَلَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَعْظَمِ شَرٍّ فِي الْجِزَاءِ عِنْدَ اللَّهِ؟ إِنَّهُ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بِأَمْنٍ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَسَخَطَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ، وَطَمَسَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَكَانُوا كَالْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَعَبَدُوا الشَّيْطَانَ، وَاتَّبَعُوا الضَّلَالَةَ! أُولَٰئِكَ فِي أَكْبَرِ مَنَزَلَةٍ مِنَ الشَّرِّ، لِأَنَّهُمْ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

٦١ - وَإِذَا جَاءَكُمْ الْمُنَافِقُونَ، كَذَبُوا عَلَيْكُمْ بِقَوْلِهِمْ: آمَنَّا! وَهُمْ قَدْ دَخَلُوا إِلَيْكُمْ كَافِرِينَ كَمَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكُمْ كَافِرِينَ! وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ مِنَ النِّفَاقِ وَمَعَاقِبِهِمْ عَلَيْهِ.

٦٢ - وَتَرَى كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ يُسَارِعُونَ فِي الْمَعَاصِي وَالْإِعْتِدَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَفِي أَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ كَالرَّشْوَةِ وَالرِّبَا وَلِبْسِ مَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذِهِ الْقَبَاحِ!.

الْإِنَّمِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لِبَئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ
مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْنَصَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ * يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَتَأَمَّلْ
الْكِتَابَ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ

٦٣ - أما كان ينبغي أن ينهأهم علماءهم وأخبارهم عن قول الكذب وأكل الحرام ، ولبس ما كانوا يصنعون من ترك النصيحة والنهي عن المعصية !

٦٤ - وقالت اليهود : يد الله مقبوضة لا تنبسط بالعطاء ! قبض الله أيديهم وأبعدهم من رحمته ! فانه غنى كريم ينفق كما يشاء . وان كثيرا من هؤلاء ، لا معانهم في الضلال ، ليزيدهم ما أنزل إليك من الله ظملا وكفرا ، لما فيهم من حقد وحسد . وأثرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وكلما أشعلوا نارا لحرب الرسول والمؤمنين أطفأها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه وأتباعه ! وأنهم يجتهدون في نشر الفساد في الأرض بالكيد والفتن وإثارة الحروب ، والله لا يحب المفسدين .

٦٥ - ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالإسلام ونبهه ، واجتنبوا الآثام التي ذكرناها ، لمهونا عنهم سيئاتهم ، وأدخلناهم في جنات النعيم يتمتعون بها .

٦٦ - ولو أنهم حفظوا التوراة والإنجيل كما نزل ، وعملوا بما فيها . وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم ، وهو القرآن ، لوسع الله عليهم الرزق يأتيهم من كل جهة يلتمسونه منها . وليسوا سواء في الضلال . ومن هؤلاء جماعة عادلة عاقلة ، وهم الذين آمنوا بمحمد وبالقرآن ، وكثير منهم لبس ما يعملونه ويقولونه معرضين عن الحق .

٦٧ - يأها المرسل من الله ، أخبر الناس بكل ما أوحى إليك من ربك . وادعهم إليه ، ولا تخش الأذى من أحد ، وان لم تفعل ذلك فابلغت رسالة الله ، لأنك قد كلفت تبليغ الجميع ، والله يحفظك من أذى الكفار ، إذ جرت سنته الا ينصر الباطل على الحق ، ان الله لا يهدي الكافرين إلى الطريق السوى .

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا^{٦٨} فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحُونَ
وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا^{٧٠} كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧١﴾
وَحَسِبُوا أَنَّا لَنَكُونَ فَتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ^{٧٣} وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ^{٧٤}
إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٥﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ

٦٨ - يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ، قُلْ لِأَهْلِ الْكِتَابِ : أَنْتُمْ لَا تَكُونُونَ عَلَى أَى دِينٍ صَحِيحَ ، إِلَّا إِذَا أَعْلَنْتُمْ جَمِيعَ الْأَحْكَامِ
الَّتِي أَنْزَلْتُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَعَمِلْتُمْ بِهَا ، وَأَمَنْتُمْ بِالْقُرْآنِ الْمَوْحَى بِهِ مِنْ اللَّهِ إِلَى رَسُولِهِ هُدَايَةَ النَّاسِ ،
وَلَتَتَّقِينَ - أَيُّهَا الرُّسُلُ - أَنْ مَعْظَمَ أَهْلِ الْكِتَابِ سَيُزِيدُكُمْ بِالْقُرْآنِ الْمَوْحَى بِهِ إِلَيْكُمْ ، ظُلْمًا وَكُفْرًا وَعِنَادًا ، لِحُسْنِهِمْ
وَحَقْدِهِمْ ، فَلَا تَحْزَنْ عَلَى الَّذِينَ طَبَعُوا عَلَى الْمَجْهُودِ .

٦٩ - أَنْ الْمُسَدِّقِينَ بِاللَّهِ ، وَأَتْبَاعَ مُوسَى مِنَ الْيَهُودِ ، وَالْخَارِجِينَ عَنِ الْأَدْيَانِ ، وَأَتْبَاعَ عِيسَى مِنَ النَّصَارَى ، كُلِّ
أُولَئِكَ ، إِذَا أَخْلَصُوا فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَصَدَقُوا بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ، وَأَتَوْا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ ، فَهُمْ
فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْعَذَابِ وَفِي سُرُورٍ بِالنَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

٧٠ - إِنَّا عَاهَدْنَا الْيَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَهْدًا مُؤَكَّدًا فِي التَّوْرَةِ عَلَى اتِّبَاعِ أَحْكَامِهَا ، وَبِعَثْنَا إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَ
كَثِيرِينَ لِيُبَيِّنُوا لَهُمْ ، وَيُؤَكِّدُوا عَهْدَنَا ، وَلَكِنْهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ ، فَكَانُوا كُلَّمَا أَتَاهُمْ رَسُولٌ بِمَا يَخَالِفُ أَهْوَاءَهُمْ ، كَذَبُوا
الْبَعْضَ وَقَتَلُوا الْبَعْضَ .

٧١ - وَظَنَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ لَا تَنْزِيلَ بِهِمْ شِدَائِدُ تَبِينَ الثَّابِتِينَ مِنْ غَيْرِ الثَّابِتِينَ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَصْبِرُوا فِي
الشَّدَائِدِ ، بَلْ ضَلُّ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ ، وَصَارُوا كَالْعَمِيَانِ الصَّمِّ ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْحَقِّ ، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ أَذَاهُمْ
الذَّلَّ . وَبَعْدَ حِينٍ رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَائِبِينَ ، فَتَقَبَّلَ تَوْبَتَهُمْ ، وَأَعَادَ إِلَيْهِمْ عِزَّهُمْ ، وَلَكِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ضَلُّوا مَرَّةً
أُخْرَى ، وَصَارُوا كَالْعَمَى الصَّمِّ ! وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ ، مُشَاهِدٌ لِأَعْمَالِهِمْ ، وَمُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا .

٧٢ - وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ حُلٌّ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَقًّا صَارَ هَا ، كَمَا يَقُولُ النَّصَارَى الْآنَ !
مَعَ أَنَّ عِيسَى بَرَاءٌ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَى ، فَإِنَّهُ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَخْلَصُوا الْإِيمَانَ لِلَّهِ وَحْدَهُ ، قَائِلًا لَهُمْ : إِنَّ اللَّهَ هُوَ
خَالِقِي وَخَالِقُكُمْ ، وَمَالِكُ أَمْرِنَا جَمِيعًا ، وَأَنْ كُلٌّ مِنْ يَدْعِي اللَّهَ شَرِيكًا فَإِنْ جَزَاهُ أَنْ لَا يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَبَدًا ، وَأَنْ تَكُونَ
النَّارُ مَصِيرَهُ ، لِأَنَّهُ تَعْدَى حُدُودَ اللَّهِ ، وَلَيْسَ لِمَنْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ وَيُظْلِمُ ، نَاصِرٌ يَدْفَعُ عَنْهُ الْعَذَابَ .

ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
 أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
 وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ
 الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ

٧٣ - وانه لم يؤمن بالله كذلك كل من ادعى أن الله أحد آلهة ثلاثة، كما يزعم النصارى الآن !! والحق
 الثابت أنه ليس هناك إله إلا الله وحده، وإذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الفاسدة إلى طاعة الله،
 فلا بد أن يصيبهم عذاب شديد.

٧٤ - ألا ينتهي هؤلاء عن تلك العقائد الزائفة، ويرجعوا إلى الإيمان بالله، ويطلبوا منه التجاوز عما وقع منهم
 من الذنوب؟ إن الله واسع المغفرة، عظيم الرحمة.

٧٥ - ليس عيسى بن مريم إلا عبدا من البشر، أنعم الله عليه بالرسالة، كما أنعم على كثير من سبقه. وأم
 عيسى إحدى النساء، طبعت على الصدق في قولها والتصديق بربها، وكانت هي وابنها عيسى في حاجة إلى
 ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب، وذلك علامة البشرية. فتأمل أيها السامع حال هؤلاء الذين عموا عن دلالة
 الآيات الواضحة التي بينها الله لهم، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه!!

٧٦ - قل أيها الرسول لهؤلاء الضالين: كيف تعبدون إلهًا يعجز عن أن يضركم بشيء إن تركتم عبادته،
 ويعجز عن أن ينفعكم بشيء إن عبدتموه!! كيف تتركون عبادة الله وهو الإله القادر على كل شيء، وهو ذو السمع
 والعلم الشامل!!

٧٧ - قل يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: إن الله ينهاكم أن تتجاوزوا في معتقداتكم حدود
 الحق إلى الباطل فتجعلوا بعض خلقه آلهة، أو تنكروا رسالة بعض الرسل، وينهاكم أن تسيروا وراء شهوات
 أناس سبقوكم، قد تجنبوا طريق الهدى، ومنعوا كثيرا من الناس أن يسلكوها واستمروا على مجافاتهم طريق الحق
 الواضح.

٧٨ - طرد الله كفار بني إسرائيل من رحمة، وأنزل هذا في الزبور على نبيه داود، وفي الإنجيل على نبيه
 عيسى بن مريم، وذلك بسبب تمردهم عن طاعة الله، وقاديتهم في الظلم والفساد.

عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا فَكُتِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَنْذَرْنَاهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ

٧٩ - كان دأبهم ألا يتناصحوا ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن قبيح يفعله ! وأن اتيانهم المنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ما كانوا يفعلون .

٨٠ - ترى كثيرا من بنى اسرائيل يتحالفون مع المشركين ، ويتخذونهم أنصارا يتعاونون فيما بينهم على حرب الاسلام ! ان هذا الشر عمل ادخرته لهم أنفسهم ، ليجدوا جزاءه غضبا من الله ، وخلودا في عذاب جهنم !

٨١ - ولو صحت عقيدة هؤلاء في الايمان بالله ورسوله محمد ، وما أنزل إليه من القرآن ، لمنهم ذلك الايمان عن موالاتهم للكفار ضد المؤمنين ، ولكن كثيرا من بنى اسرائيل عاصون خارجون عن الأديان .

٨٢ - نؤكد لك أيها النبي أنك تجد أشد الناس حقدا وكرهية لك ، ولن آمن بك ، هم اليهود ، والذين أشركوا مع الله غيره في العبادة . وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك ، هم أتباع عيسى ، الذين سمو أنفسهم نصارى ، لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم ، ورهبانا يخشون ربهم ، ولأنهم لا يستكبرون عن سماع الحق .

٨٣ - ولأنهم إذا سمعوا القرآن الذي أنزل على الرسول يتأثرون به ، فتفيض عيونهم بالدمع ، لمعرفتهم أن الذي سمعوه حق ، فتميل إليه قلوبهم ، وتنطلق الستهم بالدعاء لله قائلين : ربنا آمنا بك وبرسلك ، وبالحق الذي نزلته عليهم ، فتقبل إيماننا ، واجعلنا من أمة محمد الذين جعلتهم شهداء وحجة على الناس يوم القيامة .

٨٤ - وأي مانع يمنعنا من أن نصدق بالله وحده ، وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد ؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم .

٨٥ - فكتب الله لهم ثوابا لاعتراهم ، هو جنات تجري الأنهار تحت أشجارها وقصورها ، وهم ماكون فيها دائما . وذلك الجزاء الذي نالوه هو جزاء كل محسن مثلهم .

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ ءُمُومُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ ۖ وَءَاطَعَمَ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْ أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَلِكَ كَفَرَةُ أََيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٨٦ - والذين جحدوا بالله ورسله ، وأنكروا أدلته التي أنزلها عليهم هداية للحق ، هم وحدهم الملازمون للعذاب الشديد في جهنم .

٨٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات ، ولا تتجاوزوا الحدود التي شرعها الله لكم من التوسط في أموركم . ان الله لا يحب المتجاوزين للحدود .

٨٨ - وكلوا مما أعطاكم الله ويسره لكم ، وجعله حلالا لكم تطيب به نفوسكم ، واخشوا الله دائما وأطيعوه ما دتم مؤمنين به .

٨٩ - لا يعاقبكم الله بسبب ما لم تقصدوه من أيمانكم ، وإنما يعاقبكم بسبب الحنث فيما قصدتموه ووثقتموه من الأيمان ، فإن حنثتم فيما حلفتم عليه ، فعليكم أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين ، بأن تطعموا عشرة فقراء يوما ، مما جرت العادة بأن تأكلوه أنتم وأقاربكم الذين هم في رعايتكم ، من غير سرف ولا تقتير . أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة ، أو بأن تحرروا انسانا من الرق . فإذا لم يتمكن الحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام . وكل واحد من هذه الأمور يغفر به ذنب الحلف الموثق بالنية إذا نقضه الحالف . وصونوا أيمانكم فلا تضعوها في غير موضعها ، ولا تتركوا فعل ما يغفر ذنبكم إذا نقضتموها . على هذا النسق من البيان يشرح الله لكم أحكامه ، لشكروا نعمه بمعرفتها والقيام بمحبتها^(١) .

(١) هذه آية من الآيات العديدة في القرآن الكريم التي تؤدي الى تحرير الرقاب إذ توسع القرآن في المسالك المؤدية الى تحرير الرقاب كما ضيق في مصادر الرق .

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا

٩٠ - يأبى المصدقون بالله وكتبه ورسله، المذعنون للحق، ليس شرب المسكرات، ولا لعب القمار، ونصب الأحجار للذبح عندها تقربا إلى الأصنام التي تعبدونها، واتخاذ السهام والحصى والورق للتعرف بها على مغيبات القدر. . ليس كل ذلك إلا خبثا نفسيا باطلا، هو من تزيين الشيطان لفاعليه. . فاتركوه لكي تفوزوا في الدنيا بحياة فاضلة، وفي الآخرة بنعيم الجنة.

٩١ - ان الشيطان لا يريد بتزيينه لكم شرب الخمر ولعب الميسر، الا أن يوجد بينكم الخلاف والشقاق والكراهية، ليضعف أمركم بذهاب الألفة بينكم، وتفتت وحدتكم، بسبب ما يزينه لكم من شرب المسكرات ولعب القمار، والا أن يصرفكم عن عبادة الله، ويلهيكم عن أداء الصلاة، لتسوء آخرتكم كما ساءت دنياكم. فبعد علمكم هذه المفاسد ابتعدوا عما نهيتكم عنه، لتفوتوا على ابليس غرضه^(١).

٩٢ - وامتثلوا أمر الله وأمر رسوله فيما يبلغكم به عن ربه، وابتعدوا عما يعرضكم للعذاب ان خالفتم لأنكم ان أعرضتم عن الاستجابة لما أمركم به، فتيقنوا أنه معاقبكم. وليس لكم عذر بعد أن بين لكم الرسول عاقبة المخالفين، وأنه ليس على رسولنا إلا اخباركم بأحكامنا، وتوضيحها توضيحا كاملا.

(١) ذكر الله سبحانه وتعالى في الخمر والميسر في هذه الآية أمورا أربعة أوجبت تحريمها:

أولها - انها خبث وشر في ذاته اذا لا يمكن ان توصف بالخير، لان عنصر الضرر فيها واضح ففي الخمر فساد العقل، وفي الميسر فساد المال، وفيها معا فساد القلب والشيطان هو الذى يحسنها.

ثانيها - أنها تنشر العداوة والبغضاء، فالميسر كثيرا ما ينتهى الى نزاع، واذا لم ينته اليه فانه يثير الحقد والضيقة، والخمر أم الكبائر، وعلة تحريم الخمر تنحصر في الآتي: ان الله كرم الانسان بالعقل بان جعل له خلايا ارادية عليا في المخ تهيم على الارادة والذكاء والتمييز وكل الصفات العليا في الانسان والخمر خاصة والمخدرات عامة تعمل عملها في هذه المراكز فتبطلها، اما مؤقتا أو دائما حسب التأثير بالمشروب او غيره وعند تنشيط وتعويق هذه المراكز عن العمل تطفئ المراكز التي هي دونها فينفل الانسان بها، فاما ان يطفى ويعتدى، واما ان يفتر ويغمد، وهذا معناه فقد التوازن العقل، وبالتالي تتأثر الاعمال وكذلك تؤثر الخمر تأثيرا سيئا على الجهاز الهضمي والدوري وعلى الكل والكبد وأخطر هذه جميعا التأثير على الكبد بتليفه.

ثالثها: انه اذا فقد الاتزان انصرف العبد عن ذكر الله الذى تحيا به القلوب.

رابعها: وبالتالي فهي تصد عن الصلاة لانها تنسى المؤمن الصلاة وكيفية ادائها على الوجه الاكمل وتحريم القليل ولو لم يسكر سببه الخوف من التعود والتقاعى الذى ينتهى بالادمان.

وعين الخمر قد اجمعت المذاهب الاسلامية على انها كل مشروب أو غير مشروب يسكر في ذاته استنادا الى حديث رسول الله ﷺ: الذى يقول فيه: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» والى ماخرجه ابوداود في صحيحه انه نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

وَأَمِنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَأَحْسِنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ الصَّيْدِ تَنَافُهُ أَيُّدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِي بَالِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَّعَلَّكُمْ وَاللَّيَّارَةَ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ

٩٣ - ليس على الذين صدقوا بالله ورسوله ، وأنوا بصالح الأعمال ، اثم فيما يطعمون من حلال طيب ، ولا فيما سبق أن طعموه من المحرمات قبل علمهم بتحريمها ، إذا خافوا الله ، وابتعدوا عنها ، بعد علمهم بتحريمها ، ثم استمروا على خوفهم من الله ، وتصديقهم بما شرعه لهم بعد من أحكام ، ثم داوموا على خوفهم من الله في كل حال وأخلصوا في أعمالهم وأدوها على وجه الكمال ، فإن الله يثيب المخلصين في أعمالهم على قدر اخلاصهم وعملهم .

٩٤ - يا أيها الذين آمنوا : ان الله يختبركم في الحج بتحريم بعض من الحيوان والطيور يسهل عليكم اصطيداه بأيديكم ورماحكم ، ليظهر الذين يراقبونه منكم في غيبة عن أعين الخلق . فالذين تجاوزوا حدود الله بعد بيانها يقع عليهم عذاب مؤلم شديد .

٩٥ - يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وقد نويتم الحج والعمرة وتقومون بأعمالها ، ومن قتل منكم قاصدا ، فعليه أن يؤدي نظير الصيد الذي قتله ، يخرج من الأبل والبقر والغنم . ويعرف النظيف بتقدير رجلين عادلين منكم يحكمان به ، ويهديه إلى الفقراء عند الكعبة ، أو يدفع بدله اليهم ، أو يخرج بقيمة المثل طعاما للفقراء ، لكل فقير ما يكفيه يومه ، ليكون ذلك مسقطا لذنوبه على الصيد ، أو يصوم أياما بعدد الفقراء الذين كانوا يستحقون الطعام لو أخرجه . وقد شرع ذلك ليحس المعتدي بنتائج جرمه وسوء عاقبته . عفا الله عما سبق لكم من المخالفة قبل تحريمها ، ومن رجع إلى التعدي بعد العلم بتحريمه ، فإن الله يعاقبه بما ارتكب ، وهو غالب لا يغلب شديد العقاب لمن يصر على الذنب .

٩٦ - أحل الله لكم أن تصيدوا حيوان البحار ، وأن تأكلوا منه ، وينتفع به المقيمون منكم والمسافرون ، وحرّم عليكم أن تصيدوا حيوان البر غير المستأنس ، مما جرت العادة بعدم تربيته في المنازل والبيوت ، مدة قيامكم بأعمال الحج أو العمرة بالحرم ، وراقبوا الله وخافوا عقابه ، فلا تخالفوه ، فانكم إليه ترجعون يوم القيامة ، فيجازيكم على ماتعملون .

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْأَبْلَغُ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ الْبَأْسَ أَوَّلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُونَ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكَ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ

٩٧ - جعل الله الكعبة ، وهى البيت الذى عظمه وحرم الاعتداء فيه على الانسان والحيوان غير المستأنس وفيما حوله ، جعله قائما معظما يأمن الناس فيه ، ويتجهون إليه فى صلاتهم ، ومحجون إليه ليكونوا فى ضيافة الله ، وليعملوا على جمع شملهم . وكذلك جعل شهر الحج وما يهدى إلى الكعبة من الأنعام ، وخاصة ما يوضع فى عنقه القلائد لاشعار الناظرين بأنه مهدي إلى البيت . ونتيجة القيام بذلك أن تستيقنوا أن علمه محيط بما فى السموات التى ينزل منها الوحي بالشرع ، ومحيط بما فى الأرض ، فيشرع لمن فيها بما يقوم بمصالحهم . وأن علمه بكل شيء محيط .

٩٨ - اعلموها أيها الناس أن عذاب الله شديد ينزل بمن يستبيح حرمانه ، وأنه كثير المغفرة لذنوب من يتوب ويحافظ على طاعاته ، واسع الرحمة بهم فلا يؤاخذهم حينئذ بما وقع منهم .

٩٩ - ليس على الرسول إلا أن يبلغ للناس ما يوحى إليه ، لتقوم عليهم الحجة ، وينقطع عنهم العذر . فلتعملوا بما بلغه اليكم ، فإن الله يعلم ما تظهرون وما تخفون .

١٠٠ - قل يا أيها النبي للناس : لا يتساوى ما أباحه الله لكم من الطيبات ، وما حرمه عليكم من الخبائث ، فإن الفرق بينها كبير عند الله ، ولو كثرت الخبيث وأعجب كثيرا من الناس . فاجعلوا يا أصحاب العقول طاعة الله وقاية لكم من عذابه ، باختيار الطيبات واجتناب الخبائث ، لتكونوا من الفائزين فى الدنيا والآخرة .

١٠١ - يا أيها الذين آمنوا : لا تسألوا النبي عن أمور أخفاها الله عنكم أن تظهر لكم ، وأن تسألوا النبي عنها فى حياته ، إذ ينزل عليه القرآن ، يبينها الله لكم ، عفا الله عنكم فى هذه الأشياء فلا يعاقبكم عليها ، والله كثير المغفرة واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة .

١٠٢ - قد سأل عن أمثال هذه الأمور الشاقة جماعة ممن سبقوكم ، ثم بعد أن كلفوها على السنة أنبيائهم نقل عليهم تنفيذها ، فأعرضوا عنها ، وكانوا لها منكرين ، لأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر ، ويكلف الناس ما يطيقون .

وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةً بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ

١٠٣ - لم يأذن الله لكم أن تحرموا ما أحله لكم، فتشقوا أذن الناقة، وتمتنعوا عن الانتفاع بها، وتسموها «بحيرة»، وتتركوها بناء على نذر، وتسموها «سائبة»، وتحرموا الذكر من الشاة، وتهبوه للأصنام، حتى إذا انتجت الشاة ذكرا وأنثى سميتوها «وصيلة»، ولم تذبحوا الذكر منها. ولم يشرع لكم أن تحرموا الانتفاع بالذكر من الأبل إذا ولد منه عشرة أبطن، وتطلقوا عليه اسم «حام»!! لم يشرع الله لكم شيئا من ذلك، ولكن الذين كفروا يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله، وأكثرهم لا يعقلون^(١).

١٠٤ - وإذا قيل لهؤلاء الكافرين: تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى ما بينه الرسول لتهتدى به، قالوا: يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا! أيصح أن يقولوا هذا؟ ولو كان آبائهم كالأنعام لا يعلمون شيئا عن الحق، ولا يعرفون طريقا إلى الصواب؟

١٠٥ - يأتيهم الذين آمنوا أحرسوا على إصلاح أنفسكم بطاعة الله، انه لا يضيركم ضلال غيركم، إذا كنتم على الهدى ودعوتكم إلى الحق، وإلى الله وحده مرجعكم جميعا يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم، ويجزى كلا منكم بما قدم، فلا يؤاخذ أحدا بذنب غيره.

(١) كان عند الجاهلية عادات حرموا بها على أنفسهم ما لم يحرمه الله منها:

١ - إذا انتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر. شقوا أذنها وحرموا ركوبها ولم يطردوها عن ماء ولا مرعى وسموها «بحيرة» أي مشقوقة الأذن.

٢ - كان الرجل منهم يقول: «إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقى سائبة ثم يجعلها كالبحيرة».

٣ - وكانوا إذا ولدت الشاة أنثى جعلوها لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلئهم وإن ولدت ذكرا وأنثى لم يذبحوا الذكر لآلئهم وقالوا عن الشاة وصلت أخاها وسموها «وصيلة».

٤ - وكانوا إذا نتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ويعرف عندهم باسم «حام».

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَسْتَرِي بِهِ ؕ ثُمَّ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَيْمِينَ ﴿١٠٦﴾
 فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَغَاغَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ
 لَشَهِدْتُنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذَقْنِي أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا
 أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمِعُوا ۖ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ
 الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوَا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ
 نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ
 وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ

١٠٦ - يأبى الذين آمنوا : حينما تظهر على أحد منكم علامة الموت ، ويريد أن يوصى بشيء ، فالشهادة بينكم على الوصية : أن يشهد اثنان عادلان من أقاربكم ، أو أחרان من غيركم ، إذا كنتم في سفر ، وظهرت أمارات الموت ، تحبسون هذين الشاهدين بعد أداء الصلاة التي يجتمع عليها الناس . فيحلفان بالله قائلين : لا نستبدل بيمينه عوضا ، ولو كان فيه نفع لنا أو لأحد من أقاربنا ، ولا نخفي الشهادة التي أمرنا الله بأدائها صحيحة . انا إذا أخفينا الشهادة أوقلنا غير الحق ، لنكونن من الظالمين المستحقين لعذاب الله .

١٠٧ - فإذا ظهر أن الشاهدين قد كذبا في شهادتهما ، أو أخفيا شيئا ، فإن اثنين من أقرب المستحقين لتركه الميت ، هما أحق أن يقفا مكان الشاهدين ، بعد الصلاة ليظهرأ كذبهما فيحلفا بالله أن الشاهدين قد كذبا وأن يميننا أولى بالقبول من يمينها ، ولم نتجاوز الحق في أيماننا ، ولم نتهم الشاهدين زورا ، فإننا لو فعلنا ذلك نكون من الظالمين المستحقين عقاب من يظلم غيره .

١٠٨ - هذا التشريع أقرب الطرق إلى أن يؤدي الشهداء شهادتهم صحيحة محافظة على حلفهم بالله ، أو خوفا من فضيحتهم بظهور كذبهم ، إذا حلف الوريثة لرد أيمانهم . وراقبوا الله في أيمانكم وأماناتكم ، وأطيعوا أحكامه راضين بها ، فإن فيها مصالحكم ، ولا تخالفوها فتكونوا من الخارجين على الله ، فإن الله لا ينفع بإرشاده من خرج على طاعته ...

١٠٩ - وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كل الرسل ويسألهم قائلا لهم : ماذا أجابتكم به أممكم الذين أرسلتكم إليهم ؟ أبالإيمان أم بالانكار ؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحجة بشهادة رسلهم ، بأننا لا نعلم ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا إليهم ، وأنت وحدك الذي تعلم ذلك ، لأنك الذي أحاط علمه بالخفايا كما أحاط بالظواهر .

بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَآشَهِدْ بَأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

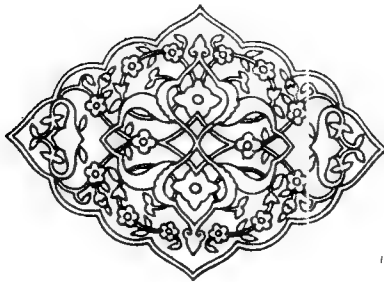
١١٠ - وفي ذلك الوقت ينادى الله عيسى بن مريم من بين الرسل فيقول له : اذكر ما أنعمت به عليك وعلى أمك في الدنيا ، حينما ثبتك بالوحي وأنطقك وأنت رضيع بما يرى أمك مما أهتمت به ، كما أنطقك وأنت كبير بما قد أوحيت إليك ، وحينما أنعمت عليك بتعليمك الكتابة ، ووفقتك للصواب من القول والعمل ، وعلمتك كتاب موسى والإنجيل الذي أنزلته عليك ، وأقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر ، حيث تتخذ من الطين صورة الطير بإذن الله ، فتنفخ فيها فتصبح طائرا حيا بقدرة الله لا بقدرتك ، وتشفى من العمى من ولد أعمى ، وتشفى الأبرص من برصه بإذن الله وقدرته ، وحينما يجرى على يدك أحياء الموتى بإذن الله وقدرته ، وحينما منعت اليهود من قتلك وصلبك عندما أتيهم بالمعجزات ليؤمنوا ، فأعرض فريق منهم ، وادعوا أن ما أظهرته من المعجزات ما هو إلا من قبيل السحر الواضح ..

١١١ - واذكر أيها الرسول لأمتك ما حدث حين ألهمنا جماعة ممن دعاهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى ، فاستجابوا له ، وصاروا من خاصة أصحابه ، وقالوا : آمنا ، واشهد ياربنا بأننا مخلصون منقادون لأوامرك .

١١٢ - اذكر أيها النبي ما حدث حين قال أتباع عيسى المخلصون : يا عيسى بن مريم ، هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاما من السماء ؟

قال لهم عيسى ردا عليهم : ان كنتم مؤمنين بالله ، فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حججا غير التي قدمتها .

١١٣ - قالوا : اتنا نريد أن نأكل من هذه المائدة لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله ، ونعلم عن معاينة أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها .

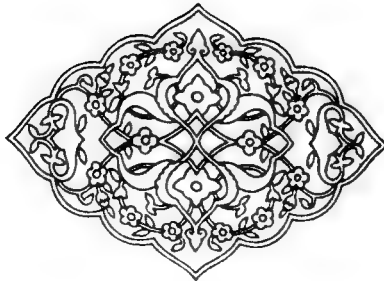


السَّمَاءُ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَإِحْرَانَا وَآيَةً مِنْكَ ^ط وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مَنِّكَ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ

١١٤ - فاستجاب لهم عيسى وقال : يا ربنا ومالك أمرنا ، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيداً للمؤمنين منا ، المتقدمين والمتأخرين ، ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك ، وارزقنا رزقاً طيباً ، وأنت خير الرازقين .

١١٥ - قال الله له : اني سأنزل المائدة عليكم من السماء ، فأى امرئ منكم يجحد هذه النعمة بعد انزالها ، فأى أعاقبه عقاباً لا أعاقب بمثله أحداً من الناس ، لأنه كفر بعد ما شاهد دليل الايمان الذى اقترحه .

١١٦ - واذكر أيها النبي ما سيحدث يوم القيامة ، حين يقول الله لعيسى ابن مريم قولاً يعلن الحق : أنت الذى قلت لهم اجعلونى أنا وأمى الهين ، تاركين افراد الله بالعبودية ؟ قال عيسى : أنزهك تنزيهاً تاماً عن أن يكون لك شريك ، ولا يصح لى أن أطلب طلباً ليس لى أدنى حق فيه . لو كنت قلت ذلك لعلمته ، لأنك تعلم خفايا نفسى ، فضلاً عن مظاهر قولى ، ولا أعلم ما تخفيه عني ! انك وحدك صاحب العلم المحيط بكل خفى وغائب .



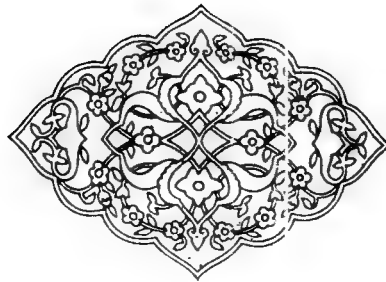
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَذَّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

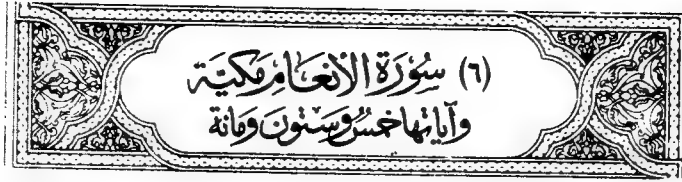
١١٧ - ما قلت لهم الا ما أمرتني بتبليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله وحده ، فإنه مالك أمرى وأمركم . وكنت أعلم حالهم وأنا موجود بينهم ، فلما انتهى أجل اقامتى الذى قدرته بينهم ، كنت أنت وحدك المطلع عليهم ، وأنت مطلع على كل شىء .

١١٨ - ان تعذبهم بما فعلوا ، فإنهم عبادك تتصرف فيهم كما تريد ، وان تغف عنهم ، فإنك وحدك القاهر الذى لا يغلب ، ذو الحكمة البالغة فى كل ما يصدر عنه .

١١٩ - يقول الله : هذا هو اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم ، لهم حدائق تجري تحت أشجارها الأنهار ، وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدا ، يتمتعون فيها برضوان الله عنهم ورضاهم بثوابه ، وذلك النعيم هو الفوز العظيم .

١٢٠ - لله وحده ملك السموات والأرض وما فيهن ، فهو وحده المستحق للعبادة ، وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل ما يريد .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

هي سورة مكية، إلا الآيات: ٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

وآياتها ١٦٥، نزلت بعد سورة الحجر. وتتضمن هذه السورة الكريمة معاني قد فصلتها:

* نهت الناس إلى الكون وما فيه من دلالة على عظم المنشئ وجلاله ووحدانيته، وأنه لا يشاركه في الخلق ولا في العبادة ولا في الذات أحد.

* وتضمنت قصص بعض النبيين، وابتدأت بقصة ابراهيم عليه السلام، وبيان أنه أخذ معنى العبادة والوحدانية من مطالعة الكون، وتبع ما فيه، وقد ابتدأ بتتبع النجوم، ثم القمر ثم الشمس، وانتهى بالتتبع إلى عبادة الله وحده.

* ووجهت الأنظار إلى عجائب الخلق والتكوين، وبينت كيف ينبت الحى الرطب من الجامد اليابس وكيف يفلق الحب فيكون منه النبات.

* وقد ذكرت صفات الجاحدين، وكيف يتعلقون بأوهام تبعدهم عن الحق، وتضلهم.

* وفيها بيان الحلال الذى أحله الله تعالى في الأطعمة، وضلال المشركين فيما حرموه على أنفسهم من غير أن يعتمدوا على دليل، وكيف ينسبون التحريم إليه سبحانه.

* وفيها بيان هذه الأوامر التى هي خلاصة الاسلام والأخلاق الحميدة، وهى: تحريم الشرك، والزنى، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، ووجوب إيفاء الكيل والميزان، وتحقيق العدالة، والوفاء بالعهد، والاحسان إلى الوالدين ومنع وأد البنات.

١ - الثناء والذكر الجميل لله، الذى خلق السموات والأرض، وأوجد الظلمات والنور لمنفعة العباد بقدرته وعلى وفق حكمته، ثم مع هذه النعم الجليلة يشرك به الكافرون، ويجعلون له شريكا في العبادة!

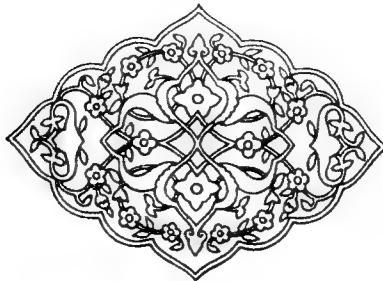
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرِهَ اللَّهُ حَمُوكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ فَأُخْرِجُوا مِنْهَا وَأَخْلَىٰ عَلَيْهِمُ الْغُلَّ وَالْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلْيَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ لَّفُضِيَ الْأَمْرُ

- ٢ - هو الذي بدأ خلقكم من طين^(١)، ثم قدر لحياة كل منكم زمنا ينتهي بموته والأجل عنده وحده المحدد للبعث من القبور، ثم أنتم أيها الكافرون بعد هذا تجادلون في قدرة الله على البعث، واستحقاقه وحده للعبادة !!
- ٣ - وهو وحده المستحق للعبادة في السموات وفي الأرض، يعلم ما أخفيتموه وما أظهرتموه، ويعلم ما تفعلون فيجازيكم عليه.
- ٤ - ولا يؤتى المشركون بدليل من أدلة خالقهم، التي تشهد بوحدانيته وصدق رسله، إلا كانوا منصرفين عنه، لا يتأملون فيه ولا يعتبرون به !
- ٥ - فقد كذبوا بالقرآن حين جاءهم، وهو حق لا يأتيه الباطل ! فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة، ويتبين لهم صدق وعيده الذي كانوا يسخرون منه.
- ٦ - ألم يعلموا أننا أهلكنا أنما كثيرة قبلهم، أعطيناها من أسباب القوة والبقاء في الأرض ما لم نعطكم إياه، أيها الكافرون، ووسعنا عليهم في الرزق والنعيم، فأنزلنا عليهم الأمطار غزيرة ينتفعون بها في حياتهم، وجعلنا مياه الأنهار تجري من تحت قصورهم، فلم يشكروا هذه النعم. فأهلكناهم بسبب شركهم وكثرة ذنوبهم، وأوجدنا من بعد أناسا غيرهم خيرا منهم.
- ٧ - ولو أنزلنا عليك، أيها النبي، دليل رسالتك مكتوبا في ورق، فأراه بأعينهم، وتأكدوا منه بوضع أيديهم عليه، لقالوا تعنتا: ما هذا الذي نلمسه إلا سحر ظاهر !!

(١) تصلح هذه الآية لان يكون المراد منها خلق آدم ابى البشر من طين كما جاء في آيات أخرى وان يكون المراد منها ان جسم الانسان مكون بنسب خاصة من عناصر الطين نفسه ولكن قدرة الخالق سبحانه وتعالى خلقت في هذه العناصر الحياة فصارت بشرا سويا.

ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَخَافَ بِاللَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لِيَجْمَعَ كُرُوحًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ * وَلَهُ مَآ سَكَنَ فِي الْآلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخِذٌ وَلِيًّا فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي

- ٨ - وقالوا : نطلب أن ينزل الله عليك ملكا يصدقك . ولو استجبنا لهم ، وأرسلنا معه ملكا كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا ، لنفذ الأمر بإهلاكهم ، ثم لا يمهلون لحظة .
- ٩ - ولو جعلنا المؤيد للرسول ملكا كما طلبوا ، لجعلناه على هيئة بشر ، حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه ، فانهم لا يقدرّون على رؤية الملك في صورته الأصلية ، ولا شتبه عليهم الأمر واختلط بإرساله في صورة بشر ، وأوقعناهم في نفس الخطأ الذي يتخبطون فيه .
- ١٠ - ولقد سخر الكفار كثيرا برسل من قبلك أيها النبي ، فأحاط بالسافرين العذاب الذي أنذرهم به رسلهم ، وقد جعلوه موضع سخرتهم من قبل .
- ١١ - قل أيها النبي لهؤلاء الكفار سيروا في جوانب الأرض وتأملوا كيف كان الهلاك نهاية المكذّبين لرسولهم فاعتبروا بهذه النهاية وذلك المصير .
- ١٢ - قل أيها النبي لهؤلاء الجاحدين : من مالك السموات والأرض ومن فيهن ؟ فإن أحجموا فقل الجواب الذي لا جواب غيره : ان مالكها هو الله وحده لا شريك له ، وأنه أوجب على نفسه الرحمة بعباده ، فلا يعجل عقوبتهم ، ويقبل توبتهم ، انه ليحشرنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه . الذين ضيعوا أنفسهم وعرضوها للعذاب في هذا اليوم ، هم الذين لا يصدقون بالله ، ولا بيوم الحساب .
- ١٣ - والله مافي كل زمان ، كما أن له مافي كل مكان ، وهو السميع لكل ما يسمع ، العليم بكل ما يعلم .



أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ

١٤ - قل أيها النبي : لا اتخذ غير الله آلهًا وناصرا ، وهو وحده المنشئ للسموات والأرض على نظام لم يسبق إليه ، وهو الرازق لعباده طعامهم ، ولا يحتاج منهم إلى طعام . قل : إني أمرني الله أن أكون أول من أسلم ، ونهاني أن أشرك معه غيره في العبادة .

١٥ - قل : إني أخاف ، أن خالفت أمر ربي وعصيته ، عذاب يوم شديد .

١٦ - من يصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة ، فقد رحمه الله ، وذلك هو الفوز الثابت البين .

١٧ - وإن يصبك الله بسوء فلا مزيل له إلا هو ، وإن يمنحك خيرا فلا راد لفضله ، لأنه على كل شيء قدير .

١٨ - وهو الغالب بقدرته ، المستعلى على عباده ، المتصف بالحكمة في كل ما يفعل ، المحيط علمه بما ظهر واستتر .

١٩ - قل أيها النبي لمن يكذبوك ويطلبون شهادة على رسالتك ، أي شيء أعظم شهادة وأحق بالتصديق ؟ ثم قل : إن الله أعظم شاهد بيني وبينكم على صدق ما جئتكم به ، وقد أنزل على هذا القرآن ليكون حجة لصدق ، لأحذركم به أنتم وكل من بلغه خبره ، وهو حجة قاطعة شاهدة بصدق ، لأنكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله ! . سلهم : أنتم الذين تقولون معتقدين أن مع الله آلهة غيره ؟ ثم قل لهم : لا أشهد بذلك ، ولا أقوله ، ولا أقركم عليه ، وإنما المعبود بحق اله واحد ، وإنني بَرِيءٌ مما تشركون به من أوثان .

٢٠ - الذين آتيناهم الكتب السهاوية من اليهود والنصارى ، يعرفون محمدا وصدق رسالته ، من هذه الكتب ، كمعرفتهم أبناءهم . إن الذين ضيعوا أنفسهم ، لا يقرون بما يعرفون ، فهم لا يؤمنون .

مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَيْنَ شُرَكَاءُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ
كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْفَعُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ

٢١ - وليس أحد أشد ظلما لنفسه وللحق من افترى على الله الكذب ، وادعى أن له ولدا أو شريكا ،
أو نسب إليه ما لا يليق ، أو أنكر أدلته الدالة على وحدانيته وصدق رسله ! ان الظالمين لا يفوزون بخير في الدنيا
والآخرة .

٢٢ - واذكر لهم ما سيحصل يوم نجمع الخلق كلهم للحساب ، ثم نقول توبيخا للذين عبدوا مع الله غيره :
أين الذين جعلتموهم شركاء لله لينفَعوكم ؟

٢٣ - ثم لم تكن نتيجة محنتهم الشديدة في هذا الموقف إلا محاولة التخلص من شركهم السابق بالكذب ،
فقالوا كاذبين : والله ربنا ما أشركنا في العبادة أحدا غيرك .

٢٤ - انظر كيف غلطوا أنفسهم بهذا الكذب ، وغاب عنهم ما كانوا يخلقونه من عبادة الأحجار ويزعمونها
شركاء لله !! .

٢٥ - ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن ، لا ليتفهموه ، وليتدوا به وإنما ليتلمسوا سبيلا للطعن فيه
والسخرية منه .

وقد حرمانهم بسبب ذلك من الانتفاع بعقولهم وأسماعهم ، كأن عقولهم في أغشية تحجب عنهم الإدراك
الصحيح ، وكأن في آذانهم صمما يحول دون سماع آيات القرآن . وان يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى إذا جاءوك
ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفوعين بكفرهم : ما هذا إلا أباطيل سطرها من قبلك الأولون .

٢٦ - وهم ينهون الناس عن الإيمان بالقرآن ، ويتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع !
وما يضرهم بذلك الصنيع إلا أنفسهم ، وما يشعرون بقبح ما يفعلون .

تَرَىٰ إِذْ يُقْفَوْنَ عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُقْفَوْنَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَّا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبٌ وَلَهْوٌ وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ

٢٧ - ولو ترى ، أي النبي ، هؤلاء الكفار وهم واقفون على النار يعانون أهوالها ، لرأيت أمرا غريبا رهيبا ، إذ يتمنون الرجوع إلى الدنيا ، ويقولون : ياليتنا نرد إليها لنصلح ما أفسدنا ، ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين !

٢٨ - وليس قولهم هذا ، إلا لأنه قد ظهر لهم مالا يمكن إخفاؤه والمكابرة فيه ، مما كان يخبرهم به الرسول ! ولو ردوا إلى الدنيا كما يتمنون ، لعادوا إلى الكفر الذي نهاهم الله عنه ، لغرورهم بزخرفها واطاعة أهوائهم ! وانهم لكاذبون في دعواهم الايمان إذا ردوا إلى الدنيا !

٢٩ - ولو أعيدوا إلى الدنيا لعادوا إلى سبيرتهم الأولى وقالوا : ليس لنا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، وما نحن بعد ذلك بمبعوثين !

٣٠ - لو تراهم حين يقفون للحساب أمام ربهم ، ويعرفون صدق ما أنزله على رسله ، لرأيت سوء حالهم إذ يقول الله لهم : أليس هذا الذي تشاهدونه الآن هو الحق الذي أنكرتموه في دنياكم ؟ فيقولون متذللين : بلى وربنا انه الحق ! فيقول الله لهم بعد ذلك : ادخلوا النار بسبب ما كنتم حريصين عليه من الكفر .

٣١ - قد خسر الذين أنكروا لقاء الله للحساب والجزاء يوم القيامة ، وظلوا على انكارهم ، حتى إذا فاجأتهم مشاهد يوم القيامة ندموا وقالوا : يا حسرتنا على إهمالنا اتباع الحق في الدنيا ! وهم يومئذ يرزحون تحت أعباء ذنوبهم ! الا قبح ما يحملون من الذنوب !

٣٢ - وليست الحياة الدنيا التي حسب الكفار أنه لا حياة غيرها ، والتي لا يقصد بالعمل فيها مرضاة الله ، إلا لعبا لا نفع فيه ، وهوا يتلهى به !! . وأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية ، وهي أنفع للذين يخافون الله فيمتثلون أمره . أفلا تعقلون هذا الأمر الواضح ، أفلا تفهمون ما يضركم ولا ينفعكم ؟

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
 أَنْتَهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِعَايَةٍ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾
 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾
 وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَیْرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ

٣٣ - اننا نعلم أنه ليحزنك أيها النبي ما يقوله الكفار تكذيبا لك ، فلا تحزن من ذلك . لأن الحقيقة أنهم لا يهتمونك بالكذب ، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون ، فينكرون بالسبب دلائل صدقك ، وعلامات نبوتك .

٣٤ - ولقد قوبل رسل من قبلك بالتكذيب والايذاء من أقوامهم ، كما فعل معك قومك ، فصبروا على التكذيب والايذاء ، حتى نصرناهم ، فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا ، ولا مغير لوعده الله بنصر الصابرين ، فلا بد من تحققه . ولقد قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأيدنا لهم ، ما فيه تسلية لك ، وما توجه الرسالة من تحمل الشدائد .

٣٥ - وإن كان قد شق عليك انصرافهم عن دعوتك ، فإن استطعت أن تتخذ طريقا في باطن الأرض ، أو سلما تصعد به إلى السماء ، فتأتيهم بدليل على صدقك ، فافعل ! وليس في قدرتك ذلك . فأرح نفسك واصبر لحكم ربك ، ولو شاء الله هدايتهم لحملهم جميعا على الإيمان بما جئت به قسرا وقهرا ، ولكنه تركهم لاختيارهم فلا تكونن من الذين لا يعلمون حكم الله وسنته في الخلق .

٣٦ - إنما يجيب دعوة الحق مقبلين عليه ، الذين يسمعون سماع فهم وتدبر . وأما هؤلاء فلا ينتفعون بدعوتك ، لانهم في حكم الأموات . وسيبعثهم الله يوم القيامة من القبور ، ويرجعهم إليه ، فيحاسبهم على ما فعلوا .

٣٧ - وقال الكفار متعنتين : نطلب أن ينزل على محمد دليل مادي من ربه يشهد بصدق دعوته ! قل لهم أيها النبي : ان الله قادر على أن ينزل أي دليل تقترحونه . ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة الله في انزال الآيات ، وأنها ليست تابعة لأهوائهم ، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم ، ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم !!

رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْرٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

٣٨ - وان أقوى دليل على قدرة الله وحكمته ورحمته ، أنه خلق كل شيء ، وليس في الأرض حيوان يدب في ظاهر الأرض وباطنها ، أو طائر يطير بجناحيه في الهواء ، إلا خلقها الله جماعات تماثلكم ، وجعل لها خصائصها وميزاتها ونظام حياتها . ما تركنا في الكتاب المحفوظ عندنا شيئا إلا أبتناه . وان كانوا قد كذبوا ، فيحشرون مع كل الأمم للحساب يوم القيامة (١) .

٣٩ - والذين لم يصدقوا بأدلتنا الدالة على قدرتنا وصدق رسالتك ، لم ينتفعوا بحواسهم في معرفة الحق ، فتخبطوا في ضلال الشرك والعناد ، تخبط الأصم الأعمى في ظلمات الليل ، لا نجاة له من الهلاك . ولو كان في هؤلاء استعداد للخير لوفقههم الله إليه ، فإنه سبحانه إذا أراد اضلال انسان لفساد قصده ، تركه وشأنه ، وإذا أراد هدايته لسلامة قصده ، يسر له السير في طريق الايمان الواضح المستقيم .

٤٠ - قل أيها النبي لهؤلاء الكفار : أخبروني ان جاءكم عذاب من عند الله في الدنيا أو جاءكم القيامة بأهوالها ، هل تنجهون لغير الله تضرعون إليه في هذا الوقت فينفعكم شيئا ، ان كنتم صادقين في عبادتكم لغير الله ؟
٤١ - بل انكم لا تنجهون إلا إليه ، إذ تدعونه فيكشف عنكم ما تطلبون كشفه ان شاء . وفي حال هذه الشدة ، تنسون ما تجعلونه لله شركاء !!

٤٢ - لا يشق عليك ، أيها النبي ، ما تلاقيه من قومك . فلقد بعثنا قبلك رسلا إلى أمم كثيرة قبل أمتك فكذبوهم ، فعاقبناهم بالشدائد نزل بهم ، وبما يضرهم في أبدانهم ، لعلهم يخشعون ويرجعون إلى الله .

(١) وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون .
نص التعليق هو :

(تتنظم الكائنات الحية في مجموعات يختص كل منها بصفات تكوينية وظيفية وطباع مميزة ، وفي الآية الكريمة تنبيه الى تباین صور المخلوقات وطرائق معيشتها فكما أن الانسان نوع له خصائصه فكذلك سائر أنواع الاحياء . وهذا ما يكشفه علم التصنيف كلما تعمق دراسة نوع منها) .

وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ بِعَذَابٍ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ

٤٣ - وكان ينبغي لهم أن يرجعوا إلى ربهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل استمرت قلوبهم على قسوتها ، وزين لهم الشيطان عملهم القبيح .

٤٤ - فلما تركوا الاعتاض بما ابتليناهم من الفقر والمرض ، ابتليناهم بعد ذلك بالرزق الواسع ، ففتحتنا عليهم أبوابه في كل شيء من أسباب الرزق ، حتى إذا فرحوا بما أنعمنا به عليهم ، ولم يشكروا الله عليه ، جاءهم العذاب فجأة ، فإذا هم متحيرون يائسون ، لا يجدون للنجاة سبيلا .

٤٥ - فأبدي هؤلاء القوم الظالمون عن آخرهم . والحمد لله ربى الخلق بالنقم والنعم ، ومطهر الأرض من فساد الظالمين .

٤٦ - قل لهم أيها النبي : أخبروني - ان سلب الله سمعكم ، وغطى قلوبكم بما يحبها عن الإدراك ، فجعلكم صما عميا لا تفهمون شيئا - من تعبدون غير الله ؟ ، من إله يستطيع أن يرد اليكم ما سلبه الله منكم ؟ انظر ، أيها النبي ، كيف نوضح البراهين وتنوعها ، ثم هم مع هذا يعرضون عن تدبرها والانتفاع بها !! .

٤٧ - قل : أخبروني - ان حل بكم عذاب الله فجأة دون توقع ، أو جاءكم عيانا على ترقب ، لسبق ما ينذركم بوقوعه - هل يصيب هذا العذاب إلا القوم الذين ظلموا أنفسهم بالاصرار على الشرك والضلال ؟ انه لا يصيب غيرهم .

٤٨ - وما نرسل الأنبياء إلا ليشيروا من يؤمن بالخير والثواب ، وليحذروا من يكفر من العذاب . فمن آمن بدعوتهم وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم من شر يصيبهم ، ولا يحزنون على خير يفوتهم .

٤٩ - والذين كذبوا بالأدلة الواضحة على صدق ما جاء به الرسل ، يصيبهم العذاب بسبب خروجهم عن الطاعة والإيمان .

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۚ إِنَّا أَتَيْنَا بِمَا يُوْحَىٰٓ إِلَيْنَا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ
الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَمَنْ تَطْرُدُهُمْ فَكُون مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَيْنِنَا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ
عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ

٥٠ - قل، أيها الرسول، هؤلاء الكفار: لا أقول لكم اني أملك التصرف بما يملكه الله فأجيئك إلى ما تطلبون، ولا أدعى علم الغيب الذي لم يطلعنى الله عليه، ولا أقول اني ملك أستطيع الصعود إلى السماء! إنما أنا بشر لا أتبع إلا ما يوحىه الله إلى. قل أيها النبي: هل يستوى الضال والمهتدى في معرفة هذه الحقائق؟ هل يليق بكم أن تعرضوا عن هدى أسوقه لكم، فلا تتأملون فيه بقولكم حق يتبين لكم الحق؟

٥١ - وحذر بما في هذا القرآن الذين يخافون من هول يوم تسوقهم فيه الملائكة للحساب والجزاء، حيث لا ناصر لهم ولا شفيع إلا باذن الله، ليعتدوا عما يغضب الله.

٥٢ - ولا تستجب، أيها النبي، لدعوة التكبرين من الكفار، فتبعد عنك المستضعفين من المؤمنين، الذين يعبدون ربهم دائما، ولا يريدون إلا رضاه. ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين، فليست مسئولا أمام الله عن شيء من أعمالهم، كما أنهم ليسوا مسئولين عن شيء من أعمالك، فإن استجبت هؤلاء الكفار المعتنين، وأبعدت المؤمنين، كنت من الظالمين.

٥٣ - وبمثل هذا الابتلاء الذي جرت به سنتنا، امتحنا التكبرين يسبق الضعفاء إلى الاسلام، ليقول المتكبرون مستنكرين ساخرين: هل هؤلاء الفقراء هم الذين أنعم الله عليهم من بيننا بالخير الذي يعدمهم به محمد؟ ان هؤلاء الفقراء يعرفون نعمة الله عليهم بالتوفيق إلى الايمان فيشكرونه. والله أعلم بمن يشكرون فضله ونعمه.

٥٤ - وإذا جاءك الذين يصدقون بالقرآن فقل لهم تكريما لهم: سلام عليكم، أشركم برحمة الله الواسعة، التي أوجبها على نفسه تفضلا منه، والتي تقضى بأن من عمل منكم سيئة غير متدبر نتائجها، ثم رجع إلى الله ناديا تائبا، وأصلح أعماله، غفر الله له، لأنه كثير المغفرة واسع الرحمة.



نُفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ؕ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ

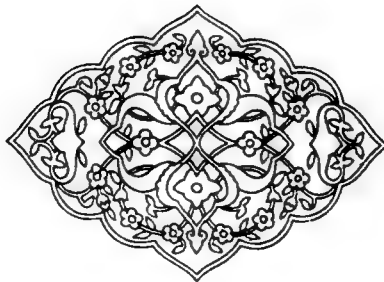
٥٥ - وبمثل ذلك البيان الواضح نوضح الدلائل المتنوعة، ليظهر طريق الحق الذي يسلكه المؤمنون، وبتبيين طريق الباطل الذي يسلكه الكافرون.

٥٦ - قل، أيها النبي، لهؤلاء الكفار: إن الله قد نهاني عن عبادة الذين تعبدونهم من دونه، فلا أتبع أهواءكم، فإني حين أتبعكم أكون قد انحرفت عن الحق، ولم أكن من المهتدين!

٥٧ - قل لهم: اني على شريعة واضحة منزلة من ربي وقد كذبتهم القرآن الذي جاء بها، وليس في قدرتي أن أقدم ما تستعجلونه من العذاب، بل هو في قدرة الله، ومرهون بآرادته وحكمته، وليس الأمر والسلطان إلا لله، إن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره، يتبع سبحانه في ذلك الحكمة، وهو خير الفاصلين بيني وبينكم.

٥٨ - قل: لو أن في قدرتي انزال العذاب الذي تستعجلونه، لأنزلته عليكم غضبا لربي، وانتهى الأمر بيني وبينكم بذلك، ولكن الأمر لله وهو أعلم بما يستحقه الكافرون من العذاب العاجل أو الآجل.

٥٩ - وعند الله علم جميع أبواب المغيبات، لا يحيط بها علما إلا هو ومن يريد اعطاءه بعضها، ويحيط علمه كذلك بجميع الموجودات في البر والبحر ولا تسقط ورقة، أية ورقة كانت، إلا يعلمها، ولا تسقط حبة ما في باطن الأرض ولا شيء رطب ولا يابس، إلا هو سبحانه يحيط بعلمه احاطة تامة.



أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ

٦٠ - وهو الذى ينمىكم بالليل ، ويوقظكم بالنهار ، ويعلم ما كسبتم فيه حتى ينتهى أجل كل منكم فى الدنيا بموته ، ثم يوم القيامة ترجعون جميعا إلى الله وحده ، يخبركم بأعمالكم فى الدنيا من خير أو شر ، ويجازيكم عليها .

٦١ - هو الغالب بقدرته ، المستعلى بسلطانه على عباده ، والذى يرسل عليكم ملائكة يحصون كل أعمالكم إلى أن تجىء نهاية كل منكم ، فتقبض روحه ملائكتنا الذين نرسلهم لذلك ، وهم لا يقصرون فيما يوكل اليهم .

٦٢ - ثم يبعث هؤلاء الأموات يوم القيامة ، ويوقفون أمام ربهم الذى يتولى وحده أمورهم بحق . اعلموا أن له وحده الفصل بين الخلائق وحسابهم فى ذلك اليوم ، وهو أسرع من يتولى الحساب والجزاء .

٦٣ - قل ، أيها النبى ، للمشركين : من الذى ينقذكم من أهوال البر والبحر ، إذا حلت بكم ، فلجأتكم إليه تدعونه فى خضوع ظاهر وباطن ، قائلين : نقسم لأن أنقذتنا من هذه الأهوال لنكون من المقرين بفضلك ، القائلين بشركك .

٦٤ - قل : الله وحده هو الذى ينقذكم من هذه الأهوال ، ومن كل شدة أخرى ، ثم أنتم مع ذلك تشركون معه فى العبادة غيره مما لا يدفع شرا ولا يجلب خيرا !!

٦٥ - قل : ان الله وحده هو الذى يقدر على أن يرسل عليكم عذابا يأتىكم من أعلاكم أو من أسفلكم . أو يجعل بعضكم لبعض عدوا ، وتكونون طوائف مختلفة الأهواء متناكرة ، يعذب بعضكم بعضا عذابا شديدا !! . انظر كيف دلت الدلائل على قدرتنا واستحقاقنا وحدنا للعبادة ، لعلمهم يتأملونها ويفهمون الحق !



يُوكِلُ ۝ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِبَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُمْ وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ ۖ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتُنِتْنَا ۚ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ

٦٦ - وكذب قومك بالقرآن، وهو الحق الذي لا موضع فيه لتكذيب قل أيها النبي لهم: لست موكلا بحفظكم، واحصاء أعمالكم ومجازاتكم عليها، بل أمركم فيها إلى الله.

٦٧ - ولكل خبر جاء به القرآن وقت يتحقق فيه، وسوف تعلمون صدق هذه الأخبار عند وقوعها.

٦٨ - وإذا حضرت مجلس الكفار، ووجدتهم يطعنون في آيات القرآن، أو يستهزئون بها، فانصرف عنهم حتى ينتقلوا إلى حديث آخر. وإن نسيت وجالستهم في أثناء حديثهم الباطل، ثم تذكرت أمر الله بالبعد عنهم، فلا تجلس بعد التذكر مع القوم الظالمين.

٦٩ - وليس على الذين يتقون الله شيء من اثم هؤلاء الظالمين، إذا استمروا على ضلالهم، ولكن يجب أن يذكروهم، لعلمهم بخشون عذاب الله ويكفون عن الباطل.

٧٠ - واترك أيها النبي الذين اتخذوا شريعتهم اللهو واللعب، وخدعتهم الحياة الدنيا عن الآخرة، وذكر دائما بالقرآن، وحذرهم هول يوم تحبس فيه كل نفس بعملها، حيث لا ناصر ولا معين غير الله، وإن كل فدية للنجاة من العذاب لا تقبل.. أولئك الكافرون الذين حبسوا في العذاب بسبب ما عملوا من شر، لهم في جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم بسبب كفرهم.

وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهًا إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ

٧١ - قل لأولاء الكفار توبيخا لهم ، هل يصح أن يعبد غير الله مما لا يملك جلب نفع ، ولا دفع ضرر ، وننتكس في الشرك بعد أن وفقنا الله إلى الايمان ، ونكون كالذى غررت به الشياطين وأضلته في الأرض ، فصار في حيرة لا يمتدى معها إلى الطريق المستقيم ، وله رفقة مهتدون يحاولون تخليصه من الضلال ، قائلين له : ارجع إلى طريقنا السوى ، فلا يستجيب له ! قل أيها النبي : ان الاسلام هو الهدى والرشاد ، وما عداه ضلال ، وقد أمرنا الله بالانقياد له ، فهو خالق العالمين ورازقهم ومدبر أمورهم .

٧٢ - اعرضوا عن المشركين بعد أن تدعوهم إلى الهدى ، وانصرفوا إلى عبادة ربكم ، وأدوا الصلاة على أكمل وجه من الخضوع ، وخافوا الله ، وأدوا أوامره ، فإنه هو الذى تجمعون عنده .

٧٣ - وهو الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، وأقام خلقها على الحق والحكمة ، وفي أى وقت تتجه ارادته سبحانه إلى إيجاد شيء يوجد فوراً ، يوجد الأشياء بكلمة : « كن » ، وكل قول له هو الصدق والحق ، وله وحده التصرف المطلق يوم القيامة ، حين ينفخ في البوق ايذاناً بالبعث ، وهو سبحانه الذى يستوى في عمله الغائب والحاضر ، وهو الذى يتصرف بالحكمة في جميع أفعاله ، والذى يحيط علمه ببواطن الأمور وظواهرها .

٧٤ - واذكر أيها النبي ما كان ، حين قال ابراهيم لأبيه أزر ، منكرًا عليه عبادة غير الله : ما كان لك أن تجعل الأصنام آلهة ، انى أراك وقومك الذين يشاركونك في هذه العبادة في بعد واضح عن طريق الحق .

٧٥ - وكما رأى ابراهيم - بتوفيقنا - ضلال أمته وقومه في تأليه الأصنام نزيه ملكنا العظيم للسموات والأرض وما فيها ، ليقيم الحجة على قومه ، وليزداد ايماناً .

٧٦ - طلب ابراهيم ربه ، فهده الله ، إذ ستر الليل وجه النهار بظلمته ، فرأى نجماً متألقاً ، قال : هذا ربي . فلما غاب ، قال مبطلاً لربوبية النجم : لا أقبل عبادة الآلهة الزائلين المتغيرين ! .



هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لِمَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِلَهِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ جُمُوعٌ

٧٧ - وحين رأى القمر طالعا بعد ذلك قال محدثا نفسه : هذا ربى . فلما غاب هو الآخر ، وظهر بطلان ربوبيته ، قال ليوجه نفوسهم إلى القامس الهداية : أقسم ان لم يهدنى ربى إلى الحق لأكون من القوم الحائرين .

٧٨ - ثم رأى الشمس طالعة بعد ذلك ، فقال محدثا نفسه : هذا ربى ، لأنه أكبر ما يرى من الكواكب ، فلما غابت قال : يا قوم إني برىء من الأصنام التى تشركونها مع الله فى العبادة .

٧٩ - بعد أن رأى ضعف المخلوقات اتجه إلى خالقها قائلا : إني وجهت قصدى إلى عبادة الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، مجانباً كل سبيل غير سبيله - وما أنا - بعد الذى رأيت من دلائل التوحيد - ممن يرضى أن يكون من المشركين مثلهم .

٨٠ - ومع ذلك جادله قومه فى توحيد الله ، وخوفوه غضب آلهتهم ، فقال لهم : ما كان لكم أن تجادلونى فى توحيد الله وقد هدانى إلى الحق ، ولا أخاف غضب آلهتكم التى تشركونها مع الله ، لكن إذا شاء ربى شيئا من الضر وقع ذلك ، لأنه وحده القادر ، وقد أحاط علم ربى بالأشياء كلها ، ولا علم لآلهتكم بشيء منها !! . أنفعلون عن كل ذلك فلا تدركوا أن العاجز الجاهل لا يستحق أن يعبد ؟ !

٨١ - وأن من العجب أن أخاف آلهتكم الباطلة ، ولا تخافون أنكم عبدتم مع الله - الذى قامت الحجة على وحدانيته آلهة لم يقم دليل على أنها تستحق أن تعبد ! فأى فريق منا فى هذه الحال أحق بالطمأنينة والأمان ، ان كنتم تعلمون الحق وتدركونه ؟

٨٢ - الذين آمنوا بالله ، ولم يخلطوا إيمانهم هذا بعبادة أحد سواه ، هؤلاء وحدهم هم الأحق بالطمأنينة ، وهم وحدهم المهتدون إلى طريق الحق والخير .

ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۚ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدِهٖ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لَّكُمْ

٨٣ - وتلك الحجة العظيمة على الوثنيता ووحدانيتنا ، أعطيناها ابراهيم لقيمها على قومه ، فارتفع بها عليهم . وسنتنا في عبادنا أن نرفع بالعلم والحكمة من نريد منهم درجات . ان ربك أيها النبي حكيم يضع الشيء في موضعه ، عليم بمن يستحق الرفعة ومن لا يستحق .

٨٤ - ووهبنا لآبراهيم اسحق ويعقوب بن اسحق ، ووقفنا كلا منهما إلى الحق والخير كأبيها ، ووقفنا من قبلهم نوحا إلى ذلك ، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكما جزينا هؤلاء نجزي المحسنين بما يستحقون .

٨٥ - وهدينا زكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل واحد من هؤلاء من عبادنا الصالحين .

٨٦ - وهدينا اسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وفضلنا كل واحد من هؤلاء جميعا على العالمين في زمانه ، بالهداية والنبوّة .

٨٧ - واصطفينا بعض آباء هؤلاء وذرياتهم واخوانهم ، ووقفناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه .

٨٨ - ذلك التوفيق العظيم الذي ناله هؤلاء ، هو توفيق من الله ، يوفق إليه من يشاء من عباده . ولو أشرك هؤلاء المختارون لضاعت كل أعمال الخير التي يعملونها ، فلا يكون عليها ثواب .

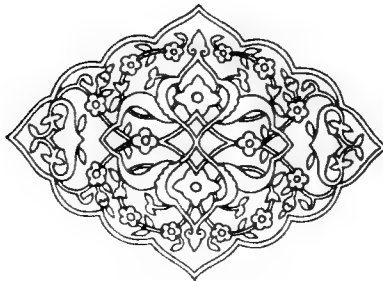
٨٩ - أولئك الذين آتيناهم الكتب المغزلة والعلم النافع وشرف النبوة ، فإن يمحذ بهذه الثلاثة مشركو مكة فقد عهد برعايتها والانتفاع بها إلى قوم لا يكفرون بها .

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۚ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِمَتْ مَا لَهُ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

٩٠ - أولئك الذين وفقهم الله إلى طريق الحق والخير، فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين وأمهاث الفضائل، ولا تسلك غير سبيلهم.. قل أيها النبي لقومك كما قال هؤلاء لأقوامهم: لا أطلب منكم على تبليغ كلام الله أجرًا! ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين، ولا غاية لي إلا أن تنتفعوا به.

٩١ - وما قدر هؤلاء الكفار الله ورحمته وحكمته حق التقدير، إذ أنكروا أن تنزل رسالته على أحد من البشر! قل أيها النبي للمشركين ومن يشايهم على ذلك من اليهود: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا يضيء، وهدى يرشد؟ انكم أيها اليهود تجعلون كتابته في أجزاء متفرقة تظهرون منها ما يتفق وأهواءكم، وتخفون كثيرا مما يلجئكم إلى الايمان والتصديق بالقرآن، وعلمتم منه ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آباؤكم!! وتول أنت أيها النبي الجواب، وقل لهم: الله هو الذي أنزل التوراة، ثم اتركهم يمشون في الضلال عابثين كالصبيان.

٩٢ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه - كما أنزلنا التوراة - كثير الخير، باق إلى يوم القيامة، مصدق لما تقدمه من الكتب المنزلة، مخبر عن نزولها، لتبشر به المؤمنين، وتخوف الكفار من أهل مكة ومن حولها في جميع أنحاء الأرض من غضب الله، إذا لم يذعنوا له. والذين يصدقون بيوم الجزاء يحملهم رجاء الثواب والخوف من العقاب على الايمان به، وهم لذلك يحافظون على أداء صلاتهم كاملة مستوفاة.



بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْجِعْتُمْ مَأخُولِنَا ۖ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ * إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ۚ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۚ

٩٣ - لم يكذب النبي حين أعلن أن القرآن من عند الله ، وليس أحد أكثر ظلما ممن اختلق الكذب على الله ، أو قال : تلقيت وحيا من الله ، دون أن يكون قد تلقى شيئا من الوحي . وليس أحد كذلك أشد ظلما ممن قال : سأق ب كلام مثل ما أنزله الله ! ولو تعلم حال الظالمين ، وهم في شدائد الموت ، والملائكة يزعون أرواحهم من أجسادهم في قسوة وعنف ، لرأيت هولاً رهيباً ينزل بهم ! ويقال لهم حينئذ : الآن تبدأ مجازاتكم بالعذاب المذل المهين ، جزاء ما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وجزاء استكباركم عن النظر والتدبر في آيات الله الكونية والقرآنية .

٩٤ - ويقول لهم الله يوم القيامة : لقد تأكدتم الآن بأنفسكم أنكم بعنتم أحبائكم من قبوركم كما خلقناكم أول مرة ، وجئتم إلينا منفردين عن المال والولد والأصحاب ، وتركتم وراءكم في الدنيا كل ما أعطيناكم آيأ مما كنتم تفكرون به ولا نرى معكم اليوم الشفعاء الذين زعمتم أنهم ينصرونكم عند الله ، وأنهم شركاء لله في العبادة ! لقد تقطعت بينكم وبينهم كل الروابط ، وغاب عنكم ما كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم !

٩٥ - ان دلائل قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة ، وبعثه للناس من قبورهم ، متوافرة متنوعة ، فهو وحده الذى يشق الحب ، ويخرج منه النبات ، ويشق النوى ويخرج منه الشجر ، ويخرج الحسى من الميت كالإنسان من التراب ، ويخرج الميت من الحى كاللبن من الحيوان ، ذلك القادر العظيم هو الآله الحق ، فليس هناك صارف يصرفكم عن عبادته إلى عبادة غيره (١) .

٩٦ - هو الذى يشق غبش الصبح بضوء النهار ، ليسعى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم ، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس ، وجعل سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم .

ذلك النظام الحكيم ، تدبير القادر المسيطر على الكون المحيط بكل شىء علماً (٢) .

(١) من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى خلق الحب والنوى والجنين في كل مكان منها يشغل حيزاً ضيقاً منها . أما باق جسم الحية أو النواة فيتكون من مواد مكتنزة غير حية وعندما يتنبه الجنين ويبدأ في الانبات تتحول هذه المواد المكتنزة الى حالة صالحة لتغذية الجنين ويبدأ في النمو وتتكون الخلايا الحية حتى تنتقل الحية الثانية من طور الانبات الى طور البادرة فيبدأ النبات في الاعتماد على غذائه من الاملاح المذابة في ماء التربة التى يمتصها الجذير مع تكون الأوراق الخضراء من مواد كربوايدراتية كالكسكريات والشبويات في وجود ضوء الشمس وعندما تتم دورة حياة النبات تتكون الثمار وبداخلها الحب والنوى من جديد (انظر التعليق العلمى على تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران) .

(٢) دورة الشمس هى التى علمت الناس حساب الأيام والسنين ودورة القمر هى التى علمتهم حساب الشهور . انظر أيضاً التعليق العلمى على تفسير الآية (١٨٩) من سورة البقرة .

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ

٩٧ - وهو الذى جعل لكم النجوم لتبهتوا بمواقعها إلى مقاصدكم ، وأنتم سائرون فى ظلمات الليل بالبر والبحر ، انا قد بينا دلائل رحمتنا وقدرتنا لقوم ينتفعون بالعلم^(١) .

٩٨ - هو الذى أنشأكم من أصل واحد ، هو أب البشر آدم ، وآدم من الأرض ، فالأرض مكان استقراركم مدة حياتكم ، ومستودع لكم بعد موتكم وتغييركم فى بطنها . وقد بينا دلائل قدرتنا لقوم يدركون ويفهمون الأشياء على وجهها .

٩٩ - وهو الذى أنزل من السحاب ماء أخرج به نبات كل صنف ، فأخرج من النبات شيئا غضا طريا ، ونخرج منه حبا كثيرا بعضه فوق بعض ، ومن طلع النخل عراجين نخرجها محملة بالثمار سهلة التناول ، وأخرجنا كذلك بالماء جنات من الأعناب والزيتون والرمان ، ومنها ما هو مماثل الثمر فى الشكل وغير مماثل فى الطعم والرائحة ونوع الفائدة . انظروا فى تدبر واعتبار إلى ثمره حين يثمر ، وإلى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة ؟ ان فى ذلك لدلائل لقوم ينشدون الحق ويؤمنون به ويدعون له^(٢) .

١٠٠ - واتخذ الكافرون مع هذه الدلائل الملائكة والشياطين شركاء لله ، وقد خلقهم ، فلا يصح مع علمهم ذلك أن يعبدوا غيره ، وهو الذى خلق الملائكة والشياطين ، فلا ينبغي أن يعبدوهم وهم مخلوقون مثلهم . . . واختلق هؤلاء الكفار لله بنين : فزعم النصراني أن المسيح ابن الله ، وزعم مشركو بعض العرب أن الملائكة بنات الله ، وذلك جهل ومن غير علم تنزه الله تعالى عما يفترون فى أوصافه سبحانه !

(١) كانت الاجرام السماوية منذ فجر حضارات البشر وما تزال هى المعالم التى يعتدى بها الانسان فى سفره برا وبحرا ، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم الثابت على الاخص فى تعيين موقع المسافر وتحديد اتجاه غايته ومع تقدم العلم أصبحت الملاحة البحرية والمجوية فنا دقيقا يعتمد عليه وذلك باستخدام آلات السدس وما إليها وبالرجوع الى الجداول الخاصة بذلك بل ان رجال الفضاء فى الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والنجوم فى تحديد اتجاهاتهم فى بعض مراحل اسفارهم وتستخدم بعض مجموعات النجوم كذلك فى تحديد الزمن مثل مجموعة الدب الأكبر وبذلك تم تعرف الانسان على المكان والزمان بالنجوم كما تقرر الآية الكريمة على أوسع معنى .

(٢) توضح هذه الآية الكريمة فى النباتات كيفية خلق تلك الثمار وكيف نشأت وامت فى اطوارها المختلفة حتى وصلت الى طور نضجها الكامل بما تحويه من مركبات مختلفة من السكريات والزيوت والبروتينات والمواد الكربوهيدراتية والنشويات كل هذا يتكون فى وجود ضوء الشمس عن طريق المادة الخضراء مادة اليخضور التى توجد عادة فى المجموع الخضري للنباتات وخاصة الأوراق فهى المصنع الذى يتكون فيه تلك المركبات ومنها توزع على باقى اجزاء النبات بما فيها البذور والثمار علاوة على ان الآية الكريمة تقطع بان ماء المطر هو المصدر =

لَهُ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ، صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَاحِبٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَنَنْبِئْكُمْ عَنْهُ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

١٠١ - الله الذى أنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق : كيف يكون له ولد كما يزعم هؤلاء مع أنه لم تكن له زوجة ، وقد خلق جميع الأنبياء وفيها هؤلاء الذين اتخذوهم شركاء! وهو عالم بكل شيء يحصى عليهم ما يقولون وما يفعلون ، وهو يحاسبهم على قولهم وفعلهم .

١٠٢ - ذلك المتصف بصفات الكمال ، هو الله ربكم ، لا إله غيره ، خالق كل شيء مما كان وما سيكون ، فهو وحده المستحق للعبادة ، فاعبدوه ، وهو وحده المتولى كل أمر وكل شيء ، فإليه وحده المرجع والمآب .

١٠٣ - لا تبصر ذاته العيون ، وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ، وهو اللطيف فلا يغيب عنه شيء ، الخبير فلا يخفى عليه شيء .

١٠٤ - قل أيها النبي للناس : قد جاءكم من خالفكم ومالك أمركم حجج وبيّنات فى القرآن ، تنير لكم طريق الحق ، فمن انتفع بها فانتفاعه لنفسه ومن أعرض عنها فقد جنى على نفسه ! ولست أنا بمحافظ عليكم ، بل أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم .

١٠٥ - ومثل هذا التنوع البديع فى عرض الدلائل الكونية ، نعرض آياتنا فى القرآن متنوعة مفصلة ، لنقيم الحجة بها على الجاحدين ، فلا يجحدوا إلا اختلاق الكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس لا من الله : ولتين ما أنزل إليك من الحقائق من غير تأثر بهوى ، لقوم يدركون الحق ويذعنون له .

١٠٦ - اتبع أيها النبي ما جاءك به الوحي من الله ، مالك أمرك ومدير شئونك ، انه وحده الإله المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين .

= الوحيد للماء العذب على الأرض وطاقة الشمس هي مصدر طاقات الاحياء جميعا ، ولكن النباتات هي التي تستطيع اختزان طاقة الشمس بواسطة مادة اليخضور وتسليمها للانسان والحيوان في المواد الغذائية العضوية التي كونتها ، وقد كشف العلم عن حقيقة باهرة تدل على وحدة الخالق وهي ان مادة الميمولوجين اللازمة لتنفس الانسان وكثير من انواع الحيوان وثيقة الصلة بمادة اليخضور فذرات الكربون والايديروجين والاكسوجين والنيروجين تكتنف ذرة الحديد في جزيء الميمولوجين بينما هي بنفسها تكتنف ذرة الماغنسيوم في جزيء اليخضور كما انه اتضح من البحوث الطبية ان مادة اليخضور عندما يتمثلها جسم الانسان تندمج في خلاياه فتقوها وتساعد على القضاء على جراثيم الأمراض فتتيح لأنسجة الجسم فرصة الدفاع ومكافحة الأمراض .

وفي آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « انظروا الى ثمره اذا انمر وينمه » .

وفي هذه الاشارة سبق لعلم النبات الحديث في ماوصل اليه من الاعتماد في دراسته على مشاهدة الشكل الخارجى لاجزائه كافة في ادواره المختلفة .

يُوكِلُ ۝ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلِ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُسْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَهُمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْنَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يُجَاهِلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرُهُمْ

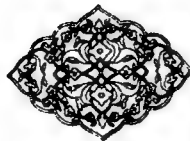
١٠٧ - ولو أراد الله أن يعبدوه وحده لقهروهم على ذلك بقوته وقدرته ، ولكنه تركه لاختيارهم ، وما جعلناك رقيبا على أعمالهم ، وما أنت بمكلف أن تقوم عنهم بتدبير شئونهم واصلاح أمرهم .

١٠٨ - لا تسبوا ، أيها المؤمنون ، أصنام المشركين التي يعبدونها من دون الله ، فيحملهم الغضب لها على اغاظتكم بسبب الله تعديا وسفها . مثل ما زينا لهؤلاء حب أصنامهم يكون لكل أمة عملها حسب استعدادها ، ثم يكون مصير الجميع إلى الله وحده يوم القيامة ، فيخبرهم بأعمالهم وبجازهم عليها .

١٠٩ - وأقسم المشركون بأقصى إيمانهم لئن جاءتهم آية مادية من الآيات التي اقترحوها ، ليكون ذلك سببا في إيمانهم !! قل يا أيها النبي : ان هذه الآيات من عند الله ، فهو وحده القادر عليها ، وليس لي يد فيها ، انكم أيها المؤمنون لاتدرون ما سبق به علمي من أنهم إذا جاءتهم هذه الآيات لا يؤمنون .

١١٠ - وانكم لاتدرون أيضا أننا نقرب قلوبهم عند مجيء الآيات بالخواطر والتأويلات ، ونقلب أبصارهم بتوهم التخييلات ، فيكونون بعد الآيات كحالهم قبلها ، وندعهم في ظلمهم وعنادهم يتخبطون .

١١١ - ان أولئك الذين أقسموا : إذا جاءتهم آية ليؤمنن بها ، كاذبون ، والله أعلم بإيمانهم ، ولو أننا نزلنا الملائكة يرونهم رأى العين ، وكلمهم الموقى بعد أحيائهم واخراجهم من قبورهم ، وجمعنا لهم كل شيء مقابلا لهم مواجهها بين لهم الحق ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله تعالى أن يؤمنوا ، والأكثر لا يدركون الحق ولا يدعون له ، لما أصاب قلوبهم من عمياء الجاهلية .



وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ
أَبْتَنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ
بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَنَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًّا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ

١١٢ - وكما أن هؤلاء عادوك وعاندوك وأنت تريد هدايتهم ، جعلنا لكل نبي يبلغ عنا أعداء من عتاة
الانس ، وعتاة الجن الذين يخفون عنك ولا تراهم ، يوسوس بعضهم لبعض بكلام مزخرف مموه لا حقيقة له ،
فيلقون بذلك فيهم الغرور بالباطل ! وذلك كله بتقدير الله ومشيبته ، ولو شاء ما فعلوه ، ولكنه لتمحيص قلوب
المؤمنين . فاترك الضالين وكفرهم بأقوالهم التي يفترونها .

١١٣ - وانهم يوهون القول الباطل ليغفروا أنفسهم ويرضوه ، وتميل إليه قلوب من على شاكلة أولئك العتاة
الذين لا يذعنون للآخرة ، ويعتقدون أن الحياة هي الدنيا ، وليقعوا بسبب عدم اعتقادهم باليوم الآخر فيما يفترون
من أثام وفجور .

١١٤ - قل لهم أيها النبي : هذا حكم الله بالحق بينته الآيات الساطعة ، فلا يسوغ أن أطلب حكما غيره يفصل
بينى وبينكم ، وقد حكم سبحانه فأنزل الكتاب الكريم حجة لى عليكم ، وقد عجزتم أن تأتوا بمثله ، وهو مبین للحق
واللعدل ، وان الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه منزل من عند الله مشتملا على الحق ، كما بشرت كتبهم . وان حاولوا
اخفاء ذلك وكتمانه ، فلا تكونن يأبها النبي ، أنت ومن اتبعك ، من الذين يشكون فى الحق بعد بيانه .

١١٥ - وان حكم الله قد صدر ، فتمت كلمات ربك الصادقة العادلة ، بانزال الكتاب الكريم مشتملا على
صدق ، وفيه الميزان الصادق بين الحق والباطل ، ولا يوجد من يغير كلمات الله وكتابه ، وهو سبحانه سميع لكل
ما يقال عليهم بكل مايقع منهم .

١١٦ - وإذا كان سبحانه هو الحكم العدل الذى يرجع إلى كتبه فى طلب الحق ومعرفته ، فلا تتبع أيها النبي
أنت ومن معك أحدا يخالف قوله الحق ، ولو كانوا عددا كثيرا . فإنك ان تتبع أكثر الناس الذين لا يعتمدون على
شرع منزل ، يبعدوك عن طريق الحق المستقيم وهو طريق الله تعالى ، لأنهم لا يسيرون إلا وراء الظنون والأوهام ،
وان هم إلا يقولون عن تخمين لا يبنى على برهان .

١١٧ - وان ربك هو العليم علما ليس مثله علم بالذين بعدوا عن طريق الحق ، والذين اهدوا إليه وصارت
الهداية وصفا لهم .

إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَنَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا

١١٨ - وإذا كان الله تعالى هو الذى يعلم المهتدين والضالين ، فلا تلتفتوا الى ضلال المشركين في تحريم بعض الأنعام ، واكلوا منها ، فقد رزقكم الله تعالى اياها ، وجعلها حلالاً وطيبه لا ضرر في أكلها ، واذكروا اسم الله تعالى عليها عند ذبحها ، ما دمت مؤمنين به ، مدعين لأدله ..

١١٩ - وانه لا يوجد أى مبرر أو دليل يمنعكم أن تأكلوا مما يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه من الأنعام ، وقد بين سبحانه وتعالى المحرم في غير حال الاضطرار ، كالميتة والدم . وان الكثيرين من الناس يبعدون عن الحق بمحض أهوائهم ، من غير علم أوتوه ، أو برهان قام عندهم ، كأولئك العرب الذين حرّموا بعض النعم عليهم . ولستم معتدين في أكلكم ما ولد ، بل هم المعتدون بتحريم الحلال ، والله وحده هو العليم علماً ليس مثله علم بالمعتدين حقاً .

١٢٠ - ليست التقوى في تحريم ما أحل الله ، انما التقوى في ترك الاثم ظاهره وباطنه فاتركوا الآثام في أعمالكم ظاهرها وخفيها وان الذين يكسبون الاثم سيجزون مقدار ما اقترفوا من سيئات .

١٢١ - وإذا كانت الأنعام حلالاً لكم بذبحها ، فلا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه ، اذا تركت فيه التسمية عمداً ، أو ذكر فيه اسم غير الله تعالى ، فان هذا فسق وخروج عن حكم الله ! .. وان العتاة المفسدين من ابليس وأعوانه ليوسوسون في صدور من استولوا عليهم ، ليجادلوكم بالباطل . وليجروكم الى تحريم ما أحل الله ، وان اتبعتموهم فانكم مثلهم في الاشرار بالله .

١٢٢ - وانكم بإيمانكم لستم مثل المشركين في شيء ، فليس حال من كان كالميت في ضلاله فأنا الله بصيرته بالهداية التى هى كالحياة ، وجعل له نور الايمان والحجج البينات ، يهتدى به ويمشى على ضوئه ، كحال الذى يعيش في الظلام المتكاثف . وكما زين الله الايمان في قلوب أهل الايمان ، زين الشيطان الشرك في نفوس الظالمين الجاحدين .

يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا بِمِعْشَرِ الْآخِرِ قَدْ أَسْكَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْمَعْ بِعَعْضِنَا

١٢٣ - لا تعجب أيها النبي إذا رأيت أكابر المجرمين في مكة يدبرون الشر ويتفنون فيه ! . فكَذَٰلِكَ الشَّانُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ كَبِيرَةٌ يُدَبِّرُ الشَّرَّ فِيهَا الْأَكَابِرُ مِنَ الْمَجْرِمِينَ ، وَعَاقِبَتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَحْسُونَ بِذَلِكَ .

١٢٤ - وان هؤلاء الكبار من المجرمين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من علم ونبوة وهداية ، فإذا جاءتهم حجة قاطعة لا يدعون لها ، ولكن يقولون : لن ندعن للحق حتى ينزل علينا الوحي كما ينزل على الرسل ، والله وحده هو الذي يصطفي لرسالته من يشاء من خلقه ، وان هؤلاء المعاندين إذا كانوا يطلبون الرياسة بهذا العناد ، فسينا لهم الصغار والذل في الدنيا بسببه ، وسينا لهم العذاب الشديد في الآخرة بسبب تدبيرهم السيء .

١٢٥ - إذا كان أولئك قد ضلوا واهتدوا ، فبارادة الله تعالى وقضائه ، فن يكتب له الهداية يتسع صدره لنور الاسلام ، ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقاً شديداً الضيق . كأنه من الضيق كمن يصعد الى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسواء ، فتتصاعد انفاسه ولا يستطيع شياً ! وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الذين ليس من شأنهم الايمان .

١٢٦ - وهذا الذي بيناه هو طريق الحق المستقيم ، قد فصلناه ووضحناه للناس ، ولا ينتفع به الا الذين من شأنهم التذكر وطلب الهداية .

١٢٧ - ول هؤلاء المتذكرين المؤمنين دار الأمن ، وهي الجنة ، وهم في ولاية الله ومحبه ونصرته ، بسبب ما عملوا في الدنيا من خير .

بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾
 وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَفْصَحُونَ
 عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ
 أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ
 مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ

١٢٨ - وإذا كان الذين سلكوا صراط الله المستقيم لهم الأمن وولاية الله ، فالذين سلكوا طريق الشيطان لهم جزاء ما ارتكبوا ، حين يحشر الجميع يوم القيامة ، ويقول جل جلاله للأئمن من الجن والانس : أيها المجتمعون من الجن قد أكثرتم من اغواء الانس حتى تبعكم منهم عدد كثير ! . فيقول الذين اتبعوهم من الانس : يا خالقنا والقائم علينا ، قد انتفع بعضنا ببعض ، واستمتعنا بالشهوات ، وبلغنا أجلنا الذي حددته لنا . فيقول جل جلاله : مقررهم النار خالدين فيها الا من شاء الله أن ينقذهم ممن لم ينكروا رسالة الله . وان أفعال الله دائماً على مقتضى الحكمة والعلم .

١٢٩ - وكما متعنا عصاة الانس والجن بغضهم ببعض ، فجعل بعض الظالمين أولياء لبعض بسبب ما يكتسبون من كبائر .

١٣٠ - والله تعالى يقول لهم يوم القيامة : يا أيها الانس والجن ، لقد جاءكم الرسل يذكرون لكم الحجج والبيانات ، ويتلون عليكم الآيات ، وينذرونكم لقاء الله في يومكم هذا ، فكيف تكذبون ؟ فأجابوا : قد أقرنا على أنفسنا بما ارتكبنا ، وقد خدعتم الحياة الدنيا بمتعتها ، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين .

١٣١ - وان إرسال الرسل منذرين مبينين انما كان لأن ربك أيها النبي لا يهلك القرى بظلمهم وأهلها غافلون عن الحق ، بل لا بد أن يبين لهم وينذرهم .

١٣٢ - ولكل عامل خير أو عامل شر درجاته من جزاء ما يعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والله سبحانه وهو الخالق البارئ غير غافل عما يعملون ، بل ان عملهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها .

مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَنْقُورُ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ
 فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾
 وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حَرَمٌ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ

١٣٣ - والله ربك هو الغني عن العباد والعبادة ، وهو وحده صاحب الرحمة الشاملة ، وبمقتضاها أمركم بالخير ونهاكم عن الشر ، وهو القادر ان يشأ يذهبكم ويجعل في الأرض خلفاء من بعدكم على حسب مشيئته ، وليس ذلك يصعب عليه سبحانه ، فقد خلقكم من ذرية آخرين سبقوكم ، وكنتم واثين الأرض من بعدهم .

١٣٤ - وان الذي ينذركم به من عقاب ، ويشركم به من ثواب بعد البعث والجمع والحساب ، آت لا محالة ، وما أنتم بمعجزين من يطلبكم يومئذ ، فلا قدرة لكم على الامتناع عن الجمع والحساب .

١٣٥ - قل أيها النبي لهم مهدياً : اعملوا على النحو الذي اخترتموه بكل ما في قدرتكم ، واني عامل في ناحية الحق ، وستعلمون حتماً من تكون له العاقبة الحسنة في الدار الآخرة ، وهي لأهل الحق لا محالة ، لأنكم ظالمون والله تعالى لم يكتب الفوز للظالمين .

١٣٦ - المشركون الذين يعبدون الأوثان في أوهام مستمرة ، فهم يجعلون مما خلق الله تعالى وأنشأه ، من الزرع ومن الابل والبقر والغنم ، جزءاً لله تعالى ينفقونه على الضيفان والمحتاجين ، وجزءاً آخر ينفقونه على خدمة الأوثان التي جعلوها شركاء لله تعالى بزعمهم ، فاجعلونه للأوثان يصل الى أوثانهم فينفقونه عليها ، وما يجعلونه لله بزعمهم لا يصل شيء منه الى الضيفان والفقراء ، وما أسوأ حكمهم الظالم ، لأنهم جعلوا الأوثان نظراء لخالق الحرث والنسل ، ولأنهم لا ينفقون ما جعلوه لله في مصارفه .

١٣٧ - وكما زينتم لهم أوهامهم تلك القسمة الظالمة لما خلق الله من حرث وابل وبقر وغنم ، قد زينتم لهم أوهامهم في الأوثان التي زعموها شركاء لله قتل أولادهم عند الولادة ، وأن ينذروا لألهتهم ذبح أولادهم ! وان تلك الأوهام ترديهم وتغلط عليهم أمر الدين . فلا يدركونه على وجهه ! واذا كانت الأوهام لها ذلك السلطان على عقولهم ، فاتركهم وما يفترونه على الله تعالى وعليك وسينالون عقاب ما يفترون ، وتلك مشيئة الله ، فلو شاء ما فعلوا .

اللَّهُ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَيْنَا أَزْوَاجَنَا وَإِن يَكُن مِّمَّةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ

١٣٨ - ومن أوهامهم أنهم يقولون : هذه ابل وبقر وغنم وزرع ممنوعة ، لا يأكلها أحد الا من يشاءون من خدمة الأوثان ، وذلك من زعمهم الباطل ، لا من عند الله . وقالوا أيضاً : هذه ابل حرمت ظهورها فلا يركبها أحد ، وهم مع ذلك لا يذكرون اسم الله تعالى عند ذبح ما يذبحون من ابل وبقر وغنم ، وذلك لكذبهم على الله تعالى بشركهم ، والله تعالى سيجزيهم بالعذاب في الآخرة ، بسبب افتراءهم وتحريمهم ما يحرمون من غير تحريم الله تعالى .

١٣٩ - ومن أوهام هؤلاء المشركين أنهم يقولون : ما في بطون الأنعام التي جعلوها محجورة ممنوعة لا تذبح ولا تتركب ، ما في بطونها من أجنة خالص للذكور من الرجال ، ويحرم منه النساء ، ومع ذلك اذا نزل ميتاً فهم شركاء فيه ، يأكلون منه ، سيجزيهم الله تعالى على كذبهم الذي وصفوا به فعلهم ، اذ ادعوا ان هذا التحريم من عند الله تعالى ، وان الله عليهم بكل شيء ، حكيم ، كل افعاله على مقتضى الحكمة وهو يجزي الآثمين باثمهم .

١٤٠ - وقد خسر أولئك الذين قتلوا أولادهم حقاً ووهماً ، غير عالمين مغبة عملهم وداعيه ، وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله من زرع وحيوان ، مفترين على الله بادعاء أنه هو الذي حرم ، وقد بعدوا عن الحق بسبب ذلك ، وما كانوا بسبب هذا الافتراء ممن يتصفون بالهداية .

١٤١ - الله وحده هو الذي خلق حقائق من الكرم ، منها ما يفرس ويرفع على دعائم ، ومنها ما لا يقوم على دعائم وخلق النخل والزرع الذي يخرج ثمرأً مختلفاً في اللون والطعم والشكل والرائحة وغير ذلك ، وخلق الزيتون والرمان متشابهاً في بعض الصفات وغير متشابه في بعضها الآخر ، مع أن التربة قد تكون واحدة وتسقى جميعها بماء واحد . فكلوا من ثمرها اذا طاب لكم ، وأخرجوا منها الصدقة عند نضجها وجمعها ، ولا تسرفوا في الأكل فتضروا انفسكم وتضروا الفقراء في حقهم ، ان الله لا يرضى عن المسرفين في تصرفاتهم وأعمالهم .

حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَاكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاُنثَيْنِ نَبِئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْاِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَاكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ

١٤٢ - وخلق الله من الأنعام، وهى الابل والبقر والضأن والماعز، ما يحمل أنفالكُم، وما تتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها فراشاً، وهى رزق الله لكم، فكلوا ما أحل الله منها ولا تتبعوا الشيطان وأوليائه في افتراء التحليل والتحریم، كما كان يفعل أهل الجاهلية !. ان الشيطان لا يريد لكم الخير، لأنه عدو ظاهر العداوة.

١٤٣ - خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكراً وأنثى، فهى ثمانية أزواج خلق من الضأن زوجين، ومن الماعز زوجين، وقل يا محمد للمشرکين منكرأ عليهم تحريم ما حرموا من هذا، ما علة تحريم هذه الأزواج كما تزعمون؟ أهى كونها ذكوراً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً ! أم هى كونها إناثاً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الإناث أحياناً ! أم هى اشتغال الأرحام عليها ! ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام ! أخبرونى بمستند صحيح يعتمد عليه، ان كنتم صادقين فيما تزعمون من التحليل والتحریم.

١٤٤ - وخلق الله من الابل زوجين، ومن البقر زوجين. قل لهم يا محمد منكرأ عليهم : ماعلة التحريم لما حرمتم من هذه الأزواج كما تزعمون؟ أهى كونها ذكوراً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الذكور أحياناً أهى كونها إناثاً؟ ليس كذلك، لأنكم تحلون الإناث أحياناً ! أم هى اشتغال الأرحام عليها؟ ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام، وتزعمون أن هذا التحريم من عند الله ! أكنتم حاضرين حين وجه اليكم الله هذا التحريم فسمعتُم نبيه؟ لم يكن ذلك قطعاً. انتهوا عما انتم فيه، فهو ظلم، وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فنسب اليه ما لم يصدر عنه، ولا سند له من علم يعتمد عليه، وانما يريد بذلك اضلال الناس ! ان الله لا يوفق الظالمين اذا اختاروا طريق الباطل.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن نَّبْعُودُ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ

١٤٥ - قل ، أيها النبي . لا أجد الآن في مصدر التحليل والتحریم الذى أوحى به الى طعاماً محرماً على أكل يأكله ، الا أن يكون هذا الشيء ميتة لم تذك ذكاة شرعية ، أو دماً سائلاً ، أو لحم خنزير ، فان ذلك المذكور ضار خبيث لا يجوز أكله والا أن يكون هذا الشيء المحرم فيه خروج من العقيدة الصحيحة ، بأن ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، كصنم أو معبود آخر ! على أن من دعت الضرورة الى أكل شيء من هذه المحرمات ، غير طالب للذة بالأكل ، وغير متجاوز قدر الضرورة ، فلا حرج عليه لأن ربك غفور رحيم (١).

١٤٦ - فهذا ما حرمناه عليكم . ولقد حرمنا على اليهود أكل اللحم والشحم وغيرها من كل ماله ظفر من الحيوانات كالإبل والسباع ، وحرمنا عليهم من البقر والغنم شحومها فقط ، الا الشحوم التى حملتها ظهورها ، أو التى توجد على الأعماء ، أو التى اختلطت بعظم . وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم ، وفطم لنفوسهم من اندفاعها فى الشهوات ، وانا لصادقون فى جميع أخبارنا التى منها هذا الخبر .

١٤٧ - فان كذبك المكذبون فيما أوحيت به اليك ، فقل لهم محذراً : ان ربكم الذى يجب أن تؤمنوا به وحده وتلتزموا أحكامه ذو رحمة واسعة لمن أطاعه ولمن عصاه أيضاً ، حيث لم يعجل بعقوبتهم ، ولكن لا ينبغي أن يغفروا بسعة رحمته ، فان عذابه لا بد واقع بالمجرمين .

١٤٨ - سيقول المشركون اعتذاراً عن شركهم ، وتحريم ما أحل الله من المطاعم .. وتكذيباً لما أبلغتهم من مقت الله لما هم عليه : ان الاشراك منا وتحريم الحلال كانا بمشيئة الله ورضاه ! ولو شاء عدم ذلك وكره منا ما نحن عليه ، ما أشركنا نحن ولا أسلافنا ، ولا حرمنا شيئاً مما أحله لنا . وقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، كما كذبك هؤلاء واستمروا فى تكذيبهم حتى نزل بهم عذابنا ! قل هؤلاء المكذبين ، هل عندكم من مستند صحيح على أن الله رضى لكم الشرك والتحليل ، فتظهروه لنا ؟ ما تتبعون فيما تقولون الا الظن الذى لا يقى من الحق شيئاً ، وما أنتم الا كاذبون فيما تزعمون .

١٤٩ - قل يا أيها النبي : لله الحجة الواضحة فى كذبكم وادعائكم ان الله رضى بعملكم ! ولا حجة لكم فيما تزعمون من الشرك والتحليل والتحریم وغيرها ، فلو شاء الله أن يوفقكم الى الهداية لهداكم اجمعين الى طريق الحق ، ولكنه لم يشأ ذلك لاختياركم سبيل الضلال .

(١) (انظر التعليق على تفسير الآية الثالثة من سورة المائدة) .

وفى هذه الآية الكريمة نص على علة تحريم أكل لحم الخنزير بانه رجس والرجس هو النجس وقد جاء فى القاموس المحيط ان الرجس هو القذر والمائم وكل ما استعمر من العمل والعمل المؤدى الى العذاب . فالرجس ان كلمة جامعة لمعانى القبح والقذر والعنر وهى تلتصق بالخنزير حق عند الشعوب التى تاكله والخنزير حيوان قارت أو رمام أى أنه يأكل ما يجده فى القمامة والنفايات وفضول الانسان والحيوان . وهذا هو السبب الرئيسى فى قيامه بدوره فى انتقال بعض الامراض الوبيلة للانسان على نحو ما هو مفصل فى التعليق السابق المشار اليه .

شُهَدَاءُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ
الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا

١٥٠ - قل لهم يا أيها النبي هاتوا أنصاركم الذين يشهدون لكم أن الله حرم هذا الذي زعمتم أنه حرام، فإن حضروا، وشهدوا، فلا تصدقهم لأنهم كاذبون. ولا تتبع أهواء هؤلاء الذين كذبوا بالأدلة الكونية والقرآن المتلو، الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركون بالله، يساوون به غيره من المعبودات الباطلة.

١٥١ - قل لهم يا أيها النبي: تعالوا أبين لكم المحرمات التي ينبغي أن تهتموا بها وتبتعدوا عنها: لا تجعلوا لله شريكاً ما، بأي نوع من أنواع الشرك ولا تسيئوا إلى الوالدين، بل أحسنوا إليهما إحساناً بالغاً، ولا تقتلوا أولادكم بسبب فقر نزل بكم، أو تخشون نزوله في المستقبل، فلستم أنتم الرازيين، بل نحن الذين نرزقكم ونرزقهم ولا تقربوا الزنا فهو من الأمور المتناهية في القبح، سواء منها ما ظهر للناس حين اتيانه، وما لم يطلع عليه إلا الله، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها لعدم موجهه، إلا إذا كان القتل بحق تنفيذاً لحكم القضاء - أمركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات التي تقضى بدينها العقل بالبعد عنها، لتعقلوا ذلك.

١٥٢ - ولا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بأحسن تصرف يحفظه وينمي، واستمروا على ذلك حتى يصل اليتيم إلى حالة من الرشد يستطيع معها أن يستقل بالتصرف السليم، وحينئذ ادفعوا إليه ماله، ولا تمسوا الكيل والميزان بالنقص إذا أعطيت، أو بالزيادة إذا أخذتم، بل أوفوها بالعدل ما وسعكم ذلك، فالله لا يكلف نفساً إلا ما تستطيعه دون حرج. وإذا قلتم قولاً في حكم أو شهادة أو خبر أو نحو ذلك، فلا تملوا عن العدل والصدق، بل تحروا ذلك دون مراعاة لصلة من صلات الجنس أو اللون أو القرابة أو المصاهرة ولا تنقضوا عهد الله الذي أخذ عليكم بالتكاليف، ولا اليهود التي تأخذونها بينكم، فيما يتعلق بالمصالح المشروعة، بل أوفوا بهذه العهود. أمركم الله أمراً مؤكداً باجتناب هذه المنهيات، لتذكروا أن التشريع لمصلحتكم..

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾
 ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى
 طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي
 الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

١٥٣ - ولا تحيدوا عن النهج الذي رسمته لكم . لأنه هو الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدارين ، بل اتبعوه ، ولا تتبعوا الطرق الباطلة التي نهاكم الله عنها حتى لا تتفرقوا شيعة وأحزابا وتبعدوا عن صراط الله السوى . أمركم الله أمراً مؤكداً بذلك لتتجنبوا مخالفته .

١٥٤ - وقد أنزلنا التوراة على موسى اتماماً للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين ، وأنزلناها تفصيلاً لكل شيء من التعاليم المناسبة لهم ، وهدى الى الطريق السوى ، ورحمة لهم باتباعه وذلك ليؤمن بنو اسرائيل بلقاء ربهم يوم القيامة ومحاسبتهم على هذه التكاليف .

١٥٥ - وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك ، مشتمل على الخير الالهى والمنافع الدينية والدنيوية ، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم .

١٥٦ - أنزلناه حتى لا تعتذروا عن عصيانكم وتقولوا : ان الوحى لم ينزل الا على طائفتين من قبلنا ، هم أهل التوراة وأهل الانجيل ، ولا علم لنا مطلقاً بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من ارشاد .

١٥٧ - وأنزلناه حتى لا تقولوا أيضاً : لو أننا أنزل علينا الوحى الذى نزل عليهم ، لكننا أكثر منهم هداية وأحسن حالاً ، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا لا حاجة لكم بعد اليوم على عصيانكم ، ولا محل لقولكم هذا ، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد ، ومبيناً لكم جميع ما تحتاجون اليه في دينكم ودنياكم ، وهدايا الى الطريق السوى ، ورحمة لكم باتباعه . ولا يكون أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التي أنزلها في كتبه ، وآياته التي خلقها في الكون . وأعرض عنها فلم يؤمن ولم يعمل بها ! وسنعاقب الذين يعرضون عن آياتنا ، ولا يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته في الايلام ، بسبب اعراضهم وعدم تدبرهم .

أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ
 مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُمْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ
 مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ءِئِمَّةٌ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ
 جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَهُ
 إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

١٥٨ - لقد قامت الحجة على وجوب الايمان ، ولم يؤمن هؤلاء ، فاذا ينتظرون لكي يؤمنوا ؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلاً بدل البشر ، أو شاهدين على صدقك ؟ أو أن يأتيهم ربك ليروه ، أو يشهد بصدقك ؟ أو أن تأتيهم بعض علامات ربك لتشهد على صدقك ؟ ! وعندما تأتي علامات ربك مما يلجئهم الى الايمان لا ينفعهم ايمانهم ، لأنه ايمان اضطرار ، ولا ينفع العصاى ان يتوب ويطيع الآن ، فقد انتهت مرحلة التكليف ، قل هؤلاء المعرضين المكذبين انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة ، واستمروا على تكذيبكم ، انا منتظرون حكم الله فيكم .

١٥٩ - ان الذين فرقوا الدين الحق الواحد بالعقائد الزائفة والتشريعات الباطلة ، وصاروا بسبب ذلك أحزاباً ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم مختلفة ، لست مؤاخذاً بتفرقهم وعصيانهم ولا تملك هدايتهم ، فاعليك الا البلاغ ، والله وحده هو الذى يملك أمرهم بالهداية والجزاء ، ثم يخبرهم يوم القيامة بما كانوا يفعلونه فى الدنيا ويجازيهم عليه .

١٦٠ - من عمل صالحاً يضاعف له ثوابه الى عشرة أمثاله فضلاً وكرماً ، ومن عمل عملاً سيئاً لا يعاقب الا بمقدار عصيانه ، عدلاً منه تعالى ، وليس هناك ظلم بنقص ثواب أو زيادة عقاب .

١٦١ - قل يا أيها النبي مبيناً ما أنت عليه من الدين الحق : ان ربي ارشدنى ووفقنى الى طريق مستقيم ، بلغ نهاية الكمال فى الاستقامة ، وكان هو الدين الذى اتبعه ابراهيم مائلاً به عن العقائد الباطلة ، وما كان ابراهيم يعبد مع الله الهاً آخر كما يزعم المشركون .

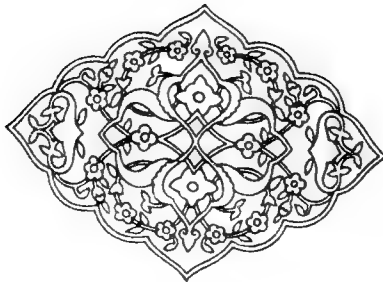
١٦٢ - قل : ان صلاتى وجميع عباداتى ، وما أتبه فى حال حياتى من الطاعة ، وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح ، كله خالص لوجه الله الذى خلق جميع الموجودات ، فاستحق أن يعبد وحده وأن يطاع وحده .

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ
 كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ
 الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

١٦٣ - ولا شريك له في الخلق ، ولا في استحقاق العبادة ، وقد أمرني ربي بذلك الاخلاص في التوحيد والعمل ، وأنا أول المذعنين الممثلين ، وأكملهم اذعاناً وتسلياً .

١٦٤ - قل يا محمد ، منكرأ على المشركين دعوتهم اياك لموافقتهم في شركهم : أأطلب بالعبادة رباً غير الله ، مع أنه خالق كل شيء ؟ وقل لهم ، منكرأ عليهم أنهم لا يحملون عنك خطاياك اذا وافقتهم : لا تعمل أى نفس عملاً الا وقع جزاؤه عليها وحدها ، ولا تؤاخذ نفس بجمل ذنب نفس أخرى ، ثم تبعثون بعد الموت الى ربكم ، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من العقائد ، ويجازيكم عليه ، فكيف أعصى الله اعتماداً على وعودكم الكاذبة ؟

١٦٥ - وهو الذى جعلكم خلفاء للأمم السابقة في عمارة الكون ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الكمال المادى والمعنوى لأخذكم في أسبابه ، ليختبركم فيما أعطاكم من النعم كيف تشكرونها ، وفيما آتاكم من الشرائع كيف تعملون بها . ان ربك سريع العقاب للمخالفين ، لأن عقابه آت لا ريب فيه وكل آت قريب ، وانه لعظيم المغفرة لمخالفات التائبين المحسنين ، واسع الرحمة بهم .



(٧) سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا هَاسِتٌ وَمَانِنَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصِّ ۝ كَتَبْنَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ۖ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ أَتَبْعُوا
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ ۝ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا

هذه السورة مكية الاثني عشر آيات من رقم ١٦٣ الى رقم ١٧٠ ، وعدد آياتها ٢٠٦ .

وأول هذه السورة فيه امتداد لآخر سورة الأنعام ، وقد اشتملت من بعد ذلك على بدء الخليقة الانسانية ، فذكرت قصة خلق آدم وحواء ، وخروجها من الجنة بوسوسة الشيطان ، وبيان شيء من الوسوسة المستمرة للانسان في اللباس والطعام . ثم تعرضت آيات هذه السورة الكريمة ، كغيرها من سور القرآن ، الى النظر في السموات والأرض وما فيها من نظام بديع .

كما تعرضت بعد ذلك لقصص النبيين : نوح ، وهود مع قومه عاد ، ثم لقصة صالح مع قومه ثمود الذين كانوا يتسمون بالقوة وأعطوا الثروة ، ولقصة لوط مع قومه ، وذكر ما كانوا يجرءون عليه من منكرات ، ولقصة شعيب مع أهل مدين وتضمنت بعد ذلك القصص الصادق بما فيه من عبر وعظات . وقد ساق ، سبحانه وتعالى ، بعد ذلك قصة موسى ، وما كان من أمر فرعون .

وختمت السورة بتصوير من يعطى الهداية ثم ينسلخ منها بتضليل الشيطان ، وما يكون منه ، ثم بيان الدعوة الى الحق التي جاء بها محمد ﷺ .

١ - المص ، هذه الحروف الصوتية تذكر في أوائل بعض السور المكية ، لتنبيه المشركين الى أن القرآن الكريم مكون من الحروف التي ينطقون بها ، ومع ذلك يعجزون عن الاتيان بمثله ، كما أن في هذه الحروف اذا تليت حملاً لهم على السماع اذا تواصلوا بالألا يسمعون القرآن .

٢ - أنزل اليك القرآن لتنذر به المكذبين ليؤمنوا ، وتذكر به المؤمنين ليزدادوا ايماناً ، فلا يكن في صدرك ضيق عند تبليغه خوفاً من التكذيب .

٣ - اتبعوا ما أوحاه اليكم ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء تستجيبيون لهم وتستعينون بهم . انكم قلما تتعظون حين تتركون دين الله وتتبعون غيره مع أن العبر في ذلك كثيرة .

بِأُسْنَا بَيْنَنَا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَا كَانَ دَعْوُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾
 فَلَنَسْعَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْعَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ
 الْحَقُّ فَكَانَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
 بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

٤ - فقد أهلكنا قري عدة ، بسبب عبادة أهلها غير الله وسلوكهم غير طريقه ، بأن جاءهم عذابنا في وقت غفلتهم واطمئنانهم ليلاً وهم نائمون ، كما حدث لقوم لوط ، أو نهاراً وهم مستريحون وقت القيلولة كقوم شعيب .

٥ - فاعترفوا بذنبهم الذي كان سبب نكبتهم فما كان منهم عندما رأوا عذابنا إلا أن قالوا - حيث لا ينفعهم ذلك - انا كنا ظالمين لأنفسنا بالمعصية ولم يظلمنا الله بعذابه .

٦ - وسيكون حساب الله يوم القيامة دقيقاً عادلاً ، فلنسألن الناس الذين أرسلت إليهم الرسل : هل بلغتهم الرسالة ؟ وبماذا أجابوا المرسلين ؟ ولنسألن الرسل أيضاً : هل بلغتم ما أنزل إليكم من ربكم ؟ وبماذا أجابكم أقوامكم ؟

٧ - ولنخبرن الجميع أخباراً صادقاً بجميع ما كان منهم ، لأننا أحصينا عليهم كل شيء فما كنا غائبين عنهم ، ولا جاهلين لما كانوا يعملون .

٨ - ويوم نساأهم ونخبرهم ، سيكون تقدير الأعمال للجزاء عليها تقديراً عادلاً ، فالذين كثرت حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين نصونهم عن النار ويدخلون الجنة .

٩ - والذين كثرت سيئاتهم ورجحت على حسناتهم هم الخاسرون ، لأنهم باعوا أنفسهم للشيطان ، فتركوا التدبر في آياتنا كفرةً وعناداً .

١٠ - ولقد مكناكم في الأرض فنحناكم القوة لاستغلالها ، والانتفاع بها ، وهياًنا لكم وسائل العيش ، فكان شكركم لله على هذه النعم قليلاً جداً ، وستلقون جزاء ذلك .

١١ - وفي أخبار الأولين عبر ومواعظ ، يتضح فيها أن الشيطان يحاول أن يزيل عنكم النعم بنسيانكم أمر الله ، فقد خلقنا أباكم آدم ، ثم صورناه ، ثم قلنا للملائكة : عظموه فعظموه طاعة لأمر ربهم ، إلا إبليس فإنه لم يمتثل .

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَذَرُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْهُورًا ظَاهِرًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا

١٢ - قال الله منكراً عليه عصيانه : ما منعك عن تعظيم آدم وقد أمرتك به ؟ أجاب ابليس في عناد وكبر : أنا خير من آدم لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار اشرف من الطين .

١٣ - فجزاه الله على عناده وكبره بطرده من دار كرامته ، وقال له : اهبط منها ، بعد أن كنت في منزلة عالية ، فإنبغي لك أن تتكبر وتعصى فيها . . اخرج منها محكوماً عليك بالصغار والهوان .

١٤ - قال ابليس لله : أمهلني ولا تقمني الى يوم القيامة .

١٥ - فأجابه الله بقوله : انك من المهملين المؤخرين .

١٦ - ولحقه على آدم وحسده له قال : بسبب حكمك على بالغواية والضلال ، أقسم لأضلن بني آدم واصرفنهم عن طريقك المستقيم ، متخذاً في ذلك كل وسيلة ممكنة .

١٧ - وأقسم لآتينهم من أمامهم ومن خلفهم . وعن إيمانهم وعن شمائلهم ومن كل جهة استطيعها ، ملتصقاً كل غفلة منهم أو ضعف فيهم ، لأصل الى إغوائهم ، حتى لا يكون أكثرهم مؤمنين بك ، لعدم شكرهم لنعمتك .

١٨ - فزاده الله نكايه وقال له ، اخرج من دار كرامتي مذموماً بكبرك وعصيانك ، وهالكاً في نهايتك ، وأقسم أن من اتبعك من بني آدم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين .

١٩ - وبأدب آدم اسكن أنت وزوجك دار كرامتي ، وهي الجنة ، وتنعم بما فيها ، فكلما من أى طعام أردتما ، الا هذه الشجرة ، فلا تقرباها حتى لا تكونا من الظالمين لأنفسهم بالعقاب المترتب على المخالفة .

٢٠ - فزين لها الشيطان مخالفة أمر الله ، ليزيل عنها الملابس ، فتكشف عوراتها ، وقال لها ، ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة أن تكونا ملكين ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لا ينقطع نعيمهم في هذه الدار .

إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلْنَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
 قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْوَرٍ وَرِبَاسًا طَيِّبًا وَلَبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
 يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَيْهِمَا إِنَّهُ يَرِنُّكَ
 هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا

٢١ - وأقسم لها أنه من الناصحين لها، وكرر قسمه.

٢٢ - فساقتها الى الأكل من الشجرة بهذه الخدعة، فلما ذاقا طعمها وانكشف لها عوراتها، جعلتا يجمعان بعض أوراق الشجر ليسترا بها عوراتها وعانيتها ربهما، ونبيهما الى خطئها قائلاً: ألم أنهكما عن تلكا الشجرة وأخبركما أن الشيطان لكما عدو مبين لا يريد لكما الخير؟

٢٣ - قال آدم وزوجته نادمين متضرعين: يا ربنا ظلمنا أنفسنا بمخالفة أمرك التي استوجبت زوال النعيم، وإن لم تغفر لنا مغالفتنا وترحمنا بفضلك لنكونن من الخاسرين.

٢٤ - قال الله لها وللشيطان: اهبطوا جميعاً بعضكم لبعض عدو، ولكم في الأرض استقرار وطمع الى حين انقضاء أجالكم.

٢٥ - في الأرض تولدون وتعيشون، وفيها تموتون وتدفنون، ومنها عند البعث تخرجون.

٢٦ - يا بني آدم: قد انعمنا عليكم، فخلقنا لكم ملابس تستر عوراتكم، ومواد تزينون بها، ولكن الطاعة خير لباس يقيكم العذاب. تلك النعم من الآيات الدالة على قدرة الله وعلى رحمته، ليتذكر الناس بها عظمتهم واستحقاقه وحده الألوهية. وتلك القصة من سنن الله الكونية التي تبين جزاء مخالفة أمر الله، فيتذكر بها الناس ويحرصون على طاعة الله وعلى شكر نعمه.

٢٧ - يا بني آدم: لا تستجيبوا للشيطان وإضلاله، فتخرجوا من هذه النعم التي لا تدوم الا بالشكر والطاعة، كما استجاب أبواكم آدم وزوجه فأخرجهما الشيطان من النعيم والكرامة، ونزع عنها لباسها وأظهر لها عوراتها. انه يأتيكم هو وأعوانه من حيث لا تشعرون بهم، ولا تحسبون بأساليهم ومكرهم، وليس للشيطان سلطان على المؤمنين، انا جعلناه وأعوانه أولياء للذين لا يؤمنون ايماناً صادقاً يستلزم الطاعة التامة.

وَجَدْنَا عَلَيْهِمَا أَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ * يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

٢٨ - وإذا فعل المكذبون أمراً بالغ النكر، كالشرك، والطواف بالبيت عراة، وغيرها اعتذروا وقالوا، وجدنا آباءنا يسيرون على هذا المنهاج ونحن بهم مقتدون، والله أمرنا به ورضى عنه حيث أقرنا عليه، قل لهم بأيها النبي منكرأ عليهم افتراءهم: ان الله لا يأمر بهذه الأمور المنكرة، انتسبون الى الله ما لا تجدون له مستنداً ولا تعلمون عنه دليل صحة النسب اليه سبحانه؟

٢٩ - بين لهم ما أمر به الله وقل: أمر ربي بالعدل وما لا فحش فيه، وأمركم أن تخصوه بالعبادة في كل زمان وكل مكان، وأن تكونوا مخلصين له فيها، وكلكم بعد الموت راجعون اليه، وكما بدأ خلقكم ببسر وكنتم لا تعلمون اذ ذاك شيئاً، ستعودون اليه ببسر تاركين ما حولكم من النعم وراء ظهوركم.

٣٠ - وسيكون الناس يوم القيامة فريقين: فريقاً وفقه الله لأنه اختار طريق الحق فأمن وعمل عملاً صالحاً، وفريقاً حكم عليه بالضلالة لأنه اختار طريق الباطل وهو الكفر والعصيان. وهؤلاء الضالون قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فاتبعوهم، وهم يظنون أنهم موفقون لا غترارهم بخداع الشياطين.

٣١ - يا بني آدم: خذوا زينتكم من اللباس المادي الذي يستر العورة، ومن اللباس الأدبي وهو التقوى، عند كل مكان للصلاة، وفي كل وقت تؤدون فيه العبادة، وتتمتعون بالأكل والشرب. غير مسرفين في ذلك، فلا تتناولوا المحرم، ولا تتجاوزوا الحد المعقول من المتعة، ان الله لا يرضى عن المسرفين^(١).

٣٢ - قل لهم يا محمد: منكرأ عليهم افتراء التحليل والتحریم على الله: من الذي حرم زينة الله التي خلقها لعباده؟ ومن الذي حرم الحلال الطيب من الرزق؟ قل لهم: هذه الطيبات نعمة من الله، ما كان ينبغي أن يتمنع بها الا الذين آمنوا في الدنيا، لأنهم يؤدون حقها بالشكر والطاعة، ولكن رحمة الله الواسعة شملت الكافرين والمخالفين في الدنيا، وستكون هذه النعم خالصة يوم القيامة للمؤمنين، لا يشاركهم فيها غيرهم ونحن نفصل الآيات الدالة على الأحكام على هذا المنوال الواضح، لقوم يدركون أن الله وحده مالك الملك بيده التحليل والتحریم.

(١) بحث الاسلام على وجوب المحافظة على حسن المظهر وما يتبعه من النظافة لاسيما في كل اجتماع وهذا ما تقرره اساليب الصحة الوقائية.

وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَانِجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِنْكَ
 يَقْضُونَ عَلَيْكَ آيَاتِي فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
 عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
 أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَقٌّ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
 مِنَ الْخَلْقِ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا

٣٣ - قل يا محمد : انما حرم ربى الأمور المتزايدة فى القبح كالزنى ، سواء منها ما يرتكب سراً وما يرتكب علانية ، والمعصية أياً كان نوعها ، والظلم الذى ليس له وجه من الحق ، وحرم أن تشركوا به دون حجة صحيحة أو دليل قاطع وأن تفقروا عليه سبحانه بالكذب فى التحليل والتحريم وغيرها .

٣٤ - ولكل أمة نهاية معلومة ، لا يمكن لأية قوة أن تقدم هذه النهاية أو تؤخرها أية مدة مهما قلت .

٣٥ - يا بنى آدم : ان جاءكم رسل من جنسكم الآدمى ليلفغوكم آياتى الموحى بها كنتم فريقين : فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات مخلصين ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى دنياهم أو آخراهم .

٣٦ - والذين يكذبون بالآيات ويستكبرون عن اتباعها والاهتداء بها ، فأولئك أهل النار هم فيها معذبون ، خالدون أبداً فى العذاب .

٣٧ - فليس هناك أظلم من الذين يفترون الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد إليه ، وادعاء التحليل والتحريم وغيرها من غير حجة ، أو يكذبون بآيات الله الموحى بها فى كتبه والموجوده فى كونه ، أولئك ينالون فى الدنيا نصيباً مما كتب الله لهم من الرزق أو الحياة أو العذاب ، حتى اذا جاءتهم ملائكة الموت ليقبضوا أرواحهم ، قالوا لهم موبخين : أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله لتدراً عنكم الموت ؟ فيجيبون : تبرأوا منا ، وتركنا وغابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم مقرين بأنهم كانوا كافرين .

= وأما عدم الاسراف فقد قرر العلم ان الجسم لا يستفيد بكل مايلقى فيه من الطعام وإنما يأخذ بمجرد كفايته منه ثم يبذل بعد ذلك مجهودا كبيرا للتخلص مما زاد منه عن حاجته ويحارب هذا تصاب المعدة وسائر الجهاز الهضمى بارهاق شديد ويسلم المرء الى أمراض معينة خاصة بذلك الجهاز ومن الاسراف كذلك تناول مادة معينة من مواد الطعام بنسبة كبيرة تغطي على النسب اللازمة من المواد الأخرى كالاسراف فى تناول الدهنيات بحيث تغطي على مقدار ما يحتاجه الجسم من زلاياات وهكذا والاية الكريمة تحثنا بجانب هذا على الأكل من الطيبات لتصح ابداننا ولتقوى على العمل وكذلك فان الاسراف فى الأكل يؤدى الى البدانة الامر الذى يرهق الجسم وقد يؤدى ذلك الى ارتفاع ضغط الدم والسكر والذبحة الصدرية .

هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجَهُمْ
فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ ^٤ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾
لَهُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ^٥ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ

٣٨ - يقول الله يوم القيامة لهؤلاء الكافرين : ادخلوا النار في ضمن أُمم من كفار الانس والجن ، قد مضت من قبلكم ، كلما دخلت أمة النار لعنت الأمة التي كفرت مثلها والتي اتخذتها قدوة ، حتى اذا تابعتوا فيها مجتمعين قال التابعون يذمون المتبوعين : ربنا هؤلاء أضلونا بتقليدنا لهم ، بحكم تقدمهم علينا أو بحكم سلطانهم فينا ، فصرفونا عن طريق الحق ، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً يحملون فيه جزاء عصيانهم وعصياننا فيرد الله عليهم : لكل منكم عذاب مضاعف لا ينجو منه أحد الفريقين ، يضاعف عقاب التابعين لكفرهم وضلالهم ، ولاقتدائهم بغيرهم دون تدبر وتفكر ، ويضاعف عقاب المتبوعين لكفرهم وضلالهم وتكفيرهم غيرهم وإضلالهم ، ولكن لا تعلمون مدى ما لكل منكم من العذاب .

٣٩ - وهنا يقول المتبوعون للتابعين : انكم بانقيادكم لنا في الكفر والعصيان لا تفضلون علينا بما يخفف عنكم من العذاب ، فيقول الله لهم جميعاً : ذوقوا العذاب الذي استوجبتموه بما كنتم تفترون من كفر وعصيان .

٤٠ - ان الذين كذبوا بآياتنا المنزل في الكتب الموجودة في الكون ، واستكبروا عن الاهتداء بها ، ولم يتوبوا ، ميثوس من قبول أعمالهم ورحمة الله بهم ، ومن دخولهم الجنة ، كما أن دخول الجمل في ثقب الابرة ميثوس منه ، وعلى هذا النحو من العقاب نعاقب المكذبين المستكبرين من كل أمة .

٤١ - لهم في جهنم فراش من نار واغطية من نار ، وعلى هذا النحو يعاقب الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلal .

٤٢ - والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة التي لم نكلفهم الا ما يطيقونه منها ، أولئك هم أهل الجنة يتمتعون فيها ، خالدين فيها أبداً .

رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ
 أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
 اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا
 حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا
 وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

٤٣ - وأخرجنا ما في قلوبهم ما كان فيها من غل ، فهم في الجنة اخوان متحابون ، تجري من تحتهم الأنهار
 بمائها العذب ، ويقولون سروراً بما نالوا من النعيم : الحمد لله الذي دلنا على طريق هذا النعيم ، ووفقنا الى سلوكه ،
 ولولا أن هدانا الله اليه بارسال الرسل وتوفيقه لنا ، ما كان في استطاعتنا أن نوفق الى الهداية . لقد جاءت رسل
 ربنا بالوحي الحق ، وهنا يقول الله لهم : ان هذه الجنة هبة من الله ، أعطيتكموها فضلاً مني دون عوض منكم
 كالمراث ، وهذا التكريم بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا .

٤٤ - ونادى أهل الجنة أهل النار قائلين : قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقاً ، فهل وجدتم ما وعد
 ربكم من العذاب حقاً ؟ فأجابوهم : نعم فننادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار : الحرمان أو الطرد من رحمة الله
 جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال .

٤٥ - هؤلاء الظالمون هم الذين يمنعون الناس عن السير في طريق الله الحق ، وهو الايمان والعمل الصالح ،
 ويضعون العراقيل والشكوك حتى يبدو الطريق معوجاً للناس فلا يتبعوه ، وهؤلاء كفارون بالدار الآخرة لا يخشون
 عقاب الله .

٤٦ - وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يسبق الى احتلال اعرافه - وهي أماكنه الرفيعة العالية - رجال من
 خيار المؤمنين وأفاضلهم ، يشرفون منها على جميع الخلائق ، ويعرفون كلأ من السعداء والأشقياء بعلامات تدل عليهم
 من أثر الطاعة والعصيان ، فينادون السعداء قبل دخولهم الجنة وهم يرجون دخولها ، فيبشرونهم بالأمان والاطمئنان
 ودخول الجنة .

٤٧ - واذا تحولت أبصار المؤمنين الى جهة أصحاب النار بعد هذا النداء قالوا من هول ما رأوا من نيران :
 ربنا لا تدخلنا مع هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم والحق والناس .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكَ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْكِرُونَ ﴿٤٨﴾
 أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ
 النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُلَاً وَلِعِبَاءَ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
 بِعَابِتِينَ بِمَجْدُونٍ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
 إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ

٤٨ - ونادى أهل الدرجات العالية في الجنة، من الأنبياء والصديقين، من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار، قائلين لهم لا تخفوا: ما أفادكم جمعكم الكثير العدد ولا استكباركم على أهل الحق بسبب عصيبتكم وغناكم، وها أنتم أولاء ترون حالهم وحالكم.

٤٩ - هؤلاء الضعفاء الذين استكبرتم عليهم، واقسمتم أنه لا يمكن أن ينزل الله عليهم رحمة، كأنكم تمسكون رحمته، قد دخلوا الجنة. وقال لهم ربهم: ادخلوها آمين، فلا خوف عليكم من أمر يستقبلكم، ولا أنتم تحزنون على أمر فاتكم.

٥٠ - وأن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة قائلين: اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا أو أعطونا شيئاً مما أعطاكم الله تعالى من طيبات المأكّل والملبس وسائر متاع أهل الجنة، فيجيبهم أهل الجنة: اننا لا نستطيع، لأن الله منع ذلك كله عن القوم المجاهدين، الذين كفروا به وبنعمه في الدنيا.

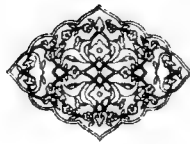
٥١ - هؤلاء المجاهدون الذين لم يسعوا في طلب الدين الحق، بل كان دينهم اتباع الهوى والشهوات، فكانوا يلهون به وعبثاً يعبثونه وخذعتهم الحياة الدنيا بزخرفها فظنوها وحدها الحياة، ونسوا لقاءنا في يوم القيامة نساهم، فلا يتمتعون بالجنة، ويدقون النار، بسبب نسيانهم يوم القيامة وجحودهم بالآيات البينات الواضحات المثبتات للحق.

٥٢ - ولقد آتيناكم بياناً للحق كتاباً بيناه وفصلناه، مشتملاً على علم كثير، فيه أدلة التوحيد وآيات الله في الكون، وفيه شرعه، وفيه بيان الطريق المستقيم والهداية إليه، وفيه ما لو اتبعه الناس لكان رحمة بهم، ولا ينتفع به إلا الذين من شأنهم الادّعاء للحق والایمان به.

شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُونَ لَنَا أَوْ نُزِدْ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
 إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
 حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

٥٣ - انهم لا يؤمنون به ، ولا ينتظرون الا المآل الذى بينه الله لمن يكفر به . ويوم يأتى هذا المآل ، وهو يوم القيامة ، يقول الذين تركوا أوامره وبناته وغفلوا عن وجوب الايمان به ، معترفين بذنوبهم : قد جاءت الرسل من عند خالقنا ومربينا ، داعين الى الحق الذى أرسلوا به ، فكفرنا به . ويسألون هل لهم شفعاء يشفعون لهم ؟ فلا يجدون أو هل يردون الى الدنيا ليعملوا صالحاً ؟ فلا يجابون . قد خسروا عمل أنفسهم بفروورهم فى الدنيا ، وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من ادعاء اله غير الله .

٥٤ - ان ربكم الذى يدعوكم رسله الى الحق والى الايمان باليوم الآخر والجزاء فيه ، هو خالق الكون ومبدعه ، خلق السموات والأرض فى ست أحوال تشبه ستة أيام من أيام الدنيا ، ثم استولى على السلطان الكامل فيها ، وهو الذى يجعل الليل يستر النهار بظلامه ، ويعقب الليل النهار بانتظام وتعاقب مستمر ، كأنه يطلبه وخلق الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم ، وهى خاضعة لله تعالى مسيرات بأمره ، وأنه له وحده الخلق والأمر المطاع فيها تعالت بركات منشئه الكون وما فيه ومن فيه .



أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا نِّفَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُسْكِرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَتَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَعْلَامِ ۚ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

٥٥ - اذا كان الله ربكم قد أنشأ الكون وحده ، فادعوه بالعبادة وغيرها ، معلنين الدعاء متدللين خاضعين ، جاهرين أو غير جاهرين ، ولا تعتدوا بأشراك غيره أو بظلم أحد ، فان الله تعالى لا يحب المعتدين .

٥٦ - ولا تفسدوا في الأرض الصالحة بإشاعة المعاصي والظلم والاعتداء وادعوه سبحانه خائفين من عقابه ، طامعين في ثوابه ، وان رحمته قريبة من كل محسن ، وهي محققة .

٥٧ - والله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يطلق الرياح بمشيرة برحمته ، في الأمطار التي تنبت الزرع وتسقي الغرس ، فتحمل هذه الرياح سحاباً^(١) محملاً بالماء ، نسوقه لبلد لا نبات فيه ، فيكون بعدها كالبيت فقد الحياة ، فينزل الماء ، فينبت الله به أنواعاً من كل الثمرات وبمثل ذلك الاحياء للأرض بالانبات نخرج الموتى فنجعلهم أحياء ، لعلكم تتذكرون بهذا قدرة الله وتؤمنون بالبعث .

٥٨ - والأرض الطيبة الجيدة التربة يخرج نباتها نامياً حياً باذن ربه ، والأرض الخبيثة لا تخرج الا نباتاً قليلاً عديم الفائدة يكون سبب نكد لصاحبها .

٥٩ - لقد عاند المشركون ، وكذبوا بالحق اذ جاءهم مؤيداً بالحجج القاطعة ، وذلك شأن الكافرين مع أنبيائهم في الماضي ، لقد أرسلنا نوحاً الى قومه الذين بعث فيهم ، وقال لهم مذكراً لهم بأنه منهم : يا قوم اعبدوا الله تعالى وحده ، فليس لكم أى اله غيره ، وانه سيكون البعث والحساب في يوم القيامة ، وهو يوم عظيم ، أخاف عليكم فيه عذابه الشديد .

٦٠ - قال أهل الصدارة والزعامة منهم ، محيين تلك الدعوة الى الوجدانية واليوم الآخر : انا لفرأك في بعد بين عن الحق .

٦١ - قال نوح لهم نافياً ما رموه به : ليس بي كما تزعمون . ولكنى رسول من خالق العالمين ومنشئهم ، فلا يمكن أن يكون بعيداً عن الحق .

(١) تقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تكن معروفة عند نزول القرآن الكريم وهي ان الرياح تحمل بخار الماء وعند ارسالها اى اطلاقها تتجمع في صعيد واحد فتكون السحب وتثيرها وهي السحب الثقيلة التي ينهمر منها الماء .

تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَمْلَأُوا الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَادِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ

٦٢ - وفى فى هذه الدعوة الحق الى الوحدانية والايمان باليوم الآخر ، أبلغكم ما أرسلنى الله به من الأحكام الالهية التى يصلح بها الانسان وفى أمحضكم النصيح وأخلصه لكم ، وقد علمنى الله تعالى ما لا تعلمون .

٦٣ - أترمونى بالضلالة والبعد عن الحق ؟ وتعجبون أن يحمى اليكم تذكير من الله خالقكم ، على لسان رجل جاء اليكم لينذركم بالعقاب ان كذبتهم ، وليدعوكم الى الهداية واصلح القلوب وتجنب غضب الله تعالى ، رجاء أن تكونوا فى رحمة الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، فلا يصح أن تعجبوا وتكذبوا مع قيام البينات المثبتة للرسالة .

٦٤ - ولكنهم مع تلك البينات لم يؤمن أكثرهم ، فكذبوه ، فأنزلنا عليهم عذاباً بالاغراق فى الماء ، وأنجيناهم الذين آمنوا به بالفلك الذى صنعه بهداية منا ، وغرق الذين كذبوا مع قيام الدلائل البينة الواضحة ، فعاندونا وكانوا بذلك غير مبصرين الحق وقد عموا عنه .

٦٥ - وكما أرسلنا نوحاً الى قومه داعياً الى التوحيد ، أرسلنا الى (١) عاد هوداً ، واحداً منهم علاقته بهم كعلاقة الأخ بأخيه ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم اله غيره ، وان ذلك سبيل الاتقاء من الشر والعذاب وهو الطريق المستقيم ، فهلا سلكتموه لتتقوا الشر والفساد .

٦٦ - قال ذوو الزعامة والصدارة فى قومه : انا لئراك فى خفة عقل حيث دعوتنا هذه الدعوة وإنا لنعتقد انك من الكاذبين .

٦٧ - قال يا قوم ليس بى فى هذه الدعوة أى قدر من خفة العقل . ولست بكاذب ولكنى جئت بالهداية ، وأنا رسول الله اليكم . وهو رب العالمين .

٦٨ - انى فيما أقول لكم أبلغكم أوامر ربي ونواهيه ، وهى رسالاته اليكم ، وفى أمحضكم نصيحاً واخلصاً لكم ، وأنا أمين فيما أخبركم به ، ولست من الكاذبين .

(١) عاد هى أقوى بطون الشعوب السامية ، ويشكلون الطبقة الاولى من طبقات العرب البائدة ، وأما منازلهم فكانت بوادى الاحقاف التى ورد ذكرها فى الكتاب العزيز بسورة الاحقاف الآية ٢١ .

وقد اتفق اللغات من اعلام المسلمين على ان الاحقاف بارض اليمن وان اختلفوا فى تحديد مكانها اختلافا طفيفا ، فهى عند ياقوت الحموى واد بين عمان وارض مهرة وعند ابن اسحاق نقلا عن ابن عباس وعند ابن خلدون انها رمل بين عمان وحضرموت وعند قتادة رمل مشرفة على البحر بالشجر من ارض اليمن ويجدر بالذكر ان منازل عاد عند بعض الغربيين القدامى تقع فى اعلى الحجاز فى منطقة حسمى وعلى مقربة من منازل عمود وأيا كان هذا الرأى فلا يستبعد ان يكون قوم عاد قد رحلوا فى وقت ما من الاحقاف الى هذه المنطقة .

مَنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ مَا سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانْتَظِرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۖ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ

٦٩ - ثم قال لهم هود: هل أثار عجبكم، واستغربتم أن يمجى إليكم تذكير بالحق على لسان رجل منكم لينذركم بسوء العقبي، فيما أنتم عليه؟ إنه لا عجب في الأمر. ثم أشار إلى ما أصاب المكذبين الذين سبقوهم، وإلى نعمه عليهم، فقال: واذكروا إذ جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله تعالى لتكذيبهم نوحاً، وزادكم قوة في الأبدان وقوة في السلطان، وتلك نعمة تقتضي الإيمان: فاذكروا نعمه لعلكم تفوزون.

٧٠ - ولكنهم مع هذه الدعوة بالحسنى قالوا مستغربين: أجبنا لتدعونا إلى عبادة الله وحده، وترك ما كان يعبد آبائنا من الأصنام؟ وإنا لا نفعل، فأتنا بالعذاب الذي تهدنا به إن كنت من الصادقين؟

٧١ - انكم لعنادكم قد حق عليكم عذاب الله ينزل بكم، وغضبه يحل عليكم، اتجادلون في أصنام سميتوها أنتم وأبائكم آلهة، وما هي من الحقائق إلا أسماء لا مؤدى لها، وما جعل الله من حجة تدل على ألوهيتها، فما كان لها من قوة خالقة منشئة تسوغ عبادتكم لها، واذ لجتم هذه اللجاجة فانظروا عقاب الله، وأنا معكم، ننتظر ما ينزل بكم.

٧٢ - فأنجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا، وأنزلنا بالكافرين ما أباهم ولم يبق لهم من بقية وأثر، وما كانوا داخلين في زمرة المؤمنين.

٧٣ - وأرسلنا إلى ثمود (١) أخاهم صالحاً الذي يشاركهم في النسب والوطن، وكانت دعوته كدعوة الرسل قبله وبعده. قال لهم: اخلصوا العبادة لله وحده، ما لكم أي اله غيره، وقد جاءكم حجة على رسالتي من ربكم، هي ناقة ذات خلق اختصت به، فيها الحجة، وهي ناقة الله، فاتركوها تأكل في أرض الله من عشبها ولا تنالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الأيلام.

(١) ثمود قوم يشكلون الطبقة الأولى من طبقات العرب البائدة شأنهم في ذلك شأن عاد، وقد ورد اسمهم في نقوش الملك سرجون الاشوري سنة ٧١٥ ق.م وقد جاء ذكرهم بين الشعوب التي اخضعها هذا الملك في شمال شبه جزيرة العرب. أما مساكنهم فالمشهور في كتب العرب انها كانت بالمجر المعروفة بمداين صالح في وادي القرى، وقد زارها الاصطخرى وذكر ان بها بئراً تسمى بئر ثمود. أما المسعودي «مروج الذهب» المجلد الأول صفحة ٢٥٩ - فقد ذكر ان منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبيشى، وديارهم بفتح الناقة، وأما بيوتهم فنحوت في الجبال، وأما رعيهم فكانت في أيامه باقية واثارهم بادية وذلك في طريق الحاج القادم من الشام بالقرب من وادي القرى..

تَخْذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَحْتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
 قَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِاللَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا
 عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحْ أَئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾
 وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

٧٤ - وتذكروا أن الله جعلكم واريثين لأرض عاد، وأنزلكم في الأرض منازل طيبة تتخذون من السهول قصوراً فخمة، وتنحتون الجبال فتجعلون منها بيوتاً، فاذكروا نعم الله تعالى إذ مكنكم من الأرض ذلك التمكن، ولا تعيثوا في الأرض فتكونوا مفسدين بعد هذا التمكن.

٧٥ - قال المتكبرون من أهل الصدارة والزعامة، مخاطبين الذين آمنوا من المستضعفين لاثمين لهم ومستعيلين عليهم: اتعتقدون أن صالحاً مرسل من ربه؟ فأجابه أهل الحق: أنا بما أرسل معتقدون مدعون له.

٧٦ - قال أولئك المستكبرون: أنا جاحدون منكرون للذي آمنتم به: وهو ما يدعو إليه صالح من الوجدانية.

٧٧ - ولج العناد بأولئك المستكبرين، فتحدوا الله ورسوله، وذبحوا الناقة، وتجاوزوا الحد في استكبارهم، واعرضوا عن أمر ربهم، وقالوا: متحدين يا صالح، اثتنا بالعذاب الذي وعدتنا أن كنت ممن أرسلهم الله حقاً.

٧٨ - فأخذتهم الزلازل الشديدة، فأصبحوا في دارهم ميتين خامدين.

٧٩ - وقبل أن تنزل بهم النازلة أعرض عنهم أخوهم صالح، وقال: يا قوم قد أبلغتكم أوامر ربي ونواهيه، ومحضت لكم النصيح، ولكنكم بلجأجتكم وإصراركم صرتم لا تحبون من ينصحكم.

٨٠ - ولقد أرسلنا نبي الله إلى قومه، يدعوهم إلى التوحيد، وينبهم إلى وجوب التخلي عن أقبح جريمة يفعلونها: أتأتون الأمر الذي يتجاوز الحد في القبح والخروج على الفطرة وقد أبدعتم تلك الفاحشة بشذوذكهم، فلم يسبقكم بها أحد من الناس.

مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْخِرُوا لَهُمْ مِنْ قَرَيْتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۚ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَارْهُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ۚ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَأَذْكُرُوا ۚ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۖ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ۚ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ

٨١ - وهى أنكم تأتون الرجال مشتهين ذلك، وتركون النساء، أنتم شأنكم الاسراف، ولهذا خرجتم على الفطرة وفعلتم ما لم يفعله الحيوان.

٨٢ - وما كان جواب قومه على هذا الاستنكار لأقبح الأفعال الا أن قالوا: اخرجوا لوطاً وآله وأتباعه من قريتهم، لأنهم يتطهرون وينأون عن هذا الفعل الذى يستقبجه العقل والفطرة ويستحسنونه هم.

٨٣ - ولقد حقت عليهم كلمة العذاب، فأنجينا لوطاً وأهله، الا امرأته فانها كانت من الضالين.

٨٤ - وأمطرنا عليهم حجارة مخربة، ومادت الأرض بالزلازل من تحتهم فانظر يا أيها النبى الى عاقبة المجرمين وكيف كانت.

٨٥ - ولقد أرسلنا الى مدين أخاهم شعيباً قال: يا قوم، اعبدوا الله وحده فليس لكم ولى أى اله غيره، قد جاءكم الحجج المبينة للحق من ربكم مثبتة رسالتى اليكم وجاءتكم رسالة ربكم بالاصلاح بينكم والمعاملة العادلة، فأوفوا الكيل والميزان فى مبادلاتكم، ولا تنقصوا حقوق الناس، ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة. بافساد الزرع ونحوه، وقطع الأرحام والمودة، فان ذلك خير لكم ان كنتم تؤمنون بالله تعالى وبالحق المبين.

٨٦ - ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الحق والهداية والعمل الصالح: تهددون سالكه وبذلك تمنعون طالبي الخير من الوصول، وهم أهل الايمان الذين يؤمنون بالله، وتريدون أنتم الطريق المعوج. واذكروا اذ كنتم عدداً قليلاً، فصيركم الله عدداً كثيراً بالاستقامة فى طلب النسل والمال، واعتبروا بعاقبة المفسدين قبلكم.

خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ * قَالَ أَمْلَأُ الدِّينَ اسْتَكَبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَافِرِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ أَمْلَأُ الدِّينَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شُعَبًا لَا تَكُرُوا إِذَا نَحْسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾

٨٧ - وإذا كانت طائفة منكم آمنوا بالحق الذي أرسلت به ، وطائفة لم يؤمنوا ، فانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين .

٨٨ - هذا شأن شعيب في دعوته قومه ، أما القوم فقد تمالأوا على الباطل وتولى أكابرهم الذين استكبروا عن الدعوة ، واستنكفوا أن يتبعوا الحق ، وواجهوا شعيباً بما يضررون ، فقالوا له : انا لا محالة سنخرجك ومن آمن معك من قريتنا ، ونطردكم ، ولا نتجيك من هذا العذاب ، الا أن تصيروا في ديننا الذي هجرتموه فرد عليهم شعيب عليه السلام قائلاً : أنصير في ملتكم ونحن كارهون لها لفسادها ؟ لا يكون ذلك أبداً .

٨٩ - وبالحق في قطع طمعهم من العود الى ملتهم كما يطلبون ، فقال : نكون كاذبين على الله ان صرنا في ملتكم بعد أن هدانا الله الى الصراط المستقيم ولا ينبغي لنا أن نصير في ملتكم بمحض اختيارنا ورغبتنا . إلا أن يشاء الله عودتنا الى ملتكم . وهيات ذلك لأنه ربنا العليم بنا ، فلا يشاء رجوعنا الى باطلكم ، فهو جل شأنه وسع كل شيء علماً ، يهدينا بلطفه وحكمته الى ما يحفظ علينا إيماننا ، إليه وحده سلمنا أمرنا ، مع قيامنا بما أوجبه علينا . ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق الذي مضت به سنتك في الفصل بين الحقين المصلحين ، والمبطلين المفسدين ، وأنت لاحاطة علمك أعدل الحاكمين وأقدرهم .

٩٠ - هنا يش القوم من مطاوعة شعيب ومن معه لهم ، وعلموا أنهم ثابتون على دينهم ، كذلك خافوا أن يكثر المهتدون مع شعيب بظهور قوته وثباته على دعوته ، فاتجه كبارهم الكافرون الى متبوعيه ، يهددونهم قائلين : والله ان طواعتم شعيباً في قبول دعوته ، انكم لخاسرون شرفكم وثروتكم في اتباعكم ديناً باطلاً لم يكن عليه سلفكم .

٩١ - هنا حقت عليهم كلمة العذاب ، فأصابهم الله بزلزلة اضطربت لها قلوبهم ، فصاروا في دارهم منكبين على وجوههم لا حياة فيهم .

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنفِقُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرِعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ

٩٢ - هذا شأن الله مع الذين كذبوا شعيباً ، وهددوه وأنذروه بالاخراج من قريتهم ، وعملوا على رد دعوته ، قد هلكوا وهلكت قريتهم كأن لم يعش فيها الذين كذبوا شعيباً وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً ، وأكدوا هذا الزعم وكانوا هم الخاسرين لسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٩٣ - فلما رأى شعيب ما نزل بهم من الهلاك المدمر ، أعرض عنهم ، وقال مبرئاً نفسه من التقصير معهم : لقد أبلغتكم رسالات ربكم المفضية الى الاحسان اليكم لو عملتم بها ، وبألفت في اسداء النصيح لكم ، والعظة بما به تنجون من عقوبة الله ، فكيف أحزن الحزن الشديد على قوم كافرين ؟ لا يكون ذلك بعدما أعذرت اليهم ، وبذلت جهدي في سبيل هدايتهم ونجاتهم ، فاختاروا ما فيه هلاكهم .

٩٤ - وما بعثنا نبياً من الأنبياء في قرية من القرى ، يدعو أهلها الى دين الله القويم ، وأعرضوا عن قبول تلك الدعوة ، الا أصابناهم بالفقر والمرض ، كي يتذللوا ويبتهلوا الى الله مخلصين له في كشف ما نزل بهم ، ويستجيبوا لرسوله .

٩٥ - ثم لما لم يفعلوا ذلك ، واستمروا في كفرهم وعنادهم ، امتحناهم بالعافية مكان البلاء استدرجاً ، فأعطيناهم رخاء وسعة وصحة وعافية ، حتى كثروا وغوا في أمواهم وأنفسهم ، وقالوا لجهلهم ، ان ما أصاب آبائنا من المحن والبلايا والرفاهية والنعيم ، فذلك شأن الدهر ، يداول الضراء والسراء بين الناس ، من غير أن ينتهبوا الى أن هذا جزاء كفرهم فيرتدعوا . وبهذا جهلوا سنته جل شأنه في أسباب الصلاح والفساد في البشر ، وما يترتب عليها من السعادة والشقاء فكانت عاقبة ذلك أن أصابهم الله بالعذاب المدمر فجأة ، وهم فاقدون للشعور بما سيحل .

٩٦ - ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به الرسل ، وعملوا بوصاياهم وابتعدوا عما حرمه الله لأعطيناهم بركات من السماء والأرض ، كالمنطر والنبات والثمار والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات ، ولكن جحدوا وكذبوا الرسل ، فأصابتهم بالعقوبات وهم نائمون ، بسبب ما كانوا يقتربون من الشرك والمعاصي فأخذهم بالعقوبة أثر لازم لكسبهم القبيح ، وعبرة لأمثالهم إن كانوا يعقلون .

الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ^١ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ^٢ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا^٣ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ^٤ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ^٥ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ^٦ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ

٩٧ - أؤمن أهل هذه القرى ، الذين بلغتهم دعوة أنبيائهم ولم يؤمنوا ، أن يأتيهم عذابنا وقت بياتهم وهم غارقون في نومهم ؟ .

٩٨ - أغفل هؤلاء وأمنوا أن يأتيهم العذاب في ضحى النهار وانسباط الشمس وهم منهمكون فيما لا نفع فيه لهم ؟

٩٩ - أجهلوا سنة الله في المكذبين ، فأمنوا عذابه ليلاً أو نهاراً ، يسوقه بتدبيره الذى يخفى على الناس أمره ؟ أنه لا يجهل تدبير الله وسنته في عقوبة المكذبين الا الذين خسروا أنفسهم بعدم اليقظة الى ما فيه سعادتهم .

١٠٠ - أغاب عن الذين يخلفون من قبلهم من الأمم سنة الله فيمن قبلهم ، وأن شأننا فيهم كشأننا فيمن سبقهم ؟ وهو أنهم خاضعون لمشيئتنا ، لو نشاء ان نعذبهم بسبب ذنوبهم أصبناهم كما أصبنا أمثالهم ، ونحن نختم على قلوبهم لفرط فسادها ، حتى وصلت الى حالة لا تقبل معه شيئاً من الهدى ، فهم بهذا الطبع والختم لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه واتعاظ .

١٠١ - تلك القرى التى بعد عهدها ، وطال الأمد على تاريخها ، نقص عليك الآن بعض أخبارها مما فيه عبرة . ولقد جاء أهل تلك القرى رسلهم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم ، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد بحجى البينات ، فتمرسهم بالتكذيب للصادقين ، فكذبوا رسلهم ولم يهتدوا ، وهكذا يجعل الله حجاباً على قلوب الكافرين وعقولهم ، فيخفى عليهم طريق الحق وينأون عنه .

١٠٢ - وما وجدنا لأكثر أولئك الأقوام وفاء بميثاق مما أوصيناهم به من الايمان ، على لسان الرسل ، وعلى ما يوحى به العقل والنظر السليم . وأن الشأن المطرد فيهم تمكن أكثرهم من الفسوق والخروج عن كل عهد .

بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِعَايَتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ
يَنْفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِعَايَةٍ فَأَتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ
هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَذًا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ

١٠٣ - ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى عليه السلام ، ومعه دلائلنا التي تدل على صدقه فيما يبلغه عنا
الى فرعون وقومه ، فبلغهم موسى دعوة ربه ، بأراهم آية الله ، فظلموا أنفسهم وقومهم بالكفر بها ، كبراً وجحوداً
فاستحقوا من الله عقوبة صارمة كانت بها نهاية أمرهم ، فانظر أيها النبي نهاية المفسدين في الأرض .

١٠٤ - وقال موسى : يا فرعون انى مرسل من الله رب العالمين ومالك أمرهم ، لأبلغكم دعوته ، وأدعوكم الى
شريعته .

١٠٥ - وانى حريص على قول الصدق عن الله تعالى . وقد جئتمكم بآية عظيمة الشأن ظاهرة الحجة في بيان
الحق الذى جئت به ، فأطلق معى بنى اسرائيل ، وأخرجهم من رق قهرك ، لينهبوا معى الى دار غير دارك ،
يعبدون فيها ربهم وربك .

١٠٦ - قال فرعون لموسى : ان كنت جئت مؤيداً بآية من عند من أرسلك فأظهرها لى ان كنت من أهل
الصدق الملتزمين لقول الحق .

١٠٧ - فلم يلبث موسى أن القى عصاه التى كانت بيمينه أمام فرعون وقومه ، فاذا هذه العصا ثعبان ظاهر
بين : يسعى من مكان الى آخر ، فى قوة تدل على تمام حياته .

١٠٨ - وأخرج يده من جيبه ، فاذا هى ناصعة البياض تتلألأ للناظرين .

١٠٩ - فلما أظهر موسى آية الله تعالى ، ثارت نفوس بطانة فرعون وعظماؤه وقومه ، فقالوا تزلفوا ومشايعة
لفرعون : ان هذا لماهر فى علم السحر ، وليس ذلك بآية من الله .

١١٠ - وقد وجه ارادته لسلب ملككم ، واخراجكم من أرضكم بسحره ، وما ينشأ عنه من استمالة افراد
الشعب ليتبعوه ، وانظروا ماذا تأمرؤن بما يكون سبيلاً للتخلص منه .

حَشِيرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾
 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا^ط
 فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ
 عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا

١١١ - وقالوا: أخر البت في أمره وأمر أخيه الذي يعاونه في دعوته، وأرسل في مدائن ملكك رجالاً من جندك يجمعون الناس أولى العلم بالسحر.

١١٢ - فيأتوك بكل علم بفنون السحر، وهم يكشفون لك حقيقة ما جاء به موسى. فلا يفتتن به احد.

١١٣ - وجاء الى فرعون السحرة الذين جمعهم له جنده، وقالوا له: ان لنا لجزاء عظيماً يكافئ ما يطلب منا ان كانت الغلبة لنا على موسى.

١١٤ - وجاء فرعون مجيئاً لهم الى ما طلبوا: نعم ان لكم لجزاء عظيماً، وانكم مع ذلك لمن أهل الحظوة عندنا.

١١٥ - ثم توجه السحرة الى موسى، بعد أن وعدهم فرعون بما وعدهم، واطهروا الثقة بأنفسهم واعتدادهم بسحرتهم في ميدان المباراة، وقالوا له: اما أن تلقى ما عندك أولاً، واما ان نكون نحن الملقين بما عندنا من دونك.

١١٦ - فأجابهم موسى اجابة الواثق بالغلبة والظفر، مظهراً عدم مبالاته بهم: ألقوا ما أنتم ملقون أولاً. فلما ألقى كل واحد منهم ما كان معه من جبال وعصى، خيلوا الى أبصار الناس وموهوا عليهم ان ما فعلوه هو حقيقة وما هو إلا خيال، فها هو الأمر الناس وأوقع في قلوبهم الرعب والرعب، وقد جاء السحرة الناس بسحر مظهره كبير وتأثيره في أعينهم عظيم.

١١٧ - وأصدر الله أمره الى موسى أن ألقى بعصاك، فقد جاء وقتها، فألقاها كما أمر، فاذا عصاه تبلع بسرعة ما يكذبون ويموهون.

١١٨ - فثبت الحق وظهر في جانب موسى عليه السلام، وبطل تخیل السحرة.

صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَالْقِيَاسَ سَجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ
 ءَاَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكْرُمُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾
 لَا قِطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَٰكُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا
 نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَاَمَنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَّا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ
 قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَلَنَسْتَحْيِي

١١٩ - فهزم فرعون وملؤه في ذلك الجمع العظيم ، وعادوا من ذلك أذلة بما رزقوا من الخذلان والخيبة .

١٢٠ - هذا ما كان من شأن فرعون وملئه ، وأما السحرة فقد بهرهم الحق ، فاندفعوا ساجدين لله مدعنين للحق .

١٢١ - قائلين : آمنا بخالق العالمين ومالك أمرهم المتصرف فيهم .

١٢٢ - انه الاله الذي يعتقد ويؤمن به موسى وهارون .

١٢٣ - فهال هذا الأمر فرعون ، وأثار حميته ، فقال : هل أنتم وصدقتم برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم ؟ ان هذا الصنيع الذي صنعتموه أنتم وموسى وهارون كان بالاتفاق ، وليس الا مكرًا مكرّمه في المدينة (مصر) لأجل أن تخرجوا منها أهلها بمكركم ، فسوف ترون ما يحل بكم من العذاب جزاء اتباعكم موسى وهارون ، وعقاباً على هذا المكر والخداع .

١٢٤ - وأقسم لأنكلن بكم ، وأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، فأقطع اليد من جانب والرجل من جانب آخر ، ثم لأصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة ، لتكونوا عبرة لمن تحدّثه نفسه بالكيد لنا أو بالخروج على سلطاننا .

١٢٥ - فلم يأبهوا لقوله وتهديداته ، لتكن الايمان من شغاف قلوبهم ، فقالوا له : انا الى ربنا راجعون ، فنتقلب في رحمته ونعيم جزائه .

١٢٦ - وما تنكر منا وتعاقبنا عليه الا أن صدقنا موسى ، وأذعنا آيات ربنا الواضحة الدالة على الحق لما جاءتنا . ثم توجهوا إلى الله ضارعين اليه قائلين : يا ربنا أفض علينا صبراً عظيماً نقوى معه على احتمال الشدائد ، وتوفنا على الاسلام غير مفتونين من وعيد فرعون .

نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوِذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنْ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ۚ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى

١٢٧ - وبعد أن شاهد فرعون وقومه ما شاهدوا ، من ظهور أمر موسى وقوة غلبته وإيمان السحرة به ، قال الكبراء ، من قومه : أنترك موسى وقومه أحراراً آمنين ، ليكون مآلهم أن يفسدوا قومك عليك في أرض مصر بادخالهم في دينهم ، ويتركك مع أهلك في غير مبالاة ، فيظهر للمصريين عجزك وعجزهم ؟ قال فرعون مجيباً لهم : سنقتل أبناء قومه تقتيلاً ما تناسلوا ، ونستبق نساءهم أحياء ، حتى لا يكون لهم قوة كما فعلنا من قبل ، وانا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم .

١٢٨ - وهنا رأى موسى أثر الجزع في نفوس قومه ، فشد من عزمهم ، وقال لهم : اطلبوا معونة الله وتأيدوه ، واثبتوا ولا تجزعوا ، ان الأرض في قبضة قدرة الله وملكه ، يجعلها ميراثاً لمن يشاء من عباده لا لفرعون ، والعاقبة الحسنة للذين يتقون الله بالاعتصام به والاستمسك بأحكامه .

١٢٩ - فقال القوم في حزن وضعف : نحن نالنا الأذى قديماً من فرعون قبل مجيئك الينا ، وحديثاً من بعد مجيئك . ففتح موسى لهم باب الأمل وقال لهم ، ان المرجو من فضل ربكم أن يهلك عدوكم الذى سخركم وأذاكم بظلمه ، ويجعلكم خلفاء الأرض التى وعدكم اياها ، فيعلم سبحانه ما أنتم عاملون بعد هذا التحكين : أتشكرون النعمة أم تكفرون ؟ وتصلحون فى الأرض أم تفسدون ؟ ليجزيكم فى الدنيا والآخرة بما تعملون .

١٣٠ - ولقد عاقبنا فرعون وقومه بالجذب والقحط وضيق المعيشة ، بنقص ثمرات الزروع والأشجار ، رجاء أن ينتهبوا إلى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله ، فيتعظوا ويرجعوا عن ظلمهم لبني اسرائيل ، ويستجيبوا لدعوة موسى عليه السلام ، فان شأن الشدائد أن تمنع الغرور وتهذب الطباع وتوجه الأنفس الى قبول الحق ، وارضاء رب العالمين ، والتضرع اليه دون غيره .

وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَعَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَّ بِهَا فَسَاحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَى اادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ

١٣١ - ولكن دأب فرعون وأعوانه عدم الثبات على الحق ، فسرعان ما يعودون إلى الغدر والمعصية ، فهم منقلبون . فاذا جاءهم الخصب والرخاء - وكثيراً ما يكون ذلك - قالوا : نحن المستحقون له لما لنا من الامتياز على الناس وان أصابهم ما يسوءهم ، كجذب أو جائحة أو مصيبة في الأبدان والأرزاق ، يرون أنهم أصيبوا بشؤم موسى ومن معه ، ويغفلون عن أن ظلمهم وفجورهم هو الذى أدى بهم الى ما نالهم ، ألا فليعلموا أن علم شؤمهم عند الله ، فهو الذى أصابهم بسبب أفعالهم القبيحة ، فهى التى ساقط اليهم ما يسوءهم ، وليس موسى ومن معه ، ولكن أكثرهم لا يدري هذه الحقيقة التى لا شك فيها .

١٣٢ - ولهذا الفكرة السيئة عندهم أصروا على الجحود ، وقالوا عند رؤيتهم آيات موسى إنك مها جئتنا بكل نوع من أنواع الآيات التى تستدل بها على حقيقة دعوتك ، لأجل أن تصرفنا بها عما نحن عليه من ديننا ، ومن استعباد قومك فانهن لك بمصدقين ولا مذعنين .

١٣٣ - فأنزل الله عليهم مزيداً من المصائب والنكبات : بالطوفان الذى يغشى أماكهم ، وبالجراد الذى يأكل ما بقى من نبات أو شجر ، وبالقملة ، وهو حشرة تفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات ، وبالضفادع التى تنتشر فتتنفس عليهم حياتهم وتذهب بصفاتها ، وبالدم الذى يسبب الأمراض الكثيرة كالنزيف من أى جسم ، والدم الذى ينجس فيسبب ضغطاً أو ينفجر فيسبب شللاً ، ويشمل البول الدموى بسبب البلهارسيا ونحوها ، أو الذى تحول اليه ماؤهم الذى يستخدمونه فى حاجات معاشهم أصابهم الله بهذه الآيات المميزات الواضحات . فلم يتأثروا بها ، وجمدت قرائنهم وفسد ضميرهم ، فعتوا عن الايمان والرجوع إلى الحق من حيث هو حق ، وكانوا قوماً موغلين فى الاجرام كما هو شأنهم .

١٣٤ - ولفرط تقلبهم حسب الدواعى ، كانوا كلما وقع عليهم نوع من العذاب قالوا لشدة تأثره فيهم وتألمهم به : يا موسى ، سل ربك لنا بالذى عهد اليك أن تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء ، أن تكشف عنا هذا العذاب ، ونحن نقسم لك لئن أزلته عنا لنخضعن لك ، ولنطلقن معك بنى اسرائيل كما أردت !

يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَنَمَتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِّمَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْعِيكَمُ إِلَهُهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَجَبْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكَ وَبِسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ

١٣٥ - فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد أخرى الى وقت هم متتهون اليه في كل مرة ، اذا هم ينقضون عهدهم ، ويخثون في قسمهم ، ويعودون الى ماكانوا عليه ، ولم تجد فيهم هذه المحن الزاجرة ! .

١٣٦ - فأنزلنا عليهم نقمتنا ، فأغرقناهم في البحر بسبب استمرارهم على التكذيب بآياتنا ، وقام غفلتهم عما تقتضيه هذه الآيات من الايمان والاذعان .

١٣٧ - وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون في مصر ، وهم بنو اسرائيل ، جميع الارض التي حياها الله بالخصب والخير الكثير ، في مشارقها ومغاربها ، ونفدت كلمة الله الحسنى تامة ، ووعده بالنصر شاملا لبني اسرائيل بسبب صبرهم على الشدائد ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الصروح والقصور المشيدة ، وما كانوا يعرشونه من السقائف للنبات والشجر المتسلق كعرائش العنب ، هذا شأن الله ، وصدق وعده الجميل لبني اسرائيل .

١٣٨ - وتجاوز بنو اسرائيل البحر بعنايتنا وتأييدنا وتيسير الامر لهم فلما تجاوزوه مروا على قوم ملازمين لعبادة أصنام لهم ، فلما شاهدوا هذه الحالة غلب عليهم ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما أن هؤلاء القوم أصناما يعبدونها ! فسارع موسى عليه السلام موخجا لهم رادعا وقال : انكم قوم سفهاء لاعقول لكم ، لاتعرفون العبادة الحققة ، ولا من هو الاله الذي يستحق أن يعبد ! .

١٣٩ - ان هؤلاء الذين ترونهم يعبدون الاصنام ، هالك ما هم فيه من الدين الباطل ، وزائل عملهم لابقاء له .

١٤٠ - أأطلب لكم معبودا غير الله رب العالمين ، وهو قد منحكم الفضل فأعطاكم نعمًا لم يعطها غيركم من

أهل زمانكم ؟ ! .

وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِّمَّتْ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن نَرَنِي وَلَٰكِنِ أَنظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۖ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۖ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ

١٤١ - واذكروا اذ أنجاهم الله تعالى بعنايته من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ، ويسخرونكم لخدمتهم في مشاق الاعمال ، ولا يرون لكم حرمة كالبهائم ، فيقتلون ما يولد لكم من الذكور ، ويستبقون الاناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهم ! وفيما نزل بكم من تعذيب فرعون لكم وانجائكم منه ، اختبار عظيم من ربكم ليس وراءه بلاء واختبار !

١٤٢ - وعدنا موسى بالمناجاة واعطاء التوراة عند تمام ثلاثين ليلة يتعبد فيها ، وأتمنا مدة الوعد بعشر ليال يستكمل فيها عبادته ، فصارت المدة اربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون حين توجه للمناجاة : كن خليفتي في قومي ، واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من أمورهم ، واحذر ان تتبع طريق المفسدين .

١٤٣ - ولما جاء لمناجاتنا ، وكلمه ربه تكليما ليس كتكليمنا ، قال : رب ارني ذاتك ، وتجل لي ، أنظر اليك فأزداد شرفا . قال : لن تطيق رؤيتي . ثم أراد سبحانه أن يقنعه بأنه لا يطيقها فقال : ولكن انظر الى الجبل الذي هو أقوى منك ، فان ثبت مكانه عند التجلي فسوف تراه اذا تجليت لك . فلما ظهر ربه للجبل على الوجه اللائق به تعالى ، جعله مفتتا مستويا بالارض ، وسقط موسى مغشيا عليه لهول مارأى ، فلما أفاق من صعقته قال : أنزهك يارب تنزيها عظيما عن أن ترى في الدنيا اتي تبت اليك من الاقدام على السؤال بغير اذن ، وأنا أول المؤمنين في زمانى مجلالك وعظمتك .

١٤٤ - لما منع الله موسى من رؤيته ، عدد عليه نعمه ليتسلى بها عن المنع فقال : يا موسى اتي فضلك واخترتك على اهل زمانك ، بتبليغ أسفار التوراة وبتكليمي اياك من غير واسطة ، فخذ مافضلتك به ، واشكرني كما يفعل الشاكرون المقدرين للنعم .

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَيَاتِنًا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا وَلَقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْتَلِبُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا

١٤٥ - وبيننا لموسى في الواح التوراة كل شيء من المواعظ والاحكام المفصلة التي يحتاج الناس اليها في المعاش والمعاد، وقلنا له : خذ الالواح بمجد وحزم، وأمر قومك ان يأخذوا بأفضل ما فيها، كالغفو بدل القصاص، والابراء بدل الانتظار، واليسر بدل العسر. سأريكم يا قوم موسى في أسفاركم دار الخارجين على أوامر الله، وما صارت اليه من الخراب، لتعبروا، فلا تخالفوا حتى لا يصيبكم ما أصابهم.

١٤٦ - سأمنع من التفكير في دلائل قدرتي القاسمة في الأنفس والآفاق، أولئك الذين يتطاولون في الأرض، ويتكبرون عن قبول الصواب غير محقين، وإن يروا كل آية تدل على صدق رسلنا لا يصدقوها، وان يشاهدوا طريق الهدى لا يسلكوه، وان يشاهدوا طريق الضلال يسلكوه ! يحدث ذلك منهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا المنزلة، وغفلوا عن الاهتداء بها !

١٤٧ - والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا للهداية، وكذبوا بآياتنا يوم القيامة، فأنكروا البعث والجزاء، بطلت أفعالهم التي كانوا يرجون نفعها فلا يلقون الاجزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصي.

١٤٨ - وبعد أن ذهب موسى الى الجبل لمناجاة ربه، اتخذ قومه من حلبيهم المخصصة للزينة جسدا على صورة العجل الذي لا يعقل ولا يميز، له صوت يشبه صوت البقر، مما أودع فيه من الصناعة ومرور الريح بداخله .. وقد صنعهم لهم السامري وأمرهم بعبادته ! بالسفاهة عقولهم. ألم يروا حين اتخذوه الها وعبدوه انه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم الى طريق الصواب ؟ ! انهم ظلموا أنفسهم بهذا العمل الشنيع.

١٤٩ - ولما شعروا بزلتهم وخطئهم، تحمروا وندموا أشد الندم على اتخاذ العجل الها. وتبينوا ضلالهم تبينا ظاهرا، وقالوا : والله لئن لم يتب علينا ربنا ويتجاوز عنا لنكونن من الذين خسروا خسرانا بينا، بوضعهم العبادة في غير موضعها.

خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْلِمْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ

١٥٠ - ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه ، غضبان عليهم لعبادتهم العجل ، حزينا لان الله فتنهم - وكان الله قد أخبره بذلك قبل رجوعه - قال لهم : ما أقبح ما فعلتم بعد غيبي ، أسبقتهم بعبادة العجل ما أمركم به ربكم من انتظاري وحفظ عهدي حتى آتيكم بالتوراة ؟ ! ووضع الألواح ، واتجه الى أخيه ، لشدة حزنه حين رأى ما رأى من قومه ، وأخذ يشد أخاه من رأسه ويجره نحوه من شدة الغضب ، ظنا منه أنه قصر في كفهم عما فعلوا ، فقال هارون لموسى : يا ابن امي ان القوم حين فعلوا ما فعلوا قد استضعفوني وقهروني . وقاربوا قتلى لما نهيتهم عن عبادة العجل ، فلا تسر الاعداء بايذائك لي ، ولا تعتقدي واحدا من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم .

١٥١ - قال موسى : رب اغفر لي ما صنعت بأخى قبل جليلة الأمر ، واغفر لأخى ان كان فرط في حسن الخلافة ، وأدخلنا في سعة رحمتك لأنك أكثر الراحمين رحمة .

١٥٢ - ان الذين استمروا على اتخاذ العجل الها ، كالسامري وأشياعه ، سينالهم غضب عظيم من ربهم في الدار الآخرة ، ومهانة شديدة في الحياة الدنيا ، يمثل ذلك الجزاء نجزي كل من اختلق الكذب على الله وعبد غيره .

١٥٣ - والذين عملوا الاعمال القبيحة من الكفر وعبادة العجل والمعاصي ، ثم رجعوا الى الله من بعد عملها ، وصدقوا به ، ان ربك من بعد توبتهم ستار عليهم ، غفار لما كان منهم . ؟

١٥٤ - ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه ، عاد الى الألواح التي ألقاها وأخذها ، وفيها نسخ فيها هدى وارشاد وأسباب رحمة ، للذين يخافون غضب ربهم .

لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَتُهْلِكُكُمْ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ
وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ * وَاصْنَبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي
أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

١٥٥ - ثم أمر الله أن يأتيه في جماعة من قومه يعتذرون عن عبدوا العجل ، ووعدهم موعدا ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ، وهم يمثلون قومه ، وذهب بهم الى الطور ، وهناك سألو الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويتوب على من عبد العجل منهم ، فأخذتهم في ذلك المكان زلزلة شديدة غشى عليهم بسببها ، وهذا لأنهم لم يفارقوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمرهم بالمعروف ، ولم ينههم عن المنكر ! فلما رأى موسى ذلك قال : يارب لو شئت أهلكهم أهلكهم من قبل خروجهم الى الميقات ، وأهلكني معهم ، ليرى ذلك بنو اسرائيل فلا يتهموني بقتلهم فلا تهلكنا يارب بما فعل الجهال منا ، فامحنت عبدة العجل الافتنة منك ، أضللت بها من شئت اضلاله ممن سلكوا سبيل الشر ، وهديت بها من شئت هدايته . أنت القاتل وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصي من قومك ويؤدى الزكاة المفروضة ، يتجاوز عن السيئات .

١٥٦ - وقدر لنا في هذه الدنيا حياة طيبة ، وتوفيقا للطاعة ، وفي الآخرة مثوبة حسنة ، ورحمة ، لاننا رجعنا اليك وتبنا اليك ، فقال له ربه : عذابي أصيب به من أشاء ممن لم يتب ، ورحمتي وسعت كل شيء ، وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصي من قومك ، ويؤدون الزكاة المفروضة ، والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة .

١٥٧ - وأخص بها الذين يتبعون الرسول محمدا ، الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو الذي يجدون وصفه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بكل خير وينهاهم عن كل شر ، ويحل لهم الاشياء التي يستطيعها الطبع ، ويحرم عليهم الاشياء التي يستخفيها الطبع كالدم والميتة ، ويزيل عنهم الأثقال والشدائد التي كانت عليهم . فالذين صدقوا برسالة وأزروه وأبدوه ونصروه على أعدائه ، واتبعوا القرآن الذي أنزل معه كالنور الهادي ، أولئك هم الفائزون دون غيرهم ممن لم يؤمنوا به .

وَالْأَرْضَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا

١٥٨ - قل بأيتها النبي للناس : انى مرسل من الله اليكم جميعا ، لافرق بين عربى وعجمى وأسود وأبيض . والله الذى أرسلنى له وحده ملك السموات والارض يدير أمرها حسب حكمته ، ويتصرف فيها كيف يشاء ، ولا معبود بحق إلا هو ، وهو الذى يقدر على الإحياء والاماتة دون غيره ، فآمنوا به وبرسوله النبى الذى لا يقرأ ولا يكتب ، وهو يؤمن بالله الذى يدعوكم الى الايمان ، ويؤمن بكتبه المنزلّة ، واتبعوه فى كل ما يفعل ويقول لتتهدوا وترشدوا .

١٥٩ - ومن قوم موسى جماعة بقوا على الدين الصحيح يهدون الناس بالحق الذى جاء به موسى من عند ربه ، ويعدلون فى تنفيذه اذا حكموا .

١٦٠ - عدد الله نعمه على قوم موسى ، فأفاد أنه صيرهم اثنتى عشرة فرقة وجعلهم جماعات ، وميز كل جماعة بنظامها ، منعاً للتحاسد والخلاف . وأوحى الى موسى ، حين طلب منه قومه الماء فى التيه ، بأن يضرب الحجر بعصاه ، فضربه فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط ، وقد عرف كل جماعة منهم مكان شربهم الخاص بهم ، فلا يزاحمهم فيه غيرهم ، وجعل لهم السحاب يلقى عليهم ظله فى التيه ، ليقيمهم حر الشمس ، وأنزل عليهم المن ، وهو طعام يشبه البرد فى منظره ، ويشبه الشهد فى مطعمه ، وأنزل السلوى ، وهو الطير السمانى ، وقال لهم : كلوا من مستلذات مارزقناكم مما أنزلناه عليكم . فظلموا أنفسهم وكفروا بتلك النعم ، وطلبوا غيرها ، وما رجع اليها ضرر ظلمهم ولكنه كان مقصورا عليهم .

١٦١ - واذكر بأيتها النبي لمن وجد منهم فى زمانك ، تقريبا لهم بما فعل أسلافهم ، اذكر لهم قولنا لأسلافهم على لسان موسى : اسكنوا مدينة بيت المقدس بعد الخروج من التيه ، وكلوا من خيراتها فى آية ناحية من نواحيها شتم ، وقولوا نسألك ياربنا أن تحط عنا خطايانا ، وادخلوا باب القرية مع الخناء الرءوس كهيئة الركوع تواضعا لله . اذا فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم ، وسنزيد ثواب من أحسنوا الاعمال .

غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَلَّطْنَا عَلَيْهِمُ الْفَرَّةَ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذِرَةَ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ

١٦٢ - فخالفوا أمر ربهم ، فقالوا بسبب ظلمهم قولاً غير الذي قيل لهم ، قصد الاستهزاء بموسى فأرسلنا عليهم عذاباً من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد .

١٦٣ - واسأل اليهود ، استنكاراً لما فعل أسلافهم ، عن خبر أهل القرية (أيلة) التي كانت قرية من البحر ، حين كانوا يتجاوزون حدود الله بصيد السمك في يوم السبت ، وحين كانت تأتيتهم حيتان الأسماك وتظهر على وجه الماء يوم السبت وفي غيره لاتأتيتهم ، ابتلاء من الله ! بمثل ذلك البلاء المذكور نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر ، ليظهر منهم المحسن من المسيء .

١٦٤ - واذكر أيضاً لهؤلاء اليهود اذ قالت جماعة من صلحاء أسلافهم - لم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم - لمن يعظون أولئك الأشرار : لأى سبب تنصحون قوماً الله مهلكهم بسبب ما يرتكبون او معذبهم في الآخرة عذاباً شديداً ؟! قالوا : وعظناهم اعتذاراً الى ربكم ، لئلا ننسب الى التقصير ، ورجاء أن يتقوا .

١٦٥ - فلما تركوا ما وعظوا به ، أنجينا الذين ينهون عن العمل السيئ من العذاب وأخذنا الذين ظلموا فاعتدوا وخالفوا بعذاب شديد ، هو البؤس والشقاء . بسبب استمرارهم على الخروج عن طاعة الله ربهم .

١٦٦ - فلما قسوا واستمروا على ترك ما نهوا عنه ، ولم يردعهم العذاب الشديد ، جعلناهم كالقردة في مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق ، مبعدين عن كل خير .

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَامًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ * وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آبْنِكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

١٦٧ - واذكر أيضا لهؤلاء اليهود حين أعلم ربك أسلافهم على السنة أنبيائهم : ليسلطن الله على جماعة اليهود الى يوم القيامة من يوقع بهم أسوأ أنواع العذاب على ظلمهم وفسقهم ، لأن ربك سريع العقاب لأهل الكفر ، لأن عقابه واقع لا محالة ، وكل أت قريب ، وانه غفور رحيم لمن رجع اليه وتاب .

١٦٨ - وقد فرقناهم في الأرض جماعات : منهم الصالحون ، وهم الذين آمنوا واستقاموا ، ومنهم أناس منحطون عن وصف الصلاح ، وقد اختبرناهم جميعا بالنعم والنقم ليتوبوا عما نهوا عنه .

١٦٩ - فجاء من بعد الذين ذكرناهم وقسمناهم الى القسمين ، خلف سوء وورثوا التوراة عن أسلافهم ولكنهم لم يعملوا بها ، لأنهم يأخذون متاع الدنيا عوضا عن قول الحق ، ويقولون في أنفسهم : سيغفر الله لنا ما فعلناه ! يرجون المغفرة ! والحال أنهم إن يأتهم شيء مثل ما أخذوه يأخذوه فهم مصرون على الذنب مع طلب المغفرة ثم ويخفون الله على طلبهم المغفرة مع إصرارهم على ما هم عليه ، فقال : انا أخذنا عليهم العهد في التوراة ، وقد درسوا ما فيها ، أن يقولوا الحق ، فقالوا الباطل ! وان نعيم الدار الآخرة للذين يتقون المعاصي خير من متاع الدنيا ! أستمرون على عصيانكم فلا تعقلون أن ذلك النعيم خير لكم ، وتؤثرون عليه متاع الدنيا !

١٧٠ - والذين يتمسكون بالتوراة ، وأقاموا الصلاة المفروضة عليهم ، انا لانضيع أجرهم ، لإصلاحهم وإحسانهم الأعمال .

١٧١ - رد الله على اليهود في قولهم : ان بنى اسرائيل لم تصدر منهم مخالفة في الحق ، فقال : واذكر لهم أيها النبي حين رفعنا الجبل فوق رؤوس بنى اسرائيل كأنه غمامة ، وفرغوا لظنهم أنه واقع عليهم ، وقلنا لهم في حالة الرفع ورهبتهم : خذوا ما أعطيناكم من هدى في التوراة بمجد وعزم على الطاعة وتذكروا ما فيه لعلكم تعتبرون وتهذب نفوسكم بالتقوى .

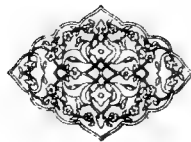
وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾
 أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ
 الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
 الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ الْكَلْبَ إِنْ تَحْمِلُ

١٧٢ - بين الله هنا هداية بنى آدم بنصب الأدلة في الكائنات ، بعد أن بينها عن طريق الرسل والكتب ، فقال :
 واذكر أيها النبي للناس حين أخرج ربك من أصلاب بنى آدم ونسلهم وما يتوالدون قرنا بعد قرن ، ثم نصب لهم
 دلائل ربوبيته في الموجودات ، وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها من معرفتنا ، والاستدلال بها على التوحيد
 والربوبية ، حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم : ألسنت بربكم ؟ قالوا بل أنت ربنا شهدنا بذلك على أنفسنا . . لأن
 تمكنهم من العلم بالادلة وتمكنهم منه في منزلة الاقرار والاعتراف . وانما فعلنا هذا لئلا تقولوا يوم القيامة : انا كنا
 عن هذا التوحيد غافلين لا نعرفه .

١٧٣ - أو تقولوا : إنما أشرك آبائنا من قبلنا ، وكنا ذرية لهم فافتدينا بهم ، أفنؤاخذنا يارب فتهلكنا بما فعل
 المبتلون من آبائنا ، بتأسيس الشرك الذي جرونا إليه . . . فلا حجة لكم .

١٧٤ - ومثل ذلك البيان الحكيم نبين لبنى آدم الدلائل على وجود الله ، ليرجعوا عن مخالفتهم وتقليد المبتلين .

١٧٥ - ضرب الله مثلا للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله ، فقال : واقرأ أيها النبي على قومك خبر رجل من
 بنى اسرائيل ، آتيناه علما بآياتنا المنزلة على رسلنا ، فأهلها ولم يلتفت اليها ، فأتبعه الشيطان خطواته ، وسلط عليه
 باغوائه فصار في زمرة الضالين .



عَلَيْهِ يَلَهَتْ أَوْ تَرَكُهُ يَلَهَتْ^١ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا^٢ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^٣
 سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ^٤ مَنِ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى^٥ وَمَنْ يُضِلِلْ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ^٦ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
 لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ^٧
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا^٨ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ^٩ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^{١٠}
 وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ^{١١} وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ

١٧٦ - ولو شئنا رفعه الى منازل الأبرار لرفعناه اليها ، بتوفيقه للعمل بتلك الآيات ، ولكنه تعلق بالأرض ولم يرتفع الى سماء الهداية ، واتبع هواه ، فصار حاله في قلقه الدائم ، وانشغاله بالدنيا ، وتفكيره المتواصل في تحصيلها كحال الكلب في أسوأ أحواله عندما يلهث دائما ، إن زجرته أو تركته ، اذ يندلع لسانه من التنفس الشديد ! وكذلك طالب الدنيا يلهج وراء متعه وشهواته دائما ! ان ذلك الوصف الذي اتصف به المنسلخ من آياتنا ، هو وصف جميع الذين كذبوا بآياتنا المنزلة . فاقصص عليهم قصصه ليتفكروا فيؤمنوا^(١).

١٧٧ - قبحت حال هؤلاء الذين جحدوا آياتنا ، وماظلموا بهذا الانحراف عن الحق الانفسهم .

١٧٨ - من يوفقه الله لسبيل الحق فهو المهتدى حقا ، الفائز بسعادة الدارين ومن يحرم من هذا التوفيق بسبب سيطرة هواه ، فهذا الفريق هم الخاسرون .

١٧٩ - ولقد خلقنا كثيرا من الجن والانس مآلهم النار يوم القيامة ، لأن لهم قلوبا لا ينفذون بها الى الحق ، ولهم أعين لا ينظرون بها دلائل القدرة ، ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ! أولئك كالبهائم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر ، بل هم أضل منها ، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها ، وهؤلاء لا يدركون ذلك ، وأولئك هم الكاملون في الغفلة !

١٨٠ - والله ، دون غيره الأسماء الدالة على أكمل الصفات فأجروها عليه دعاء ونداء وتسمية ، وابتعدوا عن الذين يميلون فيها الى ما يليق بذاته العلية وانهم سيجزون جزاء أعمالهم .

١٨١ - ومن خلقنا للجنة طائفة يدعون غيرهم للحق بسبب جهلهم بالحق وبالحق وحده يعدلون في أحكامهم .

(١) اوردت هذه الآية ظاهرة مشاهدة وهي ان الكلب يلهث سواء حملت عليه أو لم تحمل وقد اثبت العلم ان الكلب لا توجد فيه غند عرقية الا القليل في باطن اقدمه والتي لا تفرز من العرق مايكفي لتنظيم درجة حرارة جسمه ولذلك فانه يستعين عن نقص وسائل تنظيم الحرارة باللهث وهو ازدياد عدد مرات تنفسه زيادة كبيرة عن الحالة العادية مع تعريض مساحة أكبر من داخل الجهاز التنفسي كاللسان والسطح الخارجى من فم .

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَافِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَكَنْتُ مِنَ

١٨٢ - والذين كذبوا بآياتنا المنزلة سنستدرجهم ونتركهم حتى يصلوا الى أقصى غاياتهم ، وذلك بإدراج النعم عليهم ، مع انهم اكلهم في الغنى ، حتى يفاجئهم الهلاك وهم غافلون يرتعون .

١٨٣ - وسأمد لهم في الحياة غير مهمل لسيئاتهم وتديري لهم شديد عليهم يكافى سيئاتهم التي كثرت بتأديهم .

١٨٤ - لقد بادروا بالتكذيب ، ولم يتدبروا ما يدعوه الرسول اليه ، وما يقدمه من حجج بل رموه بالجنون وليس به من جنون ، فها هو الامنذر لهم من عاقبة شرهم ، وانذاره بين واضح .

١٨٥ - لقد كذبوا محمدا فيما يدعوه اليه من التوحيد ، ولم ينظروا نظر تأمل واستدلال في ملك الله العظيم للسموات والأرض وما فيها ، مما يدل على كمال قدرة الصانع ووحدانيته ، ولم يفكروا في أنه قد اقترب أجلهم : أو عسى أن يكون قد اقترب ، فيسارعوا الى النظر وطلب الحق قبل مفاجأة الأجل ، فاذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأي كلام يؤمنون بعده ؟

١٨٦ - من يكتب الله عليه الضلالة لسوء اختياره فلا يهديه أحد ، ويتركهم سبحانه في ضلالهم يتحيرون لا يهتدون سبيلا ! .

١٨٧ - يسألك اليهود ، يا محمد ، عن الساعة التي تنتهي فيها هذه الدنيا ، في أى وقت تكون ويستقر العلم بها ؟ قل لهم : علم وقتها عند ربى وحده ، لا يظهرها في وقتها أحد سواه قد عظم هولها عندما تقع على أهل السموات والأرض ! يسألونك هذا السؤال ، كأنك حريص على العلم بها . فكرر الجواب ، فقل لهم مؤكدا : إن علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يدركون الحقائق التي تغيب عنهم ، أو التي تظهر لهم !

أَخَيْرَ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۖ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ
ءَاتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَيْنَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَالِمُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ

١٨٨ - قل لهم : لأملك لنفسي جلب نفع ولادفع ضرر الا الذي شاء الله من ذلك فيملكني اياه . ولو كنت أعلم ما غاب عني كما تظنون ، لاستكثر من كل خير ، لعلمي بأسبابه ، ولدفعت عن نفسي كل سوء باجتنب موجباته : ما أنا إلا نذير بالعذاب ومبشر بالثواب لقوم يؤمنون بالحق ويدعون له .

١٨٩ - هو الله الذي أنشأكم من نفس واحدة ، وجعل من جنسها زوجها ، واستمرت سلالتها في الوجود ، وكنتم زوجا وزوجة ، فاذا تغشاهما حملت محمولا خفيفا هو الجنين عند كونه علقه ومضغة ، فلما ثقل الحمل في بطنها دعا الزوج والزوجة ربها قائلين : والله لئن أعطيتنا ولدا سليما من فساد الخلقة ، لنكونن من الشاكرين لنعائلك .

١٩٠ - فلما أعطاهما ما طلبا جعلنا الأصنام شركاء لله تعالى في عطيته الكريمة ، وتقربا اليها ، كأنها يشكرانها والله وحده هو المستحق للشكر يتعالى ويتسامى عن أن يكون كشركانهم .

١٩١ - هل يصح أن يشركوا مع الله أصناما لا تقدر أن تخلق شيئا من الأشياء وهم مخلوقون لله ؟ !

١٩٢ - ولا يقدر على نصر لمن يعبدونهم ، ولا ينصرون أنفسهم اذا تعدى الغير عليهم .

١٩٣ - وان تدعوا أيها العابدون الاصنام ليرشدوكم الى ماتحبون ، لا يجيبوكم إلى مرادكم ! فستو عندكم في عدم الفائدة دعاؤكم إياهم ، وسكوتكم فإنه لا يتغير حالهم في الحالين .

مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَأْذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا
فَلَا تُنْظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا

١٩٤ - إن الذين تعبدونهم غير الله، وترجون النفع منهم، خاضعون لله بحكم تكوينهم، من حيث كونهم مسخرين لأمره مثلكم، فإن كنتم صادقين في زعمكم أنهم يقدرون على شيء فاطلبوه منهم، فليحققوه لكم.

١٩٥ - بل إن هذه الأصنام أقل منكم في الخلق والتكوين، ألهم أرجل يمشون بها؟ أو أيدي يدفعون بها الضر عنكم وعنهم؟ أو أعين يبصرون بها، أو أذان يسمعون بها ما تطلبون فيحققوه لكم؟ ليس لهم شيء من ذلك! فكيف تشركونهم مع الله وإذا كنتم تتوهمون أنها تنزل الضر في أو بأحد، فنادوها ودبروا لي معها ما تشاءون من غير إهمال ولا انتظار، فإنها لن تستطيع شيئا! فلا تمهلوني فاني لا أبالي بها.

١٩٦ - إن ناصري عليكم هو الله الذي له ولايتي، وهو الذي أنزل على القرآن، وهو وحده الذي ينصر الصالحين من عباده.

١٩٧ - والأصنام الذين يطلبون منهم النصر دون الله، لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم.

١٩٨ - وإن تسألوهم الهداية إلى ما فيه خيركم لا يسمعوا سؤالكم فضلا عن إرشادكم! وإنك لتراهم في مقابلك كأنما ينظرون إليك، وهم في الحقيقة لا يرون شيئا!.

١٩٩ - أعرض أيها النبي عن الجاهلين، وسر في سبيل الدعوة، وخذ الناس بما يسهل عليهم، وأمرهم بكل أمر مستحسن تعرفه العقول وتدركه..

٢٠٠ - وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة لصرفك عما أمرت كأن تغضب من لجاجتهم بالشر، فاستجر بالله يصرفه عنك، لانه سميع لكل ما يقع عليه به.

هُم مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِعَاقِبَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَإٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴿٢٠٧﴾

٢٠١ - ان الذين خافوا ربهم ، وجعلوا بينهم وبين المعاصي وقاية من الشيطان بوسوسة منه طافت بهم لصرفهم عما يجب عليهم ، تذكروا عداوة الشيطان وكيدته ، فاذا هم مبصرون الحق فيرجعون .

٢٠٢ - واخوان الشياطين من الكفار ، تزيدهم الشياطين بالوسوسة ضلالا ثم هؤلاء الكفار لا يكفون عن ضلالهم بالتبصر .

٢٠٣ - واذا لم تأت الكفار بآية مما يطلبون عنادا وكفرا ، قالوا : هلا طلبتها ؟ قل لهم : ما أتبع الا القرآن الذي يوحى الى من ربي ، وقل لهم : هذا القرآن حجاج من ربكم تبصركم وجوه الحق ، وهو ذو هداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم العاملون به .

٢٠٤ - واذا تلى عليكم أيها المؤمنون القرآن فأصغوا اليه بأسماعكم . لتتدبروا مواعظه ، وأحسنوا الاستماع لتفوزوا بالرحمة .

٢٠٥ - واذكر ربك ذكرا نفسيا ، تحس فيه بالتقرب الى الله والخضوع له والخوف منه ، من غير صياح ، بل فوق السر دون الجهر من القول . وليكن ذكرك في طرفي النهار لتفتتح به بالذكر لربك وتغتمه به ، ولا تكن في عامة أوقاتك من الغافلين عن ذكر الله .

٢٠٦ - ان الذين هم قرييون من ربك بالتشريف والتكريم ، لا يستكبرون عن عبادته ، وينزهونه عما لا يليق به ، وله يخضعون .

(٨) سُورَةُ الْاَنْفَالِ مَكْنِيَّةٌ
وَاَيَاتُهَا خَمْسٌ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

سورة الأنفال نزلت بالمدينة ، وهي تشتمل على خمس وسبعين آية . وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بعض أحكام القتال ، والبواعث عليه ، وأسباب النصر ، ومقام القوة المعنوية في الانتصار ، وأحكام غنائم الحرب ومتى يكون الأسر ، واجتمع فيها الحكم الشرعي بحكمته ، وهي تذكر قصة غزوة بدر ، وبعض ما كان قبلها ، وما جاء في أعقابها من الإشارة الى سببها . وهو إخراج المشركين للنبي من مكة . ويذكر سبحانه فيها الاستعداد للحرب ، ووجوب السلم ، إن جنحوا لها . وتختتم السورة الكريمة ببيان ولاية المؤمنين بعضهم لبعض ، ووجوب هجرة المؤمنين من أرض يستذلون فيها ، ليجاهدوا مع أوليائهم من المؤمنين في سبيل عزة الإسلام وعزتهم .

* * *

١ - أخرج النبي من مكة مهاجرا بسبب مكر المشركين وتديبرهم أمر قتله ، وليكون للمسلمين دولة ، واستقر بالمدينة حيث النصر ، وكان لابد من الجهاد لدفع الاعتداء ، لكيلا يفتن أهل الإيمان ، فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها النصر المبين والغنائم ، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل في توزيعها . يسألونك عن الغنائم : ما مالها ولن تكون ؟ وكيف تقسم ؟ فقل لهم أيها النبي : إنها لله والرسول ابتداء ، والرسول بأمر ربه يتولى تقسيمها ، فاتركوا الاختلاف بشأنها واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم وأصلحوا ما بينكم ، فاجعلوا الصلات بينكم محبة وعدلا ، فان هذه صفة أهل الإيمان .



إِٰمَنَّا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَادِرُوهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ

٢ - ان المؤمنين حقا وصدقا يستشعرون دائما خوف الله وطاعته ، فاذا ذكر سبحانه فزعت قلوبهم ، وامتلات هيبة ، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد ايمانهم رسوخا ، وازدادوا إذعانا وعلمها ، ولا يعتمدون إلا على الله الذي خلقهم ويحييهم ويميتهم .

٣ - وأولئك المؤمنون الصادقون في الايمان ، يؤدزون الصلاة مستوفية الأركان ، كاملة الخشوع والخضوع ، ليكونوا على تذكّر الله دائما ، وينفقون مقادير من المال الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى في الجهاد والبر ومعاونة الضعفاء .

٤ - ان هؤلاء المتصفين بتلك الصفات ، هم الذين يوصفون بالايمان حقا وصدقا ، ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله ، وهو الذي يمنحهم سبحانه رضاه ، ويغفر لهم هفواتهم ويرزقهم سبحانه رزقا طيبا في الدنيا ، ونعيا دائما في الآخرة .

٥ - وان النصر بيد الله ، ومقاليد الأمور اليه ، وان حال المؤمنين في خلافهم حول الفنائم كحالهم عندما أمرك الله بالخروج لقتال المشركين بيد ، وهو حق ثابت ، فان فريقا من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين كراهيتهم .

٦ - يناظر ك أولئك الفريق ، ومحاولون أن ينصروا قولهم في الأمر الحق وهو الخروج للجهاد ، اذ كانوا مع اخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة إلى الشام ، فلم يدركوها ، فآثر هذا الفريق العودة من بعد ماتين أنهم منصورون ، لإعلام النبي لهم ، ولذعر المشركين منهم ، ولشدة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه ، وكانوا في ذهابهم إليه كالذي يساق الى الموت وهو ينظر أسبابه ويعانيها .



يَكَلِّمَنَّهُ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلَعَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَنِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَرُبَّ فَاضِرٍ بَوًّا

٧ - واذكروا أيها المؤمنون وعد الله تعالى لكم أن ينصركم على إحدى الطائفتين التي فيها الشوكة والقوة ، وأنتم تودون أن تدركوا الطائفة الأخرى التي فيها المال والرجال ، وهي قافلة أبي سفيان ، فاخترتم المال ولا شوكة فيه ! ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بإرادته وقدرته وكلماته المعلنة للإرادة والقدرة ، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين^(١) .

٨ - ليثبت الحق ويزيل الباطل ، ولو كره ذلك الكافرون الذين أجرموا في حق الله ، وفي حق المؤمنين وفي حق أنفسهم .

٩ - اذكروا أيها المؤمنون - وأنتم تتقاسمون الغنائم وتختلفون - الوقت الذي كنتم تتجهون فيه إلى الله تعالى ، طالبين منه الغوث والمعونة ، إذ كتب عليكم أنه لا خلاص من القتال ، فأجاب الله دعاءكم ، وأمدكم بالأرواح الطاهرة الكثيرة التي تبلغ الألف متتابعة ، يجيء بعضها وراء بعض^(٢) .

١٠ - وما جعل الله تعالى ذلك الامداد بالأرواح الطاهرة إلا بشارة لكم بالنصر ، لتطمئنوا وتقدموا ، والله يعينكم والنصر لا يجيء إلا بمعونة الله القوى الغالب ، الذي يضع الأمور في مواضعها بمقتضى علمه الذي لا يغيب عنه شيء .

١١ - اذكروا أيها المؤمنون ، وقت أن خفتم من قلة الماء ، ومن الأعداء ، فوهبكم الله الأمن ، وأصابكم النعاس فنمتم آمنين ، وأنزل الماء من السماء لتطهروا به ولتذهبوا وساوس الشيطان عنكم ، وثبت قلوبكم واثقة بعون الرحمن . ولتتماسك به الأرض فتثبت الأقدام^(٣) .

(١) تتناول الآيات الكريمة ما يجيش في النفوس أثناء القتال من غنى ملاقاته قلة من العدو وكره ملاقاته العدد الكثير والرغبة في إصابة المال والغنائم دون ملاقاته الكارهة بينا يريد الله تعالى إعلاء الدين وإظهار الحق واستئصال الكافرين .

(٢) لما علم مقاتلو المؤمنين أن لا محيص عن القتال أخذوا يستغيثون بالله تعالى للنصر فاستجاب الله تعالى لهم وأمدهم بألف من الملائكة متتابعين أي بدأ الأمر بإرسال مقدمة تليها باقي القوات وهو ما يعمل به حالياً عند إرسال قوات التعزيز لجنود المقاتلين في ميادين القتال إذ تنص المبادئ الحديثة على إرسال الامدادات أفواجا متتابعة حتى يسهل توجيه كل فريق إلى مكانه في المعركة دون تعطل أو ازدحام وعندما تصل التعزيزات للقوات المقاتلة تتجهج النفوس وتعلو الروح المعنوية وهو ما أراده الله سبحانه وتعالى بقوله : وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم . والنصر دائماً من عند الله .

(٣) تتناول الآية الأولى فضل الله تعالى على المقاتلين المؤمنين من الحصول على الأمن في راحة النوم ونزول المطر للطهارة والاعتسال =

فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَآخَرُوبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُنْسِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

١٢ - اذكروا أيها المؤمنون أن الله أوحى للأرواح الطاهرة أن تودع في نفوسكم أنى معكم بالتأييد والنصر، قائلاً لهم: قووا قلوب الذين آمنوا وأذعنوا للحق وجاهدوا في سبيل الله، وسأجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين، فيفزعون هم دونكم، فاضربوا أيها المؤمنون رهوسهم التي فوق أعناقهم، وقطعوا أصابعهم التي يحملون بها السيوف.

١٣ - كان ذلك النصر والتأييد لكم، والرعب والفرع لهم، لأنهم تحدوا الله ورسوله، فكانوا في جانب والله ورسوله في جانب آخر، ومن يحاد الله ورسوله فانه ينزل به العذاب الأليم لأن عقاب الله شديد.

١٤ - ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فذوقوه مع اليقين بالنصر والتأييد وان للجاحدين بآياته عقاباً آخر يوم القيامة، هو عذاب النار.

١٥ - أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له، اذا التقيتم بالذين كفروا في الميدان، وهم زاحفون عليكم بكثرتهم، فلا تفروا منهم وتجعلوا ظهوركم أمام سيوفهم.

١٦ - ومن لا يلاقهم وجها لوجه فارا منهم، فان الله يغضب عليه، ومصيره الى النار، وهى أسوأ مصير لكم، ومن لا يلاقهم بوجهه كيدا ومهارة حربية، أو يترك طائفة لينحاز الى طائفة أخرى من المؤمنين، لتكون قوة للقاء فانه لا إثم عليه.

وتلبذ الرمل نتيجة وجود الماء فثبت عليه الاقدام ومن المعروف ان الرمال الناعمة تسبب تعباً للمقاتلين وتعتبر عائقاً يحول دون خفة الحركة التي هي من مبادئ الحرب الرئيسية وتتناول الآية الثانية خطاب الله تعالى للملائكة بتثبيت المؤمنين والقضاء الرعب في قلوب الكافرين، والمعروف ان الرعب اذا استولى على الجنود في الميدان اصليهم بالفشل، وفي الآية الكريمة اشارة الى مكان الاصابة المهلكة وهى في أعلى الرقبة وقطع الأطراف حتى يسقط السلاح من اليد.

وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيَّلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلََاءٌ حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيهُ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَإِنْ تُعِيدُوا نُعَدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ
 فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ
 وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ
 الصُّمُّ الْبُكْرُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۚ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

١٧ - اذا كنتم أيها المؤمنون قد انتصرتهم عليهم ، وقتلتم من قتلتم منهم ، فانكم لم تقتلوهم بقوتكم ، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم ، بتأييده لكم وإلقاء الرعب فى قلوبهم ، وما ربيت أيها الرسول اذ كنت ترمى التراب والحصى فى وجوههم افزاعا لهم ، ولكن الله تعالى هو الذى رمى فأفزعهم الرمي ، وكان ذلك لينعم الله على المؤمنين نعمًا حسنة ، منها الابتلاء بالشدة ، ليظهر اخلاصهم ، وأن الله عليم بأمورهم ، سميع لأقوالهم ، وكذلك هو عليم بأمور اعدائهم وأقوالهم .

١٨ - ذلك هو النصر العظيم ، مع أن الله تعالى مضعف لكل تدابير الكافرين .

١٩ - ان كنتم أيها المشركون تعلقون بأستار الكعبة ، طالبين الفصل بينكم وبين المؤمنين ، فقد جاءكم الأمر الفاصل ، وليس نصرا لكم ، بل هو نصر للمؤمنين ، وان تعودوا الى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة ، ولن تغنى عنكم جماعتكم المؤلفة على الانتم شيئا ! ولو كان العدد عندكم كثيرا ! فان الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له .

٢٠ - يأيها الذين صدقتم بالحق وأذعنتم له ، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله ، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول ، ولا تعرضوا عن دعوة الرسول الى الحق وأنتم تسمعون وتعون مايقول .

٢١ - ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا : سمعنا الحق ووعيناه ، لكنهم لا يذعنون له ولا يؤمنون به ، فكانوا كغير السامعين .

٢٢ - ان أولئك المشركين ، والمنافقون معهم ، هم كشر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسمع ، وبالبكم فلا تتكلم ، فهم صموا عن الحق ، فلم يسمعه ولم ينطقوا به ولم يعقلوه !! .

٢٣ - ولو علم الله بعلمه الأزلى أن فيهم ، وهم بهذه الحال ، ما يكون خيرا لأنفسهم وللناس وللحق ، لأسمعهم سماع هداية يوصل الحق الى عقولهم ، ولو سمعوه وفهموه لانصرفوا عن الاهتداء ، وحال الاعراض الآن لاتفارقهم لغلبة الهوى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخَطَفَكُمُ النَّاسُ فَعَاوَنُكُمْ وَأَيَّدُكُمْ بِبَنَصِرِهِ ۖ وَزَادَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

٢٤ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صدقوا بالحق وأذعنوا له ، أجبوا الله في اتجاه قلبى الى ما يأمركم به ، وأجبوا الرسول في تبليغه ما يأمر به الله ، اذا دعاكم الرسول الى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم ، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى قائم على قلوبكم ، بوجهها كما يشاء فيحول بينكم وبين قلوبكم اذا أقبل عليها الهوى ، فهو منقذكم منه ان اتجهتم الى الطريق المستقيم ، وانكم جميعا ستجتمعون يوم القيامة فيكون الجزاء .

٢٥ - واجعلوا وقاية بينكم وبين الذنب العظيم الذى يفسد جماعتكم ، كالامتناع عن الجهاد ، وكالاشقاق ، وكالامتناع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فان ذلك الذنب لا يصيب الذين ظلموا وحدهم ، بل يصيب الجميع ، واعلموا علما جازما أن عقاب الله شديد في الدنيا والآخرة .

٢٦ - وتذكروا أيها المؤمنون في حال قوتكم ، وقت ان كنتم عددا قليلا ، وضعفاء يستغل اعداؤكم ضعفكم ، وقد استولى عليكم الخوف من أن يتخطفكم اعداؤكم ، فهاجرتم بأمر الله وجعل من يثرب مأوى لكم ، وكان لكم النصر بتأييده وتوفيقه ، ورزقكم الغنائم الطيبة رجاء أن تشكروا هذه النعم ، فتسيروا في طريق الجهاد لإعلاء كلمة الحق .

٢٧ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صدقوا بالحق ، وأذعنوا له ، لا يصح أن تكون منكم خيانة لله ورسوله بموالاة أعداء الحق ، أو بالخيانة في الغنائم ، أو بالقعود عن الجهاد ، ولا تحنونوا في الأمانات التى تكون بينكم ، وأنتم تعلمون أوامره ونواهيه .

٢٨ - واعلموا أيها المؤمنون الصادقون أن فتنه نفوسكم تجيء من فرط محبتكم لأولادكم ، فلا تغلبوا بحبة المال والولد على محبة الله تعالى ، فان ذلك يفسد أموركم . واعلموا أن ثواب الله عظيم يميزكم عن المال والولد .

إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ
آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا
كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا

٢٩ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِالْحَقِّ وَأَذَعُوا لَهُ ، إِنْ تَخَضَعُوا لِأَمْرِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ ، يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
أَنْفُسِكُمْ قُدْرَةً تَفَرِّقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَيَهَبُكُمْ نَصْرًا لِيُفْصَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمْ ، وَيَسْتَرِ سَيِّئَاتِكُمْ فَتَذْهَبُ
وَيُغْفِرَ لَكُمْ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ دَائِمًا .

٣٠ - وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، إِذْ يَمْكُرُ الْمُشْرِكُونَ لِلْإِقْبَاعِ بِكَ : أَمَا بَأْسٌ يُجَسِّسُوكَ ، وَأَمَا بَأْسٌ يَقْتُلُوكَ ،
وَأَمَا بَأْسٌ يُخْرِجُوكَ ! أَنَّهُمْ يَدْبُرُونَ لَكَ التَّدْبِيرَ السَّيِّئَ ! وَاللَّهُ تَعَالَى يَدْبُرُ لَكَ الْخُرُوجَ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَتَدْبِيرُ اللَّهِ هُوَ الْخَيْرُ
وَهُوَ الْأَقْوَى وَالْغَالِبُ .

٣١ - وَاذْكُرْ ، أَيُّهَا النَّبِيُّ ، مُعَانَدَةَ الْمُشْرِكِينَ عِنْدَمَا كُنْتَ تَقْرَأُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهِيَ آيَاتُنَا ، فَيَذْهَبُ بِهِمْ
فِرْطُ الْجَهْلِ وَالْفِرَارُ إِلَى أَنْ يَقُولُوا : لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ لَقُلْنَا ، فَاهُوَ إِلَّا مَاسْطَرُهُ الْأَوَّلُونَ مِنْ
قِصَصٍ ! .

٣٢ - وَاذْكُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ ذَهَبُوا فِي مُحَادَثِكَ وَمُحَادَّةِ اللَّهِ أَنْ قَالُوا مُعَانِدِينَ مُوجِّهِينَ الدَّعَاءَ اللَّهُ رَيْبَهُمْ : إِنْ كَانَ
مُتَّحِيًا بِهِ هُوَ الْأَمْرُ الثَّابِتُ ، فَاجْعَلِ السَّمَاءَ تَمْطُرُ حِجَابًا ، أَوْ أَنْزِلْ عَذَابًا شَدِيدًا أَلِيمًا .

٣٣ - وَمَا كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِعَذَابٍ شَدِيدٍ وَأَنْتَ فِيهِمْ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ رَاجِيًا أَجَابَتِهِمْ ،
وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَ الْعَصَاةَ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَيَقْلَعُونَ عَمَاهُمْ فِيهِ .

٣٤ - وَإِنْ حَالَهُمُ الْقَائِمَةُ الْآنَ تَسْوِغُ تَعْذِيبَهُمْ ، لِأَنَّهُمْ يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الْمَسْجِدِ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ الْقِتَالَ حَوْلَهُ ،
وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمُ اللَّهُ لِمَا قَدَرَهُ فِي عِلْمِهِ مِنْ إِيْمَانِ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ ، وَإِنَّهُمْ فِي حَالِهِمْ هَذِهِ لَيْسُوا نَصْرَاءَ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ
الْمَكْرَمِ ، لِأَنَّهُمْ دَنَسُوهُ بِالْوِثْنِيَّةِ وَإِنَّمَا نَصْرَاؤُهُ الْحَقِيقِيُّونَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الطَّائِعُونَ لِلَّهِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الدِّينَ ، وَلَا مَقَامَ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْكَرِيمِ .

مُكَاءً وَتَصَدِيْعَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنِ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلٰكُمْ نِعَمَ الْمَوْلٰ وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ نِصْبَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

٣٥- وما كان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم الا صغيرا وصفقا بالايدي ، واذا كان تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه في ميدان القتال ، لينزاح الشرك عن البيت ، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم .

٣٦- ان هؤلاء الذين جحدوا بالآيات وأشركوا بالله ، ينفقون أموالهم لينعوا الناس عن الايمان بالحق ، وهم سينفقونها ، ثم تكون الأموال بسبب ضياعها عليهم من غير جدوى موجبة للندم والألم ، وسيغلبون في ميدان القتال في الدنيا ، ثم يجمعون الى جهنم في الآخرة ان استمروا على كفرهم .

٣٧- وان الهزيمة في الدنيا ، والعذاب بالنار في الآخرة ، ليفصل الله الخبيث النفس والفعل والقول عن الطيب في نفسه وقلبه وقوله وفعله ، وليجعل الخبيث بعضه فوق بعض ، فيجمعه ويضم أجزاءه ويجعله في النار يوم القيامة ، وأولئك المشركون المفسدون هم الخاسرون وحدهم في الدنيا والآخرة .

٣٨- وإن باب الرجاء مفتوح مع هذا التهيب ، فقل ، يابني الرحمة ، هؤلاء الجاحدين إنهم إن ينتهوا من العناد والاشراك فان الله يغفر لهم ماسبق من أفعالهم . وان استمروا على ضلالهم وعادوا الى قتالكم ، فقد تقرررت الطريقة الحققة في الأولين ، وهي نصر الحق على الباطل ، ان التزم أهل الحق الطاعة وسبيل النصر .

٣٩- واستمروا في قتال المشركين حتى يمتنعوا عن افسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى ، فان انتهوا عن الكفر وايداء المؤمنين ، وخلص الدين لله ، فان الله تعالى عليم بأفعالهم ومجازيهم عليها^(١) .

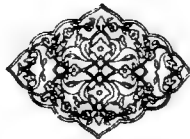
٤٠- وان استمروا على اعراضهم وايدائهم للمؤمنين ، فاعلموا أيها المؤمنون أنكم في ولاية الله ، وهي أحب ولاية وأقواها ، وهو ناصركم ، ونصرته أقوى نصرة وأعظمها .

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ
الْحَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ
وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَدِ وَلَٰكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ
حَىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفِشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ

٤١ - واعلموا ، أيها المسلمون ، أن ماظفرتم به من مال الكفار فحكمه أن يقسم خمسة أخماس ، خمس منها لله وللرسول ولقراة النبي واليتامى ، وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم وهم فقراء ، والمساكين ، وهم ذوو الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل ، وهو المنقطع في سفره المباح . والمخصص من خمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التي يقررها الرسول في حياته ، والامام بعد وفاته ، وباقي الخمس يصرف للمذكورين . واما الأخماس الأربعة الباقية من الغنيمة ، وسكت عنها الآية ، فهي للمقاتلين ، فاعلموا ذلك ، واعملوا به ان كنتم آمنتم بالله حقا ، وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد ، يوم الفرقان الذي فرقنا فيه بين الكفر والايمان ، وهو اليوم الذي التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر ، والله عظيم القدرة على كل شيء ، وقد نصر المؤمنين مع قتلهم وخذل الكافرين مع كثرتهم .

٤٢ - واذكروا حين كنتم في الوادي بأقرب الجانين من المدينة ، وهم بأبعد الجانين ، وركب التجارة الذي تطلبونه أقرب اليكم مما يلي البحر ، ولو تواعدتم أنتم على التلاقي للقتال لما اتفقتم عليه ، ولكن الله دبر تلاقيكم على غير موعد ولا رغبة منهم . لينفذ أمرا كان ثابتا في علمه أنه واقع لا محالة ، وهو القتال المؤدى الى نصركم وهزيمتهم ، لتقطع الشبهات ، فيهلك الهالكون عن حجة بينة بالمشاهدة ، وهي هزيمة الكثرة الكافرة ، وبحيا المؤمنين عن حجة بينة ، وهي نصر الله للقلة المؤمنة . إن الله لسميع عليم لا يخفى عليه شيء من أقوال الفريقين ولا نياتهم .

٤٣ - واذكر ، أيها الرسول ، حين تفضل الله عليك ، فصور لك في منامك جيش الأعداء في قلة ليطمئنكم على أنكم ستغلبونهم ، فتثبتوا أمام جمعهم ولو ترككم ترونهم كثيرا ، دون أن يثبتكم بهذه الرؤيا ، لهبتموهم ، ولترددتم في قتالهم ، ولعجزتم ، وكان النزاع في الاقدام وعدمه ، ولكن الله سلم من ذلك ونجى من عواقبه ، انه عليم بما في القلوب التي في الصدور .



فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ لَا دِينَ لَهُمْ

٤٤ - واذكر، أيها الرسول، حينما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقي قلة في أعينكم، كما يظهركم الله في أعين أعدائكم قلة، ولما في أنفسهم من الغرور بالكثرة، ليقدم كل منكم على قتال الآخر، فيتم تنفيذ أمر علمه الله، وكان لابد أن يتم، وإلى الله ترجع أمور العالم كله، فلا ينفذ إلا ما قضاه وهياً أسبابه.

٤٥ - يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم جماعة مقاتلة من أعدائكم فاثبتوا ولا تفروا واذكروا الله متمثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين، مكثرين في ذلك الذكر مع الثبات والصبر، فانكم ان فعلتم ذلك كان رجاؤكم للفلاح محققاً (١).

٤٦ - وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيتم عنه، ودعوا التنازع والاختلاف، فإنها مدعاة الى ضياع القوة والى العجز، واصبروا على ما تلقون من مكاره الحرب، فان الله مع الصابرين بالعون والتأييد والتثبيت وحسن الجزاء.

٤٧ - ولا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم، مغرورين بما لهم من قوة ونعمة، فماخرين ومتظاهرين بها أمام الناس، يزدون الثناء عليهم بالشجاعة والغلبة، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والاسلام، والله محيط بأعمالهم علماً وقدره، وسوف يجازيهم عليها في الدنيا والآخرة.

٤٨ - واذكروا، أيها المسلمون، حينما حسن الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته، قائلاً لهم: انه لا يستطيع أحد من الناس أن يغلِبهم، ويؤكد لهم أنه يجبر لهم! فلما تقابل الفريقان في الحرب بطل كيدهم ووسوسته ورجع مدبراً، وتبرأ منهم، وخاف ان يهلكه الله، والله شديد العقاب على الذنوب.

(١) في الآيات الكريمة تنبيه لضرورة الثبات في وجه العدو وان العبد ينبغي الا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ الى الله عند الشدائد، وفي ذلك أيضاً تنبيه الى أهمية التدين والايان في رفع الروح المعنوية والثبات وفي الآيات أيضاً ايضاح لأهمية الطاعة وتنفيذ ما أمر الله ورسوله به حتى لا يدب الفشل نتيجة الفرقه كما ينبغي عدم التفاخر والتباهي بالعظمة والانصراف الى التظاهر بالشجاعة والساحة والرياء.

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَانُوا

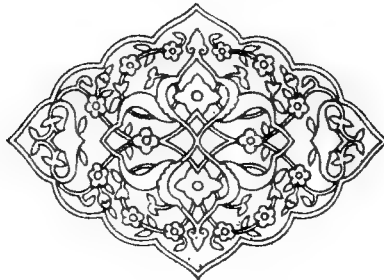
٤٩ - واذكر، أيها الرسول، حينما يقول المنافقون من الكفار وضعفاء الإيمان عند رؤيتكم في إقدامكم وثباتكم :
 غر هؤلاء المسلمين دينهم !! وان من وكل الى الله أمره مؤمنا به معتمدا عليه ، فان الله يكفيه ماأهمه ، وينصره على
 أعدائه ، لأن الله قوى السلطان حكيم في تدبيره .

٥٠ - ولو ترى ، أيها الرسول ، ذلك الهول المظير ، الذى ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوافهم الملائكة فيزعون
 أرواحهم ، وهم يضربونهم من امام ومن خلف ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة !! .

٥١ - وان الله ليس ظالما لعبيده في تعذيبهم على ما ارتكبهوه ، بل ذلك هو العدل ، لأنه لا يستوى المسىء
 والمحسن ، فعقابه على ما اقترفوا من أعمال سيئة .

٥٢ - ان عادة هؤلاء المشركين وشأنهم في الكفر ، كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم . جحدوا منهم بآيات
 الله ، فعذبهم الله على ذنوبهم ، وهو غير ظالم لهم . ان الله قوى في تنفيذ حكمه ، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه .

٥٣ - وهذا عدل في الجزاء ، بسبب ان الله لا يغير نعمة أنعم بها على قوم ، كنعمة الأمن والرخاء والعافية ،
 حتى يغيروا هم ما بأنفسهم من الأحوال والأسباب ! وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون .



ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا تَشَقَّقَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

٥٤ - وكما أن دأب هؤلاء في الإنكار لآيات الله ونعمه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فإن دأبهم وشأنهم في الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم ، كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فالشبه بينهم في الكفر بالآيات ، وجحود رسالة الرسل ، وتكذيبهم ، وفي الاستمرار على ذلك . فكلما أخذ الله بذنبه أولئك بالصواعق والرياح ونحوها ، وآل فرعون بالفرق ، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم ، واستحقوا ما نزل بهم من العقاب .

٥٥ - ان شر ما يدب على وجه الأرض عند الله في حكمة وعدله ، هم الكفار المصرون على كفرهم .

٥٦ - الذين عقدت معهم العهود والمواثيق ، ولا يزالون ينقضونها مرة بعد مرة ، وهم اليهود لا يردعهم عن ذلك تعظيم الله ، ولا خوف من نعمته وعذابه .

٥٧ - فان تدرك أيها الرسول ، هؤلاء الناقضين لعهدهم ، وتصادفهم في الحرب ظافرا بهم ، فنكل بهم تنكيلا يسوؤهم ويخيف من وراءهم ، فتفرق جموعهم من خلفهم . فذلك التنكيل أرجى لتذكيرهم بنقض العهود . ولدفع غيرهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه هؤلاء (١) .

٥٨ - وان تتوقع من قوم خيانة بأمارات تنبئ بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد ، فاقطع عليهم طريق الخيانة لك ، بأن تعلن فسخك لعهدهم ، حتى يكونوا على علم بأمرك ، وحتى لا يستطيعوا خيانتك ، إن الله لا يحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم .

٥٩ - ولا يظن الذين كفروا أنهم سبقوا ونجوا من عاقبة خيانتهم وغدرهم ! انهم لا يعجزون الله عن الاحاطة بهم ، بل هو القادر وحده ، وسيجزئهم بقوته وعدله .

(١) في الآيات الكريمة تحذير من الذين يعاهدون ثم ينقضون العهد هؤلاء يجب التنكيل بهم ومن وراءهم وفي الآية بيان لأهمية تدمير مؤخرة العدو وهو أسلوب من أساليب القتال الحديثة لأن إيقاع الاضطراب في مؤخرة العدو كفيل بإرباكه ودفعه الى توزيع جنوده لحماية مؤخرته وفي هذا تفكيك لقوته .

يضاف الى ذلك ان في المناطق الخلفية من ميادين القتال توجد المنشآت الادارية التي تعتمد عليها القوات في الاعاشة ووقوع الاضطراب في هذه الانحاء يؤدي الى عدم انتظام القوات وبالتالي الى إيقاع الهزيمة بالعدو .

وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾
 * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَلْبُورُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۚ وَإِنْ

٦٠ - وأعدوا يا معشر المسلمين لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال ، ومن المرابطين في الثغور وأطراف البلاد بخيلهم ، لتخيفوا بهذا الاعداد والرباط عدو الله وعدوكم ، من الكفار المتربصين بكم الدوائر وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم . لأنه لا يخفى عليه شيء . وكل ما أنفقت من شيء في سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه الله ، فان الله يجزيكم عليه جزاء وافيا ، دون أن ينقصكم منقال ذرة مما تستحقون من فضل ربيكم^(١) .

٦١ - وان مال الأعداء عن جانب الحرب الى جانب السلم ، فاجنح لها أيها الرسول ، فليست الحرب غرضا مقصودا لذاته عندك انما أنت قاصد بها الدفاع ، لعدوانهم ، وتحديهم لدعوتك . فاقبل السلم منهم ، وتوكل على الله ، ولا تخف كيدهم ومكرهم انه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به ، العليم بما يدبرون ويأتمرون ، فلا يخفى عليه شيء^(٢) .

٦٢ - وإن أرادوا من تظاهرهم بالجنوح الى السلم خدعة ومكرا بك ، فان الله يكفيك أمرهم من كل وجه ، وقد سبق له أن أيدك بنصره ، حين هيا لك من الأسباب الظاهرة والخفية مائت به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار .

٦٣ - وجمع بينهم على الهبة بعد التفرق والتعادي ، فأصبحوا ملتفين حولك ، باذلين أرواحهم وأموالهم في سبيل دعوتك ، وانك لو أنفقت جميع ما في الأرض من الأموال والمنافع ، في سبيل هذا التأليف ، لما أمكنك أن تصل اليه ، لأن القلوب بيد الله ، ولكن الله ألف بينهم ، بهدايتهم الى الايمان والهبة والاخاء ، وانه تعالى قوى غالب ، يدبر أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم .

٦٤ - يا أيها النبي كفاك وكفى أتباعك المؤمنين أن الله لكم ناصرا ومؤيدا .

(١) في الآية الكريمة حث صريح وأمر على الاستعداد للاقتاة العدو فالجواب قديما وحديثا أمر خطير جليل تتوقف عليه مصائر الامم لذلك فهي جديرة بالتحضير والتجهيزات والاعداد في مختلف نواحي العدد والقوة والعتاد ودخول الحرب دون تجهيز واعداد يسبب الفضل ونحن نرى الدول الآن تستعد في وقت السلم للحرب وتبنى سياستها واستراتيجيتها وتعبيء جميع مواردها للحصول على النصر في الحرب . والحرب الآن شاملة يشترك فيها الشعب والجيش وهي بذلك أولى باعداد كل منها اعدادا شاملا يضمن النصر .
 (٢) مبدأ عظيم من مبادئ الاسلام دين السلام ونحن الان نسمع كل دول العالم تنادي بالسلام ولذا انشئت هيئة الأمم المتحدة .

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا آلَ الْفَاقِمِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا آلَ الْفَاقِمِ بِالَّذِينَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَبْغِضَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ بِنَآيِهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ

٦٥ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَثِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرَغْبِهِمْ فِيمَا وَرَاءَهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لِنَقْوَى بِذَلِكَ نَفْسَهُمْ وَانَّهُ إِنْ يَوْجَدُ مِنْكُمْ عَشْرُونَ مُعْتَصِمُونَ بِالْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ وَالطَّاعَةِ ، يَغْلِبُوا مَائَتِينَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَدْرِكُونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ ، فَلَيْسَ لَهُمْ إِيمَانٌ وَلَا صَبْرٌ وَلَا مَطْمَعٌ فِي ثَوَابٍ ..

٦٦ - وَإِذَا كَانَ وَاجِبُكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنْ تَصْبِرُوا عَلَى مُلَاقَاةِ أَعْدَائِكُمْ فِي حَالِ قُوَّتِكُمْ ، وَلَوْ كَانُوا أَمْنَالَكُمْ ، فَقَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَيْرِ حَالِ الْقُوَّةِ أَنْ تَصْبِرُوا أَمَامَ مِثْلِيكُمْ فَقَطْ مِنَ الْأَعْدَاءِ لَعَلَّمَهُ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا يَقْتَضِي التَّيْسِيرَ عَلَيْكُمْ وَالتَّرْخِيفَ لَكُمْ ، بَعْدَ أَنْ تَثَبَّتْ هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ فِي نَفُوسِ الْكُفَّارِ ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ مُجَاهِدٍ صَابِرٍ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَمَعُونَتِهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ (١) .

٦٧ - لَا يَسُوغُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى يَحْتَجِزُهُمْ ، أَوْ يَأْخُذَ مِنْهُمْ الْفِدَاءَ أَوْ يَمْنَعَهُمْ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ ، حَتَّى يَتَغَلَّبَ ، وَيُظْهِرَ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَيُثْقَلَهُمْ بِالْجِرَاحِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُوا قِتَالًا فِي الْأَرْضِ ، وَلَكِنْكُمْ ، بِاجْمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، سَارِعَتُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ إِلَى اتِّخَاذِ الْأَسْرَى قَبْلَ التَّمَكُّنِ فِي الْأَرْضِ ، تَرِيدُونَ مَنَافِعَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ لَكُمْ الْآخِرَةَ ، بِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْحَقِّ ، وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا يَشْغَلُكُمْ عَنِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ قَوِي قَادِرٌ غَالِبٌ ، يَدْبِرُ الْأُمُورَ لَكُمْ عَلَى وَجْهِ الْمُنْفَعَةِ .

٦٨ - لَوْلَا حُكْمٌ سَابِقٌ مِنَ اللَّهِ بِالْعَفْوِ عَنِ الْمُجْتَهِدِ الْمُخْطِئِ لِأَصَابِكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ كَبِيرٍ بِسَبَبِ مَا تَعَجَّلْتُمْ بِهِ .

٦٩ - فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ مِنَ الْفِدَاءِ حَلَالًا لَكُمْ غَيْرَ خَبِيثٍ الْكَسْبِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي كُلِّ أَمُورِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْغَفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا أَنَابَ إِلَى رَبِّهِ .

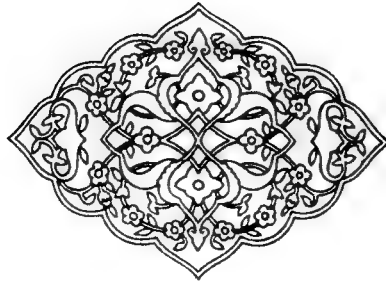
(١) فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بَيَانٌ لِأَهْمِيَّةِ الْعَفِيدَةِ الرَّاسِخَةِ وَالْإِيمَانِ فِي الْحَرْبِ فَلَيْسَ الْمُهْمُ الْعَدُوُّ وَإِنَّمَا الْقُوَّةُ قُوَّةُ الرُّوحِ الْمُقَاتِلَةِ وَإِيمَانُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ أَمْرٌ وَاضِحٌ فِي جَمِيعِ الْحُرُوبِ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ . وَكَمْ مِنْ قِتَّةٍ قَلِيلَةٍ قُوَّةِ الْإِيمَانِ بِقَضِيَّتِهَا غَلَبَتْ قِتَّةً كَبِيرَةً وَاهِيَةً وَلَا تُؤْمِنُ بِقَضِيَّتِهَا الْخَاسِرَةَ . وَفِي الْآيَاتِ أَيْضًا بَيَانٌ لَوْضَعِ الْقَائِدِ فِي الْمَعْرَكَةِ فَنَ وَاجِبَاتِهِ تَنْظِيمٌ وَدَفْعُ جُنُودِهِ وَتَحْرِيطُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَبِدْخُلِهِ فِي ذَلِكَ إِنْ يَكُونُ أَسْوَأَهُمْ لَمْ وَانْ يَوْضَحُ لَهُمْ أَسَالِيبُ النَّصْرِ وَهَذَا وَذَلِكَ مِنْ وَاجِبِ كُلِّ قَائِدٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأَ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَدِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثْلٌ^٤ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

٧٠- يأيها النبي ، قل للذين وقعوا في أيديكم من الأسرى : ان يكن في قلوبكم خير يعلمه الله ، يخلف لكم خيرا مما أخذهُ المؤمنون منكم ، ويغفر لكم ماكان من الشرك والسيئات ، والله كثير المغفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه .

٧١- وان يريدوا خيانتك بما يظهر بعضهم من الميل الى الاسلام مع انطواء صدورهم على قصد مخادعتك ، فلا تبتشس ، فسيمكنك الله منهم ، كما خانوا الله من قبل باغخاذ الأنداد والشركاء والكفر بنعمته ، فأمكن منهم اذ نصرك عليهم في بدر ، مع التفاوت بين قوتك في القلة ، وقوتهم في الكثرة ، والله قوى غالب متصرف بحكمته فأمكن من نصره عباده المؤمنين .

٧٢- إن الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه ، وهاجروا من مكة ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والذين آووه في غربتهم ، ونصروا رسول الله يقاتلون من قاتله ، ويعادون من عاداه ، بعضهم نصراء بعض في تأييد الحق وإعلاء كلمة الله على الحق . والذين لم يهاجروا ، لا يثبت لهم شيء من ولاية المؤمنين ونصرتهم ، اذ لا سبيل الى ولايتهم حتى يهاجروا ، وان طلبوا منكم النصر على من اضطهدهم في الدين ، فانصروهم . فان طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم ، لم ينقضوا الميثاق معكم ، فلا تجيبوهم ، والله بانهملون بصير لا يخفى عليه شيء ، فقفوا عند حدوده لئلا تقفوا في عذابه .

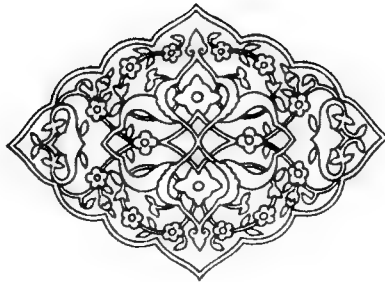


كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

٧٣ - والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل ، متعاونون في عداوتكم ، فلاتوالوهم ،
فان خالفتهم وواليتهم ، تقع الفتنة في صفوفكم والفساد الكبير في الأرض .

٧٤ - والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة الله ، هم الصادقو الايمان ،
والله تعالى يغفر لهم ، ولهم رزق كبير في الدنيا والآخرة .

٧٥ - والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيرا وجاهدوا مع السابقين ، فأولئك منكم يا جماعة المهاجرين
والأنصار ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم - فضلا عن ولاية
الإيمان - ولاية القرابة ، فبعضهم أولى ببعض في المودة والمال والنصرة والتأييد ، وقد بين ذلك في كتابه وهو العليم
بكل شيء .





بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسْجُوْا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا

سورة التوبة مدنية ، نزلت بالمدينة في العام التاسع ، وحملها على بن أبي طالب إلى المسلمين في الحج ، وقرأها عليهم ، وأمير الحج في هذا العام أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وآياتها تسع وعشرون ومائة ، وقد ابتدأت ببراءة الله تعالى من المشركين ، ولذلك سميت سورة براءة ، وذكرت بعد ذلك حرمة الأشهر الحرم ، وعهد المشركين ، ووجوب الوفاء مالم يبتكروا ، ومن ينكث في العهد فإنه يجب حربه ، وبينت بعد ذلك أن لب التقرب الى الله تعالى هو الايمان به ، وأنه لا يكمل الايمان إلا اذا كان الله ورسوله أحب الى المؤمنين من كل شئ وذكر سبحانه أن الاعتزاز بالقوة ، يبعد النصر وأشار الى حال المسلمين في غزوة حنين . وفي هذه السورة حرم على المشركين دخول المسجد الحرام ، لأنهم نجس .

وفيها النص على وجوب قتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد ، وبين فيها عدد الأشهر الحرم ، وفيها بينت ضرورة النفرة إلى القتال عند كل نداء من غير تلوؤ ، وفيها من بعد ذلك إشارات الى المخلفين والمعوقين عن الخروج للقتال ، وبيان أحوال المنافقين الذين يتغنون الفتنة في كل وقت تكون الدعوة فيه إلى القتال ، وذكر الله تعالى المنافقين في معاملتهم للمؤمنين في السلم وفي الحرب .

وفي هذه السورة الأمر القاطع المعلن لعقوبة النفاق ، وهو ألا يصلى النبي ﷺ على أحد منهم ، وذكر سبحانه بعد ذلك الأعداء التي تسوغ التخلف ، وبين سبحانه حال الذين أظهروا الدخول في الاسلام من الأعراب ، أو خضعوا لأحكامه بعد أن صارت له قوة ، وبين أن هؤلاء الأعراب مقيمون حول المدينة وقريبا منها .

وذكر من بعد ذلك أحوال الناس بالنسبة للايمان ، وذكر خبر مسجد الضرار الذى بناه المنافقون ليغضوا من المسجد الذى بناه رسول الله ﷺ ، ثم ذكر سبحانه أوصاف المؤمنين الصادقين في إيمانهم ، وتوبة الذين كانوا قد خلفوا عن رسول الله ﷺ ، وقبول الله تعالى لهذه التوبة ، كما ذكر سبحانه وتعالى أحوال الناس في تلقى آيات القرآن عند نزولها ، وختم سبحانه وتعالى السورة بأن الله تعالى اختار محمدا للرسالة وهو لا يريد عنت من أرسل اليهم ، وأنه بهم رموف رحيم ، وأن الله حسبه اذا تولوا عنه .

١ - الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدتموهم فنقضوا العهد .

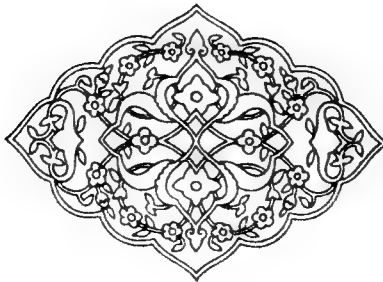
أَنْكَرُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ يُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ وَأَذَنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ
 أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ
 وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا
 عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِمِيثَاقِهِمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا
 الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَآخِصُّوهُمْ وَأَقْبِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرَصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ

٢ - فلکم الأمان أيها المشركون - مدة أربعة أشهر - من حين البراءة تنتقلون فيها حيث شئتم ، واعلموا أنكم حينئذ كنتم خاضعون لسلطان الله ، وأنتم لا تعجزونه ، وإن الله كاتب الخزي على الذين يمجّدونه .

٣ - وبلاغ من الله ورسوله إلى الناس عامة ، في مجتمعهم يوم الحج الأكبر ، أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين . فأيها المشركون الناقضون للعهد ، إذا رجعتكم عن شرككم بالله ، فإن ذلك خير لكم في الدنيا والآخرة ، أما إن أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه ، فاعلموا أنكم خاضعون لسلطان الله . أيها الرسول أُنذر جميع الكافرين بعذاب شديد الأيلام .

٤ - أما من عاهدتم من المشركين ، فحافظوا على عهودكم ولم يخلوا بشيء منها ولم يعينوا عليكم أحدا ، فأوفوا لهم عهدهم إلى نهايته واحترموه .. إن الله يحب المتقين المحافظين على عهودهم .

٥ - فإذا انقضت مدة الأمان - الأشهر الأربعة - فاقتلوا المشركين الناقضين للعهد في كل مكان ، وخذوهم بالشدة ، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق ، واقعدوا لهم في كل سبيل ، فإن تابوا عن الكفر . والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم في دين الله ، والله عظيم المغفرة لمن تاب ، واسع الرحمة بعباده .



كَلَّمَ اللَّهُ ثُمَّ أَبْلَغَهُ مَآمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ۚ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُمْ بِأَقْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ أَشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِأَخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفُصْلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ

٦ - وإن طلب منك الأمان ، أيها الرسول ، أحد من المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك ، فأمنه حتى يسمع كلام الله ، فإن دخل في الاسلام فهو منكم ، وإن لم يدخل فأبلغه مكانا يكون فيه آمنا . وهذا الأمر بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله بسبب ما ظهر من جهله للاسلام ، ورغبته في العلم به .

٧ - كيف يكون لهؤلاء المشركين ، الناقضين للعهد مرارا ، عهد محترم عند الله وعند رسوله ؟ فلا تأخذوا بعهودهم ، إلا الذين عاهدتموه من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم ، فاستقيموا أنتم لهم على عهدهم ماداموا مستقيمين ، إن الله يحب الطائعين له الموفين بعهودهم .

٨ - كيف تحافظون على عهودهم ، وهم قوم - إن يتمكنوا منكم ويكونوا ظاهرين عليكم - فلن يدخروا جهدا في القضاء عليكم ، غير مراعين فيكم قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء يمدعونكم بكلامهم المعسول ، وقلوبهم منطوية على كراحتكم ، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد .

٩ - أعرضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عرضا قليلا من أعراض الدنيا ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، إن هؤلاء قبيح ما كانوا يعملون .

١٠ - تلك حال جحودهم ، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهدا ، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء ، فهو مرض لازم لهم .

١١ - فإن تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الاسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهم اخوانكم في الدين ، لهم مالكم وعليهم ما عليكم ، ويبين الله الآيات لقوم ينتفون بالعلم .

إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُكُمْ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ أَخْشَوْهُمْ ۖ قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ
 وَيُسِفْ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
 وَلِجَمَّةٍ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ
 أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

١٢ - وإن نقضوا عهدهم من بعد توكيدها ، واستمروا على الطعن في دينكم ، فقاتلوا رؤساء الضلال ومن معهم ، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة ، لينتهوا عن كفرهم .

١٣ - هلا تسارعون ، أيها المؤمنون ، إلى قتال جماعة من المشركين ، نقضوا عهودكم مرارا ، وقد سبق أن هموا بإخراج الرسول من مكة وبقتله ، وهم الذين بدأوكم بالابذاء والعدوان من أول الأمر ، أخافوهم ؟ لا تخافوهم فإله وحده أحق بأن تخافوه ، إن كنتم صادقين في إيمانكم .

١٤ - قاتلوهم أيها المؤمنون ، يذقهم الله العذاب على أيديكم ، وينهم وينصركم عليهم ، ويشف بهزيمتهم وإعلاء عزة الاسلام ما كان من ألم كامن وظاهر بصدور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار .

١٥ - ويلاً الله قلوب المؤمنين فرحا بالنصر بعد الهم والخوف ، وينهم عنهم الغيظ ، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم ، والله واسع العلم بشئون عباده ، عظيم الحكمة فيما يشرع لهم .

١٦ - لا تظنوا أيها المؤمنون أن يترككم الله تعالى دون اختبار لكم بالجهاد ونحوه . إن من سنته تعالى الاختبار ، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين ، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء ، والله عليم بجميع أعمالكم ، ومحازيكم عليها .

١٧ - ليس المشركون أهلا لأن يعمرُوا مساجد الله ، وهم مستمرون على كفرهم ، معلنون له ، أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ولا ثواب لهم عليها ، وهم خالدون في النار يوم القيامة .



وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

١٨ - ولكن الذين يعمرن مساجد الله ، إنما هم الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأدوا الصلاة على وجهها ، وأخرجوا زكاة أموالهم ، ولم يخشوا الا الله وحده ، وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين الى الصراط المستقيم .

١٩ - لا ينبغي أن تجعلوا القائمين بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام من المشركين في منزلة الذين آمنوا بالله وحده ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وجاهدوا في سبيل الله . ذلك أنهم ليسوا بمنزلة واحدة عند الله . والله لا يهدي الى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم أنفسهم بالكفر وظلم غيرهم بالأذى المستمر .

٢٠ - الذين صدقوا بوحداية الله ، وهاجروا من دار الكفر الى دار الاسلام ، وتحملوا مشاق الجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات وهؤلاء هم الظافرون بمثوبة الله وكرامته .

٢١ - وهؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التي تشملهم ويخصهم برضاه ، وهو أكبر جزاء ، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم .

٢٢ - وهم خالدون في الجنة لا يتحولون عنها ، وان الله عنده أجر عظيم وثواب جزيل .

٢٣ - يأياها المؤمنون لا تتخذوا من آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم وأزواجكم ، نصراء لكم ، ماداموا يحبون الكفر ويفضلونه على الايمان ومن يستنصر بالكافرين ، فأولئك هم الذين تجاوزوا الطريق المستقيم .

وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

٢٤ - قل يأها الرسول للمؤمنين : إن كنتم تحبون آبائكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم ، وأقرباءكم ، وأموالا اكتسبتموها ، وتجارة تخافون بوارها ، ومساكن تستريحون للاقامة فيها أكثر من حاكم الله ورسوله والجهاد في سبيله ، حتى شغلتمكم عن مناصرة الرسول ، فانتظروا حتى يأتي الله بحكمه فيكم وعقوبته لكم . والله لا يهدي الخارجين على حدود دينه .

٢٥ - لقد نصركم الله أيها المؤمنون على أعدائكم في كثير من المواقع بقوة إيمانكم ، وحين غرتمكم كثرتكم في معركة حنين ترككم الله لأنفسكم أول الأمر ، فلم تنفعكم كثرتكم شيئا وظهر عليكم عدوكم ، ولشدة الفزع ضاقت عليكم الأرض ، فلم تجدوا سبيلا للقتال أو النجاة الشريفة ، ولم يجد أكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب ، ففرتم منهزمين ، وتركتكم رسول الله مع قلة من المؤمنين (١) .

٢٦ - ثم أدرتكم عناية الله ، فأنزل الطمأنينة على رسوله ، وملأ بها قلوب المؤمنين ، وأمدكم بالملائكة جنوده التي ثبتت أقدامكم ولم تروها ، فانتصرتكم .. وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة وذلك جزاء الكافرين في الدنيا .

٢٧ - ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه ، إذا رجع عنه مخلصا ، والله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

(١) كانت موقعة حنين بين المسلمين وقبيلتي ثقيف وهوازن وكان جيش المسلمين فيها يبلغ نحو اثني عشر الفا وعدد الكفار نحو أربعة آلاف وقد شددوا في القتال ، لأن القضاء عليهم قضاء على آخر نفوذ للوثنية في العرب . لأن مكة فتحت قبل ذلك بقليل وقد التقى الفريقان المؤمنون بكثرتهم وقد اعجبهم وأولئك بقلتهم العنيفة وكانت الجولة للشرك لفرور المسلمين ولكن انتهت المعركة بنصر المؤمنين ، والعبرة في هذه الغزوة ان الكثرة العددية ليست هي عامل النصر إنما عامل النصر هو القوة المعنوية .

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْتُمُ اللَّهَ أَلَيْسَ بِكُفْرَانٍ أَكْبَرُ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا

٢٨ - يأبى المؤمنون ، انما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم وهم ضالون في العقيدة ، فلا تمكنهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام (التاسع من الهجرة) . وإن خفتم فقرا بسبب انقطاع تجارتهم عنكم ، فإن الله سوف يعوضكم عن هذا ، ويغنيكم من فضله إن شاء ، إن الله عليم بشئونكم ، حكيم في تدبيره لها .

٢٩ - يأبى الذين آمنوا ، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إيمانا صحيحا بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء إقرارا صحيحا ، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الاسلام ، قاتلوهم حتى يؤمنوا ، أو يؤدوا اليكم الجزية (١) خاضعين طائعين غير متمردين . ليسهموا في بناء الميزانية الاسلامية .

٣٠ - ترك اليهود الوجدانية في عقيدتهم ، وقالوا : عزير (٢) ابن الله وترك النصارى الوجدانية كذلك فقالوا : المسيح ابن الله . وقولهم هذا مبتدع من عندهم ، يرددونه بأفواههم ولم يأتيهم به كتاب ولا رسول ، وليس عليه حجة ولا برهان ، وهم في هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم ، لعن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم ، عجبا لهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل .

(١) الجزية من الموارد الهامة في ميزانية الدولة الاسلامية وكانت هذه الضريبة تتراوح ما بين ثمانية واربعين درهما ، واثنى عشر درهما للفرد الواحد تؤخذ من اليهود والنصارى ومن في حكمهم وكانت واجبة على الذكر البالغ الصحيح الجسم والعقل بشرط ان يكون له مال يدفع منه فرض عليه واعفى منها النساء والأطفال والشيوخ لأن الحرب لاتعلن عليهم ولا يدفعها العمى والمقعدون الا اذا كانوا أغنياء وكذلك الفقراء والمساكين والارقاء ولم يكن يطالب بها الرهبان اذا كانوا في عزلة عن الناس .

وكان الاساس في فرض ضريبة الجزية حماية اهل الذمة ودفع العدوان عنهم ، لأن أهل الكتاب ومن في حكمهم لم يكلفوا الحرب أو الدفاع عن أنفسهم أو غيرهم فكان من العدالة أن يدفعوا هذه الضريبة نظير الحماية والمنفعة ونظير تمتعهم بمرافق الدولة العامة وإنها في مقابل ما يؤخذ من المسلم فان المسلم يؤخذ منه خمس الغنائم والزكاة وصدقة الفطر والكفارات المختلفة للذنوب فكان لا بد أن يؤخذ من غير المسلم ما يقابل القدر الذي يؤخذ من المسلم وهي تنفق في المصالح العامة وعلى فقراء اهل الذمة الذين يدفعونها ولا يقصد بهذه الضريبة الاذلال أو العقوبة لأن هذا لا يتفق وعدالة الاسلام ولا يتشبه مع غايته السامية .

(٢) عزير هو عزرا الكاهن من نسل هارون خرج من بابل مع رجوع اليهود الثاني بعد وفاة رسول الله موسى بنحو الف عام ، وكان عزرا يلقب بالكاتب لأنه كان يكتب في شريعة موسى .

ملحوظة : خرج عزرا ومن معه من اليهود الى اورشليم سنة ٤٥٦ ق . م في السنة السابقة من حكم ارمخشستا ملك فارس بعد خراب اورشليم وحرقت بيت المقدس ونهبه بزمان طويل .

إِلَٰهَا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ * يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِبَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَفَّةً كَمَا

٣١ - اتخذوا رجال دينهم أربابا ، يشرعون لهم ، ويكون كلامهم ديناً ، ولو كان يخالف قول رسولهم ، فاتبعوهم في باطلهم ، وعبدوا المسيح ابن مريم ، وقد أمرهم الله في كتبه على لسان رسله ألا يعبدوا إلا الها واحداً ، لأنه لا يستحق العبادة في حكم الشرع والعقل إلا الإله الواحد ، تنزه الله عن الاثراك في العبادة والخلق والصفات .

٣٢ - يريد الكافرون بمزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الاسلام ، ولا يريد الله الا اتمام نوره ، بإظهار دينه ونصر رسوله ، ولو كانوا كارهين لذلك .

٣٣ - هو الله الذي كفل اتمام نوره بإرسال رسوله (محمد ﷺ) بالحجج البينات ، ودين الحق (الاسلام) ليعلى هذا الدين على جميع الأديان السابقة عليه ، وإن كرهه المشركون فإن الله يظهره رغبا عنهم .

٣٤ - يأبى المؤمنون : اعلمو أن كثيرا من علماء اليهود وrehبان النصارى يستحلون أموال الناس بغير حق ، ويستغلون ثقة الناس فيهم وأتباعهم لهم في كل ما يقولون ويمنعون الناس عن الدخول في الاسلام ، والذين يستحذون على الأموال من ذهب وفضة حاسبين لها ، ولا يؤدون زكاتها ، فأنذرهم أيها الرسول بعذاب موع .

٣٥ - في يوم القيامة ، يوقد على هذه الأموال في نار جهنم ، ثم تحرق بتلك الأموال الحياة جباه أصحابها ، وجنوبهم ، وظهورهم ويقال توبيخا لهم : هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ، ولم تودوا منه حق الله ، فذوقوا اليوم عذابا شديدا .

يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْءٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ

٣٦ - إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشرة شهرا ، في حكم الله وتقديره ، وفيما بينه في كتبه منذ بدء العالم . ومن هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر يحرم القتال فيها ، وهي : رجب والقعدة والحجة والمحرم . وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هودين الله المستقيم ، الذي لا يتبدل فيه ولا تغيير . فلا تظلموا في هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها . وقاتلوا أيها المؤمنون جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم ، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعا ، وكونوا على يقين من أن الله ناصر للذين يخافون فيلتزمون أوامره ويحجتبون نواهيهِ .

٣٧ - وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما رتبها الله عليه - كما كان يفعله أهل الجاهلية - إلا إمعان في الكفر ، يزداد به الذين كفروا ضلالا فوق ضلالهم ، وكان العرب في الجاهلية يجعلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا القتال فيه ، ويجعلوا الشهر الحلال حراما . ويقولون : شهر بشهر ، ليوافقوا عدد الأشهر التي حرّمها الله ، وقد حسنت لهم أهواؤهم أفعالهم السيئة ، والله لا يهدي القوم المصيرين على كفرهم الى طريق الخير .

٣٨ - يأيتها المؤمنون مالكم حينما قال لكم الرسول : اخرجوا للجهاد في سبيل الله ، تباطأ بعضكم عن الخروج للجهاد ؟ لا ينبغي ذلك عجباً لكم لأنتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم ، فما التمتع بالدنيا ولذا نزلها في جنب متاع الآخرة إلا قليلا تافه .

٣٩ - إن لم تستجيبوا للرسول ، فتخرجوا للجهاد في سبيل الله ، يعذبكم الله عذابا موجعا . ويستبدل ربكم بكم قوما آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد ، ولا تضرون الله بهذا التخلف شيئا ، والله عظيم القدرة على كل شيء .

حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبَعُوكُمْ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ

٤٠ - أيها المؤمنون ، إن لم تنصروا رسول الله فإن الله كفيل بنصره ، كما أيدته ونصره حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة . ولبس معه إلا رفيقه أبو بكر ، وكان ثاني اثنين وبينهما في الغار محتفين من المشركين الذين يتعقبونها ، خشي أبو بكر على حياة الرسول . فقال له الرسول مطمئنا : لا تحزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة . عند ذلك أنزل الله الطمأنينة في قلب صاحبه ، وأيد الرسول بجند من عنده ، لا يعلمها إلا هو سبحانه . و انتهى الأمر (١) بأن جعل شوكة الكافرين مقلوبة ودين الله هو الغالب ، والله متصف بالعزة فلا يقهر ، وبالحكمة فلا يختل تدبيره .

٤١ - أيها المؤمنون ، إذا دعا داعى الجهاد فلبوا النداء أفرادا وجماعات - كل على قدر حاله ، ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح وجاهدوا بالمال والنفس في سبيل اعلاء كلمة الله فى ذلك العز والخير لكم . . إن كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحققة (٢) .

٤٢ - ندد القرآن بالمنافقين فى تخلفهم عن متابعة الرسول فى الجهاد ، فقال : لو كان مادعا اليه هؤلاء المنافقون عرضا من أعراض الدنيا قريب المنال ، أو لو كان كذلك سفرا سهلا ، لا تبعوك - أيها الرسول - ولكن شق عليهم السفر وسيحلفون أنهم لو استطاعوا لخروجوا معك ، وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم ، والله لا يخفى عليه حالهم ، فهو يعلم كذبهم وسيجزئهم على ذلك .

٤٣ - لقد عفا الله عنك أيها الرسول فى إذنك لهؤلاء المنافقين فى التخلف عن الجهاد ، قبل أن تتبين أمرهم ، وتعلم الصادق من أعذارهم ان كان ، كما تعرف الكاذبين منهم فى ادعائهم الايمان وفى انتحال الأعذار الصادقة .

(١) الغار الذى اختفى فيه النبي ﷺ وصاحبه كان بجبل ثور ، وهو جبل قريب من مكة وقد أقاما به ثلاثة ايام وخرجا منه بليل بعد ان علما ان الطلب لها قد سكن ووصلا الى المدينة ثمان خلت من ربيع الاول من السنة الأولى للهجرة .
(٢) من المعاني المقصودة قوموا للقتال ركبانا ومشاة مسلحين بعتاد خفيف وآخر ثقيل وهذا من الاساليب المعروفة الآن فالأسلحة الخفيفة كالسيوف لها غرضها فى قتال الجنود أما الأسلحة الثقيلة فهي لذك معاقلة العدو وحصونه .

يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ
أَنْبِعَاءَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ
يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونِ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنَّ لِي وَلَا تَنْفِتَنِي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُمُ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ

٤٤ - ليس من شأن المؤمنين حقاً بالله، وحسابه في اليوم الآخر، ان يستأذنوك في الجهاد بالمال والنفس، أو في التخلّف عنك، لأن صدق إيمانهم يجب اليهم الجهاد في سبيل الله. والله يعلم صدق نيات المؤمنين.

٤٥ - انما يستأذنك الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً بالله وحسابه في اليوم الآخر، فإن قلوبهم دائماً في شك وريبة، وهم يعيشون في حيرة، وسينالون جزاء ذلك.

٤٦ - ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين، في الخروج مع الرسول للجهاد، لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها. ولكن الله كره خروجهم لعلهم أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم، فعصوهم عن الخروج بما امتلأت به قلوبهم من النفاق، وقال قائلهم: اقعدوا مع القاعدين من أصحاب المعاذير.

٤٧ - ولو خرجوا معكم الى الجهاد مازادوكم بخروجهم قوة، ولكن يشيعون الاضطراب أو يسرعون الى الفتنة، ويشيعونها فيما بينكم، وفيكم من يجهل خبث نياتهم، ويمكن أن يخدع بكلامهم، أو لضعفه يسمع دعوتهم الى الفتنة والله عليم هؤلاء المنافقين الذين يظلمون انفسهم بما أضمره من الفساد.

٤٨ - وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم، وديروا لك - أيها الرسول - المكاييد، فأحبط الله تدبيرهم، وحقق نصرك، وأظهر دينه على الرغم منهم.

٤٩ - وبعض المنافقين كان يقول للرسول: ائذن لي في القعود عن الجهاد، ولا توقعن في شدة وضيق. انهم بهذا الموقف قد أوقعوا انفسهم في معصية الله، وإن نار جهنم لمحيطه بهم في اليوم الآخر.

قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا أَحَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَلْسِفِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٥﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٧﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا

٥٠ - هؤلاء المنافقون لا يريدون بك . أيها الرسول ، وبأصحابك ، إلا المكارة ، فيتألمون إذا نالكم خير من نصر أو غنيمة ، ويفرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل ويقولون حينئذ شامتين . قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد ، وينصرفون مسرورين .

٥١ - قل لهم أيها الرسول : لن ينالنا في دنيانا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا فنحن راضون بقضاء الله لا نفتر بالخير ناله ، ولا نجزع بالشر يصيبنا فإن الله - وحده - المتولى لجميع أمورنا ، وعليه وحده يعتمد المؤمنون الصادقون .

٥٢ - قل لهم أيها الرسول : ليس لكم أن تتوقعوا شيئاً ينالنا إلا إحدى العاقبتين الحميدتين أما النصر والغنيمة في الدنيا وأما الاستشهاد في سبيل الله والجنة في الآخرة . ونحن ننتظر لكم أن يوقع الله بكم عذاباً من عنده يهلككم به ، أو يعذبكم بالذلة على أيدينا ، فانتظروا أمر الله ، ونحن معكم منتظرون أمره .

٥٣ - قل أيها الرسول للمنافقين ، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بانفاق المال في الجهاد وغيره : أنفقوا ما شئتم طائعين أو مكرهين ، فلن يتقبل الله عملكم الذي أحبطه نفاقكم ، انكم دائماً متعمدون على دين الله ، خارجون على أمره .

٥٤ - وما منع الله من قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله - والكفر يحبط الأعمال وإلا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذي أمروا أن يؤدوها عليه ، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها سترًا لنفاقهم ، ولا ينفقون شيئاً إلا وهم كارهون لهذا الانفاق في سرائرهم .

٥٥ - ولا يرقك ، أيها السامع ، يأخذ بقلبك ، ما ترى المنافقين فيه من مال وبنين ، فإن الله ما أعطاهم هذا ليكابدوا في سبيله المتاعب والمشقات ، لحفظه في الحياة الدنيا ، دون أن يؤجروا على ذلك ، ويدركهم الموت وهم كافرون فيعذبون بسببها في الآخرة .

٥٦ - ويقسم هؤلاء المنافقون كذباً لكم - يا جماعة المؤمنين - أنهم مؤمنون مثلكم ، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله ، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف ، وإن ذلك يدفعهم إلى النفاق والخوف الدائم ، فهم يؤكدونه بالآيمان الفاجرة .

أَوْ مَغْرَبٍ أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْتَمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ * إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَآبِنِ السَّبِيلِ ^ط فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ^ط وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

٥٧ - وهم بضيقون بكم، ويكرهون معاشرتكم، ولو يجدون حصناً أو سرايب في الجبال أو جحوراً في الأرض يدخلون فيها، لانصرفوا إليها مسرعين.

٥٨ - وبعض هؤلاء المنافقين يعيبك أيها الرسول، ويطعن عليك في قسمة الصدقات والغنائم، إذ لا هم لهم إلا حطام الدنيا، فان أعطيتهم ما يرغبون منها رضوا عن عملك، وإن لم تعطهم تعجلوا بالسخط عليك.

٥٩ - ولو أن هؤلاء المنافقين، الذين عابوك في قسمة الصدقات والغنائم رضوا بما قسم الله لهم، وهو ما أعطاهم رسوله وطابت نفوسهم به - وإن قل - وقالوا: كفانا حكم الله، وسيرزقنا الله من فضله، ويعطينا رسوله أكثر مما أعطانا في هذه المرة، وإنا إلى طاعة الله وأفضاله وإحسانه لراغبون. لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم.

٦٠ - لا تصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يجدون ما يكفيهم، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم، والذين يجمعونها ويعملون فيها، والذين تؤلف قلوبهم، لأنهم يرجى منهم الاسلام والانتفاع بهم في خدمته ونصرته، والذين يدعون إلى الاسلام ويبشرون به. وفي عتق رقاب الأرقاء والأسرى من رتبة العبودية وذل الأسر، وفي قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الأداء. إذا لم تكن ناشئة عن اثم أو ظلم أو سفه، وفي امداد الفزاة بما يعينهم على الجهاد في سبيل الله وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر وفي عون المسافرين إذا انقطعت أسباب انصالحهم بأموالهم وأهلهم. شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده والله سبحانه عليم بمصالح خلقه، حكيم فيما يشرع^(١).

(١) الزكاة نظام وضع لتجمع اموال من الفنى وترد على الفقير فهي حق الفقير في مال الفنى وجميعها ولي الأمر. وينفقها في مصارفها التي يعد أهمها وأجلها محاربة آثار الفقر في الفقير فهي تعطى للفقراء والمساكين وأبناء السبيل أمر لا فساد فيه، وفيها باب للقرض الحسن وتطبيقها في وجوه البر ومنها يسدد دين من عجز عن سداده وكان قد اقترضه، وفي صدر الاسلام لم يجعل في المجتمع الاسلامي جاتعا يبيت على الطوى ولا شحاذاً تذلل له الحاجة حتى أنها لكثرتها كان يشكو عاملها من أنه لا يجد من ينفق عليه منها. ولقد شكوا عامل الصدقات على أفريقية الى عمر بن عبد العزيز انه لا يجد فقيراً ينفق عليه فقال له سدد الدين عن المدينين فسدد ثم شكوا ثانية.

قال: اشتر عبيدا واعتقهم وذلك مصرف من مصارفها والحقيقة انها لو جمعت من وجوهها وصرفت في مصارفها لتبين من تطبيقها أنها أعظم نظام للتكافل الاجتماعي.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُفْرًا لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ أَخْزَى الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُّوهُ إِنَّ اللَّهَ مَخْرُجٌ مَا يَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ

٦١ - ومن الناس منافقون يتعمدون اذى النبي ، وتناوله بما يكره ، فيتهمونه بأنه محب لسباع كل ما يقال له من صدق وكذب ، وأنه يخدع بما يسمع ، فقل لهم أيها الرسول : أن من تناولونه في غيبته بهذه التهمة ، ليس كما زعمتم ، بل هو اذن خير لا يسمع الا الصدق ، ولا يخدع بالباطل ، يصدق بالله ووحيه ، ويصدق المؤمنين ، لأن ايمانهم يمنعهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وان الله أعد لمن يؤذيه عذابا مؤلما دائما شديدا .

٦٢ - يتخلفون عنكم في قتال أعدائكم دون تردد ، ثم يعتذرون عن تخلفهم كذبا ، ويخلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم ، والله والرسول أحق بحرصهم على رضائه ان كانوا مؤمنين حقا .

٦٣ - ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يكفر ، أو يحاد الله ورسوله جزاؤه العذاب الدائم في نار جهنم ، وذلك هو العار الفاضح ، والذل الشديد .

٦٤ - المنافقون يستهزئون فيما بينهم بالرسول . ويخشون أن يفتضح أمرهم ، فتزل فيهم على النبي آيات من القرآن تظهر ما يخفون في قلوبهم ويسرونه فيما بينهم ، فقل لهم أيها الرسول : استهزئوا ما شئتم ، فان الله مظهر ما تخشون ظهوره .

٦٥ - تأكد أيها الرسول أنك ان سألت المنافقين ، بعد افتضاح أمرهم ، عن سبب طعنهم في الدين واستهزائهم بالله وآياته ، اعتذروا بقولهم : كنا نخوض في الحديث ونلهو ، فقل لهم : كيف ساع لكم أن نخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله .

٦٦ - لا تعتذروا بهذه المعاذير الباطلة . قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الايمان ، فان نعف عن طائفة منكم تابت وأمنت بسبب ايمانهم وصدق توبتهم ، فإننا نعذب طائفة أخرى منكم بسبب اصرارهم على الكفر والنفاق ، واجرامهم في حق الرسول والمؤمنين .

وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْنِيَهُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

٦٧ - المنافقون والمنافقات يتشابهون في أنهم يفعلون القبيح ويأمرون به ، ويتركون الحق وينهون عنه ، ويبخلون ببذل المال في وجوه الخير ، فهم كأجزاء من شيء واحد ، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدهم ، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله .

٦٨ - كتب الله للمنافقين والكافرين نار جهنم يعذبون فيها ولا يخرجون منها ، وهى حسبيهم عقاباً ، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة .

٦٩ - ان حالكم أيها المنافقون كحال أمثالكم ممن سبقوكم الى النفاق والكفر ، فانهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً ، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه ، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف ، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا ، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل ، انهم قد بطلت أعمالهم ، فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة ، وكانوا هم الخاسرين وأنتم مثلهم في سوء الحال والمآل .

٧٠ - أفلا يعتبر المنافقون والكافرون بحال الذين سبقوهم ، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم شعيب وقوم لوط ، جاءتهم رسل الله بالهجج البينات من عند الله ، فكذبوا وكفروا ، فأخذ الله كلا بذنبه ، وأهلكهم جميعاً ، وما ظلمهم الله بهذا ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وتقدمهم على الله واستحقاقهم العذاب وحدهم ، فهم الذين يظلمون أنفسهم .

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا لَيَبْئَلُونَ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ لَا يَنْفِرُوا مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدِّقَهُ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ

٧١ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض بمقتضى الإيمان يأمرهم بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره الدين ، يؤدون الصلاة في أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقها في أبنائها ويمثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويحذرون ما ينهى عنه الله ورسوله ، وهؤلاء هم الذين سيظلون في رحمة الله ، فإن الله قادر على رعايتهم بالرحمة ، حكيم في عطائه .

٧٢ - وقد وعدهم الله الجنة خالدين في نعيمها ، وأعد لهم مساكن تطيب بها نفوسهم في دار الإقامة والخلود ، ولهم مع ذلك رضا الله عنهم يستشعرون به ، وهو النعيم الأكبر ، وذلك هو الفوز العظيم . .

٧٣ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، ثابر على جهادك في ردع الكفار عن كفرهم والمنافقين عن نفاقهم ، واشتد عليهم في جهادك ، وإن مآلهم الذى أعده الله لهم في الآخرة هو جهنم ، وما أسوأ هذا المصير .

٧٤ - ان المنافقين يخلفون أمامك أيها الرسول بالله أنهم ما قالوا منكراً مما بلغك عنهم ، وهم كاذبون في الإنكار ، حاثون في اليمين ، وانهم قد قالوا كلمة الكفر ، وظهر كفرهم بعد أن كان باطناً . وما كان سبب نقتهم عليك الا بطراً بالنعمة ، بعد أن أغناهم الله ورسوله بما حصلوا عليه من الغنائم التى شاركوا فيها المسلمين ، فإن يرجعوا إلى الله بترك النفاق والندم على ماكان منهم يقبل الله توبتهم ويكون ذلك خيراً لهم وإن يعرضوا عن الإيمان يعذبهم الله في الدنيا بمختلف ألوان البلاء . وفى الآخرة بنار جهنم ، وليس لهم فى الأرض من يدافع عنهم أو يشفع لهم أو ينصرهم .

٧٥ - ومن المنافقين من أقسم بالله وعاهده : لئن آتاهم الله مالاً ، وأغناهم من فضله ، ليتصدقن وليكونن من الصالحين فى أعمالهم .

بَخَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سَرَّهُمْ وَيَجْزِيهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا

٧٦ - فلما استجاب الله لهم ، وأعطاهم من فضله ، بخلوا بما أوتوا فلم ينفقوا ، ولم يوفوا بالعهد ، وانصرفوا عن الخير ، وهم معرضون عنه وعن الله .

٧٧ - فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق في قلوبهم إلى أن يموتوا ويلقوا الله ، بسبب نقضهم لعهدهم وكذبهم في يمينهم .

٧٨ - كيف يتجاهلون أن الله مطلع عليهم . لا يخفى عليه ما يضرهم في السر من نقض العهد ، وما يتناجون به في الخفاء من الطعن في الدين وتدمير المكاييد للمسلمين ، وهو جل شأنه العليم الذي لا يغيب عنه شيء .

٧٩ - ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيرون على الموسرين من المؤمنين تصدقاتهم على المحتاجين ، ويسخرون بغير الموسرين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم وقد جازاهم الله على سخريتهم بما كشف من فضائحتهم ، وجعلهم سخريه للناس أجمعين ولهم في الآخرة عذاب شديد .

٨٠ - لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم ، وتطلب المغفرة من الله لهم فسواء أن تستغفر لهم أيها النبي أم لا تستغفر لهم ، ومهما أكثر من طلب المغفرة لهم ، فلن يعفو الله عنهم ، لأنه لا أمل في العفو والمغفرة مع الكفر والإصرار عليه وقد كفر هؤلاء بالله ورسوله ، والله لا يهدي الخارجين عليه وعلى رسوله ، ليردهم على شرعه ودينه ..

يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَعْدَنُواكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ نَّخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْدَنْكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا

٨١- ان المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله والمسلمين ، وفرحوا بقعودهم في المدينة بعد خروج النبي منها ، وبخالفتهم أمره بالجهاد معه ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، ويضحوا بأرواحهم ، في سبيل إعلاء كلمة الله ونصر دينه ، وأخذوا يشبطون غيرهم ، ويغرونهم بالقعود معهم ويخوفونهم من النفور الى الحرب في الحر ، فقل أيها الرسول لهؤلاء لو كنتم تعقلون ، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون .

٨٢- فليضحكوا فرحاً بالقعود ، وسخريه من المؤمنين ، فان ضحكهم زمنه قليل ، لانتهاه بانهاء حياتهم في الدنيا ، وسيعقبه بكاء كثير لانهاية له في الآخرة ، جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من سيئات ..

٨٣- فان أعادك الله من الغزو الى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الغزو ، فاستأذنوك في أن يخرجوا معك للجهاد في غزوة أخرى ، فلا تأذن لهم ، وقل لهم : لن تخرجوا معي في أية غزوة ، ولن تشاركوا معي في قتال أى عدو ، لأن قعودكم عن الخروج في أول مرة لم يسبق بعذر يبرره ، ولم يلحق بتوبة تغفره ، فاقعدوا كما ارتضيت أن تقعدوا مع المتخلفين من العجزة والكهول والنساء والأطفال .

٨٤- واذا مات أحد منهم ، فلا تنصل عليه ، ولا تقف على قبره عند دفنه لأنهم عاشوا حياتهم كافرين بالله ورسوله ، وماتوا وهم خارجون عن دين الله .

٨٥- ولا يثير عجبك أيها الرسول ما أعطيناكم من الأموال والأولاد مع سخطنا عليهم فلم يكن ذلك عن إيثارهم بالخير ، بل لتنفيذ ما أراد الله من شقائهم في الدنيا بالانهك في جمع المال ، وما يلحقهم في ذلك من الهموم والمصائب ، ولتنفيذ ما أراد الله من مفارقتهم للدنيا كافرين ، وقد خسروا الأولى والآخرة .

ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ
الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ

٨٦ - وهؤلاء المنافقون ، إذا سمعوا شيئاً مما أنزل عليك في القرآن ، يدعوه إلى إخلاص الإيمان بالله ، وإلى
الجهاد مع رسول الله ، طلب الأغنياء والأقوياء منهم أن تأذن لهم في التخلف عن الجهاد معك ، وقالوا لك : اتركنا
مع المعذرين القاعدين في المدينة .

٨٧ - انهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا في عدد المتخلفين من النساء والعجزة والأطفال الذين لا ينهضون
لقتال ، وختم الله على قلوبهم بالخوف والنفاق ، فهم لا يفهمون فيها حقيقياً ما في الجهاد ومتابعة الرسول فيه من عز
في الدنيا ورضوان في الآخرة .

٨٨ - ذلك شأن المنافقين ، لكن الرسول والذين صدقوا معه بالله ، قد بذلوا أموالهم وأرواحهم أرضاء لله
واعلاء لكلمته وأولئك لهم وحدهم كل خير في الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح ، وهم وحدهم الفائزون .

٨٩ - وقد هيا الله لهم في الآخرة النعيم المقيم ، في جنات تتخللها الأنهار ، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح
الكبير .

٩٠ - وكما تخلف بعض المنافقين في المدينة عن الخروج للجهاد ، جاء فريق من الأعراب وهم أهل البادية ،
ينتحلون الأعذار ليؤذن لهم في التخلف وبذلك قعد الذين كذبوا الله ورسوله فيما يظهرونه من الإيمان ، فلم يحضروا
ولم يعتذروا لله ورسوله ، وذلك دليل كفرهم ، وسيئزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم .

٩١ - ان الذين يقبل عذرهم في التخلف ، هم الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ، إذا
أخلص هؤلاء لله ورسوله في دينهم فانهم بذلك محسنون ، ولا حرج على المحسنين ، والله كثير الغفران واسع الرحمة .

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَعِدُّونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ عَنِ الرِّضَا وَإِنَّ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَدِرُونَ إِلَيْكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ عَظِيمٌ قُلْ لَا تَعْتَدِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسِرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا وَهُمْ بِجَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ

٩٢ - وكذلك لاحرج على من جاء من المؤمنين يلتسبون أن تحملهم الى الجهاد فقلت لهم ، لا أجد ما أحملكم عليه ، فانصرفوا عنك وعبوهم تفيض الدمع حزنا أن فاتهم شرف الجهاد في سبيل الله لأنهم لا يجدون ما ينفقون .

٩٣ - انما اللوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنونك - أيها النبي - في تخلفهم عن الجهاد ، وهم واجدون المال والعتاد ، قادرون على الخروج معك ، لأنهم مع قدرتهم واستطاعتهم رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات ، والشيخوخ العاجزين ، والمرضى غير القادرين ، ولأن قلوبهم أغلقت عن الحق ، فهم لا يعلمون العاقبة الوخيمة التي تترتب على تخلفهم في الدنيا وفي الآخرة .

٩٤ - سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون اليكم ، أيها المؤمنون المجاهدون اذا رجعت من ميدان الجهاد والتقيتم بهم ، فقل لهم أيها الرسول لا تعتذروا فإننا لن نصدقكم ، لأن الله قد كشف حقيقة نفوسكم ، وأوحى الى نبيه بشيء من أكاذيبكم ، وسيعلم الله ورسوله ما يكون منكم بعد ذلك من عمل ، ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا الى الله الذي يعلم السر والعلانية فيخبركم بما كنتم تعملون ، ويجازيكم بما تستحقون .

٩٥ - سيحلفون لكم بالله ، حينما ترجعون اليهم ، انهم صادقون في معاذيرهم ، لكي يرضوكم فتغفلوا عن عملهم ، فلاتحققوا لهم هذا الغرض ، بل اجنبوهم وامقتوهم ، لأنهم في أشد درجات الخبث النفس والكفر ، ومصيرهم الى جهنم ، عقابا على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار .

٩٦ - يقسمون لكم طمعا في رضائكم عنهم ، فان خدعتم بأيامهم ورضيتهم عنهم ، فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم ، ذلك لأن الله ساخط عليهم لفسقهم وخروجهم على الدين .

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ الدَّوَائِرِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سِذَّخْلَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۚ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ

٩٧ - الأعراب من أهل البادية أشد جحودا ونفاقا ، وقد بلغوا في ذلك غاية الشدة ، وذلك لبعدهم عن أهل الحكمة ومنابع العلم ، وهم حقيقون بأن يجهلوا حدود الله ، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام ، والله عليم بأحوال الفريقين ، حكيم فيما يقدره من جزاء .

٩٨ - وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية ، يعتبرون الانفاق في سبيل الله غرامة وخسرانا ، لعدم اعتقادهم في ثوابه تعالى ، ويتوقعون وينتظرون أن تدور عليكم الحرب أيها المؤمنون ألا رد الله تلك المصائب عليهم وجعل الشر الذي ينتظرونه لكم محيطا بهم ، والله سميع بأقوالهم ، عليم بأفعالهم ونياتهم ، وبما يقترفون من أئام .

٩٩ - وليس كل الأعراب كذلك ، فمنهم مؤمنون بالله مصدقون بيوم القيامة ، يتخذون الانفاق في سبيل الله وسيلة يتقربون بها الى الله وسببا لدعاء الرسول لهم ، اذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ، وهى لاشك قرينة عظيمة توصلهم الى ما يبتغون ، فان الله سيغفرهم برحمته ، لأنه الغفور للذنوب ، الرحيم بخلقه .

١٠٠ - والمؤمنون الذين سبقوا الى الاسلام ، من المهاجرين والأنصار ، الذين ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا ، يرضى الله عنهم ، فيقبل منهم ويجزيهم خيرا ، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد الله لهم من جنات تجري الأنهار تحت أشجارها ، فينعمون فيها نعيما أبديا ، وذلك هو الفوز العظيم .

عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

١٠١ - ومن يجاور المدينة من أهل البادية من يضمر الكفر ويظهر الايمان ، ومن سكان المدينة قوم مروا على النفاق ، حتى برعوا فيه وستروه عن الناس ، حتى لقد خفي أمرهم عليك - أيها الرسول - ولكن الله هو الذى يعلم حقيقتهم ، وسيعذبهم فى الدنيا مرتين : مرة بنصركم على أعدائكم الذين يغيظهم ، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم ، ثم يردون فى الآخرة الى عذاب النار وهولها الشديد .

١٠٢ - وهناك ناس آخرون آذوك ، ثم من بعد ذلك اعترفوا بما أذنبوا ، وسلكوا طريق الحق ، فهؤلاء قد أتوا عملا صالحا وعملا سيئا ، وانهم لهذا يرجى لهم أن تقبل توبتهم ، وأن الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويغفر لهم .

١٠٣ - خذ أيها الرسول من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح ، وترفع درجاتهم عند الله ، وادع لهم بالخير والهداية فان دعاءك تسكن به نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، والله سميع للدعاء عليم بالخلصين فى توبتهم .

١٠٤ - ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن الله وحده هو الذى يقبل التوبة الخالصة والصدقة الطيبة ، وأنه سبحانه ، هو الواسع الفضل فى قبول التوبة ، العظيم الرحمة بعباده .

١٠٥ - وقل - أيها الرسول - للناس : اعملوا ولا تنقصروا فى عمل الخير وأداء الواجب فان الله يعلم كل أعمالكم ، وسيراها الرسول والمؤمنون فيزنونها يميزان الايمان ويشهدون بمقتضاها ، ثم تردون بعد الموت الى من يعلم سرهم وجهركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، بعد ان ينبئكم بها صغيرها وكبيرها .

١٠٦ - وهناك ناس آخرون وقعوا فى الذنوب ، ومنها التخلف عن الجهاد ، وليس فيهم نفاق ، وهؤلاء مرجأون لأمر الله : اما أن يعذبهم ، واما أن يتوب عليهم ويغفر لهم ، والله عليم بأحوالهم وماتنطوى عليه قلوبهم ، حكيم فيما يفعله بعباده من ثواب أو عقاب .

مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَقْنِ أَسْـَٔسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسْـَٔسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ

١٠٧ - ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لا يتفون به وجه الله ، وانما يتفون به الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين وأنهم سيحلفون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد الا الخير والعمل الأحسن ، والله يشهد عليهم أنهم كاذبون في ايمانهم (١).

١٠٨ - لاتصل - أيها الرسول - في هذا المسجد أبدا ، وان مسجدا أقيم ابتغاء وجه الله وطلباً لمرضاته من أول أمره كمسجد قباء لجدير بأن تؤدي فيه شعائر الله ، وفي هذا المسجد رجال يحبون أن يطهروا أجسادهم وقلوبهم بأداء العبادة الصحيحة فيه ، والله يحب ويثبث الذين يتقربون اليه بالطهارة الجسمية والمعنوية .

١٠٩ - لا يستوى في عقيدته ولا في عمله من أقام بنيانه على الاخلاص في تقوى الله وابتغاء رضائه ومن أقام بنيانه على النفاق والكفر ، فان عمل المتق مستقيم ثابت على أصل متين ، وعمل المنافق كالبناء على حافة هاوية فهو واه ساقط ، يقع بصاحبه في نار جهنم . والله لا يهدي الى طريق الرشاد من أصر على ظلم نفسه بالكفر .

١١٠ - وسيظل هذا البناء الذي بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف في قلوبهم لا ينتهي حتى تقطع قلوبهم بالندم والتوبة أو بالموت ، والله عليم بكل شيء ، حكيم في أفعاله وجزائه .

(١) المسجد المذكور في الآية قد أقامته طائفة من المنافقين بالمدينة يريدون الشر فقد ازعجهم بناء مسجد قباء الذي شيده بنو عمرو ابن عوف وباركه النبي ﷺ بالصلاة فيه فحرض ابن عامر الراهب هؤلاء المنافقين لبنوا مسجدا يفاخرون به من بنوا مسجد قباء فتكون العصبية الجاهلية موضوعها التفاخر بالمساجد ولينخذوه وكرا لاجتماعهم وتبنيب الشر للمؤمنين ، وبعد تمام بناءه دعا الرسول ﷺ للصلاة فيه لينخذوا من صلاته فيه مادة للعصبية والتفريق وهم أن يجيب غير عالم بما يبيتون ولكن الله تعالى أعلمه بذلك عند عودته من غزوة تبوك واعتزاه ان يجيب دعوتهم فنهاه سبحانه وتعالى عن ان يقوم فيه فضلا عن ان يصل فيه .

اللَّهُ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ الْحَمْدَ
 الْحَمْدَ لِلَّهِ وَالرَّكُوعَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ
 أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
 تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَسْأَلَ عَنْهُمْ مَا يَقُولُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

١١١ - يؤكد وعده للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم في سبيله ، بأنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال
 بالجنة ثمنا لما بذلوا ، فانهم يجاهدون في سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون في سبيله ، وقد أثبت الله هذا
 الوعد الحق في التوراة والإنجيل ، كما أثبتته في القرآن وليس أحد أبر ولا أوفى بعهده من الله ، فافرحوا أيها المؤمنون
 المجاهدون ، بهذه المبايعة التي بذلتم فيها أنفسكم وأموالكم الفانية وعوضتم عنها بالجنة الباقية ، وهذا الشراء والبيع
 هو الظفر الكبير لكم .

١١٢ - ان أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة أنهم يكثرن التوبة من هفواتهم الى الله ، ويمجدونه
 على كل حال ، ويسعون في سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم ، ويحافظون على صلواتهم . ويؤدونها كاملة في خشوع ،
 ويأمرون بكل خير يوافق ما جاء الشرع ، وينهون عن كل شر يأباه الدين ويلتزمون بشريعة الله ، وبشرأيها
 الرسول المؤمنين .

١١٣ - ليس للنبي وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كانوا أقرب الناس إليهم ، من بعد أن يعلم
 المؤمنون من أمر هؤلاء المشركين بموتهم على الكفر ، أنهم مستحقون للخلود في النار .

١١٤ - لم يكن مافعله إبراهيم عليه السلام من الاستغفار لأبيه ، الا تحقيقا لوعده من إبراهيم لأبيه ، رجاء
 إيمانه ، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله ، باصراره على الشرك حتى مات عليه ، تبرأ منه وترك الاستغفار له ولقد
 كان إبراهيم كثير الدعاء والتضرع لله صبورا على الأذى .

١١٥ - وما كان من سنن الله ولطفه بعباده أن يصف قوما بالضلال ، ويجري عليهم أحكامه بالذم والعقاب ، بعد
 أن أرشدهم الى الاسلام ، حتى يتبين لهم عن طريق الوحي الى رسوله ما يجب عليهم اجتنابه ، ان الله محيط علمه
 بكل شيء .

وَلَا نَصِيرٌ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ

١١٦ - إن الله وحده مالك السموات والأرض ومافيهما ، وهو المتصرف فيها بالإحياء والإماتة ، وليس لكم سوى الله من ولى يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم .

١١٧ - لقد تفضل الله سبحانه على نبيه ، وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار الذين خرجوا معه الى الجهاد في وقت الشدة (في غزوة تبوك)^(١) فثبتهم وصانهم عن التخلف ، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم ، حتى كادت قلوبهم تميل الى التخلف عن الجهاد ، ثم غفر الله لهم هذا الهم الذى خطر بنفوسهم ، انه سبحانه كثير الرأفة بهم عظيم الرحمة .

١١٨ - وتفضل سبحانه بالعفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في غزوة تبوك ، لاعتن نفاق منهم ، وكان أمرهم مرجأ الى أن يبين الله حكمه فيهم ، فلما كانت توبتهم خالصة ، وندمهم شديدا حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها ، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحزنا وعلما أنه لا ملجأ من غضب الله الا باستغفاره والرجوع اليه ، حينئذ هداهم الله الى التوبة ، وعفا عنهم ، ليظلوا عليها ، ان الله كثير القبول لتوبة التائبين عظيم الرحمة بعباده .

١١٩ - يأياها الذين آمنوا اثبتوا على التقوى والايان ، وكونوا مع الذين صدقوا فى أقوالهم وأفعالهم .

(١) « كانت غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة للهجرة بين المسلمين والروم - والجيش الاسلامى الذى خرج في هذه الغزوة يسمى جيش العسرة لأن التأهب لها كان في زمن عسرة من الناس وشدة من الحرمان - ولما وصل النبي ﷺ الى تبوك جاء يوحنا وصالح الرسول على الجزية وأقام الرسول بتبوك بضع عشرة ليال ثم خرج الرسول بعدها قافلا الى المدينة وهذه آخر غزوة خرج بها الرسول عليه الصلاة والسلام غازيا . »

نَبِيًّا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوْ لَا يَرْوَنَ

١٢٠ - ما كان يحل لأهل المدينة ، ومن يجاورونهم من سكان البوادي ، أن يتخلفوا عن الغزو مع رسول الله ﷺ ، ولا أن يضنوا بأنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه ، إذ أنهم لا يصيبهم في سبيل الله ظمأ أو تعب أو جوع ، ولا ينزلون مكانا يثير وجودهم فيه غيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو غرضا كالهزيمة أو الغنيمة الا حسب لهم بذلك عمل طيب يجزون عليه أحسن الجزاء ، وان الله لا يضيع أجر الذين أحسنوا في أعمالهم .

١٢١ - وكذلك لا يبذل المجاهدون أى مال ، صغيرا أو كبيرا ، ولا يسافرون أى سفر في سبيل الله ، الا كتبه الله لهم في صحائف أعمالهم الصالحة ، لينالوا به أحسن ما يستحقه العاملون من جزاء .

١٢٢ - ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعا الى النبي ﷺ اذا لم يقتض الأمر ذلك ، فليكن الأمر أن تخرج الى الرسول طائفة ليتفقهوا في دينهم ، وليدعوا قومهم بالانذار والتبشير حينما يرجعون اليهم ليثبتوا دائما على الحق ، وليحذروا الباطل والضلال (١) .

١٢٣ - يأيها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم ، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليكم ، وكونوا أشداء عليهم في القتال ، ولا تأخذكم بهم رافة واعلموا أن الله بعونه ونصره مع الذين يتقونه .

١٢٤ - واذا ما أنزلت سورة من سور القرآن ، وسمعها المنافقون سخروا واستهزؤوا وقال بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه السورة ايمانا ؟ ولقد رد الله عليهم بأن هناك فرقا بين المنافقين والمؤمنين : فأما المؤمنون الذين أبصروا النور وعرفوا الحق ، فقد زادتهم آيات الله ايمانا ، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون .

١٢٥ - وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا الى كفرهم ، وماتوا وهم كافرون .

(١) « في الآية الكريمة بيان لقاعدة هامة في الكتاب وهي ما كان للمؤمنين أن ينفروا جميعا نحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يشبوا جميعا فان ذلك يحل بأمر المعاش ولذلك يعين من كل فرقة طائفة تطلب العلم والتفقه وتحصل على المراد وتعود لترشد باقي القوم » .

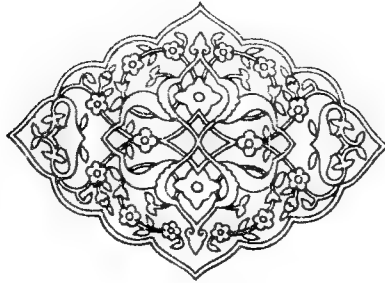
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

١٢٦ - أولا يعتبر المنافقون بما يتلهم الله به في كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء بكشف استارهم وظهور أحوالهم ونصر المؤمنين وظهور باطلهم، ثم لا يتوبون عما هم فيه ولا هم يذكرون ما وقع لهم؟

١٢٧ - وكذلك إذا ما أنزلت سورة، وهم في مجلس الرسول، تفاخروا وقال بعضهم لبعض، هل يراكم أحد؟ ثم انصرفوا قلوبهم عن متابعتهم والإيمان به، زادهم الله ضلالا بسبب تماديهم في الباطل واعراضهم عن الحق، لأنهم قوم لا يفقهون.

١٢٨ - لقد جاءكم، أيها الناس، رسول من البشر مثلكم في تكوينه، يشق عليه ما يصيبكم من الضرر، وهو حريص على هدايتكم، وبالمؤمنين عظيم العطف والرحمة.

١٢٩ - فان اعرضوا عن الإيمان بك أيها الرسول، فلاتحزن لاعراضهم واعتز بربك، وقل: يكفيني الله الذي لا إله غيره، عليه وحده توكلت وهو مالك الملك ورب الكون وصاحب السلطان العظيم.



(١٠) سُورَةُ يُونُسَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا تَسْعُ وَفَاتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْأَرْثَ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٣﴾
إِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ

هذه السورة مكية نزلت في مكة، وتشتمل على ١٠٩ آيات، وقد ابتدأت بالإشارة الى مكانة الكتاب الكريم، وما يقوله المشركون في شأن النبي ﷺ، ثم ذكر الكون وآيات الله تعالى فيه، والجزاء يوم القيامة وسنة الله تعالى بالنسبة للكافرين، والتنديد عليهم في عقائدهم، وحال الناس في الضراء والسراء، وقدرة الله تعالى على كل شيء، وعجز الاوثان عن أى شيء. وفيها الاشارة الى التحدى بأن يأتوا بسورة ولو مفتراة، وفيها التهديد الشديد بعذاب الله تعالى، وأحوال نفوس الناس، ومراقبة الله تعالى لأعمالهم، وانتقل بعد ذلك الى التسمية عن النبي ﷺ لألمه من كفرهم، مع قيام الحجة القاطعة عليهم، وسرى عنه بذكر قصص الأنبياء مع اقوامهم، فجاءت قصة نوح، وقصة موسى وهارون وفرعون وبنى اسرائيل، ثم اشارة الى قصة يونس، وبها سميت السورة واتجه البيان في السورة من بعد ذلك الى النبي تمام العظة والاعتبار.

١ - هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة، وهو أعلم بمراده منها، وهى مع ذلك تشير الى أن القرآن مكون من مثل هذه الحروف، ومع ذلك عجزتم عن أن تأتوا بمثله! وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون اليه، وان اتفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة ونحوها التى هى آيات القرآن المحكم فى أسلوبه ومعانيه، والذي اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس فى امور دينهم ودنياهم.

٢ - ماكان للناس أن يعجبوا وينكروا وحينما الى رجل منهم (محمد)، ليحذر الناس من عذاب الله، ويبشر الذين آمنو منهم بأن لهم منزلة عالية عند ربهم، لا يتخلف وعد الله، وما كان لهؤلاء المنكرين أن يقولوا عن محمد رسولنا انه ساحر واضح أمره!

إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ۚ
 إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
 حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا
 عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ

٣ - ان ربكم ، أيها الناس ، هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيها في ستة أيام^(١) لا يعلم الا الله مداها . . ثم هيمن بعظيم سلطانه - وحده ودبر أمور مخلوقاته ، فليس لأحد سلطان مع الله في شيء ، ولا يستطيع أحد من خلقه أن يشفع لأحد الا بإذنه . . ذلکم الله الخالق ، هو ربکم وولی نعمتکم فاعبدوه وحده ، وصدقوا رسوله ، وآمنوا بكتابه . فعليکم أن تذكروا نعمة الله وتندبروا آياته الدالة على وحدانيته .

٤ - وكما بدأ الله الخلق فإليه وحده مرجعكم ، ومرجع المخلوقات كلها ، وقد وعد الله بذلك وعدا صادقا لا يتخلف . وانه سبحانه بدأ الخلق بقدرته ، وبعد فئانه سيعيده بقدرته ، ليثيب المؤمنين المطيعين بعدله التام ، وأما الكافرون فلهم شراب في جهنم شديد الغليان ، ولهم عذاب موجه جزاء كفرهم .

٥ - وربكم الذي خلق السموات والأرض والذي جعل الشمس تشع الضياء ، والقمر يرسل النور ، ويجعل للقمر منازل ينتقل فيها ، فيختلف نوره تبعاً لهذه المنازل ، لتستعينوا بهذا في تقدير مواعيتكم ، وتعلموا عند السنين والحساب^(٢) ، وما خلق الله ذلك الا بالحكمة ، وهو سبحانه ييسط في كتابه الآيات الدالة على ألوهيته وكمال قدرته لكي تندبروها بعقولكم وتستجيبيوا لما يقتضيه العلم .

(١) خلق الله الكون بأسره في ست مراحل ، وتتضمن المرحلة احقاباً برمتها ، وتلك المراحل التي عبر عنها بالأيام الستة تسخير للشمس والقمر والنجوم لفائدة البشر وكذلك تعاقب الليل والنهار ، وأن النهار طاريء على ظلام السماء وذكر الليل أولاً لأن الظلام هو الأصل فأما النهار ، فقد نشأ بسبب تناثر ضوء الشمس في جو الأرض التي تدور حول نفسها وتعرضه للاشعاع الشمسي .

(٢) « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً : الشمس جرم سماوي ملتهب مضيء بذاته ، وهو مصدر الطاقات على الأرض ومنها الضوء والحرارة بينما القمر جرم غير مضيء بذاته بل يعكس أو يرد مايقع عليه من ضوء الشمس فيبدو منيراً » .

« وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، منازل القمر أوضاعه المختلفة بالنسبة للأرض والشمس وهي التي تنتج عنها أوجبه القمر ومن ثم يمكن تحديد الشهر القمري وهو العلامة الفلكية الظاهرة لتحديد الشهر ، ويتم القمر دورته حول الأرض في ٢٩ - تسعة وعشرين يوماً ، ١٢ واثنًا عشرة ساعة ، و ٤٤ وأربع وأربعين دقيقة ، ٢,٨ واثنان وعثمانية من عشر ثانية » .

وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَتِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ * وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

٦- ان في تعاقب الليل والنهار واختلافها بالزيادة والنقصان ، وفي خلق السموات والأرض وما فيها من الكائنات ، لأدلة واضحة وحججاً بينة على ألوهية الخالق وقدرته لمن يتجنبون غضبه ويخافون عذابه (١).

٧- ان الذين لا يؤمنون بالبعث ولقاء الله في اليوم الآخر ، واعتقدوا - واهين - ان الحياة الدنيا هي منتاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .

٨- هؤلاء مأواهم الذي يستقرون فيه هو النار ، جزاء ما كسبوا من الكفر وقبيح الأعمال .

٩- ان الذين آمنوا إيماناً صحيحاً ، وعملوا الأعمال الصالحة في دنياهم يثبتهم ربهم على الهداية بسبب إيمانهم ، ويدخلهم يوم القيامة جنات تجري الأنهار خلالها ، وينعمون فيها نعيماً خالداً .

١٠- دعاء المؤمنين في هذه الجنات تسبيح وتزكية لله عما كان يقوله الكافرون في الدنيا ، وتحية الله لهم ، وتحية بعضهم لبعض تقرير للأمن والاطمئنان وخاتم دعائهم دائماً حمداً لله على توفيقه إياهم بالإيمان ، وظفرهم برضوانه عليهم .

١١- ولو أجاب الله ما يستعجل به الناس على أنفسهم من الشر مثل استعجالهم لطلب الخير ، لأهلكهم وأبادهم جميعاً ، ولكنه يتلطف بهم ، فيرجئ هلاكهم ، انتظارا لما يظهر منهم حسب ما علمه فيهم ، فتتضح عدالته في جزائهم ، اذ يتركون الأدلة قائمة عليهم ، يتعمدون الانحراف والاتجاه الى طريق الضلال والظلم !

(١) « قد يكون معنى الاختلاف التباين او التعاقب ، فأما الاختلاف بمعنى التباين : فالليل والنهار ضوءان متميزان وتباينها بطبع الظواهر الطبيعية ، وجميع الأحياء في هذا الكوكب بطابعه ، كما هو وارد في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، والتباين قد يعنى أيضاً التفاوت في أطوال النهار وأطوال الليل على مدار العام في أى مكان على الأرض فهو مرتبط بظاهرة الفصول والتباين بهذا المعنى ناتج عن دوران الأرض حول الشمس كل عام مرة وعن ميل محورها .

أما الاختلاف بمعنى التعاقب فهو نتيجة لدوران الأرض حول محورها .

أنظر أيضاً التعليق العلمى على الآية ٨٠ من سورة المؤمنون .

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَانٌ لَّهِ يَدْعَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسِّهِ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَىٰ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّايَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ۚ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ

١٢ - وإذا أصاب الإنسان ضر في نفسه أو ماله أو نحوه ذلك ، أحس بضغفه ودعا ربه على أى حال من حالاته ، مضطجعا أو قاعدا أو قائما ، ان يكشف مانزل به من محنته ! فلما استجاب الله له ، فكشف عنه ضره ، انصرف عن جانب الله ، واستمر على عصيانه ، ونسى فضل الله عليه ، كأنه لم يصبه ضر ، ولم يدع الله الى كشفه وكمثل هذا المسلك زين الشيطان للكافرين ماعملوا من سوء وما اقترفوا من باطل !

١٣ - ولقد أهلكنا الامم السابقة عليكم بسبب كفرهم حين جاءهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدق دعوتهم الى الايمان ، وما كان في علم الله أن يحصل منهم ايمان ، بسبب تشبههم بالكفر والعصيان ! فاعتبروا يا كفار قريش ، فكما أهلكنا من قبلكم ، سنجزى المجرمين بإهلاكهم .

١٤ - ثم جعلناك ، يا أمة محمد خلفاء في الأرض ، تعمرونها من بعد هؤلاء السابقين ، لنختبركم ونظهر ماغفارتونه لأنفسكم من طاعة أو عصيان ، بعد أن عرفتم ما جرى على أسلافكم .

١٥ - وحيثما تجلت آيات القرآن من رسولنا محمد على المشركين ، قال له الكافرون الذين لا يخافون عذاب الله ولا يرجون ثوابه : أتنا كتابا غير هذا القرآن ، أو بدل ما فيه مما لا يعجبنا ، قل لهم أيها الرسول لا يمكنى ولا يجوز أن أغير أو أبدل فيه من عندى ما أنا إلا متبع ومبلغ ما يوحى الى من ربي إني أخاف إن خالفت وحى ربي عذاب يوم عظيم خطره ، شديد هوله !

عُمْرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ مَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ
أَتَدْعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ
عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ

١٦ - قل لهم ، يا أيها الرسول : لو شاء الله ألا ينزل على قرآننا من عنده ، والا أبلغكم به ، ما أنزله ، وما تلوته عليكم ، ولا أعلمكم الله به . لكنه نزل ، وأرسلني به ، وتلوته عليكم كما أمرني . وقد مكثت بينكم زمنا طويلا قبل البعث لم أدع فيه الرسالة ، ولم أتل عليكم شيئا ، وأنتم تشهدون لي بالصدق والأمانة ، ولكن جاء الوحي به فأمرت بتلاوته ، ألا فاعقلوا الامور وأدركوها ، واربطوا بين الماضي والحاضر .

١٧ - ليس هناك أشد ظلما لنفسه ممن كفر وافتري الكذب على الله ، أو كذب بآيات الله التي جاء بها رسوله : انه لا ينجح الكافر في عمله ، وقد خسر خسرانا مبينا بكفره ، ومغاضبته لله تعالى !

١٨ - ويعبد هؤلاء المشركون ، المفترون على الله بالشرك ، أصناما باطلة ، لا تضرهم ولا تنفعهم ، ويقولون : هؤلاء الاصنام يشفعون لنا عند الله في الآخرة قل لهم أيها الرسول : هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجودا في السموات ولا في الأرض ؟! تنزه الله عن الشريك وعما تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء !

١٩ - وما كان الناس في تكوينهم الا أمة واحدة بمقتضى الفطرة ، ثم بعثنا اليهم الرسل لارشادهم وهدايتهم بمقتضى وحي الله تعالى ، فكانت تلك الطبيعة الانسانية التي استعدت للخير والشر سببا في أن يغلب الشر على بعضهم ، وتحكم الاهواء ونزعات الشيطان ، فاختلفوا بسبب ذلك . ولولا حكم سابق من ربك بامهال الكافرين بك أيها النبي ، وارجاء هلاكهم الى موعد محدود عنده ، لعجل لهم الهلاك والعذاب ، بسبب الخلاف الذي وقعوا فيه ، كما وقع للأمم سابقة .

٢٠ - ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد معجزة من عند الله غير القرآن ، تقنعنا بصدق رسالته ! فقل لهم ، أيها الرسول : ان نزول الآيات غيب ، ولا أحد يعلم الغيب الا الله ، وان كان القرآن لا يقنعكم فانتظروا قضاء الله بيني وبينكم فيما تجدونه ، افي معكم من المنتظرين .

بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَهْمٍ إِذَا هُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسِيرُ كُرًى فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْنَ بِيَمٍ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغِيكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَتُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنُّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ

٢١ - ومن شأن الناس اننا إذا أنعمنا عليهم ، من بعد شدة أصابتهم في أنفسهم أو أهلهم أو أموالهم ، لم يشكروا الله على ما أنعم به عليهم بعد صرف الضر عنهم ، بل هم يقابلون ذلك بالامعان في التكذيب والكفر بالآيات ! قل أيها الرسول : ان الله قادر على اهلاككم والاسراع بتعذيبكم ، لولا حكم سابق منه يأمهالكم إلى موعد اختص وحده بعلمه . إن رسلنا من الملائكة الموكلين بكم يكتبون ما تمكرون وسيحاسبكم ويجازيكم .

٢٢ - الله الذي تكفرون بنعمه ، وتكذبون بآياته ، هو الذي يمكنكم من السير والسعى في البر مشاة وركبانا ، وفي البحر ، بما سخر لكم من السفن التي تجرى على الماء ، بما يهيئ الله لها من ريح طيبة تدفعها في أمان إلى غايتها ، حتى إذا أطمأنتم وفرحتم بها هبت ريح عاصفة أثارت عليكم الموج من كل جانب ، وأيقنتم أن الهلاك واقع لا محالة ! في هذه الشدة لا تجدون ملجأ غير الله فتدعونه مخلصين في الدعاء ، وموقنين أنه لا منقذ لكم سواه ، متعهدين له لأن أنجاهم من هذه الكربة لتؤمنن به ولتكونن من الشاكرين .

٢٣ - فلما أنجاهم مما تعرضوا له من الهلاك ، نقضوا عهدهم ، وعادوا مسرعين إلى الفساد الذي كانوا من قبل ! يأيها الناس الناقضون للعهد ان عاقبة اعتدائكم وظلمكم سترجع عليكم وحدكم ، وإن ما تتمتعون به في دنياكم متاع دنيوى زائل ، ثم إلى الله مصيركم في النهاية فيجزىكم بأعمالكم التي أسلفتموها في دنياكم .

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمَّا لَبِثُوا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائُكُمْ فَزَلَلْنَا بَيْنَهُمُ الْقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيمَانًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾

٢٤ - ما حالة الحياة الدنيا في روعتها وبهجتها، ثم في فنائها بعد ذلك، إلا كحالة الماء ينزل من السماء، فيختلط به نبات الأرض، مما يأكله الناس والحيوان، فيزدهر ويشمر وتزدان به الأرض نضارة وبهجة، حتى إذا بلغت هذه الزينة تمامها، وأيقن أهلها أنهم مالكون زمامها ومنفقون بثأرها وخيرها، فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئاً محسوداً، كأن لم تكن أهلها بسكانها وأخذة بهجتها من قبل ففي كلتا الحالتين نضارة وازدهار ينتهج بهما الناس ثم يعقبها زوال ودمار وكما بين الله ذلك بالأمثال الواضحة، يبين الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وآيات لقوم يتفكرون ويعقلون^(١).

٢٥ - والله يدعو عباده بالإيمان والعمل الصالح إلى جنة دار الأمن والاطمئنان وهو سبحانه يهدي من يشاء هدايته - لحسن استعداده وميله إلى الخير - إلى الطريق الحق وهو السلام.

٢٦ - للذين أحسنوا بالاستجابة لدعوة الله، فآمنوا وعملوا الخير لدينهم ودنياهم لهم المنزلة الحسنى في الآخرة وهي الجنة، ولهم زيادة على ذلك فضلاً من الله وتكريماً، ولا يقشى وجوههم كآبة من هم وهوان: وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبداً.

٢٧ - والذين لم يستجيبوا لدعوة الله، فكفروا واقتفروا المعاصي فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء، ويفشاهم الهوان، وليس لهم واق يمنعهم من عذاب الله، وجوههم مسودة من الغم والكآبة كأنما أسدل عليها سواد من ظلمة الليل! وهم أهل النار يشقون فيها أبداً.

٢٨ - واذكر - أيها الرسول - هول الموقف، يوم نجتمع الخلائق كافة - ثم نقول للذين أشركوا في عبادتهم مع الله غيره: قفوا مكانكم أنتم ومن اتخذتموهم شركاء من دون الله، حتى تنظروا ما يفعل بكم، فوقعتم الفارقة بين المشركين والشركاء، وتبرأ الشركاء من عابديهم، قائلين لهم: لم ندعكم إلى عبادتنا، وما كنتم تعبدوننا! وإنما كنتم تعبدون أهواءكم.

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة بدأت تتكشف بوادها وهي تسخير الإنسان للعلم لخدمته واستطاعته به أن يسيطر على ما يحقق أهدافه حتى إذا ما قاربت هذه الحقيقة الاكتمال وظن الإنسان أنه قد بلغ أوج المعرفة أتى أمر الله .

فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ

٢٩ - ويكفينا الله بعلمه وحكمه شهيدا وفاصلا بيننا وبينكم .. انا كنا نجعل عنكم لا نشعر بعبادتك لنا .

٣٠ - في ذلك الموقف تعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر ، وتلقى جزاءه . وفي هذا الموقف أيقن المشركون بوحداية الله الحق ، وبطل كل ما كانوا يفترونه على الله .

٣١ - ادع - أيها الرسول - إلى التوحيد الخالص ، وقل : من الذي يأتيكم بالرزق من السماء بإنزال المطر ، ومن الأرض بإخراج النبات والتمر ؟ ومن الذي يمنحكم السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت كالنبات ، وهو حى من الأرض وهى موات ؟ ومن يخرج الميت من الحى كالإنسان يسلب عنه الحياة ؟ ومن الذى يدبر ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته ؟ فسيترفون ، لا مناص ، بأن الله وحده فاعل هذا كله . فقل لهم ، أيها الرسول ، عند اعترافهم بذلك : أليس الواجب المؤكد أن تدعونا للحق وتخافوا الله مالك الملك ؟

٣٢ - فذلكم الله الذى أقررتم به ، هو وحده ربكم الذى تحققت ربوبيته ووجبت عبادته دون سواه وليس بعد الحق من توحيد الله وعبادته إلا الوقوع فى الضلال ، وهو الاشرار بالله وعبادة غيره ! فكيف تنصرفون عن الحق إلى الباطل .

٣٣ - كما تحققت الوهية الله ووجبت عبادته ، حق قضاؤه على الذين خرجوا عن أمر الله متمردين بأنهم لا يذعنون للحق ، لأن الله تعالى لا يهدى إلى الحق إلا من سلك طريقه ، لا من تمرد عليه .

٣٤ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين . هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله من يستطيع أن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يعيده بعد فناءه ؟ انهم سيعجزون عن الجواب ! فقل لهم حينئذ : الله وحده هو الذى ينشئ الخلق من عدم ثم يعيده بعد فناءه ، فكيف تنصرفون عن الايمان به .

يَهْدِي الْحَقِّ أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۖ فَالْكَرَّ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا
الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۖ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ ۖ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ

٣٥ - قل - أيها الرسول - هؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم التي جعلتموها شركاء لله من يستطيع التمييز بين الهدى والضلال ، فيرشد سواه إلى السبيل الحق ؟ فسيمعزون ! فهل القادر على الهداية إلى الحق أولى بالاتباع والعبادة ؟ أم الذي لا يستطيع أن يهتدى في نفسه ، وهو بالأولى لا يهتدى غيره ، اللهم إلا إذا هداه غيره ؟ كروؤس الكفر ، والأخبار والرهبان الذين اتخذوهم أربابا من دون الله ! فما الذي جعلكم تنحرفون حتى أشركتم هؤلاء بالله ؟ وما هذه الحال العجيبة التي تجرکم إلى تلك الأحكام الغريبة .

٣٦ - وما يتبع أكثر المشركين في معتقداتهم إلا ظنونا باطلة لا دليل عليها ! والظن - على وجه العموم - لا يفيد ، ولا يغني عن العلم الحق أى غناء ، ولا سيما إذا كان ظنا وهميا كظن هؤلاء المشركين . وإن الله عليم بما يفعله رؤساء الكفر وأتباعهم الذين يقلدونهم ! وسيجازيهم على ذلك .

٣٧ - وما كان يتأتى في هذا القرآن أن يفتره أحد ، لأنه في إعجازه وهدايته وإحكامه لا يمكن أن يكون من عند غير الله . وليس هو إلا مصدقا لما سبقه من الكتب السماوية ، فيما جاءت به من الحق ، وموضحا لما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع . لاشك في أن هذا القرآن منزل من عند الله ، وأنه معجز لا يقدر أحد على مثله .

٣٨ - بل يقول هؤلاء المشركون : اختلق محمد هذا القرآن من عنده ! فقل لهم ، أيها الرسول : إن كان هذا القرآن من عمل البشر ، فأتوا أنتم بسورة واحدة مماثلة له ، واستعينوا على ذلك بمن تشاؤون من دون الله ، إن كنتم صادقين في زعمكم أن القرآن من عندى .

كَانَ عَقِبَهُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِءٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِءٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْعُونَ مِمَّا آعَمَلُ وَأَنَا بَرِيْعٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي مَن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمُ

٣٩ - بل سارع هؤلاء المشركون الى تكذيب القرآن من غير أن يتدبروا ، ويعلموا ما فيه ! فلم ينظروا فيه بأنفسهم ، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم ! ويمثل هذه الطريقة في التكذيب من غير علم ، كذب الكافرون من الأمم السابقة رسلهم وكتبهم ! فانظر أيها الانسان ما آل اليه أمر المكذبين السابقين ، من خذلانهم وهلاكهم بالعذاب ! وهذه سنة الله في أمثالهم .

٤٠ - ومن هؤلاء المكذبين من سيؤمن بالقرآن بعد أن يفتن إلى ما فيه ، ويتنبه لمعانيه ، ومنهم فريق لا يؤمن به ولا يتحول عن ضلاله ! والله سبحانه وتعالى أعلم بالمكذبين المفسدين ، وسيجازيهم على ما فعلوه .

٤١ - وإن أصروا على تكذيبك أيها الرسول - بعد وضوح الأدلة على نبوتك - فقل لهم : إن لي جزاء عملي ، ولكم جزاء عملكم كيفما كان ، وإني مستمر في دعوتي ، وأنتم لا تؤخذون بعملي ، وأنا لا أؤخذ بعملكم فافعلوا ما شئتم وسيجازي الله كلا بما كسب .

٤٢ - ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك - أيها الرسول - حين تدعوهم إلى دين الله ، وقد أغلقت قلوبهم دون قبول دعوتك ، فأنت لا تقدر على إسماع هؤلاء الصم وهدايتهم ، وخاصة إذا أضيف إلى صممهم عدم تفهمهم لما تقول .

٤٣ - ومنهم من ينظر اليك ويفكر في شأنك ، فيرى دلائل نبوتك الواضحة ، ولكن لا يهتدى بها ، فثله في ذلك مثل الأعمى ولست بقادر على هداية هؤلاء العمى ، فعمى البصر كعمى البصيرة ، كلاهما لا هداية ! فالأعمى لا يهتدى حسا ، والضال لا يهتدى معنى .

٤٤ - إن الله سبحانه وتعالى سيجازي الناس بأعمالهم بالعدل والقسطاس ، ولا يظلم أحدا منهم شيئا ، ولكن الناس الذين يظلمون أنفسهم باختيارهم الكفر على الايمان !

كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾
وَلَا تُزِيكَ بِعُضِّ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفِّيَنَّكَ فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ
فَلَا يَسْتَعِجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّكُمُ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ آءِ الْغَنِّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا

٤٥ - وأنذرهم - أيها الرسول - يوم نجمعهم للحساب ، فيتحققون بحجى اليوم الآخر بعد أن كانوا يكذبون به ،
ويتذكرون حياتهم في الدنيا ، كأنها ساعة من النهار لم تتسع لما كان ينبغي من عمل الخير ، ويعرف بعضهم بعضا
يتلاومون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال ! . قد خسر المكذبون باليوم الآخر فلم يقدموا في دنياهم عملا
صالحا ولم يظفروا بنعيم الآخرة بكفرهم .

٤٦ - وإن أريناك - أيها الرسول - بعض الذى نعدهم به ، من نصرتك عليهم ، والحق العذاب بهم ،
أو تتوفيتك قبل أن ترى كل ذلك ، فلا مناص من عودتهم إلينا للحساب والجزاء . والله سبحانه رقيب وعالم بكل
ما يفعلونه ، ومجازيهم به .

٤٧ - ولقد جاء رسول لكل أمة فبلغها دعوة الله ، فأمن من آمن ، وكذب من كذب ، فإذا كان يوم الحشر ،
وجاء رسولهم وشهد على مكذبيه بالكفر ، وللمؤمنين بالإيمان ، فيحكم الله بينهم بالعدل التام ، فلا يظلم أحدا
فيا يستحقه من جزاء .

٤٨ - ويعين الكافرون في التكذيب باليوم الآخر ، فيستعجلونه متهمين ويقولون : متى يكون هذا الذى تعدنا به
من العذاب ، إن كنت أيها الرسول ومن معك ، صادقين فيما تؤمنون به وتدعوننا إليه ؟

٤٩ - قل لهم أيها الرسول : اننى لا أملك لنفسي خيرا ولا شرا ، إلا ما أقدرنى الله عليه . فكيف أملك تقديم
العقوبة ؟ . إن لكل أمة نهاية حددها الله أزلا فإذا حانت هذه النهاية فلا يستطيعون التأخر عنها وقتا ما ، كما
لا يستطيعون سبقتها !

٥٠ - قل لهؤلاء المكذبين المستعجلين وقوع العذاب : أخبروني إن وقع بكم عذاب الله ليلا أَوْ نهارا ، فأى
فائدة يحصل عليها من استعجاله المجرمون الآثمون ؟ والعذاب كله مكروه ..

٥١ - أنتكثرون العذاب الآن ، ثم إذا حل بكم يقال لكم توبيخا : هل آمنتم به حين عايتموه ، وقد كنتم
تستعجلونه في الدنيا مستهينين جاحدين ..

عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ * وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۖ وَأَسْرِوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا
الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۖ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَّا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا

٥٢ - ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب : ذوقوا العذاب الدائم .. لا تجزون الآن إلا على أعمالكم التي كسبتموها في الدنيا .

٥٣ - ويطلب الكفار منك أيها الرسول - على سبيل الاستهزاء والانكار - أن تخبرهم أحق ما جئت به من القرآن وما تعدهم به من البعث والعذاب ؟ قل لهم : نعم وحق خالق الذي أنشأني انه حاصل لا شك فيه وما أنتم بغالين ولا مانعين ما يريد الله بكم من العذاب .

٥٤ - ولو أن كل ما في الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود ، لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعاين هوله ، وحينئذ يتردد الندم والحسرة في سرائرهم لعجزهم عن النطق به ! ولشدة ما دهاهم من الفرع لرؤية العذاب ! ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين في هذا الجزاء . لأنه نتيجة ما قدموا في الدنيا .

٥٥ - ليعلم الناس أن الله مالك ومهيمن على جميع ما في السموات والأرض ، وليعلموا أن وعده حق ، فلا يعجزه شيء ، ولا يفلت من جزائه أحد ، ولكنهم قد غرتهم الحياة الدنيا لا يعلمون ذلك علم اليقين .

٥٦ - والله سبحانه - يهب الحياة بعد عدم ، ويسلبها بعد وجود وإليه المرجع في الآخرة ، ومن كان كذلك لا يعظم عليه شيء .

٥٧ - يأياها الناس : قد جاءكم على لسان الرسول محمد كتاب من الله ، فيه تذكير بالايان والطاعة وعظة بالترغيب في الخير ، والترهيب من عمل السوء ، وسوق العبر بأخبار من سبقوكم وتوجيه نظركم إلى عظمة الخلق لتدركوا عظمة الخالق ، وفيه دواء لأمراض قلوبكم من الشرك والنفاق ، وهداية إلى الطريق المستقيم . وذلك كله رحمة للمؤمنين الذين يستجيبيون .

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ
أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا
عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

٥٨ - قل لهم أيها الرسول : افرحوا بفضل الله عليكم ورحمته بكم ، بإنزال القرآن وبيان شريعة الاسلام ، وهذا خير من كل ما يجمعه الناس من متاع الدنيا ، لأنه غذاء القلوب وشفاء أسقامها .

٥٩ - قل - أيها الرسول - للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا : أخبروني عما منحكم الله من رزق حلال طيب ، فأقمتم من أنفسكم مشرعين ، تعملون بعضه حلالا ، وبعضه حراما دون أن تأخذوا بشرع الله ؟ إن الله لم يأذن لكم في هذا ، بل أنتم تكذبون في ذلك على الله !

٦٠ - ما الذي يظنه يوم القيامة أولئك الذين كانوا يفترون الكذب على الله فيدعون الحل والتحريم ، من غير أن يكون عندهم دليل ؟ إن الله أنعم عليهم نعمة كثيرة ، وأحلها لهم بفضلها ، وشرع لهم ما فيه خيرهم ، ولكن الأكثرين لا يشكرون الله عليها ، بل يفترون على الله الكذب .

٦١ - وانك أيها الرسول قد بلغت وهو معلوم لله ، وما تكون في أمر من أمورك ، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل ، إلا ونحن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين ، ولا يغيب عن علم ربك شيء في وزن الذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من هذا ولا أكبر منه . إن ذلك كله يسجل في كتاب عند الله بين واضح .

٦٢ - تنبهوا أيها الناس ، واعلموا أن الموالين لله بالايان والطاعة يحبهم ويحبونه ، لا خوف عليهم من الخزي في الدنيا ، ولا من العذاب في الآخرة وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
 الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ
 فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
 هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ

٦٣ - وهم الذين صدقوا بكل ما جاء من عند الله ، وأذعنوا للحق ، واجتنبوا المعاصي ، وخافوا الله في كل أعمالهم .

٦٤ - هؤلاء الأولياء البشري بالخير في الدنيا ، وعدهم الله به من نصر وعز ، وفي الآخرة يتحقق وعد الله ، ولا خلف لما وعد الله به وهذا الذي بشروا به في الدنيا ، وظفروا به في الآخرة هو الفوز العظيم .

٦٥ - ولا تحزن - أيها الرسول - لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن أن حالهم ستدوم ، بل ان النتيجة لك وسيعتز الاسلام ، فإن العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحانه السميع لما يفكرون عليك ، العليم بما يضمره ، وسيجازيهم على ذلك .

٦٦ - لتعلموا - أيها الناس أن الله وحده كل من السموات والأرض خلقا وملكا وتديرا . وإن الذين أشركوا بالله لا يتبعون شركاء الله في الحقيقة وهم لا يتبعون إلا أوهاما باطلة لا حقيقة لها ، وليسوا إلا واهمين يظنون القوة فيما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

٦٧ - إن الذي يملك من في السموات والأرض ، هو الذي خلق لكم الليل لتستربحوا فيه من عناء السعي في النهار ، وخلق لكم النهار مضيئا لتسعوا فيه وتجلبوا مصالحكم . ان في خلق الليل والنهار لدلائل بينة لمن يسمعون ويتدبرون .

سُلْطَنٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾
 مَنَعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
 نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِن كَانَ كِبُرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ
 وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ مَّا سَأَلْتُم مِّنْ
 أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَايَعُوا لِيَافِكُوكَ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ

٦٨ - وإذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا في العبادة حجارة ، ولم ينزهوا الله حق التنزيه ، وقالوا أن الله ولدا .. فالله منزّه عن ذلك .. أنه غنى عن أن يتخذ ولدا ، لأن الولد مظهر الحاجة إلى البقاء ، والله باق خالد ، وكل ما في السموات وما في الأرض مخلوق ومملوك له ، وليس عندكم أيها المفترون حجة ولا دليل على ما زعمتم ! فلا تختلقوا على الله أمرا لا أساس له من الحقيقة .

٦٩ - قل لهم أيها الرسول : إن الذين يختلقون على الله الكذب ويزعمون أن له ولدا ، لن يفلحوا أبدا !
 ٧٠ - لهم متاع في الدنيا يفترون به ، وهو قليل ، طال أو قصر ، بجوار ما يستقبلهم ! ثم إلينا مرجعهم ، فنحاسبهم ونذيقهم العذاب المؤلم بسبب كفرهم .

٧١ - وإن ما ينزل بك من قومك قد نزل بمن سبقك من الأنبياء . واقرأ أيها الرسول على الناس ، فإنا ينزله عليك ربك من القرآن قصة نوح رسول الله لما أحس كراهية قومه وعداءهم لرسالته ، فقال لهم : يا قوم إن كان وجودي فيكم لتبليغ الرسالة قد أصبح شديدا عليكم ، فإني مستمر مثابر على دعوتي متوكل على الله في أمري ، فاحزموا أمركم ومعكم شركاؤكم في التدبير ، ولا يكن في عدائكم لي أي خفاء ، ولا تمهلوني بما تريدون لي من سوء ، إن كنتم تقدرون على إيذاي ، فإن ربي يرعاني .

٧٢ - وإن بقيتم على الاعراض عن دعوتي ، فإن ذلك لن يضرني ، لأنني لم أقم بها لأتقاضاكم عليها أجرا أخشى عليه الضياع بسبب إعراضكم ، إنما أطلب أجرى عليها من الله وحده ، وقد أمرني أن أكون مسلما إليه جميع أمري .

وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ بَنَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مِيقٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ

٧٣ - ومع هذا المجهود وتلك المثابرة التي بذلها من أجل هدايتهم ، أصروا على أن يستمروا في تكذيبه وعدائه ، فنجاه الله ومن معه من المؤمنين به ، الراكبين معه في الفلك وجعلهم عابرا للأرض بعد هلاك الكافرين الذين أغرقهم الطوفان ، فانظر يا محمد كيف لقي المستخفون بالندر مصيرهم السيئ .

٧٤ - ثم أرسلنا من بعد نوح رسلا آخرين ، داعين إلى التوحيد ، ومبشرين ومنذرين ومؤيدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح فما كان من شأن الجاحدين منهم أن يدعوا ، لأن التكذيب سبق التبصر والاعتبار ، وبذلك طبع الله الباطل على قلوب الذين من شأنهم الاعتداء على الحقائق وعلى البينات .

٧٥ - ثم أرسلنا من بعدهم موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر وإلى خاصته ، داعين إلى عبادة الله وحده ، ومؤيدين بالحجج الباهرة ، فاستكبر فرعون وقومه عن متابعة موسى وهارون في دعوتها ، وكانوا بهذا الرفض مرتكبين جرما عظيما آثمين به .

٧٦ - فلما ظهر لهم الحق من عندنا على يد موسى ، قالوا في معجزة موسى وهي العصا التي انقلبت حية أمام أعينهم : إن هذا سحر مؤكد واضح .

٧٧ - قال لهم موسى مستنكرا : اتصفون الحق الذي جئتكم به من عند الله بأنه سحر ؟ أتكون هذه الحقيقة التي عاينتموها سحرا ؟ ! وهأنذا أتهداكم أن تثبتوا أنها سحر ، فأتوا بالساحرين ليثبتوا ما تدعون ، ولن يفوز الساحرون في هذا أبدا .

وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَمَّا لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

٧٨ - قال فرعون وقومه لموسى : انما جئت الينا قاصدا أن تصرفنا عن دين آبائنا وتقاليد قومنا لكى نصير لكما اتباعا ويكون لك ولأخيك الملك والعظمة والرياسة المسيطرة المتحكمة ؟ وإذن فلن نؤمن بكما ولا برسالتكما .

٧٩ - وزعم فرعون وقومه أن موسى وأخاه ساحران لا رسولان ، فأمر رجاله بأن يحضروا له من مملكته كل من له مهارة فى فنون السحر .

٨٠ - ولما حضر السحرة ووقفوا أمام موسى ، لمنازلته بسحرهم على رؤوس الأشهاد ، قال لهم موسى : هاتوا ما عندكم من فنون السحر .

٨١ - فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ، قال لهم موسى : إن الذى فعلتموه هو السحر حقا ، والله سيبطله على يدي ، ان الله لا يهين أعمال المفسدين لأن تكون صالحة ونافعة .

٨٢ - أما الحق فان الله ناصره ومؤيده بقدرته وحكمته ، مهما أظهر الكافرون من بغضهم له ومحاربتهم إياه .

٨٣ - ومع ظهور الآيات الدالة على صدق الرسالة ، فإن الذين آمنوا بموسى لم يكونوا إلا فئة قليلة من قوم فرعون ، آمنوا على خوف من فرعون ومن معه أن يردوهم عما آمنوا به ، وما أعظم طغيان فرعون فى أرض مصر وانه لمن المغالين الذين أسرفوا فى استكبارهم واستعلائهم .

٨٤ - أما موسى فقد قال للمؤمنين مواسيا لهم ومشجعا : يا قوم ، ان كان الايمان قد دخل قلوبكم فى إخلاص لله فلا تتخشوا سواه ، وأسلموا أموركم إليه . وتوكلوا عليه ، وثقوا فى النهاية ان كنتم ثابتين على الاسلام .

فَتَنَّا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

٨٥- فقال المؤمنون : على الله وحده توكلنا ، ثم دعوا ربهم ألا يجعلهم أداة فتنة وتعذيب في يد الكافرين .

٨٦- ودعوا ربهم قائلين : نجنا بما أسبغت علينا من نعمة ورحمة ، وبفيض رحمتك التي اتصفت بها ، من القوم الجاحدين الظالمين .

٨٧- وأوحينا الى موسى وأخيه هارون أن يتخذوا لقومهما بيوتا يسكنونها بأرض مصر ، وأن يجعلوا هذه البيوت قبلة يتجه اليها أهل الايمان الذين يتبعون دعوة الله ، وأن يؤدوا الصلاة على وجهها الكامل . والبشرى بالخير للمؤمنين .

٨٨- ولما تمادى الكفار في تعنتهم مع موسى ، دعا الله عليهم ، فقال : يارب انك أعطيت فرعون وخاصته بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان فكانت عاقبة هذه النعم اسرافهم في الضلال والاضلال عن سبيل الحق للملهم اسحق أموالهم . واتركهم في ظلمة قلوبهم ، فلا يوفقوا للايمان حتى يروا رأى العين العذاب الأليم ، الذى هو العاقبة التى تنتظرهم ليكونوا عبرة لغيرهم .

٨٩- قال الله تعالى : قد أجيب دعاؤكما ، فاستمرا على السير فى الطريق المستقيم ، واتركا سبيل أولئك الذين لا يعلمون الأمور على وجهها ولا يذعنون للحق الذى وضع .

٩٠- ولما جاوزنا بنى اسرائيل البحر ، تعقبهم فرعون وجنوده للاعتداء عليهم فأطبقنا عليهم البحر ، فلما أدرك الفرق فرعون قال : صدقت بالله الذى صدقت به بنو اسرائيل ، وأذعنت له ، وأنا من الطائعين الخاضعين .

قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۖ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

٩١- لم يقبل الله من فرعون هذا الايمان الذى اضطر اليه ، وتلك التوبة التى كانت وقد حضره الموت ، بعد أن عاش عاصيا لله مفسدا في الأرض فات كافرا مهانا .

٩٢- واليوم الذى هلك فيه نخرج جثتك من البحر ، ونبشها لتكون عظة وعبرة لمن كانوا يعبدونك ولا ينتظرون لك مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ولكن كثيرا من الناس يغفلون عن البيئات الباهرة في الكون التى تثبت قدرتنا^(١) .

٩٣- ولقد مكنا لبني اسرائيل بعد ذلك فعاشوا في أرض طيبة ، محافظين على دينهم ، بعيدين عن الظلم الذى كانوا فيه ، موفورة لهم الأرزاق والنعم ، ولكنهم ما ان ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان ، حتى أصابهم داء الفسقة فاختلّفوا مع أنه قد تبين لهم الحق والباطل ، وسيقضى الله بينهم يوم القيامة ، ويجزى كلا منهم بما عمل .

٩٤- فإن ساورك أو ساور أحدا غيرك شك فيما أنزلنا اليك من وحى ، فاسأل أهل الكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق لما أنزلنا عليك . وذلك تأكيد للصدق ببيان الدليل عند احتمال أى شك فليس هناك مجال للشك ، فقد أنزلنا عليك الحق الذى لا ريب فيه ، فلا تجار غيرك في الشك والتردد .

٩٥- ولا تكن أنت ولا أحد من الذين اتبعوك ، من الذين يكذبون بالحجج والبيئات ، لئلا يحل عليك الحشران والغضب كما هو شأن الكفار الذين لا يؤمنون والخطاب للنبي خطاب لكل من اتبعه .

(١) يظهر ان الآية الكريمة تشير إلى أن جسم فرعون سيق محفوظا ليراه الناس ويعتبروا برؤية ذلك الحطام الرميم لمن كان يعتبر نفسه آها ، ويقول لقومه الخائعين ليس لكم من اله غيرى .

هذا ويلاحظ ان خروج بنى اسرائيل من مصر قد وقع في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد في عهد أحد فراعنة الأسرة التاسعة عشرة وهو منفنح بن رمسيس الثانى الذى سخر بنى اسرائيل في بناء عاصمة ملكه .

وقد دلت الكشف التاريخية الحديثة على أن اسم هذه المدينة المظورة « بور عمسس » وكان خروج بنى اسرائيل مع موسى للدعوة الى الوحدة والخلع ربة فرعون الذى يسخرهم ويذيقهم سوء العذاب : اليس هذا دليلا على انه من عند الله ؟

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي

٩٦ - إن الذين سبق عليهم قضاء الله بالكفر ، لما علم من عنادهم وتعصبهم لن يؤمنوا مهما أجهدت نفسك في اقناعهم .

٩٧ - ولو جئتهم بكل حجة منها يكن وضوحها فلن يقتنعوا وسيستمرون على ضلالهم إلى أن ينتهى بهم الأمر إلى العذاب الأليم .

٩٨ - لو أن كل قرية من القرى تؤمن لنفعا إيمانها ، لكنها لم تؤمن ، فلم يكن النفع إلا لقوم يونس ، فانهم لما آمنوا وجدوا النفع لهم ، فكشفنا عنهم الخزي وما يترتب عليه من آلام ، وجعلناهم في متعة الدنيا الفانية حتى كان يوم القيامة .

٩٩ - ولو أراد الله إيمان من في الأرض جميعا لآمنوا ، فلا تحزن على كفر المشركين ، ولا إيمان إلا مع الرغبة فلا تستطيع أن تكره الناس حتى يذعنوا للحق ويستجيبوا له فليس لك أن تحاول إكراههم على الإيمان ولن تستطيع ذلك مهما حاولت .

١٠٠ - لا يمكن لإنسان أن يؤمن إلا إذا اتجهت نفسه إلى ذلك وهياً الله لها الأسباب والوسائل أما من لم يتجه إلى الإيمان فهو مستحق لسخط الله وعذابه ، وسنة الله أن يجعل العذاب والغضب على الذين ينصرفون عن الحجج الواضحة ولا يتدبرونها .

١٠١ - قل يا أيها النبي لهؤلاء المعاندين : انظروا إلى ما في السموات والأرض من بينات ترشد إلى الوهية ووحدايته ، ففيها ما يقنعكم بالإيمان . ولكن الآيات على كثرتها والنذر على قوتها لا تغنى عن قوم جاحدين لا يتعقلون ، إذا لم يؤمن هؤلاء الجاحدون فلن ينتظروا^(١) .

(١) هذه الآية وكثير غيرها تدعو إلى العلم بالمشاهدة والتأمل وتدعو إلى العلم بالكون وما فيه إذ قد سخر للإنسان لأنه السبيل إلى المعرفة بالمشاهدة المحسوسة .

مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ

١٠٢ - فهل ينتظر أولئك الجاحدون إلا أن ينادهم من الأيام الشداد مثل ما أصاب الذين مضوا من قوم نوح وقوم موسى وغيرهم ؟ قل لهم أيها النبي إذا كنتم تنتظرون غير ذلك ، فانتظروا انى منتظر معكم ، وستصيبكم الهزيمة القريية والعذاب يوم القيامة .

١٠٣ - ثم ننجى رسلنا والمؤمنين من ذلك العذاب ، لأنه وعد بنجاتهم ، ووعدته حق لا يتخلف .

١٠٤ - قل لهم أيها الرسول : إن كنتم تشكون في صحة الدين الذى بعثت به فاعلموا أنه مها تشككنم فيه فلن أعبد الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، ولكنى أعبد الله الذى بيده مصيركم ، وهو الذى يتوفاكم ، وقد أمرنى أن أكون من المؤمنين به .

١٠٥ - يا أيها النبي قم حق القيام بالاتجاه الى الله منصرفا اليه ، ولا تدخل في غمار الذين أشركوا بالله ، فجانبهم وابتعد عنهم أنت ومن اتبعك من المؤمنين .

١٠٦ - ولا تلجأ بالدعاء والعبادة الى غير الله مما لا يجلب لك نفعا ، ولا يزل بك ضررا فانك ان فعلت ذلك كنت داخلا في غمار المشركين الظالمين والنهى الموجه للنبي هو موجه لأمتة ، وهو تأكيد للنهى ، لأن النهى حيث لا يمكن وقوع النهى عنه مبالغة في النهى .

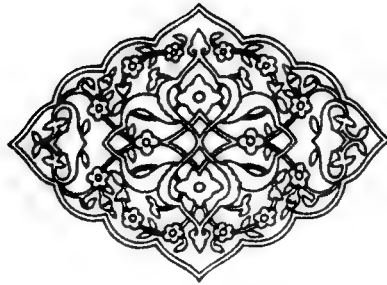


لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرَدِّكَ بِحَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءُكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ ضَلَّٰ فَلِنَافْسِهِ ۚ وَلِيَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَنَهَىٰ بِالْإِثْمِ وَالظُّلْمِ ۚ إِنَّكُمْ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْخَائِضِينَ ﴿١٠٩﴾

١٠٧ - وان يصبك الله بضر أيها النبي فلن يكشفه عنك إلا هو ، وان يقدر لك الخير فلن يمنعه عنك أحد لأنه يهب الخير من فضله لمن يشاء من عباده ، وهو سبحانه الواسع المغفرة العظيم الرحمة .

١٠٨ - بلغ أيها الرسول دعوة الله إلى الناس كافة ، وقل لهم : أيها الناس قد أنزل الله عليكم الشريعة الحقة من عنده فمن شاء أن يهتدى بها فليسارع ، فإن فائدة هداة ستكون لنفسه ، ومن أصر على ضلاله فإن ضلاله سيقع عليه وحده ، وأنا لست موكلا بارغامكم على الإيمان ، ولا مسيطرا عليكم .

١٠٩ - واثبت أيها الرسول على دين الحق ، واتبع ما أنزل عليك من الوحي ، صابرا على ما ينالك في سبيل الدعوة من مكاره ، حتى يقضى الله بينك وبينهم ، بما وعدك به من نصر المؤمنين ، وخذلان الكافرين ، وهو خير الحاكمين ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كَتَبْتُ أَحَكَمْتُ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَإِنْ أَسْتَفِرُّوا رَبَّكَ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي

سورة هود: هي سورة مكية تتكون من ١٢٣ آية ابتدأت بالتنويه بالقرآن الكريم، وعبادة الله وحده، والانذار، والتبشير، ثم بيان قدرة الله وربوبيته، وأحوال الناس في تلقيهم لنعمه ونقمه، ثم مقام القرآن، والتحدى به، وكفر الكافرين به من غير عذر في كفرهم، وبيان ثواب المؤمنين.

ولقد قص سبحانه بعد ذلك قصص النبيين، ومجادلة أقوامهم لهم، وإنزال العذاب الدنيوي بالكافرين ونجاة المؤمنين، فذكر سبحانه وتعالى قصة نوح بتفصيل أكثر مما كان في سورة يونس، ففيها بيان لعقوبة الكافر وعناؤه، وبيان لإنزال المقت به، ومن بعد قصة نوح ذكر سبحانه قصة عاد مع نبي الله هود، ببيان يوضح عقوبة الكفر، وما نزل بالكافرين مع قوة بأسهم وشدتهم.

ثم ذكر بمثل ذلك من البيان قصة نبي الله صالح مع ثمود، ثم قصة نبي الله وخيله إبراهيم ثم قصة نبي الله لوط، ثم قصة نبي الله شعيب.

ثم ذكر سبحانه وتعالى العبر في هذا القصص الحق، وختمها سبحانه بدعوة المؤمنين إلى العمل وانتظار الثواب، ثم ذكر علم الله سبحانه وتعالى الكامل ووجوب التوكل عليه.

١ - الر... حروف ابتدأت بها السورة للإشارة إلى أن القرآن معجز، مع أنه مكون من الحروف التي ينطقون بها، وللتنبية إلى الإصغاء عند تلاوة القرآن الكريم إلى أنه كتاب ذو شأن عظيم، أنزلت آياته محكمة لا باطل فيها ولا شبهة، ونظمت بأسلوب لا خلل فيه، واضحة بيّنة، ثم فصلت أحكامها. وللكتاب مع شرفه في ذاته شرف أنه من عند الله الذي يعلم كل شيء، ويضع الأمور في مواضعها سبحانه.

٢ - أرشد به الناس، أيها النبي، وقل لهم: لا تعبدوا إلا الله، انني مرسل منه لأنذركم بعذابه ان كفرتم، وأبشركم بثوابه ان آمنتم وأطعتم.

فَضِّلْ فَضْلَهُ ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ ۚ أَبْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾

٣ - وتضرعوا إلى الله داعين أن يغفر لكم ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه باخلاص العبادة وعمل الصالحات ، فيمتنعكم متاعا حسنا في الدنيا إلى أن تنتهي أجالكم المقدرة لكم فيها ، ويعطى في الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله . وإن تنصرفوا عما أدعوكم إليه ، تعرضتم للعذاب ، فاني أخاف عليكم هذا العذاب في يوم كبير يحشر فيه الناس جميعا ويكون فيه الهول الأكبر .

٤ - إلى الله وحده مرجعكم في الدنيا ويوم القيامة ، حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم ، وهو قادر على كل شيء ، لأنه كامل القدرة لا يعجز عن شيء من الأشياء .

٥ - إن الناس يطون صدورهم كاتمين لما يجول فيها ، مجتهدين في كتمانهم ، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخفي خلجات صدورهم عن الله ؟ ألا فليعلم هؤلاء أنهم إن أروا إلى فراشهم لابسين لباس النوم ، فاستتروا بظلام الليل والنوم وطى ما في الصدور ، فإن الله عليم بهم ، في سرهم وعلتهم ، لأنه يعلم ما يصاحب الصدور ويطوى فيها .

٦ - وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شيء ، فلا توجد دابة تتحرك في الأرض الا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها في مختلف البيئات تفضلا منه ، ويعلم مكان استقرارها في حال حياتها ، والمكان الذي تودع فيه بعد موتها ؟ .. كل شيء من ذلك مسجل عنده سبحانه في كتاب موضح لأحوال ما فيه .

٧ - والله خلق السموات والأرض وما فيها في ستة أيام ، ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه عرش الله . وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختبار أحوالكم أيها الناس ، ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة ، ومن يعرض عن ذلك ... ومع هذه القدرة الخالقة ان قلت لهم مؤكدا : أنهم سيبعثون من قبورهم ، وأنهم خلقوا ليموتوا ويبعثوا ، سارعوا إلى الرد عليكم مؤكدين أن هذا الذي جئتهم به لا حقيقة له ! وما هو الا كالسحر الواضح الذي يلعب بالعقول .

وَلَيْنَ أَنْزَلْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أُمَّةٌ مَعْدُودَةٌ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ۖ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَفْرُوقًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَیُبْغِشُ كُفْرًا ﴿٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّةٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۖ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ

٨- ولئن اقتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم في الدنيا إلى وقت محدد عندنا هو يوم القيامة، ليقولون مستهزئين: ما الذي يمنعنا الآن؟ فليأت به إن كان صادقاً في وعيده. ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب آتٍ حتماً، وأنه لا خلاص لهم منه حين يأتيهم، وأنه سيحيط في الدنيا بهم بسبب استهزائهم واستهتارهم.

٩- وأن من طبيعة الإنسان أن تستغرق نفسه الحال التي يكون عليها، فإذا أعطياه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة في الرزق، ثم نزعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا، أسرف في يأسه من عودة هذه النعمة إليه، وأسرف في كفره بالنعم الأخرى التي لا يزال يتمتع بها.

١٠- وإنا لو أعطيناه نعمة بعد ضرر لحق به، فانه يقول: ذهب ما كان يسوءني ولن يعود ويحمله ذلك على شدة الفرح بمناجاة الدنيا، وعلى المبالغة في التفاخر على الغير، فينشغل قلبه عن شكر ربه، هذا هو شأن غالب بني الإنسان: مضطرب بين اليأس والتفاخر!

١١- ولا يخلو من هذا العيب إلا الذين صبروا عند الشدائد، وعملوا الصالحات في السراء والضراء. هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجر كبير على أعمالهم الصالحة.

١٢- لا تحاول أيها النبي إرضاء المشركين لأنهم لا يؤمنون، وعساك إن حاولت إرضاءهم أن تترك تلاوة بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه عليهم، كاحتقار بعض آلهتهم، خوفاً من قبيح رددهم واستهزائهم! وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلو، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كزراً تنعم به كالمملوك، أو يجيء معك ملك يخبرنا بصدقه! فلا تبال أيها النبي بعنادهم، فما أنت إلا منذر ومحذر من عقاب الله من يخالف أمره، وقد فعلت فأرج نفسك منهم. واعلم أن الله على كل شيء رقيب ومهيمن، وسيفعل بهم ما يستحقون.

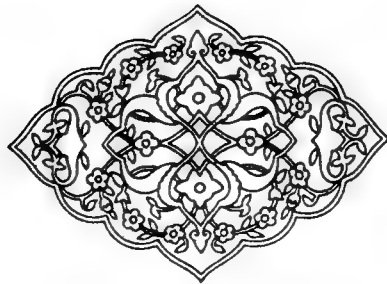
أَفْتَرْتَهُ قُلُّ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَلَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْنَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَقْنِ كَانَ عَلَى بَنِيَّةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ
قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ

١٣ - ان القرآن فيه الآية الدالة على صدقك فإن قالوا : انه ألفه من عنده أو افتراه على الله ! فقل لهم : ان كان هذا القرآن من عند بشر ، أمكن للبشر أن يأتوا بمثله ، وأنتم فصحاء البشر . فأتوا بعشر سور مثله مختلفات ، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن ، ان كنتم صادقين في دعواكم أنه كلام بشر .

١٤ - فان عجزتم ، وعجز من استعنتم بهم فأتوا بمثله ولو مفترى ، فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل الا مقترنا بعلم الله ، فلا يعلم وعلمه أحد ، واعلموا أنه لا اله الا الله فلا يعمل عمله أحد . فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم ، ان كنتم طالبين للحق .

١٥ - من كان يطلب الحياة الدنيا ، والتمتع بلذاتها وزينتها نعظهم ثمرات أعمالهم وافية لا ينقص منها شيء .

١٦ - هؤلاء الذين قصرُوا همهم على الدنيا ، ليس لهم في الآخرة الا عذاب النار ، وبطل نفع ما صنعوه في الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب ، وهو في نفسه باطل أيضا ، لأن العمل الذي لا يفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن .



فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَنُفَرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَا يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا
كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ

١٧ - أفن كان يسير في حياته على بصيرة وهداية من ربه ، ويطلب الحق مخلصا ، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن ، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذي أنزله الله قدوة يتبع ما جاء به ، ورحمته لمتبعيه ، كمن يسير في حياته على ضلال وغمية ، فلا يتم الاجتماع الدنيا وزينتها ؟ ! أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم ، يؤمنون بالنبي والكتاب الذي أنزل عليه . ومن يكفر به ممن تألبوا على الحق وتحزبوا ضده ، فالنار موعده يوم القيامة . فلا تكن أيها النبي في شك من هذا القرآن أنه الحق النازل من عند ربك ، لا يأتيه باطل ، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات ، فلا يؤمنون بما يجب الإيمان به .

١٨ - وليس أحد أكثر ظلما لنفسه وبعدا عن الحق من الذين يخلقون الكذب وينسبونه إلى الله . ان هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ما عملوا من سوء ، فيقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء وغيرهم : هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفظع الجرم والظلم بالنسبة لحالهم ! ان لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون .

١٩ - هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمنعونهم ، وهو سبيله المستقيم ، ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم وأهوائهم ، فتكون معوجة ، وهم بالآخرة - وما فيها من ثواب المؤمن وعقاب الكافر - كافرون .

٢٠ - أولئك الكافرون ، لم تكن لهم قوة تعجز الله عن أخذهم بالعذاب في الدنيا ، ولم يكن لهم نصراء يمنعون عنهم عذابه لو شاء أن يعجل لهم العذاب وان العذاب سيقع عليهم في الآخرة أضعاف ما كان سيقع عليهم في الدنيا ، لو أراد الله أن يقع ، لأنهم كرهوا أن يسمعو القرآن ، ويبصروا آيات الله في الكون ، كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعو أو يبصروا .

٢١ - أولئك الكافرون لم يربحوا بعبادة الله شيئا ! بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون من أكاذيب ودعاوى باطلة وما كانوا يخلقون من الآلهة الباطلة ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفونهم لهم ، فإن يوم القيامة هو يوم الحقائق التي لا زيف فيها ولا افتراء .

هُمُ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاخْتَبَوْا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ءِتَنِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ أَمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا مَا تَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ۚ بَلْ نَنظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ۖ فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلِمُكُمْ مَوَآءَنتُمْ لَهَا كِذِبُهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُومُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا

٢٢ - حقا ، انهم في الآخرة أشد الناس خسرانا .

٢٣ - ان الذين آمنوا بالله ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها ، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخلد فيها .

٢٤ - مثل الفريقين : المؤمنين والكافرين ، كالأعمى الذى يسير على غير هدى ، والأصم الذى لا يسمع ما يرشده إلى النجاة ، وكقوى البصر الذى يرى طريق الخير والنجاة ، وقوى السمع الذى يسمع كل ما ينفعه ، هذان الفريقان لا يستويان فى الحال والمآل . أفلا تتفكرون أيها الناس فيما بينكم من التباين والكفر ، وفيما بين الباطل والحق من خلاف ، فتبتعدوا عن طريق الضلال ، وتسيروا فى الطريق المستقيم ؟

٢٥ - وكما أرسلناك إلى قومك لتنذرهم وتبشرهم ، فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود ، أرسلنا نوحا إلى قومه فقال لهم : اتى محذر لكم من عذاب الله ، مبين لكم طريق النجاة .

٢٦ - قائلا لهم : اتى أطلب منكم ألا تعبدوا الا الله ، لأنى أخاف عليكم ان عبادتم غيره أو أشركتم معه سواء فى العبادة ، أن يحل عليكم يوم عذابه ذو ألم شديد .

٢٧ - قال الكبار من قومه : ما نرى الا أنك بشر مثلنا ، فليس فيك ما يجعل لك ميزة خاصة ، وفضلا يجعلنا على الإيمان بأنك رسول من عند الله ! وما نرى الذين اتبعوك من بيننا الا الطبقة الدنيا منا وما نرى لكم من فضل علينا . بل انا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون .

٢٨ - قال نوح : يا قوم ، أخبروني - ان كنت مؤيدا بحجة واضحة من ربى ، وأعطاني برحمته النبوة والرسالة ، فحجب نورها عنكم ، وعماها عليكم اغتراركم بالجاه والمال - فهل يصح أن نلزمكم بالحجة والإيمان بها مضطرين كارهين ؟ .

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا ؕ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ قَوْمًا يَجهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ
مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ؕ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا
أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ؕ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾
قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ

٢٩ - يا قوم ، لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربى مالا ، وإنما أطلب جزائى من الله . وما أنا بطارد الذين آمنوا برهم عن مجلسى ومعاشرى ، لجهرد احتقاركم لهم . لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة ، فيشكوننى إليه ان طردتهم لفقرهم . ولكنى أراكم قوما تجهلون ما يصح أن يتفاضل به الخلق عند الله . أهو الغنى والجاه ، كما تزعمون ؟ أم اتباع الحق وعمل الخير ؟

٣٠ - يا قوم ، لا أحد يستطيع منع عقاب الله عنى ، ان طردتهم وهم المؤمنون به ، أهل بعد هذا تصرون على جهلكم ، فلا تتذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم ؟

٣١ - ولا أقول لكم ، لآتى رسول ، ان عندى خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء ، فأجعل من يتبعنى غنيا ! ولا أقول : انى اعلم الغيب ، فأخبركم بما اختص به علم الله ، بحيث لا يعلمه أحد من العباد ! ولا أقول : انى ملك حق تردوا على بقولكم : ما ذاك الا بشر ! ولا أقول عن الذين تحتقرونهم ان الله لن يؤتيهم خيرا ارضا لرغباتكم ! لأن الله وحده هو الذى يعلم ما فى أنفسهم من اخلاص ! .. انى إذا قلت لهم ما تحبونه ، أكون من زمرة الظالمين لأنفسهم ولغيرهم .

٣٢ - قالوا : يا نوح قد جادلتنا لنؤمن بك فأكثرت جدالنا ، حتى مللنا ، ولم نعد نتحمل منك كلاما ، فأتنا بهذا العذاب الذى تهددنا به ، ان كنت صادقا فى أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك .

٣٣ - قال نوح : هذا أمر بيد الله وحده ، فهو الذى يأتىكم بما يشاء حسب حكمته ، ولستم بمفلتين من عذابه إذا جاء ، لأنه سبحانه لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرِيءٌ ﴿٣٥﴾ تَمَّا تُجْرَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾ وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالُوا إِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ فَمَا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٩﴾ فَسَوْفَ نَعْلَمُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ

٣٤ - ولا ينفعكم نصحي لجرد ارادتي الخير لكم ، ان كان الله يريد أن تضلوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم ، حتى صارت لا تقبل حقا ! وهو سبحانه ربكم ، وسيرجعكم إليه يوم القيامة ، ويجازيكم على ما كنتم تعملونه .

٣٥ - ان هذا القصص الصادق ، ماذا يكون موقف المشركين منه ؟ يقولون افتراه ؟ وان قالوا ذلك ، فقل أيها الرسول : ان كنت افتريته على الله كما تزعمون ، فهو جرم عظيم ، على وحدي الله ! وإذا كنت صادقا ، فأنتم المجرمون وأنا بريء من آثار جرمكم .

٣٦ - وأوحى الله إلى نوح : أنه لن يصدقك ويدعن للحق من قومك أحد بعد الآن ، غير من سبق منه الإيمان قبل ذلك . فلا تحزن يا نوح بسبب ما كانوا يفعلونه معك من تكذيبك وإيذائك لأننا سننتقم منهم قريبا .

٣٧ - وقلنا له : اصنع الفلك لننجيك عليها بعنايتنا ، وتحت رعايتنا . ولا تخاطبني في شأن هؤلاء الظالمين لأنني استجبت دعاءك ، وأمرت بإهلاكهم غرقا^(١) .

٣٨ - وشرع نوح في عمل الفلك ، وكلما مر عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به ، لجهلهم ولعدم معرفة الغرض الذي يقصده ! قال نوح : ان تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله ، فانا أيضا سنسخر منكم كما تسخرون منا .

٣٩ - فسوف تعلمون من منا الذي سيأتيه عذاب يذله في الدنيا ويحمل عليه في الآخرة عذاب دائم خالد !

(١) انظر التعليق العلمي على الآية : ٢٧ من سورة المؤمنون .

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَحْرُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَعَاوَى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَتَّارِضْ أَبْلَى مَاءِكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

٤٠ - حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاكهم ، جاء الماء بقوة فائرا ذا رغوة ، كالماء الذى يغلى فوق النار ، قلنا لنوح : احمل معك فى السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكرا وأنثى ، واحمل فيها أيضا أهل بيتك جميعا ، الا من سبق عليه حكمنا بإهلاكه ، واحمل فيها أيضا من آمن من قومك ، ولم يكونوا الا عددا قليلا .

٤١ - وقال نوح للذين آمنوا من قومه ، بعد ان أعد الفلك : اركبوا فيها متيمين بذكر اسم الله تعالى ، وقت اجرائها وفى وقت رسوها ، وعند النزول فيها والخروج منها ، وارجوا مغفرة الله على ما فرط منكم ورحمته بكم ، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى .

٤٢ - ونزلوا فى السفينة ، فصارت تجرى بهم سائرة فى موج يعلو ويرتفع ، حتى يصير كالجبال فى علوها ، وفى ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه بعاطفة الأبوة ، وقد كان فى معزل عن دعوة أبيه فناداه : اركب معنا يا بنى ولا تكن مع الجاحدين يدين الله تعالى !

٤٣ - لم يطع الولد أباه الشفيق ! وقال : سأخذ مأوى لى مكانا يمنعنى من الماء ! فقال الأب العالم بقضاء الله فى شأن العصاة : يا بنى لا يوجد ما يمنع من حكم الله تعالى بالإغراق للظالمين ! وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج المرتفع فكان مع المغرقين الهالكين الجاحدين .

٤٤ - وبعد أن هلك الجاحدون بالإغراق ، جاء أمر الله التكوينى ، فقيل بحكم التكوين : ابلعى ماءك أيتها الأرض ، وامتنعى عن انزال الماء أيتها السماء فذهب الماء من الأرض ، ولم تدم بشئ من السماء ، وانتهى حكم الله بالإهلاك واستوت الفلك ووقفت عند الجبل المسمى بالجودى وقضى الله بإبعاد الظالمين عن رحمته ، فقيل : هلاك للقوم الظالمين بسبب ظلمهم .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِن أَنُتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾
يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا أَعْرَابُكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوٓءِ

٤٩ - تلك القصة التي قصصناها عليك أيها النبي عن نوح وقومه ، من أخبار الغيب التي لا يعلمها الا الله .
ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي ، فاصبر على إيذاء قومك
كما صبر الأنبياء قبلك ، فإن عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم ، والعاقبة الطيبة دائماً للذين يتقون عذاب الله بالإيمان
وعمل الصالحات .

٥٠ - ولقد أرسلنا إلى قوم عاد الأولى أخا لهم من قبيلتهم هو (هود) فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ،
اذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره : وما أنتم الا كاذبون في ادعائكم أن لله شركاء في استحقاقهم للعبادة
ليكونوا شفعا لكم عند الله (١) .

٥١ - يا قوم ، لا أطلب منكم على النصيح مكافأة من جاءه أو سلطان أو مال وإنما أجرى على الله الذي
خلقني ، ولا يصح أن تستولى عليكم الغفلة فلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم !

٥٢ - ويا قوم ، اطلبوا من خالقكم أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه . انكم ان فعلتم ذلك
يرسل المطر عليكم كثيرا متتابعا ، فتكثر خيراتكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم التي تغترون بها ! ولا تعرضوا
عما أدعوكم إليه ، مصممين على الاجرام الذي يردىكم في الهلاك .

٥٣ - قالوا : يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه ، وما نحن بتاركي عبادة آلِهتنا لمجرد
قولك ، أنتركها ، وما نحن لك بمصدقين .

قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً

٥٤ - ما نقول في موقفك منا الا أن بعض آلهتنا مسك بشر، فصرت تهذى بهذا الكلام، قال مصرا على إيمانه متحديا: أقول، وأشهد الله على ما أقول، وأشهدكم عليه، وإنى برىء من داء الشرك الذى أنتم فيه، فأنتم المرضى.

٥٥ - ولا أبالى بكم ولا بألهتكم التى تدعون أنها مستنى بسوء، فتعاونوا أنتم وألهتكم على الكيد لى، ثم لا تؤخرون عقابى لحظة ان استطعتم.

٥٦ - إننى اعتمدت على الله، وهو مالك أمرى وأمركم، لا يعجزه شيء عن رد كيدكم وهو القادر على كل شيء فاما من دابة الا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها، فلا يعجزه حفظى من أذاكم، ولا اهلاكم، ان أفعال ربي تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه، فينصر المؤمنين المصلحين، ويخذل الكافرين المفسدين.

٥٧ - فإن تعرضوا عن دعوى لم يضرنى اعراضكم، والعاقبة السيئة عليكم، فقد أبلغتكم ما أُرسلنى الله به إليكم، وليس على الا البلاغ، والله يهلككم ويحيى بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم، وأنتم لا تضرونه باعراضكم عن عبادته، ان ربي مهيمن على كل شيء، مطلع عليه، فاتخفى عليه أعمالكم، ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

٥٨ - ولما جاء أمرنا بإهلاك عاد نجينا هودا، والذين آمنوا معه، من عذاب الريح العاتية التى أهلكتهم، ونجيناهم من عذاب شديد كبير فى الدنيا والآخرة، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان.

٥٩ - تلك عاد أنكروا الحجج الواضحة، وعصوا رسل الله جميعا، بعصيانهم رسوله إليهم، وطاعتهم لأمر كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم..

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۖ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ * وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا
لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي
مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ

٦٠ - فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لعنة تلحقهم في الدنيا ولعنة تتبعهم يوم القيامة ، ألا فلينبه
كل من علم خبر عاد . ان عادا جحدوا نعمة خالقهم عليهم ، ولم يشكروها بالإيمان به وحده فأصبحوا جديريين
بطردهم من رحمة الله وانزال الهلاك الشديد بهم ، ألا فهلاكا لهم لتكذيبهم هودا .

٦١ - وقد أرسلنا إلى ثمود واحدا منهم تربطه بهم صلة النسب والمودة ، وهو صالح ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا
الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ، هو خلقكم من الأرض ومكنكم من عمارتها واستنار ما فيها
والانتفاع بغيرها . . فادعوه أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه بالندم على معصيته والإقبال على
طاعته ، كلما وقعتم في ذنب . ان ربي قريب الرحمة مجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه (١) .

٦٢ - قالوا : يا صالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمحبة والتقدير من نفوسنا ، قبل هذا الذي تدعونا إليه ،
أنتطلب منا أن نترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا وما ألفناه وألفوه ؟ انا لفي شك من دعوتك إلى عبادة الله وحده ، فهذا
مثير للريب وسوء الظن فيك وفيما تدعو إليه .

٦٣ - قال : يا قوم ، خبروني ان كنت على بصيرة نيرة وبينتة مما أدعوكم إليه مؤيدا بحجة من ربي ، وأعطاني
ربي رحمة لى ولكم ، وهى النبوة والرسالة ، فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته ، استجابة لكم ؟ ومن
ينصرفني ويعينني على دفع عذابه ان عصيته ؟ انكم لا تستطيعون نصركي ودفع عذابه عني ، فا تزدونني غير الضياع
والوقوع في الخسران ان أطعتمكم وعصيت ربي وربكم .

اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهُا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعَذَابُكُمْ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَنِّيمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۚ أَلَا بَعْدَ لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَالُوا لَيْتَ أَنَّ جَاءَ يَعْجَلُ حَنِيدٌ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ

٦٤ - وبما قوم ، هذه ناقة الله جعلها لكم علامة تشهد على صدق فيما أبلغه لكم ، لأنها على غير ما تألفون من أمثالها ، فاتركوها تأكل في أرض الله لأنها ناقته ، والأرض أرضه ، ولا تألوها بسوء يؤذيها ، فانكم ان فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب .

٦٥ - فلم يسمعوا نصحه ، ولم يستجيبوا له ، وبلغ بهم الكبرياء والاستهانة بتهديده أن قتلوا الناقة ، فقال لهم : تمتعوا بحياتكم في داركم ثلاثة أيام ، ثم يأتيكم بعدها عذاب الله ، ذلك وعده الحق الذي لا يتخلف ، ولا يقع عليه تكذيب .

٦٦ - فلما جاء عذابنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة خاصة منا ، ونجيناهم من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثمود . ان ربك أيها النبي هو القوى الغالب ، فاطمئن إلى قوته وعزته وعونه ونصره .

٦٧ - وأخذت الصيحة ثمود بعنفها ورجفتها وصاعتها ، لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعدوان فأصبحوا في ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم ، ميتين لا حراك بهم .

٦٨ - وانتهى أمرهم ، وزالت آثارهم من ديارهم ، كأنهم لم يقيموا فيها ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ، ويعلم أن ثمود جحدوا بآيات من خلقهم ، وبسبب ذلك كان الهلاك والبعد عن رحمة الله .

٦٩ - ولقد أرسلنا الملائكة إلى إبراهيم ببشارته هو وزوجته بمولود . قالوا يحبونه سلاما : قال يرد تحيتهم : سلام . وأسرع فلم يمكث أن حضر إليهم بعجل مشوى سمين ليأكلوا منه .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۖ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِخْتٍ وَمِنْ وَرَاءِهَا يَخْتَبُونَ ۖ قَالَتْ يَوَيْلَتِي ۖ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۖ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ۖ يَكْلِمُ بَرَاهِيمَ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ لَأَتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۖ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ

٧٠ - فلما رأى أيديهم لا تبلغه ولا تمتد إليه ، كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف ، وأحس أنهم ملائكة ، وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه ، أو لتعذيب قومه . قالوا وقد عرفوا أثر الخوف في نفسه ، لا تخف انا أرسلنا هلاك قوم لوط .

٧١ - وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم في مكان قريب منهم ، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخى زوجها ، فبشرناها على السنة الملائكة بأنها ستلد من ابراهيم زوجها ولدا يسمى اسحاق ، وسيعيش ولدا ، وسيكون لها منه بعد اسحاق يعقوب .

٧٢ - صاحت متعجبة وقالت ، يا عجبا ! ألد وأنا عجوز ، وهذا زوجى ترونه شيخا كبيرا ولا يولد لمثله ؟ ان هذا الذى أسمعه والله شيء عجيب ، اذكيف يولد لهرمين مثلى ومثل زوجى ؟ .

٧٣ - قالت الملائكة لها : أتعجبين من أن يولد لكما على كبركما ، وهو من أمر الله الذى لا يعجزه شيء ؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم ، أهل بيت النبوة ، فليس بعجيب أن يهب لكم مالا يهب لغيركم ، انه فاعل ما يستوجب الحمد ، عظيم كثير الإحسان والكرم والعطاء .

٧٤ - فلما ذهب عن ابراهيم الخوف وسمع البشارة السارة بالولد ، أخذه الاشفاق ، وأخذ يجادل رسلنا في هلاك قوم لوط .

٧٥ - ان ابراهيم لكثير الحلم ، لا يحب تعجيل العقاب ، كثير التأوه والتوجع من السوء الذى يصيب غيره ، تائب راجع إلى الله بما يحبه ويرضاه ، فرقته ورحمته ورافته حملته على المجادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا وينيبوا إليه .

٧٦ - قالت الملائكة : يا ابراهيم أعرض عن هذا الجدال والتماس الرحمة لهؤلاء القوم ، انه قد جاء أمر ربك بهلاكهم ، وأنهم لا بد آتيهم عذاب نافذ غير مردود يجدل أو غير جدل .

عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَلْعَنُوهُمْ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۚ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ إِيَّاكُمْ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ۚ فَأَسَرِّ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً

٧٧ - ولما جاءت الملائكة رسلنا الى لوط في صورة شبان حسان ، تألم واستاء ، وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقه بهم ، لخوفه عليهم من فساد قومه ، وقال : هذا يوم شديد المكاره والآلام .

٧٨ - وعلم قومه بهم ، فجاءوا مسرعين اليه ، ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويقترنون السيئات ، قال لهم لوط (يا قوم هؤلاء بناتي ، تزوجوا بهن ، فذلك أظهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ، فخافوا الله وصونوا أنفسهم من عقابه ، ولا تفضحوني وتهينوني بالاعتداء على ضيفي ، أليس فيكم رجل سديد الرأي ، رشيد العقل ، يردكم عن الفى ويكفكم عن السوء ؟ .

٧٩ - قالوا : لقد عملت يا لوط أنه ليس لنا في بناتك أى حق في نكاحهن أو رغبة فيهن ، انك دون شك تعلم ما نريد من مجيئنا واسراعنا اليك .

٨٠ - قال لوط : لو أن لى قوة أو ركناً قوياً اعتمدت عليه ، لكان موقفى منكم غير هذا ، ولدفعتمكم عن ضيفى ومنعتكم من السيئات .

٨١ - قالت الملائكة ، وقد ظهرت على حقيقتها : يا لوط ، لا تخف ولا تحزن انا رسل ربك ، لا بشر كما بدا لك ، ولقومك ، ولن يصل هؤلاء اليك بشر يسوءك أو ضر يصيبك ، فسر أنت وأهلك في بعض أوقات الليل ، اذا دخل جزء كبير منه ، واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحد منكم خلفه ، لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشر منه ، لكن امرأتك التى خانتك فلا تكن من الخارجين معك ، انه لابد مصيبها ما قدر أن يصيب هؤلاء .. ان موعد هلاكهم الصبح ، وهو موعد قريب ، فلا تخف .

مِنْ سِجِّيلٍ مَنْصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ * وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٌ ۚ قَالَ يَنْقُومَ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُخِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُومَ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ

٨٢ - فلما جاء وقت العذاب الذي قدرناه وقضينا به ، جعلنا على القرية التي كان يعيش فيها قوم لوط سافلها ، فقلبناها ، وأمطرنا عليهم في اثناء ذلك حجارة من طين خمي بالنار حتى تحجر .

٨٣ - كانت تقع عليهم متابعة منتظمة معلنة العذاب من عند ربك ، أيها النبي ، وليست بعيدة عن الظالمين من قومك .

٨٤ - ولقد ارسلنا الى قوم مدين^(١) اخاهم في النسب والمودة والترحام شعيباً ، قال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، ليس لكم من يستحق العبادة غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان حين تبيعون لغيركم ما يكال ويوزن ، اني اراكم يرجى منكم الخير ، بالشكر والطاعة لله ، واعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وانى أخاف عليكم اذا لم تشكروا خيره وتطيعوا امره ، أن يحل بكم عذاب يوم لا تستطيعون أن تفلتوا من أهواله ، لأنها تحيط بالمعذنين فيها فلا يجدون سبيلاً الى الخلاص منها .

٨٥ - ويا قوم أدوا المكيل والموزون مما تبيعونه وافيا على وجه العدل والتسوية ، ولا تنقصوا الناس حقهم في أشياءهم ، ولا تجوروا وتفسدوا في الأرض بسرقة أموالهم أو الاغارة عليهم أو قطع الطريق على العابرين منهم ، تتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام .

٨٦ - ما يبق لك من المال الحلال الذي تفضل به الله عليكم خير لكم من المال الذي تجمعونه من حرام ، ان كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ما حرمه عليكم فحاسبوا انفسكم ، وراقبوا ربكم ، لست عليكم رقيباً أحصى أعمالكم واحاسبكم عليها .

(١) هاتان الآيتان نص على اعتبار نقص المكيال والميزان جريمة وهذا يقتضى أنها معاقب عليها شرعاً والعقاب بالتعزير ويقابل هذا في التشريعات الوضعية ما يسمى جريمة تزوير المكيال أو الميزان التي حدد القانون الوضعى عقوبة لها وهذا من القرآن الكريم وسيلة من وسائل حماية المال . أرض مدين واقعة بين شمال الحجاز وجنوب الشام . وكان فيها مكان كثيف الأشجار يسمى الأثجار يسمى الآية وقد أرسل الله عليهم عقاباً شديداً بسبب عصيانهم .

أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾
 قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ إِلَيَّ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ
 إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
 شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا إِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا
 لَنَرُّكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ

٨٧ - قالوا ساخزين مستهزئين : يا شعيب ، أصلناك هي التي تأمرك أن تحملنا على ترك ما كان يعبد آبائنا من الأصنام ، وعلى أن نمتنع عن التصرف في أموالنا كما نريد مما نرى فيه مصلحتنا ، ان ذلك غاية السفه والطيش . ولا يتفق مع ما نعرفه عنك من العقل وسداد الرأي ، فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد .

٨٨ - قال : يا قوم : اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي ، ورزقني رزقاً حسناً تفضلاً منه ، أصبح لي أن أكرم ما أمرني بتبليغه لكم ، من ترك عبادة الأصنام ، وطلب ابقاء الكيل والميزان ، وترك الفساد في الأرض ؟ وأنا لا أريد أن أنتج الى فعل ما أنهاكم عنه من ذلك ، ما أريد بموعظتي ونصيحتي وأمرى ونهيي الا الاصلاح قدر طاقتي وجهدي واستطاعتي ، وما كنت موقفاً لاصابة الحق الا بمعونة الله وتأييده وتسديده ، عليه وحده أعتمد ، واليه وحده أرجع .

٨٩ - ويا قوم لا يحملنكم الخلاف بيني وبينكم على العناد والاصرار على الكفر فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم ، فاعتبروا بهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

٩٠ - واطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم ثم ارجعوا إليه ناديين مستغفرين كلما وقع الذنب منكم ، ان ربي كثير الرحمة يحب ودود يغفر للتائبين ويحب الأولابين .

٩١ - قالوا : يا شعيب ما نعقل كثيراً مما تقوله لنا ، ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضعيفاً لا قدرة لك على الدفاع ، وعلى الاقتناع ، ان اردنا بك ما تكره ، ولولا مجاملتنا لعشيرتك ، لأنها على ديننا ، لقتلناك رجماً بالحجارة ، وما أنت علينا بعزيز حتى نجعلك ونحترمك ونكرمك ونصونك عن القتل بالرجم ، وانما هي المجاملة لعشيرتك تمنعنا عن قتلك .

وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِي ۚ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَلْقَوْنَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ ۖ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن
لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ ۚ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٦﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

٩٢ - قال : يا قوم ، أعشيري أحق بالمعاملة من الله ، فذكرتموها ونسيتموه وجاملتموني واتخذتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر ؟ ان ربي محيط علمه بكل ما تعملون ، فلا يخفى عليه شيء من أفعالكم ، وسيحاسبكم عليها وان نسيتموه .

٩٣ - ويا قوم اعملوا على ما أنتم قادرين عليه وما تستطيعون عمله ، ان لم تسمعوا نصحي اني مثابر على العمل بما يخالف عملكم ، وسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يفضحه ويذله ، ومن منا الذي هو كاذب : أنا الذي أُنذركم بالعذاب ، أم أنتم الذين أنذرتوني بالاخراج من القرية ؟ وانتظروا ما سيحصل : اني معكم منتظر .

٩٤ - ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم ، نجينا شعيباً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك ، وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم ، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة ، والرجفة المهلكة ، فأصبحوا في ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم : لا حراك بهم^(١) .

٩٥ - واتتهى أمرهم وزالت آثارهم ، كأنهم لم يقيموا في ديارهم ، ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ، ألا هلاكاً للمدين ، وبعداً من رحمة الله كما بعدت ثمود من قبلهم^(٢) .

٩٦ - ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بمعجزاتنا الدالة على صدقه ، وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهر على النفوس .

٩٧ - أرسلناه الى فرعون وكبار رجاله ، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه في الكفر ، فاتبعوا أمر فرعون ، وخالفوا أمر موسى ، وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن يتبع .

(١) ، (٢) انظر التعليل العلمى على الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ من هذه السورة .

١٠٤ - وما يؤخره الأمد قليلة حددناها، ومهما طالت في نظر الناس فهي قليلة عند الله .

فَنُفِثَ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ تَمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيحُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

١٠٥ - يوم يأتي هوله لا يستطيع انسان أن يتكلم الا بإذن الله ، فن الناس شق بما يعانى من ألوان الشدة ، وهو الكافر ، ومنهم سعيد بما ينتظره من نعيم الآخرة ، وهو المؤمن .

١٠٦ - فأما الذين شقوا فى النار مآلهم ، لهم فيها تنفس مصحوب بآلام مزعجة ، عند خروج الهواء من صدورهم ، وعند دخوله فيها .

١٠٧ - خالدين فى النار ما دامت السموات والأرض ، لا يخرجون منها الا فى الوقت الذى يشاء الله اخراجهم فيه ، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب ، وان ربك أيها النبي فعال لما يريد فعله ، لا يمنعه أحد عنه .

١٠٨ - وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول اللحظة ، بعد انتهاء موقف الحساب الى ما لا نهاية ، الا الفريق الذى يشاء الله تأخيره عن دخول الجنة مع السابقين ، وهم عصاة المؤمنين ، الذين يتأخرون فى النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم ، ثم يخرجون منها الى الجنة ، ويعطى ربك هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء عظيماً مستديماً ، غير منقوص ولا مقطوع .

١٠٩ - وإذا كان أمر الأمم المشتركة الظالمة فى الدنيا ثم فى الآخرة ، هو ما قصصنا عليك أيها النبي ، فلا يكن عندك أدنى شك فى مصير عباد الأوثان من قومك ، ان استمروا على ضلالهم ، لأنهم كالسابقين من آباؤهم ، الذى قصصنا عليك قصصهم من قبل ، كلهم مشركون وانا لموفون هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملاً على قدر جرائمهم ، لا ينقصون منه شيئاً .

فَاخْتَلَفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا لَبَوْفَيْنَاهُمْ
رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ ۚ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرَكُنَا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَنَمَسْكُ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿١١٣﴾
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ كَرِهُوا ۚ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ

١١٠ - ونؤكد لك أيها النبي أننا أعطينا موسى التوراة ، فاختلف قومه من بعده في تفسيرها ومعناها ، حسب أهوائهم وشهواتهم ، كل يريد اخضاعها لشهوته ، فنفروا شيعاً ، وابتعد الكثير منهم عن الحق الذي جاءهم به ، ولولا وعد الله سابق بتأخير عذابهم الى يوم القيامة ، لحل بهم في دنياهم قضاء الله وحكمه باهلاك المبطلين ونجاة المحقين ، كما حل بغيرهم من الأمم التي جاءتهم بها ، بعد اختلاف اسلافهم في فهمها ، وتحريفهم لها ، مما جعل ادراك الحقائق منها أمراً عسيراً . وان هؤلاء الذين ورثوا التوراة لى حيرة وبعد عن الحقيقة .

١١١ - ان كل فريق من هؤلاء سيوفهم ربك حتما جزاء أعمالهم ، انه سبحانه خير بهم محيط بدقائق ما يعملون من خير أو شر ، ويجازي كلا منهم حسب عمله .

١١٢ - وإذا كان هذا هو حال الأمم التي جاءها كتاب من الله فاختلفت فيه وخرجت عليه ، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله ، ولا تجاوزوا حدود الاعتدال بتقصير أو إهمال أو مغالاة في تكليف أنفسكم ما لا تطيقون ، إنه سبحانه محيط علمه بكل ما تعملون فيجازيكم عليه .

١١٣ - ولا تميلوا أدنى ميل الى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله ، ولا تعملوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم ، فستحقوا بسبب هذا الميل عذاب النار ، ولا تجحدوا أحداً يدفعه عنكم ، ثم تكون عاقبتكم انكم لا تنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم ، ولركونكم إلى عدوه .

١١٤ - وأد الصلاة أيها النبي على أتم وجه في طرفي النهار ، وفي أوقات متفرقة من الليل ، فانها تظهر النفوس فتغلب على نزعة الشر ، وتمحو آثار السيئات التي قلما يخلو منها البشر ، ذلك الذي أمرت به أيها النبي من الارشاد للخير عظة ينتفع بها المستعدون لقبولها ، الذين يذكرون ربهم ولا ينسونه .

اللَّهُ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۚ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ

١١٥ - واصبر أيها النبي على مشاق ما أمراك به ، وأحسن تنفيذه ، يعطك الله أجراً عظيماً ، لأنه لا يضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم .

١١٦ - كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة ، التي أهلكناها بسبب ظلمها ، جماعة منهم لهم كلمة مسموعة وفضل من دين وعقل ، ينهون غيرهم عن الفساد في الأرض ، فيحفظوهم من العذاب الذي حل بهم ، ولن يكون هذا ، لكن الذي حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يسمع لهم رأى ولا توجيه ، فأنجاهم الله مع رسلهم ، في الوقت الذي أصر فيه الظالمون المعاندون على ما تعودوه من قبل من حياة الترف والفساد ، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير ، وكانوا في إيثارهم لهذه الطريق غارقين في الذنوب والسيئات ، فأهلكهم الله تنفيذاً لسنة في خلقه .

١١٧ - وما كان من سنة الله ، ولا من عدله في خلقه ، ان يظلم أمة من الأمم فيهلكها وهي متمسكة بالحق ، ملتزمة للفضائل . عاملة على ما يصلح أمرها وأمر غيرها .

١١٨ - ولو شاء ربك أيها النبي لجعل الناس على دين واحد ، مطيعين الله بطبيعة خلقهم ، كالملائكة ، ولكان العالم غير هذا العالم ، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك ، بل تركهم مختارين ، فلا يزالون مختلفين في كل شيء ، حتى في أصول العقائد ، كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر ، مما لا يجوز الخلاف فيه ، تبعاً لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم ، يتعصب كل فريق لرأيه وما وجد عليه آباءه .

١١٩ - لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرهم ، فانهم اتفقوا على حكم الله فيهم ، فآمنوا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر . وهذه المشيئة التي اقتضتها حكمته تعالى في نظام هذا العالم ، خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الثواب والعقاب . وبهذا يتحقق وعد ربك بأنه لا بد من أن يملأ جهنم من أتباع إبليس من الجن والناس .

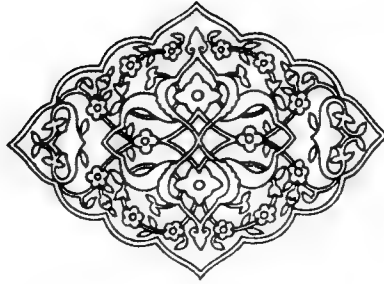
مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُقَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

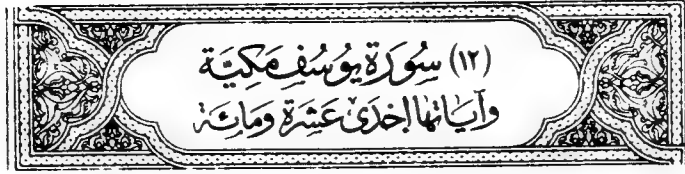
١٢٠ - ونقص عليك أيها النبي من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع أمهم ما تقوى به قلبك على القيام بمشاق الرسالة ، وقد جاءك في هذه الأنباء بيان الحق الذي تدعو إليه ، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل ، من توحيد الله والبعد عما يفضيه ، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها المؤمنون ، فيزدادون إيماناً ، والمستعدون للإيمان فيسارعون إليه .

١٢١ - وقل أيها النبي للذين يصرون على العناد والكفر ، ابدلوا أقصى ما في قدرتكم من محاربة الاسلام وايداء المؤمنين به ، فاننا ماضون في طريقنا ثابتون على عملنا .

١٢٢ - وانتظروا ما تترقبونه لنا ، اننا كذلك منتظرون وعد الله لنا بنجاح الدعوة والانتصار على أعدائها .

١٢٣ - والله وحده علم كل غيب في السموات والأرض ، فيعلم ما سيحل بكم ، وما يكون لنا ، واليه وحده يرجع تصريف كل أمر من الأمور ، وإذا كان الأمر كذلك ، فاعبد ربك وحده ، وتوكل عليه ، ولا تخش أحداً سواه ، وما ربك بغافل عما تعملون جميعاً أيها المؤمنون والكافرون ، وسيجازي كل بما يستحقه في الدنيا والآخرة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

هذه السورة مكية ، وآياتها مائة واحدى عشرة آية : قص الله فيها قصة يوسف فى ثمان وتسعين آية ، وقدم لها بثلاث آيات ذكر فيها هذا الوحى الذى أنزله على محمد ﷺ ، فسماه فى الآية الأولى كتاباً مبيناً ، وفى الثانية قرآناً عربياً : إشارة الى أن من حقه أن يحفظ فى السطور والصدور معاً . ثم ذكر فى الآية الثالثة ما اشتمل عليه من أحسن القصص وذكر النبى بأنه لم يكن يعلمه قبل تنزل الوحى به عليه ، وذلك دليل على أنه من عند الله .

وقد ختمت القصة والسورة بتأكيد ما بدئت به ، فوجه الله نظر نبىه فى عشر آيات الى أن هذه القصة من أنباء الغيب ، لم يكن يعلمها ويعلم حقائقها ودقائقها ، قبل أن ينزل عليه الوحى بها ، ولم يكن عند اخوة يوسف حين أجمعوا أمرهم ودبروا الشر لأخيه من أيهم ، ثم أخبره بأن العناد والحسد يحمل أكثر الناس على الكفر ، وإن حرصه عليه السلام على إيمان أكثرهم لا يجديهم . وعزاه عن ذلك بأنه لا يطلب أجراً ، وإنما يحمل اليهم القرآن هدى وذكرى للناس أجمعين . وأشار فى ختام السورة الى الرسل الذين ذكر له قصصهم ومواقف أقوامهم منهم ، وانتصارهم فى النهاية على الكافرين المجرمين ، وأكد أن فى قصص هؤلاء الأنبياء عبراً لأصحاب العقول ، وأن هذا القرآن الذى يتحدث بهذه القصص وغيرها ما كان حديثاً يختلق وينسب الى الله كذباً ، وإنما هو الحق والصدق ، والكتاب المصدق لما بين يديه من الكتب السابوية ، والهدى والرحمة لقوم يفكرون ويعتبرون ويؤمنون .

وأظهر خصائص هذه السورة أنها ذكرت قصة يوسف بتمامها ، وأظهرت شيوع الحسد فى الأسرة اذ ظهرت المحبة لبعضهم ، فكان حسد أولاد يعقوب لأخيه قد حملهم على إلقاءه فى غيابة الحب ، ولكن الله حفظه من مكروهم ، كما حفظه من اغراء امرأة العزيز حين بلغ أشده فى بيت العزيز ، ومكن له أرض مصر ، وجعله ملاذ الذين اتهموا به . . وكذلك شأنه سبحانه مع أنبيائه وأوليائه ينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم فى الأرض ، ما تمسكوا بالحق ، وآمنوا به ، واعتصموا بحبله .

١ - ألف . لام . راء . تلك الحروف وأمثالها يتكون منها كلامكم ايها العرب هى التى تتكون منها آيات الكتاب المعجز بكل ما فيه . الواضح الموضح لمن يسترشد به ، ويستهديه . وفى هذه الحروف الصوتية تنبيه لهم ، فيستمعوا ولو اتفقوا على عدم السماع .

٢ - انا أنزلنا على رسولنا بلفظكم أيها العرب كلاماً عربياً يقرأ ويحفظ ، لكى تفهموه وتبلغوا الناس ما فيه .

أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحُلُ

٣ - نحن نلقى عليك أيها النبي أحسن القصص بإيحائنا اليك هذا الكتاب ، وقد كنت قبل تلقيه من الذين غفلوا عما فيه ، وعما اشتمل عليه من عظات وآيات بينات .

٤ - من ذلك القصص أيها النبي قصة يوسف ^(١) ، إذ قال لأبيه : يا أبت ، اني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر ، رأيتهم جميعاً خاضعين لي ساجدين أمامي .

٥ - قال أبوه : يا بني ، لا تحك لأخوتك هذه الرؤيا ، فانها تثير في نفوسهم الحسد ، فيغريهم الشيطان بتدبير الحيل ضدك . يمتثلون للكيد لك ويمكرون بك ، ان الشيطان للانسان عدو ظاهر العداوة .

٦ - وكما رأيت نفسك في المنام سيداً مطاعاً ، ذا شرف وسلطان ، يصطفيك ربك ويختارك ويعلمك تفسير الرؤى ، وبيان ما تؤول اليه ، فيعظم قدرك وذكرك ، ويتم الله نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب ، بالنبوة والرسالة كما أتمها على أبويك من قبل أبيك يعقوب ، وهما إبراهيم وإسحق ، ان ربك كثير الحكمة فلا يخطيء ، كثير العلم فيصطفى من عباده من يعلم أنه أهل للاصطفاء .

٧ - لقد كان في قصة يوسف واخوته دلائل وعبر ، للسائلين عنها والراغبين في معرفتها .

٨ - اذ قال اخوة يوسف لأبيه فيما بينهم : ليوسف وأخوه الشقيق أحب الى أبنائنا منا ، ونحن جماعة قوية هي أنفع له منها ، ان أبانا بايناره يوسف وأخاه علينا لئى خطأ وبعد عن الحق ، والصواب واضح ، ظاهر الواضح .

(١) يوسف عليه السلام هو ولد يعقوب العبراني الكنعاني وقد بيع في مصر في عهد الفزاة الأجانب الذين يسمون بالهكسوس وهم فيما يبدو ساميون قدموا إلى مصر من بلاد الشام حيث احتلوا دلتا النيل حوالى عام ١٧٣٠ ق . م . قبل نهاية الأسرة الثالثة عشرة وحكموا مصر حوالى قرن ونصف قرن من الزمان حيث طردوا حوالى عام ١٥٨٠ ق . م . على يد أحسن الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة إلى ما وراء الحدود المصرية .

لَكَرَّ وَجْهَ أَبِيكَ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ
 الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَنُخْسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا
 بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ آبَاؤُهُمْ

٩ - اقتلوا يوسف أو القوا به في أرض بعيدة عن أبيه ، لا يصل إليها ، يخلص لكم حب أبيكم واقباله عليكم ، وتكونوا من بعد إبعاد يوسف عنه بالقتل أو النفي قوماً صالحين إذ يقبل الله توبتكم ، ويقبل أبوكم اعتذاركم .

١٠ - قال أحد المتحدثين منهم : لا تقتلوا يوسف ، فإن ذلك جرم عظيم ، وألقوه فيما يغيب عن العيون من غور البئر ، يلتقطه بعض السائرين في الطريق ، إذا ألقى دلوه في البئر ، فيذهب به بعيداً عنكم وعن أبيه ، ان كنتم مصريين على إبعاده وتحقيق غرضكم بالفعل .

١١ - قالوا بعد أن تم اتفاقهم على إبعاد يوسف : يا أبانا ما الذي رابك منا حتى تبعد يوسف عنا ، ولا تشعر بالأمن إذا كان معنا ؟ نحن نؤكد لك أننا نحبه ، ونشفق عليه ، ونريد له الخير ، ونرشده إليه ، وما وجدنا غير الحب وخالص النصيح .

١٢ - أرسله معنا إلى المراعى غداً ، يتمتع بالأكل الطيب ، ويلعب ويمرح وانا لحريصون على المحافظة عليه ، ودفع الأذى عنه .

١٣ - قال : إننى لأشعر بالحزن إذا ذهبت بعيداً عنى . . وأخاف إذا امتنكم عليه أن يأكله الذئب وأنتم في غفلة عنه .

١٤ - قالوا : نقسم لك ، لئن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية ، ليكون ذلك العار والخسار ، انا اذا حدث هذا الذى تخشاه ، لخاسرون لكل ما يجب الحرص عليه وعدم التفريط فيه . فاطمن فلن نتهاون في المحافظة عليه لأننا بذلك نعرض أنفسنا للضياع والهوان .

١٥ - فلما مضوا به بعيداً عن أبيه ، واجمعوا رأيهم في القائه في غور البئر ، انفذوا ما عزموا عليه ، وأهملناه الاطمئنان والثقة بالله وأنه سيخبرهم بأمرهم هذا الذى دبروه وقدموا عليه ، وهم لا يشعرون حين يخبرهم أنك أخوهم يوسف الذى أثمروا به ، وظنوا أنهم قضاوا عليه واستراحوا منه .

عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ عَلَى قَبِيضِهِ يَدْمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّ أَنَّهُ أَكْرَمَىٰ مِثْلَهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ

١٦ - ورجعوا الى أبيهم وقت العشاء ، يظهرون الحزن ويرفعون أصواتهم بالبكاء .

١٧ - قالوا يا أبانا ، اننا مضينا نتسابق في الرمي والجرى ، وتركنا يوسف عند متاعنا ليحرسه ، فأكله الذئب ونحن بعيدون عنه ، مشغولون بالتسابق دونه ، وما أنت بمصدق لنا فيما نقوله لك ، ولو كان ما نقوله الحق والصدق .

١٨ - وأحضروا قبضه عليه دم يشهد بادعائهم ، اذ زعموا أنه دم يوسف ليصدقهم أبوهم ، ولكنه قال ، ان الذئب لم يأكله كما زعتم ، بل قد سولت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فاقدمتم عليه ، فسنأني صبر جميل لا يصحبه الجزع على ما أصابني منكم ، والله وحده الذي يطلب منه العون على ما تزعمون وتدعون من الباطل .

✓ ١٩ - وجاءت جهة البئر جماعة كانت تسرع في السير الى مصر ، فأرسلوا من يرد الماء منهم ويعود اليهم من البئر بما يسقيهم ، فألقى دلوه فيه ورفع منه فاذا يوسف متعلق به . . قال واردهم يعلن ابتهاجه وفرحه يا للخير وبيا للخبر السار . . هذا غلام . . وأخفوه في أمتعتهم ، وجعلوه بضاعة تباع ، والله يحيط علمه بما كانوا يعملون .

٢٠ - وباعوه في مصر بثمن دون قيمته ، كان الثمن دراهم قليلة ، وكانوا في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه ، لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينزعوه منهم .

فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ اتَّيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَّى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۚ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَاهُ بُرْهَتَنَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٩﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصُوهُ مِنْ دُوْرٍ وَآلَفِيَا سَيِّدَهَا لِذَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ

٢٦ - وقال الذي اشتراه من مصر لزوجته : أحسنى معاملته وأكرمه حتى تطيب له الإقامة معنا ، لعله ينفعنا أو نتيّناه ونتخذهُ ولدًا لنا ، وكما كانت هذه المكانة عظيمة وهذه الإقامة كريمة ، جعلنا ليوسف في أرض مصر مكانة أخرى كبرى ، ليتصرف فيها بالعدل وحسن التدبير ، لنعلمه تفسير الأحاديث والرؤى فيعرف منها ما سيقع قبل أن يقع ويستعد له ، والله قوى قادر على تنفيذ كل أمر يريده ، لا يعجزه شيء عن شيء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون خفايا حكمته ولطف تدبيره .

٢٧ - ولما بلغ يوسف أقصى قوته ، أعطيناه حكماً صائباً ، وعِلماً نافعاً ، ومثل هذا الجزاء الذي أعطيناه إياه على إحسانه ، نجزي المحسنين على إحسانهم .

٢٨ - وأرادت التي هي كان هو يعيش في بيتها ، ويشعر بسلطانها ، ان تغريه بنفسها ، لتصرفه عن نفسه الطاهرة الى مواقعتها ، فأخذت تذهب وتجيء أمامه ، وتعرض عليه محاسنها ومفاتها ، وأوصدت الأبواب الكثيرة ، وأحكمت اغلاقها ، وقالت : أقبل على فقد هيات لك نفسى ، قال : انى الجأ إلى الله ليحمينى من الشر ، وكيف ارتكبه معك وزوجك العزيز سيدى الذى أحسن مقامى ؟ انه لا يفوز الذين يظلمون الناس بالقدر والخيانة فيوقعون أنفسهم في معصية الزنى ؟ .

٢٩ - ولقد عزمت أن تخالطه ونازعته نفسه اليها ، لولا أن رأى نور الله الحق نصب عينيه قد استضاء به ، ولم يطاوع ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ، فامتنع عن المعصية والخيانة وثبت على طهره وعفته . وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لتصرف عنه سوء الخيانة ومعصية الزنى ، انه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله .

سَوْءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَبِيصُهُ قَدْ
 مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَبِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾
 فَلَمَّا رَأَى الْقَبِيصُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّنْ كَيْدِكُنَّ أَنْ كِيدَ كُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا
 وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكَ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَنْ
 نَفْسِهَا قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
 مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ

٢٥ - وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج منه ، فأسرعت تحاول أن تسبقه إليه ، لتحول دون خروجه ،
 وجذبت قبصه من خلفه تمنعه ، وقطعته .. ووجدوا عند الباب زوجها قالت تثيره عليه : لا جزاء لمن أراد بزواجك
 ما يسوءك الا السجن يوضع فيه ، أو عذاب مؤلم يقع عليه .

٢٦ - قال يوسف يدافع عن نفسه : هي طلبتني ، وحاولت أن تخدعني عن نفسي ، وتخاصبا في الاتهام ، فحكم
 حكم من أهلها فقال ان كان قبصه شق من أمام ، فقد صدقت في ادعائها ، وهو من الكاذبين فيما أخبر به .

٢٧ - وان كان قبصه شق من خلف ، فقد كذبت في قولها ، وهو من الصادقين فيما قال .

٢٨ - فلما رأى الزوج قبص يوسف قد من خلف ، قال لزوجته : ان اتهاك له بما وقعت انت فيه مع براءته
 هو من كيدكن ، معشر النسوة ، ان مكركن عظيم .

٢٩ - يا يوسف اعرض عن هذا الأمر ، واكنمه ولا تذكره ، واستغفري انت لذنبك ، انك كنت من الآثمين
 الذين تعمدوا الوقوع في الخطأ وارتكاب الاثم ، واتهموا غيرهم بما أثموا هم به .

٣٠ - واتتهى الخبر الى جماعة من النساء في المدينة ، فتحدثن وقلن : ان امرأة العزيز تغري خادمها وتخدعه
 عن نفسه ليطيعها فيما تريده منه ، قد خالط حبه شغاف قلبها حتى وصل الى صميمه ، انا نعتقد انها بمسلكها معه في
 ضلال واضح وخطأ بين .

حَشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ
نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ^ط وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ^ط وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ
فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنَنَّهُ^ط حَتَّى
حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُجْمَلُ

٣١ - فلما سمعت باغتيابهن وسوء كلامهن فيها ، دعتهن الى بيتها ، وأعدت لهن ما يتكفن عليه من الوسائد
والنمازق ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، بعد أن حضرن وجلسن متكئات ، وقدم لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين
ما تناله منه أيديهن . وقالت ليوسف : اخرج عليهن ، فلما ظهر ورأينه أعظمته وأخذهن حسنه الرائع وجماله
البارع ، فجرحن أيديهن من فرط الدهشة والذهول ، وهن يقطعن طعامهن ، قلن متعجبات مندهشات : تنزهاً لله ،
ما هذا الذى نراه بشراً لأن البشر لا يكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا الا ملك كثير
المحاسن طيب الشرائل ، سخي الصفات .

٣٢ - قالت امرأة العزيز تعقب على كلامهن : فذلكن الفتى الذى يهركن حسنه ، وأذهلكن عن أنفسكن حتى
حصل ما حصل ، هو الذى لمتننى فى شأنه ، ولقد طلبته وحاولت اغراءه ليستجيب لى فامتنع وتأنى ، كأنه فى عصمة
كان يستزيد منها ، وأقسم ان لم يفعل ما أمره به ليعاقبن بالسجن وليكونن من الأذلاء المهينين .

٣٣ - قال يوسف : وقد سمع منها التهديد والوعيد ، وسمع منهن النصيح بمطاوعتها يارب : السجن أحب الى
نفسى مما يطلبنه منى لأن فى هذا معصيتك ، وان لم تحول عني شر مكرهن وكيدهن أمل إليهن ، وأكن من السفهاء
الطائشين .

٣٤ - فاستجاب الله له ، فصرف عنه شر مكرهن ، انه هو وحده السميع لدعوات الملتجئين اليه ، العليم
بأحوالهم وبما يصلحهم .

٣٥ - ثم ظهر رأى للعزيز وأهله ، من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف فأجمعوا على هذا
الرأى ، وأقسموا على تنفيذه ، وهو أن يدخلوه السجن إلى زمن يقصر أو يطول ، لكى يدفع مقالة السوء عن امرأته
وبيعدها عن الغواية .

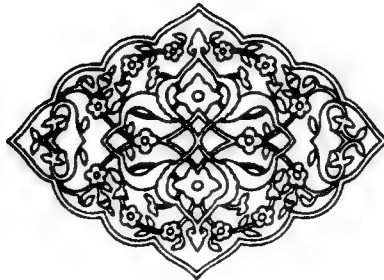
فَوَقَّ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِثَتَنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ
رِزْقَانِيهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْصَحِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ
مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيئُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

٣٦ - ودخل السجن مع يوسف فتيان من خدام الملك ، قال له أحدهما : لقد رأيت في منامي أني أعصر عبنا
ليكون خمرا ، وقال له الآخر : لقد رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل منه الطير ، خبرنا يا يوسف بتفسير هذا
الذي رأيناه ومآل أمرنا على هداة . انا نعتقد أنك من الذين يتصفون بالإحسان واجادة تفسير الرؤى .

٣٧ - قال لهما : يؤكد ما علماه عنه : لا يأتيكما طعام يساق إليكما رزقا مقدرا لكما ، إلا أخبرتكما بمآله إليكما ،
قبل أن يأتيكما ، وذكرت لكما صنعته وكيفيته ، ذلكما التأويل للرؤيا والاحبار بالمغيبات مما علمني ربي وأوحى به إلي
لأنني أخلصت له عبادتي ، ورفضت أن أشرك به شيئا ، وابتعدت عن دين قوم لا يصدقون بالله ، ولا يؤمنون به على
وجه صحيح ، وهم بالآخرة وحسابها منكرون كافرون .

٣٨ - تركت ملة هؤلاء الكافرين ، واتبعت دين آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فعبدت الله وحده ، فاصح
لنا أن نجعل لله أي شريك من أي شيء كان ، من ملك أو جن أو انسي ، فضلا عن الأصنام التي لا تنفع ولا تضر
ولا تسمع ولا تبصر ، ذلك التوحيد مما تفضل به الله علينا وعلى الناس ، إذ أمرنا بتبليغه إليهم ، ولكن أكثر الناس
لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر .

٣٩ - يا صاحبي في السجن : آرباب شتى كثيرة يخضع المرء لكل واحد منها ، خير : أم الله الواحد الذي
لا يغالb ؟ .



بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يَصْحَبِي السِّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيسْتَنِي رَبَّهُ نَحْمَرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَنَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ
الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ
فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضِرَ
وَأُخْرَى يَابَسَتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُ وَمَا نَحْنُ
بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعِلَالَيْنِ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

٤٠ - ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أظلمتموها أنتم وآباؤكم على أوهام لا وجود لها ، ما أنزل الله بتسميتها
آلهة من حجة وبرهان ، ما الحكم في أمر العبادة وفيما يصح أن يعبد وما لا تصح عبادته ، إلا الله أمر ألا تخضعوا لغيره
وأن تعبدوه وحده . ذلك الدين السليم القويم الذي تهدي إليه الأدلة والبراهين ، ولكن أكثر الناس لا يسترشدون
بهذه الأدلة ، ولا يعلمون ما هم عليه من جهل وضلال .

٤١ - يا صاحبي في السجن ، اليكما تفسير مناميكما ، أما أحدكما الذي عصر العنب في رؤياه فيخرج من
السجن ، ويكون ساقى الخمر للملك ، وأما الثاني فيصلب ويترك مصلوبا فتقع عليه الطير وتأكل من رأسه ، ثم
الأمر على الوجه الذي بينته فيما تطلبان فيه تأويل الرؤيا .

٤٢ - وقال للذي توقع النجاة منها : اذكرني عند الملك بصفتي وقصتي عساه ينصفني وينقذني مما أعانيه ،
فشغله الشيطان وأنساه أن يذكر للملك قصة يوسف فكث يوسف في السجن سنين لا تقل عن ثلاث .

٤٣ - وقال الملك : اني رأيت في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ضعاف ، ورأيت سبع سنبلات
خضر ، وسبع سنبلات أخر يابسات .. يأبها الكبراء من العلماء والحكماء أفْتُونِي في رؤياي هذه ان كنتم تعرفون
تفسير الرؤى وتفتون فيها .

٤٤ - قالوا : هذه أخلط أحلام باطلة ، ووساوس تهجس في النفس ، وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .

٤٥ - وقال الذي نجا من صاحبي يوسف في السجن ، وتذكر بعد مضي مدة طويلة ، وصية يوسف ، أنا أخبركم
بتأويل الحديث الذي ذكره الملك ، فأرسلوني إلى من عنده علم بتأويله أتكلم بنبئه .

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَىٰ يَاسِئَتٍ لَّعَلِّي
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا
مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُخْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهَٰذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ
إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَافٍ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ

٤٦ - مضى الساقى إلى يوسف : حتى جاءه فناداه : يوسف أيها المريض على الصدق أفتنا في رؤيا سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع ضعاف وفي رؤيا سبع سنبلات خضر وأخر يابسات ؟ أرجو أن أرجع إلى الناس بفتواك عساهم
يعلمون معناها ، ويعرفون لك علمك وفضلك .

٤٧ - قال يوسف : تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون الأرض قحاً وشعباً سبع سنين متواليات : دائبين على
العمل في الزراعة ، فأتحصنونه احفظوه فاتركوه في سنبله ، الا قليلاً مما تأكلونه في هذه السنين ، مع الحرص على
الاقتصاد (١) .

٤٨ - ثم يأتي بعد هذه السنين المخصبة سبع سنين مجربة ، تأكل ما ادخرتم لها ، الا قليلاً مما تخبئونه وتحفظونه ،
ليكون بذراً لما تزرعونه بعد ذلك .

٤٩ - ثم يأتي بعد هذه السنين المجربة عام يغاث فيه الناس بالمطر ، ويعشرون فيه العنب والزيتون وكل
ما يعصر .

٥٠ - تنبه الملك إلى يوسف بسبب تعبيره لرؤياه ، وعزم على استدعائه فأمر أعوانه أن يحضروه ، فلما أتاه من
يلفقه رغبة الملك لم يستخفه الخبر ، رغم ما يحمل من بشرى الفرج ولم تزعزع حلمه لهفة السجين على الخلاص من
ضيق السجن ووحشته ، وأثر التهل حتى تظهر براءته ، على التعجل بالخروج وأثار التهمة عالقته بأردافه ، فقال
لِلرَّسُولِ ، عد إلى سيدك واطلب منه أن يعود إلى تحقيق تهمة ، فيسأل النسوة اللواتي جمعتهن امرأة العزيز كيدا
لى ، فقلبن الدهش وقطعن أيديهن : هل خرجن من التجربة معتقدات براءتى وطهرى أودنسى وعهرى ؟ انى
أطلب ذلك كشفاً للحقيقة فى عيون الناس ، أما ربى فانه راسخ العلم باحتياهن .

(١) تنفق هذه الآية مع ما وصل إليه العلم من ان ترك الحب فى سنبله عند تخزينه وقاية له من التلف بالعوامل الجوية والآفات .
وفوق ذلك يبقيه محافظاً على محتوياته الغذائية كاملة .

يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكَذَّابَةُ أَفَرُودَتُهُ
عَنْ نَفْسِهِ ۚ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾
* وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ
أَتُورَنِي بِهِ ۚ أَسْتَخْلِصُ لِنَفْسِي ۖ فَلَبَّأَ كَلِمَةً ۚ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ
إِنِّي حَافِظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَدْبُورُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ۚ

٥١ - فاستحضر الملك النسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع يوسف ليفضل عن عصمته وطهارة نفسه ؟ هل وجدتن منه ميلا إليكن ؟ فأجبنه : نزه الله عن أن يكون نسي عبده حتى تلوث طهره ، فالنسنا فيه شيئا يشين . وحشد قويت نزعة الخير في نفس امرأة العزيز ، فاندفعت تقول : الآن وضع الحق وظهر أنا التي خاتلته وحاولت فتنته عن نفسه بالإغراء فاستمسك بعصمته ، وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين رد التهمة على ونسبها إلى .

٥٢ - هذا اعتراف مني بالحق أقدمه ، ليستيقن يوسف أني لم أستغل غيبته في السجن ، وأنمادى في الحياة ، وأعول على تثبيت اتهامه ، ولأن الله لا ينجح تدبير الخائنين .

٥٣ - وما أدعى عصمة نفسي من الزلل ، فإن النفس تميل بطبعها إلى الشهوات وتزيين السوء والشر ، الا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء . وانى لأطعم في رحمة الله وغفرانه ، لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين .

٥٤ - فلما ظهرت براءة يوسف عند الملك ، صمم على استدعائه ، وكلف رجاله أن يحضروه ليجعله من خاصته وخلصائه ، فلما حضر إليه وجرى بينها الحديث ، تجلى له من يوسف ما تجلى من طهارة النفس وثقوب الرأي فقال له ، ان لك في نفسي لمقاما كريما ثابتا ، وأنت الأمين الموثوق به .

٥٥ - وعلم الملك منه حسن التدبير وكفاءته لما يقوم به ، وأحسن يوسف بذلك ، وحينئذ طلب منه أن يستوزره قائلا له : ولني على خزائن ملكك ومستودعات غلات أرضك ، لأنني كما تأكد لديك ضابط لأموار المملكة ، حافظ لها ، خبير بالتدبير وتصريف الأمور .

وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَنْجٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَاءِ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي
أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ

٥٦ - وقبل الملك عرضه ، فاستوزره ، وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جلييلة ، فجعل له سلطانا وقدرة في أرض مصر ، ينزل منها بأى مكان يريد . وهذا شأن الله في عباده ، يهب نعمته لمن يختاره منهم ، ولا يهدر ثوابهم وإنما يؤتيهم أجورهم على الإحسان بالإحسان في الدنيا .

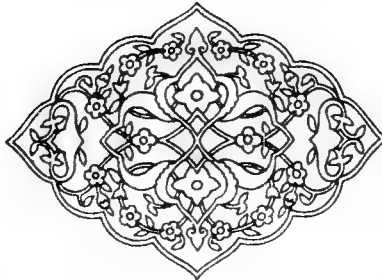
٥٧ - وإن ثوابه في الآخرة لأفضل وأوفى لمن صدقوا به وبرسله ، وكانوا يراقبونه ويحافظون يوم الحساب .

٥٨ - واشتد القحط بما حول مصر ، ونزل بال يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة ، وقصد الناس مصر من كل مكان ، بعد ما علموا من تدير يوسف للمؤمن ، واستعداده لسنوات الجذب . فبعث يعقوب إليها أبناءه طلبا للطعام ، واحتجز معه ابنه شقيق يوسف خوفا عليه ، فلما بلغ أبناءه مصر توجهوا من فورهم إلى يوسف ، فعرفهم دون أن يعرفوه .

٥٩ - وأمر يوسف أن يكرموا في ضيافته ، ويدفع لهم من الميرة ما طلبوه فتم لهم ذلك ، وأخذ يتحدثهم ، ويسأل عن أحوالهم سؤال الجاهل بها ، وهو بها عليم ، فأخبروه أنهم تركوا أخا لهم حرص أبوهم ألا يفارقه ، وهو بنيامين شقيق يوسف ، فقال : ليحضر معكم أخوكم ، ولا تخافوا شيئا ، فقد رأيتم إيفاء كيلكم وكرامى لكم في نزولكم .

٦٠ - فإن لم تحضروا أخاكم هذا ، فليس عندى لكم طعام ، ولا تحاولوا أن تأتونى مرة أخرى .

٦١ - قال اخوته : سنحتال على أبيه لينزل عن ارادته ولا يخاف عليه ، ونؤكد لك أننا لن نقصر في ذلك أو نتوانى فيه .



يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ ۖ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَزَدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ۚ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ۚ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ

٦٢ - ولما هـوا بالرحيل ، قال لأتباعه : ضموا ما قدموه من ثمن بضاعتهم في أمتعتهم ، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم ، فيكون ذلك أرجى لعودتهم مؤملين في أعطائهم الطعام ، واثقين بالوفاء بالعهد ، وأمنين على أخيهـم وليبعثوا الطمأنينة في نفس أبيهم .

٦٣ - فلما عادوا إلى أبيهم قصوا عليه قصتهم مع عزيز مصر ، وتلففه بهم ، وأنه أنذرهم بمنع الكيل لهم في المستقبل ان لم يكن معهم بنيامين ، وواعدهم بوفاء الكيل لهم ، واکرام منزلتهم ، ان عادوا إليه بأخيهم ، وقالوا له : ابعت معنا أخانا فإنك ان بعثته اكلتنا ما نحتاج إليه من الطعام وايقا ، ونعدك وعدا مؤكدا أننا سنبدل الجهد في المحافظة عليه .

٦٤ - وثار في نفس يعقوب ذكريات الماضي ، فربطها بالحاضر ، وقال لبنيه : ان أمرى إذا استجبت لكم لعجيب فلن تكون حالى حين آمنكم على أخيكـم الا مثل حالى حين ائتمنتكم على يوسف فأخذتموه ، ثم عديم تقولون : أكله الذئب ، فآله حسبى في حماية ابنى ، ولا أعتمد الا عليه ، فهو أقوى حافظ ، ورحمته أوسع من أن يفعلى بعد يوسف في أخيه .

٦٥ - وكان اخوة يوسف يجهلون أن يوسف وضع أموالهم في حقائبهم ، فلما فتحوها ووجدوا الأموال عرفوا جميل ما صنع بهم يوسف ، وتذرعوا بذلك إلى بث الطمأنينة في قلب يعقوب ، واقتاعه بالاستجابة إلى ما طلب العزيز وبالقوا في استمالته ، فذكروه بما بينه وبينهم من رباط الأبوة ، فقالوا : يا أبانا أى شىء تريده أجمل مما جرى وينظر أن تجرى به الأحداث ؟ هذه أموالنا أعيدت إلينا دون أن يحتجز منها شىء فتسافر مع أخينا ونجلب الميرة لأهلنا ، ونزعى أخانا ، ويزيد ميرتنا حمل بعير لحق أخينا ، فقد رسم العزيز أن يعطى الرجل حمل بعير .

٦٦ - ونجحت محاولة أبناء يعقوب في اقتناعه ، وأثر مقاها فيه ، فزل عن التشدد في احتجاز ابنه وحبسه عن الذهاب مع اخوته إلى مصر ، ولكن قلبه لا يزال في حاجة إلى ما يزيد اطمئنانه ولذلك قال لهم : لن أبعثه معكم إلا بعد أن تعطونى ضمانا قويا ، فتعاهدوا الله عهدا موثقا أن تعيدوه إلى ، وألا يمنعكم عن رده الا أن تهلكوا أو يحيط بكم عدو يغلبكم عليه فاستجابوا له ، وقدموا ما طلب من الموائيق ، وعندئذ أشهد الله على عهودهم وإيمانهم بقوله : الله على ما دار بيننا مطلع رقيب .

مُتَفَرِّقَةً وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
وَأَنَّهُ لَدُوْهُ عَلَيْهِمْ لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ
ثُمَّ أَذِنَ مُؤَدِّنُ آيَتِهَا الْعِبرُ إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ

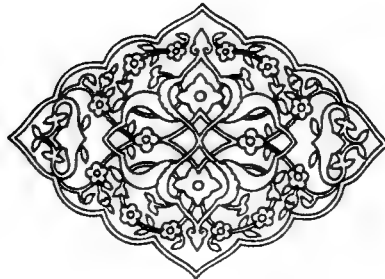
٦٧- اطمأن يعقوب إلى عهد أبنائه ، ثم دفعته الشفقة عليهم إلى أن يوصيهم عند دخولهم مصر بأن يدخلوا من أبواب متفرقة ، لكيلا يلفتوا الأنظار عند دخولهم ، ولا تترقبهم العين ، وقد يكون ما يسيئهم ، وليس في قدرتي أن أدفع عنكم أذى ، فالدافع للأذى هو الله وله وحده الحكم ، وقد توكلت عليه وفوضت إليه أمري وأمركم ، وعليه وحده يتوكل الذين يفوضون أمورهم إليه مؤمنين به .

٦٨- لقد استجابوا لوصية أبيهم ، فدخلوا من أبواب متفرقة ، وما كان ذلك ليدفع عنهم أذى كتبه الله لهم ، وإن يعقوب ليعلم ذلك ، فإنه ذو علم علمناه إياه ، ولكن وصيته كانت لحاجة في نفسه ، وهي شفقة الأب على أبنائه أعلنها في هذه الوصية ، وإن أكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب ، فيفوضون لله ويعتصمون .

٦٩- ولما دخلوا على يوسف أنزلهم منزلا كريما ، واختص أخاه شقيقه بأن آواه إليه ، وأسر إليه قائلا : اني أخوك يوسف ، فلا تحزن بما كانوا يصنعون معك وما صنعوه معي .

٧٠- فبعد أن أكرم وفادتهم ، وكأهم الطعام ، وزادهم حملا لأخيه ، أعد رحالهم للسفر ، ثم أمر أعوانه أن يدسوا اثناء شرب الماء في حمل بنيامين ، ثم نادى أحد أعوان يوسف : أيها الركب القافلون بأعمالكم ، قفوا انكم لسارقون .

٧١- فارتاع اخوة يوسف للنداء ، واتجهوا إلى المنادين يسألونهم ، ما الذي ضاع منكم وعم تبثون ؟ .



جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ * قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ

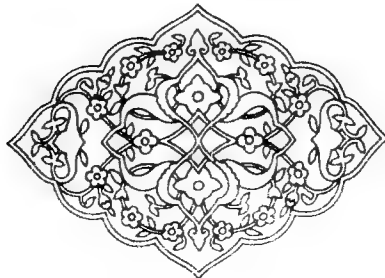
٧٢ - فأجابهم الأعوان : نبحت عن الصواع ، وهو ائاء الملك الذى يشرب به ، ومكافأة من يأتي به حمل جمل من الطعام ، وأكد رئيسهم ذلك فقال : وأنا بهذا الوعد ضامن وكفيل .

٧٣ - قال اخوة يوسف : ان اتهمكم ايانا بالسرقة لعجيب ، ونؤكد بالقسم ان فيما ظهر لكم من أخلاقنا وتقسنا بديننا في مرقى مجيئنا ما يؤكد علمكم أننا لم نأت بغية الإفساد في بلادكم ، وما كان من أخلاقنا أن نكون من السارقين .

٧٤ - وكان يوسف قد أوحى إلى أتباعه أن يكلوا إلى اخوته تقدير الجزاء الذى يستحقه من وجد الصواع عنده ، فمهدا لأخذ أخيه منهم بحكمهم ، وليكون قضاؤهم مبرما لا وجه للشفاعة فيه ، فقالوا لهم : فاذا يكون جزاء السارقين عندكم ان ظهر أنه منكم ؟

٧٥ - ولوثق أبناء يعقوب بأنهم لم يسرقوا الصواع ، قالوا غير متلجلجين : جزاء من أخذ الصواع أن يؤخذ رقيقا ، فبمثل هذا الجزاء نجازى الظالمين الذين يأخذون أموال الناس .

٧٦ - وانتهى الأمر إلى تفتيش الرحال ، وكان لابد من الاحكام حق لا يظهر في تنفيذ الخطة افتعال ، وتولى يوسف التفتيش بنفسه ، بعد أن مهد الأمر ، فبدأ بتفتيش أوعية العشرة الأشقاء ، ثم انتهى إلى تفتيش وعاء أخيه ، فأخرج السقاية منه ، وبذلك نجحت حيلته ، وحق له بقضاء اخوته أن يحتجز بنيامين وهكذا دبر الله الأمر ليوسف فما كان في استطاعته أخذ أخيه بمقتضى شريعة ملك مصر الا بإرادة الله وقد أرادها فدبرنا الأمر ليوسف ووقفناه إلى ترتيب الأسباب واحكام التدبير والتلطف في الاحتيا ، وهذا من فضل الله الذى يعطى في العلم منازل من أراد وفوق كل صاحب علم من هو أعظم ، فهناك من يفوقه في علمه .



أَخْلَوْا مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾
 قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ
 نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا أَظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا
 أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ
 يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا

٧٧ - وكان اخراج الصواع من حقيبة أخيه مفاجأة أخجلت اخوته ، فتنصلوا باعتذار يبرىء جماعتهم دونه ، ويطعنه هو ويوسف ، ويوحى بأن السرقة طبع وراثه من قبل الأم ، وقالوا : ليس بعجيب أن تقع منه سرقة إذ سبقه إلى ذلك أخوه الشقيق ! وفطن يوسف إلى طعنهم الخفى ، فساءه ، ولكنه كتم ذلك ، وأضمر في نفسه جوابا لو صارحهم به لكان هذا الجواب : أنتم أسوأ منزلة وأحط قدرا ، والله أعلم وأصدق علما بكلامكم الذى تصفون به أخاه بوصمة السرقة .

٧٨ - ولم يكن بد من محاولة لتخليص أخيهام أو افتدائه ، رجاء أن تصدق موافيقهم ليعقوب ، فاتجهوا إلى ترقيق قلب يوسف بمحدث الأبوة في شيوخوتها وقالوا له : يا أيها العزيز ، ان لأخيना أبا طاعنا فى السن ، فإن رحمته قبلت واحدا منا ليلقى الجزاء بدل ابنه هذا الذى تعلق به قلبه ، وأملنا أن تقبل الرجاء ، فقد جربنا عادتكم الكريمة ، وتأكد لنا انطباعك عن حب الإحسان وعمل المعروف .

٧٩ - وما كان ليوسف أن ينقض تدييرا وفقه الله إليه ، ويفلت من يده أخاه ، ولذلك لم يلته استعطافهم ، وردهم ردا حاسما ، وقال لهم : انى ألبأ إلى الله منزها نفسى عن الظلم فاحتجز غير من عثرنا على مالنا معه ، إذ لو أخذنا سواء بعقوبته لكننا من المعتدين الذين يأخذون البرىء بذنوب المسئء !

٨٠ - فلما انقطع منهم الأمل ، ويشوا من قبول الرجاء ، اختلوا بأنفسهم يتشاورون فى موقفهم من أيهم ، فلما انتهى الرأى إلى كبيرهم المدير لشئونهم قال لهم : ما كان ينبغى أن تنسوا عهدكم الموثق بيمين الله لأبيكم أن تحافظوا على أخيك حتى تردوه إليه ، ولا أنكم عاقدتموه من قبل على صيانة يوسف ثم ضيعتموه ! ولذلك سابق بمصر لا أفارقها ، الا إذا فهم أبى الوضع على حقيقته ، وسمح لى بالرجوع إليه ، أو قضى الله لى بالرجوع الكريم ، ويسره لى بسبب من الأسباب ، وهو أعدل الحاكمين .



عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفُ عَلَى يَوْسُفَ وَأَيُّضْتُ عَلَيْهِ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْنَا ۖ نَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

٨١ - عودوا أنتم إلى أبيكم وقصوا له القصة وقلوا له أن يد ابنك امتدت إلى صواع الملك فسرقتها وقد ضبطت في حقيقته وعوقب على ذلك باسترقاقه وما أخبرناك إلا بما عايناه ، وما كنا مطلعين على المستور من قضاء الله حين طلبناه منك وأعطيناك على حفظه وردده إليك العهود والمواثيق وهو أعدل الحاكمين .

٨٢ - وإن كنت في شك مما بلغناك ، فأرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر واستشهد أنت بنفسك رفاقنا الذين عدنا معهم في القافلة ، لتظهر لك براءتنا ، ونؤكد لك أننا صادقون فيما نقول .

٨٣ - فرجع بقية الأبناء إلى يعقوب ، وخبروه كما وصاهم أخوهم الكبير فهيج الخبر أحزانه ، وضاعف منها فقد ابنه الثاني ، ولم تطب نفسه ببراءتهم من النسب في ضياعه وهو المفجوع بما صنعوا من قبل في يوسف ، وصرح باتهامهم قائلاً لهم : ما سلمت نيتكم في المحافظة على ابني ، ولكن زينت لكم نفوسكم أن تتخلصوا منه مثلما تخلصتم من أخيه ، فلولا فتواكم وحكمكم أن يؤخذ السارق رقيقاً عقوبة له على السرقة ، ما أخذ العزيز ابني ولا تخلف أخوكم الكبير بمصر ، ولا حيلة لي إلا أن أنجمل في مصيبتى بالعزاء الحميد ، راجياً أن يرد الله على جميع أبنائي ، فهو صاحب العلم المحيط بحال وحالهم ، وله الحكمة البالغة ، فيها يصنع لي ويدبر .

٨٤ - وضاق بما قالوا فأعرض عنهم خالياً بنفسه ، مشغولاً بأساه وأسفه على فقد يوسف ، فذهب سواد عينيه من شدة الحزن ، وقد كظم غيظه وألمه أشد الكظم^(١) .

٨٥ - وتوالت الأيام ويعقوب مسترسل في لوعته ، وخشى أنبأه سوء العاقبة ، فاتجهوا إلى مراجعته وحمله على التخفيف من شدة حزنه ، وقالوا له ، وهم بين الاشفاق عليه والغيظ من دوام ذكره ليوسف : لئن لم تخفف عن نفسك لتزيدن ذكرى يوسف آلامك وأوجاعك ، إلى أن يذيبك الغم فتشرف على الموت ، أو تصيح في عداد الميتين !

(١) ينشأ عن الحزن العميق حال نفسية يزداد بسببها الضغط على العينين فتصاب العين ببعض الأمراض وضعف البصر شيئاً فشيئاً قد يزول نهائياً وتبدو العين بيضاء .

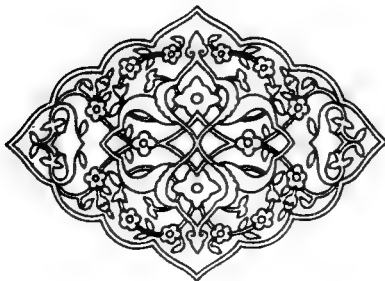
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُرْ وَجِئْنَا بِبِضْءَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ

٨٦- ولم يؤثر قولهم فيه ، فردهم قائلا : ما شكوت لكم ، ولا طلبت منكم تخفيف لوعتي ! وليس لي الا الله اضرع اليه واشكو له همومي صعبها وسهلها وما أستطيع كتمانها منها وما لا أستطيع ، لأنني أدرك من حسن صنعه وسعة رحمته ما لا تدركون !

٨٧- والثقة في الله تحيي الأمل ، ولذلك لم يذهب الغم برجاء يعقوب في عودة ولديه إليه ، وألقى في روعه أنها من الأحياء ، وأن موعد التقائه بها قد حان ، فأمر بنيه أن ينقبوا عنها ، قائلا لهم : يا بني ارجعوا إلى مصر فانضموا إلى أخيكم الكبير ، واجتثوا عن يوسف وأخيه وتطلبوا أخبارها في رفق لا يشعر به الناس ، ولا تقنطوا من أن يرحمنا الله بردها ، لأنه لا يقنط من رحمة الله غير الجاحدين .

٨٨- واستجاب اخوة يوسف لطلب أبيهم ، فذهبوا إلى مصر ، وتحالوا لمقابلة حاكمها الذي ظهر لهم من بعد أنه يوسف ! فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أيها العزيز ، مسنا نحن وعشيرتنا الجوع وما يتبعه من ضر الأجسام والنفوس ، وجئنا إليك بأموال قليلة هي بضاعتنا وهي ترد لقلتها ورداءتها ، وليست كفاء ما نرجوه منك ، لأننا نرجو منك وفاء الكيل فأوفه لنا ، وأجعل الزائد عن حقنا صدقة علينا ، ان الله تعالى يثيب المتصدقين بأحسن الثواب .

٨٩- أخذت يوسف الشفقة الأخوية الرحيمة التي تغفو عن الإساءة ، وابتدأ يكشف أمره لهم قائلا في عتب ، هل أدركتم قبح ما فعلتموه بيوسف من إلقائه في الحب ، وبأخيه من أذى . مندفعين في ذلك بجهل انساكم الرحمة والأخوة !



يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيطِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ

٩٠ - نهيهم تلك المفاجأة السارة إلى ادراك أن هذا يوسف ، فتفحصوه ، ثم قالوا مؤكدين : انك لأنت يوسف حقا وصدقا ! فقال يوسف الكريم مصدقا لهم : أنا يوسف ، وهذا أخى ، قد من الله علينا بالسلامة من المهالك ، وبالكرامة والسلطان ! وكان ذلك جزاء من الله لإخلاصى واحسانى ، وان الله لا يضيع أجر من يحسن ويستمر على الإحسان .

٩١ - فقالوا : صدقت فيما قلت ، ونؤكد لك بالقسم أن الله فضلك بالتقوى والصبر وحسن السيرة واثابك بالملك وعلو المكانة ، وانما كنا آثمين فيما فعلنا بك وبأخيك ، فأذلنا الله لك ، وجزانا جزاء الآثمين .

٩٢ - فرد عليهم النبي الكريم قائلا : لا لوم عليكم اليوم ، ولا تأنيب ، ولكم عندى الصفح الجميل لحرمته النسب وحق الأخوة ، وأدعو الله لكم بالعفو والغفران ، وهو صاحب الرحمة العظمى .

٩٣ - ثم سألهم يوسف عن أبيه ، فلما أخبروه عن سوء حاله وسوء بصره من كثرة غمه وبكائه : أعطاهم قبضه ، وقال لهم : عودوا به إلى أبى فاطرحوه على وجهه ، فسيؤكد له ذلك سلامتى ، وتلا قلبه الفرحه ، ويجعله الله سببا لعودة بصره ، وحينئذ تعالوا إلى به ، وبأهلكم أجمعين .

٩٤ - وارتحلوا بالقميص ، وكان قلب يعقوب مستغرقا فى ترقب ما تأتى به رحلة بنيه ، وكان الله معه فى هذا الترقب فوصل روحه بأرواحهم ، فحين تجاوزت قافلتهم أرض مصر فى طريقها إليه ، شرح الله صدره بالأمل ، وأحاطه بجو من الطمأنينة إلى اقتراب البشرى بسلامة يوسف ، وأخبر أهله بذلك اذ يقول : انى أشعر برائحة يوسف المحبوبة تغمرنى ، ولولا خشية أن تتهمونى فى قولى لأنبأتكم عن يوسف بأكثر من الشعور والوجدان !

٩٥ - فرد عليه أهله ردا خشنا ، حالقين بالله إنه لا يزال ذاهبا عن صوابه ، هائما فى خياله ، فتهايا له ما تهايا من فرط محبته ليوسف ، ولهجه بذكراه ، ورجائه للقياء .

فَارْتَدَّ بِصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبُ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ ۖ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ ۚ أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۖ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

٩٦ - واستمر على أمله منتظرا رحمة الله ، واستمر أهله على سوء الظن به ، إلى أن أتاه من يحمل القميص ويشره بسلامة يوسف ، فحين طرح القميص على وجه يعقوب نفحته رائحة يوسف وغمرت قلبه الفرحه ، فعاد إليه بصره ، ولما حدثه الرسول بحال يوسف ، وأنه يطلب رحلته إليه بأهله اتجه إلى من حوله يذكرهم بنبوءته ، ويعاتبهم على تكذيبه ، ويوجه أذهانهم إلى ذكر ما أكده لهم أنفاً من أنه يدرك من رحمة الله وفضله ما لا يدركون .

٩٧ - فأقبلوا عليه معتذرين عما كان منهم ، راجين أن يصفح عنهم ، وأن يطلب من الله التجاوز عن آثامهم ، لانهم كما أكدوا في اعتذارهم كانوا آثمين .

٩٨ - فقال يعقوب : سأداوم طلب العفو من الله عن سيئاتكم ، وأنه وحده صاحب المغفرة الثابتة والرحمة الدائمة .

٩٩ - رحل يعقوب إلى مصر ، وسار بأهله حتى بلغها ، فحين دخلوا على يوسف ، وكان استقبلهم في مدخل مصر ، عجل به الحنان والشوق إلى أبيه وأمه ! ففرهما إليه ، وطلب منها ومن أهله أن يقيموا في مصر آمنين سالين بإذن الله .

١٠٠ - وسار الركب داخل مصر حتى بلغ دار يوسف ، فدخلوها ، وصدر يوسف أبويه ، فأجلسهما على سرير ، وغمر يعقوب وأهله شعور بجليل ما هيا الله لهم على يدى يوسف ، اذ جمع به شمل الأسرة بعد الشتات ونقلها إلى مكان عظيم من العزة والتكريم ، فحيوه تحية مألوفة تعارف الناس عليها في القديم للرؤساء والحاكمين ، وأظهروا الخضوع لحكمه ، فأنار ذلك في نفس يوسف ذكرى حلمه وهو صغير ، فقال لأبيه : هذا تفسير ما قصصت عليك من قبل من رؤيا ، حين رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لى ، قد حققه ربى ، وقد أكرمنى وأحسن الى ، فأظهر براءتى ، وخلصنى من السجن ، وأتى بكم من البادية لتلتق ، من بعد أن أفسد الشيطان بينى وبين أخوتى ، وأغراهم بى ، وما كان لهذا كله أن يتم بغير صنع الله ، فهو رفيق التدبير والتسخير لتنفيذ ما يريد ، وهو المحيط علما بكل شئ ، البالغ حكمه فى كل تصرف وقضاء .

* رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

١٠١ - واتجه يوسف إلى الله ، يشكره بإحصاء نعمه عليه ، ويرجوه المزيد من فضله ، قائلا : يارب ما أكثر نعمك على ! وما أعظمها ! لقد منحتني من الملك ما أحمدك عليه ، وهبتني من العلم بتعريف الأحلام ما وهبت ! يا خالق السموات والأرض وبارئها ، أنت مالك أمرى ومتولى نعمتى فى محبى وبعد عماى ، اقضى لى على ما ارتضى لأنبيائك من دين الإسلام ، وأدخلنى فى زمرة من هديهم إلى الصلاح من أبائى وعبادك الصالحين المخلصين .

١٠٢ - ذلك الذى قصصنا عليك أيها النبى من أخبار الماضى السحيق ، لم يأتك الا بإيحاء منا ، وما كنت حاضرا أخوة يوسف وهم يدبرون له من المكائد وما علمت بكيدهم الا عن طريقنا !

١٠٣ - وفى أغلب الطباع مرض يجعلها غير قابلة لتصديق ما أوحى اليك منها تعلق قلبك بأن يؤمنوا أو أجهدت نفسك أن يكونوا من المهتدين .

١٠٤ - وما نقصد بما تحدثهم به من أحاديث الهدى نيل جزاء أو منفعة ، فإن لم يهتدوا فلا تحزن عليهم ، وسيهدى الله قوما غيرهم ، فأنزلناه اليهم خاصة ، وما هو الا موعظة وعبرة لكل من خلق الله فى السموات والأرض .

١٠٥ - وما أكثر الدلائل على وجود الخالق ووحديته وكماله ، الثابتة فى السموات والأرض ، يشاهدها قومك ويتولون عنها مكابرين غير معتبرين !

١٠٦ - وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شيء ، ولكن إيمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التوحيد ! فلا يعترفون بوحداية الله اعترافا خالصا ، ولكنه مقترن فى نفوسهم بشوائب تسلكهم فى مسلك المشركين ،

١٠٧ - أنخذوا عند الله عهدا بعدم تعذيبهم ، فضمنوا الأمن والسلامة من أن يصيبهم الله بعذاب غامر ، ويفشاهم بنقمته ، كما فعل بأسلافهم من قبل ؟ أو أن تفاجئهم القيامة وتبغتهم وهم مقيمون على الشرك والكفر ثم يكون مصيرهم الى النار ؟ !

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٨ - نبيهم يا محمد إلى سمو غايتك ، وبصرهم بنبل مهمتك ، فقل لهم . هذه سنتي وطريقي ، أدعو الناس إلى طريق الله وأنا مثبت من أمرى ، وكذلك يدعو إليها كل من تبعنى وأمن بشريعتى ، وأنزه الله عما لا يليق به ، ولست مشركا به أحدا سواه .

١٠٩ - وما تحولنا عن سنتنا في اختيار الرسل حين اخترناك أيها النبي ولا خرجت حال قومك عن أحوال الأمم السابقة . فابعدنا من قبلك ملائكة ، وإنما اخترنا رجلا من أهل الأمصار نزل عليهم الوحي ، ونرسلهم مبشرين ومنذرين ، فيستجيب لهم المهتدون ، ويعاندهم الضالون ! فهل غفل قومك عن هذه الحقيقة ، وهل قعد بهم العجز عن السعى فأهلكناهم في الدنيا ومصيرهم إلى النار ، وآمن من آمن فنجيناهم ونصرناهم في الدنيا ، ولثواب الآخرة أفضل لمن خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه ، أسلبت عقولكم أيها المعاندون فلا تفكروا ولا تندبروا ؟ !

١١٠ - ولا تستبطئ يا محمد نصرى ، فإن نصرى قريب أكيد ، وقد أرسلنا من قبلك رسلا فاقنضت حكمتنا أن يتراخى عنهم نصرنا ، ويتطاول عليهم التكذيب من قومهم ، حتى إذا زلزلت نفوس واستشعرت القنوط وأدركهم نصرنا ، فأنعمنا بالنجاة والسلامة على الذين يستأهلون منا إرادة النجاة وهم المؤمنون ، وأدركنا دائرة السوء على الذين أجرموا بالعناد وأصرروا على الشرك ، ولا يدفع عذابنا وبطشنا دافع عن القوم المجرمين .

١١١ - وقد أوحينا إليك ما أوحينا من قصص الأنبياء ، تنبيها لفؤادك ، وهداية لقومك ، وأودعناه من العبر والعظات ما يستنير به أصحاب العقول والفطن ويدركون أن القرآن حق وصدق ، فإنا كان حديثا مختلفا ولا أساطير مفتراة ، وإنما هو حق ووحي ، ويؤكد صدق ما سبق من كتب السماء ومن جاء بها من الرسل ! ويبين كل ما يحتاج إلى تفصيله من أمور الدين ، ويهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ويفتح أبواب رحمة الله لمن اهتدى بهديه وكان من المؤمنين الصادقين .



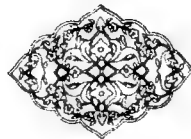
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

(سورة الرعد) سورة مدنية وسميت (الرعد) لما اشتملت عليه من تقديس الرعد لله تعالى. وعدد آياتها ثلاث وأربعون آية، وقد ابتدأت ببيان منزلة القرآن الكريم، وأنه يوحى من الله، ثم بينت سلطان الله تعالى في الكون ونهبت إلى ما فيه من ابداع ومنافع، ثم انتقلت من بيان قدرة الله تعالى في الإنشاء الى قدرته على الإعادة والبعث، وعلم الله تعالى بكل شيء، وإلى بيان قدرته على العقاب في الدنيا، وعليه يقاس العقاب في الآخرة. ثم وجهت الانظار إلى ما في الكون من عجائب تبهر، وبعد ذلك بين الله تعالى أحوال الناس في تلقيهم للهدى القرآنى، ثم ذكر أوصاف المؤمنين في علاقتهم بالإنسانية، وأخلاق الكافرين وتعتهم في طلب معجزات غير القرآن مع عظم منزلته، وعظم استهزائهم برسولهم، وبين للرسول انه قد استهزئ برسل من قبله! وأن الله تعالى قائم على الأشیاء والنفوس، وأنه مجاز كلا بما يستحق، وأن القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية إلى يوم القيامة، وأن الله تعالى هو الذى يؤيد رسله بما يراه من معجزات، وإذا كان المشركون ينكرون رسالة النبي فافقه بشهد بصدقها وحسبه ذلك وكفى.

١ - (المر) هذه حروف صوتية تبدأ بها بعض سور القرآن، وهى تشير إلى أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التى تتكون منها كلمات العرب! وهذه الحروف الصوتية كانت تجذب العرب لسامع القرآن! ذلك أن المشركين تواصلوا فيما بينهم ألا يسمعو هذا القرآن، فكان المؤمنون إذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون.

ان تلك الآيات العظيمة هى هذا القرآن، الكتاب العظيم الشأن الذى نزل عليك أيها النبي بالحق والصدق من الله الذى خلقك واصطفاك، ولكن أكثر المشركين الذين كفروا بما جاء به من الحق ليس من شأنهم أن يذعنوا للحق، بل هم يعاندون فيه.



اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿١﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَسِّرَاتٌ وُجِدَتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرَءٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ * وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَؤَظَاهُ أَنْ تَرَبَّأَ أَوْنَانَا لَنِي خَلَقْتُ جَدِيدٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَىٰ قُلْ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ

٢ - ان الذي أنزل هذا الكتاب هو الله الذي رفع ما ترون من سموات تجرى فيها النجوم بغير أعمدة ترى ولا يعلمها الا الله ، وان كان قد ربط بينها وبين الأرض بروابط لا تنقطع الا أن يشاء الله ، وذلك الشمس والقمر بسلطانه ولنفتحتكم ، وهما يدوران بانتظام لزمن قدره الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه يدبر كل شيء في السموات والأرض ، ويبين لكم آياته الكونية رجاء أن توقنوا بالوحدانية .

٣ - وهو سبحانه الذي بسط لكم الأرض ، وجعلها دلو لا تسيرون فيها شرقا وغربا ، وجعل في هذه الأرض جبالا ثابتة وأنهارا تجري فيها المياه العذبة ، وجعل من هذه المياه الثمرات المختلفة التي تتوالد ، وجعل منها الأنواع المتقابلة أصنافا ، منها الحلو والحامض ، ومنها الأبيض والأسود ، وأنه سبحانه يستر النهار بالليل ، وأن في هذا الكون وعجائبه لعلامات بينة تثبت قدرة الله ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر^(١) .

٤ - وان الأرض ذاتها فيها عجائب ، فيها قطع من الأرض يجاور بعضها بعضا ، وهي مختلفة التربة مع ذلك ، بعضها قاحل ، وبعضها خصب ، وان اتحدت التربة ، ففيها حداثق مملوءة بكروم العنب ، وفيها زرع يحصد ، ونخيل مشر ، وهي مجتمعة ومتفرقة ، ومع أنها تسقى بماء واحد يختلف طعمها ، وأن في هذه العجائب لدلائل واضحة على قدرة الله لمن له عقل يفكر به^(٢) .

(١) النباتات الزهرية المثمرة جميعها ينتج من تزاوج عناصر الذكورة والأنثوية سواء أكانت تلك العناصر في زهرة واحدة أو في زهرتين مختلفتين .

(٢) تشير الآية الكريمة إلى علوم الأراضى والبيئة وأثرها على صفات النبات فمن المعروف علميا أن التربة الزراعية تتكون من حبيبات معدنية مختلفة المصدر والحجم والترتيب ومن الماء ومصدره المطر ومن الهواء ومن المادة العضوية التي يرجع وجودها إلى بقايا النبات والأحياء الأخرى التي توجد على سطح التربة أو في داخلها وفضلا عن ذلك فتوجد ملايين الكائنات الحية الدقيقة لا ترى بالعين المجردة لصغر حجمها وتختلف أعدادها من عشرات الملايين إلى مئاتها في كل جرام من التربة السطحية الزراعية .
إن النظرة الشاملة لصفات التربة الطبيعية والكيميائية والحيوية إن دلت على شيء فإنما تدل على قدرة الخالق وروعة الخلق فالأرض كما يقول الزراعيون بحق تختلف من شبر إلى شبر .

ومعروف للعلماء أن أى نقص في أحد المواد الأساسية للتغذية يتبعه تغيير مميز تظهر أعراضه على النبات ولذلك يعدم الزراعيون إلى تعويض النقص بالتسميد الملائم وعوامل البيئة أكثر من أن تحصى ولها أثر ملحوظ على الثمر والثمار سواء أكان النبات متحد الأصل أو مختلفه فسبحان من بيده ملكوت كل شيء . وهو على كل شيء قدير .

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ كُنْتَ إِيمَانًا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ
وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ

٥ - وإن أمر المشركين مع هذه الدلائل لعجب ، فإن كنت يا محمد تعجب ، فالعجب هو قولهم : أبعد الموت
وبعد أن نصير ترابا نكون أحياء من جديد ؟ وهذا شأن الذين يكفرون بخالقهم ، عقولهم قيدت بالضلال ، ومألمهم
النار التي يخلدون فيها ، فهم جاحدون ، مع أن من يقدر على الإنشاء يقدر على الإعادة .

٦ - ويذهب بهم فرط ضلالهم أن يطلبوا انزال العذاب عاجلا بدل أن يطلبوا الهداية التي تنقذهم ويتوهمون أن
الله لا ينزل بهم العقوبة في الدنيا إن أراد ، وقد مضت عقوبات أمثالهم على ذلك ، فيمن أهلكهم الله قبلهم ، وشأن
الله أن يغفر الظلم لمن يتوب ويعود إلى الحق وينزل العقاب الشديد بمن يستمر على ضلاله .

٧ - ويقول هؤلاء الجاحدون غير معتدين بالمعجزة الكبرى ، وهى القرآن : هلا أنزل عليه ربه علامة على نبوته
من الحس كتحرّك الجبال ، فيبين الله لنبه الحق في القضية ؟ ويقول له سبحانه : إنما أنت أيها النبي منذرهم بسوء
العاقبة ، إن استمروا على ضلالهم ، ولكل قوم رسول يهديهم إلى الحق ، ومعجزة تبين رسالته ، وليس لهم أن
يختاروا ، إنما عليهم أن يجيبوا التحدى وأن يأتوا بمثله . . .

٨ - الذى أعطى الرسول تلك المعجزة الكبرى هو الذى يعلم كل شيء ، ويعلم النفوس الإنسانية من
وجودها نطفة في الرحم إلى موتها ، فيعلم ما تحمل كل أنثى من أجنة وحالها من ذكورة أو من أنوثة ، وما تنقصه
الأرحام وما تزداد به وقتا بعد آخر ، حتى تنتهى مدة الحمل ويتكامل نمو الجنين ، ويظهر في الوجود . كل شيء
عنده سبحانه بقدر معلوم ، وله زمان معلوم (١) .

٩ - هو الذى يعلم ما يغيب عن حسنا ، ويعلم ما نشاهده علما أعظم مما نشاهد ونرى ، وهو سبحانه العظيم
الشأن الذى يعلو كل ما فى الوجود .

(١) الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أجنة ويعلم حالة الرحم وهو في حالة صفرة بينما تغيب فيه النطفة ويعلم حاله وهو يزداد
يوما بعد يوم حتى يصبح جنينا كاملا فهو صالحا للزول وكل شيء عند الله بمقدار وحساب صغيرا أو كبيرا .

جَهْرَهُ ۚ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقَّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۚ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنِّ وَاِل ۚ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١١﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ۚ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ ۚ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٢﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۚ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٌ كَقَبِهِ إِلَى الْآثَانِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

١٠ - يعلم كل أحوالكم في حياتكم، وكل أقوالكم وأعمالكم، فيعلم ما تسرون، وما تعلنون من أفعال وأقوال، ويعلم استخفاءكم بالليل وبرزكم بالنهار، والكل في علمه سواء.

١١ - وإن الله سبحانه هو الذي يحفظكم، فكل واحد من الناس له ملائكة تحفظه بأمر الله وتتناوب على حفظه من أمامه ومن خلفه، وإن الله سبحانه لا يغير حال قوم من شدة إلى رخاء ومن قوة إلى ضعف حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التي يصيرون إليها، وإذا أراد الله أن ينزل بقوم ما يسوءهم فليس لهم ناصر يحميهم من أمره، ولا من يتولى أمورهم فيدفع عنهم ما ينزل بهم.

١٢ - وأن قدرة الله تعالى في الكون بارزة آثارها ظاهرة، فهو الذي يريكم البرق فترهبون منظره أو تخافون أن ينزل عليكم المطر من غير حاجة إليه فيفسد الزرع، أو تطمعون من وراء البرق في مطر غزير تحتاجون إليه ليصلح الزرع. وهو الذي يكون السحب المملوءة بالأمطار.

١٣ - وأن الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعاً مطلقاً، حتى إن صوته الذي تسمعون كأنه تسبيح له سبحانه بالحمد على تكوينه دلالة على خضوعه، وكذلك الأرواح الطاهرة التي لا ترونها تسبح حامدة له، وهو الذي ينزل الصواعق المهرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون في شأن الله سبحانه، وهو شديد القوة والتدبير في رد كيد الأعداء.

١٤ - وإن الذين يدعونهم في خوفهم وأنهم من الأصنام دون أن يدعوا الله وحده، لا يجيبون لهم نداء ولا دعاء، وحالهم معهم كحال من يسط كفه ويضعها ليحمل بهذه اليد المبسوطة الماء ليلبغ فيه فيرتوى، وليس من شأن الكف المبسوطة أن توصل الماء إلى الفم، وإذا كانت تلك حالهم، فادعائهم الأصنام الاضباع وخسارة.

وظللهم بالغدو والآصال ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْلِقُهُ فَنَشَبَهُ خَلَقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ

١٥ - والله سبحانه يخضع لإرادته وعظمته كل من في السموات والأرض من أكوام وأناس وجن وملائكة طائعين ، أو كارهين لما ينزل بهم ، حتى ظلالهم من طول وقصر حسب أوقات النهار في الظهيرة وفي الأصيل خاضعة لأمر الله ونهيه .

١٦ - أمر الله نبيه أن يجادل المشركين هاديا مبينا ، فقال له : قل لهم أيها النبي : من الذى خلق السموات والأرض ، وهو الحافظ لها ، والمسير لما فيها ؟ ثم بين لهم الجواب الصحيح الذى لا يحارون فيه ، فقل لهم : هو الله المعبود بحق دون سواء ، فكان حقا عليكم أن تعبدوه وحده . ثم قل لهم : أفترى بعد وضوح البراهين المثبتة لوحداية الله فى كل شئ ، وتتخذون مع ذلك أوثانا تعتبرونها آلهة من غير أن تقرؤا بوحدايته ! وهذه الأوثان لا تملك لذاتها نفعا ولا ضرا ! فكيف تسوونها بالخالق المدير ، انكم تسوون بين الخالق لكل شئ ومن لا يملك شيئا ! فكنتم كمن يسوى بين المتضادين ! فهل يستوى من يبصر ومن لا يبصر ؟ وهل تستوى الظلمة المتكاثفة المالحكة والنور المبين ؟ أيسوغون تلك التسوية ؟ أم ذهب بهم فرط ضلالهم إلى زعم أن أوثانهم شركاء له فى الخلق والتدبير ، فتشابه عليهم أمر الخلق ، كما ضلوا العبادة ؟ قل لهم أيها النبي ، الله وحده هو الخالق لكل ما فى الوجود ، وهو المنفرد بالخلق والعبادة ، الغالب على كل شئ .

١٧ - وأن نعمه تعالى مرئية لكم ، وأصنامكم لا تأثير لها فى هذه النعم ، فهو الذى أنزل عليكم الأمطار من السحاب ، فتسيل بها الأنهار والوديان كل بالمقدار الذى قدره الله تعالى لنبات الزرع ، وإثمار الشجر . والأنهار فى جريانها تحمل مالا نفع فيه ويعلو على سطحها ، فيكون فيها ما فيه نفع فيبق ، ومالا نفع فيه يذهب . ومثل ذلك الحق والباطل ، فالاول يبق والثانى يذهب ، ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة ، ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس ، ومنها مالا نفع فيه يعلو السطح . وأن مالا نفع فيه يرمى وينبذ ، وما فيه النفع يبق ، كذلك الأمر فى العقائد : ما هو ضلال يذهب ، وما هو صدق يبق . وبمثل هذا يبين الله سبحانه الحقائق ، وبمثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بينة (١) .

(١) بين الله هنا شبيهاً بالحق ما الماء الصافي والمعدن الصافي ينتفع بها وبين شبيهاً للباطل ما زبد الماء وزبد المعادن المذابة لا نفع منها فقال : أنزل من السحاب مطرا فسالت مياه أودية بمقدارها فى الصغر والكبر فعمل الماء السائل زبداً عالياً على وجه الماء يسمى غثاء ومن بعض المعادن التى يوقد الناس عليها فى النار كالذهب والفضة والنحاس والرصاص طالين عمل حلية أو متاع ينتفع به كالأواني وغيرها زبد مثل زبد الماء فى كونه عالياً فوق سوائى المعادن يسمى خبيثا كهذا المذكور من الماء وزبد المعدن وزبد بين الله =

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا قُنْدُوا بِهِ^{٢٠} أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
 * أَقْسَنَ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى^{٢١} إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ
 بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
 الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ
 بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ

١٨ - وأن الناس في تلقيهم للهدى قسمان : قسم أجاب دعوة الله الخالق المدبر ، فلهم العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة ، وقسم لم يجب دعوة الذى أنشأه ، وهؤلاء لهم العاقبة السيئة في الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما في الأرض جميعا ومثله معه ، ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ! ولكن أفى يكون لهم ذلك الملك ؟ ولذلك كان لهم حساب يسوءهم ويتهنون به إلى جهنم وبئس القرار والمستقر .

١٩ - ان المهتدين والضالين لا يستون ، فهل يكون الذى يعلم أن ما أنزل عليك من الله الذى رباك وكونك واصطفاك لأداء رسالته ، هو الحق الذى لا شك فيه . . هل يكون كمن ضل عن الحق ، حتى صار كالأعمى الذى لا يبصر ؟ أنه لا يدرك الحق ويتذكر عظمة الله الا أصحاب العقول التى تفكر .

٢٠ - أولئك الذين يدركون الحق ، هم الذين يوفون بعهد الله تعالى عليهم بمقتضى الفطرة والتكوين بمقتضى توثيق عقودهم وعهودهم ، ولا يقطعون الموائيق التى عقدوها باسم الله بينهم وبين العباد ، ولا بالميثاق الأكبر الذى عقده بالفطرة والتكوين ، وجعلهم يدركون الحق . ويؤمنون ، الا أن يضلوا في يقينهم .

٢١ - وأولئك المؤمنون من دأبهم المحبة والطاعة ، انهم يعقدون المودة مع الناس ويخصون ذوى أرحامهم ، ويؤيدون ولائهم في الحق ، وهم يعرفون حق الله ، فيخشونه ، ويخافون الحساب الذى يسوءهم يوم القيامة فيتوقون الذنوب ما استطاعوا .

٢٢ - وهم يصبرون على الأذى يطلبون رضا الله بتجمله في سبيل اعلاء الحق ، ويؤدون الصلاة على وجهها تطهيرا لأرواحهم وتذكرا لربهم ، وينفقون من المال الذى أعطاهم الله في السر والعلن من غير رياء ، ويدفعون السيئات بالحسنات يقومون بها ، وهم بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة ، بالإقامة يوم القيامة بأحسن دار وهى الجنة .

= للناس الحق والباطل فالحق كالماء الصافي والمعدن الصافي والباطل كالزبد الصافي والذى لا ينتفع به . فأما الزبد الناشئ عن السيل والمعادن فيذهب مرميا به وأما ما ينفع الناس من الماء والمعادن فيبقى في الأرض للنفع كهذين المثليين في الجلاء والوضوح بين الله الأمثال للناس دائما فيصيرهم بالخير والشر .

ولما بين الله سبحانه وتعالى شأن كل من الحق والباطل شرع بين حال أهل كل منها فقال للذين أجابوا ربهم بالطاعة المثوبة في الآخرة وفى الجنة ونعيمها والذين لم يجيبوا لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبدلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله ولكنه لا يقبل منهم إذا فرض وملك .

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتْنَعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

٢٣ - تلك العاقبة الطيبة اقامة مستمرة في الجنات والنعيم ، يكونون فيها هم وأبائهم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، ومعهم أزواجهم وذرياتهم والأرواح الطاهرة الطيبة تحيهم وتحيى إليهم من كل ناحية .

٢٤ - وتقول لهم تلك الأرواح : الأمن الدائم لكم بسبب صبركم على الأذى ، وصبركم في مكافحة أهوائكم ، وما أحسن هذه العاقبة التي صرتم إليها ، وهي الإقامة في دار النعيم .

٢٥ - وإن أوصاف المؤمنين الطيبة تقابلها أوصاف المشركين الذميمة . فالمشركون ينقضون عهد الله الذي أخذه عليهم بمقتضى الفطرة ووثقه ، فيخالفون فطرتهم وعقولهم بعبادتهم حجارة لا تنفع ولا تضر وينكثون في عهودهم مع العباد ثم يقطعون مودتهم مع الناس وصلتهم بالله فلا يطيعون أوامره ولا يفردون بالعبادة ويفسدون في الأرض ، بالاعتداء فيها ، وعدم اصلاحها والانتفاع بها ! والله سبحانه لا يحب العبث والإفساد .

٢٦ - وإذا كان أولئك المشركون يرون أنهم قد أوتوا مالا وفيرا ، والمؤمنون فقراء ضعفاء ، فليعلموا أن الله تعالى يعطي الرزق الوفير لمن يشاء إذا أخذ في الأسباب ، ويضيقه على من يشاء ، فهو يعطيه للمؤمن وغير المؤمن فلا تظنوا أن كثرة المال في أيديهم دليل على أنهم على الحق ، ولكنهم يفرحون بما أوتوا من مال ، مع أن الله تعالى يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، وما الحياة الدنيا الا متع ضئيلة فانية ! .

٢٧ - وإن أولئك المشركين تذهب بهم اللجاجة فيقولون : هلا أنزل على النبي من الله معجزة أخرى ؟ فقل أيها النبي أن السبب في عدم إيمانكم ليس نقص المعجزة ، إنما هو الضلال والله سبحانه وتعالى يضل من يريد ضلاله مادام يسير في طريق الضلال ويهدي إلى الحق من يرجع إلى الله دائما .

٢٨ - وإن هؤلاء الذين يرجعون إلى الله ، ويقبلون على الحق ، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره ، وأن القلوب لا تسكن وتطمئن الا بتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته .

الصَّالِحِينَ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَقَابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ
الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْيِسِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ
حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ مَنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ
أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلِ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ

٢٩- وان الذين أذعنوا للحق، وقاموا بالأعمال الصالحة، لهم العاقبة الطيبة والمآل الحسن.

٣٠- كما أرسلنا إلى الماضين من الأمم رسلا بينوا لهم الحق، فضل من ضل واهتدى من اهتدى، وأتيناهم معجزات تدل على رسالتهم، أرسلناك في أمة العرب وغيرهم، وقد مضت من قبلهم أُمم، وكانت معجزتك القرآن، لتقرأ عليهم قراءة توضح معانيه وجلاله، وهم جاحدون برحمة الله عليهم بإنزال القرآن، فقل لهم أيها النبي: الله هو الذي خلقني ويحميني ويرحمي، لا اله يعبد بحق غيره، أعتمد عليه وحده، وإليه مرجعي ومرجعكم.

٣١- انهم يطلبون معجزة غير القرآن مع عظم تأثيره لو طلبوا الحق وأذعنوا له، فلو ثبت أن كتابا يقرأ فتتحرك به الجبال من أماكنها، أو تنصدع به الأرض، أو تخاطب به الموتي، لكان ذلك هو القرآن، ولكنهم معاندون، والله وحده الأمر كله في المعجزات وجزاء المجاهدين، وله في ذلك القدرة الكاملة، وإذا كانوا في هذه الحال من العناد، أفلا ييأس الذين أذعنوا للحق من إيمان هؤلاء المجاهدين، وأن جحودهم بإرادة الله، ولو أراد أن يهتدى الناس جميعا لاهتدوا! وأن قدرة الله ظاهرة بين أيديهم، فلا يزالون تصيبهم بسبب أعمالهم القوارع الشديدة التي تهلكهم، أو تنزل قريبا منهم، حتى يكون الموعد الذي وعد الله به، والله تعالى لا يخلف وعده.

٣٢- وإذا كان أولئك المجاهدون قد استهزأوا بما تدعو إليه وبالقرآن فقد سخر بالرسول الذين أرسلوا قبلك أيها النبي، فلا تحزن لأنى أمهل الذين جحدوا ثم أخذهم فيكون العقاب الشديد الذي لا يقدر وصفه ولا تعرف حاله.

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَنْزَابُ وَمِنْ الْأَنْزَابِ مَنْ يَنْكَرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهٌ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَعَابِدُكُمْ وَكَذَٰلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكُمًا عَرَبِيًّا وَلَٰكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا

٣٣ - ان المشركين سفهوا في جحودهم ، فجعلوا لله شركاء في العبادة ، فهل من هو حافظ مراقب لكل نفس ، محص عليها ما تكسب من خير أو شر ، تماثله هذه الأوثان ؟ قل لهم أيها النبي ! صفوهم بأوصافهم الحقيقية ! أهم أحياء أهم يدفعون الضر عن أنفسهم ؟ فإن كانت حجارة لا تنفع ولا تضر ، فهل تخدعون أنفسكم بأن يخبروا الله بما تتوهمون أنه لا يعلمه في هذه الأرض ، أم تضعونهم في موضع العبادة بألفاظ تتلوى بها ألسنتكم ، بل الحقيقة أنه زين لهم تدبيرهم وقومهم الباطل ، وبسبب ذلك صرفوا عن طريق الحق وتاهوا ! ومن يكن ضلالهم مثلهم ، فلن يهديه أحد ، لأنه صرف نفسه عن سبيل الهداية .

٣٤ - لهم العذاب في الدنيا بالهزيمة والأسر والقتل ، ان سار المؤمنون في سبيل الحق ، ولعذاب الآخرة النازل بهم لا محالة أشد وأدوم ، وما لهم أحد يقيمهم من عذاب الله القاهر فوق كل شيء .

٣٥ - وإذا كان هؤلاء هذا العذاب ، فللمؤمنين الجنة ونعيمها ، وقد وعدوا بها . وحال هذه الجنة التي وعد بها أولئك الذين استقاموا على الحق ، وجعلوا بينهم وبين الباطل وقاية من الإيمان أنها تجري من تحت أشجارها المياه العذبة ثمراتها دائمة لا تنقطع ، وظلها دائم . وهذه عاقبة الذين اتقوا الشر أما الجاحدون فعاقبتهم دخول النار .

٣٦ - والذين أعطوا علم الكتب المنزلة من شأنهم أن يفرحوا بالكتاب الذي أنزل عليك : لأنه امتداد للرسالة الإلهية ، ومن يتخذون الدين تحزبا : ينكرون بعض ما أنزل إليك عداوة وعصبية ، فقل أيها النبي : اني ما أمرت الا بأن أعبد الله لا أشرك في عبادته شيئا وإلى عبادته وحده أدعو ، وإليه وحده مرجعي .

٣٧ - ومثل الإنزال للكتب السماوية ، أنزلنا إليك القرآن حاكما للناس فيما بينهم ، وحاكما على الكتب السابقة بالصدق . وقد أنزلناه بلغة عربية ، فهو عربي ، ولا تسابير المشركين أو أهل الكتاب بعد الذي جاءك من الوحي والعلم ، ولئن سايرتهم فالك ناصر ينصرك من الله ، أو يقيك منه . والمحطاب للنبي ، وهو بالأولى للمؤمنين ، والتحذير لهم حقيق ، وللنبي لبيان أنه مع اصطفاؤه وعلو منزلته قابل للتحذير .

مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّنَكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ
لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۚ

٣٨ - وإذا كان المشركون يثيرون العجب من أن لك أزواجاً وذرية، ويطلبون معجزة غير القرآن، فقد أرسلنا من قبلك رسلاً لهم أزواج وأولاد، فالرسول من البشر له أوصاف البشر، ولكنه خير كله، وليس لنبي أن يأتي بمعجزة كما يجب أو يجب قومه! بل الذي يأتي بالمعجزة هو الله، وهو الذي يأذن له بها. لكل جيل من الأجيال أمر كتبه الله لهم يصلح به أمرهم، فلكل جيل معجزته التي تناسبه.

٣٩ - يحو الله ما يشاء من شرائع ومعجزات، ويحل ما يشاء ويثبتته وعنده أصل الشرائع الثابت الذي لا يتغير، وهو الوحدانية وأمّهات الفضائل، وغير ذلك.

٤٠ - ولئن أريناك بعض الذي نعدهم من ثواب أو عقاب، أو توفيناك قبل ذلك، لرأيت هول ما ينزل بالمشركون! ولرأيت نعم المؤمنين! وليس عليك هذا، إنما عليك أن تبلغ الرسالة والحساب علينا وحدنا.

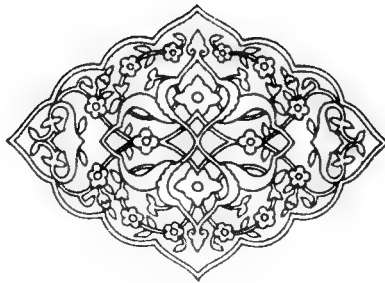
٤١ - وإن أمارات العذاب والهزيمة قائمة! ألم ينظروا إلى أننا نأتي الأرض التي قد استولوا عليها، يأخذها منهم المؤمنون جزءاً بعد جزء؟ وبذلك ننقص عليهم الأرض من حولهم، والله وحده هو الذي يحكم بالنصر أو الهزيمة، والثواب أو العقاب، ولاراد لحكمه، وحسابه سريع في وقته، فلا يحتاج الفصل إلى وقت طويل، لأن عنده علم كل شيء، فالبيّنات قائمة (١).

(١) تتضمن هذه الآية حقائق وصلت إليها البحوث العلمية الأخيرة إذ ثبت أن سرعة دوران الأرض حول محورها وقوة طردها المركزي يؤديان إلى تفلطح في القطبين وهو نقص في طرفي الأرض وكذلك عرف أن سرعة انطلاق جزئيات الغازات المغلفة للكرة الأرضية إذا ما جاوزت قوة جاذبية الأرض لها فإنها تنطلق إلى خارج الكرة الأرضية. وهذا يحدث بصفة مستمرة فتكون الأرض في نقص مستمر لأطرافها. لا أرض أعداء المؤمنين، وهذا احتمال في التفسير تقبله الآية الكريمة.

وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

٤٢ - وقد دبر الذين من قبلهم التدبير السيئ لرسولهم ، والله سبحانه تدبير الأمر كله في حاضركم الكافرين وقابلهم ، وسيكون الجزاء على ما يصنعون ، وهو يعلم ما تعلمه كل نفس . وإذا كانوا يجهلون أن العاقبة المحسنة للمؤمنين ، فسيعلمون يوم القيامة بالرؤية لمن تكون العاقبة المحسنة بالإقامة في دار النعيم .

٤٣ - والغاية من المراء الذي يقوم به الذين جحدوا ولم يذعنوا للحق أن يقولوا لك أيها النبي لست مرسلًا من عند الله ! فقل لهم : حسبى أن الله هو الذي يحكم بيني وبينكم ، والذي يعلم حقيقة القرآن ، وما يدل عليه من اعجاز باهر تدركه العقول السليمة .



(١٤) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَنَانٌ وَخَسُونٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكَتَبُ أُنْزِلَتْهُ إِلَيْكَ لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ①
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ② وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ③ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ④ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ⑤ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ⑥ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ⑦ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑧

١ - ألف . لام . راء : في الابتداء بهذه الحروف تنبيه إلى اعجاز القرآن ، مع أنه مكون من حروف يتكلمون بها ، وتنبيه للاستماع . هذا المذكور في السورة كتاب منزل اليك يا محمد من عندنا ، لتخرج الناس كافة من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم بتيسير ربهم ، وذلك النور هو طريق الله الغالب بالانتقام الم محمود على الانعام .
٢ - طريق الله الذي له كل ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا ، وإذا كان هذا هو حال الآله الحق ، فالهلاك بعذاب شديد للكافرين .

٣ - الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويمنعون الناس عن شريعة الله ويرغبون أن تصير الشريعة معوجة في نظر الناس لينفروا منها . أولئك الموصوفون بما ذكر قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق .

٤ - وما أرسلنا رسولا قبلك ، يأيها النبي ، الا متكلمًا بلغة قومه الذين بعثناه فيهم ليفهمهم ما أتى به ، فيفقهوه ويدركوه بسهولة ، وليس عليه هدايتهم ، فالله يضل من يشاء ، لعدم استعداده لطلب الحق ، ويهدي من يشاء لحسن استعداده ، وهو القوى الذي لا يغلب على مشيئته ، والذي يضع الأمور في مواضعها ، فلا يهدي ولا يضل الا للحكمة .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْسِمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا

٥ - ولقد أرسلنا موسى مؤيدا بمعجزاتنا، وقلنا له : أخرج قومك بنى اسرائيل من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وذكرهم بالوقائع والنقم التي أوقعها الله بالأمم قبلهم . ان في ذلك التذكير دلائل عظيمة على وحدانية الله، تدعو إلى الإيمان كل من يتحقق به كمال الصبر على البلاء، والشكر على النعماء، وهذه صفة المؤمن .

٦ - واذكر أيها النبي لقومك، لعلهم يعتبرون، وقت قول موسى لقومه تنفيذاً لأمر ربك : اذكروا نعمة الله عليكم، حين أخرجكم من قوم فرعون وهم يذيقونكم العذاب السيئ، بتكليفكم الأعمال الشاقة، ويذبحون أبناءكم الذكور، ويستبقون نساءكم بقتل ذليلات مستضعفات، وفي كل ما ذكر من التعذيب والإنجاء اختبار من الله عظيم، ليظهر مقدار الصبر والشكر .

٧ - واذكروا يا بنى اسرائيل حين أعلمكم ربكم وقال : والله ان شكرتم ما وهبناكم من نعمة الإنجاء وغيرها، وبالثبات على الإيمان والطاعة لأزيدنكم من نعمي، وان جحدتم نعمي بالكفر والمعصية، لأعذبنكم عذاباً مؤلماً، لأن عذابي شديد للجاحدين .

٨ - وقال موسى لقومه حينما عاندوا وجحدوا : ان تجحدوا نعم الله ولا تشكروها بالإيمان والطاعة، أنتم وجميع من في الأرض، فإن ذلك لن يضر الله شيئاً، لأن الله غنى عن شكر الشاكرين، يستوجب الحمد بذاته، وان لم يحمد أحد .

أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ط
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ^ع قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ^ط وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا
لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلْئِنَا ^ط فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ

٩ - ألم يصل إليكم خبر الذين مضوا من قبلكم ، قوم نوح وعاد وثمود ، والأمم الذين جاءوا من بعدهم ، وهم لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم ، وقد جاءتهم رسلهم بالهجة الواضحة على صدقهم ، فوضعوهم أيديهم على أفواههم استغراباً واستنكاراً ، وقالوا للرسل : انا كفرنا بما جئتم به من المعجزات والأدلة ، وانا لفي شك مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد ، لانظمن إلى شيء وفي حيرة منه !

١٠ - قالت الرسل لأقوامهم ! منكرين عليهم شكهم في وجود الله ووحدانيته ، متعجبين من ذلك : أفى وجود الله وألوهيته وحده شك ، وهو خالق السموات والأرض على غير مثال يحتذيه ، وهو يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم التي وقعت منكم قبل الإيمان ، ويؤخركم إلى انتهاء آجالكم ؟ ! قالت الأقوام لرسلهم تعنتا : ما أنتم إلا بشر مثلنا ، لا فضل لكم علينا يؤهلكم للرسالة .. تريدون أن تمنعونا بما تدعوننا إليه عما كان عليه آبائنا من العبادة ! فأتونا بحجة واضحة مما نقترحه عليكم .

١١ - قالت لهم رسلهم : ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم ، ولكن الله يصطقي من يشاء من عباده فيخصهم بالنبوة والرسالة ، وما كان في قدرتنا أن نأتيكم بحجة مما تقترحون إلا بتيسير منه ، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون ولنتوكل عليه بالصبر على معاندتكم .

١٢ - وأى عذر لنا في ترك التوكل على الله ، وهو قد أرشد كلامنا إلى سبيله ومنهاجه الذى شرع له ، وأوجب عليه سلوكه في الدين ؟ وانا لنؤكد توكلنا على الله ، ولنصبرن على أذاكم لنا بالعناد واقتراح المعجزات ، والله وحده هو الذى يتوكل عليه المتوكلون .

الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُصِيبَنَّكَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَجْرعهٗ وَلَا يَكَادُ يُسِيغهٗ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴿١٧﴾ وَمِنْ وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ مِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ

١٣ - عمد أهل الحل والعقد من الكفار العاتين إلى القوة ، بعد أن عجزوا جميعا عن مقاومة الدليل ، وقالوا لرسلمهم : ليكون أحد أمرين : إما أن نخرجكم من أرضنا ، وإما أن تدخلوا في ديننا ، فأوحى الله إلى الرسل قائلا : لنهلكن الكافرين ، لظلمهم .

١٤ - ولنسكننكم أرضهم من بعد هلاكهم . وذلك الإسكان للمؤمنين حق لمن خاف موقف حسابه ، وخاف وعيدى بالعذاب ، فإن من غلب عليه الخوف أطاع .

١٥ - ان الرسل استنصروا على أقوامهم بما يشعرون من إيمانهم ، وطلبوا النصر من ربهم على الكافرين من أقوامهم ، فنصرهم الله وربحوا ، وخسر كل متكبر عن طاعة الله شديد العناد .

١٦ - وقد استقبل الهزيمة في الدنيا ومن ورائه في الآخرة عذاب جهنم ، ويسقى فيها من ماء كربه ، وهو كالصديد يسيل من أهل النار .

١٧ - يتكلف شربه ، كأنه يتلعه مرة بعد أخرى ، ولا يقرب من استساغته لأنه لا يمكن أن يستساغ لكرهته وقذارته ! ويحيط به أسباب الموت من الشدائد من كل جهة ، وما هو في جهنم بميت فيستريح مما هو فيه ، بل يستقبل في كل وقت عذابا أشد .

١٨ - ان حال أعمال الخيرين الكافرين الدنيوية وكسبهم فيها ، لبنائها على غير أساس من الإيمان ، كحال رماد اشتدت لتفريقه الريح في يوم شديد العواصف ، لا يقدر يوم القيامة على شيء مما كسبوا في الدنيا من تلك الأعمال فلا يمكنهم الانتفاع بشيء منها إذ لا يرون لها أثرا من الثواب ، كما لا يقدر صاحب الرماد المتطاير في الريح على امساك شيء منه ، وهؤلاء الضالون يحسبون أنهم محسنون ، مع أن أعمالهم بعيدة أشد البعد عن طريق الحق .

١٩ - ألم تعلم أيها المخاطب أن الله تعالى خلق السموات والأرض لتقوموا على الحق بمقتضى حكمته ، ومن قدر على هذا كان قادرا على اهلاككم أيها الكافرون ، والإتيان بخلق جديد غيركم يعترفون بوجوده ووحدانته إذا شاء .

٢٠ - وما ذلك الإذهاب والإتيان على الله بمتعذر ولا بمتعسر .

الضُّعْفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْ مَوَّانَفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي ۚ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۚ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحِبُّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي

٢١ - وسيظهر الكفار جميعا من قبورهم للرئين ، لأجل حساب الله تعالى ، ظهورا لاشك فيه كأنه واقع الآن فعلا فيقول ضعفاء الرأي من الأتباع للقادة المستكبرين : انا كنا لكم تابعين في تكذيب الرسل ومحاربتهم والإعراض عن نصائحهم ، فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله بعض الشيء ؟ قال المستكبرون : لو هادانا الله إلى طريق النجاة ووقفنا له لأرشدناكم ودعوناكم إليه ، ولكن ضللنا فأضللتناكم أى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا ، ونحن وأنتم الآن سواء علينا الجزع والصبر ، ليس لنا مهرب من العذاب !

٢٢ - ويقول ابليس ، حين يقضى الله الأمر بتنعيم الطائعين وتعذيب العاصين ، لمن اتبعه : ان الله تعالى وعدكم وعدا حقا بالبعث والجزاء فأنجزه ، ووعدتكم وعدا باطلا بأن لا بعث ولا جزاء فأخلفتكم وعدى ، وما كان لى عليكم قوة أقهركم بها على اتباعى ، لكن دعوتكم بوسوستى إلى الضلالة فأسرعتم إلى طاعى ، فلا تلومونى بوسوستى ، ولوموا أنفسكم على اجابى وما أنا اليوم بمغيثكم من العذاب ، وما أنتم بمغيثى ! إني جحدت اليوم اشراككم اباى مع الله فى الدنيا حيث أظعنتمونى كما يطيع العبد ربه : ان الكافرين لهم عذاب مؤلم .

٢٣ - وأدخل فى الآخرة الذين صدقوا وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجري من تحت قصورها الانهار خالدين فيها بإذن الله تعالى وأمره ، تحيتم فيها من الملائكة تفيد الأمن والاطمئنان .

٢٤ - ألم تعلم أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلا لكلمة الحق الطيبة ، وكلمة الباطل الخبيثة ، فجعل الكلمة الحسنة الفائدة مثل شجرة حسنة المنفعة ، أصلها ضارب بجذورها فى الأرض ، وأفنانها مرتفعة إلى جهة السماء .

أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْبَةٍ كَشَجَرَةِ خَيْبَةٍ
 أَجْتُنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا هَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
 الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
 دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
 مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
 يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّمَرَاتِ

٢٥ - تعطى ثمرها كل وقت عينه الله لإثمارها بإرادة خالقها ، كذلك كلمة التوحيد ثابتة في قلب المؤمن ، وعمله
 يصعد إلى الله ، وينال بركته وثوابه كل وقت . وبين الله الأمثال للناس ، فيشبه المعاني بالحواسات ليتعظوا
 فيؤمنوا .

٢٦ - الكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة ، كأنها اقتلعت ، وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات
 فيها ، كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها ! لأنها لم تعاضد بحجة .

٢٧ - يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة ، ويبعد الله الكافرين عنه لسوء
 استعدادهم ، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه !

٢٨ - ألم تنظر أيها السامع إلى المشركين الذين وضعوا مكان شكر نعمة الله بمحمد ودينه كفرا بالله تعالى
 وأنزلوا أتباعهم بإضلالهم إياهم دار الهلاك .

٢٩ - وهى جهنم يقاسون حرها وقبح المقر جهنم .

٣٠ - وجعلوا لله الواحد الأحد أمثالا من الأصنام في العبادة ، لتكون عاقبة عملهم اضلال الناس عن سبيل
 الله ! وقل أيها النبي لأولئك الضالين : تمتعوا بشهواتكم فإن مرجعكم إلى النار ! .

٣١ - قل يا محمد لعبادى الصادقين الذين آمنوا واحسنوا : أقيموا الصلاة ، وأنفقوا بعض ما رزقناكم في
 وجوه البر ، مسرين ومعلنين ، وفي كل خير ، من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا صداقة .

رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَن تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ
غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ
الشَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۖ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ

٣٢ - الله وحده هو الذي أنشأ السموات وما فيها ، والأرض وما فيها ، وأنزل من السحاب ماء مدرارا ،
فأخرج بسببه رزقا لكم . هو ثمرات الزرع أو الشجر ، وسخر لكم السفن لتجري في البحر تحمل أرزاقكم
وتجارتكم بإذنه ومشيبته ، وسخر لكم الأنهار العذبة لتتنفخوا بها في رى الأنفس والزروع .

٣٣ - وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، للإضاءة واصلاح النبات والحيوان ، وسخر لكم الليل للراحة ،
والنهار للسعي .

٣٤ - وهيا لكم كل ما تحتاجون إليه في حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا . وان تعدوا ما أنعم
الله به عليكم لا يمكنكم حصر أنواعه ، فضلا عن أفرادها ! ان المجاهد الذي قابل النعم بالمجود لشديد الظلم
والمجود .

٣٥ - واذكر ، أيها النبي ، لقومك ، ليعتبروا فيرجعوا عن اشراكهم ، قول أبيهم ابراهيم بعد بناء الكعبة : يارب
اجعل هذا البلد الذي فيه الكعبة ذا أمن من الظالمين ، وأبعدني وأبنائي عن عبادة الأصنام .

٣٦ - لأن الأصنام تسببت في اضلال كثير من الناس بعبادتهم لها . فن تبغى من ذريتي ، وأخلص لك العبادة ،
فإنه من أهل ديني ، ومن عصاني باقامته على الشرك فأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة .

٣٧ - يا ربنا اني اسكنت بعض ذريتي في وادي مكة الذي لا ينبت زرعاً ، عند بيتك الذي حرمت التعرض له
والتهاون بشأنه ، وجعلت ما حوله آمناً . ربنا ، فأكرمهم ليقموا الصلاة بجوار هذا البيت ، فاجعل قلوبا خيرة من
الناس تقبل إليهم لزيارة بيتك ، وارزقهم من الثمرات بإرسالها إليهم مع الوافدين ، ليشكروا نعمتك بالصلاة
والدعاء .

وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِبِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْغَلَتُهُمْ هَوَاهُ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ۖ أُولَئِكَ تَكُونُوا آفَئِسْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ

٣٨ - ربنا ، إنه يستوى عند علمك سرنا وعلانيتنا ، فأنت أعلم بمصالحنا ، وأرحم بنا منا ، وما يخفى عليك شيء ولو كان صغيرا ، في الأرض ولا في السماء ، فلا حاجة بنا إلى الدعاء ، ولكننا ندعوك اظهارا للعبودية ، ونخشع لعظمتك ، ونفتقر إلى ما عندك .

٣٩ - الحمد لله الذي أعطاني ، مع كبر سني ، والياس من الولد ، اسماعيل ثم اسحاق ! ان ربي لسميع دعائي ، مجيب له .

٤٠ - رب وفقني لأداء الصلاة على وجهها ، ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتي ، ربنا تقبل دعائي قبول المستجيب .

٤١ - ربنا اغفر لي ما فرط مني من الذنوب ، واغفر له للمؤمنين . يوم يتحقق الحساب ، ويكون من بعده الجزاء .

٤٢ - ولا تظن : أيها الرسول ، ربك غافلا عما يعمل الظالمون من محاربة الإسلام وأهله : بل هو عالم بمخالفتهم ، وقدر تأخير عقوبتهم ليوم عسير ، تبقى فيه أبصارهم مفتوحة ، لا يسيطرون عليها ، فلا ترتد إليهم من هول ما ترى .

٤٣ - وهم مسرعون نحو الداعي ، رافعي رؤوسهم إلى السماء ، لا ترجع أعينهم إلى أرائدهم ، وقلوبهم خالية ليس فيها تفكير من شدة الخوف .

٤٤ - وبين أيها النبي ، للناس أهوال يوم القيامة الذي يأتيهم فيه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي : ربنا أخر العذاب عنا ، وردنا إلى الدنيا ، وأمهلنا إلى أجل من الزمان قريب ، نتدارك ما فرطنا بإجابة دعوتك إلى التوحيد واتباع الرسل . فيقال لهم : أتقولون اليوم هذا ونسيتم أنكم حلفتم من قبل في الدنيا أنكم إذا متم لا تزلون عنكم هذه النعمة ، ان كان بعث يوم القيامة .

الْأَمْثَالَ ٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ٤٦ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ٤٧ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ٤٨ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٤٩ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قِطْرَانَ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ٥٠ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ٥١ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ٥٢

٤٥ - وسكنتم في الدنيا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي من الأمم قبلكم ، وظهر لكم بمشاهدة آثارهم كيف عاقبناهم فلم تنزعروا ، وبيننا لكم صفات ما فعلوا وما حل بهم ، فلم تعتبروا .

٤٦ - وقد دبر هؤلاء المشركون تدبيرهم لابطال الدعوة ، عند الله علم مكرهم ، وما كان مكرهم ، لتزول منه الشريعة الثابتة ثبات الجبال .

٤٧ - فلا تظن ، أيها الرسول ، أن الله تعالى مخلف رسله ما وعدهم به من النصر ، لأنه غالب لا يمنع أحد عما يريد ، شديد الانتقام ممن كفر به وعصى رسله .

٤٨ - فينتقم منهم يوم القيامة حين نجعل الأرض الموجودة الآن ونجعل السموات غير السموات كذلك ، ويخرج الخلائق من قبورهم لحكم الله الذي لا شريك له ولا غالب له .

٤٩ - وترى الكافرين يوم القيامة مشدودين بالقيود مع شياطينهم .

٥٠ - مطلية جلودهم بسائل من القطران ، كالملابس على أجسادهم ، وتعلو النار ووجوههم وتجعلها .

٥١ - يفعل بهم ذلك ، ليجزى الله كل نفس منهم بما كسبته في الدنيا والله سريع الحساب يوم القيامة ولا يشغله عنه شيء .

٥٢ - هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولإنذارهم وتخويفهم من عذاب الله ، وليعلموا إذا خافوا وتأملوا أنه لا إله إلا الله واحد ، وليتذكر أصحاب العقول عظمة ربهم ، فيبتعدوا عما فيه هلاكهم .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ۝ مَا تَسْبِقُ

سورة الحجر سورة مكية وهي تشتمل على تسع وتسعين آية، ابتدأت بالحروف الصوتية تنبيها إلى أن القرآن مكون من الحروف التي تتكون منها كلماتكم، ومع ذلك كان معجزا لكم، لأن منزله هو الله سبحانه وتعالى، وتتكون تلك الحروف بأصواتها الممدودة تنبيها للمعرضين عن القرآن بدعوتهم إلى الاستماع، ففساهم ينتفعون ويهديهم الله تعالى.

والسورة الكريمة تبين العبر بما نزل بالأمم السابقة والإشارة إلى أخبار الأنبياء السابقين، وما لقيتهم به أمهم، وتشير إلى آيات الله في الكون من سماء مرفوعة ذات بروج محفوظة، وأرض ممهدة مبسوطة، وجبال راسيات ورياح حاملة للماء، وما يلقح الأشجار، وتشير إلى المعركة الأولى في الخليقة بين إبليس اللعين وأدم وزوجه، واستمرار هذه المعركة بين الخير والشر إلى أن تنتهي هذه الدنيا، ثم عاقبة الشر يوم القيامة، وعاقبة الخير. وبعد ذلك قص الله سبحانه قصص النبيين إبراهيم ولوط، وأصحاب الحجر، وتشير إلى منزلة القرآن، وحال المشركين في تلقيه، وما يجب على النبي إزاء جحودهم وهو أن يعلن رسالته، ويجهز بها، ويعبد الله حتى يأتيه الأمر اليقين.

١ - تلك آيات الكتاب المنزل المقروء المبين الواضح.

٢ - يود ويتمنى الذين جحدوا بآيات الله سبحانه وتعالى كثيرا، عندما يرون عذاب يوم القيامة، أن لو كانوا قد أسلموا في الدنيا وأخلصوا دينهم لله.

٣ - ولكنهم الآن غافلون عما يستقبلهم في الآخرة من عذاب ! فدعهم بعد تبليغهم وانذارهم، ليس لهم هم إلا أن يأكلوا ويستمتعوا بملأ الدنيا، ويصرفهم أمهم الكاذب، فمن المؤكد أنهم سيعلمون ما يستقبلهم عندما يرونه رأى العين يوم القيامة.

٤ - وإذا كانوا يطلبون انزال العذاب الدنيوي، كما أهلك الله الذين من قبلهم، فليعلموا أن الله لا يهلك مدينة أو أمة الا لأجل قدره معلوم عنده.

مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعِخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ
إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا

٥ - لا يتقدمون عليه ، ولا يتأخرون عنه .

٦ - وان من قبح حالهم وشدة غفلتهم أن ينادوا النبي متهمين قائلين : أيها الذي نزل عليه الكتاب المذكر ، ان
بك جنونا مستمرا ، فليس النداء بنزول الذكر عليه الا للتهكم .

٧ - ولفرط جحودهم يقولون بعد ذلك الشتم والتهكم : هلا أتيتنا بدل الكتاب المنزل بملائكة تكون لك حجة ان
كنت صادقا معدودا في الصادقين .

٨ - وقد أجابهم الله تعالت كلماته : ما نزل الملائكة الا ومعهم الحق المؤكد الثابت الذي لا مجال للإنكاره ، فإن
كفروا به فإنهم لا يجهلون ، بل ينزل بهم العذاب الدنيوى فورا .

٩ - وانه لأجل أن تكون دعوة النبي بالحق قائمة إلى يوم القيامة ، لم نزل الملائكة ، بل أنزلنا القرآن المستمر
تذكيره ، وانا لحافظون له من كل تغيير وتبديل ، حتى تقوم القيامة .

١٠ - ولا تحزن أيها الرسول الأمين ، فقد أرسلنا قبلك رسلا في طوائف تتعصب للباطل مثل تعصبهم ، ولقد
مضوا مع الأولين الذين هلكوا لمجودهم !

١١ - وما كان شأن الذين سبقوهم في تعصبهم للباطل إلا أن يستهزئوا برسولهم رسولا رسولا ، كما يستهزئون
بك ! فذلك سنة المبطلين !

١٢ - كما أدخلنا القرآن في قلوب المؤمنين فأضاءها ، أدخلنا الباطل في قلوب الذين اتسموا بالإجرام ، فانقلب
الأوضاع في قلوبهم ، إذ تأصل الباطل في نفوسهم .

١٣ - لا يؤمن أولئك المجرمون به ، وقد مضت طريقة الله تعالى في امهالهم حتى يروا عذاب يوم القيامة المؤلم .

عَلَيْهِمْ بِأَبَا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ
السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِيهَا مَعْيِشًا وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

١٤ - ان هؤلاء يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ، ولا تظن أنها النبي أنهم يؤمنون لو نزلت ، بل لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ، يرون العجائب ويرون الملائكة !

١٥ - ما آمنوا ، ولقالوا : انما حبست أبصارنا عن النظر ، وغطيت ، بل ان ما كان هو السحر ، وقد سحرنا ، فلا جدوى في أى آية مع الجنود في قلوبهم .

١٦ - واننا قد جعلنا في السماء نجوما ، تكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال والهيئات ، وزيناها بذلك للذين ينظرون متأملين معتبرين ، مستدلين بها على قدرة مبدعها .

١٧ - ولكن حفظناها من كل شيطان جدير بالرجم والطرده من رحمة الله تعالى .

١٨ - من يحاول من هؤلاء الشياطين أن يسترق الاستماع إلى الكلام الذى يجرى بين سكان هذه النجوم ، فإننا نلحقه بجرم سماوى واضح بين .

١٩ - وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كالبساط الممدود ، ووضعنا فيها جيالا ثابتة ، وأنبتنا لكم فيها من كل أنواع النبات ما يحفظ حياتكم ، وجعلناه مقعدا بأزمان معينة في غوه ، وغذائه ، ومقدرا بمقدار حاجتكم ومقدار كميته ، وفي أشكاله في الخلق والطبيعة (١) .

٢٠ - وجعلنا في الأرض أسباب المعيشة الطيبة لكم ، ففيها الحجارة التى تبنيون منها المساكن ، والحيوان الذى تنتفعون بلحمه أو جلده أو ريشه ، والمعادن التى تخرج من بطنها ، وغير ذلك ، وكما أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ففيها المعيشة أيضا لمن يكونون في ولايتكم من عيال وأتباع ، فאלله وحده هو يرزقهم واياكم .

(١) تقرر هذه الآية حقيقة علمية لم تعرف إلا بعد الدراسات العملية للنبات ، وهى أن كل صنف من النبات يتأصل أفراده من الوجهة الظاهرية تماثلا تاما ، وفي التكوين الداخلى نجد أن التناسق تام والتوازن دقيق في كافة أجهزة النبات المختلفة وكذلك بين الخلايا لتحقيق الغرض الذى وجدت من أجله وقد تختلف من نوع لآخر ولكنها ثابتة للصنف الواحد .

مَعْلُومٌ ۝٢١ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝٢٢ وَإِنَّا لَنَحْنُ
نَحْيِءُ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۝٢٣ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَفْخِرِينَ ۝٢٤ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٢٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝٢٦ وَالْحَمْدُ خَلَقْنَاهُ
مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۝٢٧ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا

٢١ - وما من شيء من الخير إلا عندنا كالخزائن المملوءة ، من حيث تهبته وتقديمه في وقته ، وما نزل إلى
العباد إلا بقدر معلوم حددته حكمتنا في الكون .

٢٢ - وقد أرسلنا الرياح حاملة بالأمطار وحاملة بذور الإنبات ، وأنزلنا منها الماء وجعلناه سقيا لكم ، وإن
ذلك خاضع لإرادتنا ولا يتمكن أحد من التحكم فيه حتى يصير عنده كالخزائن^(١) .

٢٣ - وأنا وحدنا نمد الأشياء بالحياة ، ثم ننقلها إلى الموت إذ الوجود كله لنا .

٢٤ - وكل منكم له أجل محدود ، نعلمه نحن ، فنعلم الذين يتقدمون في الموت والحياة ، والذين يتأخرون .

٢٥ - وإن المتقدمين والمتأخرين سيجمعون في وقت واحد ، وسيحاسبهم ويجازيهم الله وأن ذلك مقتضى حكمته
وعلمه ، وهو الذى يسمى الحكيم العليم .

٢٦ - واننا في خلقنا للعالمين في هذه الأرض خلقنا طبيعتين : خلقنا الإنسان من طين يابس يصوت إذا نقر
عليه^(٢) .

٢٧ - وعالم الجن خلقناه من قبل حين خلق أصله إبليس من النار ذات الحرارة الشديدة النافذة في مسام
الجسم الإنساني .

٢٨ - واذكر أيها النبي أصل الخلق ، إذ قال خالقك رب العالمين للملائكة اني مبدع بشرا خلقته من طين
يابس ، له صوت إذا نقر عليه ، وهو متغير اللون له صورة .

(١) سبقت هذه الآية ما وصل إليه العلم من أن الرياح عامل هام في نقل حبوب اللقاح إلى الأعضاء المؤنثة في النبات ليم بذلك
عقد الحمار ، كما أنه لم يعرف إلا في أوائل القرن الحالى أن الرياح تلقح السحاب بما يزل بسببه المطر إذ أن نويات التكاثف أو النويات التى
تتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكون نقطة من الماء نامية داخل السحب هى المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة
السحاب وقوام هذه النويات أملاح البحار وما تفرده الرياح من سطح الأرض والأكاسيد والأتربة ونحوها كلها لازمة للأمطار .

لقد ثبت في العلم حديثا أن للمطر دورة مائية ، تبدأ بتبخر المياه من سطح الأرض - والبحر ثم تعود إليه مرة ثانية على نحو ما سلف
ذكره ، فإذا ما نزل المطر استقى منه كل حى على الأرض كما تستقى منه الأرض نفسها ، ولا يمكن التحكم فيه لأنه بعد ذلك يتسرب من
الأحياء ومن الأرض إلى التبخر ، ثم تبدأ الدورة ثانية بالتبخر وهكذا دواليك .

ومن هذا يستبين معنى الآية في قوله تعالى (وما أنتم له بخازنين) أى ما نعيه من الزول من السماء ولا التسرب إليها على صورة
البخار .

(٢) الصلصال والها صور من الطين تتفق معه في التركيب ، لأنها تتكون كإثيا من عناصر القربة مضافا إليها الماء وهى المادة التى
يتكون منها الإنسان ، كما ذكر في الآيات المختلفة من القرآن الكريم .

سَوِّتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأُجِدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا فِرَاقًا رَجِيمًا ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا

٢٩ - فإذا أكملته خلقا ، ونفخت فيه الروح التي هي ملكي ، فانزلوا بوجوهكم ساجدين له تحية واکراما .

٣٠ - فسجدوا جميعا خاضعين لأمر الله .

٣١ - لكن ابليس أبى واستكبر أن يكون مع الملائكة الذين خضعوا لأمر الله .

٣٢ - عندئذ قال الله تعالى : يا ابليس ، ما الذي سوغ لك أن تعصى ولا تكون مع الخاضعين الساجدين .

٣٣ - قال ابليس ما كان من شأنى أن أسجد لإنسان خلقته من طين يابس له صوت إذا نقر ، وهو متغير اللون مصور .

٣٤ - قال الله تعالى : إذا كنت متمردا خارجا على طاعتي ، فاخرج من الجنة فانك مطرود من رحمتي ومن مكان الكرامة .

٣٥ - وإني قد كتبت عليك الطرد من الرحمة والكرامة إلى يوم القيامة ، يوم الحساب والجزاء ، وفيه يكون لك ولمن اتبعك العقاب .

٣٦ - قال ابليس ، وهو المتمرد على طاعة الله ، يا خالتي أمهلني ولا تقبضني إلى يوم القيامة ، يوم يبعث الناس أحياء بعد موتهم .

٣٧ - قال الله تعالى : انك من الموجلين المهلين .

٣٨ - إلى وقت قدرته وهو معلوم لي ، ومهما يطل فهو محدود .

٣٩ - قال ابليس المتمرد العاصي : يا خالتي الذي ييقني : لقد أردت لي الضلال فوقعت فيه ، وبسبب ذلك لأزين لبنى آدم السوء ، ولأعملن على ضلالهم أجمعين .

٤٠ - ولن ينجو من اضلالى إلا الذين أخلصوا لك من العباد ، ولم أتمكن من الاستيلاء على نفوسهم لعمرائها بذكرك .

صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ آدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ * نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

٤١ - ان خلوص العباد الذين أخلصوا دينهم هو طريق مستقيم يحق على لا أنعداه ، لأنى لا أستطيع اضلالهم .

٤٢ - قال الله تعالى : ان عبادى الذين أخلصوا لى دينهم ليس لك قدرة على اضلالهم ، لكن من اتبعك من الضالين الموغلين فى الضلال لك سلطان على نفوسهم .

٤٣ - وان النار الشديدة العميقة هى ما يوعدون به أجمعين من عذاب أليم .

٤٤ - وليس للنار الشديدة باب واحد ، بل لها أبواب سبعة لكثرة المستحقين لها ، ولكل باب طائفة مختصة به ، ولكل طائفة مرتبة معلومة تتكافأ مع شرمهم .

٤٥ - هذا جزاء الذين يتبعون الشيطان ، أما الذين عجز الشيطان عن اغوائهم لأنهم يجعلون بينه وبين نفوسهم حجابا ، فلهم حدائق عظيمة وعيون جارية .

٤٦ - يقول لهم ربهم ، ادخلوا هذه الجنات باطمئنان آمنين ، فلا خوف عليكم ، ولا تحزنون على أوقاتكم .

٤٧ - وان أهل الإيمان يعيشون فى هذا النعيم طيبة نفوسهم ، فقد أخرجنا ما فيها من حقد ، فهم جميعا يكونون اخوانا يجلسون على أسرة تتقابل وجوههم بالبشر والمحبة ، ولا يتدابرون كل ينقب عما وراء الآخر .

٤٨ - لا يمسهم فيها تعب ، وهى نعيم دائم لا يخرجون منها أبدا .

٤٩ - أخبر أيها النبي الأمين عبادى جميعا أنى كثير الغفران والعفو لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، وأنى كثير الرحمة بهم .

٥٠ - وأخبرهم أن العذاب الذى أنزله بالعصاة الجاحدين هو العذاب المؤلم حقا ، وكل عذاب غيره لا يعد مؤلما بجواره .

وَنَبِّئَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۖ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ۖ قَالَ أَبْشِرْهُنِّي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ۖ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۖ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۖ قَالَ فَاخْطُبُكُمُ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۖ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ نَجْرِمِينَ ۖ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا أَمْرًا تَرَاهُ قَدَرْنَا إِنهَآ لَمِنَ

٥١ - ونبئهم، أيها النبي، في بيان رحمتي الخاصة في الدنيا، وعذابي للعصاة فيها، عن الضيف من الملائكة الذين نزلوا على إبراهيم.

٥٢ - اذكر أيها الأمين: إذ دخلوا عليه فخاف منهم، فقالوا له: أمانا واطمئنانا. فقال لهم انا خائفون منكم إذ فاجأتمونا وجئتم في غير وقت للضيف عادة، ولا نعلم ما وراءكم!

٥٣ - قالوا: لا تخف واطمئن، فانا نبشرك بمولود لك يؤتيه الله تعالى في مستقبل حياته علما عظيما^(١).

٥٤ - قال: كيف تبشرونني بمولود يولد لي مع أنه قد أصابتني الشيخوخة بضعفها، فعلى أي وجه تبشرونني بهذا الأمر الغريب؟!

٥٥ - قالوا بشركنا بالأمر الثابت الذي لاشك فيه، فلا تكن ممن ييأسون من رحمة الله.

٥٦ - قال إبراهيم: اني لا أياس من رحمة الله، فإنه لا يياس من رحمة الله إلا الضالون الذين لا يدركوا عظمتهم وقدرته.

٥٧ - قال، وقد استأنس بهم: إذا كنتم قد بشرتوني بهذه البشرى، فاذا يكون من شأنكم بعدها، أيها الذين أرسلكم الله؟

٥٨ - قالوا: انا أرسلنا الله تعالى إلى قوم أجرموا في حق الله وحق نبيهم وحق أنفسهم، من شأنهم الإجرام، هم قوم لوط، فسنهلكهم.

٥٩ - ولم يسلم من الإجرام وعذابه إلا أهل لوط، فإن الله تعالى قد أمرنا بأن تنجيهم أجمعين.

(١) واضح هنا أن التبشير ليس بإسماعيل عليه السلام، إذ أن إسماعيل كان قد ولد من قبل وكان هو وأمه هاجر بكة، وما ذكر هنا من التبشير كان لإبراهيم، ولأمراته، وحينئذ كان ياسحاق لأنه ابن إبراهيم من زوجته سارة.

الْغَيْرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾

٦٠ - ولا يستثنى من أهله إلا امرأته ، فانها لم تتبع زوجها ، بل كانت مع المجرمين الذين استحقوا العذاب .

٦١ - ولما نزل أولئك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى لانزال ما توعد به ، بأرض لوط وآله .

٦٢ - قال لهم لوط : انكم قوم تنكركم نفسى وتنفر منكم ، مخافة أن تمسونا بشر .

٦٣ - قالوا : لا تخف منا ، فاجئناك بما تخاف ، بل جئناك بما يسرك ، وهو انزال العذاب بقومك الذين كذبوك وكانوا يشكون فى صدقه أو ينكرونه .

٦٤ - وجئناك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه ، وهو انزال العذاب ، وان صدق الوعد من صفاتنا بأمر الله .

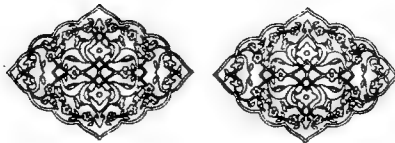
٦٥ - إذا كان العذاب نازلا بهم ، فسر ليلا مع أهلِكَ الذين كتبت نجاتهم ، بعد مرور قطع من الليل .

٦٦ - وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى لوط : إنا حكمنا وقدرنا أن هؤلاء المجرمين هالكون ، يستأصلون عند دخول الصباح ، ولا يبق منهم أحد .

٦٧ - ولما أصبح الصباح رأوا الملائكة فى صورة جميلة من صور البشر : ففرحوا بهم رجاء أن يفعلوا معهم جريمتهم الشنيعة ، وهى اتيان الرجال .

٦٨ - خشى لوط أن يفعلوا فعلتهم الشنيعة فقال : ان هؤلاء ضيوفى فلا تفضحونى بفعلتكم القبيحة .

٦٩ - وخافوا الله تعالى ، فلا تركبوا فاحشتكم ، ولا توقعونى فى الخزى والذل أمامهم .



قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ جَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾

٧٠ - قال أولئك المجرمون : أولم تنهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نفعل معهم ما نشتهي ؟ !

٧١ - قال نبي الله لوط ، بينهم إلى الطريق الطبيعي الشرعي : هؤلاء بنات القرية ، وهن بناتي ، تزوجوهن ان كنتم راغبين في قضاء الشهوة .

٧٢ - بحق حياتك أيها النبي الأمين ، انهم لفي غفلة عما سينزل بهم ، جعلتهم كالسكارى ! انهم لضالون متحيرون لا يعرفون ما يسلكون .

٧٣ - وبينما هم في هذه السكر الغافلة ، استولى على ألباهم صوت شديد الإزعاج ، وقد أشرقت الشمس .

٧٤ - ولقد نفذ الله سبحانه حكمه فقال : جعلنا على مدائنهم سافلها بانقضاضها ، وأنزلنا عليهم طينا متحجرا كان ينزل كالطر ، فدورهم تهدمت . وان خرجوا إلى العراء استقبلتهم تلك الأمطار من الحجارة ، وبذلك أحيط بهم .

٧٥ - ان في هذا الذي نزل بقوم لوط لعلامة بيّنة تدل على تنفيذ الله وعيده ، يعرفها الذين يتعرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها . فكل عمل موصوف بالإجرام متسم به ، له مثل هذه النتيجة في الدنيا وفي الآخرة .

٧٦ - وان هذه المدينة أنارها قائمة ثابتة ، وهي واقعة على طريق قائم ثابت يسلكه الناس ويعتبر بها من أراد الاعتبار .

٧٧ - وان في بقائها قائمة على طريق واضح لدليلا على تنفيذ الله تعالى وعيده ، يدركه المؤمنون المذعنون للحق .

٧٨ - ومثل تكذيب قوم لوط ، كذب أصحاب الغيضة العظيمة ذات الثمرات رسولهم ، وكانوا ظالمين شديدي الظلم في عقائدهم ومعاملاتهم .

فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَارٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يُخْتُونُ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ التَّمَنَاتِ ۖ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ

٧٩ - فأنزلنا نعمتنا عليهم ، وإن آثارهم بطريق واضح بين يعتبر بهم من يمر بديارهم إن كان من أهل الإيمان .

٨٠ - ولقد كذب مثل السابقين أصحاب الحجر رسولهم الذى أرسل إليهم . وكانوا لهذا مكذبين كل المرسلين ، لأن رسالة الله واحدة (١) .

٨١ - بينا لهم الحجج الدالة على قدرتنا ورسالة رسولنا ، فكانوا معرضين عنها لا يفكرون فيها .

٨٢ - وكانوا قوما ذوى منعة وعمران ، فكانوا يصنعون بيوتهم فى الجبال ومن الجبال ، وكانوا بها مطمئنين على أنفسهم وأموالهم .

٨٣ - فلما كفروا وجحدوا أنهم أصوات مزعجة منذرة بالهلاك ، فأهلكوا فى وقت الصباح .

٨٤ - وما دفع عنهم الهلاك الذى نزل بهم ما كانوا يكسبون من أموال ، ويتحصنون به من حصون .

٨٥ - ما أنشأنا السموات والأرض وما بينهما من فضاء : وما فيها من أناس وحيوان ونبات وجاد ، وغيرهم مما لا يعلمه البشر ، إلا بالعدل والحكمة والصلاح الذى لا يتفق معه استمرار الفساد وعدم نهايته ، ولذا كان اليوم الذى يكون فيه انتهاء الشر آتيا لا محالة ، واصفح أيها النبى الكريم عن المشركين بالنسبة للعقاب الدنيوى ، وعاملهم بالصبر على أذاهم ، والدعوة بالحكمة معاملة الصفوح الحليم .

٨٦ - إن الله الذى خلقك أيها النبى ورباك ، هو الكثير الخلق ، العليم بحالك وحالهم ، فهو حقيق بأن تكل إليه أمرك وأمرهم ، وهو الذى يعلم الأصح لك ولهم .

٨٧ - ولقد آتيناك ، أيها النبى الأمين ، سبع آيات من القرآن ، هى الفاتحة التى تكررهما فى كل صلاة ، وفيها الضراعة لنا ، وكمال طلب الهداية ، وأعطيناك القرآن العظيم كله ، وفيه الحجة والإعجاز ، فأنت بهذا القوى الذى يجدر منه الصفع .

(١) أصحاب الحجر هم ثمود ، والحجر واد بين المدينة والشام .

انظر التعليق العلمى على الآية رقم ٧٣ من سورة الأعراف .

جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ

٨٨- لا تنظر أيها الرسول نظرة تمن ورغبة إلى ما أعطينا من متع الدنيا أصنافا من الكفار المشركين واليهود والنصارى والمجوس ، فانه مستصغر بالنسبة لما أوتيته من كمال الاتصال بنا ومن القرآن العظيم ، ولا تحزن عليهم بسبب استمرارهم على غيهم وتطامن وتواضع ، وارفق بالذين معك من المؤمنين ، فإنهم قوة الحق وأهل الله .
٨٩- قل أيها النبي ، للجاحدين جميعا : انى أنا المنذر لكم بعذابي الشديد ، والمبين انذارى بالأدلة القاطعة المعجزة .

٩٠- وان هذا مثل انذار أولئك الذين قسموا القرآن إلى شعر وكهانة وأساطير وغيرها ، ولم يؤمنوا به مع قيام الحججة عليهم .

٩١- الذين جعلوا القرآن بهذا التقسيم قطعاً متفرقة ، وهو كل لا يقبل التجزئة في اعجازه وصدقه .

٩٢- وإذا كانت تلك حالهم ، فوالذى خلقك وحفظك ورباك لنحاسبنهم أجمعين يوم القيامة .

٩٣- على أعيانهم من إيذاء وجحود واستهزاء .

٩٤- فاجهر بدعوة الحق ولا تلتفت إلى ما يفعله المشركون ويقولونه .

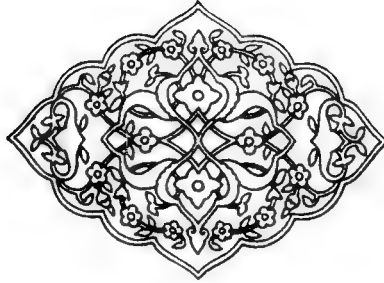
٩٥- وان أولئك المشركين ، الذين يسخرون من دعوتك ، لن يتمكنوا منك ولن يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين دعوتك .

٩٦- أولئك المشركون قد ضعفت مداركهم فجعلوا مع الله آلهة أخرى من الأوثان ، وسوف يعلمون نتائج شرهم حين ينزل بهم العذاب الأليم .



نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

- ٩٧ - وانا لنعلم ما يصيبك من ضيق وألم نفسى بما يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة .
- ٩٨ - فإذا أصابك ذلك الضيق فافزع إلى الله تعالى واتجه إليه ، وكن من الخاضعين الضارعين إليه ، واستعن بالصلاة فإن فيها الشفاء .
- ٩٩ - والتزم عبادة الله الذى خلقك وهو حافظك : حتى يأتى الأمر المستيقن . وهو يوم القيامة والميعاد .



(١٦) سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانِ عَشْرُونَ وَمِائَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنِّي أُمِرْتُ بِاللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى

هذه السورة مكية ، ما عدا الآيات الثلاث الأخيرة منها فإنها مدنية . وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة . ابتدأت السورة الكريمة بتأكيد وعيد الله تعالى للمشركين ، وبيان قدرته سبحانه وتعالى على تنفيذه ، بدليل خلقه السموات والأرض ، ثم بيان نعمه على الناس كافة بخلقه الابل ، وإنباته الزرع ، وما خلق في البحر من أسماك تؤكل ، وجواهر للزينة . ثم أشار إلى ما تستوجب هذه النعم من شكره سبحانه ، ووجوب عبادته وحده ، واستقبال المشركين للدعوة إلى الوحداية ، واقترائهم على القرآن الكريم ، وادعاء أنه من أساطير الأولين . ثم أشار سبحانه إلى عذاب المشركين يوم القيامة ، ونعيم المؤمنين ، ثم ذكر سبحانه انكار المشركين للبعث ولجأهم في الإنكار ، ويستنكر سبحانه جحودهم ببيان قدرتهم ، ويؤكد وعده للمتقين ووعيده لهم ، ثم يقرب البعث ببيان قدرته عليهم ، وخضوع الوجود كله له سبحانه ، وبيان أنه سبحانه هو الذى يكشف ، وبيان خرافات المشركين في اعتقادهم القدرة فيمن لا يملك نفعا ولا ضرا ، وسوء رأيهم في المرأة طفلة وامرأة . وأشار سبحانه إلى الرسل السابقين وساق سبحانه العبر في خلقه وتكوينه للأشياء وما فيها من نعم للإنسان ، وتفاوت الأرزاق من أن يكون للفقير فضل على الفقير ، ونعمه على الإنسان في خلقه ذكرا أو أنثى والأنسال بالزواج منها . وأخذ يضرب سبحانه الأمثال لبيان قدرته ، ثم وجه الأنظار إلى عظم المخلوقات الدالة على عظمة الخالق وفائض نعمه ، ومقابلة المشركين لهذه النعم الجليلة . وبعد أن بين مطالب الإسلام في العدل وصلة الرحم بالوفاء بالعهد واعجاز القرآن ، وكفر المشركين به واقترائهم عليه ، أشار سبحانه إلى حال المشركين يوم القيامة . وبين كيف كانوا يحلون ويحرمون من غير حجة ، وأشار إلى اليهود الذين يقاربون المشركين ، وبين أنه يجب ألا يعاقبوا الا بالمثل وأن على المؤمنين أن يصبروا وأن يلتزموا التقوى والإحسان .

١ - تأكدوا أيها المشركون أن ما توعدكم الله به يوم القيامة واقع قريب الوقوع لا شك فيه ، فلا تستهزئوا باستعجال وقوعه ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يعبد من دونه ، وعما تشركون به من آلهة لا تقدر على شيء .

مَنْ يَسْأَلْ مِنْ عِبَادِي أَنْ أُنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأُنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

٢ - ينزل الملائكة بما يحیی القلوب من وحيه على من يختاره للرسالة من عباده ، ليعلموا الناس أنه لا إله يعبد بحق إلا أنا . فابتعدوا عما يغضبني ويعرضكم للعذاب ، والتزموا الطاعات لتكون وقاية لكم من العذاب .

٣ - خلق السموات والأرض بمقتضى الحكمة ، نزه الله عن أن يكون له شريك يتصرف في شيء من ملكه ، أو يستحق أن يعبد مثله .

٤ - خلق كل فرد من أفراد الانسان من مادة سائلة لا تماسك فيها وهى النطفة ، فإذا به انسان قوى مجادل عن نفسه ، مكافح لخصومه ، مبین لحجته .

٥ - وقد تفضل الله عليكم أيها العباد ، فخلق لكم الابل والبقر والضأن والمعر لتتخذوا من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما تستدفنون به ، ومن لحومها تأكلون ما يحفظ حياتكم .

٦ - ولكم فيها بهجة وسرور ، حين ترونها راجعة من مراعيها ملأى البطون والضروع ، وحين تذهبون إلى الحقول والمراعى تسرع الخطا إلى غذائها .

٧ - وتحمل أمتعتكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه بدونها إلا بتحميل أنفسكم أقصى جهدها ومشقتها .. ان ربكم الذى هيا ذلك لراحتكم لشديد الرأفة بكم ، واسع الرحمة لكم .

٨ - وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها ، فتتخذوا منها زينة تدخل السرور على قلوبكم ، وسيخلق ما لا تعلمون من وسائل الركوب وقطع المسافات ، مما سخره الله لبنى الانسان ، إذا استخدم عقله وفكر به واهتدى إلى استخدام كل القوى .

٩ - وعلى الله بمقتضى فضله ورحمته أن يبين لكم الطريق المستقيم الذى يوصلكم إلى الخير ، ومن الطريق ما هو مائل منحرف لا يوصل إلى الحق ، ولو شاء هدايتكم جميعا لهداكم وحملكم على الطريق المستقيم ، ولكنه خلق لكم عقولا تدرك ، وإرادة توجه . وترككم لاختياركم .

لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ يُجَرِّفُ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يَنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَخَرَجْنَاكُمْ بِاللِّبَنِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ
 يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ لَكُمْ مِنْهُ لَحْمٌ طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً حَلِيبَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ
 مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَيْسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبَلًا

١٠ - هو الذي أنزل من جهة السماء ماء لكم منه شراب ، وبعضه ينبت من الشجر ، وفي هذا الشجر ترسلون أنعامكم لتأكل منه ، وتقدم باللبن واللحوم ، والأصواف والأوبار والأشعار .

١١ - ينبت لكم بالماء الذي ينزل من السماء الزرع الذي تخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعنان ، وغيرها من كل أنواع الثمرات التي تأكلونها غير ما ذكر ، ان في إيجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بعقولهم ويفكرون في القدرة التي أوجدتها .

١٢ - وسخر لكم الليل إذ جعله مهياً لراحتكم . والنهار إذ جعله مناسباً لسعيكم وحركتكم وأعمالكم . والشمس إذ تقدم بالدفء والضوء ، والقمر لتعرفوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم مسخرات بأمر الله تهتدوا بها في الظلمات ، ان في ذلك لعلامات وأدلة لقوم ينتفعون بما وهبهم الله من عقل يدرك .

١٣ - وبحوار ما خلقه لكم في السماء ، وهباً لمنافعكم ، خلق لكم على سطح الأرض كثيراً من أنواع الحيوان والنبات والجماد ، وجعل في جوفها كثيراً من المعادن المختلفة الألوان والأشكال والخواص ، وجعل كل ذلك لمنافعكم . ان في ذلك كله لأدلة واضحة كثيرة لقوم يتدبرون فيها فيتعظون ، ويعرفون من خلالها قدرة خالقهم ورحمته بهم .

١٤ - وهو الذي ذلل البحر وجعله في خدمتكم ، لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طرياً طازجاً ، وتستخرجوا منه ما تتحلون به كالمرجان واللؤلؤ . وترى أيها الناظر المتأمل السفن تجري فيه شاقة مياهه تحمل الأمتعة والأقوات . سخره الله لذلك لتتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها . ولتشكروه على ما هبها لكم ، وذلك لخدمتكم .

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْتَ^٤ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَنُحْلِقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَسْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهُ
وَاحِدٌ^٥ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَأَجْرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ^٤

١٥ - وجعل الله في الأرض جبالاً ثابتة تحفظها أن تضطرب ، وجعل فيها أنهاراً تجري فيها المياه الصالحة للشرب والزرع ، وطرقاً مهيأة لتهتدوا بها في السير إلى مقاصدكم .

١٦ - وجعل علامات ترشد الناس في أثناء سيرهم في الأرض ، وهم في ذلك يسترشدون في أثناء سيرهم بالنجوم التي أودعها السماء إذا عميت عليهم السبل والتبست معالم الطرق^(١) .

١٧ - هل يستوى في نظر العقل السليم التسوية بين القادر والعاجز فيجعل من يخلق هذه الأشياء كمن لا يستطيع خلق أى شيء ؟ أنعمون أيها المشركون عن آثار قدرة الله . فلا تعتبروا وتشكروا عليها الله ؟

١٨ - وان تحاولوا عد أنعم الله عليكم لا يمكنكم احصاؤها ، ان الله كثير المغفرة واسع الرحمة ، فتوبوا إليه وأخلصوا العبادة له ، يغفر لكم ويرحمكم .

١٩ - والله يدرك بعلمه الشامل ما تخفون ، وما تظهرون ، لا يخفى عليه شيء من سركم وجهركم .

٢٠ - هذا الخالق المنعم العالم بكل شيء ، هو وحده المستحق للعبادة ، أما الأصنام التي تعبدونها ، فهي عاجزة لا تستطيع أن تخلق شيئاً ، ولو كان ذباباً .. بل هي نفسها مخلوقة ربما صنعتوها بأيديكم .

٢١ - وهى جمادات ميتة لا حس لها ولا حركة ، ولا تدرى متى تكون القيامة والبعث لعابديها ، فلا يليق بكم أيها العقلاء بعد هذا أن تظنوا أنها تنفعكم فتشركوها مع الله في العبادة .

٢٢ - وقد وضع بكل هذه الدلائل أن الحكم الذى يجب أن تعبدوه وحده إله واحد لا شريك له ، ومع ذلك فالذين لا يؤمنون بالبعث والحساب قلوبهم منكرة لوحدايته منعهم الاستكبار عن اتباع الحق والخضوع له .

(١) انظر التعليق العلمى على الآية ٩٧ من سورة الأنعام .

لَئِنَّهُ لَآ يُحِبُّ الْمُسْكِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿٢٥﴾ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٦﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّى اللَّهُ بُنِيتُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُسْتَفْتُونَ فِيهِمْ ؕ قَالِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ أَلْمَلِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ؕ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ

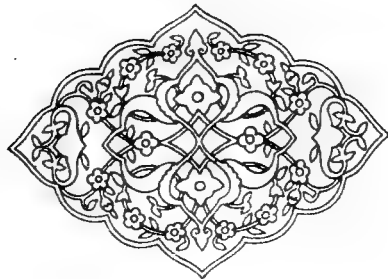
٢٣ - لا شك أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، من عقائد وأقوال وأفعال ، وسيحاسبهم على كل ذلك ، ويعاقبهم على استكبارهم ، لأنه سبحانه لا يحب المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له .

٢٤ - وإذا سئل هؤلاء الكفار المستكبرون : أى شيء أنزله ربكم على محمد ؟ قالوا فى عناد : هذا الذى يزعم أن الله أنزله عليه ما هو إلا أباطيل وخرافات سطرها السابقون فنقلها وصار يرددها .

٢٥ - قالوا ذلك ، ليصدوا الناس عن اتباع رسول الله ، لتكون عاقبة أمرهم أنهم يعذبون يوم القيامة عذاب ضلالهم كاملاً ، وعذاب بعض الناس الذين خدعهم وغرروا بهم حتى ضلوا دون علم أو بحث ! . تنبه أيها السامع لقبح ما ارتكب هؤلاء من ذنوب ما أشد عقابهم عليها !

٢٦ - وقد سبق هؤلاء الكافرين المتكبرين أمثال لهم ، دبوا المكائد لأنبيائهم ، واحتالوا فى اضلال الناس فأبطل الله كيدهم ، ودمر بلادهم ونزل بهم عذاب النار فى الدنيا من حيث لا يتوقعون !

٢٧ - ثم فى الآخرة حيث يبعث الناس ويحاسبون على أفعالهم ، ويفقههم الله موقف الخزى والعار ، حين يفضحهم ويظهر ما كانت تخفيه صدورهم . ويقول لهم : أين هؤلاء الذين اتخذوهم شركاء لى فى العبادة ؟ وكنتم تحاربوننى ورسلى فى سبيلهم ؟ أين هم حتى يمدوا لكم العون كما كنتم تزعمون ، فلا يستطيعون جواباً ! وحينئذ يقول الذين يعلمون الحق من الأنبياء والمؤمنين والملائكة ان الخزى اليوم والعذاب المسىء واقعان على الجاحدين .



بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾
 * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
 وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
 الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يُتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ

٢٨ - الحزى على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى قبضت الملائكة أرواحهم . وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وبارتكاب السوء ، واستسلموا بعد طول العناد إذ علموا حقيقة جرمهم ، وقالوا كذبا من شدة دهشتهم : ما كنا في الدنيا نعمل شيئا من المعاصي !.. فنقول لهم الملائكة والأنبياء : كلا انكم كاذبون ، وقد ارتكبتم أفظع المعاصي ، والله سبحانه محيط بكل صغيرة وكبيرة مما كنتم تعملونه في دنياكم ، فلا يفيدكم انكاركم !

٢٩ - ويقال لهم بعد ذلك ، مآلكم دخول النار والعذاب فيها عذابا مؤبدا لا ينقطع ، وقبحت جهنم دارا ومقاما لكل متكبر على الانقياد إلى الحق والايان بالله ورسله .

٣٠ - وقيل للذين آمنوا بالله واتقوا ما يفضبه من قول أو فعل أو عقيدة ما الذي أنزله ربكم على رسوله ؟ قالوا : أنزل عليه القرآن .. فيه خير الدنيا والآخرة للناس جميعا ، فكانوا بذلك من المحسنين . والله سبحانه يكافئ المحسنين بحياة طيبة في هذه الحياة الدنيا ، ويكافئهم في الآخرة بما هو خير وأحسن مما نالوه في الدنيا . ولنعم الدار التي يقيم فيها المتقون في الآخرة .

٣١ - وهى جنات ثابتة للقامة ، تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، لهم فيها ما يشاءون من النعيم ، ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل المتقين الذين آمنوا به ، واتقوا ما يفضبه ، وأحسنوا عملهم .

٣٢ - وهم الذين تقيض أرواحهم الملائكة ، وهم طاهرون من دنس الشرك والمعاصي ، وتقول الملائكة تطمينا لهم : أمان من الله لكم ، فلا يصيبكم بعد اليوم مكروه ، وأبشروا بالجنة تدخلونها بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة في دنياكم .

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا

٣٣ - هؤلاء هم المتقون الذين استعدوا لآخرتهم ، وذلك جزاؤهم ، أما المشركون ، فإنهم بعنادهم وبقائهم على شركهم ، لا ينتظرون إلا الملائكة تقبض أرواحهم ، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وعمل الشر ، ويأتيهم عذاب ربك بإهلاكهم جميعا . ومثل ما فعل هؤلاء الكفار المعاندون ، فعل الذين سبقوهم في ذلك مع أنبيائهم فعاقبهم الله على فعلهم ، ولم يكن ظالما لهم حين عاقبهم ، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم حين عرضوها لعذاب الله بكفرهم .

٣٤ - فأصابهم جزاء ما عملوا من سيئات ، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به .

٣٥ - وقال الذين أشركوا عنادا ومغالطة : لو شاء الله أن نعبده وحده ونطيعه فيما يأمر به لما عبدنا غيره ، ولما حرمتنا من عندنا ما لم يحرمه ، كالبحيرة والسائبة وهي حجة باطلة يستندون عليها في كفرهم . وقد احتج بها من سبقوهم من الكفار ، بعد ما أرسلنا إليهم رسلنا ، فأمرهم بالتوحيد وطاعة الله ، ونهوهم عن الشرك وعن تحريم ما لم يحرمه الله ، فقامت عليهم الحجة ، وأدى رسلنا ما أمرناهم بتبليغه ، وعلينا نحن حسابهم ، وليس على الرسل شيء بعد ذلك .

٣٦ - ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ليقول لهم : اعبدوا الله وحده . واجتنبوا كل طاغية مفسد ، فبلغهم وأرشدهم : ففريق استمع إلى الارشاد وتقبله ، فهده الله بحسن استعداده إلى الطريق المستقيم ، وفريق أعرض عن سماع الحق فحق عليه أن يسير في الطريق المنحرف عن الصواب ، فأنزل الله به العذاب . وإذا كنتم في شك من هذا يا مشركي مكة ، فسيروا في الأرض ، قريبا منكم ، فانظروا وتأملوا كيف حل بالمكذبين ، من عاد وثمود وقوم لوط ، عذاب الله ؟ وكيف كانت عاقبة أمرهم خسرانا وهلاكاً ؟ !

٣٧ - ان تكن حريصا أيها النبي على هداية المشركين من قومك ، باذلا معهم أقصى ما في جهدك ، فلا تهلك نفسك حزنا إذا لم يتحقق ما تريد ، فقد تحمكت فيهم الشهوات ، والله لا يجبر على الهداية من اختاروا الضلال وتمسكوا به لأنه يتركهم لما اختاروا لأنفسهم ، وسيلقون جزاءهم عذابا عظيما ، ولا يجدون لهم يوم القيامة من ينصرهم ويحميهم من عذاب الله .

بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ^١ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ^٢ بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِبَيِّنٍ
لَّهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً^٣ وَلَا جُرْأَلًا لآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ^٤ فَسَعَلُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ^٥ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لُبَيِّنٍ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

٣٨ - وقد أضاف المشركون إلى شركهم بالله انكارهم ليوم القيامة ، فأقسموا بالله غاية طاعتهم في القسم ، وأكدوا أن الله لا يبعث من يموت ! وهم كاذبون في قسمهم ، وسيبعثهم الله جميعا ، لأنه أخذ العهد على نفسه بذلك ، ولن يخلف الله عهده ، ولكن أكثر الناس من الكفار لا يعلمون حكمة الله في خلق هذا العالم وأنه لم يخلقه عبثا ، ولا عن حسابه في الآخرة ومجازاته .

٣٩ - وإن من عدل الله في خلقه أن يبعثهم جميعا بعد موتهم ، فيظهر لهم حقائق الأمور التي اختلفوا فيها ، ليعلم المؤمنون أنهم على حق ، ويعلم الكافرون أنهم كانوا مخطئين في اتخاذهم شركاء لله ، كاذبين في قسمهم أن الله لا يبعث من يموت ، ويليقي كل من الفريقين جزاءه على علم به وبأسبابه .

٤٠ - وليس بعث الناس يوم القيامة بعسير علينا حتى يستبعده هؤلاء الكفار ، لأننا إذا أردنا شيئا لا يحتاج إيجاده إلا أن نقول له : كن ، فيكون كما نريد .

٤١ - والمؤمنون الذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى ، واخلاصا لعقيدتهم ، من بعد ما وقع عليهم الظلم والعذاب من المشركين ، لنعوضهم في الدنيا على اخلاصهم واحتمالهم للعذاب ، حياة طيبة حسنة لا تأتي إلا بالجهاد ، وسيكون أجرهم يوم القيامة أكبر ، ونعيمهم في الجنة أعظم ، لو كان المخالفون لهم يعلمون ذلك لما ظلموهم وظلموا أنفسهم ..

٤٢ - وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على ما تحملوه من عذاب في سبيل عقيدتهم ، وفوضوا أمرهم إلى الله وحده ، غير مباليين بما سواه ، ومن أجل هذا أحسنا لهم الجزاء .

٤٣ - وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل ارسالك إلى أمتك ، أي النبي ، إلا رجلا نوحى اليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك . فاسألوا أيها الكافرون أهل العلم بالكتب السماوية ، ان كنتم لا تعلمون ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعا ما كانوا إلا رجالا لا ملائكة .

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَّروا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ قَوَامُهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أُولَئِكَ يَرْوُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَيَتَفَبَّهُوا ظُلْمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَّخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾

٤٤ - وقد أيدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم ، وأنزلنا عليهم الكتب تبين لهم شرعهم الذي فيه مصلحتهم ، وأنزلنا إليك أيها النبي القرآن لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ، وتدعوهم إلى التدبر فيه ، رجاء أن يتدبروا فيتعظوا ويستقيم أمرهم .

٤٥ - فكيف يصح بعد كل هذا أن يتأذى المشركون في عنادهم ، ويدبروا المكاييد للرسول ؟ هل أغراهم حلم الله بهم ، فاعتقدوا أنهم في مأمن من عذاب الله ، فلا يحسف بهم الأرض كما فعل بقارون ؟ أو يأتيهم العذاب فجأة بصاعقة كما فعل بشمود وهم لا يدرون أين نزل !

٤٦ - أو يهلكهم في أثناء تنقلهم في الأرض للتجارة بعيدين عن مساكنهم فلا يستطيعون الإفلات من عقاب الله ، لأنه لا يعجزه شيء يريد .

٤٧ - أو ينزل بهم العذاب في أنفسهم وأموالهم ورويدا رويدا ، وهم في كل لحظة في عذاب من الخوف منه والتقرب لوقوعه ، فلا تتأدوا أيها المشركون وتفتروا بتأخير عقوبتكم ، فقد اقتضت رأفة الله الشاملة ورحمته الواسعة ألا يعاجلكم بالعقوبة في الدنيا ، كي تتفكروا وتندبروا لأنه سبحانه رؤوف رحيم ..

٤٨ - أغفل هؤلاء الكفار عن آيات الله حولهم ، ولم ينظروا ويتدبروا فيما خلقه الله من الأشياء القائمة ، تنتقل ظلها ، وتمتد نارة بيننا ونارة شمالا ، تابعة في ذلك لحركة الشمس نهارا والقمر ليلا ، وكل ذلك خاضع لأمر الله ، منقاد لأحكام تدبيره ، لو تدبر المشركون هذا ، لعلموا أن خالقه ومدبره هو وحده المستحق للعبادة والخضوع ، القادر على اهلاكهم لو أراد .

٤٩ - والله وحده - لا لغيره - يخضع وينقاد جميع ما خلقه في السموات وما دب على الأرض ومشي على ظهرها من مخلوقات ، وفي مقدمتهم الملائكة يخضعون له ولا يستكبرون عن طاعته (١) .

(١) تسبق هذه الآية ركب العلم في تقرير وجود أحياء تدب على بعض الكواكب في مجموعتنا الشمسية أو خارج نطاقها . وهذا ما يحاول العلم الآن الوصول إلى حقيقته .

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿٥١﴾ فَلْيَنبِئْ فِئَا رَهْبُونِ ﴿٥٢﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٧﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحٰنَهُ وَلَهُمْ مَا يَسْتَحِبُّونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بُشِّرَ

٥٠ - وحالهم أنهم دائما على خوف من ربهم القادر القاهر، ويفعلون ما يأمرهم به .

٥١ - وقال الله : لا تعبدوا اثنين ، وتجهلوهما الهين ، لأن الشراكة في العبادة تنافي وحدانية الخلق والتكون ، إنما المعبود بحق إله واحد ، فخافوني ولا تخافوا غيري .

٥٢ - وله وحده ما في السموات والأرض خلقا ، وملكا وعبيدا . فحقه دون غيره أن يعبد ويحمد ، ويخضع له وترجى رحمته ويخاف عذابه .

٥٣ - وأى شيء جاءكم من النعم فهو من الله وحده ، ثم إذا لحقكم ما يضركم فلا تتضرعوا بأعلى أصواتكم إلا إليه .

٥٤ - ثم إذا استجاب لدعائكم ورفع ذلك الضر عنكم ، نسي بعضكم حق الله عليه من التوحيد وإخلاص العبادة له ، فيشركون بمخالفتهم ومريبهم ويعبدون معه غيره .

٥٥ - ذلك يحدث منهم لتكون عاقبة أمرهم إنكار فضلنا على ما أعطيناهم فتمتعوا أيها الكافرون بما لا تؤدون حق شكره ، فسوف تعلمون عاقبة الكفر .

٥٦ - ويجعل المشركون لأوثانهم ، التي يسمونها بغير علم آلهة ، نصيبا يتقربون به إليها ، من الرزق الذي أعطيناها إياه من الحرث والأنعام وغيرها لأسألكم وعزى ، أيها المشركون ، عما كنتم تختلقونه من الكذب وتفترونه من الباطل ، وأجازيكم عليه .

٥٧ - ويجعلون لله ما يكرهون ، فيزعمون أن الملائكة بنات ، ويعبدونها تنزه الله عن ذلك ! ويجعلون لأنفسهم ما يحبون ، وهم الذكور من الأولاد .

أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ؕ أَيُّسِكُمْ عَلَى
هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤْخِرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعِجِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ
لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

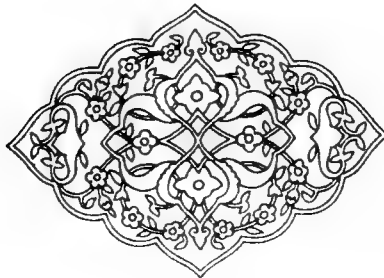
٥٨ - وهم إذا خبر أحدهم بأنه ولدت له أنثى ، صار وجهه مسودا من الحزن وهو مملوء غيظا يكظمه .

٥٩ - يحاول الاختفاء عن أعين الناس ، لنلا يروا كآبته من الألم الذى أصابه من وجود المولود الذى أخبروه به ، وتستولى عليه حيرة : أيقينه حيا مع ما يلحقه من الهوان على ذلك فى زعمه ؟ أم يدفنه فى التراب وهو حى حتى يموت تحته ؟ تنبه أيها السامع لفظاعة عمل هؤلاء ألا قبح حكمهم الذى ينسبون فيه لله ما يكرهون أن ينسب إلى أنفسهم .

٦٠ - للذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب الحال التى تسوء ، وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الاناث ، والله الصفة العليا ، وهو الغنى عن كل شئ ، فلا يحتاج إلى الولد ، وهو الغالب القوى الذى لا يحتاج إلى معين .

٦١ - ولو يعجل الله عقاب الناس بما ارتكبوا من ظلم ، ما ترك على ظهر الأرض دابة ، ولكنه بجلمه وحكمته يؤخر الظالمين إلى وقت عينه ، وهو وقت انتهاء آجالهم ، فإذا جاء هذا الوقت لا يتأخرون عنه لحظة كما لا يتقدمون عليه لحظة .

٦٢ - وينسب المشركون إلى الله ما يكرهون أن ينسب إليهم من البنات والشركة ، وتنطق ألسنتهم الكذب إذ يزعمون مع ذلك أنهم ، كما أن لهم فى الدنيا الغنى والسلطان ، لهم عند الله العاقبة الحسنى ، ان بعثوا ، وهى الجنة . لا شك أن لهم النار ، وأنهم مسوقون إليها قبل غيرهم .



أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهُ بِأَفْحَاءٍ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

٦٣ - تأكد أيها النبي أننا أرسلنا رسلا إلى أمم من قبلك بمثل ما أرسلناك به إلى الناس جميعا ، فحسن لهم الشيطان الكفر والشرك والمعاصي فكذبوا رسلهم ، وعصوهم ، وصدقوا الشيطان وأطاعوه ، فهو متولى أمورهم في الدنيا يزين لهم ما يضرهم ، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

٦٤ - وما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين به للناس الحق فيما كان موضع خلافهم من الدين ، وليكون هداية تامة ورحمة عامة لقوم يؤمنون بالله وبالكتاب الذي أنزله .

٦٥ - والله أنزل من السماء ماء يحمله السحاب ، فجعل الأرض منبتة فيها حياة ، بعد أن كانت قاحلة لا حياة فيها . ان في ذلك لدليلا واضحا على وجود مدبر حكيم^(١) .

٦٦ - وان لكم أيها الناس في الابل والبقرة والغنم لموعظة تعتبرون بها وتنتقلون في هداها من الجهل إلى العلم بالصانع المبدع الحكيم ، ونسقيكم من بعض ما في بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبنا صافيا لذيذا سهل التناول للشاربين^(٢) .

٦٧ - ومن ثمرات النخيل والأعناب التي أنعمنا بها عليكم ومكانكم منها تتخذون عصيرا مسكرا غير حسن ، وطعاما طيبا حسنا ، ان في ذلك لعلامة دالة على القدرة والرحمة لقوم ينتفعون بعقولهم .

٦٨ - وألم ربك ، أيها النبي ، النحل أسباب حياتها ، ووسائل معيشتها ، بأن تتخذ من الجبال بيوتا في كهوفها ، ومن فجوات الشجر ، ومن عرائش المنازل والكروم بيوتا كذلك .

(١) ينزل الماء من السماء إلى الأرض ليذيب عناصرها التي تمتصها النباتات وتتحول إلى خلايا حية وأنسجة .

(٢) توجد في ضرع الماشية غدد خاصة لإفراز اللبن تقدمها الأعوية الشريانية بمخلصة مكونة من الدم ، والكيلوز ، وهو خلاصة الغذاء المهضوم ، وكلاهما غير مستساغ طعما ، ثم تقوم الغدد اللبنية باستخلاص العناصر اللازمة لتكوين اللبن من هذين السائلين : الدم والكيلوز ، وتفرز عليها عصارات خاصة تحيلها إلى لبن يختلف في لونه ومذاقه اختلافا تاما عن كل منها .

لَا يَأْتِيَنَّ لَكُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ
 عِلْمٍ شَيْعًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ
 عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ
 لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٩ - ثم هداها، سبحانه، للأكل من كل ثمرات الشجر والنبات، وسهل لها أن تسلك لذلك طرقا هياها لها
 ربهام مذلة سهلة، فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، ان في ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية
 على وجود صانع قادر حكيم، ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم بالتأمل فيفوزون بالسعادة الدائمة^(١).

٧٠ - والله خلقكم، وقدر لكم أجالا مختلفة، منكم من يتوفاه مبكرا. ومنكم من يبلغ أزدل العمر فيرجع
 بذلك إلى حال الضعف، إذ تأخذ حيويته في الضعف التدريجي، فيقل نشاط الخلايا وتهن العظام والمضلات
 والأعصاب فتكون عاقبته أن يفقد كل ما عليه. ان الله عليم بأسرار خلقه، قادر على تنفيذ ما يريد.

٧١ - والله فضل بعضكم على بعض في الرزق. فجعل رزق السيد المالك أفضل من رزق مملوكه، فما الذين
 كثر رزقهم من السادة بمطعين نصف رزقهم لعبيدهم المملوكين لهم، حتى يصيروا مشاركين لهم في الرزق على حد
 المساواة. وإذا كان هؤلاء الكفار لا يرضون أن يشاركهم عبيدهم في الرزق الذي جاء من عند الله، مع أنهم بشر
 مثلهم، فكيف يرضون أن يشركوا مع الله بعض مخلوقاته فيما لا يليق إلا به تعالى، وهو استحقاق العبادة؟ فهل
 تستمر بعد كل هذا بصائر هؤلاء المشركين مطموسة، فيجحدوا نعمة الله عليهم بإشراكهم معه غيره.

٧٢ - والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء
 بنين، ورزقكم ما أباحه لكم مما تطيب به نفوسكم أبعد ذلك يشرك به بعض الناس، فيؤمنون بالباطل،
 ويجحدون نعمة الله المشاهدة، وهي التي تستحق منهم الشكر، وإخلاص العبادة لله^(٢).

(١) يتركب عسل النحل من كمية كبيرة من الجلوكوز والفرنوز وهو أسهل أنواع السكريات في الهضم، وثبت في آخر الأبحاث
 الطبية أن الجلوكوز مفيد في كثير من الأمراض ويعطى بطريق الحقن والغم والشرج، بصفته مقويا، ويعطى ضد التسمم في مختلف المعادن
 وضد التسمم الناشئ من أمراض الأعضاء، مثل التسمم البولي والصفراء، وغيرها، كما ثبت أنه يحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات
 خصوصا فيتامين ب المركب.

(٢) الزواج رابطة مقدسة، وهو أصل الأسرة التي هي نواة الأمة والمجتمع، والزواج ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في
 الإنسان كما أودعت في غيره من أنواع الحيوان، ولولا الزواج الذي هو تنظيم مقدرة الفطرة المشتركة بين الإنسان والحيوان لتساوى
 الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان في سبيل تلبية الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع، وعندئذ لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذي سواه
 الله وأودع فيه العقل والفكر وفضله على كثير من خلقه واستخلفه الأرض.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضُرُّوهُمُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ
 رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
 أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
 وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ

٧٣ - ويعبدون غير الله من الأوثان وهي لا تملك أن ترزقهم رزقا - أى رزق - ولو قليلا سواء كان هذا
 الرزق آتيا من جهة السماء كالماء أم خارجا من الأرض كثمر الأشجار والنبات ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل
 شيئا من ذلك ولا أقل منه !

٧٤ - وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم ، فلا تذكروا الله تعالى أشباها ، وتبرروا عبادتها بأقيسة فاسدة ،
 وتشبيهات غير صحيحة ، تعبدونها معه ! ان الله يعلم فساد ما تعملون ، وسيجازيكم عليه ، وأنتم في غفلة لا تعلمون
 سوء مصيركم !

٧٥ - جعل الله مثلا يوضح فساد ما عليه المشركون ، هو عبد مملوك لا يقدر على فعل شيء ، وحر رزقه الله رزقا
 طيبا حلالا ، فهو يتصرف فيه ، وينفق منه في السر والجهرا هل يستوى العبيد الذين لا يقدرون على شيء ،
 والأحرار الذين يملكون ويتصرفون فيما يملكون ؟ ان الله مالك كل شيء ، فهو يتصرف في ملكوته كما يريد ، وغيره
 لا يملك أى شيء فلا يستحق أن يعبد ويحمد ، الثناء كله حق لله وحده ، والتزويه له وحده ، وله العلو وحده ، لأن
 كل خير صدر عنه ، وكل جميل مرده إليه ، ولا يفعل هؤلاء ما يفعلون عن علم ، وإنما يفعلون ما يفعلون تقليدا
 لرؤسائهم ، بل أكثرهم لا يعلمون ، فيضيفون نعمه إلى غيره ، ويعبدونه من دونه !

٧٦ - وجعل الله مثلا آخر هو رجلان : أحدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم غيره : كل على من يلى أمره ،
 إذا وجهه سيده إلى جهة ما لا يرجع بفائدة . هل يستوى هذا الرجل مع رجل فصيح قوى السمع . يأمر بالحق
 والعدل ، وهو في نفسه على طريق قوم لا عوج فيه ؟ ان ذلك الأخرس الذى لا يسمع ولا يتكلم ولا يفهم
 ولا يفهم ، هو مثل الأصنام التى عبدوها من دون الله ، فإنها لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ، فلا يمكن أن تستوى مع
 السميع العليم الداعى إلى الخير والحق ، وإلى الطريق المستقيم .

= وإذا كان الوضع الإلهي للإنسان في هذه الحياة يقضى بتنظيم الفطرة الخاصة بالزواج سموا به عن فوضى الحيوان ، فإن الإنسان من
 جهة أخرى مطبوع على حب البقاء ، وإذا كان لا سبيل له إلى بقاءه بذاته وهو يؤمن بذلك من صنع الله في آياته وأجداده وسائر الأحياء
 فإنه يرى أن سبيله إلى البقاء إنما هو في نسله المعروف ، إليه يراه امتدادا لبقائه واستمرارا وخلودا .
 ولعل من أوضح ما يملأ فطرته به قوله تعالى (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من
 الطيبات) .

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا
يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۖ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ ۚ كَذَلِكَ

٧٧ - والله وحده علم ما غاب عن العباد في السموات والأرض ، وما أمر مجيء يوم القيامة ، وبعث الناس فيه ، عند الله في السرعة والسهولة ، إلا كرد طرف العين بعد فتحها ! بل هو أقرب سرعة من ذلك . ان الله عظيم القدرة لا يعجزه أى شيء .

٧٨ - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تدركون شيئاً مما يحيط بكم ، جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وسائل للعلم والادراك ، لتؤمنوا به عن طريق العلم ، وتشكروه على ما تفضل به عليكم^(١) .

٧٩ - ألم ينظر المشركون إلى الطير مذلات للطيران في الهواء إلى السماء بما زودها الله به من أجنحة أوسع من جسمها تبسطها وتقبضها ، وسخر الهواء لها ، فامسكهن في الجو إلا الله بالنظام الذى خلقها عليه ؟ ان في النظر إليها والاعتبار بحكمة الله في خلقها ، لدلالة عظيمة ينتفع بها المستعدون للايمان^(٢) .

٨٠ - والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على انشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن ، وجعل لكم من جلود الابل والبقر والغنم وغيرها أخية تسكنون فيها وتقلونها في حللكم وترحالكم ، وجعلكم تتخذون من صوفها وشعرها ووبرها فرشاً تتمتعون بها في هذه الدنيا إلى حين آجالكم .

(١) اثبت الطب الحديث أن حاسة السمع تبدأ مبكرة جداً في حياة الطفل في الأسابيع القليلة الأولى ، أما البصر فيبدأ في الشهر الثالث ، ولا يتم تركيز الإبصار إلا بعد الشهر السادس ، أما الفؤاد وهو الإدراك والتمييز ، فلا يتم إلا بعد ذلك . وهكذا فالترتيب الذى جاءت به آيات القرآن الكريم هو ترتيب ممارسة هذه الحواس .

(٢) الطيور نظير لعدة أشياء في تكوينها : أهمها شكل الجسم الانسيابي ، والبسطة في الأجنحة المزودة بالريش ، والعظام المحوفة الخفيفة ، والأكياس الهوائية بين الأحشاء ، وهى متعلقة بالرتين ، وتقلب بالهواء عند الطيران فيخف وزن الجسم .

يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّا كُنَّا لَكَ كَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى

٨١ - والله جعل لكم من الأشجار التي خلقها وغيرها ظلالا تقيكم شر الحر، وجعل لكم من الجبال كهوفا ومغارات تسكنون فيها كالبيوت، وجعل لكم ثيابا من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تصونكم من حرارة الشمس، ودروعا من الحديد تصونكم من قسوة حروب أعدائكم، كما جعل لكم هذه الأنبياء، يتم عليكم نعمته بالدين القيم، لتتقادوا لأمره وتخلصوا عبادتكم له دون غيره !

٨٢ - فإن أعرض عنك أيها النبي الذين تدعوهم إلى الاسلام، فلا تبعة عليك في اعراضهم، فليس عليك إلا التبليغ الواضح، وقد فعلت ..

٨٣ - ان اعراض هؤلاء الكفار ليس لأنهم يجهلون أن الله سبحانه هو مصدر كل النعم عليهم ولكنهم يعملون عمل من ينكروا حيث لم يشكروه عليها، وأكثرهم جمد على تقليد الآباء في الكفر بالله، حتى كان أكثرهم هم المجاهدون .

٨٤ - وحذر أيها النبي كل كافر بربه مما سيحصل، يوم نبعث من كل أمة نبيا ليشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها، وإذا أراد الكافر منهم أن يعتذر لا يؤذن له في الاعتذار، ولا يوجد لهم شفيع يمهّد لشفاعته، بأن يطلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم، لأن الآخرة ليست دار توبة .

٨٥ - وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم، وطلبوا أن يخففه الله عنهم، لا يجاب لهم طلب، ولا يؤخرون عن دخول جهنم لحظة .

٨٦ - وإذا رأى الذين أشركوا آلهتهم التي عبدوها وزعموا أنها شركاء لله قالوا: يا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مخطئين، فخفف عنا العذاب بالقاء بعضه عليهم، فيجيئهم شركاؤهم قائلين: انكم أيها المشركون لكاذبون في دعواكم اننا شركاء، وأنكم عبدقونا، إنما عبدتم أهواءكم ولسنا كما زعمتم شركاء .



اللَّهُ يَوْمَئِذٍ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٧﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا
عَلَى هَؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٨﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٨٩﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَسَتْ ۖ تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ

٨٧ - حينئذ استسلم المشركون لله ، وخضعوا لقضائه ، وغاب عنهم ما كانوا يخلفونه من أن معبوداتهم تشفع لهم ، وتدفع العذاب عنهم .

٨٨ - الذين كفروا ومنعوا غيرهم عن طريق الله ، وهو طريق الخير والحق ، زدناهم عذابا فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر ، بسبب ما كانوا يتعمدون من الفساد واضلال العباد .

٨٩ - وحذر أيها النبي ، كفار قومك مما سيحصل يوم نحضر من كل أمة شهيدا عليها ، هو نبيها الذي يكون بين أبنائها ، ليكون ذلك أقطع لعذرها ، ونجى بك أيها النبي شهيدا على هؤلاء الذين كذبوك ، وعليهم أن يعتبروا من الآن قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الحق ، وفيه الهداية وفيه الرحمة والبشرى بالنعيم ، للذين يذعنون له ويؤمنون به .

٩٠ - ان الله يأمر عباده بأن يعدلوا في أقوالهم وأفعالهم ، ويقصدوا إلى الأحسن من كل الأمور فيفضلوه على غيره ، كما يأمر بإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه لدعم روابط المحبة بين الأسر ، وينهى عن فعل كل خطيئة ، خصوصا الذنوب المفرطة في القبح ، وكل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة ، كما ينهى عن الاعتداء على الغير ، والله سبحانه بهذا يذكركم ويوجهكم إلى الصالح من أموركم ؛ لعلكم تتذكرون فضله في حسن توجيهكم ، فتمثلوا كلامه .

٩١ - وأوفوا بالعهود التي تقطعونها على أنفسكم ، مشهدين الله على الوفاء بها ، مادام الوفاء متسقا مع ما شرعه الله ، ولا تنقضوا الأيمان بالحنث فيها ، بعد تأكدها بذكر الله ، وبالعزم أو بالتصميم عليها ، وقد راعيت في عهدكم وحلفكم أن الله يكفل وفاءكم ، وأن الله رقيب ومطلع عليكم ، فكونوا عند عهدكم وأيمانكم ، لأن الله سبحانه يعلم ما يكون منكم من وفاء وخلف وبر وحنث ، فيجازيكم على ما تفعلون .

تَكُونُ أُمَّةٌ مِىَ أَرْبَى مِّنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلِيُبَيِّنَ لَكُم يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مِّنْ بَشَأٍ وَيَهْدِي مِّنْ بَشَأٍ ۚ وَلِتَسْطَلَّ عَنْكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَلَكُمُ عَذَابٌ

٩٢ - ولا تكونوا فى الحنث فى ايمانكم بعد توكيدها مثل المرأة المجنونة التى تغفل الصوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنتقضه وتركه محلولاً ، متخذين ايمانكم وسيلة للتغريب والخداع لغيركم ، مع أنكم مصرون على الغدر بهم ، لأنكم أكثر وأقوى منهم ، أو تنوون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم ، أو لترجوا زيادة القوة بالغدر وإنما يختبركم الله ، فإن أثمرتم الوفاء كان لكم الغنى فى الدنيا والآخرة ، وإن اتجهتم إلى الغدر كان الخسران . . وليبين لكم يوم القيامة حقيقة ما كنتم تختلفون عليه فى الدنيا ، ويجازيكم حسب أعمالكم^(١) .

٩٣ - ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة فى الجنس واللون والايان ليس بينها تخالف ، وذلك بمخلقكم خلقاً آخر ، كالملائكة لا اختيار لها ، ولكن شاء الله أن تختلفوا فى الأجناس والألوان ، وأن يجعل لكم اختياراً ، فمن اختار شهوات الدنيا وأثرها على رضا الله تركه وما يريد ، ومن أراد رضا الله بالعمل الصالح سهل له ما أراد . وتأكدوا بعد ذلك أنكم ستسألون جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا ، وتجازون حسب أعمالكم .

(١) هاتان الآيتان تدلان على أن أساس العلاقات بين المسلمين وغيرهم مع العدالة الوفاء بالعهد وأن العلاقات الدولية لا تنظم إلا بالوفاء بالعهد وأن الدول الإسلامية إذا عقدت عهداً فإنما تعتقده باسم الله فهو يتضمن بين الله وكفالاته ، وتدلل الآية على ثلاثة معانٍ لو نفذتها الدول لساد السلم .
أولها : أنه لا يصح أن تكون المعاهدات سبيلاً للخديعة وإلا كانت غشاً ، والغش غير جائز فى العلاقات الإنسانية سواء كانت علاقات أحاد أم علاقات جماعات ودول .
ثانيها : أن الوفاء بالعهد قوة فى ذاته وأن من ينقض عهده يكون كمن ينقض ما بنى من أسباب القوة فيكون كالحقارة التى تفك غزلها بعد تقويته وتوثيقه .

ثالثها : أنه لا يصح أن يكون الباعث على نكث العهد الرغبة فى القوة أو الزيادة فى رقعة الأرض أو نحو ذلك .

عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَسْتُرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا ۖ إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَ كُرٍ يَنْفَعُ
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ

٩٤ - ولا تسلكوا سبيل الغدر، فتتخذوا الأيمان سبيلا للتفجير والخديعة، فإنه بسبب ذلك تزل الأقدام فتبتعدوا عن المحجة المستقيمة ويكون في ذلك اعراض عن سبيل الله في الوفاء، وتكونون قدوة سيئة في الغدر، ويرى الناس فيكم صورة مشوهة للإسلام، فيعرضون عنه، وينزل السوء بكم في الدنيا لعدم الثقة فيكم بسبب صدكم عن طريق الحق، وينزل بكم عذاب مؤلم شديد الإيلام.

٩٥ - ولا تستبدلوا بالوفاء بالعهود المؤكدة متاع الدنيا، فهو قليل منها كان كثيرا، لأن ما عند الله، من جزاء المحافظين على العهد في الدنيا، ومن نعيم الآخرة الدائم، خير لكم من كل ما يغريكم بنقض العهود، فتدبروا ذلك وافهموه ان كنتم من أهل العلم والتمييز بين الصالح وغير الصالح، ولا تفعلوا إلا ما فيه صلاح لكم في دنياكم وأخراكم.

٩٦ - فإن ما عندكم أيها الناس من نعيم ينفد وينتهى منها طال زمنه، وما عند الله من نعيم الآخرة خالد لا ينقطع، ولنكافئن الذين صبروا على مشاق التكليف بما وعدناهم به. من حسن الثواب المضاعف على أعمالهم، ينعمون به نعيما دائما في الآخرة.

٩٧ - ان من عمل عملا صالحا في هذه الدنيا، سواء أكان ذكرا أم أنثى، مندفعا إلى هذا العمل الصالح بقوة الايمان، بكل ما يجب الايمان به، فإننا لا بد أن نحياه في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنغيص فيها، تغمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا والشكر على نعم الله فيها، وفي الآخرة لا بد أن نجزي هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على أعمالهم في الدنيا.

٩٨ - وان الذى يحمى النفس من نزعات الهوى هو القرآن، فإذا تدبرت هذا أيها المؤمن وأردت أن تحيا بعيدا عن تلاعب الشيطان، وتفوز بطيب الحياة في الدارين، فاقى أرشدك إلى أمر يعينك على هذا، وهو قراءة القرآن، وإذا أردت قراءة القرآن، فاستفتح قراءته بالدعاء الخالص إلى الله أن يمنع عنك وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله، الذى يطيب له أن يفرر بالناس ويوقعهم في عصيان الله.

٩٩ - فإنك ان فعلت هذا مخلصا لله، حماك الله منه، وبعدت عنك وساوسه، لأنه ليس له تأثير على الذين عمرت قلوبهم بالإيمان بالله، واستمداد العون منه وحده، والاعتماد عليه.

عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ تَزَلَّهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا

١٠٠ - إنما تأثيره وخطره على الذين خلت قلوبهم من التعلق بالله وحبه فلم يكن لهم عاصم من تأثيره ، فانقادوا له كما ينقاد الصديق لصديقه ، حتى أوقعهم في أن يشركوا بالله في العبادة آلهة لا تضر ولا تنفع .

١٠١ - وإذا جعلنا معجزة لك بدل معجزة مساوية لنبي سابق ، فجنناك بالقرآن معجزة ، رموك بالافتراء والكذب على الله ، والله وحده هو العليم علما ليس فوقه علم بما ينزل على الأنبياء من معجزات ، ولكن أكثرهم ليسوا من أهل العلم والمعرفة الصادقة .

١٠٢ - قل لهم مبينا منزلة معجزتك أيها النبي ، ان القرآن قد نزل على من ربي مع جبريل الروح الطاهر ، مقترنا بالحق ، مشتملا عليه ، ليثبت به قلوب المؤمنين ، وليكون هاديا للناس إلى الصواب ومبشرا بالنعيم كل المسلمين .

١٠٣ - اننا لنعلم ما يقوله كفار مكة : انه لا يعلم محمدا هذا القرآن إلا رجل من البشر نعرفه ، هو شاب رومي ، وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول ، قولهم هذا باطل ، لأن الشاب الذي يقولون عنه أنه يعلمك هذا التعليم أعجمي لا يحسن العربية ، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة ، إلى حد أنكم عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها ، فكيف يصح بعد ذلك اتهامكم ؟ .

١٠٤ - ان الذين لا يذعنون لآيات الله التي عجزوا عن محاكاتها ، وأصروا مع عجزهم على كفرهم بها ، لا يهديهم الله ، ولهم في الآخرة عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم .

١٠٥ - إنما يجرؤ على افتراء الكذب على الله من لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم وحدهم البالفون في الكذب نهايته ، ولست أيها النبي من هؤلاء حتى يتهموك بما اتهموك به .

مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ أَبْصَارُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ أَخْلَسُ رُؤُوسَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَلَّهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مُّجَدِّلٌ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ

١٠٦ - ان الذين ينطقون بالكفر بعد الايمان ، عليهم غضب من الله ، إلا من أكره على النطق بكلمة الكفر ، وهو عامر القلب بالايمان ، فإنه ناج من غضب الله أما الذين تنشرح قلوبهم للكفر ، وتتجاوب مع قلوبهم ألسنتهم فأولئك عليهم غضب شديد من الله الذى أعد لهم عذاباً عظيماً فى الآخرة .

١٠٧ - وذلك الذى استحقوه من غضب الله وعذابه ، انما كان بسبب حبهم الشديد لنعيم الدنيا ومتاعها الزائل ، حتى صرفهم هذا الحب عن الحق ، وأعماهم عن الخير ، فتركهم الله وما يحبون من الكفر ، لأنه قد جرت سنته فى خلقه بترك أمثال هؤلاء ، وعدم هدايتهم لفسادهم ، وتقاديمهم فى الباطل .

١٠٨ - هؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فصارت لا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم فلم يسمعون سماع فهم وتدبر ، كأنهم صم ، وعلى أبصارهم فلا ترى ما فى الكون أمامهم من عبر ودلالات ، وأولئك هم الغارقون فى الغفلة عن الحق ، فلا خير فيهم إلا إذا أزالوا الغفلة عن عقولهم .

١٠٩ - وهؤلاء لاشك أنهم وحدهم هم الخاسرون لكل خير فى الآخرة .

١١٠ - ثم اعلم أيها النبى أن ربك معين وناصر للذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم من الضغط ، وبأنفسهم من عذاب المشركين ، ثم جاهدوا بما يملكون الجهاد به من قول أو فعل ، وصبروا على مشاق التكليف ، وعلى ما يلاقونه فى سبيل دينهم ، ان ربك من بعد ما تحملوا ذلك لغفور لما حصل منهم ان تابوا ، رحيم بهم فلا يؤاخذهم على ما أكرهوا عليه .

لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لَهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ السِّتْكُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا

١١١ - اذكر لقومك أيها النبي، محذرا إياهم، يوما يأتي فيه كل إنسان لا يهمل إلا الدفاع عن نفسه، لا يشغله عنها والد ولا ولد، وهو يوم القيامة، ويوفى الله فيه كل نفس جزاء ما كسبت من أعمال، خيرا كانت أم شرا، ولا يظلم ربك أحدا.

١١٢ - وجعل الله سبحانه لأهل مكة مثلا يعتبرون به هو قصة قرية من القرى، كان أهلها في أمن من العدو، وطمانينة من ضيق العيش، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان، فوجدوا نعم الله عليهم، ولم يشكروه بطاعته وامتنال أمره، فعاقبهم الله بالمصائب التي أحاطت بهم من كل جانب، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن، وذلك بسبب تقاديسهم في الكفر والمعاصي.

١١٣ - ولقد جاءهم رسول منهم، فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك، ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا، فأخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم، وبسبب هذا الظلم.

١١٤ - إذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبيدها بؤسا، فاتجهوا أيها المؤمنون إلى الشكر، وكلوا مما رزقكم الله وجعله حلالا طيبا لكم ولا تحرموه على أنفسكم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته وحده ان كنتم تخلصونه حقا بالعبادة.

١١٥ - فإن الله لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة، والدم الذي ينزل من الحيوان عند ذبحه، ولحم الخنزير، وما ذبح لغير الله، فمن ألجأته ضرورة الجوع إلى تناول شيء مما حرمه الله عليكم، غير طالب له، ولا يتجاوز في أكله حد إزالة الضرورة، فإن الله لا يؤاخذ على ذلك، لأنه سبحانه غفور لعباده يغفر لهم ما يقعون فيه من أخطاء لا يصرون عليها، رحيم بهم حين منهم مما يضرهم، وأباح لهم ما يحفظ حياتهم.

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَنَعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ

١١٦ - وإذا كان الله قد بين حكم الحلال والحرام ، فالتزموا ما بين لكم ، ولا تجرءوا على التحليل والتحرير
انطلاقاً وراء ألسنتكم ، فتقولوا : هذا حلال ، وهذا حرام ، فتكون عاقبة قولكم هذا أنكم تفترون على الله الكذب ،
وتسبون إليه ما لم يقله ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بخير ولا فلاح .
١١٧ - وإذا كانوا يجرّون بذلك وراء شهواتهم ومنافعهم الدنيوية ، فإن تمتعهم بها قليل زائل ، ولهم في الآخرة
عذاب شديد .

١١٨ - ولم تحرم إلا على اليهود وحدهم ما قصصناه عليك أيها النبي من قبل نزول هذه الآيات ، وهو كل ذى
ظفر ، وشحوم البقر والغنم ، إلا ما حملت ظهورها ، أو الحوايا أو ما اختلط بالعظام . وما ظلمناهم بهذا التحريم ،
ولكنهم الذين ظلموا أنفسهم ، لتسبيهم فيه بسبب قناديهم وشركهم وعدم وقوفهم عند الحلال .

١١٩ - ثم ان الذين عملوا السوء تحت تأثير طيش وغفلة عن تدبر العواقب ، ثم تابوا من ذلك الذنب ،
وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم ، فإن ربك أيها النبي يغفر لهم ذنوبهم ، لأنه سبحانه بعد هذه التوبة كثير التجاوز عن
السيئات ، واسع الرحمة بالعباد .

١٢٠ - ان ابراهيم الذى تغفرون أيها المشركون أنتم واليهود كان جامعاً لكل الفضائل ، بعيداً عما أنتم عليه
من باطل ، خاضعاً لأمر ربه ولم يكن مثلكم مشركاً به .

١٢١ - وكان شاكراً لنعم ربه عليه ، ولهذا كله اختاره الله لحمل رسالته ، ووفقه لسلوك طريق الحق المستقيم
الموصل للنعم الدائم .

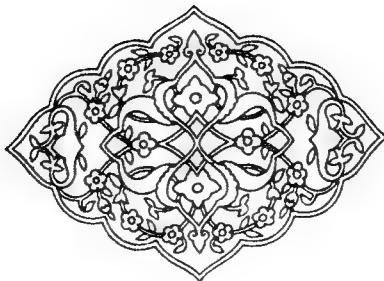
١٢٢ - وجعلنا له في الدنيا ذكراً حسناً على كل لسان ، وسيكون قطعاً في الآخرة في زمرة الصالحين المنعمين
بمجنات الله ورضوانه .

اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَبَاحِكٌ بِدِينِهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُمُ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

١٢٣ - ثم أوحينا إليك - أيها النبي - بعد ابراهيم بقرون عديدة ، وأمرناك باتباع ابراهيم فيما دعا إليه من التوحيد والفضائل والبعد عن الأديان الباطلة ، فإنه لم يكن من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون .

١٢٤ - وليس تعظيم يوم الجمعة ، وترك تعظيم يوم السبت في الاسلام ، مخالفا لما كان عليه ابراهيم كما يدعى اليهود ، فإن تحريم الصيد يوم السبت احتراماً له لم يكن من شريعة ابراهيم ، وإنما فرض على اليهود فقط ، ومع ذلك لم يحترموه ، بل خرج بعضهم على هذا التعظيم ، وخالفوا أمر ربهم فكيف يعيرون على غيرهم ممن لم يكلف بتعظيمه عدم تعظيمه ، مع أنهم وهم المكلفون بذلك خرجوا عليه ؟ وتأكد أيها النبي أن ربك سيقضى بينهم يوم القيامة في الأمور التي اختلفوا فيها ، ويجازى كلا منهم بعمله .

١٢٥ - أيها النبي : ادع إلى طريق الحق الذي شرعه ربك مع قومك ، واسلك في دعوتهم الطريق الذي يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لقولهم ، وادع عوامهم منهم بما يناسبهم من ايراد المواعظ ، وضرب الأمثال التي توجههم إلى الحق ، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التي لا يشوبها عنف ولا سباب حتى تتمكن من اقناعهم واستمالتهم . هذا هو الطريق لدعوة الناس إلى الله على اختلاف ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، واترك أمرهم بعد ذلك إلى ربك الذي يعلم من غرق في الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، ومن سلم طبعه فاهتدى وأمن بما جئتم به .

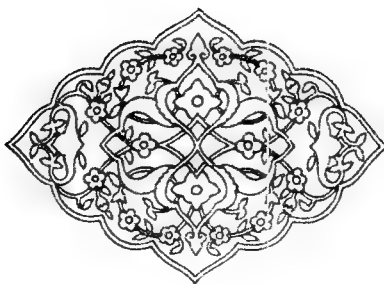


فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١٢٦ - وان أردتم عقاب من يعتدى عليكم أيها المسلمون ، فعاقبوه بمثل ما فعل بكم ، ولا تتجاوزوا هذا المثل ، وتأكدوا أنكم لو صبرتم ، ولم تقتصوا لأنفسكم ، لكان خيرا لكم في الدنيا والآخرة ، فعاقبوا لأجل الحق ، ولا تعاقبوا لأجل أنفسكم .

١٢٧ - واصبر أنت - أي النبي - فإن ذلك يسهل عليك كثيرا من مشقات الحياة ، ويعالج مشاكلها ، ولا تحزن على عدم استجابة قومك لدعوتك ، وإيمانهم بك ، ولا يضيق صدرك من مكرهم وتديراتهم لخنق دعوتك ، فإنك لن يضرك شيء من فعلهم ، وقد أدبت ما عليك وانتقيت ربك .

١٢٨ - فإن ربك مع الذين اتقوا غضب الله باجتناب نواهيه ، وأحسنوا لله أعمالهم بالاقبال على طاعته ، يعينهم وينصرهم في الدنيا ويجزيهم خير الجزاء في الآخرة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي

تشتمل هذه السورة الكريمة على احدى عشرة آية ومائة، وهي سورة مكية ماعدا الآيات ٢٦، ٣٢، ٥٧، ومن آية ٧٣ إلى ٨٠، فجموع الآيات المدنية اثنتا عشرة آية، ابتدأت السورة بتسبيح الله تعالى، ثم ذكرت الاسراء، ثم رسالة موسى، وما كان من بنى اسرائيل. ثم أشارت إلى منزلة القرآن الكريم في الهداية، وإلى الآيات الكونية في الليل والنهار. وما يكون للناس يوم القيامة من جزاء على ما يقدمون من أعمال في الدنيا. وبين سبحانه أسباب فساد الأمم، وحال الأفراد في مساعيهم ونتائج أعمالهم في الآخرة، وجاءت الآيات من بعد ذلك باكرام الوالدين، وحال الناس بالنسبة لأموالهم، وجاءت بأوامر عشرة فيها بناء المجتمع الفاضل، ثم رد سبحانه مفتريات المشركين بالنسبة للملائكة ثم بين القرآن تصرفه في الحجج.

ثم أشار سبحانه إلى ما يستحق من تحميد، وإلى جحود المشركين، وقدم سبحانه وصايا للمؤمنين، وبين معاملته تعالى للكافرين في الدنيا وفي الآخرة. ثم بين سبحانه أصل الخليفة الانسانية والشیطانية وهدد سبحانه المشركين بآياته، وبين بعد هذا سبحانه الكرامة الانسانية، وذكر سبحانه بعداب يوم القيامة ثم ذكر محاولة المشركين لصرف النبي عن دعوته وتثبيت الله تعالى له وقد أوصى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك النبي بعدة وصايا هادية، وأدعية ضارعة، ثم أشار سبحانه وتعالى إلى منزلة القرآن الكريم، وتكلم سبحانه عن الروح وأشار إلى أسرارها، ثم ذكر سبحانه اعجاز القرآن وعجز الجن والانس عن أن يأتوا بمثله، وموقف الناس منه. وبين سبحانه قدرته على أن يأتي بآيات أخرى، ثم بين منزلة القرآن فيما اشتمل عليه من الحق وحال المؤمنين الصادقين في ايمانهم، وما ينبغى من أن يحمّدوا الله دائماً ويكبروه.

١ - تنزيها لله عما لا يليق به، وهو الذى سار بعبدہ محمدا في جزء من الليل من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بيت المقدس، الذى باركنا حوله لسكانه في أقواتهم، لنريه من أدلتنا ما فيه البرهان الكافي على وحدانيتنا وعظم قدرتنا، ان الله وحده هو السميع البصير.

وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ جَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُمْ أَلِفَ كَرَّةٍ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَلَئِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْئِلُوا جُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ

٢ - وان بيت المقدس كان يسكنه بنو اسرائيل من بعد موسى ، حتى أفسدوا فيه ، فشردوا منه من قبل ، مع
أنا أعطينا موسى التوراة ، وجعلنا فيها هداية لهم ، وقلنا لهم لا تتخذوا غير الله من تفوضون إليه أموركم .
٣ - أنتم أيها الاسرائيليون ذرية المخلصين الذين كانوا مع نوح في الفلك بعد ايمانهم ونجيتهم من الفرق .
اجعلوا نوحا قدوتكم كما جعله أسلافكم ، فإنه كان عبدا كثير الشكر لله على نعمته .

٤ - وأنفذنا بقضائنا إلى بنى اسرائيل فيما كتبناه في اللوح المكنون أنهم يفسدون في بيت المقدس لا محالة
مرتين ، في كل مرة منها كان الظلم والظغيان ، وترك أحكام التوراة ، وقتل النبيين ، والتعاون على الاثم . وأنه
ليسط سلطانكم وتعلون مستكبرين ظالمين .

٥ - فإذا جاء وقت عقاب أولاهما سلطنا عليكم ، بسبب افسادكم عبادا لنا أصحاب بطش شديد ، فأخذوا
يسيرون في داخل الديار ، لم يتركوا جزءا منها ، ليقتلوكم ، وكان وعد العقاب وعدا لا بد أن يكون .

٦ - ثم لما استقام أمركم ، واهديتم ، وجمعتم شملكم ، ورجعتم عن الفساد ، رددنا لكم الغلبة على الذين بعثوا
عليكم ، ورزقناكم أموالا وبنين ، وجعلناكم أكثر مما كنتم عددا .

٧ - وقلنا لهم : ان أحسنتم فاطعتم الله ، كان احسانكم لأنفسكم في الدنيا والآخرة ، وان أسأتم بالعصيان ،
فإلى أنفسكم تسبون . فإذا جاء وقت عقاب المرة الآخرة من مرقى افسادكم في الأرض ، بعثنا عليكم أعداءكم ،
ليجعلوا آثار المساءة والذلة والكآبة بادية على وجوهكم ، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس ، فيخربوه
كما دخلوه وخربوه أول مرة ، وليهلكوا ما غلبوا عليه اهلاكا شديدا .

وَأَن عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحْوَاةَ آيَةِ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَ فَضْلَتِهِ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْفَرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَلِإِنَّمَا يَهْتَدِيَ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَلِإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ

٨ - عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية ، ان تبتم ، وان عدتم إلى الفساد عدنا إلى العقوبة ، وجعلنا جهنم للكافرين سجنا ومحسبا .

٩ - ان هذا القرآن يرشد الناس للسبيل التي هي أقوم السبل وأسلمها . في الوصول إلى السعادة الحقيقية في الدنيا ، ويبشر المؤمنين بالله . ورسوله ، الذين يدعون للحق ويعملون الأعمال الصالحات ، بالأجر العظيم يوم القيامة .

١٠ - وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعدنا لهم في جهنم عذابا شديداً الأليم .

١١ - وأن في طبع الانسان تعجلا في الحكم على ما يقع من الناس ، وفي أقواله وأفعاله ، فهو يسارع بالدعوة إلى الشر مسارعته في الدعوة إلى الخير ، ويسارع في دعاء الله تعالى بأن ينزل الشر على من يبادر بالغضب عليه مسارعته بالدعاء له بالخير .

١٢ - وجعلنا الليل والنهار ههناهما وتعاقبها علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا فأزلنا من الليل الضوء فلا يستبان فيه شيء ، وكانت علامته ظلاما لا تسرى فيه الشمس ، تلك العلامة الكبرى ، وجعلنا النهار مبصرا ، وترى فيه الشمس الآية الكبرى للتجهوا في ضوء النهار إلى التصرف في معاشكم ، ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد للسنين وحساب الأشهر والأيام وكل شيء لكم فيه مصلحة بيناه لكم بيانا واضحا ، لتقوم عليكم المحجة بعد تمام النعمة .

١٣ - وألزمنا كل انسان عمله لزوم القلادة للنعق ، ونخرج له يوم القيامة كتابا فيه أعماله ، يلقاه مفتوحا ، ليسرع في قراءته .

١٤ - ويقال له : اقرأ بقدره الله - ولو لم يكن في الدنيا قارئا - كتاب أعمالك تكفيك نفسك اليوم حاسبة ومحسبة عليك عملك .

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هُنَالَا وَهُنَالَا مِنْ عَطَاءٍ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

١٥ - من اتبع طريق الحق فإنما ينفع نفسه ، ومن حاد عنه فإنما اثم ضلاله على نفسه ، ولا تتحمل نفس مذنبه فوق ذنبها ذنب نفس أخرى ، وما صح لنا أن نعذب أحدا على فعل شيء قبل أن نبعث إليه رسولا من لدنا يهدي إلى الحق ويردع عن الباطل .

١٦ - وإذا قدرنا في اللوح المحفوظ أهلك اهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا ، سلطنا المترفين فيها فأفسدوا فيها ، وخرجوا عن جادة الحق ، واتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا ، وبذلك يحق عليها كلها العقاب ، فندمرها تدميرا شديدا .

١٧ - وكثيرا من أهل القرون من بعد نوح أهلكناهم بتمردهم على أنبيائهم ، ويكفيك بيان ربك واعلامه ، لأنه العالم بكل شيء علما دقيقا كعلم من يبصر ، وهو الخبير بذنوب عباده البصير بها ، فلا يخفى عليه أفعال أحد من العباد وسيجازهم بما يستحقون .

١٨ - من كان يطلب متاع الدنيا العاجلة ويعمل له ، متخذًا الأسباب ، ولا يوقن بميعاد ، ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة ، عجلنا له في الدنيا ما نشاء تعجيله من البسط والسعة ، وكان هذا لمن نريد التعجيل له ، ثم أعددنا له في الآخرة جهنم يقاسى حرها وهو مذموم بما قدم ، هالك مطرود من رحمة الله .

١٩ - ومن أراد بعمله الآخرة ، ولها عمل ، وهو مصدق بالله وجزائه ، فأولئك كان عملهم مقبولا عند الله ينالون الثواب عليه .

٢٠ - وانا نمد كلا الفريقين إذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك في الدنيا ، وما كان عطاء ربك فيها ممنوعا من أحد ، مؤمنا كان أو كافرا ، ماداموا قد اتخذوا الأسباب .

عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذِرْ تَبَذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِنْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

٢١ - انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعض عبادنا على بعض ، في المال والحياة والسعة ، إذا اتخذوا أسباب ذلك في الدنيا ، لحكمة نعلمها وأن تفاوتهم في الدار الآخرة أكبر درجات من تفاوتهم في الدنيا ، فينبغي الاعتناء بها ، فالآخرة هي التي تكون فيها الرفعة الحقيقية والتفاضل الحقيقي .

٢٢ - لا تجعل أيها المكلف مع الله شريكا ، فتصير موصوما بالالهانة ، ويكون الخذلان مكتوبا عليك .

٢٣ - وحكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبأن تبروا الوالدين برا تاما ، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عند أيها المخاطب حال الضعف وصارا في آخر العمر ، فلا تتأفف لما يصدر منها بصوت يدل على الضجر ، ولا تزجرهما ، وقل لهما قولا جميلا لينا فيه احسان وتكريم لهما .

٢٤ - وألن لهما جانبك وتواضع لهما وكن شفيقا عليهما ، وقل في شأنها : رب ارحمهما كما رحمتني حين رباني صغيرا .

٢٥ - ربكم أيها الناس أعلم منكم بما في ضائركم ، ومحاسنكم عليه بالثواب أو العقاب فإن تكونوا قاصدين الصلاح فاعلين له ، ثم كانت منكم هفوة ، ثم أثبتتم إلى الله ، فإن الله سبحانه يغفر لكم ، لأنه دائم المغفرة للراجعين إليه .

٢٦ - وأعط ذَا الْقُرْبَى حقه من البر والصلة ، وذا الحاجة المسكين ، والمسافر الذي انقطع عن ماله ، حقها من الزكاة والصدقة ، ولا تبذر مالك في غير المصلحة تبذيرا كثيرا .

٢٧ - لأن المبذرين كانوا قرناء الشياطين ، يقبلون وسوستهم حين يسخرونها للفساد والانفاق في الباطل ، ودأب الشيطان أنه يكفر بنعمة ربه دائما ، وصاحبه مثله .

٢٨ - وان أرغمتك أحوالك المالية على الاعراض عن هؤلاء المذكورين ، فلم تعطهم لعدم وجود ما تعطيم في الحال ، مع رجاء أن يفتح الله عليك به ، فقل لهم قولا حسنا يؤملهم فيك .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَن تَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۚ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

٢٩ - ولا تمسك يدك عن الانفاق في الخير، وتجعلها كأنها مربوطة في عنقك بغل من الحديد لا تقدر على مدها، ولا تبسطها كل البسط بالاسراف في الانفاق، فتصير مذمومة على الامساك نادما أو منقطعا لاشيء عندك، بسبب التبذير والاسراف.

٣٠ - ان ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم، لأنه خير بطائعهم بصير بحوائجهم، فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب.

٣١ - وإذا كان أمر الأرزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع، لأننا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم، ان قتلهم كان اثما عظيما.

٣٢ - ولا تقربوا الرزق، بمباشرة أسبابه ودواعيه، لأنه رذيلة واضحة القبح، وبشس طريقا طريقه.

٣٣ - ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا قتلا يكون للحق، بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصا أو عقوبة، ومن قتل مظلوما، فقد جعلنا لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص من القاضي، فلا يجاوز الحد في القتل، بأن يقتل غير القاتل، أو يقتل اثنين بواحد، فإن الله نصره وأوجب له القصاص أو الدية، فلا يصح أن يتجاوز الحد.

٣٤ - ولا تصرفوا في مال اليتيم الا بالطريقة التي هي أحسن الطرق لتنميته وتثميته، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده، وإذا بلغ فسلموه له، وحافظوا على كل عهد التزمتموه، فإن الله سيسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليه.

٣٥ - وأوفوا الكيل إذا كلتم للمشتري، وزنوا له بالميزان العدل، فإن ايفاء الكيل والوزن خير لكم في الدنيا، لأنه يرغب الناس في معاملتكم، وأجل عاقبة في الآخرة.

عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ
الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ
رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ
وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ
إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

٣٦ - ولا تتبع أيها المرء مالا علم لك به من قول أو فعل ، فلا تقل : سمعت ، وأنت لم تسمع ، أو علمت ،
وأنت لم تعلم ، فإن نعم السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة .
٣٧ - ولا تمش في الأرض متكبرا مختلا ، فإنك مهما فعلت فلن تخرق الأرض بشدة وطأتك ، ولن تبلغ
مها تطاولت أن تحاذي بطولك قم الجبال .

٣٨ - كل ذلك المذكور من الوصايا ، كان القبيح منه من المنهيات مكروها ميفوضا عند ربك .
٣٩ - وهو مما أوحاه إليك ربك من معرفة الحق بذاته ، والخير للعمل به ، ولا تجعل مع الله إلها غيره
فتلقى في جهنم ملوما عند نفسك وعند غيرك هالكا مطرودا من رحمة ربك .

٤٠ - أنكر سبحانه على من قالوا : الملائكة بنات الله ، فقال : أفضلكم ربكم على نفسه ، فخصكم بأقوى
الأولاد ، وهم البنون ، واتخذ هو لنفسه من الملائكة بنات بزعمكم ، انكم في قولكم هذا تفترون بهتانا عظيما .
٤١ - لقد بينا في هذا القرآن أحسن بيان ضروبا من الأمثال والمواعظ والأحكام ، ليتعظ هؤلاء المشركون ،
ولكنهم لتحجر قلوبهم لا يزيدهم ذلك التبيين إلا شرودا عن الحق .

٤٢ - قل أيها النبي ، اظهرا لا بطل زعمهم الشركاء لله : لو كان مع الله آلهة في الوجود كما يقولون ، لطلب
هؤلاء الآلهة طريقا يصلون منه إلى صاحب الملك المطلق لينازعوه عليه .

٤٣ - تنزه الله تنزها لا تقا به ، وتعالى جل شأنه عما يزعمون من أنه معه آلهة .

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَوْذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾

٤٤ - ان السموات السبع والأرض ، ومن فيهن من المخلوقات ، تنزهه وتقدهسه ، وتدل باتقان صنعها على كمال ملك الله وتنزيهه سبحانه عن كل نقص وأنه لا شريك له من شيء من المخلوقات في ملكه الواسع الا ينزهه كذلك مع الثناء عليه ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة لاستيلاء الغفلة على قلوبهم ، وكان الله حلما عليهم ، غفورا لمن تاب فلم يعاجلهم بالعقوبة .

٤٥ - وإذا قرأت أيها النبي القرآن الناطق بدلائل الحق ، جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء ، حين ارادة الفتك بك ، حجابا ساترا لك عنهم ، فلا يرونك .

٤٦ - وجعلنا بمقتضى حكمتنا في الاضلال والهداية على قلوبهم أغطية ، كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ، وفي آذانهم صمما ، فلا يسمعون سماع انتفاع ، لأنهم اسرفوا في العناد والمكابرة ، وإذا ذكرت ربك في القرآن منفردا عن ذكر آلهتهم ، رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه .

٤٧ - نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من الاستهزاء والسخرية حين استماعهم اليك ، وهم ذوو مسارة بما ذكر ، وذلك قول الظالمين لغيرهم في مسارتهم : ان اتبعتم فأنتم لا تتبعون إلا رجلا مغلوبا على عقله .

٤٨ - انظر كيف ذكر لك الأشياء ، فشبهوك بالمسحور ، والكاهن ، والشاعر ، فضلوا بذلك عن منهاج الحجة فلا يستطيعون طريقا إلى الطعن يمكن قبوله ، أو فضلوا بذلك عن الهدى فلا يجدون طريقا إليه .

٤٩ - قال المنكرون للبعث : أنبعث إذا صرنا عظاما نخرة ، وقطعا متفرقة ، فنكون خلقا جديدا فيه حياة ؟ ان هذا مالا يدخل العقول .

٥٠ - فقل لهم يأيها النبي : لو كنتم حجارة لا تقبل الحياة بحال ، أو حديدا وهو أصلب من الحجارة .

أَوْ خَلَقًا مَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ

٥١ - أو خلقاً آخر غيرها ، مما تنكر قلوبكم قبوله الحياة ، لبعثتم ، فسيقولون مستعبدين : من يعيدنا ؟ فقل لهم : يعيدكم الله الذي أوجدكم أول مرة فسيحركون إليكم رؤوسهم تعجباً ، ويقولون استهزاء : متى البعث الذي تعدنا به ؟ فقل لهم : أرجو أن يكون قريباً .

٥٢ - وسيكون يوم يبعثكم الله فيه من قبوركم ، فتبعثون حامدين ربكم على كمال قدرته وتظنون أنكم ما لبثتم في قبوركم إلا زمناً قليلاً ، تستقصرون المدة الطويلة في جنب ما أنتم قادمون عليه .

٥٣ - وقل يأيتها النبي لعبادى المؤمنين ، أن يقولوا عند محاربتهم المشركين العبارات التى هى أحسن للاقتناع ، ويتركوا الكلام الخشن الذى يتسبب عنه الشر والفساد ، فإن الشيطان يفسد بين المؤمنين والكافرين ، لأنه دائماً عدو للإنسان بين العداوة .

٥٤ - ربكم أعلم بعاقبة أمركم ، أن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان ، أو أن يشأ يعذبكم بعدمه ، وما أرسلناك موكولاً إليك أمرهم فتجبرهم على الإيمان ، وإنما أرسلناك بشيراً للمصدقين ونذيراً للمكذبين ، فدارهم ، ومر أصحابك بالاحتمال منهم .

٥٥ - وربك أعلم بكل من فى السموات والأرض وبأحوالهم ، فيختار منهم لنبوته من يشاء ، وقد اختارك لرسالته ، فلا يصح أن يستكثروا عليك النبوة ، وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء فى الفضل عنده ، جل شأنه ، بل بعضهم أفضل من بعض ، ولقد فضل النبيين على بعض بالمعجزات وكثرة التابعين ، لا بالملك ، ففضل داود أنه أوتى الزبور ، لأنه أوتى الملك ، فلا عجب أن تنال الفضل العظيم بما أوتيت من القرآن .



زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا ﴿٥٩﴾
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّهَآءَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

٥٦ - قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين، ويزعمونهم آلهة من دون الله، ادعوا من تعبدونه إذا نزلت بكم
شدة، أو أخفتم نزولها، وسلوهم في شأنها، فلن تجدوا منهم كشفا لضرركم، ولا تحويلا له عنكم.

٥٧ - وان هؤلاء المخلوقين الذين يدعوه من يعبدون الله، ويطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة
ويحرص كل منهم أن يكون أقرب إلى الله، ويطمعون في رحمته، ويرهبون عذابه، ان عذاب الله ينفسي أن
يحذر ويخاف.

٥٨ - وقد جرت سنتنا أن نهلك كل قرية ظالمة بمن فيها، أو نعذب أهلها عذابا شديدا بالقتل وغيره، فليحذر
ذلك قومك، فقد جرى بذلك قضاؤنا، وسطر في كتابنا.

٥٩ - لقد اقترح عليك قومك أن تأتيهم بالآيات والمعجزات، ولم يقنعوا بما أتاهم مما يقنع ذوى الألباب، وقد
جرت سنتنا مع من يقترح الآيات، ثم يجاب إليها ولا يؤمن بها، أن نستأصله بالعذاب كما فعلنا بالأولين. ومنهم
ثمود، إذ اقترحوا آيات، فكانت الناقة معجزة مضيئة نيرة واضحة مجلية للشك والريب، فكفروا بها، فكان ما كان
من أمرهم، وكان من حكمة الله ألا يجيب قومك إلى ما طلبوا، خشية أن يكفروا بها، ويرجى منهم من يؤمن أو يلد
من يؤمن. والآيات انما نرسل بها إلى الناس تخويفا وارهابا.

٦٠ - واذكر أيها النبي حين قلنا لك: ان ربك أحاط بالناس، فهم في قبضة قدرته، فبلغهم ولا تخف أحدا
فهو يعصمك منهم، وما جعلنا ما عاينته ليلة الاسراء من العجائب إلا امتحانا واختبارا للناس، يزداد به ايمان
المؤمن وكفر الكافر، وما جعلنا الشجرة المذمومة في القرآن، وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم،
الا اختبارا لهم أيضا، إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبت؟ ونخوفهم بها، فإ يزيدهم تخويفا إلا تجاوزا
للحد الكبير.

قَالَ أَتَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ مَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْرَتِكَ وَأَحْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ لَكَ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَقَامَنْتُمْ أَنْ يَحْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ

٦١ - وان الله ليذكر بأصل الخلق والعداوة بين ابن آدم وابلis ، إذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء ، فسجدوا على الفور ، الا ابلis امتنع وقال منكرا : كيف أسجد لمن خلقته من طين وأنا من نار فأنا خير منه .

٦٢ - قال ابلis : أخبرني يارب عن هذا الذي كرمته علي ، بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته علي وأنا خير منه ؟ وعزتك لأن أخرتن حيا إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالاغواء ، إلا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته .

٦٣ - قال له المولى تهديدا واستدرجا : امض لشأنك الذي اخترته لنفسك ، فمن أطاعك من ذرية آدم فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرا كاملا .

٦٤ - واستخف واستنزل بدعائك إلى معصية الله من استطعت منهم ، وأفرغ جهدك في جميع أنواع الاغراء ، وشاركهم في كسب الأموال من الحرام وصرفها في الحرام ، وتكفير الأولاد واغرائهم على الفساد ، وعدم المواعيد الباطلة كشفاة آهتهم ، والكرامة عند الله بأنسابهم ، وما يعد الشيطان أتباعه الا بالتفريغ والتمويه .

٦٥ - أما عبادي المخلصون لي ، فليس لك على اغوائهم قدرة ، لتوكلهم على ربهم ، وكفى به ناصرا يستمدون منه العون في الخلاص منك .

٦٦ - ربكم هو وحده الذي يجرى لكم السفن في البحر ، لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها . انه دائم الرحمة بكم .

٦٧ - وإذا أصابكم الأذى وتعرضتم للمخاطر في البحر ، غاب عنكم كل من تدعونه في حواتجكم من الأصنام ، إلا الله وحده ، فانكم لا تذكرون سواه ، فلما نجاكم من الفرق ، وأخرجكم إلى البر ، أعرضتم عن توحيدكم وكفرتم النعمة ، وشأن الانسان دائما جحد النعمة .

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَرَّ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَ كُرَّ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
 فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا الْكَرَّ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ
 فَمَنْ أُوِّقِيَ كِتَبَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى
 فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
 وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَتِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْعًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَا ذِقْنَكَ ضِعَفَ

٦٨ - وإذا نجوتكم بخروجكم إلى البر، أفأمنتم من عذاب الله؟ كلا إن شاء قلب بكم جانباً من البر فهلكنم تحته، وإن شاء أرسل عليكم ريحاً شديدة ترميكم بالحصى والحجر، فلا تجدون حافظاً مما يصيبكم.

٦٩ - أم أمنت أن يعيدكم ربكم في البحر مرة أخرى، فيرسل عليكم قاصفاً من الريح يكسر فلكنكم؟ فيغرقكم بسبب جحودكم نعمته حين أنجاهم أولاً، ثم لا تجدوا لكم علينا من يطالبنا بما فعلنا انتصاراً لكم.

٧٠ - ولقد كرّمنا أولاد آدم بحسن القوام والنطق وتحجير الأشياء، وأعطيناهم الكرامة والعزة إن أطاعوا، وحملناهم في البر على الدواب، وفي البحر على السفن، ورزقناهم من المستلذات، وفضلناهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلاً عظيماً.

٧١ - واذكر أيها النبي لقومك، يوم ندعو كل جماعة بشعارهم الذي يعرفون به، أو زعيمهم من رئيس اتبعوه، أو نبي، أو كتاب، فيقال: يا أهل موسى، يا أهل القرآن، وهكذا ليتسلموا كتب أعمالهم، فمن أعطى كتاب أعماله بيمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرءون كتابهم مبتهجين ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء.

٧٢ - وأما الفريق الآخر، فيغمه ما يرى، وتسد عليه مسالك النجاة، ويعمى عن كشف ضره، كما كان أعمى في الدنيا عن طريق الحق والرشاد، ومن كان في الدنيا أعمى، فهو أشد في الآخرة، وأبعد عن سبيل الخير.

٧٣ - وإن المشركين يتفنون في محاولة صرفك عن القرآن لتطلب غيره من المعجزات، وتكون كالمفتري علينا، وحينئذ يتخذونك صاحباً لهم، وإن هذه المحاولات قد تكررت وكثرت، وكان من شأنها أن تقربك مما يريدون، ولكنك رسولنا الأمين.

٧٤ - وقد شملك لطفنا، فصرفناك عن الاستجابة لهم، وثبتناك على الحق، ولولا ذلك لأوشكت أن تميل إلى استجاباتهم، طمعاً في أن يكمل إيمانهم يوماً إذا دخلوا في أوائل الإسلام.

الْحَيَوةِ وَضَعَفَ أَلَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾
أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى

- ٧٥ - ولو قاربت الركون اليهم ، لجمعنا عليك عذاب الدنيا ، وضاعفناه ، وعذاب الآخرة وضاعفناه ، ثم لا تجد لك نصيرا علينا يمنع عنك العذاب ، ولكن لا يكون ذلك أبدا لأنه ممتنع على رسولنا الأمين .
- ٧٦ - ولقد حاول كفار مكة ، وكادوا أن يزعموك من أرض مكة بعداوتهم ومكرهم ، ليخرجوك منها ، ولو تحقق منهم ذلك لا يبقون بعد خروجك منها إلا زمنا قليلا ، ثم يغلبون على أمرهم وتكون الكلمة لله .
- ٧٧ - وذلك كطريقنا في الرسل قبلك ، من اهلاك من أخرجوا نبهم ، ولن تجد لطريقنا تبديلا .
- ٧٨ - أقم الصلاة المفروضة ، من أول زوال الشمس من وسط السماء نحو الغرب ، إلى ظلمة الليل ، وهذه صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر التي تشهدا الملائكة .
- ٧٩ - وتيقظ من نومك في بعض الليل ، فتهجد بالصلاة عبادة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك ، رجاء أن يقيمك ربك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخلائق .
- ٨٠ - وقل : يارب أدخلني ادخلا مرضيا كريما في كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان ، وأخرجني منه اخراجا مرضيا كريما ، واجعل من فضلك قوة تنصرفي بها على أعدائي .
- ٨١ - وقل منذرا قومك المشركين : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح والعدل ، وذهب الباطل والشرك والدين الفاسد والظلم ، ان الباطل مضمحل زائل دائما .
- ٨٢ - وكيف لا يقوى الحق ، ونحن نزل من القرآن ما هو شفاء لما في الصدور من الشك والريب ، وسبب رحمة لمن آمن به ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا لكفرهم به .

الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَعَا بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَفْهَمًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ۖ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾
وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُ
كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ

٨٣ - وان في طبع الانسان الغرور والقنوط ، فإذا أنعمنا عليه بالصحة والسعة ، أعرض عن ذكرنا ودعائنا ، وبعد عنا بنفسه تكبرا وتعاطيا ، وإذا مسه الشر كالمرض والفقر ، كان شديد القنوط من رحمة الله .

٨٤ - قل أيها النبي لكفار قريش ، رغبة عن اثاره الشر والجدال : كل منا ومنكم يعمل ويسير على طريقته ، فربكم علم علما ليس فوقه علم بمن هو أوضح طريقا واتباعا للحق فيؤتيه أجره موفورا ، ومن هو أضل سبيلا فيعاقبه بما يستحق .

٨٥ - ويسألك يا محمد قومك ، بإيعاز من اليهود ، عن حقيقة الروح ، قل : الروح من علم ربي الذي استأنر به ، وما أُوتيتم من العلم إلا شيئا قليلا في جنب علم الله تعالى .

٨٦ - ولئن أردنا أن نغمر من صدرك القرآن الذي أوحينا اليك ، لفعلنا ثم لا تجد من يقوم لك وينصرك .

٨٧ - ولكن أبقينا رحمة من ربك لأن فضله في هذه المعجزة كان عليك عظيما .

٨٨ - قل لهم متحديا أن يأتوا بمثله ، وانهم ليعجزون ، لئن اجتمعت الانس والجن ، وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في نظمه ومعانيه ، لا يستطيعون ، ولو كانوا متعاونين بعضهم يظهر بعضا .

٨٩ - ولقد نوعنا مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس في هذا القرآن ، من كل معنى هو كالمثل في غرابته ، فأبى أكثر الناس الا الجحود والانكار .

٩٠ - ولما ظهر اعجاز القرآن ، ولزمتهم الحجة ، اقترحوا الآيات والمعجزات ، فعل المهجوج المبهوت المتحير ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من أرض مكة عينا لا ينقطع ماؤها .

خَلَقَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلَآئِكِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيْ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَّوْكَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ مُتَمِِّينِينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۚ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا ۚ وَصَّمَآ مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَأُنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

٩١ - أَوْ يَكُونَ لَكَ بِمَكَّةَ بستان من نخيل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيرا كثيرا .

٩٢ - أَوْ تُسْقِطَ السماء فوق رؤوسنا قطعاً كما زعمت أن الله توعدا بذلك ، أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ نَقَابِلَهُمْ معاينة ومواجهة .

٩٣ - أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ مِّنْ ذَهَبٍ ، أَوْ تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّصَدِّقَكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ إِلَّا إِذَا جِئْنَا بِكِتَابٍ مِّنَ اللَّهِ يقرر فيه صدقك نقرؤه ، قُلْ لَهُمْ : أَنزَهُ رَبِّي عَنْ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِيهِ أَحَدٌ ، أَوْ يَشَارَكَهُ فِي قُدْرَتِهِ ، مَا كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا كَسَائِرِ الرُّسُلِ ، وَلَمْ يَأْتُوا قَوْمَهُمْ بِآيَةٍ إِلَّا بَاذَنَ اللَّهِ .

٩٤ - وَمَا مَنَعَ مُشْرِكِي مَكَّةَ أَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ حِينَ جَاءَهُمُ الْوَحْيُ مَقْرُونًا بِالْمُعْجَزَاتِ الَّتِي زَعَمُوا جَهْلًا مِنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَبْعَثُ رَسُولَهُ مِنَ الْبَشَرِ بَلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

٩٥ - قُلْ رَدَا عَلَيْهِمْ : لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمشُونَ فِيهَا كَالْأَدَمِيِّينَ مُسْتَقْرِينَ فِيهَا ، لَنَزَلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ ، وَلَكِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَكُونُونَ كَالْبَشَرِ ، وَلَوْ كَانُوا لَجَاءُوا فِي صُورَةِ الْبَشَرِ .

٩٦ - وَقُلْ إِنْ أَنْكَرْتُمْ رِسَالَتِي فَكُنِيَ اللَّهُ حَاكِمًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مَقْرَرًا صَدَقَ رِسَالَتِي إِلَيْكُمْ أَنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ عَالِمًا بِأَهْوَانِهِمْ بِصِيرًا بِأَفْعَالِهِمْ وَهُوَ بِمَجَازِهِمْ عَلِيمًا .

٩٧ - وَقُلْ لَهُمْ : مَنْ يَهْدِ اللَّهُ لِحَسَنِ اسْتِعْدَادِهِ فَهُوَ الْمُهْتَدَى ، وَمَنْ يَضِلُّهُ لِفَسَادِ طَبْعِهِ ، فَلَن تَجِدَ لَهُ أَنْصَارًا غَيْرَهُ يَهْدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَنَحْشُرُهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَسْحُورِينَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ لَا يَنْظُرُونَ وَلَا يَنْطَقُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ ، وَمَكَانَهُمُ الَّذِي يَأْوِنُونَ إِلَيْهِ جَهَنَّمَ ، كُلُّهَا ضَعْفٌ لِّهَيْبِهَا زَادَهَا اللَّهُ تَلْهِيًا وَاشْتِعَالًا .

٩٨ - ذَلِكَ الْعَذَابُ جَزَاؤُهُمْ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِالْأَدْلَةِ الَّتِي أَقْنَاهَا لَهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَقَوْلِهِمْ : أَنْبِئْتَ خَلْقًا جَدِيدًا بِعَدْوَانِ نَصِيرِ عِظَامِنَا وَرَفَاتِنَا ؟ .

* أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّارْتِيَابٍ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَعَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَاهُ

٩٩ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض، مع عظمها، قادر على أن يخلق مثلهم من الانس والجن، ومن هو قادر على ذلك، كيف لا يقدر على إعادتهم، وهى أهون عليه، وقد جعل سبحانه لإعادتهم بعد الموت أجلا محددًا لاشك في حصوله، وهو يوم القيامة، ومع ذلك أبى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، بعد إقامة هذه الحججة إلا جحودا.

١٠٠ - قل هؤلاء المشركين: لو كنتم تملكون خزائن رزق ربى، لبخلتم خشية الفقر، لأن الانسان مطبوع على شدة الحرص والبخل، والله هو الغنى الجواد، يمنع ما شاء لمن يشاء، وينزل من المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس؟ وهو في ذلك كله حكيم عليم.

١٠١ - ولو أوتي هؤلاء من الآيات ما اقترحوا، لصرفوها عن وجهها، ولم يؤمنوا بها، ولقد آتينا موسى تسع آيات واضحات^(١) ومع ذلك كفروا، وقال فرعون: ائنى لأظنك مسحورا يا موسى.

١٠٢ - قال موسى: لقد علمت يا فرعون أن الذى أنزل هذه الآيات هو رب السموات والأرض لأنه هو الذى يقدر عليها وهى واضحات تبصرك بصدق، ولكنك تكابر وتعااند، وائنى لأظنك يا فرعون هالكا إذا لم ترجع عن عنادك.

١٠٣ - فتأدى فرعون في طغيانه، فأراد أن يخرج موسى وبني اسرائيل من أرض مصر، فأغرقناه مع جنوده جميعا.

١٠٤ - ونجينا موسى وقومه، وقلنا، من بعد اغراق فرعون، لبني اسرائيل: اسكنوا الأرض المقدسة بالشام، فإذا جاء وقت الحياة الأخرى، جئنا بكم من قبوركم مختلطين ثم نحكم بينكم بالعدل.

(١) هذه الآيات التسع: ١ - العصا - ٢ - اليد البيضاء - ٣ - الطوفان - ٤ - الجراد والضفادع والقمل والدم - ٥ - الجذب ونقص الثمار - ٦ - فلق البحر - ٧ - انبجاس الماء من الحجر - ٨ - تنق الجبل كأنه ظلة - ٩ - خطابه لربه.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونُ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

١٠٥ - وما أنزلنا القرآن الا مؤيدا بالحكمة الالهية : التي اقتضت انزاله ، وهو في ذاته وما نزل الا مشتملا على الحق كله ، فعقائده هي الصحيحة ، وأحكامه هي المستقيمة . وما أرسلناك أيها النبي إلا مبشرا من آمن بالجنة ، ونذيرا لمن كفر بالنار ، فليس عليك شيء إذا لم يؤمنوا .

١٠٦ - وقد فرقنا هذا القرآن ، ونزلناه منجما على مدة طويلة ، لتقرأه على الناس على مهل ليفهموه . نزلناه شيئا بعد شيء تنزيلا مؤكدا لا شبهة فيه .

١٠٧ - قل لكفار مكة تهديدا لهم : اختاروا لأنفسكم ما تحبون ، من الايمان بالقرآن أو عدمه ، فإن الذين أوتوا العلم الصحيح والادراك السليم من قبل نزوله ، إذا يتلى عليهم يقعون على الوجوه سجدا ، شكرا لله على نعمته .

١٠٨ - ويقولون تنزه ربنا عن خلف الوعد الذي وعد به من نعيم وعذاب ، ان وعده كان حاصلا لا محالة .

١٠٩ - ويقعون ثانيا على الوجوه سجدا باكين من خوف الله ، ويزيدهم القرآن تواضعا لله .

١١٠ - قل لهؤلاء المشركين : سمو الله باسم الله أو اسم الرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسنی ، ولا شبهة لكم في أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى . وإذا قرأت القرآن في صلاتك ، فلا ترفع صوتك به ، لئلا يسمع المشركون فيسبوك ويؤذوك ، ولا تسر به فلا يسمع المؤمنون ، وكن وسطا في قراءتك .

١١١ - وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، لعدم حاجته إليه ، ولم يكن له شريك في الملك ، لأنه وحده منشئه ، ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من ذل لحقه ، وعظم ربك تعظيما يليق به .

(١٨) سُورَةُ الْكَهْفِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْعِشْرَةُ وَمَا عَشَرُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ

هذه السورة مكية ، ما عدا الآية ٣٨ والآيات التي تنبئ من ٨٣ إلى ١٠١ ففيها عشرون آية مدنية . وقد
ابتدأت بحمد الله تعالى لانزاله القرآن الكريم ، وبيان أن القرآن هو الانذار والتبشير ، وفيه انذار الذين ادعوا أن
الله ولدا ، وفيها ذكر حرص النبي ﷺ على ايمان الذين يدعوهم بدعاية الله ثم ذكر قصة أهل الكهف الذين رقدوا
ثم بعثوا بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، وهو عدد من النصارى فروا من ظلم الحاكم
الرومانى ، ورقدوا فى الكهف تلك المدة ثم بعثوا للدلالة على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت .

ثم بعد ذلك أمره الله بأن يتلو القرآن ، وينذر به ويبشر ، ثم بيان حال أهل الجنة فيها وأهل النار ، وضرب
الله مثلا لرجلين أحدهما غنى يعتز بماله وبنيه ، والثاني يعتز بالله ، وبين سبحانه أن ولايته هى الحق ، ثم بين سبحانه
زينة الحياة الدنيا الفانية ، ثم ما يكون يوم القيامة من نعيم مقيم أو عذاب أليم ، ثم ذكر سبحانه قصة موسى مع
العبد الصالح الذى أوقى علما من الله . وفى هذه القصة يصور ما يجهله الانسان ولو كان نبيا مرسلا من أولى العزم
من الرسل من قدرة الله إلا إذا آتاه الله علمه . ثم يحىء ذكر ذى القرنين ووصوله إلى أقصى الشرق وبنائه للسد ،
ثم يوم القيامة وما يكون فيه ، وجزاء المؤمنين ، وعلم الله تعالى وكلماته التى لا تنفد ، وختمت السورة ببيان الطريق
لارضاؤه سبحانه .

١ - الثناء الجميل مستحق لله تعالى الذى أنزل على عبده محمد القرآن ، ولم يجعل فيه شيئا من الانحراف
عن الصواب ، بل كان فيه الحق الذى لا ريب فيه .

٢ - وجعله قيا مستقيا فى تعاليمه لينذر الجاحدين بعذاب شديد صادر من عنده ، ويبشر المصدقين الذين
يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثوابا جزيلا .

٣ - هو الجنة خالدين فيها أبدا .

اللَّهُ وَلَدًا ۖ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝
 فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۖ إِنَّ لَكَ يُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أُسْفًا ۖ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا
 لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
 وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۖ ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّ لَنَا
 مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۖ ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۖ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ
 لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا ۖ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۖ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ

٤ - وينذر على وجه الخصوص الذين قالوا عن الله انه اتخذ ولدا ، وهو المنزه عن أن يكون كالحوادث
 بلد أو يولد له .

٥ - وليس عندهم علم بذلك ولا عند آبائهم من قبل ، فاعظم الافتراء في هذه الكلمة التي تجبروا على
 اخراجها من أفواههم ! ما يقولون إلا افتراء ليس بعده افتراء .

٦ - لا تهلك نفسك - أيها النبي - أسفا وحزنا على اعراضهم عن دعوتك غير مصدقين بهذا القرآن .

٧ - انا قد خلقناهم للخير والشر ، وصيرنا ما فوق الأرض زينة لها ومنفعة لأهلها ، لنعاملهم معاملة المختبر
 ليظهر منهم الأصالح عملا ، فن استهوتهم الدنيا ولم يلتفت إلى الآخرة ضل ، ومن آمن بالآخرة اهتدى .

٨ - وانا لمصيرون عند انقضاء الدنيا ما فوقها مثل أرض مستوية لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء عامرة
 بمظاهر الحياة .

٩ - لقد أنكر الذين استهوتهم الدنيا بزيتها البعث ، مع أن الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه
 قصة أهل الكهف في الجبل واللوح الذي رقت فيه أسماؤهم بعد موتهم لم تكن عجبا وحدها دون سائر الآيات ، وإن
 كان شأنها خارقا للعادة ، فليس أعجب من آياتنا الدالة على قدرتنا .

١٠ - اذكر حين صار هؤلاء الفتيان إلى هذه المغارة ، وجعلوها مأوى لهم ، فرارا بدينهم من الشرك
 والمشركين ، فقالوا : ياربنا آتنا من عندك مغفرة وأمنا من عبدونا ، ويسر لنا من شأننا هداية وتوفيقا .

١١ - فاستجبنا دعاءهم فأمنناهم آمنين في الكهف سنين عديدة .

١٢ - ثم أيقظهم الله بعد أن ظلوا نياما أمدا طويلا ، لتكون عاقبة ذلك اظهار علمنا من أصاب من الفريقين
 في تقدير مدة مكثهم .

١٣ - نحن نقص عليك أيها الرسول خبرهم بالصدق : انهم فتيان كانوا قبل العهود السابقة على دين الحق ،
 صدقوا بوحدانية ربهم وسط قوم مشركين ، وزدناهم يقينا .

قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ

١٤ - وثبتنا قلوبهم على الايمان والصبر على الشدائد ، حين قاموا في قومهم ، فقالوا متعاهدين : ربنا أنت الحق رب السموات والأرض ، لن نعبد من غيره إلها ، ولن نتحول عن هذه العقيدة . والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيدا عن الصواب .

١٥ - ثم قال بعضهم لبعض : هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره ، هلا يأتون على ألوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة ، انهم لظالمون فيما فعلوا ، ولا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك إليه .

١٦ - وقال بعضهم لبعض : ما دمنا قد اعتزلنا القوم في كفرهم وشركهم ، فاجأوا إلى الكهف فرارا بدينكم ، يبسط لكم ربكم من مغفرته ، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به (١) من مرافق الحياة .

(١) لم يكن على وجه التحقيق معرفة أصحاب الكهف ، ولا زمانهم ولا مكان الكهف الذى أوى إليه هؤلاء الفتية ، ومع ذلك فلا بأس من القيام بمحاولة قد تلقى ضوءا ولو خافتا عليهم . ولما كان القرآن الكريم قد نص على أنهم فتية آمنوا بربهم فلا بد أنهم وشعبهم قد تعرضوا لاضطهاد ديني رأى معه هؤلاء الفتية الاعتصام بالكهف . ويشير التاريخ القديم إلى وقوع اضطهادات دينية في الشرق القديم ، حدثت في أوقات مختلفة - ونذكر فيما يلي اضطهادين قد يكون أحدهما مناسبا للمقام :

أما أولها فقد حدث في عهد الملك السلوقي انتيوخوس الرابع الملقب بانيقانيس (حوالى ١٧٦ - ٨٤ ق. م) فإنه لما أعتلى هذا الملك عرش سوريا ، وكان مولعا أشد الولوع بالثقافة الإغريقية وحضارتها ، فرض على اليهود بفلسطين - وكانت في قبضة سوريا منذ عام ١٩٨ ق. م - التدين بديانة الإغريق وأبطل شريعتهم ، ودنس « الهيكل » بوضعه تمثال زوس معبود الإغريق الأعظم على المذبح ، وتقديم الخنازير ذبايح له ، ثم أنه أحرق ما وجده من نسخ التوراة .

ففى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود ويكون مكانهم في فلسطين عامة أو في أورشليم ذاتها ، ويكونون قد بعثوا حوالى عام ١٢٦ م أبان حكم الروم للشرق ، أى قبل مولد النبي ﷺ (حوالى ٥٧١ م) بأربعائة وخمسة وأربعين عاما تقريبا . أما الاضطهاد الثانى فقد حدث في عهد الإمبراطور الرومانى هادريانوس (١١٧ - ١٣٨) ، فهذا الإمبراطور قد فعل باليهود مثل ما فعل انتيوخوس السالف الذكر تماما ، وتفصيل ذلك أنه حدث في عهده أن أعلن اليهود العصيان على الإمبراطورية الرومانية (الروم) عام ١٣٢ م ، فطردوا المحاميات الرومانية واستولوا على أورشليم ، وصكوا نقودهم ذكرى لتحرير المدينة المقدسة ، وقبضوا على زمام الأمور طوال ثلاث سنوات ، وأخيرا تحرك هادريانوس وجيشه ، وقع الثورة ، وأخضع فلسطين ، واستعاد أورشليم ، وقضى على القومية اليهودية قضاء تاما ، وقد لاقى قوادها حتفهم ، وبيع اليهود في سوق النخاسة ، وكان من نتائج ذلك أن عطل هادريانوس الشعائر اليهودية ، وأبطل تعاليم اليهود وقوانينهم .

وفى ضوء هذه الحقيقة التاريخية يبدو أن هؤلاء الفتية يهود ، ويكون مكانهم في أى مكان في الشرق القديم أو في أورشليم نفسها ، ويكون قد بعثوا حوالى عام ٤٣٥ م ، أى قبل مولد النبي ﷺ بمائة وثلاثين عاما .

ويبدو أن الاضطهاد الأول أكثر تلاؤما مع أصحاب الكهف ، لأنه كان أشد قوة ، أما الاضطهادات المسيحية فلا تتلاءم مع مولد النبي ﷺ

السَّامِلِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَّهْدِ اللَّهُ فهُوَ الْغَهِدُ وَمَن يَضِلَّ فَلَن يُجِدْ لَهُ وَلِيًّا مَّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقًا وَالْوَعْدُ يَوْمَ رُقُودِهِمْ وَنَقَلْنَاهُم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِّتَسَاءَلُوا بِهِمْ قَالِ قَابِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعِثْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالِ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ

١٧ - وقد كان الكهف فتحة متسعة في الجبل ، وهي متجهة إلى الشمال يجيئهم فيها النسيم العليل ، وإذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أشعتها عنهم ، وإذا غربت عن يسارهم تجاوزتهم ولم تدخل أشعتها في كهفهم ، فحرارة الشمس لا تؤذيهم . ونسيم الهواء يأتيهم ، وذلك كله من دلائل قدرة الله ، ومن يوفقه الله لإدراكها يهتدى ، ومن لا يوفقه فلا مرشد له من بعد .

١٨ - وتظنهم أي الناظر متبهمين . وفي الحقيقة هم نيام ، ونقلبهم في نومهم يمينا مرة ويسارا مرة لنحفظ أجسامهم من تأثير الأرض ، وكلبهم الذى صاحبهم ماذا ذراعيه بالفناء وهو نائم أيضا في شكل اليقظان ، لو اطلعت أيها المخاطب عليهم وهم على تلك الحال لفررت منهم هاربا ، ولملى قلبك منهم فزعا لهيبهم في منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم ، كيلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد حتى تنتهى المدة .

١٩ - وكما أغناهم أيقظناهم ليسأل بعضهم بعضا عن مدة مكثهم نائمين ، فقال واحد منهم : ما الزمن الذى مكثتموه في نومكم ؟ . فقالوا : مكثنا يوما أو بعض يوم . ولما لم يكونوا مستيقنين من ذلك ، قالوا : اتركوا الأمر لله ، فهو أعلم به ، وليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فيأتيكم بطعام منه . وليكن حسن التفاهم ، ولا يظهروا أمركم لأحد من الناس .

٢٠ - انهم ان رأوكم يقتلونكم رجما بالحجارة أو يعيدوكم إلى الشرك بالقوة ، وإذا عدتم إليه فلن تفلحوا في الدنيا والآخرة .

أَمْرِهِمْ لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۚ فَلَا تُحَارِبْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۚ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ۚ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ

٢١ - وكما أفتناهم وبعثناهم أطلعنا أهل المدينة عليهم ليعلم المطلعون أن وعد الله بالبعث حق ، وأن القيامة لا شك في آتيانها . فأمّن أهل المدينة بالله واليوم الآخر ، ثم أمات الله الفتية فتنازعوا في شأنهم : فقال بعضهم ابنوا على باب الكهف بنيانا وتركهم وشأنهم فريهم أعلم بحالهم ، وقال أصحاب الكلمة في القوم لتتخذن على مكانهم مسجدا للعباد ؟ .

٢٢ - سيقول فريق من الخائضين في قصتهم من أهل الكتاب : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقول آخرون : هم خمسة سادسهم كلبهم . ظنا خاليا من الدليل ، ويقول آخرون : هم سبعة وثامنهم كلبهم . قل لهؤلاء المختلفين : ربّي علم علما ليس فوقه علم بعدهم . ولا يعلم حقيقته إلا قليل من الناس أطلعهم الله على عددهم ، فلا تجادل هؤلاء المختلفين في شأن الفتية إلا جدالا ظاهرا لينا دون محاولة اقناعهم ، فإنهم لا يقتنعون . ولا تسأل أحدا منهم عن نبئهم ، فقد جاءك الحق الذي لا مرية فيه .

٢٣ - ولا تقولن لشيء تقدم عليه وتهتم به : إني فاعل ذلك فيما يستقبل من الزمان .

٢٤ - الا قولنا مقترنا بمشيئة الله بأن تقول : ان شاء الله ، وإذا نسيت أمرا فتدرك نفسك بذكر الله ، وقل عند اعتزامك أمرا وتعليقه على مشيئة الله : عسى أن يوفقني ربّي إلى أمر خير مما عزمتم عليه وأرشد منه .

٢٥ - وان الفتية مكثوا في كهفهم نياما ثلاثمائة سنين زادت تسعا (١) .

٢٦ - وقل أيها الرسول للناس : ان الله وحده هو العالم بزمَنهم كله ، انه سبحانه هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض ، فما أعظم بصره في كل موجود ، وما أعظم سمعه لكل مسموع ، وما لأهل السموات والأرض من يتولى أمورهم غيره ، ولا يشرك في قضائه أحدا من خلقه .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة فلكية ، وهي أن ثلاثمائة سنة شمسية تقابلها ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية ، وقد سبقت الآية علم الفلك .

وَلَنْ نَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يَرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمٌ

٢٧ - واقرأ - أيها الرسول - ما أوحى إليك من القرآن، ومنه ما أوحى إليك من نأ الفتنه، ولا تستمع لما يهزون به من طلب تبديل معجزة القرآن بمعجزة أخرى، فإنه لا مغير لما ينشئه الله بكلمة الحق في معجزاته، فإنه لا يقدر أحد على تبديله، ولا تخالف أمر ربك فإنك حينئذ لن تجد غيره ملجأ يحفظك منه.

٢٨ - واحتفظ - أيها الرسول - بصحبة صحابتك من المؤمنين الذين يعبدون الله وحده في الصباح وفي العشي دائما، يريدون رضوانه، ولا تنصرف عيناك عنهم إلى الجاحدين من الكفار لارادة التمتع معهم بزينة الحياة الدنيا، ولا تطع في طرد فقراء المؤمنين من مجلسك من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا، لسوء استعداده، وصار عبدا لهواه، وصار أمره في جميع أعماله بعيدا عن الصواب! والنهي للنبي نهى لفسيره، وأن النبي ﷺ لا يريد الحياة الدنيا وزينتها، ولكن كان اتجاه النهي إليه لكي يحترس غيره من استهواء الدنيا، فإنه إذا فرض فيه ارادة الزينة للأبدان لفرض كل انسان في نفسه ذلك ليحترس.

٢٩ - وقل أيها الرسول: ان ما جئت به هو الحق من عند ربكم، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن، فذلك خير له، ومن شاء أن يكفر فليكفر فإنه لم يظلم الا نفسه. اتنا أعدنا لمن ظلم نفسه بالكفر نارا تحيط بهم كالسرادق. وان يستفت الظالمون بطلب الماء وهم في جهنم. يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة، يحرق الوجوه بلهبه! قبح. هذا الشراب لهم، وقبحت جهنم مكانا لراحتهم!!

٣٠ - أما الذين آمنوا بالله وبيدته الحق الذي يوحى إليك، وعملوا ما أمرهم به ربهم من الأعمال الصالحة، فانا لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من الأعمال..



الْثَوَابُ وَحَسَنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٦﴾ * وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا
بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٧﴾ كُلْنَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَنْظِلْ مِنْهُ شَيْعًا وَفَجَرْنَا خِلْطَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٨﴾ وَكَانَ لَهُ
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٩﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ
مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤٠﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤١﴾
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٤٢﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ

٣٦ - هؤلاء لهم جنات يقيمون فيها منعمين أبداً ، تنساب الأنهار من بين أشجارها وقصورها يتحلون فيها
بمظاهر السعادة في الدنيا ، كالأساور الذهبية ، وملابسهم فيها الثياب الخضر من الحرير على اختلاف أنواعه ،
متكئين فيها على السرر بين الوسائد والستائر ، نعم الثواب لهم ، وحسنت الجنة دار مقام وراحة ، يجدون فيها كل
ما يطلبون .

٣٢ - بين أيها الرسول في شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلاً وقع فيما سلف بين رجلين : كافر
ومؤمن ، وللکافر حديقتان من أعناب ، وأحطناهما بالنخيل زينة وفائدة ، وجعلنا بين الجنتين زرعاً نصراً مثمراً .

٣٣ - وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجاً موفوراً ، ولم تنقص منه شيئاً ، وفجرنا نهراً ينساب
خلالهما .

٣٤ - وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة ، فداخله الزهو بتلك النعم ، فقال لصاحبه المؤمن في
غرور ، وهما يتناقشان : أنا أكثر منك مالا وأقوى عشيرة ونصيراً .

٣٥ - ثم دخل إحدى جنتيه مع صاحبه المؤمن ، وهو مأخوذ بغروره فقال : ما أظن أن تفتي هذه الجنة أبداً ! .

٣٦ - وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت إلى ربى بالبعث كما تزعم ، والله لأجدن خيراً من هذه
الجنة عاقبة لى ، لأننى أهل للنعم في كل حال ، فهو يقيس الغائب على الحاضر ، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء
على الايمان وفعل الخير .

٣٧ - قال صاحبه المؤمن مجيباً له : أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذى خلق أصلك آدم من تراب ، ثم من
نطفة مائية ، ثم صورك رجلاً كاملاً ، فإن اعتزتك بمالك وعشيرتك ، فاذكر ربك وأصلك الذى هو من الطين .

رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطُ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحُ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلْبِثُنِي لِأَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَوْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتَزَلَّجُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَالِمَ كُلِّ شَيْءٍ

٣٨ - لكن أقول : ان الذى خلقنى وخلق هذا العالم كله هو الله ربى ، وأنا أعبد وحده ، ولا أشرك معه أحدا .

٣٩ - ولولا قلت عند دخول جنتك والنظر الى ما فيها : هذا ما شاء الله ولا قوة لى على تحصيله إلا بمعونة الله ، فيكون ذلك شكرا كفيلا بدوام نعمتك . ثم قال له : إن كنت ترائى أقل منك مالا وأقل ولدا ونصيرا ؟

٤٠ - فلعل ربى يعطينى خيرا من جنتك فى الدنيا أو الآخرة ، ويرسل على جنتك قدرا قدره لها كصواعق من السماء ، فتصير أرضا ملساء لا يثبت فيها شئ ، ولا يثبت عليها قدم .

٤١ - أو يصير ماؤها غائرا فى الأرض لا يمكن الوصول اليه ، فلا تقدر على اخراجه لسقيها .

٤٢ - قد عاجل الله الكافر ، وأحاطت المهلكات بئار جنته ، وأهلكها ، وأبادت أصولها . فأصبح يقلب كفيه ندما وتحسرا على ما أنفق فى عمارتها ، ثم عاجلها الخراب ، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدا .

٤٣ - عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز ، وما كان هو بقادر على نصرته نفسه .

٤٤ - فإن النصرة فى كل حال ثابتة لله الحق وحده وهو سبحانه خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له العاقبة .

مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

٤٥ - واذكر - أيها الرسول - للناس مثلا للحياة الدنيا في نضرتها وبهجتها ثم سرعة فنائها ، بأنها كماء أنزل من السماء فارتوى به نبات الأرض فاخضر وأنع ، ثم لم يلبث طويلا حتى جف وصار يابسا متكسرا تفرقه الرياح والله قادر على كل شيء انشاء وافناء .

٤٦ - المال والبنون جمال ومنتعة لكم في الحياة الدنيا وهي قوتها ، ولكن لا دوام لها ، بل هي فانية غير باقية ، والأعمال الصالحة الباقية خير لكم عند الله ، يجزل ثوابها ، وخير أمل يتعلق به الانسان .

٤٧ - وأنذر الناس أيها الرسول بيوم يفنى هذا الوجود فيزيل فيه الجبال وتبصر فيه الأرض ظاهرة مستوية لا يسترها شيء مما كان عليها ، ونحشر فيه الناس للحساب فلا تترك منهم أحدا .

٤٨ - ويعرض الناس في هذا اليوم على الله في جموع مصفوفة للحساب ، ويقول الله تعالى : لقد بعثناكم بعد الموت كما أحييناكم أول مرة ، وجئتمونا فرادى بلا مال ولا بنين ، وكنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والحساب .

٤٩ - ووضع في يد كل واحد كتاب أعماله ، فيبصره المؤمنون فرحين مما فيه ، ويبصره الجاحدون خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ، ويقولون إذا رأوها : ياهلاكنا ، إنا نعجب لهذا الكتاب الذي لم يترك من أعمالنا صغيرة ولا كبيرة إلا سجلها علينا ! ووجدوا جزاء ما عملوا حقا ولا يظلم ربك أحدا من عباده .

٥٠ - واذكر أيها الرسول لهم بدء خلقهم ، ليعلموا أنهم من الطين ، وليس لهم أن يفتروا بما هم فيه ويخضعوا بعدو أيهم ابليس ، لأنه كان من الجن فاستكبر وتمرد على الله ، فكيف بعد ما عرفتم من شأنه تتخذونه وذريته أنصارا لكم من دون الله ، وهم لكم أعداء ؟! قبح هذا البديل لمن ظلم نفسه فأطاع الشيطان .

* مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ۝٥١ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۝٥٦ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۝٥٧ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٨ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۝٥٩ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ

٥١ - ما أحضرت ابليس ولا ذريته خلق السموات والأرض . ولا أشهدت بعضهم خلق بعض لأستعين بهم . وما كنت في حاجة الى معين فضلا عن أن اتخذ المفسدين أعوانا ، فكيف تطيعون الشيطان وتعصوني .

٥٢ - واذكر لهم يوم يقول الله للمشركين : نادوا الذين ادعيتم في الدنيا انهم شركائى في العبادة ليشفعوا لكم بزعمكم ، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم وجعلنا الآن ما كان بينهم هلاكا للكفار ، بعد أن كان في الدنيا تواصل عبادة ومحبة .

٥٣ - وعابن المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها ، ولم يجدوا بديلا عنها مكانا يحلون فيه .

٥٤ - ولقد ذكر الله للناس في هذا القرآن الذى كفروا به . وطلبوا معجزة أخرى غيره ، مثلا متنوعة ليعظم بها فيها ، ولكن الانسان في طبيعته حب الجدل فإذا كان جاحدا جادل بالباطل .

٥٥ - وما منع المشركين من الايمان حين جاءهم سبب الهدى ، وهو الرسول والقرآن ليؤمنوا ويستغفروا الله ، إلا تمنعهم وطلبهم من الرسول أن تأتيم سنة الله في الأولين . وهى الهلاك المستأصل الذى أتى الأولين ، أو تأتيم العذاب عيانا .

٥٦ - ولكن الله لا يرسل رسله إلا للتبشير والانذار ، ولم يرسلهم ليقترح عليهم المعاندون معجزات معينة ، ولكن الذين كفروا يعرضون عن الحجة ، ويجادلون المرسلين بالباطل ليبطلوا الحق وقد وقفوا من القرآن والنذر موقف المستهزئ الساخر الذى يعنى بطلب الحقائق .

فَلَن يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا ۝٥٧ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجِلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ۝٥٨ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أَرِحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا نَدْعَا نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا اتَّبَعَهُ

٥٧ - وليس أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه فلم يتدبرها ، ونسى عاقبة ما عمل من المعاصي ! إنا بسبب ميلهم الى الكفر جعلنا على قلوبهم أغطية ، فلا تعقل ولا يصل اليها النور ، وفي آذانهم صمما فلا تسمع سماع فهم ! وان تدعهم أيها الرسول الى الدين الحق فلن يهتدوا ما دامت هذه طبيعتهم البتة .

٥٨ - وربك العظيم المغفرة لذنوب عباده ، صاحب الرحمة الواسعة لمن أناب إليه منهم ، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من السيئات لعجل لهم العذاب كما سلف لغيرهم ، ولكنه لحكمة قدرها آخرهم لموعدهم ينذرون فيه أشد العقاب ولن يجدوا ملجأ يحفظهم منه .

٥٩ - وما هي ذى القرى الماضية التي دمرناها لما ظلم أهلها بتكذيب رسلهم ، وجعلنا لهلاكهم موعدا لا يتخلف ، فكذلك حال المكذبين من قومك إذا لم يؤمنوا .

٦٠ - وان علم الله لا يحيط به أحد ، الا أن يعطيه نبيا أو صالحا ، واذكر أيها الرسول أن موسى بن عمران قال لفناه خادمه وتلميذه : لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أسير زمنا طويلا .

٦١ - فلما بلغ موسى وفناه المكان الجامع بين البحرين نسيا فيه حوتها الذي حملاه بأمر الله ، فاتخذ في البحر واتخذ طريقه في الماء .

٦٢ - فلما ابتعد موسى وفناه عن المكان ، وأحسا بالجوع والتعب ، قال موسى لفناه : آتنا ما نتغذى به ، لقد لقينا في سفرنا هذا تعبًا ومشقة .

٦٣ - قال له فناه : اتذكر حين التجأنا الى الصخرة ، فاني نسيت الحوت ، وما أنساني ذلك إلا الشيطان ، ولا بد أن يكون الحوت اتخذ سبيله في البحر ، واني لأعجب من نسياني هذا .

٦٤ - قال له موسى : إن هذا الذي حدث هو ما كنا نطلبه لحكمة ارادها الله ، فرجعا في الطريق الذي جاءا منه يتبعان أثر سيرهما .

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَحَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٥ - حتى وصلا الصخرة ، فوجدنا عبدا من عبادنا الصالحين ، أعطيناه الحكمة ، وعلمناه من عندنا علما غزيرا .

٦٦ - قال موسى للعبد الصالح : هل أسير معك على أن تعلمني مما علمك الله ؟

٦٧ - قال له : انك لن تستطيع الصبر على مصاحبي .

٦٨ - وكيف يمكنك الصبر على شيء لا خبرة لك بمثله . ؟

٦٩ - قال موسى : ستراني ان شاء الله صابرا مطيعا فيما تأمر به .

٧٠ - قال العبد الصالح : فإن اتبعني ورأيت ما تنكره ، فلا تفاتحنى بالسؤال عنه حتى أحدثك عنه .

٧١ - فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى وجدا سفينة ، فركباها ، فخرقها العبد الصالح في أثناء سيرها ، فاعترض موسى قائلا : أخرجتها قاصدا اغراق أهلها ، لقد ارتكبت أمرا منكرا . !

٧٢ - قال العبد الصالح : انني قلت لك انك لن تستطيع الصبر على مصاحبي .

٧٣ - قال له موسى : لا تؤاخذني على نسيان وصيتك ، ولا تكلفني مشقة في تحصيل العلم منك وتجعله عسيرا .

٧٤ - وبعد أن خرجا من السفينة ذهابا منطلقين ، فلقيا في طريقهما صبيا قتلته العبد الصالح ، فقال موسى مستنكرا : أتقتل نفسا طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحدا ؟ . لقد أتيت فعلا مستنكرا . !

* قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنَّا لَنَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا

٧٥ - قال العبد الصالح لموسى : لقد قلت لك : انك لن تستطيع صبرا على السكوت عن سؤالي .

٧٦ - قال موسى : إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني ، لأنك قد بلغت الغاية التي تعذر بها في فراقى .

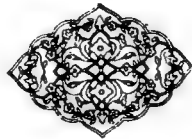
٧٧ - فسارا حتى أتيا قرية ، فطلبا من أهلها طعاما ، فأبوا ضيافتها ، فوجدا فيها جدارا مائلا يكاد يسقط ، فنقضه العبد الصالح ، وبناء حتى أقامه ، قال موسى : لو شئت طلب أجر على النقص والبناء لفعلت .

٧٨ - قال العبد الصالح : هذا التعرض منك مرارا لما أفعل سبب الفراق بينى وبينك . وسأخبرك بحكمة هذه التصرفات التي خفي عليك أمرها ، ولم تستطع صبرا على ما خفي حتى تعرف حقيقته وسره .

٧٩ - أما السفينة التي خرقتها ، فهي لضعفاء محتاجين يعملون بها في البحر لتحصيل رزقهم ، فأردت أن أحدث بها عيبا يزهد فيها ، لأن خلفهم ملكا يفتصب كل سفينة صالحة .

٨٠ - وأما الغلام الذي قتلته ، فكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا - ان عاش - أنه سيصير سببا لكفرهما .

٨١ - فأردنا بقتله أن يعوضها الله عنه خيرا منه ديناً وأعظم برا وعظفا .



رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَاسْأَلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَهَآءِ آيَاتُنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَأْذُنَا الْقَرْنَيْنِ ۖ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا

٨٢ - وأما الجدار الذي أفتته - دون أجر - فكان لفلايين يتيمين من أهل المدينة ، وكان تحته كنز تركه أبوهما لها ، وكان رجلا صالحا ، فأراد الله أن يحفظ لها الكنز حتى يبلغا رشدهما ، ويستخرجاه ، رحمة بها ، وتكريما لأبيهما في ذريته . وما فعلت ما فعلت باجتهادى إنما فعلته بتوجيه من الله ، هذا تفسير ما خفى عليك ياموسى ولم تستطع الصبر عليه .

٨٣ - يسألك - أيها الرسول - بعض الكفار عن نبأ ذى القرنين ، فقل لهم سأقص عليكم بعض أخباره .

٨٤ - لقد مكنا لأمره فى الأرض ، يتصرف فيها بتدبيره وسلطانة ، وآتيناه الكثير من العلم بالأسباب ما يستطيع به توجيه الأمور .

٨٥ - فاستعان بهذه الأسباب على بسط سلطانه فى الأرض ، واتخذ سببا يوصله الى بلوغ المغرب .

٨٦ - وسار حتى وصل الى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس فى رأى العين تغرب فى مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه العين وجد ذو القرنين قوما كافرين ، فألهم الله أن يتخذ فيهم أحد أمرين : إما أن يدعوهم الى الايمان ، وهذا أمر حسن فى ذاته ، وإما أن يقاتلهم إن لم يجيبوا داعى الايمان .

٨٧ - فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك ، استحق العذاب الدنيوى على يديه ، ثم يرجع الى ربه فيعذبه عذابا شديدا ليس معروفا لهم .

٨٨ - وأن من استجاب له وآمن بربه وعمل صالحا ، فله العاقبة الحسنى فى الآخرة ، وسنعامله فى الدنيا برفق

ويسر . .

٨٩ - ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعينا بتوفيق الله ، واتبع سببا للوصول الى مطلع الشمس مشرقا .

بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

٩٠- حتى بلغ مشرق الشمس - في رأى العين - في نهاية ما وصل اليه من العمران فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى ، لا يسترم من حرها ساتر .

٩١- وكما دعا ذو القرنين السابقين من أهل المغرب إلى الايمان ، دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الاولى .

٩٢- ثم سار كذلك مستعينا بما هبأ الله من أسباب التوفيق ، سالكا طريقا بين الشرق والغرب .

٩٣- حتى وصل - في رحلته الثالثة - إلى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين . . وهناك وجد قوما لا يفقهون ما يقال لهم إلا في عسر ومشقة (١) .

٩٤- فلما آنسوا فيه القوة والقدرة طلبوا منه أن يقيم لهم سدا في وجه يأجوج ومأجوج ، وهم قوم كانوا يغيرون عليهم ، فيفسدون في أرضهم ويخربون ، على أن يجعلوا له ضريبة في نظير هذا العمل .

٩٥- فرد عليهم قائلا : إن ما منحنىه الله من الثروة والسلطان خير مما تعرضون على . وشرع يقيم السد ، طالبا منهم أن يعينوه بكل ما يقدرون عليه من رجال وأدوات ، ليحقق لهم ما أرادوه .

٩٦- وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد فجمعوا له منها ما أراد ، فأقام به سدا عاليا ساوى به بين حافتي الجبلين ، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه النار ، فأوقدوها حتى انصهر الحديد ، فصب عليه النحاس المذاب فأصبح سدا صلبا منيعا .

(١) السد بين الجبلين المذكورين في التفسير ، هما جبلان : أفريجان وأرمينية ، وقيل هما جبلان في أواخر الشمال منقطع أرض التركستان .

فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ جَمْعَهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾
وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ
سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَحْسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
ثَزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِلَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَخَبِطَ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

٩٧- فما استطاع هؤلاء المغيرون أن يتسلقوا السد لارتفاعه ، ولا أن يثقبوه لصلابته .

٩٨- وبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد ، قال شاكرًا لله : هذا السد رحمة من ربي بعباده ، وسيظل قائمًا حتى
يحيى أمر الله بهدمه ، فيصير أرضًا مستوية ، وأمر الله نافذ لا محالة .

٩٩- ونفذ إتمام السد ، ظل يأجوج ومأجوج من ورائه يضطربون فيما بينهم ، وحبس شرهم عن الآخرين ، فإذا
كان يوم القيامة ونفخ في الصور ، جمع الله الخلائق جميعًا للحساب والجزاء .

١٠٠- وعند ذلك يبرز الله جهنم للكافرين ابرازًا يروعهم ويحشرهم فيها .

١٠١- وذلك لأن أعينهم في الدنيا كانت في غفلة عن التبصر في آيات الله كأن عليها غطاء وكانوا لضلالتهم
لا يستطيعون سماع دعوة الحق كفاقدى حاسة السمع^(١) .

١٠٢- هل عميت بصائر الذين كفروا ، فظنوا أن اتخذاهم آلهة من عبادى كالملائكة وعيسى يعبدونها من
دوني ، نافع لهم وصارف عنهم العذاب ؟! انا اعتدنا لهم جهنم مقرا ينالون فيه ما يستحقون من جزاء ..

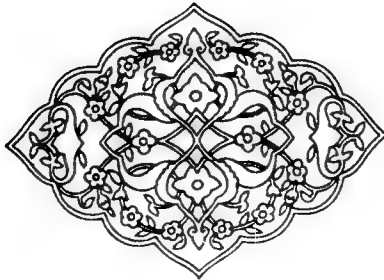
١٠٣- قل أيها الرسول لهؤلاء الكافرين : هل أخبركم بأشد الناس خسرانا لأعمالهم ، وحرمانا من ثوابها ؟ .

١٠٤- هم الذين بطل عملهم في الحياة الدنيا لفساد اعتقادهم ، وهم يعتقدون أنهم يحسنون بعملهم صنيعا !

(١) « الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سماع » : الذين كانت أعينهم في غفلة عن تدبير مواضع التذكير
بي في السموات والأرض ، وبذلك تدعو الآية الكريمة إلى دراسة كل ما يحيط بالإنسان من شواهد دالة على وجود الله .

وَزَنَّا ۝١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١٠٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ۝١٠٨ قُلْ لَوْ كَانَتِ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝١٠٩ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ فَنَ كَان يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ۖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝١١٠

- ١٠٥ - هؤلاء هم الذين كفروا بدلائل قدرة الله ، وأنكروا يوم البعث والحساب ، فضاعت أعمارهم واستحقوا يوم القيامة التحقير والاهمال ، إذ ليس لهم عمل يعتد به !
- ١٠٦ - ذلك الذى بيناه وفصلناه شأن هؤلاء وجزاؤهم عليه جهنم ، بسبب كفرهم وسخريتهم بما أنزل الله من آيات وما أرسل من رسل .
- ١٠٧ - ان الذين صدقوا فى الايمان وعملوا الأعمال الصالحة ، جزاؤهم جنات الفردوس ينزلون فيها .
- ١٠٨ - وينعمون أبدا لا ييغون عنها بديلا .
- ١٠٩ - قل أيها الرسول للناس : ان علم الله محيط بكل شئ ، ولو كان ماء البحر مدادا يسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته ، لنفد هذا المداد ، ولو مد بمثله قبل أن تنفذ كلمات الله ! .
- ١١٠ - قل أيها الرسول للناس : انما أنا انسان مثلكم ، مرسل اليكم أعلمكم ما علمنى الله اياه ويوحى الى انما الهكم اله واحد لا شريك له ، فن كان يطمع فى لقاء الله وثوابه فليعمل الأعمال الصالحة مخلصا وليتجنب الاشراك بالله فى العبادة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيِّصٍ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ

هذه السورة مكية ، وليس فيها مدنى إلا آية ٥٨ ، ٧١ ، وعدد آياتها ٩٨ آية ، وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ككثير من السور ، وفيها قصة ولادة يحيى بن زكريا عليها السلام ، وطلب زكريا الولد بعد أن بلغ من الكبر عتيا ، ومع أن امرأته عاقرة ، ولقد ذكر من بعد ذلك قصة السيدة البتول مريم عليها السلام ، ولادتها للمسيح عليه السلام ، ثم ذكرت قصة ابراهيم عليه السلام ، ودعوته الى الوحدانية وطلبه من أبيه أن يهجر عبادة الأوثان ، وما كان بينها من مجاوبات حول الأوثان وسيطرة الشيطان .

وفيها اشارة الى الأنبياء من ذرية ابراهيم : اسماعيل واسحق وذرية اسحق ثم اشارة الى قصة ادريس عليه السلام وذكر بعد ذلك سبحانه الأخلاف الذين جاءوا بعد النبيين من طائعين وعصاة وذكر أن الجنة هى جزاء المؤمنين ، والنار هى جزاء الكافرين ، واحوال الكافرين فى جهنم وأشار سبحانه الى المنحرفين الذين يقولون : ان الله اتخذ ولدا ..

وقد بين سبحانه منزلة القرآن ، وأنذر الكافرين . وضرب الأمثال على هلاك العاصين للأنبياء وأشار الى أنهم لا آثار لهم .

١ - حروف صوتية لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعون .

٢ - هذا أيها الرسول قصص ربك عن رحمته لعبده ونبيه زكريا .

٣ - حين التجأ الى الله ودعاه فى خفية عن الناس .

٤ - فقال : رب انى قد ضعفت وشاب رأسى ، وكنت بدعائك غير شقى يارب ، بل كنت سعيدا مستجاب الدعوة .

أَمْرًا نِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يٰزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ وَلَمْ يَكُنْ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُدْخَلُ

۵ - وانی خفت آقاری ایا میسنوا القیام علی امر الدین بعد موتی ، وكانت ولا تزال امرأتی عقیما ، فارزقنی من فضلك غلاما یخلفنی فی قومی .

۶ - یرثنی فی العلم والدين ، ویرث من آل یعقوب الملك ، واجعله یارب مرضیا عندك وعند الناس .

۷ - فنودی : یازکریا انا نبشرك بغلام سميناه یحیی ، ولم نسم به احدا قبل .

۸ - قال زکریا متعجبا : یارب کیف یكون لی ولد وزوجی عقیم وأنا فی سن الشیخوخة ؟ .

۹ - فأوحى الله لعبده زکریا ، أن الأمر كما بشرت به ، وأن منحك الولد مع کبر السن وعقم الزوج هین علی ولا تستبعد ذلك فقد خلقتك من قبل ولم تک شیئا موجودا .

۱۰ - قال زکریا : رب اجعل لی علامة تدل علی حصول ما بشرت به . قال الله تعالى : علامتك أن تحبس عن الكلام ثلاث لیل ، وأنت سلیم الحواس واللسان .

۱۱ - فخرج زکریا علی قومه من مصلاه ، فأشار اليهم أن سبّحوا الله صباحا ومساء ..

۱۲ - ولد یحیی ، وشب ثم نودی ، وأمر بأن یعمل بما فی التوراة ، فی جد وعزم ، وقد آتاه الله فی طور الصبا فقه الدین وفهم الأحکام .

۱۳ - وطبعه الله علی الحنان ، وسمو النفس ونشأه علی التقوی .

۱۴ - وجعله الله کثیر البر بوالديه ، والاحسان اليها ولم یجعله متجبرا علی الناس ، ولا عاصیا لله .

يَبْعَثُ حَيًّا ⑤ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا ⑥ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ⑦ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ⑧ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ⑨ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ⑩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ ⑪ وَلِنَجْعَلَ لَهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ⑫ * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ⑬ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ⑭ فَنادَیْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ⑮ وَهَرِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ

١٥ - وسلامة له وأمان، أن يمسه ضرر أو أذى يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه حيا.

١٦ - واذكر أيها الرسول ما في القرآن من قصة مريم، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس، وذهبت الى مكان جهة الشرق من مقامها.

١٧ - وضربت بينها وبينهم حجابا، فأرسل الله اليها جبريل في صورة انسان تم الخلق، حتى لا تفزع من رؤيته، في هيئته الملكية التي لا تألفها..

١٨ - قالت: مريم اني التجئ الى الرحمن منك، أن يرجى منك أن تتق الله، وتحشاه.

١٩ - قال الملك: ما أنا الا رسول من ربك لاكون سببا في أن يوهب لك غلام طاهر خير.

٢٠ - قالت مريم: كيف يكون لي غلام ولم يقربني انسان، ولست فاجرة؟.

٢١ - قال الملك: الأمر كما قلت: لم يمسه رجل. قال ربك: اعطاء الغلام بلا أب على سهل، وليكون ذلك آية للناس تدل على عظيم قدرتنا، كما يكون رحمة لمن يهتدى به. وكان خلق عيسى أمرا مقدرا لا بد منه.

٢٢ - وتحققت ارادة الله، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذي اراده الله، وذهبت بحملها الى المكان البعيد عن الناس.

٢٣ - فألجأها ألم الولادة، الى أن تركز الى جذع نخلة لتستند اليه وتستتر به، وتخيلت ما سيكون من انكار أهلها هذا الأمر، وتمنت لو أدركها الموت، وكانت شيئا منسيا لا يذكر.

٢٤ - فناداها الملك من مكان منخفض عنها: لا تحزني بالوحدة وعدم الطعام والشراب ومقالة الناس، قد جعل ربك بالقرب منك نهرا صغيرا.

النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ٢٥ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَلَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ٢٦ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ قَالُوا يَمْرُومُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْعًا قَرِيبًا ٢٧
يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ٢٨ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ٣٠ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ٣١ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٢ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٣ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ

٢٥ - وهزى النخلة نحوك يتساقط عليك الرطب الطيب (١).

٢٦ - فكللى منه واشربى ، وطيبى نفسا . فإن رأيت احدا من البشر ينكر عليك أملك . . فأشيرى اليه انك صائغة عن الكلام ولن تتحدثى اليوم إلى أحد .

٢٧ - فأقبلت مريم على أهلها تحمل عيسى ، فقالوا لها فى دهشة واستنكار : لقد أتيت أمرا فظيحا منكرا .

٢٨ - يا سلالة هارون النبى التقى الورع ، كيف تأتين ما أتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق وما كانت أملك فاجرة (٢) .

٢٩ - فأشارت الى ولدها عيسى ليكلموه . فقالوا : كيف نتحدث مع طفل لا يزال فى المهد .

٣٠ - فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله فقال : انى عبد الله سيؤتىنى الانجيل ، ويختارنى نبيا .

٣١ - ويجعلنى مباركا معلما للخير نفاعا للناس ، ويأمرنى بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتى .

٣٢ - كما يأمرنى أن أكون بارا بالذى ، ولم يجعلنى متجبرا فى الناس ، ولا شقيا بمعصيته .

٣٣ - والأمان من الله على يوم ولادى ، ويوم موتى ، ويوم بعثى حيا .

٣٤ - ذلك الموصوف بهذه الصفات ، هو عيسى ابن مريم ، وهذا هو القول الحق فى شأنه ، الذى يجادل فيه المبطلون ويشك فى أمر نبوته الشاكون .

(١) « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » : ثبت أن البلح الرطب يحتوى على المواد الغذائية الرئيسية فى صورة مركزة سهلة الهضم وأنه بذلك يناسب النساء .

(٢) « يا أخت هارون ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا » : ذكر فى دائرة المعارف الإنجليزية أن القرآن غلط غلطا تاريخيا حين قال : يا أخت هارون فى سورة مريم مع أن بين مريم وهارون أخى موسى مئات السنين ، وقد غفلوا عن أن الاخوة تطلق فى لسان العرب على الاخوة الشبية ، فالمراد يا من اشبهت هارون فى الصلاح والتقوى ، ما الذى غير حالك من الصلاح إلى ضده . وما كان أبوك أمرا سوء . بأنى الحننا ، وما كانت أمك امرأة فحش .

سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾
فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا
لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ
إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَأْتِبِ

۳۵ - وما صح ولا استقام في العقل أن يتخذ الله ولدا - نزهه الله عن ذلك - وشأنه سبحانه أنه إذا قضى أمرا من الأمور نفذت إرادته لا بحالة .. بكلمة - كن - فيتحقق في الوجود كائنا .

۳۶ - وإن الله سيدي وسيدكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به أحدا ، وهذا الذي دعوتكم اليه طريق يوصلكم الى السعادة .

۳۷ - ومع ما تقدم من قول الحق في عيسى ، قد اختلف أهل الكتاب فيه وذهبوا مذاهب شتى . والعذاب الشديد يوم يحضرون موقف الحساب ، ويشهدون موقف القيامة ويلقون سوء الجزاء .

۳۸ - ما أشد سمعهم وأقوى بصرهم يوم يلقون الله !! لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم ، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر ، في ضلال عن الحق ، ظاهر لا يخفى .

۳۹ - وحذر أيها الرسول هؤلاء الظالمين ، يوما يتحسرون فيه على تفریطهم في حق الله وحق أنفسهم - وقد فرغ من حسابهم ، ونالوا جزاءهم - وقد كانوا في الدنيا غافلين عن ذلك اليوم ، لا يصدقون بالبعث ولا بالجزاء .

۴۰ - الا فليعلم الناس أن الله هو الوارث لهذا الكون وما فيه ، وحسابهم على الله .

۴۱ - واذكر أيها الرسول للناس ، ما في القرآن من قصة ابراهيم ، أنه كان عظيم الصدق ، قولا وعملا ، مخبرا عن الله تعالى .

۴۲ - واذكر حين وجه ابراهيم الخطاب الى أبيه في رفق قائلا له : يا أبى كيف تعبد أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تجلب لك خيرا ، ولا تدفع عنك شرا ؟!



إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَأْتِبُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَأْتِبُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ
أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يٰأَبْرَاهِيمُ لَنْ لَرَبِّكَ أَنْتَ لَرَبِّكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي
إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرَلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا أَعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا

٤٣ - يا أبى ، لقد جاءنى من طريق الوحى الالهى ما لم يأتك من العلم بالله ، والمعرفة بما يلزم الانسان نحو
ربه ، فاتبعنى فيما ادعوك اليه من الايمان ، أدلك على الطريق المستقيم ، الذى يوصلك الى الحق والسعادة .

٤٤ - يا أبت : لاتطع الشيطان فيما يزين لك من عبادة الأصنام ، فإن الشيطان دأب على معصية الرحمن
ومخالفة أمره .

٤٥ - يا أبت : انى أخشى إن أصررت على الكفر أن يصيبك عذاب شديد من الرحمن ، فتكون قرينا للشيطان
فى النار تليه وبليك .

٤٦ - قال الأب لابراهيم منكرا عليه ، مهددا له : كيف تنصرف عن آلهتى يا ابراهيم وتدعونى الى عبادة
الهلك ؟ لئن لم تكف عن شتم الأصنام لاضررنك بالحجارة ، فاحذرنى واتركنى زمانا طويلا ، حتى تهدأ ثائرتى عنك .

٤٧ - تلتطف ابراهيم مع ابيه وودعه قائلا : سلام عليك منى ، وسأدعو لك ربي بالهداية والمغفرة ، وقد عودنى
ربي أن يكون رحما بى وقريبا منى .

٤٨ - وهأنذا أهجركم وأبتعد عما تعبدون من دون الله ، وأعبد ربي وحده - راجيا أن يقبل طاعتى ولا يخيب
رجائى .

٤٩ - فلما فارق ابراهيم اياه وقومه وآلهتهم ، أكرمهم الله بالذرية الصالحة ، على يأس منها ، إذ بلغ هو وزوجه
حد الكبر ، الذى لا ينجب ، فوهب له اسحق ، ورزقه من اسحق يعقوب ، واختار منها نبيا .

وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَآذْكَرْفِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَرْنَاهُ
 مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَآذْكَرْفِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ
 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾
 وَآذْكَرْفِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
 إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ * نَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا

۵۰ - وأعطيناهم فوق منزلة النبوة كثيرا من خير الدين والدنيا برحمتنا ، وأورثناهم في الدنيا ذكرى طيبة خالدة بلسان صدق على يتحدث بذكرهم .

۵۱ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة موسى ، انه كان خالصا بنفسه وقلبه وجسمه لله ، وقد اصطفاه الله للنبوة والرسالة .

۵۲ - وكرمناه ، فتأديناه عند جبل الطور ، وسمع موسى النداء الالهى من الجهة اليمنى ، وقربناه تقريبا تشريفا ، واصطفيناه للمناجاتنا .

۵۳ - ومنحناه من رحمتنا ونعمنا ، واختارنا معه أخاه هارون نبيا ، يعاونه في تبليغ الرسالة .

۵۴ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة اسماعيل . . انه كان يصدق في وعده ، وقد وعد أباه بالصبر على ذبحه له ، ووفى بوعده ففداه الله وشرفه بالرسالة والنبوة .

۵۵ - وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وكان في المقام الكريم من رضا ربه .

۵۶ - واتل - أيها الرسول - على الناس مافي القرآن من قصة ادريس ، انه كان شأنه الصدق قولاً وفعلًا وعملًا . وقد منحه الله شرف النبوة .

۵۷ - وقد رفعه الله بذلك مكانا ساميا .

۵۸ - أولئك الذين سلف ذكرهم ، ممن أنعم الله عليهم من النبيين ، بنعم الدنيا والآخرة ، من ذرية آدم ومن ذرية من نجاه الله مع نوح في السفينة ، ومن ذرية ابراهيم كاسماعيل ، ومن ذرية يعقوب كأنبيا بنى اسرائيل ، ومن هديناهم الى الحق ، واختارناهم لاعلاء كلمة الله . . هؤلاء اذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم ، خشعوا وخروا ساجدين لله متضرعين له .

الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُنْخَرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَدَّ يَكَ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ

۵۹ - ثم جاء بعد هؤلاء الاخيار أجيال على غير هديهم ، تركوا الصلاة ، وأهلوا الانتفاع بهديها ، وانهمكوا في المعاصي ، وسيلق هؤلاء جزاء غيهم وضلالهم في الدنيا والآخرة .

۶۰ - لكن من تداركوا أنفسهم بالتوبة ، وصدقوا الايمان ، والعمل الصالح ، فان الله يقبل توبتهم ، ويدخلهم الجنة ، ويوفهم أجورهم .

۶۱ - هذه الجنات دار خلود ، وعد الرحمن بها عباده التائبين ، فآمنوا بها بالغيب ، فهم داخلوها لِمَحَالَّةٍ ، فان وعد الله لا يتخلف .

۶۲ - وهم في تلك الجنات لا يجرى بينهم لغو الحديث ، ولا يسمعون الا خيرا وأمانا ، ورزقهم فيها رغد مكفول دائما .

۶۳ - وانما يؤتى الله تلك الجنة ، ويملكها لمن كان تقيا في الدنيا ، بترك المعاصي وفعل الطاعات .

۶۴ - وحين دخولهم ، واستقرارهم فيها ، يقولون حامدين لله : ما دخلنا في الجنة ، ولا نتنقل فيها من منزل الى منزل ، الا بأمر الله وفضله ، فهو سبحانه المالك والمدبر ، العالم بمستقبلنا وماضينا ، وما بين ذلك ، ولا ينسى الله تحقيق وعده لمن وعده من عباده المتقين .

۶۵ - فهو سبحانه الخالق المالك للسموات والارض وما بينهما ، والمدبر لشؤونها ، والمستحق وحده للعبادة ، فاعبده أيها المخاطب ، وثابر على عبادته صابرا مطمئنا ، فهو سبحانه المستحق - وحده - للعبادة ، وليس له نظير يستحق العبادة ، أو يسمى باسم من أسمائه ..

۶۶ - ويقول الانسان مستغربا البعث : كيف أبعث حيا بعد الموت والفناء ؟!!

۶۷ - كيف يستغرب قدرة الله على البعث في الآخرة ، ولا يذكر انه تعالى خلقه في الدنيا من عدم ، مع أن إعادة الخلق أهون من بدئه في حكم العقل .

لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ
بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ وَإِذَا نُتِلَّىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ وَكُرِّهَ أَهْلُكَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنَأُ وَرِيًّا ۖ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ
لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ

۶۸ - وإذا كان أمر البعث غريباً ينكره الكافرون، فوالذي خلقك ورباك وغماك، لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع شياطينهم، الذين زينوا لهم الكفر، وسنحضرهم جميعاً حول جهنم، جاثين على ركبهم في ذلة، لشدة الهول والفرع.

۶۹ - ثم لنزعمن من كل جماعة أشدهم كفراً بالله، ونمرداً عليه، فيدفع بهم قبل سواهم إلى أشد العذاب.
۷۰ - ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم إلى دخول جهنم والاصطلاء بملهيها.

۷۱ - وإن منكم معشر الخلق إلا حاضر لها، يراها المؤمن ويمر بها، والكافر يدخلها، وتنفيذ هذا أمر واقع حتماً، جرى به قضاء الله.

۷۲ - ثم اتنا نشمّل المتقين برحمتنا، فننجيهم من جهنم، ونترك بها الذين ظلموا أنفسهم جاثين على ركبهم، تعذيباً لهم.

۷۳ - وكان الكافرون في الدنيا، إذا تليت عليهم آيات الله واضحة الدلالة، أعرضوا عنها، وقالوا للمؤمنين - معترزين بما لهم وجمعهم - : لستم مثلنا حظاً في الدنيا، فنحن خير منكم منزلاً ومجلساً، فكذاك سيكون حظنا في الآخرة التي تؤمنون بها.

۷۴ - وكان على هؤلاء الكافرين أن يتعظوا بمن سبقهم من أمم كثيرة، كفرت بالله وكانوا أحسن منهم حظاً في الدنيا، وأكثر متاعاً، وأبهى منظراً، فأهلكهم الله بكفرهم - وهم كثيرون - وفي آثارهم عبر لكل معتبر.

جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾
 أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَاقِبَتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ آتَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا
 سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَزِّنُ مَا يَقُولُ وَبِأَتِينَا فَردًّا ﴿٨٠﴾ وَآتَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَأْنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ

٧٥ - قل - أيها الرسول - هؤلاء : من كان في الضلالة والكفر أمهله الرحمن ، وأمل له في العمر ، ليزداد طغيانا وضلالا ، وسيردد الكفار قوهلم للمؤمنين : أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ؟ إلى أن يشاهدوا ما يوعدون ، أما تعذيب المسلمين إياهم في الدنيا بالقتل والاسر واما خزي القيامة لهم ، فحينئذ يعلمون أنهم شر مثلا وأضعف انصارا .

٧٦ - أما المؤمنون بآيات الله ، فحينما يسمعونها ، يقبلون عليها ، ويزيدهم الله بها توفيقا لحسن العمل ، والاعمال الصالحة خير وأبقى عند الله ثوابا وعاقبة .

٧٧ - تعجب أيها الرسول من أمر الكافر بآيات الله ، الذي فتنه دنياه ، فأنكر البعث وقال - مستهزئا - : ان الله سيعطيني في الآخرة التي تزعمونها مالا وولدا أعتر بها هناك ، وظن ان الآخرة كالدينا ، تقاس عليها ، ونسى أنها جزاء الخير والشر ، وان الفضل فيها بالعمل الصالح .

٧٨ - فهل اطلع ذلك الكافر على الغيب ، حتى يخبر عن صدق ، وهل أخذ من الله عهدا بذلك حتى يتعلق بأمل ؟ .

٧٩ - فليرتدع عما يفتره ، فانتا نحصى عليه افتراءه ، وسيصل عذابه ممدودا مدا طويلا لا يتصوره .

٨٠ - سيسلبه الله ما يعتز به في الدنيا ، من مال وولد ، ويهلكه ، ويأتي في الآخرة وحيدا منفردا ، دون مال أو ولد أو نصير .

٨١ - أولئك الكافرون اتخذوا غير الله إلهة مختلفة عبدها ، لتكون لهم شفعا في الآخرة .

٨٢ - عليهم ان يرتدعوا عما يظنون ، سيجحد الآلهة عبادتهم وينكرونها . ويكون هؤلاء المعبودون خصما للمشركين ، يطالبون بتعذيبهم .

عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ
وَقَدْ ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ
الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

۸۳ - ألم تعلم ، أيها الرسول ، أننا مكنا الشياطين من الكافرين - وقد استحوذت على هؤلاء الكافرين - تغريهم
وتدفعهم الى التمرد على الحق فانقادوا لها ..

۸۴ - فلا يضيق صدرك - أيها الرسول - بكفرهم ، ولا تستعجل لهم العذاب ، فانما تركهم في الدنيا امدًا محدودا
ونحصى عليهم افعالهم وذنوبهم ، لنحاسبهم عليها في الآخرة ..

۸۵ - اذكر - أيها الرسول اليوم الذي نجتمع فيه المتقين الى جنة الرحمن وفودا وجماعات مكرمين .

۸۶ - وندفع فيه المجرمين الى جهنم عطاشا ، كاندفاع الدواب العطاش الى الماء .

۸۷ - ولا يملك الشفاعة في هذا اليوم أحد الا من يأذن الله تعالى له ، لعهد كان له .

۸۸ - لقد قال المشركون واليهود والنصارى : ان الله اتخذ ولدا ، من الملائكة أو من الناس .

۸۹ - لقد أتيتهم أيها القائلون ذلك القول أمرا منكرا ، تنكره العقول المستقيمة .

۹۰ - تكاد السموات يشققن منه ، وتنخسف الارض ، وتسقط الجبال قطعا مفتتة .

۹۱ - وانما تقرب حوادث السموات والارض والجبال ان تقع ، لانهم سماؤ الله ولدا .

۹۲ - وما يستقيم في العقل ان يكون لله ولد ، لان اثبات الولد له يقتضي حدوثه وحاجته .

۹۳ - ما كل من في السموات والارض الا سيأتى الله سبحانه يوم القيامة عبدا خاضعا لألوهيته .

۹۴ - لقد أحاط علمه بهم جميعا وبأفعالهم ، فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شيء من أفعالهم .

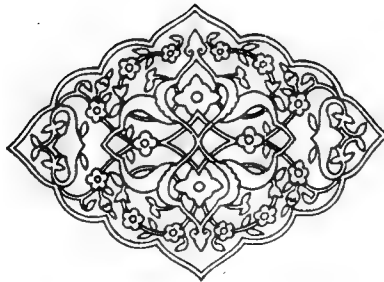
۹۵ - وهم جميعا يجيئون اليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد والمال .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ﴿٩٧﴾ وَكَرَّ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِصُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

۹۶ - ان المؤمنین العاملين الصالحات یحبهم الله ، وحبیبهم الى الناس .

۹۷ - فانما یسرنا القرآن بلسانك لتبشر برضا الله ونعمه من اتبع أوامره واجتنب نواهیه . وتنذر بسخط الله وعذابه من كفر به واشتد فی خصومته .

۹۸ - فلا یحزنك - أيها - الرسول - عنادهم لك ، فقد أهلك الله قبلهم كثيرا من الأمم والأجیال ، لعنادهم ولكفرهم ، ولقد اندثروا ، فلا ترى منهم أحدا ، ولا تسمع لهم صوتا ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ

هذه السورة سورة مكية الا آيتين : هما الآية رقم ١٣٠ . ١٣١ . وعدد آياتها ١٣٥ ، وقد ابتدأت السورة بحرفين صوتيين للتنبيه على اعجاز القرآن ، ولحمل السامعين على الانصات . وقد ذكرت منزلة القرآن بعد هذين الحرفين ، وشرفه بشرف منزله ، وهو الله سبحانه وتعالى ، مالك السموات والارض ، والذي يعلم السر ، وما هو أخفى من السر ، ثم ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، وكيف ابتدأ بعث موسى عليه السلام ، وطلبه ان يكون اخوه هارون عليها السلام عوناً له وموازراً ، ثم كيف التقيا بفرعون بعد الهيبة من لقائه لعظم طغيانه ، وفي هذه الاثناء بين الله تعالى نشأة موسى عليه السلام .

وفيهما المجاورة بين موسى وفرعون ، ثم بين موسى عليه السلام والسحرة ، وحال موسى من خوف الهزيمة أمام السحرة ، والتفاف عصاه لما ألقوا من حبال ، ثم فيها كيف انتهى أمر السحرة ، وإيمانهم ، وتعذيب فرعون لهم ، ثم نجاة موسى مع بنى اسرائيل من فرعون ، وكيف غرق فرعون ، وقد تبعهم بعد انفلاق البحر ، وكيف نجى موسى الى الطور ، وقد ترك قومه ليذهب لمناجاة ربه ، ففتنهم السامري ، ووسوس لهم أن يعبدوا هيكلاً عجلاً عمل من الذهب ، وكان مرور الهواء في جوفه يحدث خواراً ، وقد غضب موسى لما حدث ، واخذ برأس اخيه يجره اليه .

ثم جاء في السورة الكريمة ما أصاب السامري ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى العبر في قصص موسى وغيره ، وجاء في آخر السورة بوصايا كريمة بالصبر والعفة والصلاة ، ثم بيان تهافت المشركين في طلبهم معجزة غير القرآن ، وأشار سبحانه الى حكمة ارسال الرسل ، ثم ختمت السورة الكريمة بالاشارة الى ما يكون للكافرين من عذاب ، وما يكون للمؤمنين من ثواب ..

١ - بدأ الله تعالى السورة بهذه الحروف ، لتحدى المنكرين والاشارة الى ان القرآن مكون من هذه الحروف التى تتكلمون بها ، ومع ذلك عجزتم عن الاتيان بسورة قصيرة او آيات من مثله .

٢ - انا ما أوحينا اليك - أيها الرسول - هذا القرآن ليكون سبباً في ارهاق نفسك اسفاً على اعراض المعرضين عنك .

٣ - لكن أنزلناه تذكرة لمن يخاف الله فيطيعه .

وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ❶ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ❷ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْثَرَى ❸ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى ❹ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ❺ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ❻ وَهَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى ❼ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ
هُدًى ❽ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَلْمُوسَى ❾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ❿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⓫
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ⓬ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⓭

٤ - قد نزل عليك هذا القرآن من عند الله القادر خالق الارض والسموات الرفيعة العالية .

٥ - عظيم الرحمة على ملكه استولى .

٦ - له - وحده - سبحانه ملك السموات وما فيها والارض وما عليها ، وملك ما بينها ، وما اختبأ في الارض من معادن وخيرات .

٧ - وكما شملت قدرة الله كل شيء قد أحاط علمه بكل شيء . وان ترفع صوتك أيها الانسان بالقول ، فان الله يعلمه ، لانه يعلم حديثك مع غيرك ويعلم حديث نفسك .

٨ - هو الله الاله الواحد المستحق للعبادة دون سواء ، اذ هو المتصف بصفات الكمال ، وله الصفات الحسنى .

٩ - هل علمت أيها النبي خبر موسى مع فرعون ؟

١٠ - حين أبصر نارا في مسيره ليلا من مدين الى مصر ، فقال عند ذلك لزوجته ومن معها : انتظروا في مكانكم ، اني ابصرت نارا ، ارجو ان احمل لكم منها جمرة تدفئكم ، او اجد حول النار من يهدينى الى الطريق .

١١ - فلما بلغ مكانها ، سمع صوتا علويا يناديه : يا موسى .

١٢ - انى انا الله ربك ، فانزع نعليك تكريما للموقف ، فانك بالوادي المطهر المبارك وهو « طوى » .

١٣ - وأنا الله اصطفيتك بالرسالة ، فاصغ لما أوحى اليك لتعلمه وتبلغه قومك .

١٤ - اننى انا الله الاله الواحد ، لامعبود بحق سواى ، فامن بى واعبدنى ، وداوم على اقامة الصلاة لتظل فى ذكر دائم بى .

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾

١٥ - ان الساعة التي هي موعد لقائى وقد أخفيت موعدها عن عبادى ، وأظهرت لهم دلائلها ، آية لا محالة ، لتحاسب كل نفس على ما عملت وتجزى به .

١٦ - فلا يصرفنك ياموسى عن الايمان بالساعة والاستعداد لها من لا يصدق بها ، وما لمع هواه فتهلك .

١٧ - وماتلك التي تمسكها بيدك اليمنى ؟

١٨ - وأجاب موسى : انها عصاى أعتمد عليها فى سبرى ، وأسوق بها غنمى ، ولى فيها منافع أخرى ، كدفع أذى الحيوان .

١٩ - قال الله سبحانه لموسى : ارم بها على الأرض .

٢٠ - فرمى بها موسى ، ففوجىء بها تنقلب حبة تمشى !

٢١ - فارتاع منها ، فطمأنه الله قائلا : تناولها دون خوف ، فاننا سنعيد لها عصا كما كانت .

٢٢ - وأدخل يدك فى جيب ثوبك مضمومة الى جنبك ، تخرج بيضاء ناصعة من غير داء وقد جعلناها لك معجزة ثانية على رسالتك .

٢٣ - لنريك بعض معجزاتنا الكبرى لتكون دليلا على صدقك فى الرسالة .

٢٤ - اذهب الى فرعون وادعه الى الايمان بالله الواحد الأحد ، فانه قد تجاوز الحد فى كفره وطمغانه

٢٥ - فتضرع موسى إلى ربه أن يشرح له صدره ، لينهب عنه الغضب ، وليؤدى رسالة ربه ..

٢٦ - وسهل لى أمر الرسالة لأؤدى حقها ..

وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مَنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ
بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُنْصِحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾
قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُومِيُّ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾
أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً
مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ
كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَكَلَّمْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ

٢٧ - وفك عقدة لساني لأبين .

٢٨ - ليفهم الناس فهمًا دقيقًا ما أقول لهم .

٢٩ - واجعل لي مؤازرا من أهلي .

٣٠ - هو أخى هارون .

٣١ - أشدد به قوتي .

٣٢ - وأشركه معي في تحمل أعباء الرسالة وتبليغها .

٣٣ - كي تنزهك كثيرا عما لا يليق بك .

٣٤ - ونردد أسماءك الحسنى كثيرا ..

٣٥ - ياربنا : انك دائما بصير بنا ، ومتكفل بأمرنا ..

٣٦ - نادى الله رسوله موسى قائلا : قد أعطيتك ما سألت ، وهذه منة عليك .

٣٧ - ولقد سبق ان تفضلنا عليك بمنة اخرى دون سؤال منك .

٣٨ - حين اهتمنا أمك الهاما كريما كانت فيه حياتك .

٣٩ - اهتمناها ان تضعك - طفلا رضيعا - في الصندوق ، وأن تلقى به في النيل ، لننجيك من قتل فرعون ،
اذ كان يقتل من يولد في بني اسرائيل من الذكور ، وسخرنا الماء ليلقى الصندوق بالساطىء ، وشاءت ارادتنا أن
ياخذ الصندوق فرعون عدوى وعدوك ، وأحببتك حب رحمة وولاية ، ليحبك كل من يراك ، ولتربي تربية كريمة
ملحوظا برعايتي .

جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى ۝ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِأَيِّنِّي وَلَا تَنْبِأُ فِي ذِكْرِي ۝
 أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۝ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ۝ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ
 يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۝ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ۝ فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ
 مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
 إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ قَالَ فَن رَّبُّكُمْ يَمُوسَى ۝ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

٤٠ - واعلم يا موسى سابق عنايتنا بك حين مشيت أختك ترقب أمرك ، فلما صرت في قصر فرعون ، ورأيتهم
 يبحثون لك عن مرضع ، دلتهم على أمك ، فرددناك اليها لتفرج بحياتك وعودتك ، ولتكف عن الحزن والبكاء ،
 ولما كبرت وقتلت خطأ رجلا من قوم فرعون ، نجيناك من الغم الذي لحق بك ، وخلصناك من شرهم ، فذهبت الى
 مدين ومكنت فيها سنين عدة ، ثم عدت من مدين في الموعد الذي قدرناه لارسالك ..

٤١ - واصطفيتك لوحى وحمل رسالتى .

٤٢ - اذهب مع اخيك مؤيدين بمعجزاتى الدالة على النبوة والرسالة ولانضعفا في تبليغ رسالتى ، ولا تغفلا عن
 ذكرى والاستعانة بى .

٤٣ - اذهب مع أخيك هارون الى فرعون ، انه كافر تجاوز الحد في كفره وطفغيانه .

٤٤ - فادعوا الى الايمان بى في رفق ولين ، راجيين أن يتذكر ماغفل عنه من الايمان ، ويخشى عاقبة كفره
 وطفغيانه .

٤٥ - فتضرع موسى وهارون الى الله قائلين : ياربنا انتا نخشى ان يبادرنا فرعون بالاذى ، ويتجاوز الحد في
 الاساءة .

٤٦ - فطمأنها الله بقوله : لاتخافا فرعون ، انتى معكما بالرعاية والحفظ ، سمع لمايقول ، مبصر لما يفعل ،
 فلا أمكنه من ايذاكما .

٤٧ - فاذهبا الى فرعون فقولا له : انتا رسولان اليك من ربك ، جئنا ندعوك الى الايمان به ، وان تطلق بنى
 اسرائيل من الاسر والعذاب ، قد أتيناك بمعجزة من الله تشهد لنا بصدق مادعونك اليه ، وبالايمان من عذاب الله
 وغضبه لمن اتبع هداه .

٤٨ - وان الله قد أوحى الينا ان عذابه الشديد واقع على من كذبنا وأعرض عن دعوتنا .

٤٩ - قال فرعون فى طغيانه وجبروته : فن ربكما يا موسى ؟

خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ
نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ
أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يٰمُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ

٥٠ - فأجابه موسى : ربنا الذى منح نعمة الوجود لكل موجود ، وخلق على الصورة التى اختارها سبحانه له ، ووجهه لما خلق (١) .

٥١ - قال فرعون : فاشأن القرون الماضية وما جرى لها ؟

٥٢ - قال موسى : علم هذه القرون عند ربى وحده ، وهى مسجلة فى صحائف اعمالهم ، لا يغيب عن علمه شئ منها ولا ينساه ..

٥٣ - هو الاله المتفضل على عباده بالوجود والحفظ ، مهد لكم الارض فبسطها بقدرته ، وشق لكم فيها طرقا تسلكونها ، وأنزل المطر عليها تجرى به الانهار فيها ، فأخرج سبحانه أنواع النبات المختلفة المتقابلة فى ألوانها وطعومها ومنافعها ، فمنها الابيض ، ومنها الاسود ، ومنها الحلو ، ومنها المر ..

٥٤ - ووجه - سبحانه - عباده الى الانتفاع بما أخرج من النبات ، بالاكل ورعى الانعام ، ونحو ذلك . فذكر ان فى هذا الخلق وابداعه والإنعام به دلائل واضحة ، يهتدى بها ذوو العقول الى الايمان بالله ورسالاته .

٥٥ - ومن تراب هذه الارض خلق الله آدم وذريته ، والى ايردهم بعد الموت لمواراة أجسامهم ، ومنها يخرجهم احياء مرة أخرى للبعث والجزاء .

٥٦ - ولقد أرينا فرعون على يد موسى المعجزات البينة المؤيدة لرسالته وصدقه فى كل ما أخبره به عن الله وعن آثار قدرته ، ومع هذا فقد تمادى فرعون فى كفره ، فكذب بكل ذلك ، وأبى أن يؤمن به .

٥٧ - قال فرعون لموسى : أجئتنا لتخرجنا من ارضنا ، وتجعلنا فى يد قومك بسحرك الذى قتلت الناس به ؟ !

(١) أودع الله سبحانه وتعالى فى كل شئ صفاته الخاصة التى تؤهله لأداء وظيفته التى خلق لها فى هذه الحياة كما أنها سبيل هداية الإنسان .

مَكَانًا سُوًى ٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَىٰ ٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أُنِيَ ٦٠ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ٦١ وَقَدْ خَابَ مِنْ أَفْتَرَىٰ ٦٢ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ٦٣ قَالُوا إِنْ هَذَا نَ لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ٦٤ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتَوْا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ٦٥ قَالُوا يَلْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ٦٦ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا

٥٨ - وانا سنبتل سحرك من عندنا ، فاجعل بيننا وبينك موعدا نلتقي فيه ، ولا يختلف منا أحد .

٥٩ - فأجابه موسى : موعدنا يوم عيدكم الذى تترينون فيه مبتهجين به ، فيجتمع الناس فى ضحى ذلك اليوم ، ليشهدوا ما يكون بيننا وبينكم .

٦٠ - فانصرف فرعون ، وتولى الامر بنفسه ، فجمع وسائل تدبيره ، وعلية من السحرة ، وأدوات السحر ، ثم حضر فى الموعد بكل ذلك .

٦١ - قال لهم موسى : يحذرهم هلاك الله وعذابه ، وينهاهم عن اختلاق الكذب ، يزعمهم الوهية فرعون ، وتكذيبهم رسل الله ، وانكارهم المعجزات ، وهددهم بأن الله يستأصلهم بالعذاب ان استمروا على هذا ، ويؤكد خسران من افترى الكذب على الله .

٦٢ - فذعروا من تحذير موسى ، وتفاوضوا سرا فيما بينهم متجاذبين وكل يشير برأى فيما يلقون به موسى .

٦٣ - وأجمعوا فيما بينهم على أن موسى وهارون ساحران ، يعملان على اخراجهم من بلادهم ، باخراج السلطان من أيديهم ، وذلك بالسحر ليتمكن بنو اسرائيل فيها ، وليبطلا عقيدتهم الطيبة فى زعمهم ! .

٦٤ - فاجعلوا ماتكيدون به موسى أمرا متفقا عليه ، ثم احضروا مصطفين ، لتكون لكم فى نفوس الرائين الهية والغلبة ، وقد فاز اليوم من غلب .

٦٥ - واجه السحرة موسى برأى واحد ، وخيروه فى شموخ واعتزاز ، بين ان يبدأ فيلقى عصاه ، أو أن يكونوا هم البادئين .

تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبُجًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَكُمْ قَبْلُ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾

٦٦ - قال موسى : بل ابتدئوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، فتخيل موسى من السحر انها انقلبت ثعابين تتحرك وتسير .

٦٧ - فأحس موسى بالخوف لما رآه من اثر السحر ، ومن احتمال أن يلتبس السحر على الناس بالمعجزة ! .

٦٨ - فأدركه الله بلفظه قائلا : لا تخش شيئا ، انك الغالب المنتصر على باطلهم .

٦٩ - وألقى العصا التي يمينك لتبتلع ما زوروا من السحر ، ان صنيعهم لا يجاوز قويه السحرة ، وان الساحر لا يفوز أبنا كان .

٧٠ - فألقى موسى عصاه فاذا بها تنقلب حقا بقدره الله حية كبيرة مخيفة ، وابتلعت كل ما أعدوه ، فلما رأى السحرة تلك المعجزة بادروا الى السجود ، موثقين بصدق موسى ، قائلين : آمنا بالله - وحده - رب هارون وموسى ، ورب كل شيء .

٧١ - قال فرعون : كيف تؤمنون به دون اذن مني ؟ انه لرئيسكم الذي علمكم السحر ، وليس عمله معجزة كما توهتهم !! وهددهم : لأقطعن ايديكم وارجلكم مختلفات بقطع اليمنى من واحدة واليسرى من الاخرى ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، وستعلمون أى الالهين أشد عذابا وأدوم زمنا ، أنا أم اله موسى .

٧٢ - ثبت السحرة على ايمانهم ، ودفعوا تهديد فرعون بقولهم : لن نبقى على الكفر معك بعد ما تبين لنا الحق في معجزة موسى ، ولن نختارك على اله موسى الذي خلقنا ، فافعل ما تريد ان تفعله !! ان سلطانتك لا يتجاوز هذه الحياة القصيرة .

إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِنْ بَيِّنَاتِ رَبِّهِ
مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ
الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾
وَلَقَدْ أُوحِيَآ إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى ﴿٧٧﴾
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ
قَدْ أَغْنَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ

٧٣ - فإنا مقيمون على الايمان بربنا الحق ، لبتجاوز لنا عما سلف من السيئات ، وليغفر لنا ممارسة السحر
الذى أكرهتنا على تعلمه ، والعمل به وربنا خير منك ثوابا ، اذا أطيع ، وابق منك سلطانا وقدرة على الجزاء .

٧٤ - ان من يموت على الكفر ويلقى الله مجرما فجزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يجيا حياة
يتمتع فيها بنعيم .

٧٥ - ومن يلاق ربه على الايمان وصالح العمل ، فله المنازل السامية .

٧٦ - تلك المنازل هي جنات الاقامة في النعيم ، تجري بين أشجارها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء لمن طهر
نفسه من الكفر بالايمان ، والطاعة بعد الكفر والمعصية .

٧٧ - ثم تتابع الاحداث بين موسى وفرعون ، وأوحى الله إلى رسوله موسى أن يخرج بيني اسرائيل من مصر
ليلا ، وأن يضرب البحر بعصاه فتحدث معجزة أخرى ، اذ يفتح له الطريق يبسا في الماء ! . وطمانه ألا يخاف من
ادراك فرعون لهم ، ولا أن يفرقهم الماء ! .

٧٨ - فنفذ موسى ما أمر الله به ، فخرج فرعون بجنوده وراءه ، فأدركهم عند البحر . وسار وراءهم في الطريق
التي تفتحت في البحر لموسى وقومه ، وهنا تحققت المعجزة الاخرى ، وهى انطباق مياه البحر على فرعون وقومه ،
فأغرقهم جميعا .

٧٩ - وهكذا انحرف بقومه عن طريق الحق ، وغرر بهم قهلكوا جميعا ! .

٨٠ - يا بني اسرائيل ، قد أغنياكم من عدوكم فرعون ، وواعدناكم بالنجاة من عدوكم على لسان موسى ، أن
تصلوا آمنين الى جانب الطور ، ونزلنا عليكم المن والسلوى ، رزقا طيبا ، من الحلو ولحم الطير الشهى .

مَا رَزَقْنٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيْهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيْ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِيْ فَقَدْ هَوَىٰ ۖ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ
وَأَمِنْ وَعَمِلْ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) * وَمَا أَتَجَلَّكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أُتْرَىٰ وَعِجَلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ
غَضِبْنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ
مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا

٨١- كلوا من هذه الطيبات التي رزقتم بها دون مجهود ، ولا تظلموا ، ولا تتركبوا معصية الله في هذا العيش
الرغيد ، حتى لا ينزل بكم غضبي ، فان من ينزل عليه غضبي ينحدر الى أسفل الطبقات من عذاب الله .

٨٢- واني عظيم الغفران لمن رجع عن كفره ، وأحسن الايمان ، وأصلح العمل ، واستمر على ذلك حتى يلقى
الله .

٨٣- سبق موسى قومه الى الطور ، ليظفر بمنجاة ربه ، فسأله الله عن السبب الذي أعجله بالحضور دون
قومه .

٨٤- قال موسى : ان قومي قريبون مني ، لاحقون بي ، وانما سبقتهم اليك يارب رغبة في رضاك .

٨٥- قال الله له : انا قد امتحنا قومك من بعد مفادرتك لهم ، فوقعوا في فتنة ، اذ أضلهم السامري .

٨٦- فعاد موسى الى قومه في غضب شديد وحزن مؤلم ، وخاطب قومه منكرا عليهم بقوله : لقد وعدكم ربكم
النجاة والهداية ، بنزول التوراة ، والنصر بدخول الارض المقدسة ، ولم يطل عليكم العهد حتى تنسوا وعد الله
لكم ، أردتم بسوء صنيعكم أن ينزل بكم غضب الله بطغيانكم الذي حذركم منه فأخلفتم عهدكم لي بالسير على
سنتي والهجى على أترى .

فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوْمَ إِيمَانَ فُنِتْنُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَآ مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَيَّتِي وَلَا بِرَأْسِي ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَا خَطْبُكَ

٨٧ - قال قوم موسى معتذرين : لم نتخلف عن موعدك باختيارنا ، ولكننا حملنا حين خرجنا من مصر أثقالا من حلى القوم ، ثم رأينا - لشؤمها علينا - أن نتخلص منها ، فأشعل السامري النار في حفرة ورمينا فيها هذه الاثقال ، فكَذَلِكَ رمى السامري مامعه من الحلى .

٨٨ - فصنع السامري لهم عجلا مجسما من الذهب ، ير الريح في جوفه فيكون له صوت يسمع كخوار البقر ، لتتم الحديعة به ، ودعاهم الى عبادته فاستجابوا ، وقال هو واتباعه ، هذا معبودكم ومعبود موسى فنسى ، انه يسهل بالتأمل والاستدلال على ان العجل لا يكون الها .

٨٩ - لقد عميت بصائرهم حين يعتبرون هذا العجل الها ! أفلا يرون انه لا يرد على اقوالهم ، ولا يستطيع ان يدفع عنهم ضرا ، ولا أن يجلب لهم نفعاً ؟

٩٠ - وكان هارون مقبلا فيهم ، حين قيام هذه الفتنة ، ولقد قال لهم قبل رجوع موسى عليه السلام : يا قوم ، لقد وقعت في فتنة السامري بهذا الباطل ! وان الحكم الحق هو الله الرحمن دون سواه ، فاتبعوني فيما أنصحكم به ، وامثلوا رأيي بالامتناع عن هذه الضلالة .

٩١ - قالوا : سنظل مستمرين على عبادة هذا العجل الى أن يعود موسى إلينا ! .

٩٢ - قال موسى متأثرا بما علمه ورآه من قومه : يا هارون ، أى سبب منعك أن تكفهم عن الضلالة اذ رأيتهم وقعوا فيها ؟

٩٣ - ولم تقم مقامى بنصحهم كما عهدت اليك ، أفلا تتبني فيما عهدت به اليك أم هل عصيت أمرى ؟ .

٩٤ - قال هارون لموسى : يا ابن أُمى ، لاتعاجلنى بغضبك ، ولا تمسك بلحيتى ولا برأسى لقد خفت ان شددت عليهم فتفرقوا شيعا وأحزابا أن تقول لى : فرقت بين بنى اسرائيل ، ولم تخلفنى فيهم كما عهدت اليك .

يَسْمِرِي ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ۝ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ ۖ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ
الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ ۖ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ
عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۝ خَلِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ

٩٥ - قال موسى عليه السلام للسامري : ماهذا الامر الخطير الذي بعد خطبا ووقعت فيه ؟!

٩٦ - قال السامري لموسى : عرفت من حذق الصناعة وحيلها ما لم يعلمه بنو اسرائيل ، وصنعت لهم صورة
عجل له هذا الصوت ، وقبضت قبضة من التوراة فآلقيتها في جوف العجل ، قموها على الناس ، وكذلك زينت لى
نفسى أن أفعل ما فعلت .

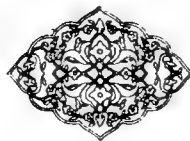
٩٧ - قال موسى للسامري : اخرج من جماعتنا ، وابتعد عنا ، وان جزاءك فى الدنيا أن تهيم على وجهك ، وينفر
الناس منك ، حتى لا تكون بينك وبينهم صلة ، فلا يقربك أحد ، ولا تقترب أنت من أحد ، وان لعذابك فى الآخرة
موعدا محدد لا تستطيع الفرار منه !! وندد موسى به وبإلهه قائلا : أنظر الآن ماذا نصنع بالهلك الذى عكفت على
عبادته ، وقتلت الناس به ، لنحرقه ثم لنذروه فى البحر ذروا !!

٩٨ - وقام موسى بانحجاز ما قال ، ثم اتجه الى بنى اسرائيل بعد هذه العبرة قائلا لهم : ان الهكم الواحد ، هو
الذى لا يعبد بحق سواه ، وقد أحاط علمه بكل شىء مما كان ومما سيكون .

٩٩ - كما قصصنا عليك أيها الرسول نبأ موسى ، نخبرك بالحق عن الامم السابقة وقد أنزلنا عليك من عندنا
كتابا فيه تذكير لك ولأمتك ، بما فيه صلاح دينكم ودنياكم .

١٠٠ - من انصرف عن تصديقه والاهتداء به ، فانه يضل فى حياته ، ويأتى يوم القيامة حاملا اثم ما صنع ،
ويجازى بالعذاب الشديد .

١٠١ - ويخلد فى هذا العذاب ، وبئس هذا الحمل السىء يوم القيامة !



وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۚ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا
قَاعًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۚ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفْعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۚ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ عَلَيْهِ ۖ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ

١٠٢ - اذكر أيها الرسول لامتك اليوم الذي تأمر فيه الملك ان ينفخ في الصور نفخة الاحياء والبعث من القبور. وندعوهم الى المحشر، ونسوق المجرمين الى الموقف زرق الوجوه وفزعاً!

١٠٣ - يتهايمون فيما بينهم في ذلة واضطراب عن قصر الحياة الدنيا، حتى كأنهم لم ينعموا بها، ولم يلبثوا فيها الا عشرة أيام!

١٠٤ - وليس تهامسهم خافياً، فنحن اعلم بما يتهايمون به، وبما يقول اقربهم الى تصوير شعورهم نحو الدنيا بأنها لم تكن الا كيوم واحد!

١٠٥ - ويسألك المنكرون للبعث - أيها الرسول - عن مصير الجبال يوم القيامة التي تحدث عنه، فأجيبهم بأن الله يفتتها كالرمل، ثم يطيرها بالرياح فتكون هباء!

١٠٦ - فيدع أماكنها من الأرض بعد نسفها ملساء مستوية.

١٠٧ - لا تبصر في الأرض انخفاضاً ولا ارتفاعاً، كأنها لم تكن معمورة من قبل.

١٠٨ - يوم القيامة يتبع الناس بعد قيامهم من قبورهم، دعوة الداعي الى المحشر مستسلمين، لا يستطيع أحد منهم أن يعدل عنه يمينا ولا شمالاً، وتخضع الاصوات بالسكون والرهبة لعظمة الرحمن، فلا يسمع الا صوت خفي.

١٠٩ - يومئذ لا تنفع الشفاعة من أحد، الا من أكرمه الله فأذن الله بالشفاعة ورضى قوله فيها، ولا تنفع الشفاعة في أحد الا من اذن الرحمن في أن يشفع له، وكان مؤمناً، ورضى الله قوله بالتوحيد والايان.

١١٠ - والله - جل شأنه - يعلم ماتقدم من أمورهم في دنياهم، وما يستقبلونه منها في اخرهم، فهو سبحانه يدبر الامر فيهم بمقتضى علمه، وهم لا يحيطون علماً بتدبيره وحكمته..

وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَّى
 اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾
 وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَهُ نُحْدَلُهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
 إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْقَادْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ

١١١ - وذلت وجوه في هذا اليوم ، وخضعت للحى الذى لا يموت ، القائم بتدبير أمور خلقه . وقد خسر النجاة والثواب في اليوم الآخر من ظلم نفسه في الدنيا فأشرك بربه ! .

١١٢ - ومن يعمل من الطاعات وهو مصدق بما جاء به محمد ﷺ فهو لا يخاف ان يزداد في سيئاته ، أو ينقص من حسناته .

١١٣ - ومثل هذا البيان الحق الذى سلف في هذه السورة - في تمجيد الله وقصة موسى ، وأخبار القيامة - أنزل الله هذا الكتاب قرآنًا عربى البيان ، وصرف القول في أساليب الوعيد ووجوهه ، لينتهوا عما هم فيه من العصيان ، وليجدد القرآن لهم عظة واعتبارا .

١١٤ - فارتفع عن الظنون ، وتنزه عن مشابهة الخلق الملك الذى يحتاج اليه الحاكمون والمحكومون ، الحق في الوهية وعظمته ، ولا تعجل يا محمد بقراءة القرآن من قبل ان يفرغ الملك من القائه اليك ، وقل : رب زدنى علما بالقرآن ومعانيه .

١١٥ - ولقد وصينا آدم - أيها الرسول - من أول أمره ، ألا يخالف لنا أمرا ، فنسى العهد وخالف ، ولم نجد له أول أمره عزمًا وثيقًا ، وتصميا قويا يمنع من أن يتسلل الشيطان الى نفسه بوسوسته ! .

١١٦ - واذكر ، أيها الرسول ، حين أمر الله الملائكة بتعظيم آدم على وجه أراده سبحانه ، فامتثلوا ، لكن إبليس وهو معهم - وكان من الجن - خالف وامتنع ، فأخرج وطرد !

١١٧ - فخطب الله آدم قائلا : ان هذا الشيطان الذى خالف امرنا في تعظيمك عدو لك ولحواء زوجتك ، فاحذروا وسوسته بالمعصية ، فيكون سببا في خروجكما من الجنة ، فتشقى يآدم في الحياة بعد الخروج من الجنة .

لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۚ ﴿١١٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۚ ﴿١١٩﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ
 هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۚ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
 مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۚ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۚ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۚ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ

١١٨ - ان علينا أن نكفل لك مطالب حياتك في الجنة ، فلن يصيبك فيها جوع ولا عرى .

١١٩ - وأنه لن يصيبك فيها عطش ، ولن تتعرض فيها لحر الشمس كما هو شأن الكادحين في خارج الجنة .

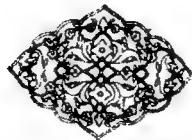
١٢٠ - فاحتال عليه الشيطان يهمس في نفسه ، مرغبا له ولزوجه في الأكل من الشجرة المنهى عنها ، قائلا : أنا أدلك يا آدم على شجرة ، من أكل منها رزق الخلود ، ورزق ملكا لا يفنى !

١٢١ - ودله على الشجرة المحرمة فخدع آدم وزوجه باغراء ابليس ، ونسبا نهي الله ، واكلا منها ! فظهرت لها عوراتها ، جزاء طمعها ، حتى نسبا ووقعا في مخالفتها ، وصارا يقطعان من ورق شجر الجنة ويستتران ما بدا منها ، وخالف آدم ربه ، وكان ذلك قبل النبوة ، فحرم الخلود الذي تمناه وفسد عيشه !

١٢٢ - ثم اصطفاه الله للرسالة ، فقبل توبته ، وهداه الى الاعتذار والاستغفار :

١٢٣ - أمر الله آدم وزوجه أن يخرجوا من الجنة ويهبطا الى الأرض وأخبرهما سبحانه بان العداوة ستكون في الأرض بين ذريتهما ، وأنه سبحانه سيمدهم بالهدى والرشاد ، فمن اتبع منهم هدى الله فلا يقع في المأثم في الدنيا ، ولا يشقى بالعذاب .

١٢٤ - ومن أعرض عن هدى الله وطاعته ، فانه يحيا حياة لا سعادة فيها ، فلا يقنع بما قسم الله ، ولا يستسلم الى قضاء الله وقدره ، حتى اذا كان يوم القيامة جاء الى موقف الحساب مأخوذا بذنبه ، عاجزا عن الحجة التي يعتذر بها ، كما كان في دنياه أعمى البصيرة عن النظر في آيات الله .



بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمِنْ بِءَايَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ
فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ
مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ
فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾ وَلَا تُمَدِّدْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا

١٢٥ - وفي هذا الموقف يسأل ربه ، في فزع : يارب ، كيف انسيتهن الحجّة ، وأعجزتني عن المَعذرة ، ووقفني
كالأعمى ؟! وقد كنت في الدنيا أبصر ماحولى واجادل وادافع !!

١٢٦ - الأمر في شأنك كما وقع : جاءتك دلائلنا ورسَلنا في الدنيا فنسيتهن ، وتعاميت عنها . ولم تؤمن بها ،
وكذلك اليوم تترك منسيا في العذاب والهوان !

١٢٧ - ومثل هذا الجزاء السيئ ، نجزي في الدنيا من أقبل على المعصية ، وكذب بالله وآياته ، وان عذاب
الآخرة لأشدُّ ألما ، وأدوم مما كان في الدنيا ..

١٢٨ - كيف يتعاملون عن آيات الله ، وقد تبين لهم اهلاكننا لكثير من الامم السالفة بسبب كفرهم ، ولم ينعتظوا
بهم مع أنهم يمشون في ديارهم ومسالكهم ، ويشهدون آثار ماحل بهم من العذاب ؟! وان في تلك المشاهد لعظات
لأصحاب العقول الراجحة .

١٢٩ - ولولا حكم سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم الى أجل مسمى هو القيامة ، لكان العذاب لازما لهم
في الدنيا كما لزم كفار القرون الماضية .

١٣٠ - فاصبر - أيها الرسول - على مايقولونه في رسالتك من تكذيب واستهزاء . ونزه ربك عما لا يليق به ،
بالثناء عليه ، وعبادته وحده دائما ، وخاصة قبل أن تشرق الشمس وقبل أن تغرب ، ونزهه واعبدته في ساعات
الليل ، وفي أطراف النهار بالصلاة ، حتى تدوم صلتك بالله ، فلتطمئن الى ما أنت عليه ، وترضى بما قدر لك :

١٣١ - ولا تتعد بنظرِكَ الى مامتنا به أصنافا من الكافرين ، لأن هذا المتاع زينة الحياة الدنيا وزخرفها ،
يتمتعن الله به عباده في الدنيا ، ويدخر الله لك في الآخرة ما هو خير وأبقى من هذا المتاع .

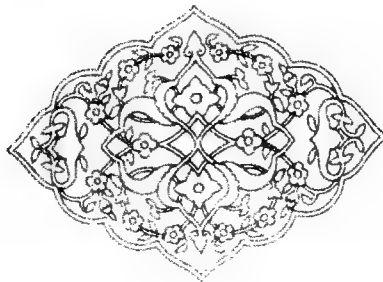
نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُرْتَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ الْمُحِبُّ لِلصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾

١٣٢ - وجه أهلك الى أن يؤدوا الصلاة في أوقاتها ، فالصلاة أقوى ما يصلهم بالله ، وداوم على اقامتها كاملة ، لانكلفك رزق نفسك ، فنحن متكفلون برزقك ، وان العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة مكفولة لاهل الصلاح والتقوى .

١٣٣ - وقال الكافرون في عنادهم : لماذا لا يأتينا محمد بدليل من ربه ، يلزمنا الايمان به ؟ ! فكيف يتحدثون القرآن - وقد جاءهم به مشتملا على مافي الكتب السابقة من أنباء الامم الماضية ، واهلاكهم بسبب تكذيب الرسل ، وليس محمد بدعا في ذلك ؟ !

١٣٤ - ولو عاجل الله هؤلاء الكافرين بالاهلاك ، قبل أن يرسل اليهم محمدا ، لا اعتذروا يوم القيامة قائلين : يا ربنا لم ترسل إلينا رسولا في الدنيا مؤيدا بالآيات لتتبعه ، قبل أن ينزل بنا العذاب والحزى في الآخرة .. ولكن لا عذر لهم الآن بعد ارسال الرسول !

١٣٥ - قل أيها الرسول لهؤلاء المعاندين : اننا جميعا منتظرون لما يؤول اليه أمرنا وأمركم ، وستعلمون حقا ، أى الفريقين صاحب الدين الحق والمهتدى بهدى الله ؟





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيبَةَ قُلُوبُهُمْ وَلَا هِيبَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ

سورة مكية نزلت بعد سورة ابراهيم وآياتها ١١٢ آية وهي تبين قرب الساعة ، مع غفلة المشركين عنها . وقد دعوا أن الرسول لا يكون بشرا ، وقالوا مرة عن القرآن سحر ، ومرة شعر ، ومرة أضغاث أحلام . والنذر بين أيديهم قائمة ، وما كان الرسل الا رجالا مثل محمد ﷺ ، وان السابقين قبلهم كذبوا . كما كذبت قريش فقصرم الله قراهم . وهو القادر على الالهلاك والابقاء ، وله كل مافي السموات والارض ، والملائكة في معارجهم يسبحون الله تعالى ولا يفترون وان صلاح السموات والارض دليل على أن منشئها واحد ، فلو شاركه أحد لفسدتا والرسل جميعا جاءت بعبادة الله وحده ، وليس له ولد . ولا يقول أحد انه اله مع الله ، والا فجزاؤه جهنم ، .. وبين سبحانه شأن عظمة خلقه ، وعجائب التكوين في السموات والارض ، وبين حال المشركين والكافرين ، ونبه سبحانه وتعالى الى حفظ الله تعالى للناس ، وأشار سبحانه الى ما يكون من جزاء يوم القيامة للكافرين . وذكر قصة موسى وهارون مع فرعون وقصة ابراهيم مع قومه وانعامه عليه بالذرية الطيبة ، وذكر سبحانه قصة لوط وقومه وهلاكهم وقصة نوح عليه السلام وكفر قومه ، وابادتهم الا من آمن ثم أشار سبحانه وتعالى الى قصص سليمان . وداود . وأيوب واسماعيل . وادريس . وذى الكفل . وذى النون . ومريم . وتحدث عن يأجوج ومأجوج . وبين سبحانه العمل الصالح وثمرته . وما يجازى به الذين اتقوا واحسنوا . وحالهم يوم القيامة ، ورحمة الله في الرسالة المحمدية . وانذار الله للمشركين ، وأن الامر له يحكم وهو خير الحاكمين .

١ - دنا للمشركين وقت حسابهم يوم القيامة ، وهم غافلون عن هوله ، معرضون عن الايمان به .

٢ - ما يأتيهم قرآن من ربهم مجدد نزوله . مذكر لهم بما ينفعهم ، الا استمعوه وهم مشغولون عنه بما لا نفع فيه . يلعبون كما يلعب الاطفال .

تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلِيمٍ بَلْ
 أَفْتَرْتُهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَرَّ قَصْمَنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا

٣ - لاهية قلوبهم عن التأمل فيه ، وبالفوا في اخفاء تأمرهم على النبي وعلى القرآن ، قائلين فيما بينهم : ما محمد الا بشر مثلكم والرسول لا يكون الا ملكا ، اتصدقون محمدا فتحضرون مجلس السحر وأنتم تشاهدون أنه سحر ؟ !

٤ - قال الرسول لهم وقد أطلعهم الله على حديثهم الذي أسروه : ربى يعلم كل ما يقال في السماء والارض ، وهو الذى يسمع كل ما يسمع ، ويعلم كل ما يقع ..

٥ - بل قالوا : انه اخلاط احلام رآها في المنام ، بل اختلقه ونسبه كذبا الى الله .. ثم اعرضوا عن ذلك وقالوا : بل هو شاعر يستولى على نفوس سامعيه ، فليأتنا بمعجزة مادية دالة على صدقه ، كما أرسل الأنبياء الاولون مؤيدين بالمعجزات .

٦ - لم تؤمن قبلهم أمة من الأمم التى أهلكناها بعد أن كذبت بالمعجزات المادية ، فهل يؤمن هؤلاء اذا جاءهم ما يطلبون ؟ !

٧ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبي الا رجالا من البشر ، نوحى اليهم الدين ليبلغوه الناس . فاسألوا أيها المنكرون أهل العلم بالكتب المنزل ان كنتم لا تعلمون ذلك .

٨ - وما جعلنا الرسل اجسادا تخالف اجساد البشر يعيشون دون طعام ، ويبقون على الايام ، وماكانوا ياتين مخلصين ..

٩ - ثم صدقناهم ، وحققنا لهم الوعد ، فأنجيناهم وانجينا معهم من أردنا نجاتهم من المؤمنين ، وأهلكنا الكافرين المسرفين في تكذيبهم وكفرهم برسالة انبيائهم .

١٠ - لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه تذكير لكم اذا علمتموه وعلمتم بما فيه ، فكيف تعرضون وتكفرون به ؟ ! ابلغ بكم العناد والحق الى ماأنتم عليه فلا تعقلون ما ينفعكم فتسارعون اليه ؟

قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَاءِ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يُؤَيَّلْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَزَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ
حَصِيدًا خَلَمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَا تَتَّخِذْنَهُ
مِن لَّدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

١١ - وكثير من أهل القرى اهلكناهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم وأنشأنا بعد كل قوم منهم قوما غيرهم أحسن منهم حالا ومالا .

١٢ - فلما أردنا اهلاكهم ، واحسوا بما يقع عليهم من شدة عذابنا وقدرتنا على انزاله سارعوا الى الهرب ، والتماس النجاة بما يشبه عمل الدواب .

١٣ - لاتسرعوا أيها المنكرون ، فلن يعصمكم من عذاب الله شيء ، وارجعوا الى ما كنتم فيه من نعيمكم ومساكنكم ، لعل خدمكم وأشياعكم يسألونكم المعونة والرأى كما كان شأنكم ، وانى تستطيعون ؟؟

١٤ - قالوا - وقد سمعوا الاستهزاء بهم منادين هلاكهم موقنين به - : انا كنا ظالمين حين اعرضنا عما ينفعنا ، ولم نؤمن بآيات ربنا .

١٥ - فزالت هذه الكلمات يرددونها . ويصيحون بها . حتى جعلناهم - بالعذاب - كالزراع المحصود خامدين لاحياة فيهم .

١٦ - وما خلقنا السماء والارض وما بينهما بهذا النظام المحكم ، والصنع البديع نلعب بها ، بل جعلناها لحكم عالية يدركها المتأملون .

١٧ - لو أردنا أن نتخذ مانلهو به لما أمكن أن نتخذة الا من ملكنا الذى ليس فى الوجود ملك غيره ، ان كنا ممن يفعل ذلك . ولسنا ممن يفعله لاستحالة فى حقنا .

١٨ - بل أمرنا الذى يليق بنا هو أن نقذف الحق فى وجه الباطل فيذهب ، ولكم أيها الكافرون الهلاك ، بسبب افترائكم على الله ورسوله .

١٩ - والله وحده كل من فى السموات والارض خلقا وملكا ، فمن حقه وحده أن يعبد ، والمقربون اليه من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته والخضوع له ، ولا يشعرون بالاعياء والملل من طول عبادته بالليل والنهار .

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ
لَقَسَدْنَا فَنُجِبَنَّ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَّعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
يَدَيْهِمْ

٢٠ - يزهونه جل شأنه عما لا يليق به . لا يتخلل تنزيههم هذا فتور ، بل هو تنزيه دائم لا يشغلهم عنه شاغل . .

٢١ - لم يفعل المشركون ما يفعله المقربون من اخلاص العبادة لله . بل عبدوا غيره واتخذوا من الأرض آلهة
لا تستحق أن تعبد ، وكيف يعبد من دون الله من لا يستطيع إعادة الحياة ؟ !

٢٢ - لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله تدبر أمرها ، لاختل النظام الذي قام عليه خلقها ، وبلغ غاية
الدقة والاحكام ، فتزنيها لله صاحب الملك عما ينسبه اليه المشركون .

٢٣ - لا يحاسب - سبحانه - ولا يسأل عما يفعل ، لأنه الواحد المتفرد بالعزة والسلطان ، الحكيم العليم ،
فلا يخطئ في فعل أى شئ ، وهم يحاسبون ويسألون عما يفعلون لأنهم يخطئون لضعفهم وجهلهم وغلبة الشهوة
عليهم .

٢٤ - لم يعرفوا حق الله عليهم ، بل اتخذوا من غيره آلهة يعبدونها دون دليل معقول أو برهان صادق . قل
أيها النبي : هاتوا برهانكم على أن الله شريكا في الملك يبرر اشراكه في العبادة . هذا القرآن الذي جاء مذكرا لأمتي
بما يجب عليها ، وهذه كتب الانبياء التي جاءت لتذكر الامم قبل تقوم كلها على توحيد الله . بل أكثرهم لا يعلمون
ما جاء في هذه الكتب لأنهم لم يهتموا بالتأمل فيها . فهم معرضون عن الايمان بالله .

٢٥ - وما أرسلنا الى الناس قبلك أيها النبي رسولا ما ، الا اوحينا اليه أن يبلغ امته انه لا يستحق العبادة
غيري ، فأخلصوا الى العبادة .

٢٦ - وقال بعض كفار العرب : اتخذ الرحمن ولدا ، بزعمهم أن الملائكة بناته . تنزه عن أن يكون له ولد . بل
الملائكة عباد مكرمون عنده ، بالقرب منه ، والعبادة له .

٢٧ - لا يسبقون الله بكلمة يقولونها ، قبل أن يأذن لهم بها ، وهم بأمره دون غيره يعملون ، ولا يتعدون حدود
ما يأمرهم به .

أُولَئِكَ هُم مَن خَشِيَئَهُ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ

٢٨ - يعلم الله كل أحوالهم وأعمالهم - ما قدموه وما آخروه - ولا يشفعون عنده إلا لمن رضى الله عنه ، وهم من شدة خوفهم من الله تعالى ، وتعظيمهم له ، في حذر دائم ..

٢٩ - ومن يقل من الملائكة : انى اله يعبد من دون الله ، فذلك نجزيه جهنم . مثل هذا الجزاء نجزي كل الذين يتجاوزون حدود الحق ، ويظلمون أنفسهم بادعاء الربوبية والشرك .

٣٠ - أعمى الذين كفروا ، ولم يبصروا أن السموات والارض كانتا في بدء خلقها ملتصقتين ، فبقدرتنا فصلنا كلا منها عن الاخرى ، وجعلنا من الماء الذى لاحياة فيه كل شيء حى ؟ ! فهل بعد كل هذا يعرضون ، فلا يؤمنون بأنه لا اله غيرنا ؟ (١) .

(١) « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حى » . تقرر هذه الآية معاني علمية أيدتها النظريات الحديثة في تكوين الكواكب والأرض ، إذ أن السموات والأرض كانتا في الأصل متصلة بعضها ببعض على شكل كتلة متصلة متأسكة .. والحقيقة العلمية التي اتفق عليها أن السموات والأرض كانتا متصلتين ، واستدل على ذلك بأدلة علمية عديدة . أما الفتق فعناء الانفصال ، وهو ما قرره الآية الشريفة وأيده العلم بعد ذلك . وهناك نظريات عديدة تفسر بعض الظواهر في هذا الشأن وتمجز عن تفسير الأخرى ، لذلك فليس بين هذه النظرية ما هو مقطوع به لدى العلماء بالإجماع . وسنذكر فيما يلى على سبيل المثال نظريتين :

النظرية الأولى : الخاصة بتكوين المجموعة الشمسية - مثلا - تقرر أن الغيم الكونى حول الشمس بدأ في التمدد في الفضاء البارد ، وأخذت حبيبات الغاز الذى يتألف منه الغمام بالتكثف على الذرات الغازية ذات الحركة السريعة ، ثم تجمعت هذه الذرات بالتصادم والتراكم ، وهي تحبس في داخلها كميات من الغاز الثقيلة ، وازداد التراكم والتجمع على مر الأحقاب حتى تكونت الكواكب والأقمار والأرض على أبعاد مناسبة ، ومن المعروف أن التجمع والتراكم يؤدي إلى زيادة في الضغط الذى يؤدي بدوره إلى زيادة شديدة في الحرارة ، وعندما تبلورت القشرة الأرضية بالبرودة وخلال عمليات الانفجارات البركانية العديدة التي أعقبت ذلك حصلت الأرض على كميات هائلة من بخار الماء وثاني أكسيد الكربون بالانفصال عن الطغوح البركانية السائلة .. وبما ساعد على تكوين الأكسوجين المطبق في الهواء بعد ذلك نشاط وتفاعل أشعة الشمس عن طريق التمثيل الضوئى مع النباتات الأولية والأعشاب .

أما النظرية الثانية : الخاصة بنشأة الكون عامة فتتلخص في أن قوله تعالى : « كانتا رتقا » أى مضمومتين ملتصقتين في صورة كتلة واحدة ، وهذا آخر ما وصل إليه البحث العلمى في نشأة الكون ، وهو أنه قبل أن يأخذ صورته الحالية كان حشدا هائلا متجمعا في أبسط صورة لقوى الذرات المتصلة الواقعة تحت ضغط هائل لا يكاد يتصوره العقل ، وأن جميع أجرام السماء اليوم ومحتوياتها بما فيها المجموعة الشمسية والأرض كانت مكلسة تكديسا شديدا في كرة لا يزيد نصف قطرها على ثلاثة ملايين من الأميال . وقوله تعالى « ففتقناهما » إشارة لما حدث لذلك السائل النوى الأولى من انفجار عظيم انتشرت بسببه مادة الكون فيما حولها من أجواء . انتهت بتكوين مختلف أجرام السماء المختلفة المنفصلة بما فيها المجموعة الشمسية والأرض .

« وجعلنا من الماء كل شيء حى » : تقرر هذه الآية حقيقة علمية أثبتها أكثر من فرع من فروع العلم ، وقد أثبت علم الخلية أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهي وحدة البناء في كل كائن حى نباتا كان أو حيوانا ، وأثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحويلات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو أما وسط أو عامل مساعد أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه .

وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضرورى لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها .

بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ أَخْلَدَ أَفَلَا يَمِتُّ فَهُمْ أَخْلَدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا

- ٣١ - ومن دلائل قدرتنا ، انا جعلنا في الأرض جبالا ثوابت ، لئلا تضرب بهم ، وجعلنا فيها طرقا فسيحة ، ومسالك واسعة ، لكي يهتدوا بها في سيرهم الى اغراضهم .
- ٣٢ - وجعلنا السماء فوقهم كالسقف المرفوع ، وحفظناها من أن تقع ، أو يقع ما فيها عليهم . وهم مع ذلك منصرفون عن النظر والاعتبار بآياتنا الدالة على قدرتنا ، وحكمتنا ورحمتنا .
- ٣٣ - والله هو الذي خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كل من هذه يجري في مجاله الذي قدره الله له ، ويسبح في فلكه لا يحيد عنه .
- ٣٤ - وما جعلنا لأحد من البشر قبلك - أيها النبي - الخلود في هذه الحياة حتى يترى بك الكفار الموت . فكيف ينتظرون موتك ليشتموا بك وهم سيموتون كما تموت ؟ ! أفإن مت يبقى هؤلاء احياء دون غيرهم من سائر البشر ؟ .

تعليق الخبراء على الآية ٣١ :

« وجعلنا في الأرض رواسي أن تعبد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون » : لما كان باطن الأرض منصهرا سائلا ، فلو فرضنا أن الجبال وضعت في بعض نواحي الكرة الأرضية كأنها صخور هائلة مرتفعة فإن ثقلها قد يؤدي بالقشرة الأرضية أن تميد أو تنثنى أو تنصدع . لذلك جعل - جل شأنه - الجبال رواسي : أي ذات جذور ممتدة في داخل القشرة الأرضية إلى أعماق كبيرة تتناسب مع ارتفاعها ، فهي كأنها أوتاد كما جعل كثافة هذه الارتفاعات والجذور أقل من كثافة القشرة المحيطة بها . كل ذلك حتى يتوزع الضغط على القشرة العميقة بحيث يكون مساويا في جميع أنحائها فلا تميد أو تنصدع لأن التوزيع المتماثل للأثقال على سطح كروي يكاد لا يحدث تأثيرا يذكر .

وقد أثبت العلم الحديث أن توزيع اليابس والماء على الأرض ووجود سلاسل الجبال عليها بما يحقق الوضع الذي عليه الأرض وقد ثبت أن الجبال الثقيلة دائما أسفلها مواد هشة وخفيفة ، وأن تحت ماء المحيطات توجد المواد الثقيلة الوزن ، وبذلك تتوزع الأوزان على مختلف الكرة الأرضية . وهذا التوزيع الذي أساسه الجبال دائما قصد به حفظ توازن الكرة الأرضية ، ولما ارتفعت الجبال حدثت السهول والوديان والممرات بين الجبال وشواطئ البحار والمحيطات والهضبات ، وكانت سبلا وطرقا .

تعليق الخبراء على الآية ٣٢ :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون » : تقرر هذه الآية الكريمة أن السموات وما فيها من أجرام محفوظة بكيانها متماسكة لا خلل فيها ، ومحفوظة من أن تقع على الأرض . والساء هي كل ما علانا . . تبدأ بالغلاف الهوائي الذي يحيط أهل الأرض من كثير من أهوال الفضاء التي لا تستقيم معها الحياة بحال ، مثل الشهب والنيازك والأشعة الكونية ، وفوق الأرض الغلاف الهوائي الذي تحتفظ به الأرض بقوة الجاذبية ولا سبيل إلى فقده في خضم الفناء المتناهي وفوق الغلاف الهوائي أجرام السماء على أبعاد مختلفة تحتفظ بنظام دوراتها وكيانها منذ القدم كذلك .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا » : أي أن الغلاف الجوي ومناظر الأجرام السماوية التي تشاهد بمساقطها على القبة التي تبدو لنا نظارتنا كأنها على سطح هذه القبة السماوية وتظهر لنا كأنها متمسة اتساعا كبيرا أفقيا . بينما يظهر الاتساع الرأسى أقل بكثير من الاتساع الأفقى ، وتمثل هذه الظاهرة عند مشاهدة قرص الشمس أثناء الشروق أو الغروب حيث يظهر أكبر مما هو عليه عندما تكون الشمس في سمت الرأس ، ومصدر ذلك هو الخداع البصرى الذي يجعلنا نقدر المسافات الأفقية بدقة أكثر من المسافات الرأسية . . وهذه القبة السماوية تشمل الغلاف الجوي للأرض الذي لهميزات وخصائص تختلف كلما زاد الارتفاع على الأرض كما تشمل أيضا سائر الأجرام السماوية التي يقطعها الخط البصرى على القبة السماوية .

= تعليق الخبراء على الآية ٣٣ :

« وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » : لكل جرم سماوى مداره الخاص الذي يسبح فيه ، وأجرام السماء كلها لا تعرف السكون ، كما أنها تتحرك في مسارات خاصة هي الأفلاك ، ونحن نرى هذه الحقيقة ممثلة واضحة في الشمس والقمر . كما أن دوران الأرض حول محورها يجعل الليل والنهار يتعاقبان عليها كأنها يسبحان .

تَرْجِعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَن يَخَذُوكَ بِاللَّيْلِ يَذْكُرُوا إِلَهُتَهُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلِي مِنْ قَبْلِكَ فَخَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

٣٥ - كل نفس لابد ان تدرك الموت . ونعاملكم في هذه الحياة معاملة المختبر بما يصيبكم من نفع وضرر ، لنتميز الشاكر للخير والصابر على البلاء ، من الجاحد للنعم والجاحز عند المصيبة . والينا ترجعون فنحاسبكم على أعمالكم .

٣٦ - واذا رآك - أيها النبي - الذين كفروا بالله وبما جئت به لا يضعونك الا في موضع السخرية والاستهزاء . يقول بعضهم لبعض : أهذا الذي يذكر آلهتكم بالعيب ؟ وهو بذكر الله الذي يعصم برحمته هم لا يصدقون .

٣٧ - واذا كانوا يطلبون التعجيل بالعذاب فان طبيعة الانسان التعجل سأريكم - أيها المستعجلون - نعمتي في الدنيا وعذابي في الآخرة فلا تشغلوا أنفسكم باستعجال ما لا بد منه .

٣٨ - ويقول الكافرون مستعجلين العذاب مستبشرين وقوعه . متى يقع هذا الذي تعدونا به أيها المؤمنون ان كنتم صادقين فيما تقولون ؟

٣٩ - لو يعلم الذين كفروا بالله حالهم حين لا يستطيعون أن يدفعوا عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ، ولا يجدون من ينصرهم بدفعها ، ما قالوا هذا الذي يقولونه .

٤٠ - لاتأتيهم القيامة على انتظار وتوقع ، بل تأتيهم فجأة فتحيرهم ، فلا يستطيعون ردها . ولا هم يمهلون ليتوبوا ويعتذروا عما قدموا ..

٤١ - ولقد حدث للرسول قبلك أن استهزأ بهم الكفار من أمهم ، فحل بالذين كفروا وسخروا من رسلهم العذاب الذي جعلوه مثار السخرية والاستهزاء .

٤٢ - قل أيها النبي لهم : من يحفظكم في الليل والنهار من نعمته ويرحمكم وينعم عليكم ؟ لا أحد يستطيع ذلك . بل هم عن القرآن الذي يذكرهم بما ينفعهم ويدفع العذاب عنهم منصرفون .

٤٣ - ألهم آلهة تمنع العذاب من دوننا ؟ كلا : انهم لا يستطيعون أن يعينوا أنفسهم حتى يعينوا غيرهم . ولا أحد يستطيع أن يحفظ واحدا منهم في جواره وصحبته اذا أردنا بهم العذاب والهلاك .

تطبيق الخبراء على الآية ٣٧ :

« خلق الإنسان من عجل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » : أن المقصود بالآيات هي الكونية الدالة على وجود الله وقدرته . وسيكشف العلم عنها تباعا بحكم ارتقاء العقل البشري ، وذلك في مواعيد موقوتة ، كلما حل أجل آية أظهرها الله أو يسر الله للبشر الوصول إلى إحدى هذه الآيات .

أَطْرَافَهَا أَفْهَمُ الْعَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ
نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ
وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ
أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ

- ٤٤ - لم نجعل عقاب هؤلاء بكفرهم ، بل استدرجناهم ومتعناهم في الحياة الدنيا كما متعنا آباءهم قبلهم حتى طال عليهم العمر . أيتعانون عما حولهم فلا يرون أنا نقصد الأرض فننقصها من أطرافها بالفتح ونصر المؤمنين ؟ ! أفهم الغالبون أم المؤمنون الذين وعدهم الله بالنصر والتأييد ؟ .
- ٤٥ - قل أيها النبي : لا أحذرکم بكلام من عندي ، وإنما أحذرکم بالوحى الصادر عن الله لى ، وهو حق وصدق ، وهم لظول إعراضهم عن صوت الحق ختم الله على سمعهم حتى صاروا كالصم ، ولا يسمع الصم الدعاء حين يخوفون بالعذاب .
- ٤٦ - وتأكد أنهم ان أصابتهم اصابة خفيفة من العذاب الذى يسخرون منه يصبحون من الهول قائلين : ياويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا وغيرنا ، اذكفرنا بما أخبرنا به .
- ٤٧ - ونضع الموازين التى تقيم العدل يوم القيامة ، فلا تظلم نفس بنقص شيء من حسناتها أو زيادة شيء من سيئاتها ، ولو كان وزن حبة صغيرة أتينا بها وحاسبنا عليها ، وكفى ان نكون الحاسبين فلا تظلم نفس شيئا .
- ٤٨ - ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة التى تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام . وهى الى ذلك نور يهدى الى طرق الخير والرشاد ، وتذكير ينتفع به المتقون .
- ٤٩ - الذين يخافون خالقهم وبمالك أمرهم فى حال بعد الناس عنهم ، لا يراءون أحدا ، وهم من أهوال يوم القيامة فى خوف دائم .
- ٥٠ - وهذا القرآن تذكير كثير الخير ، أنزلناه لكم كما أنزلنا الذكر على موسى ، فكيف يكون منكم انكاره وأنتم أولى الناس بالايان به ؟ !
- ٥١ - ولقد أعطينا ابراهيم الرشد والتفكير فى طلب الحق مخلصا من قبل موسى وهارون ، وكنا بأحواله وفضائله التى تؤهله لحمل الرسالة عالمين .

تعليق الخبراء على الآية ٤٤ :

« أفلا يرون أنا نأق الأرض ننقصها من أطرافها ، أفهم الغالبون » هذه الآية من آيات الإعجاز العلمى للقرآن الكريم ، فهى تشير إلى أن الأرض ليست كاملة الاستدارة . ولم يتمكن العلماء من قياس أبعاد الأرض بالدقة إلا منذ ٢٥٠ سنة تقريبا ، عندما قامت بعثة من الإحصائيين فى علم المساحة لقياس المسافة الطولية بين عرضين متساويين فى الطول تفصلهما درجة واحدة قوسية ، وذلك فى مختلف أنحاء العالم ، وتبين من هذه القياسات أن نصف القطر الاستوائى يزيد على نصف القطر القطبى بمقدار ٢١,٥ كيلومتر تقريبا ، أى أن الأرض انقصت من أطرافها ممثلة فى القطبين ، ومن المعلوم أن شكل الأرض وأبعادها هو الأساس فى رسم الخرائط .

تعليق الخبراء على الآية ٤٧ :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » : تشير هذه الآية الكريمة إلى أن حبة الخردل تنتهى فى صفر الوزن . وأثبتت التجارب العلمة أن الكيلو جرام من حبوب الخردل يحتوى على ٩٩٢ ألف حبة ، وتكون الحبة بذلك حوالى جزء من ألف جزء من الجرام ، أى ملليجرام تقريبا ، وهذا أصغر وزن لحبة نبات عرف حتى الآن ، وهى تستعمل لذلك فى مقارنة المكايل بالموازين الدقيقة نوعا .

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذُؤًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْظِلُمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

٥٢ - واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه وقومه مستخفا بالآصنام التي كانوا يعظمونها ويعكفون على عبادتها: ما هذه التماثيل التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣ - قالوا: وجدنا آباءنا يعظمونها ويخصونها بعبادتهم، فاتبعناهم.

٥٤ - قال: لقد كنتم في هذه العبادة وكان آباؤكم من قبلكم في بعد عن الحق واضح..

٥٥ - قالوا: أجيئنا في هذا الذي تقول بما نعتقد أنه الحق، أم أنت بهذا الكلام من الذين يلهون ويلعبون، غير متحملين أي تبعه؟

٥٦ - قال: لاهزل فيما قلته، بل ربكم الذي يستحق دون غيره التعظيم والخشوع والعبادة، هو الذي خلق السموات والأرض وأوجدهن على غير مثال سابق. فحقه وحده أن يعبد، وأنا على ذلك الذي أقوله من المتحققين الذين يقولون ما يشاهدونه ويعلمونه.

٥٧ - وقال في نفسه: أقسم بالله لأدبرن تدبيراً أكرس به أصنامكم بعد أن تبتعدوا عنها، ليظهر لكم ضلال ما أنتم عليه.

٥٨ - ذهب إبراهيم بعد انصرافهم إلى الأصنام فحطمها وجعلها قطعاً، إلا صنماً كبيراً تركه ليرجعوا إليه، ويسألوه عما وقع لآلهتهم فلا يجيبهم فيظهر لهم بطلان عبادتهم.

٥٩ - قالوا بعد أن رأوا ما حصل لأصنامهم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إنه دون شك من الذين ظلموا أنفسهم بتمريضها للعقاب..

٦٠ - قال بعضهم: سمعنا شاباً يذكرهم بالسب يدعى إبراهيم.

٦١ - قال كبارهم: انهبوا إليه فاحضروه، ليحاسب على مرأى من الناس، لعلهم يشهدون بما فعل.

٦٢ - قالوا بعد أن أحضروه: أنت الذي فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟

٦٣ - قال منبها لهم على ضلالهم متهمكاً بهم، بل فعله كبيرهم هذا. فاسألوا الآلهة عمن فعل بها هذا إن كانوا يستطيعون أن يردوا جواب سؤالكم.

٦٤ - فعادوا إلى أنفسهم يفكرون فيما هم عليه من عبادة مالا ينفع غيره ولا يدفع عن نفسه الشر، فاستبان لهم خطوهم. وقال بعضهم: ليس إبراهيم من الظالمين. بل أنتم بعبادة مالا يستحق العبادة الظالمون.

٦٥ - ثم انقلبوا من الرشد الطارئ إلى الضلال، وقالوا لإبراهيم. انك قد علمت إن ليس هؤلاء الذين نعبدهم ينطقون، فكيف تطلب منا أن نسألهم؟

قَالَ أَتَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۖ أَفِ لَكُم دُورٌ ۚ أَمْ لَا تَعْقِلُونَ ۝ ٦٧ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا الْمُهْتَكِرَ إِن كُنتُمْ فَعِلِينَ ۝ ٦٨ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ ٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝ ٧٠ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝ ٧٢ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ ۝ ٧٣ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ۝ ٧٤ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ ٧٥ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَجَعَلْنَاهُ وَآلَهُ رٍمَنِ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ ٧٦ وَنَصَرْنَاهُ مِّنَ

٦٦ - قال : أياكون هذا حالهم من العجز ويكون هذا حالكم معهم ، فتعبدون من غير الله مالا ينفعكم أقل نفع ان عبدتموه ولا يضركم ان اهلتموه ١٢

٦٧ - قبحا لكم ولاهتكم : أتعطلون تفكيركم وتهملون الاعتبار بما تدركون ؟ . ان هذه الأصنام لا تستحق العبادة .

٦٨ - قال بعضهم لبعض : احرقوه بالنار وانصروا اهتكم عليه بهذا العقاب ، ان كنتم تريدون أن تفعلوا ما تنصرون به اهتكم .

٦٩ - فجعلنا النار باردة وسلاما لا ضرر فيها على ابراهيم .

٧٠ - وأرادوا أن يبطشوا به ، فأنجيناه ، وجعلناهم أشد الناس خسرانا .

٧١ - ونجينا لوطا من كيد الكائدين ، فاتجها إلى الأرض التي أكثرنا فيها الخير للناس جميعا ، وأرسلنا فيها كثيرا من الأنبياء .

٧٢ - وهبنا له اسحق ، ومن اسحق يعقوب هبة زائدة على ما طلب . وكلا من اسحق ويعقوب جعلناه أهل صلاح .

٧٣ - وجعلناهم أنبياء يدعون الناس ، ويهدونهم إلى الخير بأمرنا لهم أن يكونوا مرشدين ، وأهلناهم فعل الخيرات وادامة القيام بالصلاة على وجهها واعطاء الزكاة ، وكانوا لنا دون غيرنا خاضعين مخلصين .

٧٤ - وآتينا لوطا القول الفصل والساد في الحكم والعلم النافع ، ونجينا من القرية التي كان أهلها يعملون الأعمال الشاذة في سوتها ، انهم كانوا قوما ملتزمين لما يسوء المنكرات خارجين عن طاعة الله ومألوف الطباع .

٧٥ - وسلكتنا في أهل رحمتنا ، انه من الصالحين الذين يشملهم الله برحمته ويمدهم بنصره .

٧٦ - ولنذكر هنا نوحا من قبل ابراهيم ولوط ، حين دعا ربه أن يطهر الأرض من الفاسقين . فاستجبنا دعاءه ونجينا هو ومن آمن من أهله من كرب الطوفان العظيم .

الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا

٧٧ - ومنعناه بنصرنا من كيد قومه الذين كذبوا بآياتنا الدالة على رسالته . انهم كانوا أصحاب شر ، فأغرقناهم أجمعين .

٧٨ - واذكر أيها النبي داود وسليمان حين كانا يحكما في الزرع ، اذ انتشرت فيه غنم القوم من غير أصحابه وأكلته ليلا ، وكنا لحكما في القضية المتعلقة به عالمين^(١) .

٧٩ - ففهمنا الفتوى سليمان ، وكلا منها أعطينا حكمة وعلمًا بالحياة وشؤونها ، وسخرنا مع داود الجبال بنزهن الله كما ينزهه داود عن كل ما لا يليق به ، وسخرنا الطير كذلك يسبحن الله معه ، وكنا فاعلين ذلك بقدرتنا التي لا تعجز .

٨٠ - وعلمنا داود صنعة نسج الدروع ، لتكون لباسا ينعكم من شدة بأس بعضكم لبعض ، فاشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم ..

٨١ - وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ، تجرى بحسب رغبته وأمره إلى الأرض التي زدنا فيها الخير ، وكنا بكل شيء عالمين ، لا تغيب عنا كبيرة ولا صغيرة .

٨٢ - وسخرنا له من الشياطين من يغوصون في الماء إلى أعماق البحار ، ليستخرجوا اللؤلؤ والمرجان ، ويعملون عملا غير ذلك ، كبناء الحصون والقصور ، وكنا لهم مراقبين لاعمالهم ، فلا ينالون أحدا بسوء ، ولا يتمردون على أمر سليمان .

٨٣ - واذكر أيها النبي أيوب حين دعا ربه - وقد أضناه المرض - وقال : يارب . أتى قد أصابني الضر وآلني ، وأنت أرحم الراحمين ..

(١) قصة الحكم : أن الغنم رعت ليلا زرع صاحب حرث . فلم يبق منه شيء ، فعلم داود بأن الغنم لصاحب الحرث في نظير زرع ، فخالفه سليمان ، وقال : تبقى الغنم في يد صاحب الزرع حتى ينبت زرع ، ويصير إلى ما كان عليه ، ويترادان من بعد .

مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ
وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا

٨٤- فأجبناه إلى ما كان يرجوه ، فرفعنا عنه الضر وأعطيناه أولادا بقدر من مات من أولاده وزدناه مثلهم
رحمة به من فضلنا ، وتذكيرا لغيره ممن يعبدوننا ليصبروا كما صبر ، ويطمعوا في رحمة الله كما طمع .

٨٥- وأذكر أيها النبي لقومك اسماعيل وإدريس وذا الكفل ، كل منهم من الصابرين على احتمال التكليف
والشدائد .

٨٦- وجعلناهم من أهل رحمتنا ، أنهم من عبادنا الصالحين .

٨٧- وأذكر أيها النبي قصة يونس صاحب الحوت ، اذ ضاق بأعراض قومه عن دعوته ، فهجرهم ورحل
عنهم بعيدا غاضبا عليهم ، ظانا أن الله أباح له أن يهجرهم وأنه لن يقضى عليه الأمر ، فأبتلعه الحوت ، وعاش
وهو في ظلمات البحر ، ونادى ربه ضارعا إليه معترفا بما كان منه قائلا : يارب ، لا معبود بحق إلا أنت . أنزهك
عن كل ما لا يليق بك ، أعترف أني كنت من الظالمين لنفسي بعمل ما لا يرضيك .

٨٨- فأجبناه إلى ما كان يرجوه ونجيناه من الغم الذي كان فيه ، ومثل هذا الإنجاء من البلاء تنجي المؤمنين
الذين يعترفون بأخطائهم ويدعوننا مخلصين .

٨٩- وأذكر قصة زكريا ، حين نادى ربه بعد أن رأى من قدرته سبحانه ما بعث في نفسه الأمل في رحمته ،
فقال : يارب ، لا تتركني وحيدا دون وارث ، وأنت خير الذين يرثون غيرهم ، فإنك الباقي بعد فناء الخلق .

٩٠- فحققنا رجاءه ، وأجبنا دعاءه ، ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى ، وجعلنا زوجه العقيم سالحة للولد ، أن
هؤلاء الأصفياء الأنبياء كانوا يسارعون في عمل كل خير ندعوههم إليه ، ويدعوننا طمعا في رحمتنا وخوفا من
عذابنا . وكانوا لا يعظمون ولا يهابون أحدا غيرنا .

وَأَبْنَاهُ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٤﴾
وَحَرَمٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾
وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيَلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّا نَكْرَهُمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَاوردوها وَكُلٌّ فِيهَا

٩١ - واذكر مع هؤلاء قصة مريم التي صانت فرجها ، فألقينا فيها سرا من أسرارنا ، وجعلناها تحمل دون زوج ، وجعلنا ابنها دون أب ، فكانت هي وابنها دليلا ظاهرا على قدرتنا في تغيير الأسباب والمسببات ، وأنها قادرون على كل شيء .

٩٢ - ان هذه الملة التي هي الإسلام هي ملتكم الصحيحة التي يجب أن تحافظوا عليها ، حال كونها ملة واحدة متجانسة لا تنافر بين أحكامها . . فلا تنفروا فيها شيئا وأحزابا ، وأنا خالقكم ومالك أمركم ، فاخلسوا إلى العبادة ولا تشركوا معي غيري .

٩٣ - ومع هذا الإرشاد تفرق أكثر الناس بحسب شهواتهم ، جاعلين أمر دينهم قطعا . فصاروا به فرقا مختلفة ، وكل فريق منهم راجع إلينا يحاسب على أعماله .

٩٤ - فمن يعمل عمله من الأعمال الصالحة ، وهو يؤمن بالله وبدينه الذي ارتضاه فلا نقص لشيء من سعيه ، بل سيوفي جزاءه كاملا ، وأنا لهذا السعي كاتبون ، فلا يضيع شيء منه .

٩٥ - وممنع على أهل كل قرية أهلكتهم بسبب ظلمهم أنهم لا يرجعون إلينا يوم القيامة ، بل لابد من رجوعهم وحسابهم على سوء أعمالهم . .

٩٦ - حتى إذا فتحت أبواب الشر والفساد ، وأخذ أبناء يأجوج ومأجوج يسرعون خفافا من كل مرتفع في الجبال والطرق بعوامل الفوضى والقلق .

٩٧ - واقترب الموعد به الذي لابد من تحقيقه وهو يوم القيامة ، فيفاجأ الذين كفروا بأبصارهم لا تغمض أبدا من شدة الهول ، فيصيحون قائلين : يا خوفنا من هلاكنا ، قد كنا في غفلة من هذا اليوم ، بل كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر والعناد .

٩٨ - ويقال لهؤلاء الكفار : انكم والالهة التي عبدتموها من غير الله وقود نار جهنم ، أنتم داخلون فيها معذبون بها .

خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا أَشْتَتَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أَتَمَّ إِلَهكُمْ إِلَهٌ

٩٩- لو كان هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله آلهة تستحق أن تعبد ما دخلوها معكم ، وكل من العابدین والمعبودین باقون في النار .

١٠٠- لهم فيها نفس يخرج من الصدور بصوت نخنوق ، لما يلاقونه من الضيق ، وهم فيها لا يسمعون شيئاً يسرهم .

١٠١- ان الذين وقفناهم لاتباع الحق وعمل الخير ، ووعدناهم بالعاقبة الحسنة ، أولئك من جهنم وعذابها مبعدون .

١٠٢- لا يسمعون صوت فوران نارها ، وهم فيما تشتهيهم أنفسهم خالدون .

١٠٣- لا يحزنهم الهول الأكبر الذي يفزع منه الكفار ، وتستقبلهم الملائكة بالتهنئة ، يقولون : هذا يومكم الذي وعدكم ربكم النعيم فيه .

١٠٤- يوم نطوى السماء كما تطوى الورقة في الكتاب ، ونعيد الخلق إلى الحساب والجزاء ، لا تعجزنا أعادتهم ، فقد بدأنا خلقهم ، وكما بدأناهم نعيدهم ، وعدنا بذلك وعداً حقاً ، انا كنا فاعلين دائماً ما نعد به .

١٠٥- ولقد كتبنا في الزبور - وهو كتاب داود من بعد التوراة - أن الأرض يرثها عبادي الصالحون لعمارتها ، وتيسير أسباب الحياة الطيبة فيها .

١٠٦- ان في هذا الذي ذكرناه من أخبار الانبياء مع أقوامهم وأخبار الجنة والنار لكفاية في التذكير والاعتبار ، لقوم مستعدين لعبادة الله وحده ، لا تفتنهم زخارف الدنيا .

١٠٧- وما أرسلناك أيها النبي الا لتكون رحمة عامة للعالمين .

وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾
 إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم
 بِالْحَقِّ ۚ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

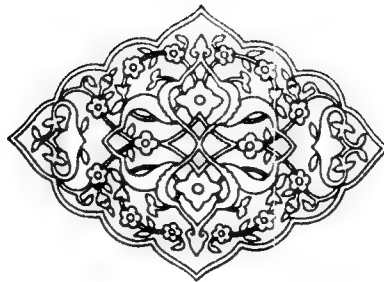
١٠٨ - قل أيها النبي للناس كافة : ان لب الذي أوحى الله به إلى هو : أنه لا اله لكم الا هو وأن بقية ما يوحى به بعد ذلك تابع لهذا الأصل ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن تستسلموا وتخضعوا لله وحده .

١٠٩ - فإن أعرضوا عن دعوتك ، فقل لهم : لقد أعلمتكم جميعا بما أمرني به ربي ، وبذلك استوتينا في العلم ، ولا أدري ما توعدون به من البعث والحساب ، أهو قريب أم بعيد ؟

١١٠ - ان الله يعلم كل ما يقال مما تجهرون به ، وما تكتُمون في أنفسكم .

١١١ - وما أدري لعل امهالكُم وتأخير العذاب عنكم اختبار يمتحنكم الله به ، ويمتكم فيه بلذائذ الحياة إلى حين قدره الله بحسب حكته .

١١٢ - قل أيها النبي : يارب احكم بيني وبين من بلغتهم الوحى بالعدل حتى لا يستوى المؤمنون والكافرون وربنا المنعم بجلائل النعم . المستحق للحمد والشكر . وهو المستعان به على إبطال ما تزخرفون افتراءه أيها الكافرون ..





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

سورة مدنية إلا الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، وآياتها ثمان وسبعون آية .

بدأت بالتنخيف من الله ، والتذكير بأهوال القيامة ، والتعريف بالمجادلين بالباطل والجهل . وعقبت ذلك بسوق دليل البعث ، مصورا في تطور خلق الإنسان وخروج النبات ، وتعرضت للمخاصمة في الله ونتيجتها . وذكرت الحج وتعظيم الشعائر . وبعد ذلك اذن الله فيها للمؤمنين بالقتال الدفاعي . واتبع ذلك بتسليية الرسول ﷺ عما أصابه من قومه ، بذكر ما أصاب الرسل قبله من عنت واضطهاد . وبين آيات السورة أدلة على قدرته تعالى ووحدانيته ، وتحديد لوظيفة الرسل . وأنها الإنذار دون الإلجاء . وفي ختام السورة ، تحدى الشركاء المزعومون ، تسفيها لعقول المشركين ، بأنهم عاجزون عن خلق أضعف مخلوق . وهو الذباب ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستخلصونه منه . ودعت إلى الصلاة ، والزكاة . والعبادة والجهاد . في غير حرج يقصد ، فهو دين أبيكم إبراهيم والد اسماعيل ، الذي توالدت منه العدنانية ، وعاقبة أمركم أن يشهد عليكم رسولكم بالتبليغ ، وتشهدون على الأمم السابقة أن رسلها بلغتكم كما جاءكم به القرآن . وختمت السورة بطلب الاعتصام بالله ، فهو نعم المولى ونعم النصير .

١ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ : احذروا عقاب ربكم ، وضعوا في قلوبكم ذكر يوم القيامة ، لأن الاضطراب الذي يحدث فيه شديد مزعج ترتجف منه الخلائق .

٢ - يوم تشاهدون القيامة ترون هولا يبلغ من شدته أنه لو كانت هناك مرضعة ثديها في فم رضيعها لذهلت عنه وتركته . ولو كانت هناك امرأة ذات حمل اسقط جنينها في غير أوانه فزعا ورعبا ، وتشاهد أيها الناظر حال الناس في ذلك اليوم من نظراتهم الذاهلة ، وخطواتهم المترنحة ، فتظنهم سكارى وما بهم من سكر ، ولكن الهول الذي شاهدوه ، والخوف من عذاب الله الشديد هو الذي أفقدهم توازنهم .

يُجَدِّلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٤﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن
مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِّتَبْلُغُوا
أَشْدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ
يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٨﴾

٣- ومع هذا التحذير الشديد الصادق فإن بعض الناس دفعه العناد أو التقليد إلى الجدل في الله وصفاته ،
فأثبت له الشركاء أو أنكر قدرته على البعث ومجازاة الناس على أعمالهم ، غير مستند في جدله وانكاره إلى علم
صحيح أو حجة صادقة ولكنه يقلد ويتبع خطوات كل شيطان متمرّد على ربه بعيد عن هديه .
٤- قضى الله أن كل من اتبعه واتخذ له ولياً وهادياً أضله عن طريق الحق ، ووجهه إلى الباطل المفضي به إلى
عذاب النار المسعرة المتأججة .

٥- يأيها الناس ان كنتم في شك من بعثناكم بعد الموت ففي خلقكم الدليل على قدرتنا على البعث ، فقد
خلقنا أصلكم من تراب ، ثم جعلنا منه نطفة حولناها بعد مدة الى قطعة دم متجمدة ، ثم جعلناها قطعة من اللحم
مصورة ، فيها معالم الإنسان ، أو غير مصورة ، لنبين لكم قدرتنا على الإبداع والتدرج في التكوين ، والتغيير من
حال إلى حال ، ونسقط من الارحام ما نشاء ، ونقر فيها ما نشاء ، حتى تكمل مدة الحمل ، ثم نخرجكم من بطون
أمهاتكم أطفالاً ، ثم نرعاكم لتبلغوا تمام العقل والقوة ، ومنكم بعد ذلك من يتوفاه الله ، ومنكم من يد له عمره حتى
يصير إلى الهرم والخرف فيتوقف علمه وإدراكه للأمور ، ومن بدأ خلقكم بهذه الصورة لا تعجزه اعادتكم . وأمر
آخر يدل على قدرة الله على البعث أنك ترى الأرض قاحلة يابسة ، فإذا أنزلنا عليها الماء دبّت فيها الحياة
وتحركت وزادت وارتفع سطحها بما تخلله من الماء والهواء ، وأظهرت من أصناف النباتات ما يروق نظره ، ويبهير
حسنه ، وتبتهج لمراه .

٦ ، ٧- ذلك الذي تقدم من خلق الإنسان وانبث الزرع شاهد بأن الله هو الاله الحق ، وأنه الذي يحيى
الموتى عند بعثهم كما بدأهم ، وأنه القادر على كل شيء ، وأن القيامة آتية لا شك فيها تحقيقاً لوعده ، وأن الله يحيى
من في القبور ببعثهم للحساب والجزاء .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ۚ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ ۚ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ

٨ - ومع ما تقدم فبعض الناس يجادل في الله وقدرته ، وينكر البعث على غير أساس علمي أو إلهام صادق ، أو كتاب منزل من الله يستبصر به . فجداله لمجرد الهوى والعناد .

٩ - وهو مع ذلك يلوى جانبه تكبرا واعراضا عن قبول الحق ، وهذا الصنف من الناس سيصيبه خزي وهوان في الدنيا بنصر كلمة الحق ، ويوم القيامة يعذبه الله بالنار المحرقة .

١٠ - ويقال له : ذلك الذي تلقاه من خزي وعذاب انما كان بسبب افتراءك وتكبرك ، لأن الله عادل لا يظلم ، ولا يسوى بين المؤمن والكافر ، والصالح ، والفاجر ، بل يجازى كلا منهم بعمله .

١١ - ومن الناس صنف ثالث لم يتمكن الإيمان من قلبه . بل هو مزعزع العقيدة ، تتحكم مصالحه في إيمانه ، ان أصابه خير فرح به واطمأن ، وان أصابه شدة في نفسه أو ماله أو ولده ارتد إلى الكفر ، فخر في الدنيا راحة الاطمئنان إلى قضاء الله ونصره ، كما خسر في الآخرة النعيم الذي وعده الله للمؤمنين الثابتين الصابرين ، ذلك الخسران المزدوج هو الخسران الحقيقي الواضح .

١٢ - يعبد هذا الخاسر من دون الله أصناما لا تضره ان لم يعبدها ، ولا تنفعه ان عبدها ذلك الفعل منه هو الضلال البعيد عن الحق والصواب .

١٣ - يدعو من دون الله من ضره بإفساد العقول وسيطرة الاوهام أقرب للنفس من اعتقاد مناصرته ، فلبس ذلك المعبود نصيرا ، ولبس ذلك المعبود عشيرا .

١٤ - أن المؤمنين بالله ورسله ايمانا اقترن بالعمل الصالح يدخلهم رهم يوم القيامة جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ، ان الله يفعل ما يريد من عقاب المفسد واثابة المصلح .

أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ
 وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ
 وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ *
 هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ
 الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهِرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْمِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا

١٥ - من كان من الكفار يظن أن الله لا ينصر نبيه فليمدد بجبل إلى سقف بيته ، ثم ليختنق به وليقدر في نفسه وينظر ، هل يذهب فعله ذلك ما يغيظه من نصر الله لرسوله ؟ .

١٦ - ومثل ما بينا حجتنا واضحة فيما سبق أن أنزلنا على الرسل ، أنزلنا القرآن كله على محمد آيات واضحات لتقوم الحجة على الناس ، وإن الله يهدي من أراد هدايته لسلامة فطرته وبعده عن العناد وأسبابه .

١٧ - إن الذين آمنوا بالله وبرسله جميعا ، واليهود المنتسبين إلى موسى ، وعباد النجوم ، والملائكة ، والنصارى المنتسبين إلى عيسى ، والمجوس عباد النار ، والمشركين عباد الأوثان .. إن هؤلاء جميعا سيفصل الله بينهم يوم القيامة بإظهار الحق من الباطل منهم ، لأنه مطلع على كل شيء عالم بأعمال خلقه ، وسيجازيهم على أعمالهم .

١٨ - ألم تعلم أيها العاقل أن الله يخضع لتصريفه من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس يؤمن بالله ويخضع لتعاليمه فاستحقوا بذلك الجنة ، وكثير منهم لم يؤمن به ولم ينفذ تعاليمه فاستحقوا بذلك العذاب والإهانة ، ومن يطرده الله من رحمته لا يقدر أحد على إكرامه ، إن الله قادر على كل شيء ، فهو يفعل ما يريد .

١٩ - هذان فريقان من الناس تنازعوا في أمر ربهم ، وما يليق به ، وما لا يليق ، فآمن به فريق وكفر فريق ، فالذين كفروا أعد الله لهم يوم القيامة نارا تحيط بهم من كل جانب ، كما يحيط الثوب بالجسد ، ولزيادة تعذيبهم تصب الملائكة على رؤوسهم الماء الشديد الحرارة !

٢٠ - فينفذ إلى ما في بطونهم فيذيبها كما يذيب جلودهم .

٢١ - وأعدت لهم أعمدة من حديد .

مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْعًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ

٢٢ - كلما حاولوا الخروج من النار من شدة الغم والكرب ضربتهم الملائكة بها وردتهم حيث كانوا ، وقالت لهم : ذوقوا عذاب النار المحرقة جزاء كفركم .

٢٣ - أما الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة ، فإن الله يدخلهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الانهار ، ينعمون بما ينعمون فيها من صنوف النعيم ، وتزينهم الملائكة بأساور الذهب واللؤلؤ ، أما لباسهم المعتاد فمن حرير .

٢٤ - وزيادة في تنعيمهم بالجنة المهمهم الله فيها الطيب من القول ، والحמיד من الفعل ، فيسبحون الله ويقدسونه ويشكرونه ، ويعاشر بعضهم بعضا بحبة وسلام .

٢٥ - ان الذين كفروا بالله ورسله واعتادوا مع ذلك منع الناس من الدخول في الإسلام ، ومنع المؤمنين من دخول المسجد الحرام في مكة - وقد جعله الله حرما آمنا للناس جميعا ، المقيم والطارء - يجازيهم على ذلك بالعذاب الشديد ، وكذلك كل من ينحرف عن الحق ، ويرتكب أى ظلم في الحرم عذبه عذابا أليما .

٢٦ - واذكر أيها النبي لهؤلاء المشركين الذين يدعون اتباع ابراهيم عليه السلام ، ويتخذون من البيت الحرام مكانا لاصنامهم ، اذكر لهم قصة ابراهيم والبيت الحرام حين أرشدناه إلى مكانه ، وأمرناه ببنائه وقلنا له : لا تشرك بى شيئا ما في العبادة ، وطهر بيتي من الأصنام والأقذار ليكون معدا لمن يطوف به ، ويقم بجواره ، ويتعبد عنده .

٢٧ - وأعلم الناس أيها النبي أن الله فرض على المستطيعين منهم أن يقصدوا هذا البيت ، فلبوا نداءك ، ويأتون إليه مشاة وركبانا على ابل يضمهرها السفر من كل مكان بعيد .

عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ
وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ
إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ
شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

٢٨ - ليحصلوا منافع دينية لهم بأداء فريضة الحج، ومنافع دنيوية بالتعارف مع اخوانهم المسلمين والتشاور معهم فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وليذكروا اسم الله في يوم عيد النحر والأيام الثلاثة بعده على ذبح ما رزقهم ويسر لهم من الإبل والبقر والغنم، فكلوا منها ما شئتم وأطعموا الذي أصابه البؤس والفقر.

٢٩ - ثم عليهم بعد ذلك أن يزيلوا من أجسامهم ما علق بها أثناء الإحرام، من آثار العرق وطويل السفر، ويصرفوا ما نذروه لله ان كانوا قد نذروا شيئاً، ويطوفوا بأقدم بيت بنى لعبادة الله في الأرض.

٣٠ - ومن يلتزم أوامر الله ونواهيه في حجه تعظيماً لها في نفسه كان ذلك خيراً له في دنياه وآخرته، وقد أحل الله لكم أكل لحوم الإبل والبقر والغنم، إلا في حالات تعرفونها مما يتلى عليكم في القرآن كالميتة وغيرها، فاجتنبوا عبادة الأوثان، لأن عبادتها قذارة عقلية ونفسية لا تليق بالإنسان، واجتنبوا قول الزور على الله وعلى الناس!

٣١ - وكونوا مخلصين لله حريصين على اتباع الحق. غير متخذين أى شريك لله في العبادة فإن من يشرك بالله فقد سقط من حصن الإيمان، وتنازعت الضلالات، وعرض نفسه لأبشع صورة من صور الهلاك، وكان حاله حنئ كحال الذى سقط من السماء فتمزق قطعاً تخاطفتها الطيور فلم يبق له أثر، أو عصفت به الريح العاتية فشنت أجزاءه وهوت بكل جزء منه في مكان بعيد.

٣٢ - ان من يعظم دين الله وفرائض الحج وأعماله والهدايا التي يسوقها الى فقراء الحرم، فيختارها عظيمة سمناً صحاحاً لا عيب فيها فقد اتق الله، لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى القلوب المؤمنة، وعلامة من علامات الإخلاص.

٣٣ - لكم في هذه الهدايا منافع دنيوية، فتركبوها وتشربون لبنها إلى وقت ذبحها، ثم لكم منافعها الدينية كذلك حينما تذبحونها عند البيت الحرام تقرباً إلى الله.

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّبَذْرِ أَتْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَارْزَقِهِمْ مِّنْ بَيْمَةٍ الْأَنْعَمِ ۖ فَلِلَّذِينَ إِكَّ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَبُوا
وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمُ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْبَرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن
يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۚ وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ * إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ

٣٤ - ليست هذه الفرائض التي تتعلق بالحج خاصة بكم ، فقد جعلنا لكل جماعة مؤمنة قرابين يتقربون بها إلى الله ، ويذكرون اسمه ويعظمونه عند ذبحها شكرا له على ما أنعم عليهم ، ويسره لهم من بهائم الابل والبقر والغنم ، والله الذي شرع لكم ولهم اله واحد ، فاسلموا له وحده أمركم وأخلصوا له عملكم ولا تشركوا معه أحدا ، وبشر أيها النبي بالجنة والثواب الجزيل المخلصين الخاضعين لله من عباده .

٣٥ - الذين إذا ذكر الله اضطربت قلوبهم من خشيته وخشعت لذكره والذين صبروا على ما أصابهم من المكارة والمتاعب استسلاما لأمره وقضائه ، وأقاموا الصلاة على أكمل وجوها ، وأنفقوا بعض أموالهم التي رزقهم الله إياها في سبيل الخير .

٣٦ - وقد جعلنا ذبح الابل والبقر في الحج من أعلام الدين ومظاهرة ، وانكم تتقربون بها إلى الناس ، ولكم فيها خير كثير في الدنيا بركوبها وشرب لبنها ، وفي الآخرة بالأجر والثواب على ذبحها واطعام الفقراء منها ، فاذكروا اسم الله حال كونها مصطفة معدة للذبح خالية من العيب . . فإذا تم لكم ذبحها فكلوا بعضها ، ان اردتم ، واطعموا الفقير القانع المتعفف عن السؤال ، والذي دفعته حاجته إلى ذل السؤال ، وكما سخرنا كل شيء لما نريده منه سخرناها لنفعمكم ، وذللتها لإرادتكم لتشكرونا على نعمنا الكبيرة عليكم .

٣٧ - واعلموا أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم ، ولا يريد منكم مجرد التظاهر بالذبح وارقة الدماء ، ولكنه يريد منكم القلب الخاشع ، فلن ينال رضاه من وزع تلك اللحوم ولا الدماء ، ولكن الذي ينال رضاه هو تقواكم وإخلاص نواياكم . مثل هذا التسخير سخرناها لننفعكم فتعظموا الله على ما هداكم إليه من إتمام مناسك الحج ، وبشر أيها النبي المحسنين الذين أحسنوا أعمالهم ونواياهم بثواب عظيم .

٣٨ - ان الله يدافع عن المؤمنين ويحميهم وينصرهم بإيمانهم ، لأنه لا يحب الخائنين لأماناتهم المبالغين في كفرهم برهم ، ومن لا يحبه الله لا ينصره .

بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمِعُ وَيَعَّ وَصَلَوْتُ وَمَسَّجِدُ يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَظِيمُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۚ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ

٣٩- أذن الله للمؤمنين الذين قاتلهم المشركون أن يردوا اعتداءهم عليهم ، بسبب ما نالهم من ظلم صبروا عليه طويلا ، وإن الله لقدير على نصر أوليائه المؤمنين^(١).

٤٠- الذين ظلمهم الكفار وأرغموهم على ترك وطنهم مكة والهجرة منها ، وما كان لهم من ذنب عندهم الا أنهم عرفوا الله فعبدوه وحده . ولولا أن الله سخر للحق أعوانا ينصرونه ويدفعون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل ، وقادى الطغاة في طغيانهم ، واخذوا صوت الحق . ولم يتركوا للنصارى كنائس ولا لربانهم صوامع ولا لليهود معابد ، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله ذكرا كثيرا وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه ، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق في الأرض . ووعد الله لا يتخلف ، لأنه قوى على تنفيذ ما يريد عزيز لا يغلبه غالب .

٤١- هؤلاء المؤمنون الذين وعدنا بنصرهم هم الذين ان مكنا سلطانهم في الأرض حافظوا على حسن صلتهم بالله وبالناس ، فيؤدون الصلاة على أتم وجوها ، ويعطون زكاة أموالهم مستحقيا ، وأمرؤا بكل ما فيه خير ، ونهوا عن كل ما فيه شر ، والله وحده مصير الأمور كلها ، فيعز من يشاء ، ويذل من يشاء حسب حكته .

٤٢- وإذا كنت تلاقى أيها النبي تكذيبا وإيذاء من قومك فلا تحزن ، وتأمل في تاريخ المرسلين قبلك تجد أنك لست أول رسول كذبه قومه وأذوه ، فن قبل هؤلاء الذين كذبوك ، كذبت قوم نوح رسوهم نوحا ، وكذبت قوم عاد رسوهم هودا ، وكذبت ثود رسوهم صالحا .

٤٣- وكذب قوم ابراهيم رسوهم ابراهيم ، وقوم لوط رسوهم لوطا .

(١) « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » : أن ما ذكره القرآن الكريم من الحكم في الآية « ٣٩ » سبق به القوانين الوضعية ، وهو أن الدفاع عن النفس أمر مشروع مهما كانت نتائجه ، وأن المدافع عن نفسه وماله ووطنه ، لا يؤاخذ أمام الله وأمام العدالة ولو قتل نفسا وأزهق أرواحا . إن هذه الآية قررت أن المسلمين مأذون لهم في الدفاع عن أنفسهم إذا أعتدى عليهم . ومن ذلك نأخذ أن حروب المسلمين كانت حروب دفاع لا حروب هجوم ، وأنهم أقاموا الإسلام ودعموه بالحجة البينة والأدلة الواضحة .

ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
وَبُيُوتٍ مُعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا

٤٤ - وكذب أهل مدين رسولهم شعيبا ، وكذب فرعون وقومه رسول الله موسى ، لقي هؤلاء المرسلون ما لاقيت ، وقد أهملت هؤلاء المكذبين مدة لعلمهم يثوبون إلى رشدهم ويستجيبون لدعوة الحق ، ولكنهم افتروا وقادوا في تكذيب رسولهم وايدانهم ، ازدادوا اثما على آثامهم ، فعاقبتهم بأشد أنواع العقاب ، فانظر في تاريخهم تجد كيف كان عقابي لهم شديدا ، حيث أبدلتهم بالنعمة نقمة ، وبالعافية هلاكا ، وبالعارة خرابا .

٤٥ - فأهلكنا كثيرا من أهل القرى بأهلها الذين يعمرونها ، بسبب ظلمهم وتكذيبهم لرسولهم فأصبحت ساقطة سقوفها على جدرانها ، خالية من سكانها ، كأن لم تكن موجودة بالأمس ، فكم من بئر تعطلت من روادها واختنق ماؤها ، وقصر عظيم مشيد مطلى بالجص خلا من سكانه

٤٦ - يقولون ما يقولون ويستعجلون العذاب ، ولم يسيروا في الأرض ليشاهدوا بأعينهم مصرع هؤلاء الظالمين المكذبين ؟ فرما تستيقظ قلوبهم من غفلتها ، وتعقل ما يجب عليهم نحو دعوة الحق التي تدعوهم إليها ، وتسمع أذانهم أخبار مصارع هؤلاء الكفار فيعتبروا بها ، ولكن من البعيد أن يعتبروا بما شاهدوا أو سمعوا ما دامت قلوبهم متحجرة ، إذ ليس العمى الحقيقي عمى الأبصار ، ولكنه في القلوب والبصائر .

٤٧ - ويأخذ الغرور كفار مكة فلا يبالون مع قيام هذه العبر . فيستعجلونك - أيها النبي - بوقوع ما توعدتهم به من العذاب تحديا واستهزاء ، وهو لا محالة واقع بهم ، ولكن في موعد قدره الله في الدنيا أو في الآخرة ، ولن يخلف وعده بحال ولو طالَّت السنين ، فإن يوما واحدا عنده يماثل ألف سنة مما تعدون وتحسبون^(١) .

(١) « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » . يسبق القرآن بهذه الآية الكريمة ركب العلم بتقرير أن الزمن نسبي . وأن فكرة الزمن العالَمي المطلق الذي كان يسلم به الأقدمون قبل ظهور النسبية هي فكرة خاطئة .

وَالْإِلَّاهِ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ

٤٨ - وكثير من أهل القرى كانوا مثلهم ظالمين ، فأمهاتهم ولم أعاجلهم بالعقاب ثم أنزلته بهم ، وإلى وحدي مرجع الجميع يوم القيامة فأجازهم بما يستحقون ، فلا تغفروا - أيها الكفار - بتأخير العذاب عنكم .

٤٩ - قل أيها النبي لهؤلاء المكذبين الذين يطلبون منك التعميل بعذابهم : ليس من مهمتي أن أجازيكم على أعمالكم ، وإنما أنا محذر من عقاب الله تحذيرا واضحا ، والله هو الذي يتولى حسابكم ومجازاتهم .

٥٠ - فالذين آمنوا بالله وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحة لهم مغفرة من الله لذنوبهم التي وقعوا فيها ، كما أن لهم رزقا كريما في الجنة .

٥١ - والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن مسابقين المؤمنين معارضين لهم ، شاقين زاعمين - خطأ - أنهم بذلك يبلغون ما يريدون ، أولئك يخلدون في عذاب الجحيم .

٥٢ - لا تحزن - أيها النبي - من محاولات هؤلاء الكفار ، فقد جرت الحوادث من قبلك مع كل رسول من رسلنا ونبي من أنبيائنا أنه كلما قرأ عليهم شيئا يدعوهم به إلى الحق تصدى له شياطين الإنس المتمردون ، لإبطال دعوته وتشكيك الناس في يتلوه عليهم ، لكي يحولوا بين النبي وبين أمنيته في اجابة دعوته ، فيزيل الله ما يدبرون ، ثم تكون الغلبة في النهاية للحق حيث يثبت الله شريعته وينصر رسوله ، وهو عليم بأحوال الناس ومكائدهم ، حكيم في أفعاله يضع كل شيء في موضعه .

٥٣ - وإنما مكن الله المتمردين على الحق من القاء الشبه والعراقيل في سبيل الدعوة ليكون في ذلك امتحان واختبار للناس ، فالكفار الذين تحجرت قلوبهم ، والمنافقون ومرضى القلوب ، يزدادون ضلالا بترويج هذه الشبه ومناصرتها ، ولا عجب في أن يقف هؤلاء الظالمون هذا الموقف فإنهم لجوا في الضلال وأوغلوا في العناد والشقاق .

الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُم ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا قَالُوا لَنَكُنَّ لَكَ لَمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾
* ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ۖ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

٥٤ - وليزداد الذين أوتوا علم الشرع والایمان به ایمانا وعلما بان مايقوله الرسل والانبياء انما هو الحق المنزل من عند الله . وان الله ليتولى المؤمنين دائما بعنايته في المشاكل التي تمر بهم ، فيهديهم الى معرفة الطريق المستقيم فيتبعونه .

٥٥ - والذين كفروا لا يوقفون فيستمرن على شكهم في القرآن حتى يأتيهم الموت ، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير لهم فيه ولا رحمة وهو يوم القيامة .

٥٦ - حيث يكون السلطان القاهر ، والتصرف المطلق لله وحده في هذا اليوم الذي يحكم فيه بين عباده ، فالذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة يخلدون في جنات تتوافر لهم فيها كل صنوف النعيم .

٥٧ - والذين كفروا وكذبوا بآيات القرآن التي أنزلناها على محمد ، فأولئك لهم عذاب يلقون فيه الذل والهوان .

٥٨ - والذين تركوا أوطانهم لإعلاء شأن دينهم يبتغون رضا الله ، ثم قتلوا في ميدان الجهاد ، أو ماتوا على فراشهم ، يجزيهم الله أحسن الجزاء ، وان الله لهو خير من يعطي الثواب الجزيل .

٥٩ - وليزلهن في الجنة درجات يرضونها ويسعدون بها ، وان الله لعلیم بأحوالهم فيجزئهم الجزاء الحسن ، حلیم يتجاوز عن هفواتهم .

٦٠ - ذلك شأننا في مجازاة الناس : لا نظلمهم ، والمؤمن الذي يقتص من جنى عليه ، ويجازيه بمثل اعتدائه دون زيادة ، ثم يتأدى الجاني في الاعتداء عليه بعد ذلك ، فان الله يعطي عهدا مؤكدا بنصره على من تعدى عليه ، وان الله لكثير العفو عن جازي بمثل ما وقع عليه ، فلا يؤاخذ به ، كثير المغفرة فيستر هفوات عبده الطائع ولا يفضحه يوم القيامة .

يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعََلَن

٦١ - ذلك النصر هين على الله لأنه قادر على كل شيء، ومن آيات قدرته البارزة أمامكم هيمته على العالم، فيداول بين الليل والنهار بأن يزيد في أحدهما ما ينقصه من الآخر، فتصير بعض ظلمة الليل مكان بعض ضوء النهار، وينعكس ذلك، وهو سبحانه مع تمام قدرته سميع لقول المظلوم، بصير بفعل الظالم، فينتقم منه.

٦٢ - ذلك النصر للمظلومين منه تعالى، وتصرفه المطلق في الكون كما تلمسون مرجعه انه هو الاله الحق الذي لا اله معه غيره، وان ما يعبد المشركون من الأصنام هو الباطل الذي لاحقيقة له وأن الله وحده هو العلي على ماعداء شأننا، الكبير سلطانا.

٦٣ - الا تعتبر ايها العاقل بما ترى حولك من مظاهر قدرة الله فتعبد وحده؟ فهو الذي أنزل ماء الأمطار من السحاب فأصبحت الأرض به مخضرة بما ينبت فيها من النبات، بعد أن كانت مجدبة، ان الله كثير اللطف بعباده، خير بما ينفعهم فيبيته لهم بقدرته.

٦٤ - كل ما في السموات وما في الأرض ملك له، وعبيد له وحده، ويتصرف فيه كما يشاء، وهو الغني عن عباده، وهم المفتقرون اليه، وهو الحقيق وحده بالحمد والثناء عليه، من جميع خلقه.

٦٥ - ألا تنظر ايها العاقل الى مظاهر قدرة الله فترآه ييسر للناس جميعا الانتفاع بالأرض وما فيها، وهباً لهم البحر تسير فيه السفن بمشيئته وأمسك الكواكب في الفضاء بقدرته حتى لا يختل نظامها، أو تقع على الأرض الا اذا اقتضت ارادته ذلك، ان الله سبحانه شديد الرأفة والرحمة بعباده فيهيء كل سبيل الحياة الطيبة لهم، فكيف بعد ذلك كله لا يخلصون في شكره وعبادته؟ (١).

٦٦ - وهو الذي أوجد فيكم الحياة، ثم يميتكم حين تنقضي آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء، ان الانسان مع كل هذه النعم والدلائل لشديد الجحود بالله وبنعمه عليه.

تعلق الخبراء على الآية ٦٥:

(١) «ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض، والفلك تجري في البحر بأمره، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرءوف رحيم»: تتضمن هذه الآية الكريمة معاني علمية دقيقة، فالسما - وهي كل ما علانا - تبدأ بفسلاف الأرض الهوائي، فالفضاء، فأجرام السماء المشع منها لذاته مثل النجوم والمجموعات النجمية والسدم، والمجرات. وغير المشع لذاته كالأنوار، والكواكب والمذنبات، النيازك، الجزئيات، الذرات، والغبار الكوني. جميع هذه العوالم تحتفظ بكيانها وتماسكها تحت تأثير عدة قوى، أهمها الجاذبية والقوى الناشئة عن الحركة.

ولقد تجلّت مشيئة الله ورأفته بالعباد بأن هباً غلافا جويما يحتوي على العناصر الغازية التي لا غنى للحياة عنها، كما أنه يحمي سكان الأرض من الاشعاعات الكونية وأسراب الشهب والنيازك التي تهيم في الفضاء والتي عندما تدنو من الأرض تحترق في جوها العلوى قبل أن تصل إلى السطح.

ومن أرادته تعالى ورحمته أن سقوط النيازك التي تدمر سطح الأرض نادر الحدوث جدا، وهو يتم في الأماكن الخالية من السكان، وهذه الظاهرة تدل على عناية الله تعالى ورحمته بعباده، وفي هذا تأكيد وتصديق لقوله تعالى: «ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم».

هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلْتُمْ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٧٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونِ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّهِمْ ذِكْرٌ أَلَمْ تَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ

٦٧ - وقد جعلنا لكل أمة من أصحاب الشرائع السابقة شريعة خاصة بهم لاثقة بعصرهم يعبدون الله عليها الى ان ينسخها ما يأتي بعدها . ومن أجل هذا جعلنا لأمتك - أيها النبي - شريعة يعبد الله عليها الى يوم القيامة . واذا كان هذا امرنا ووضعنا ، فلا يجوز ان يشتد في منازعتك فيه هؤلاء المتعبدون بأديانهم السابقة عليك ، فقد نسخت شريعتك شرائعهم ، فلاتلتفت لمجادلتهم ، واستمر في الدعوة الى ربك حسبما يوحى اليك . انك لتسير على هدى ربك المستقيم .

٦٨ - وان أصرروا على الاستمرار في مجادلتك . فأعرض عنهم ، وقل لهم : الله أعلم بأعمالكم ، وبما تستحقون عليها من الجزاء .

٦٩ - الله يحكم بيني وبينكم يوم القيامة ، فيا كنتم تختلفون فيه معي ، فيثيب المهتدى ويعاقب الضال .

٧٠ - واعلم أيها العاقل أن علم الله محيط بكل ما في السماء وما في الأرض ، فلا يخفى عليه شيء من أعمال هؤلاء المجادلين ، فكل ذلك ثابت عند الله في لوح محفوظ ، لأن احاطته بذلك واثباته وحفظه يسير عليه كل اليسر .

٧١ - ويعبد المشركون من دون الله أوثانا وأشخاصا لم ينزل بعبادتها حجة في كتاب سماوى ، وليس لديهم عليها دليل عقلى ، ولكن لمجرد الهوى والتقليد ، وليس هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وامتنوا عقولهم نصير ينصرهم ، ويدفع عنهم عذاب النار يوم القيامة كما يزعمون .

٧٢ - هؤلاء المشركون اذا تلا أحد عليهم آياتنا الواضحات ، وفيها الدليل على صحة ما تدعو اليه - أيها النبي - وفساد عبادتهم ، تلحظ في وجوههم الحق والفيظ الذى يستبد بهم ، حتى ليكاد يدفعهم الى الفتك بالذين يتلون عليهم هذه الآيات . قل لهم أيها النبي ، تبكيئا وانذارا : هل تسمعون الى فأخبركم بشيء هو أشد عليكم شرا من الفيظ الذى يحرق نفوسكم ؟ انه هو النار التى توعدها الله بها الذين كفروا أمثالكم يوم القيامة وما أسوأها مصيرا ومقاما .

فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاقْعُوا أَنْخِرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

٧٣ - يأياها الناس : انا نبرز أمامكم حقيقة عجيبة في شأنها . فاستمعوا إليها وتدبروها : ان هذه الأصنام لن تستطيع أبدا خلق شيء ، مهما يكن تافها حقيرا كالذباب ، وان تضافروا جميعا على خلقه ، بل ان هذا المخلوق التافه ، لوسلب من الأصنام شيئا من القرايين التي تقدم إليها فانها لاتستطيع بحال من الاحوال ان تمنعه عنه أو تسترده منه ، وما أضعف الذي يهزم أمام الذباب عن استرداد ما سلبه منه ، وما أضعف نفس الذباب ، كلاهما شديد الضعف ، بل الأصنام كما ترون أشد ضعفا فكيف يليق بانسان عاقل أن يعبدها ويلتمس النفع منها ؟

٧٤ - هؤلاء المشركون ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه حين أشركوا به في العبادة أعجز الاشياء ، مع أن الله هو القادر على كل شيء العزيز الذي لا يغلبه غالب .

٧٥ - وقد اقتضت ارادة الله وحكمته ان يختار من الملائكة رسلا ، ويختار من البشر كذلك رسلا ، ليلفوا شرعه الى خلقه ، فكيف تعترضون على من اختاره رسولا اليكم ؟ ان الله سميع لأقوال عباده ، بصير بما يفعلون ومجازيهم عليه .

٧٦ - وهو سبحانه يعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة لاتخفى عليه منهم خافية واليه وحده مرجع الأمور كلها .

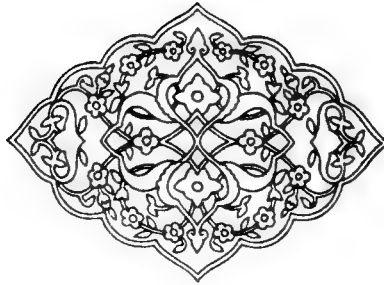
٧٧ - يأياها الذين آمنوا لاتلتفتوا الى تضليل الكفار ، واستمروا على أداء صلاتكم تامة وافية راكعين ساجدين ، واعبدوا ربكم الذي خلقكم ورزقكم ، ولا تشركوا به أحدا ، واعملوا كل ما فيه خير ونفع ، كي تكونوا من المصلحين السعداء في أخراكم ودنياكم .



وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

٧٨ - وجاهدوا في سبيل اعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته حتى تنتصروا على اعدائكم وشهواتكم لأنه سبحانه قريبكم اليه ، واختاركم لنصرة دينه ، وجعلكم أمة وسطا ، ولم يكلفكم فيما شرعه لكم ما فيه مشقة عليكم لاحتملونها ويسر عليكم ما يعترضكم من مشقة لاتطبقونها مما جعله لكم من أنواع الرخص ، فالزموا هذا الدين ، فهو دين أبيكم ابراهيم في مبادئه وأأسسه ، وهو سبحانه الذي سماكم المسلمين في الكتب المنزلة السابقة ، وفي هذا القرآن لاذعانكم لما شرعه لكم ، فكونوا كما سماكم الله لتكون عاقبتكم أن يشهد رسولكم بأنه بلغكم وعلمتم بما بلغكم به فتسعدوا وتكونوا شهداء على الأمم السابقة بما جاء في القرآن من أن رسلها بلغتها ، واذا كان الله قد خصكم بالطاعة له ، فتقيموا الصلاة على أتم الميزات كلها ، فمن الواجب عليكم أن تقابلوها بالشكر والطاعة له فتقيموا الصلاة على أتم وجوها ، وتعطوا الزكاة لمستحقها وتتكلموا على الله في كل أموركم وتستمدوا منه العون فهو معينكم وناصركم .

فنعم المولى ونعم النصير .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ

سورة مكية ، وآياتها مائة وثمان عشرة آية ، ابتدأت بآيات الفلاح للمؤمنين ، وأنبئت ذلك ببيان صفاتهم . ثم ذكرت أصل خلق الانسان ، وتطور أصله ، وتسلسل سلالاته ، وبعض مظاهر قدرة الله تعالى وعقبت ذلك بقصص الأنبياء ، المردفة باتحاد الرسالات ووحدة الانسان ، وان اختلف الناس الى معترف ومنحرف ، ووصفت طالب الهدى وصاحب الضلال ، وبينت موقف المشركين من النبي ﷺ ، وانتقلت من ذلك الى مظهر قدرة الله في أحكام خلق الانسان ، وأخذ سبحانه فيها يسأل الناس ليجيئوه بفطرم ، بما يقرر وجوده ، ويثبت ألوهيته ، ثم بينت السورة أحوال الناس في القيامة ، وانهم سيحاسبون ، ويؤخذون بالعدل ، وتختتم السورة ببيان جلاله سبحانه وتعالى ، وتنبيه رسوله الى طلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين .

١ - تحقق الفلاح للمؤمنين بالله وبما جاءت به الرسل ، وفازوا بأمانهم .

٢ - الذين ضمو الى ايمانهم العمل الصالح ، فهم في صلاتهم متوجهون الى الله بقلوبهم خائفون منه متذللون له ، يحسون بالخضوع المطلق له .

٣ - هم مؤثرون للجد ، معرضون عما لا خير فيه من قول وعمل .

٤ - وهم محافظون على اداء الزكاة الى مستحقيها ، وبذلك يجمعون بين العبادات البدنية والعبادات المالية ، وبين تطهير النفس وتطهير المال (١) .

٥ - وهم يحافظون على أنفسهم من أن تكون لها علاقة بالنساء (٢) .

(١) « والذين هم للزكاة فاعلون » : هدفت فريضة الزكاة الى توثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين ، وإشعار كل فرد منهم بأنه مسئول عن أخيه ، بحس بإحساسه ، ويتألم لألمه ، فيعمل ما استطاع ليقيه نائبات الزمان ومرارة الحرمان ، فلا يحقد فقير أو مسكين على غنى ، بل يشعر الجميع بأنهم أسرة واحدة متعاونة معتصمة بحبل الله ، ولا يبأس مدين من أن يعطى ما يقي به دينه إذا كان لا يملك ما يوفي به هذا الدين . . ولا توهن عزيمة غاز في سبيل الله لنصرة دينه وتحرير وطنه حاجة إلى مال يعينه على تحقيق غايته ، ولا يعدم مسافر أو غريب محتاج أو منقطع عن ماله من ييذل له نفقة يستعين بها حتى يصل إلى وطنه والزكاة بجانب هذا كله كانت وسيلة من الوسائل الفعالة التي اتخذها الإسلام لفك الرقاب وإلغاء الرق ، ولقد توسع الإسلام في تحقيق أهدافه الاجتماعية العالمية ، ونبذ التعصب الديني المقفوت ، فأباح أن يعطى الكفار من الزكاة إذا دعت الحاجة إلى استلافهم ، وكذلك العاملون عليها ، والمكاتبون ، وأبناء السبيل والفاقرمون لإصلاح ذات البين ، والذين يعاونون المسلمين في القتال . أما الهدف الاقتصادي للزكاة فهو القضاء على الفقر ائنا حل ، ومعاونة كل ذي حاجة على النحو الذي تقدم .

(٢) « والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » : تنصل هذه الآيات بآيات أخرى في سورة النور أولها : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة جلدة » . . ان الآيات الكريمة المذكورة تشير إلى ما ينتج عن الزنا من آثار اجتماعية . . أما الناحية الاجتماعية فيؤدي الزنا إلى اختلاط الأنساب . كما أنه من الناحية الطبية ينقسم تأثير الزنا إلى ناحيتين :

الأولى : هي الناحية الجسدية وما ينتج عنها ، مثل السيلان والزهرى والقرحة والزرقة ، ومن مضاعفاتها أن السيلان ينتهي بمضاعفات بولية تناسلية أو مفصلية أو رمدية قد ينتج عنها فقد الإبصار ، أما الزهرى فينتشر في الجسم كله ويصيب الأنسجة والشرابين والجهاز العصبي ، وقد ينتهي بصاحبه إلى الجنون ، كما يؤثر على النسل ، فيموت الجنين أو يشوه .

الثانية : التأثير العصبي . فإن الزناة منهم من قد يصاب بتأنيب الضمير والشعور بالاثم ، وفي النهاية يصاب بانهايار عصبي ، ومن كثرة الاقراط قد يؤدي به إلى طريق الجنون .

أَيْمَنَهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتَّبَعْنِي وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخِرَ فِتْنَارِكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنسَكْنَاهُ

٦ - الابطريق الزواج الشرعى أو بملكية الجوارى^(١) فلا مؤاخذه عليهم فيه .

٧ - فمن أراد الاتصال بالمرأة عن غير هذين الطريقين فهو متعد للحدود المشروعة غاية التعدى .

٨ - وهم محافظون على كل ما اتتمنوا عليه من مال أو قول أو عمل أو غير ذلك ، وعلى كل عهد بينهم وبين الله أو بينهم وبين الناس ، فلا يخونون الأمانات ولا ينقضون العهد .

٩ - وهم مداومون على أداء الصلاة في أوقاتها ، محققون لأركانها وخشوعها ، حتى تؤدي إلى المقصود منها ، وهو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر .

١٠ - هؤلاء الموصوفون الذين يرثون الخير كله وينالونه يوم القيامة .

١١ - هم الذين يتفضل الله عليهم بالفردوس ، أعلى مكان في الجنة ، يتمتعون فيه دون غيرهم .

١٢ - وإن على الناس أن ينظروا إلى أصل تكوينهم ، فانه من دلائل قدرتنا الموجبة للإيمان بالله وبالبعث ، فاننا خلقنا الانسان من خلاصة الطين .

١٣ - ثم خلقنا نسله فجعلناه نطفة - أى ماء فيه كل عناصر الحياة الأولى - تستقر في الرحم وهو سكان مستقر حصين .

١٤ - ثم صيرنا هذه النطفة بعد تلقيح البويضة والاختصاص دما . ثم صيرنا الدم بعد ذلك قطعة لحم ، ثم صيرناها هيكلًا عظميًا ، ثم كسونا العظام باللحم ، ثم أتممنا خلقه فصار في النهاية بعد نفخ الروح فيه خلقًا مغايرًا لبداً تكوينه ، فتعالى شأن الله في عظمته وقدرته ، فهو لا يشبهه أحد في خلقته وتصويره وإبداعه .

١٥ - ثم انكم ، يا بنى آدم ، بعد ذلك الذى ذكرناه من أمركم صائرون إلى الموت لا محالة .

١٦ - ثم انكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء .

١٧ - واننا قد خلقنا سبع سموات مرتفعة فوقكم فيها مخلوقات لم نغفل عنها فحفظناها ودبرناها ، ونحن لا نغفل عن جميع المخلوقات ، بل نحفظها كلها من الزوال والاختلال وتدبر كل أمورها بالحكمة^(٢) .

(١) كان الرق في الماضي ثابتاً ، وكان للرجل أن يسطق من جواريه من يتخذها كزوجة ، والإسلام أباح الرق في القتال المشروع إذا كان الأعداء يسترقون من قبيل المعاملة ، فإن لم يسترق الأعداء فإن المسلمين لا يسترقون .

(٢) « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » ، الطرائق السبع في الآية كناية عن عدد السموات ، وانها ليست بساء واحدة ، وهو - عز وجل - لا يغفل عن هذه السموات وما فيها من خلق .

فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَكُهٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاصِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

١٨ - وأنزلنا من السماء مطرا بحكمة وتقدير في تكوينه وانزاله، وتيسيرا للانتفاع به جعلناه مستقرا في الأرض على ظهرها وفي جوفها، وإنا لقادرون على ازالته وعدم تمكينهم من الانتفاع به، ولكننا لم نفعل رحمة بكم، فآمنوا بخالفه وأشكروه (١).

١٩ - فخلقنا لكم بهذا الماء حدائق من نخيل وأعنا بكم فيها فواكه كثيرة. ومنها تأكلون.

٢٠ - وخلقنا لكم شجرة الزيتون التي تنبت في منطقة طور سيناء، وفي ثمارها زيت تنتفعون به، وهو ادام للأكلين (٢).

٢١ - وإن لكم في الأنعام وهي الابل والبقر والغنم مايدل على قدرتنا وتفضلنا عليكم بالنعم، نسقيكم لبنا مستخرجا مما في بطونها خالصا سائغا سهلا للشاربين، ولكم فيها سوى اللبن منافع كثيرة كاللحوم والأصواف والأوبار ومنها تعيشون وترزقون.

٢٢ - وعلى هذه الأنعام، وعلى السفن تركيبون وتحملون الأثقال، فخلقنا لكم وسائل الانتقال والحمل في البر والبحر، وبها يكون الاتصال بينكم.

٢٣ - وفي قصص الأولين عبرة لكم لتؤمنوا، فقد أرسلنا نوحا الى قومه، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم اله يستحق العبادة غيره، ألا تخافون عقابه، وزوال نعمه ان عصيتم.

(١) « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض، وإنا على ذهاب به لقادرون »: تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية خاصة بالدورة المائية في الأرض، فمن المعلوم أن عمليات البحر من المحيطات والبحار تنشأ عنها إثارة السحب التي ينزل منها المطر الذي هو أساس المياه العذبة على سطح الأرض، والعنصر الأساسي للحياة عليها. ومن الأمطار تفيض الأنهار التي تهب الحياة للمناطق القاحلة والثابتة، ثم هي أخيرا تصب في البحار، وتعيد الطبيعة الكرة من البحر إلى الجو إلى البر ثم إلى البحر ثانية.. غير أن بعض مياه الأمطار في أثناء هذه الدورة الطبيعية يتسرب إلى باطن القشرة الأرضية مكونا المياه الجوفية التي ينتقل فيها من مكان إلى آخر، وكثيرا ما تستقر وتظل مخزنة في أحواض تركيبيية شاسعة تحت السطح تقيدها في مكانها آمادا طويلة، كذلك التي توجد تحت الصحراء الغربية الليبية، والتي كشفت البحوث الحديثة عن أصلها القديم. وقد تعترى مثل هذه التراكيب الجيولوجية المخازنة تغييرات حرارية يسميها العلماء بالثورات الجيولوجية، فتذهب بها ومايها من ماء إلى أمكنة أخرى قاحلة، فتحييها بعد موتها.

وتشير هذه الآية إلى الحكمة العالية في توزيع الماء بقدر أي بتقدير لائق حكيم، لاستغلال المنافع ودفع المضار.. وتم معنى آخر للآية الكريمة يفيد أن مشيئة الخالق - جل وعلا - اقتضت أن يسكن في الأرض كمية معلومة من المياه في محيطاتها وبحارها تكن لحدوث التوازن الحراري المناسب في هذا الكوكب، وعدم وجود فروق عظيمة بين درجات حرارة الصيف والشتاء لا تلائم الحياة، كما في بعض الكواكب والتوابع، كالقمر.. كما أن مياه الأرض أنزلت بقدر معلوم، لا يزيد فيغطي كل سطحها، ولا يقل فيقصر دون رى الجزء البرى منها.

(٢) « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلين »: تقرر هذه الآية الكريمة أن شجرة الزيتون من ضمن النعم التي أنعم الله بها على الإنسان وعدد بعضها في الآيات السابقة واللاحقة لهذه الآية إذ أنها من الأشجار الخشبية التي تعمر طويلا لمدد تزيد على مئات السنين، فلا يأخذ أمرها جهدا من الإنسان إنما تثمر أمثارا مستمرة طبيعية.. كما تتميز بأنها دائمة الخضرة جميلة المنظر.

فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 مَلَائِكَتَهُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ
 أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾
 فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي
 مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

٢٤ - فقال الكبراء من قومه الذين كفروا منكرين لدعوته صادين العامة عن اتباعه : لافرق بين نوح وبينكم . فهو مثلكم في البشرية ، ولكنه يريد أن يتميز عليكم بهذه الدعوة . ولو كان هناك رسل من الله كما يزعم ، لأرسلهم ملائكة ماسمعنا في تاريخ آبائنا السابقين بهذه الدعوة ولا بإرسال بشر رسولا .

٢٥ - ما هو إلا رجل به جنون ولذلك قالوا . فانتظروا واصبروا عليه حتى ينكشف جنونه ، أو يحين هلاكه .

٢٦ - دعا نوح ربه بعد ما يش من إيمانهم فقال : يارب انصرني عليهم . وانتقم منهم بسبب تكذيبهم لدعوتي .

٢٧ - فقلنا له عن طريق الوحي : اصنع السفينة ، وعنايتنا ترعاك ، فتدفع عنك شرهم وترشدك في عملك ، فاذا حل ميعاد غذائهم ، ورأيت التنور يفور ماء بأمرنا ، فأدخل في السفينة من كل نوع من الكائنات الحية ذكرا وأنثى ، وأدخل أهلك أيضا ، الا من تقرر تعذيبهم لعدم إيمانهم ، ولا تسألني نجاة الذين ظلموا أنفسهم وغيرهم بالكفر والطغيان ، فاني حكمت باغراقهم لظلمهم بالاشراك والعصيان^(١) .

٢٨ - فاذا ركبت واستقررت أنت ومن معك في السفينة فقل شاكرًا ربك ، الحمد لله الذي نجانا من شر القوم الكافرين الطاغين .

٢٩ - وقل يارب مكثي من النزول في منزل مبارك تطيب الإقامة فيه عند النزول الى الأرض ، وهب لي الأمن فيه ، فأنت وحدك الذي تنزل في مكان الخير والأمن والسلام .

٣٠ - ان في هذه القصة عبرا ومواعظ ، وانا تختبر العباد بالخير والشر ، وفي أنفسهم الاستعداد لكل منها .

= وتفيد الأبحاث العلمية أن الزيتون يعتبر مادة غذائية جيدة ، ففيه نسبة كبيرة من البروتين ، كما تتميز بوجود الأملاح الكلسية والحديدية والفسفورية ، وهو مواد هامة وأساسية في غذاء الإنسان ، وعلاوة على ذلك فإن الزيتون يحتوي على فيتامين « أ » ، وفيتامين ب ويستخرج من الثمار زيت الزيتون الذي يحتوي على نسبة عالية من الدهون السائلة ، وهذا الزيت يستعمل بكثرة في التغذية . وتضيف الأبحاث الطبية إلى زيت الزيتون فوائد عديدة ، فهو يفيد الجهاز الهضمي عامة . . والكبد خاصة . وهو يفضل كافة أنواع الدهون الأخرى نباتية أو حيوانية ، إذ لا يسبب أمراضا للدورة الدموية أو الشرايين كغيره من الدهون ، كما أنه ملطف للجلد ، إذ يجعله ناعما ومرنا . ولزيت الزيتون استعمالات أخرى كثيرة صناعية ، إذ يحضر منه بعض الصناعات ويدخل في تركيب أفضل وأحسن أنواع الصابون وغير ذلك من مختلف الصناعات الغذائية والصناعية .

(١) « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » : أن ما جاء في وصف حدوث الطوفان في الآيات الكريمة رغم أنه موجز ، إلا أنه بالنسبة للعقل المفكر يتضمن من المعاني والحقائق العلمية ما يعزب عن كثير من البشر . . والتنور لغة : هو الكانون ينجبر فيه . أو هو وجه الأرض وكل مفجر ماء ، وكل محفل ماء .

قَرَأْنَا الْآخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ أَمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَلَسُونَّ ﴿٣٤﴾ أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ * هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبَعَدًا لِلظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٤٣﴾

٣١ - ثم خلقنا من بعد نوح طبقة من الناس غيرهم وهم عاد .

٣٢ - فأرسلنا إليهم هودا وهو منهم . وقلنا لهم على لسانه : اعبدوا الله وحده فليس لكم اله يستحق العبادة غيره ، وهو وحده الجدير بان تحافوه ، فهلا خفتم عقابه ان عصيتموه ؟ .

٣٣ - وقال الكبراء من قومه الذين كفروا وكذبوا ببقاء الله وما في الآخرة من حساب وجزاء ، وأعطيناهم أكبر حظ من الترف والنعيم ، قالوا منكربين عليه دعوته ، صادين العامة عن اتباعه : لافرق بين هود وبينكم ، فاهو الا بشر مماثل لكم في البشرية ، يأكل من جنس ما تأكلون منه ، ويشرب من جنس ما تشربون ، ومثل هذا لا يكون رسولا لعدم تميزه عليكم .

٣٤ - وحذروهم في قوة وتأكيد ، فقالو : ان أطعتم رجلا مماثلكم في البشرية ، فأنتم حقا خاسرون لعدم انتفاعكم بطاعته .

٣٥ - وقالوا لهم أيضا منكربين للبعث : أيعدكم هود أنكم تبعثون من قبوركم بعد ان تموتوا وتصيروا ترابا وعظاما مجردة من اللحوم والأعصاب .

٣٦ - ان ما وعدكم به بعيد جدا ولن يكون أبدا .

٣٧ - ليس هناك الا حياة واحدة هي هذه الحياة الدنيا التي نجد فيها الموت والحياة يتواردان علينا ، فولود يولد وحى يموت ، ولن نبعث بعد الموت أبدا .

٣٨ - ما هو الا رجل كذب على الله ، وادعى ان الله أرسله ، وكذب فيما يدعو اليه ، ولن نصدقه ابدا .

٣٩ - قال هود ، بعد ما يش من ايمانهم : يارب انصرفي عليهم وانتقم منهم ، بسبب تكذيبهم لدعوى .

٤٠ - قال الله له مؤكدا وعده : سيندمون بعد قليل من الزمن على ما فعلوا عندما يحل بهم العذاب .

٤١ - فأخذتهم صيحة شديدة أهلكتهم لاستحقاقهم ذلك الهلاك ، وجعلناهم في الحقارة والضعف كالشئ الذي يجرفه السيل أمامه من أعواد الشجر وأوراقه وهلاكه وبعدا عن الرحمة للظالمين بكفرهم وطفائهم .

٤٢ - ثم خلقنا من بعدهم أقواما غيرهم ، كقوم صالح ولوط وشعيب .

٤٣ - لكل أمة زمنها المعين لها لا تتقدم عنه ولا تتأخر .

= ونحن عندما نحاول تحديد تاريخ حدوث الطوفان نجد أنه ليس بالأمر السهل ، فقد حدثت طوفانات عديدة في أزمنة غير سحيقة في عهد البشرية ، كما حدث في أرض بابل وفي الهند وفي الصين وفي الأمريكيتين .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرٍ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمْ لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّو مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ

٤٤ - ثم أرسلنا رسلنا متتابعين كلا إلى قومه ، وكلما جاء رسول إلى قومه كذبوه في دعوته ، فأهلكناهم متتابعين ، وجعلنا أخبارهم أحاديث يرددها الناس ويعجبون منها ، فبعدا عن الرحمة ، وهلاكاً لقوم لا يصدقون الحق ولا يذعنون له .

٤٥ - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالدلائل القاطعة الدالة على صدقها ، وبحجة واضحة تبين أنها قد أرسلنا من عندنا .

٤٦ - أرسلناهما إلى فرعون وقومه فامتنعوا في تكبر عن الايمان ، وهم قوم موصوفون بالكبر والتعالى والقهر .

٤٧ - وقالوا في تعجب وانكار: أنؤمن بدعوة رجلين مماثلين لنا في البشرية ، وقومها بنو اسرائيل خاضعون لنا ومطيعون كالعبيد .

٤٨ - فكذبوها في دعوتها فكانوا من المهلكين بالفرق .

٤٩ - ولقد أوحينا إلى موسى بالتوراة ، ليهتدى قومه بما فيها من ارشادات إلى الاحكام واسباب السعادة .

٥٠ - وجعلنا عيسى بن مريم وأمه في حملها به من غير أن يمسهما بشر ، وولادته من غير أب دلالة قاطعة على قدرتنا البالغة ، وانزلناها في أرض مرتفعة منبسطة تستقر فيها الإقامة ويتوافر الماء الذي هو دعامة العيش الرغيد .

٥١ - وقلنا للرسل ليبلغوا أقوامهم : كلوا من أنواع الحلال الطيب ، وتمتعوا واشكروا نعمتي بعمل الصالحات ، اني عليم بما تعملون وبجاز لكم عليه .

= وجاء ذكر بعض هذه الطوفانات في القصص الشعبي ، إلا أنه من المستبعد أن يكون لها علاقة بالطوفان العظيم أو طوفان نوح . وقد ثبت من البحث والملاحظة أن العالم انتابته طوفانات عالية كثيرة ، وأن آخر الطوفانات العالمية كان سببه انقضاء عصر الجليد الأخير وانصهار معظم الثلوج المتجمدة في القطبين ، ونحن لا نعلم علم اليقين متى انقلب الميزان وفار التور - وجه الأرض - نتيجة للارتفاع المفاجيء في سرعة انصهار الجليد حتى علا منسوب الماء العام للبحار ، وطفئت المياه . وجدير بالذكر أنه قد صاحب انصهار ثلوج العصر الجليدي الأخير مناخ شديد المطر في مناطق نائية عن القطبين ، مثل حوض البحر الأبيض المتوسط .

ومها يكن من شيء فمن المسلم به أنه ليس لدينا من الوثائق ما يمكننا من تحديد عصر نوح وقومه ، فالظاهرة كلها معجزة إلهية . ومن الإعجاز أن ينصح نوح قومه ويحذرهم من غضب الله ، ويوحى الله أنه مفرقهم إذا لم ينتصحو . ثم يوحى إليه أن يصنع الفلك ، ثم يأتي أمر الله ، وينقلب الميزان ، ويغور التور ، وينهر المطر تحقيقاً لما أخبر الله به نوحاً من أن الله يعلم أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن .

وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ
 حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ ائْتَسَبُونَ أَمَّا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٦
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِعِبَادَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَا وَفُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَتَتْهُمْ لِكِ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢

٥٢ - وقلنا لهم ليبلغوا أقوامهم : ان هذا الدين الذي أرسلتكم به دين واحد في العقائد وأصول الشرائع .
 وانكم أمة واحدة في كل الاجيال ، منهم المهتدي ومنهم الضال . وانا ربكم الذي امرتكم باتباعه فخافوا عقابي ان
 عصيت .

٥٣ - فقطع الناس أمر دينهم . فنهى المهتدون ومنهم الضالون الذين اتبعوا اهواءهم فتفرقوا بسبب ذلك
 جماعات مختلفة متعادية . كل جماعة فرحة بما هي عليه . ظانة أنه وحده الصواب .

٥٤ - فاترك الكافرين يا محمد في جهالتهم وغفلتهم مادمت قد نصحتهم حتى يقضى الله فيهم بالعذاب بعد حين .

٥٥ - أبظن هؤلاء العاصون انا اذ تركتهم يتمتعون بما أعطيناهم من المال والبنين .

٥٦ - نكون قد رضينا عنهم ، فتفيض عليهم الخيرات بسرعة وكثرة ، انهم كالبهايم لا يشعرون لعدم استخدامهم
 عقولهم . اننى غير راض عنهم ، وان هذه النعم استدراج مناهم .

٥٧ - ان الذين هم يخشون الله وهابونه وقد تربت فيهم المخافة منه سبحانه .

٥٨ - والذين هم يؤمنون بآيات ربهم الموجودة في الكون والملتوة في الكتب المنزل .

٥٩ - والذين هم لا يشركون بالله أحدا .

٦٠ - والذين يعطون مآزرهم الله . ويؤدون عملهم وهم خائفون من التقصير ، لأنهم راجعون الى الله بالبعث
 ومحاسبون .

٦١ - أولئك يسارعون بأعمالهم الى نيل الخيرات ، وهم سابقون غيرهم في نيلها .

٦٢ - ونحن لانكلف أحدا الا بما يستطيع ان يؤديه ، لأنه داخل في طاقته ، وكل عمل من أعمال العباد مسجل
 عندنا في كتاب ، وسنخبرهم به كما هو ، وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقص ثواب .

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُتَكَبِّرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَوْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَآكُثْرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا نَّخْرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ

٦٣ - لكن الكافرين بسبب عنادهم وتعصبهم غافلون عن عمل الخير والتكليف بالمستطاع ودقة الحساب ، والى جانب ذلك لهم أعمال اخرى خبيثة مداومون عليها .

٦٤ - فاذا أوقعنا العذاب بالأغنياء المترفين ضجوا وصرخوا مستغيثين .

٦٥ - فنقول لهم : لا تصرخوا ولا تستغيثوا الآن ، فلن تفلتوا من عذابنا ، ولن ينفعكم صراخكم شيئا .

٦٦ - لا عذر لكم ، فقد كانت آياتي الموحى بها تقرأ عليكم فكنتم تعرضون عنها اعراضا يقلب احوالكم ، ولا تصدقونها ولا تعملون بها .

٦٧ - وكنتم في اعراضكم متكبرين مستهزئين ، تصفون الوحي بالأوصاف القبيحة عندما تجتمعون للسمر .

٦٨ - أجهل هؤلاء المعرضون فلم يتدبروا القرآن ليعلموا انه حق ؟ ام كانت دعوة محمد لهم غريبة عن الدعوات التي جاء بها الرسل الى الأتوام السابقين الذين أدركهم آباؤهم ؟ .

٦٩ - أم لم يعرفوا رسولهم محمدا الذي نشأ بينهم في أخلاقه العالية التي لا يعهد معها الكذب . فهم ينكرون دعوته الآن بغيا وحسدا ؟ .

٧٠ - أم يقولون : انه مجنون ؟ كلا : انه جاءهم بالدين الحق وأكثرهم كارهون للحق . لأنه يخالف شهواتهم واهواءهم فلا يؤمنون به .

٧١ - ولو كان الحق تابعا لأهوائهم لشاع الفساد في الأرض ولتنازعت الأهواء ، ولكننا ارسلنا اليهم القرآن الذي يذكرهم بالحق الذي يجب ان يجتمع عليه الجميع ، ومع ذلك هم معرضون عنه^(١) .

٧٢ - بل أطلب منهم أيها النبي أجرا على اداء الرسالة ؟ لم يكن ذلك ، فان اجر ربك خير مما عندهم ، وهو خير المعطين .

(١) « ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم معرضون » : كلمة « الحق » من الألفاظ المشتركة ، قد يراد منها « الله » سبحانه وتعالى نحو قوله تعالى « فتعالى الله الملك الحق » يراد منها « القرآن » نحو قوله تعالى « إنا أرسلناك بالحق » ويراد منها « الدين كله » بما فيه من قرآن وسنة صحيحة نحو قوله : « وقل جاء الحق وزهق الباطل » والأظهر في كلمة الحق هنا هو أن المراد المعنى الأول « الله » سبحانه وتعالى . ويكون المراد من الآية : لو جرت سنة الله على مسايرة الكافرين فيما يشتهون ويقرحونه لما استقام النظام الذي قام عليه شأن السموات والأرض ، وما فيها من خلاق . ولكن الله ذو حكمة عالية وقدره نافذة وقد أحاط علمه بما خلق ، وتكفلت حكمته بالتدبير المحكم . وتصريح القرآن بأن السموات فيها خلاق إنفا يوجهنها هذا : أولا : إلى أن الإيمان بذلك على وجه الإجمال يقيق . تاركين التعرض إلى التفصيل إلى أن يشاء الله - سبحانه بيانه بمقتضى قوله « سنجزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » .

ثانيا : يوجهنها أيضا إلى محاولة البحث العلمي إن استطعنا ، « لأن الوصول إلى هذه الحقيقة يؤكد إيماننا .. والإيمان هو الهدف الهام من توجيها إلى تلك الآيات » .

لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَوِّتُ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَأُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسُتُونَ ﴿٧٦﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٩﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لِمَبْعُوثُونَ ﴿٨١﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٢﴾ قُلْ لِمَنِ

٧٣ - وانك يا محمد، لتدعوهم الى الدين الذي هو الطريق المستقيم الموصل الى السعادة.

٧٤ - وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من نعيم أو جحيم يعدلون عن الطريق المستقيم الذي يأمن السائر فيه الى طريق الحيرة والاضطراب والفساد.

٧٥ - ولو رحمناهم وأزلنا عنهم منازلهم من ضرر في أبدانهم وقحط في أموالهم ونحو ذلك لزدادوا كفرا، وتغادوا في الطغيان.

٧٦ - ولقد عذبناهم بعذاب أصابهم كالقتل أو الجوع فاخضعوا بعده لربهم، بل أقاموا على عتوهم واستكبارهم بمجرد زواله.

٧٧ - سيستمرون على إعراضهم، حتى اذا عذبناهم عذابا شديدا بالجوع أو القتل في الدنيا صاروا حيارى يائسين من كل خير، لا يجدون مخلصا.

٧٨ - وكيف تكفرون بالله، وهو الذي أنشأ لكم السمع لتسمعوا الحق، والأبصار لتروا الكون وما فيه، والعقول لتدركوا عظمته فتؤمنوا؟ انكم لم تشكروا خالقها بالايمان والطاعة الا قليلا أى قلة.

٧٩ - وهو الذي خلقكم في الأرض، واليه وحده تجمعون للجزاء يوم القيامة.

٨٠ - وهو الذي يحيى ويميت وبأمره وقوانينه تعاقب الليل والنهار واختلافها طولا وقصرا الا تعقلون دلالة ذلك على قدرته ووجوب الايمان به وبالبعث؟ (١).

٨١ - لم يفعلوا ذلك، بل قلدوا السابقين المكذبين، فقالوا مثل قولهم.

٨٢ - قالوا منكرين للبعث: أنبعث بعد الموت وبعد ان نصير ترابا وعظاما؟

٨٣ - لقد وعدنا ووعد آباؤنا من قبلنا بذلك، وما هذا الوعد الا أكاذيب السابقين التي سطرزوها.

(١) «وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون» وردت آيات الليل والنهار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مما يدل على أن الحق - سبحانه وتعالى - يذكر عباده بهذه الآية الكونية، وبما تتضمنه من معان عميقة تحفز المفكرين إلى التأمل والبحث. واختلاف الليل والنهار ينصب على ناحيتين رئيسيتين:
الأولى: الاختلاف الزمنى طولا وقصرا. والثانية: الاختلاف فى الظواهر الطبيعية وغير المرتبة.
أولا - الاختلاف الزمنى:

النهار هو الفترة الزمنية بين ظهور حاجب الشمس واختفائها من أفق المكان حيث يلامس سطح الأرض. وكما نشاهدها بالعين. وحيث أن موقع الحافة العليا للشمس فى الحقيقة ليس عند الأفق. وإنما نشاهده كذلك لأن الإشعاع المنبعث منها يتقوس لدى انكساره أثناء مروره فى طبقات الجو، حتى يصل إلى عين الراصد، فيشاهدها كما لو كانت عند الأفق. والواقع أن هذه الحافة منخفضة عند الأفق بمقدار ٣٥ دقيقة قوسية.

والليل هو الفترة الزمنية المتممة لفترة النهار. حتى يبلغ مجموعها فترة دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق =

وفيا بين الليل والنهار فترتان زمنتان : هما فترة الشفق الغربي ، وفترة الشفق الشرقى . وفترة النهار تختلف باختلاف عرض المكان وفصول السنة . وتختلف أيضا فترة الليل تبعاً لذلك . وتحدد مواقيت الصلاة والصوم تبعاً لوضع قرص الشمس بالنسبة للأفق .

ثانياً - الاختلاف في الظواهر الطبيعية :

وهذه هي الظواهر العديدة المختلفة الألوان ، والتي تنشأ من تفاعل الإشعاع الشمسى - بما يحتويه من اشعاعات موجية مرئية وغير مرئية . وجسيمات تحمل شحنات كهربائية مع الغلاف الجوى وأسطح البحار والصحارى .. إلخ . كما أن هناك مشاهدات فلكية كالحسوف والكسوف والمذنبات والنجوم والكواكب السيارة والشهب والنيازك التي قد تحجبها شدة أضواء الشمس أثناء النهار ، بينما تظهر واضحة أثناء الليل . وأهم الظواهر الفيزيائية التي يختلف فيها الليل عن النهار هي الضوء بالنهار ، وسببه أن الإشعاع المباشر للشمس عندما يسقط على الغلاف الجوى الذى يتألف من جزيئات صغيرة ويحمل الذرات الغبارية ، فإنه ينعكس في مختلف الاتجاهات ويشتت . فإذا كان الجو نقياً ، وأحجام الذرات الغبارية صغيرة جداً ، والشمس مرتفعة عن الأفق ، فإن اللون الأكثر تشتتاً وحساسية للعين هو اللون الأزرق ، فتظهر السماء زرقاء . أما عند شروق الشمس أو غروبها فإن الأفق يظهر بلون برتقالى متدرجاً إلى الأحمر ، بينما يكون الضوء الأزرق المشتت قليلاً نسبياً ، ولذلك يميل لون السماء عند السمت إلى الزرقة الخافتة .

وفي لحظة غروب الشمس عند الأفق نشاهد لونا أخضر عند حافتها العليا لمدة ثانية أو أقل ، وهذه الظاهرة تسمى بالوميض الأخضر . وتشاهد عادة على سطح البحر أو وراء قم الجبال أو حتى جدران المنازل . وترجع هذه الظاهرة إلى حيود الأشعة الشمسية الذى ينتج عنه تحلل طيفها إلى ألوان منها الضوء الأخضر .

والخلاصة أن الإشعاع الشمسى يتألف من مجموعة من الألوان المرئية وغير المرئية ، ويتميز بعضها عن بعض بطول الموجة وتخضع هذه الموجات لخصائص عديدة كالانكسار والانعكاس والتشتت والتداخل والاستقطاب والحيود . فإذا ما تفاعلت مع الغلاف الجوى في حالات خاصة فإننا نشاهد نتيجة لهذا التفاعل ضوء النهار والسراب وأقواس قزح والهالة الشمسية إلى غير ذلك من آيات السماء من الظواهر الكونية وعندما تغيب الشمس وراء الأفق تظهر السماء بألوان مختلفة نظراً لتشتت الضوء في طبقات الجو العليا ، وكلما انخفض قرص الشمس خفت ضوء الشفق ، وقلت ألوانه الطبيعية ، حتى إذا ما بلغ ١٨,٥ درجة قوسية أصبحت السماء قاتمة ، وقد اصطلاح المقياسيون على أن تلون هذه اللحظة غسق الليل إيداناً بصلابة العنسل ، وتلك اللحظة يبدأ عندها الضوء البروجى على شكل مخروط قاعدته عند الأفق الغربى ، ويمتد في ليالى الشتاء الصافية حتى تبلغ قمة المخروط السمت ، وفي منتصف الليل تظهر الأضواء البروجية عند الشروق أولاً كراس قه لمخروط ضوئى خافت ، تزداد قته في الارتفاع ، وتمتد قاعدته عند الأفق الشرقى ، حتى إذا بزغ الفجر ، أى عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرقى بمقدار ١٨,٥ درجة ، وهى إيدان بصلابة الفجر ، وتبدأ ألوان الشفق الشرقى في الظهور تدريجياً وعكسياً للشفق الغربى ، وما الفجر الكائن سوى الضوء البروجى الذى يبلغ أقصى شدته عندما تكون الشمس منخفضة عن الأفق الشرقى بأكثر من ١٨,٥ درجة قوسية . ولقد تبين حديثاً أن للشمس غلافاً رقيقاً يمتد امتداداً هائلاً في الفضاء حتى يكاد يلامس جو الأرض . هذا هو الغلاف الرقيق الذى يسبب الأضواء البروجية بأشكالها المختلفة .

هذه الظواهر العديدة التى ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر تتكشف لنا إذا كانت السماء خالية من السحب والأعاصير الهائلة بالتراب ، لأنها تظهر عندئذ وهى قاتمة اللون ، وإذا كانت السحب محملة بقطرات ماء المطر فهم تتفاعل مع الأشعة الشمسية ، وتحدث أقواس قزح في أحوال مناسبة .

وإذا كان السحاب من نوع السحماق الذى يحمل حبيبات بلورية مسدسة من الماء المتجمد ، فإن هذه البلورات تتفاعل مع الإشعاع الشمسى فتتكسر من سطحها إلى داخلها ، وينعكس على الأسطح الداخلية ، ثم تنكسر إلى الخارج . وقد نشاهد في ظروف وأحوال مناسبة الحالة الشمسية بمظاهرها الجميلة وهى دائرة ملونة كبرى حول الشمس . وعند سواد الليل تظهر النجوم متألثة على سطح القبة السماوية كما لو كانت على مسافة قريبة منا ، وفي الواقع هى على مسافات شاسعة . تقاس بالسنين الضوئية كما تظهر على هذه القبة أيضاً الكواكب السيارة والمذنبات والشهب والنيازك وهى تبدو قريبة جداً نسبياً ، كما لو كانت فروق المسافات قد أنعدمت . وهذا ما يجعلنا ندرك المعنى الحق في قوله تعالى : وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وكما بينا سابقاً بالإضافة إلى الاشعاعات الموجية من الشمس هناك إشعاع من الجسيمات ينبعث من مناطق شمسية شديدة النشاط ، وتحمل شحنات كهربائية ، كما تنبعث منها إشعاعات شديدة فوق البنفسجية ، هذه الجسيمات والاشعاعات تتفاعل مع الطبقات الجوية العليا ، وتنتثر بالجمال المغناطيسى حول الأرض ، فتنتثر الأضواء الشمالية أو الجنوبية ، وتظهر قاتمة في السماء الشمالية كأنها سنائر من الإضاءة الجميلة الألوان خضراء اللون ، وتميل إلى الإحمرار والزرقة عند الحواف . هذه الأشكال قد تستمر ساعات طويلة في السماء الشمالية وتكاد تشاهدها في ليالى عديدة عندما تكون الشمس في أوج نشاطها ، نرى هذه السنائر ليس فقط في العروض الشمالية بل أيضاً في العروض المتوسطة الاستوائية .

وهناك شحنات كهربائية في السحب والجو يتولد عنها البرق وإضاءة بعض السحب العالية . جميع هذه الظواهر العديدة التى نشاهدها تجعلنا ندرك المعنى الحق في قوله سبحانه وتعالى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب .

وبما سبق يتضح أن الاختلاف في الظواهر الفيزيائية إنما لأسباب لا يمكن للإنسان أن يتدخل فيها ، وإن الله - جل شأنه - هو الذى له اختلاف الليل والنهار ، ولا سبيل إطلاقاً إلى تحكم الإنسان في أى يوم على الليل والنهار . وهو - جل شأنه - بما وضع من موازين دقيقة وتقديرات محددة يتعاقب الليل والنهار ، ويختلف على مدار السنة طولاً وقصراً .

الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِّعِيهِ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

٨٤- قل لهم يا محمد : من الذى ملك الأرض ومن فيها من الناس وسائر المخلوقات ، ان كان لكم علم فأجيبوني ؟ .

٨٥- سيقرون بأن الأرض لله . قل لهم اذن : فلم تشركون به ؟ ألا تذكرون ان من يملك ذلك جدير بأن يعبد وحده ؟ .

٨٦- قل لهم أيضا : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟

٨٧- سيقرون بأنه هو الله . قل لهم اذن : ألا تخافون عاقبة الشرك والكفر والعصيان لصاحب هذا الخلق العظيم .

٨٨- قل لهم أيضا : من بيده ملك كل شيء ومن له الحكم المطلق فى كل شيء ، وهو يحمى بقدرته من يشاء ، ولا يمكن لأحد أن يحمى أحدا من عذابه ؟ ان كنتم تعلمون جوابا فأجيبوا ؟ .

٨٩- سيقرون بأنه هو الله . قل لهم :

اذن كيف تخدعون بالهوى ووحى الشياطين ، وتنصرفون عن طاعة الله ؟ .

٩٠- لقد بينا لهم الحق على لسان الرسل . وانهم لكاذبون . فى كل ما يخالف هذا الحق .

٩١- ما اتخذ الله له ولدا ، وقد تنزه عن ذلك ، وما كان له شريك . اذ لو كان له شريك لاستبد كل بما خلق ، وصار له ملكه ، ولتناحر بعضهم مع بعض كما يرى بين الملوك ، ولفسد الكون بهذا التنازع ، فتنزه الله عما يقوله المشركون مما يخالف الحق .

٩٢- هو محيط بكل شيء علما . يعلم ما يغيب عنا وما يظهر لنا فتنزه الله عما ينسبه الكافرون اليه من وجود الشريك له .

٩٣- قل يا أيها النبى : يارب : ان أنزلت بهم ما أعدتهم من العذاب فى الدنيا وأنا موجود بينهم .

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُزِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعِ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلِيٰ عَلَيْنَا فَكُنْتُمْ بِهَا

٩٤ - فأتوسل اليك ألا تجعلني مع القوم الكافرين الطاغين .

٩٥ - ونحن قادرون تماماً على أن نريك ما أوعدناهم به من العذاب نازلًا بهم ، فاطمئن لنصرنا .

٩٦ - استمر في دعوتك وقابل اساءتهم بالعمل الذي هو أحسن من العفو أو غيره ، ونحن عالمون تماماً بما يصفونك به ، ويصفون به دعوتك من سوء وافتراء ، وسنجازهم عليه .

٩٧ - وقل : يارب : استعِذ بك من أثر وساوس الشياطين على نفسى بعملى مالا يرضيك .

٩٨ - وأستعِذ بك يارب . أن يكونوا معى فى أى عمل من الأعمال ، ليكون سلباً خالصاً لوجهك الكريم .

٩٩ - سيستمرون على تكذيبهم ، حتى اذا حل موعد موت أحدهم ندم وقال : يارب ردى الى الدنيا .

١٠٠ - لأعمل عملاً صالحاً فيما تركته من مالى أو زمنى ، ولن يجاب الى طلبه ، فهذا كلام يقوله دون فائدة لا يقبل منه ، ولو استجيب له لم يعمل به ، ومع ذلك فلن يعود أبداً ، فالموت حاجز بينهم وبين ما يتمنون الى أن يبعثهم الله .

١٠١ - فاذا جاء موعد البعث بعثناهم بدعوتهم الى الخروج من مقابرهم ، وذلك بما يشبه النفخ فى البوق فيجيبون متفرقين ، لا تنفع أحداً قرابة أحد ، ولا يسأل بعضهم بعضاً شيئاً ينفعه ، فلكل منهم يومئذ ما يشغله .

١٠٢ - فالعمل هو ميزان التقدير ، فمن كانت لهم عقائد سليمة وأعمال صالحة لها وزن فى ميزان الله ، فأولئك هم الفائزون .

١٠٣ - ومن لم يكن لهم حسنات أو أعمال لها وزن عند الله ، فأولئك هم الذين خسروا أنفسهم يبيعها للشيطان ، وهم معذبون فى النار ، خالدون فيها .

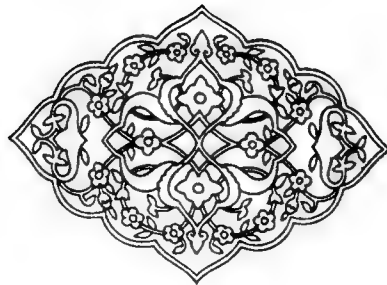
١٠٤ - تحرق النار فى وجوههم ، وهم فيها عابسون من سوء مصيرهم .

تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾
 قَالَ اخْسَعُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذُوهُمْ سَخِرَ بِأَحْسَنِ أَنْسَاكَ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحِكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ
 هُمُ الْفَآزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَرِهْتُ لِبَيْتِي فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِئْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَعَلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ
 لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ

- ١٠٥ - يؤنبهم الله ويقول لهم ، قد كانت آياتي المنزلة تقرأ عليكم في الدنيا ، فكنتم تكذبون بما فيها .
- ١٠٦ - قالوا مقرين بخطئهم : ربنا كثرت معاصينا التي أورتتنا الشقاء ، وكنا بذلك ضالين عن طريق الثواب .
- ١٠٧ - وقالوا : ربنا ، أخرجنا من النار وأعدنا الى الدنيا ، فان عدنا الى الكفر والعصيان كنا ظالمين لأنفسنا .
- ١٠٨ - قال الله لهم تحقيراً : اسكتوا اذلاء مهانين ، ولا تكلموني مطلقاً .
- ١٠٩ - ما ظلمتكم بل ظلمتم أنفسكم ، اذ كان المؤمنون الصالحون من عبادي يقولون في الدنيا : ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .
- ١١٠ - فكنتم تسخرون منهم دائماً ، حتى أنساكم الاشتغال بالسخرية منهم ذكرى وعبادتي فلم تؤمنوا وتطيعوا ، وكنتم منهم تضحكون استهزاء .
- ١١١ - اني جزيتهم اليوم بالفلاح ، لأنهم صبروا على سخريتكم وايدائكم .
- ١١٢ - قال الله للكافرين : كم سنة عشتموها في الدنيا ؟
- ١١٣ - قالوا : استقصاراً لمدة معيشتهم بالنسبة لطول مكثهم في العذاب : عشنا يوماً أو بعض يوم ، فاسأل من يتمكنون من العد ، لأننا مشغولون بالعذاب .
- ١١٤ - فيقول الله لهم ، ما عشتم في الدنيا الا زمناً قليلاً . ولو انكم كنتم تعلمون عاقبة الكفر والعصيان وأن متاع الدنيا قليل ، لآمنتم وأطعتم .
- ١١٥ - أظننتم أننا خلقناكم بغير حكمة فافسدتم في الأرض . وظننتم أنكم لا تبعثون لهزاتكم ؟ كلا .

أَمْلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

- ١١٦ - العظمة لله وحده ، هو مالك الملك كله ، لا معبود بحق سواه ، هو صاحب العرش العظيم .
- ١١٧ - ومن يعبد مع الله الهاً آخر لا دليل له على استحقاقه العبودية . فان الله يعاقبه على شركه لا محالة ، ان الكافرين لا يفلحون ، وانما الذى يفلح هم المؤمنون .
- ١١٨ - وقل - يا أيها النبي داعياً الله ضارعاً اليه - : يا رب اغفر لى ذنبي وارحمى فأنت خير الراحمين ، لأن رحمتك واسعة وقرينة من المحسنين .



﴿٢٤﴾ سُورَةُ النُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَاهَا أَنِيجَ وَشَيْئُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى

سورة النور مدنية، وآياتها ٦٤، بين الله فيها وجوب تطهير المجتمع من الزنا، واشاعة الفاحشة بالفعل وبالقول بين المؤمنين، وشرع لذلك عقوبات رادعة، كما شرع في زنا الزوج تشريعا خاصا لتوفر الثقة بين الزوجين. واستطرد الحديث في الزنا الى ذكر الكذب في هذه المواضع، وما يجب على المؤمنين ازاء قوله السوء التي يعوزها الدليل، ويتبع ذلك بأداب دخول البيوت، ومن له حق الاطلاع على زينة المرأة، ويردف بعد الحكم بالدعوة العامة الى العفة المطلقة. ثم يأتي نور الله، وتذكر المساجد، وتعرض أعمال الكافرين، وأحوال المعاندين، وبجانبهم تظهر أحوال المؤمنين. وبعد ذلك تعرض السورة آداب الأسر، وأصحاب القرباب والأطفال والكبار في شأن المخالطة، ومن يحق للمرأة أن يأكل على موائدهم. وفي ختامها ذكرت أوصاف المؤمنين اذا دعاهم الرسول لأمر جامع، وبينت كبير سلطانه تعالى وواسع علمه.

١ - هذه سورة أوجينا بها وأوجينا أحكامها. ونزلنا فيها دلائل واضحة على قدرة الله ووحدانيته. وعلى أن هذا الكتاب من عند الله، لتعظوا بها.

٢ - ومن تلك الأحكام حكم الزانية والزاني فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا يمنعكم شيء من الرأفة بها عن تنفيذ الحكم، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. لأن مقتضى الايمان ايثار رضا الله على الناس، وليحضر تنفيذ الحكم فيها جماعة من المؤمنين. ليكون العقاب فيه ردع لغيرها.

تعليق الخبراء على الآية ٢ - ٤ .

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بها رافعة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين . الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والمؤمنات المصنعات ثم لم يأثروا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون » : الجرائم في الشريعة الإسلامية هي محظورات زجر الله عنها بحد أو تعزير ، وهذه المحظورات تقع أما بارتكاب فعل نهى الشرع عن ارتكابه ، أو بترك فعل أمر الشرع باتيانه . وعلة تحريم هذه المحظورات تقع أما بارتكاب فعل نهى الشرع باتيانه . وعلة تحريم هذه المحظورات انها اعتداء على إحدى المصالح المعنوية في الإسلام . ومصالح الإسلام المعنوية خمس وهي :

١ - المحافظة على النفس .

٢ - المحافظة على الدين .

٣ - المحافظة على العقل .

٤ - المحافظة على المال .

٥ - المحافظة على العرض .

فالقتل مثلاً اعتداء على النفس ، والردة اعتداء على الدين ، وتعاطي الخمر اعتداء على العقل ، والسرقة اعتداء على المال ، والزنا اعتداء على العرض .

وقسم الفقهاء الجرائم إلى تقسيمات عدة تختلف باختلاف وجهات النظر إليها . ونحن بصدد التعليق على هذه الآية التقسيم من حيث جسامته العقوبة وكيفية تقديرها ، وهي تنقسم إلى أقسام ثلاثة :

١ - الحدود .

٢ - القصاص أو الدية .

٣ - التعزير .

أما الحدود فهي الجرائم التي تعتبر في حد ذاتها اعتداء على حق الله ، أو يغلب فيها حق الله على حقوق العباد . وذلك حددها الله ، وحددت عقوبتها بنص في القرآن أو في السنة أما جرائم القصاص والدية فهي جرائم تغلب فيها حقوق العباد . وتولى الله تحديد عقوبات بعضها بالنص ، وترك البعض لتقدير ولي الأمر . ومثلها جرائم الدماء . مثل جريمة القتل وقطع الأطراف والجراح . أما جرائم التعزير فاكنت الإسلام فيها بتقرير مجموعة من العقوبات بمجديها الأخف والأشد وترك للوالى اختيار العقوبة في كل جريمة بما يلائم ظروفها وحال الجماعة التي وقعت بها .

جرائم الحدود سبع :

١ - الزنا .

٢ - قذف المصنعات .

٣ - البغي .

٤ - السرقة .

٥ - قطع الطريق .

٦ - شرب الخمر .

٧ - الردة .

وقد حددها الله وجاء تعدادها جميعاً في نصوص القرآن كما حدد العقوبات عليها القرآن أيضاً . عدا عقوبة الزاني المصن « المتزوج » وهي الرجم ، وعقوبة شارب الخمر وهي ثمانون جلدة ، وعقوبة الردة وهي القتل ، فقد نصت عليها السنة .

وقد درجت القوانين الوضعية على الزجر في جريمة الزنا بتوافه العقوبات كالحبس . فشاعت الفاحشة بين الناس ، وانتشر الفسق والفجور ، وهانت الأغراض ، وكثرت الأمراض واختلطت الأنساب . ومن عجب أن الشرائع الحديثة للبلاد المتقدمة تحمي هذه الجرائم ، ففي قانون العقوبات الفرنسي مثلاً : الزاني والزانية غير المصن لا عقوبة عليها ، مادام قد بلغا سن الرشد . إذ حرّيتها الشخصية تقتضي تركها يفعلان بأنفسهما ما يشاءان . أما الزنا بالنسبة للمصن من الرجال أو النساء فعقوبتهم الحبس . وليس للمهينة الاجتماعية متمثلة في النيابة العامة أن تصدى للجريمة بالتحقيق ، إلا بناء على طلب أحد الزوجين ، وترتب على اعتبار الجريمة واقعة على حق الزوج وحده إنه إذا أبلغ الحادث فله أن يسحب بلاغه ، فيقف التحقيق ، وله أن يعفو عن زوجته فتخرج من السجن قبل انقضاء العقوبة ولو صار الحكم عليها نهائياً .

وبعبء البعض على الإسلام التشدد في عقوبة الزنا ، وكان آخرون يهيم أن يدركوا أنه بقدر تغليب العقوبة في الإسلام تشدد في طريق الإثبات . فبينما اكتفى في ثبوت جريمة القتل بشهادة شاهدين عدلين ، حتم في ثبوت جريمة الزنا شهادة أربعة شهود عدول ، وأما الواقعة رأى العين . أو اعتراف الجاني .

هذا . ونلاحظ أن القرآن الكريم أوجب علانية عقوبة الجلد ، لما في ذلك من تشهير بالجاني وتخويف لغيره .

الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا بِآلَا فِكِ عُصْبَةٍ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

٣ - الخبيث الذي من دأبه الزنا . لا يرغب الا في نكاح خبيثة عرفت الزنا أو الشرك (١) والخبيثة التي من دأبها الزنا لا يرغب في نكاحها الا خبيث عرف بالزنا أو الشرك . ولا يليق هذا النكاح بالمؤمنين لما فيه من التشبه بالفسق والتعرض للثم .

٤ - والذين يتهمون العفيفات الزنيات بالزنا ، ثم لم يأتوا بأربعة شهود يشنون صدق الاتهام ، فعاقبهم بالضرب ثمانين جلدة وبعدم قبول شهادتهم على أى شيء كان مدى الحياة . فهؤلاء هم الجديرون باسم الخارجين خروجاً شنيعاً على حدود الدين .

٥ - لكن من تاب منهم فندم على هذه المعصية ، وعزم على الطاعة وظهر صدق توبته بصدق سلوكه ، فان الله يتجاوز عن عقابه .

٦ - والذين يتهمون زوجاتهم بالزنا ، ولم يكن هناك عدد يشهد بصدق اتهامهم ، فيطالب الواحد منهم ليدفع عن نفسه الحد والعقوبة ، بأن يشهد بالله أربع مرات أنه صادق في هذا الاتهام .

٧ - ويذكر في المرة الخامسة أنه يستحق الطرد من رحمة الله ان كان من الكاذبين في ذلك .

٨ - ولو سكنت الزوجة بعد ذلك أقيم عليها عقوبة الزنا ، ولكى تدفع عنها العقوبة يجب عليها أن تشهد بالله أربع مرات أن الزوج كاذب في اتهامه اياها بالزنا .

٩ - وتذكر في المرة الخامسة انها تستحق أن يزل بها غضب الله ان كان من الصادقين في هذا الاتهام .

١٠ - ولولا تفضل الله عليكم ورحمته بكم ، وانه كثير قبول التوبة من عباده ، وحكيم في كل أفعاله ، لما شرع لكم هذه الأحكام ، ولعجل عقوبتكم في الدنيا على المعصية .

(١) هذا إذا لم يكن توبة ، والتفسير على هذا يكون لبيان طوائع أهل الشرك أو الزنا في أنهم لا يرغبون إلا في المفساد . ورأى المحابلة والظاهرة عدم صحة الزواج من الزاني أو الزانية قبل التوبة .

عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوهُ بِالْسِّنَةِ وَتَقُولُونَ يَا فَوَاحِشُ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَنَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ

١١ - ان الذين اخترعوا الكذب الصارف عن كل هداية بالنسبة لعائشة زوج النبي ﷺ - اذ أشاعوا حولها الافك والكذب - هم جماعة ممن يعيشون معكم ، لا تظنوا هذه الحادثة شراً لكم بل هي خير لكم ، لأنها ميزت المنافقين من المؤمنين الخالصين ، وأظهرت كرامة المبرئين منها ، والتألمين ، ولكل شخص من هذه الجماعة المتهمة جزاؤه على مقدار اشتراكه في هذا الاتهام ، ورأس هذه الجماعة له عذاب عظيم لعظم جرمه .

١٢ - كان مقتضى الايمان انكم عند سماع خبر التهمة ، أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً من العفاف والظهر وأن يقولوا في انكار : هذا كذب واضح البطلان ، لتعلقه بأكرم المرسلين وأكرم الصديقات .

١٣ - هلا أحضر القائلون بالاتهام اربعة شهود يشهدون على ما قالوا ؟ انهم لم يفعلوا ذلك . . واذا لم يفعلوا فأولئك في حكم الله هم الكاذبون .

١٤ - ولولا تفضل الله عليكم ببيان الأحكام ، ورحمته لكم في الدنيا بعدم التعجيل بالعقوبة وفي الآخرة بالمغفرة لنزل بكم عذاب عظيم بسبب الخوض في هذه التهمة .

١٥ - فقد تناقلتم الخبر بالسنتكم وأشعتموه بينكم ، ولم يكن عندكم علم بصحته وتظنون ان هذا العمل هين ، لا يعاقب الله عليه ، أو يكون عقابه يسيراً مع أنه خطير يعاقب الله عليه أشد العقاب .

١٦ - وكان ينبغي عند سماع هذا القول الباطل ، أن تتصالحوا بعدم الخوض فيه ، لأنه غير لائق بكم ، وأن تعجبوا من اختراع هذا النوع القبيح الخطير من الكذب .

١٧ - وأن الله ينهاكم أن تعودوا لمثل هذه المعصية البتة ان كنتم مؤمنين حقاً لأن وصف الايمان يتناقى معها .

١٨ - وينزل الله لكم الآيات الدالة على الأحكام واضحة جلية . . والله واسع العلم لا يغيب عنه شيء من أعمالكم ، وهو الحكيم في كل ما يشرع ويخلق ، فكل شرعه وخلقته على مقتضى الحكمة .

الِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۚ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

١٩ - ان الذين يحبون أن يفسوا ذكر القبائح ، فيفسوا معه القبائح نفسها بين المؤمنين ، لهم عذاب مؤلم في الدنيا بالعقوبة المقررة ، وفي الآخرة بالنار ان لم يتوبوا . والله عليم بجميع أحوالكم الظاهرة والباطنة ، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه .

٢٠ - ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ، وأنه شديد الرأفة واسع الرحمة ، لما بين لكم الأحكام ، لعجل عقوبتكم في الدنيا بالمعصية .

٢١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَسِّنُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَسِيرُوا وَرَاءَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَجْرِمُ إِلَى إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ وَالْمَعَاصِي بَيْنَكُمْ . ومن يتبع الشيطان فقد عصي ، لأنه يأمر بكبائر الذنوب وقبائح المعاصي ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ببيان الأحكام وقبول توبة العصاة ما طهر أحد منكم من دنس العصيان . ولكن الله يظهر من يتجه إلى ذلك بتوفيقه للبعد عن المعصية ، أو مغفرتها له بالتوبة ، والله سميع لكل قول ، عليم بكل شيء ، ومجازيكم عليه .

٢٢ - وَلَا يَحِلُّ لِلصَّالِحِينَ وَذَوِّ الْيَسَارِ مِنْكُمْ ، عَلَى أَنْ يَمْنَعُوا إِحْسَانَهُمْ مَنْ يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمْ لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الشَّخْصِيَّةِ ، كَأَسَاءَتِهِمُ الْيَسْمُ ، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَسَاحَبَهُمْ وَيَعْرِضُوا عَنْ مَجَازَاتِهِمْ ، وَإِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ ، فَافْعَلُوا مَعَ الْمَسِيءِ الْيَكْمِ مِثْلَ مَا تُحِبُّونَ أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ رَبُّكُمْ ، وَتَأْدِبُوا بِأَدْبِهِ فَهُوَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ (١) .

٢٣ - ان الذين يتهمون بالزنا المؤمنات العفيفات الطاهرات ، اللاتي لا يظن فيهن ذلك ، بل هن لفرط انصرافهن إلى الله غافلات عما يقال عنهن ، يبعدهم الله عن رحمته في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم ان لم يتوبوا .

(١) نزلت هذه الآية عندما حلف أبو بكر الصديق أن يمنع معوته عن قريبه مسطح بن أثانة لمخوضه في حديث الأفك حول السيدة عائشة رضي الله عنها .

الْسِّنْتُهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ أَنْخَبِثْتُ لِّلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِّلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِّلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِّلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مَبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلَسْتُمْ عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَّكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَبَسَ عَلَيْكُمُ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ

٢٤ - ذلك العذاب يكون يوم القيامة حيث لا سبيل للانكار، بل يثبت عليهم ما ارتكبوا اذ تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بجميع ما ارتكبوا من آثام، وذلك بظهور آثار مما عملوه عليها، أو بأن ينطقها الله الذي أنطق كل شيء.

٢٥ - في ذلك اليوم يعاقبهم الله العقاب المقرر لهم كاملاً غير منقوص، وهنا يعلمون علم اليقين ألوهية الله وأحكام شريعته، وصدق وعده ووعيده، لأن كل ذلك واضح دون خفاء.

٢٦ - الخبيثات من النساء يكن للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال يكونون للخبيثات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء يكن للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال يكونون للطيبات من النساء، فكيف يتصور السوء في الطيبة المصونة زوج الطيب الأمين، والرسول الكريم ﷺ؟ وهؤلاء الطيبون مبرأون من التهم التي يصفهم بها الخبيثون، ولهم مغفرة من الله ما لا يخلو منه البشر من صفار الذنوب، واکرام عظيم بنعيم الجنة، وطيباتها.

٢٧ - يأتيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً ليست لكم، الا بعد أن تطلبوا الاذن من ساكنها ويسمح لكم بالدخول، وبعد أن تلقوا تحية السلام على ساكنها ذلك الاستئذان والسلام خير لكم من الدخول بدونها، وشرعه الله لكم لتتعظوا وتعملوا به.

٢٨ - فان لم تجدوا في هذه البيوت أحداً يأذن لكم، فلا تدخلوا حتى يجيء من يسمح لكم به. وان لم يسمح لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا، ولا تلحوا في طلب السماح بالدخول، فان الرجوع أكرم بكم وأطهر لنفوسكم، والله مطلع على كل أحوالكم ومجازيكم عليها فلا تحالفوا ارشاداته.

٢٩ - واذا أردتم دخول بيوت عامة غير مسكونة بقوم مخصوصين، ولكم فيها حاجة كالحوانيت والفنادق ودور العبادة، فلا حرج عليكم ان دخلتم بدون استئذان. والله عالم أتم العلم بجميع أعمالكم الظاهرة والباطنة فاتقوا مخالفته.

يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبَنُّكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ۚ إِنْ أَرَدْتُمْ مَحْصَنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْمُنَّ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ مِثْلُ نُورِهِ ۖ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ

٣٢ - وأعينوا على الابتعاد عن الزنا وما يوصل اليه ، بتزويج من لم يتزوج من رجالكم ونسائكم ، ومن كان صالحاً من ممالئكم لذلك ، ولا تكن رقة الحال مانعة من الزواج ، فان الله سيهيء وسائل العيش الكريم لمن أراد إعفاف نفسه ، وفضل الله واسع لا يثقله اغناء الناس ، وهو عالم أتم العلم بالنيات وبكل ما يجري في الكون .

٣٣ - والذين لا يجدون القدرة على ثنونات الزواج ، فعليهم أن يسلكوا وسيلة أخرى كالصوم والرياضة (١) . والأعمال العقلية ، يعفون بها أنفسهم ، حتى يهيء الله لهم من فضله ما يستطيعون به الزواج ، والارقاء الذين يطلبون منكم تعاقداً على دفع عوض مقابل عتقهم ، عليكم أن تجيبوهم الى ما طلبوا ، ان علمتم أنهم سيصدقون في الوفاء ويستطيعون الأداء وعليكم أن تساعدوهم على الوفاء بما تعاقدوا عليه وذلك مثلاً بتخفيض ما اتفقت عليه أو اعطائهم بعض المال الذي أنعم الله به عليكم بالزكاة أو الصدقة . ويحرم عليكم أن تجعلوا جواريتكم وسيلة للكسب الدنيوي الرخيص باحتراف البغاء وتكرهوهن عليه . كيف تكرهوهن وهن يردن العفاف ؟ ومن يكرههن عليه فان الله يغفر لمن يكرههن بالتوبة عن الاكراه . لأن الله واسع المغفرة والرحمة .

٣٤ - ولقد أنزلنا اليكم في هذه السورة وغيرها آيات واضحة مبينة للأحكام ، وأنزلنا إليكم أمثلة من أحوال السابقين وارشادات ومواعظ يفيد منها الخائفون من الله .

(١) يفسر هذا قول النبي ﷺ : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - أي ثنونات الزواج - فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .

تَمَسَّهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
 فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
 وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهم
 اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُم

٣٥ - الله مصدر النور في السموات والأرض ، فهو منورها بكل نور حتى نراه ونسير فيه ، وبكل نور
 معنوى ، كنور الحق والعدل ، والعلم والفضيلة ، والهدى والايان ، وبالشواهد والآثار التى أودعها مخلوقاته ، وبكل
 ما يدل على وجود الله ويدعو الى الايمان به سبحانه ، ومثل نوره العظيم وأدلته الباهرة فى الوضوح ، كمثل نور
 مصباح شديد التوهج ، وضع فى فجوة من حائط تساعد على تجميع نوره ووفرة اضاءته ، وقد وضع المصباح فى
 قارورة صافية لامعة لمعان كوكب مشرق ، يتلأأ كالدر ويستمد المصباح وقوده من زيت شجرة كثيرة البركات ،
 طيبة القربة والموقع ، هى شجرة الزيتون المغروسة فى مكان معتدل متوسط ، فلا هى شرقية فتحرم حرارة الشمس
 آخر النهار ، ولا هى غربية فتحرمها أول النهار ، بل هى على قمة الجبل ، أو فى فضاء الأرض تفيد من الشمس فى
 جميع أجزاء النهار ، يكاد زيت هذه الشجرة لشدة صفائه بضيء ، ولولم تمسه نار المصباح ، فهذه العوامل كلها
 تزيد المصباح اضاءة فوق اضاءة ، ونوراً على نور .

وهكذا تكون الشواهد المنبثة فى الكون حسيها ومعنويها ، آيات واضحة لا تدع مجالاً للشك فى وجود الله ، وفى
 وجوب الايمان به وبرسالاته وما جاءت به . والله يوفق من يشاء الى الايمان عن طريقها ، اذا حاول الانتفاع بنور
 عقله . وقد أتى الله بالأمثلة المحسوسة ليسهل ادراك الأمور المعقولة ، وهو سبحانه واسع العلم ، يعلم من نظر فى
 آياته ، ومن أعرض واستكبر ، ومجازهم على ذلك .

٣٦ - ان هناك قوماً يسبحون الله ويعبدونه فى المساجد التى أمر الله أن تبنى وتعظم وتعمر بذكر الله ، وهم
 يترددون عليها صباحاً ومساءً .

٣٧ - لا تشغلهم الدنيا بما فيها من بيع وشراء عن تذكر الله ومراقبته فهم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة
 خائفين من يوم القيامة الذى لا تستقر فيه القلوب من القلق والهم ، وترقب المصير فيه وتلتفت فيه الأنظار فى حيرة
 ودهشة من غرابة النظر وشدة الهول .

٣٨ - وستكون عاقبة عملهم مكافأة الله لهم أحسن مكافأة على أعمالهم الطيبة ، وأن يتفضل عليهم بأكثر
 مما يستحقون ، فهو سبحانه واسع الفضل يعطى من يشاء من عباده الصالحين عطاء كبيراً ، لا يحاسبه عليه أحد
 ولا يستطيع العادون احصاءه .

كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْعًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَعُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَافٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا

٣٩ - والذين جحدوا وأنكروا يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وأن أعمالهم الحسنة ستفيدهم يوم القيامة ، ولكنهم مخطئون في ظنهم هذا ، فتل أعمالهم في بطلانها وعدم جدواها كمثل اللعان الذي يحدث من سقوط أشعة الشمس وقت الظهيرة على أرض مستوية في بقاء ، فيظنه العطشان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا نافعا كما كان يظن ، كذلك أعمال الكفار يوم الجزاء ستكون هباء منثورا ، وسيجد الكافر عقاب الله ينتظره واقعا تاما لا نقص فيه ، إن حساب الله آت لا ريب فيه ، وهو سبحانه سريع في حسابه لا يبطئ ولا يخطئ (١) .

٤٠ - وهذا مثل آخر لأعمال الكفار ، فتلها كمثل ظلمات البحر الواسع العميق ، الذي تتلاطم أمواجه عند هياجه ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطيها سحب كثيف قائم يحجب النور عنها ، فهذه ظلمات متراكمة ، لا يستطيع راكب البحر معها أن يرى يده ولو أدناها إلى بصره ، فوقف حائرا مهوتا ، وكيف يرى شيئا ويخلص من هذه الحيرة بدون نور يهديه في مسيره وبقية الارتظام والهلاك ؟ وكذلك الكافرون لا يفيدون من أعمالهم ، ولا يخرجون من عياتهم وضلالهم ، ولا ينجون بأنفسهم إلا بنور الايمان ، ومن لم يوفقه الله لنور الايمان ، فليس له نور يهديه إلى الخير ويدله على الطريق المستقيم ، فيكون من الهالكين .

٤١ - ألم تعلم يا أيها النبي علما يقينا أن الله يخضع له كل من يسكن السموات والأرض ، ويخضع له الطير كذلك ، وهي باسطة أجنحتها . فهذه المخلوقات كلها خاضعة لأمر الله وتديره ، تزهه عن الشريك وعن كل ما لا يليق ، وكل منها قد علم بالهام الله ما وجب عليه من خضوع وتزيه وأداء لوظيفته في الحياة . والله من ورائهم عالم أتم العلم بصلاة كل مصل ، وتسبيح كل مسبح ، وجميع ما يفعله العباد فكيف لا يؤمن به الكافرون ؟

٤٢ - والله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيهن ، وصاحب السلطان عليها وكلهم راجع إليه يوم القيامة للحساب والجزاء .

(١) « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، والله سريع الحساب » : السراب مجرد ظاهرة ضوئية سببها انعكاس الشعاع المنبعث من الأجسام المضيئة ، وارتداده من سطح أرض فسيحة جرداء عندما على التدرج بجذاه سطح الأرض ، متباعدة عنها قليلا قليلا ترتفع درجة حرارتها أثناء النهار ، فيتجه الشعاع المنعكس حتى يصل إلى الراصد . وعندما ترى صور الأجسام المضيئة مقلوبة كما لو كانت مرآة كبيرة ممتدة . وكذلك ترى صورة السماء الزرقاء الصافية كأنها بحيرة من الماء على أديم الأرض ، بينما تظهر باقي الأجسام مثل الأشجار والنخيل مقلوبة مؤكدة وجود الماء ظاهريا . وتبدو ظاهرة السراب هذه بأجلى معانيها إذا ما بلغ الفرق بين درجة حرارة سطح الأرض والهواء الملاصق له بضع درجات مئوية . وهي تشاهد عادة في الصحارى والمناطق المنبسطة والطرق الصحراوية المستقيمة المبددة بالأسفلت . ومما سبق يتضح أن السراب مجرد وهم .

تعليق الخبراء على الآية ٤٠ :

« أو كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه سحب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فإله من نور » . تجمع هذه الآية الكريمة أهم ظواهر عواصف البحر ، فالمعروف أن عواصف البحار العميقة أو المحيطات تنطلق فيها أمواج مختلفة الطول أو السعة أو الارتفاع ، بحيث يبدو الموج متظلمة في طبقات بعضها فوق بعض ، فيحجب ضياء الشمس ، =

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

٤٣ - ألم تر أنها النبي أن الله يسوق بالريح سحباً ، ثم يضم بعضه الى بعض ويجعله متراكماً ، فتري المطر يخرج من خلال السحاب ، والله ينزل من مجموعات السحب المتكاثفة التي تشبه الجبال^(١) في عظمتها برداً ، كالخصى ينزل على قوم فينفعهم أو يضرهم تبعاً لقوانينه وارادته ولا ينزل على آخرين كما يريد الله فهو سبحانه الفاعل المختار ، ويكاد ضوء البرق الحادث من اصطكاك السحب يذهب بالابصار لشدته ، وهذه الظواهر دلائل قدرة الله الموجبة للايمان به^(٢) .

٤٤ - يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر والبده والانتهاه بدوران الفلك ، إن في ذلك لعبرة لذوى العقول السليمة المتبصرة ، يؤمنون عن طريقها بالله .

٤٥ - الله خالق كل شيء ، وأبدع الأشياء بارادته ، وخلق كل حي يدب من أصل مشترك هو الماء ، لذلك لا يخلو الحى منه ، ثم يخالف بينها في الأنواع والاستعدادات ووجوه الاختلاف الأخرى ، فمن الدواب نوع يزحف على بطنه كالأسمك والزواحف ، ومنها نوع يمشى على رجليه كالإنسان والطير ، ومنها نوع يمشى على أربع كالبهائم ، يخلق الله ما يشاء من خلقه على أية كيفية تكون للدلالة على قدرته وعلمه ، فهو المريد المختار ، وهو القادر على كل شيء .

لما تثيره هذه العواصف من سحب ركامية سمكة تعجب بدورها ضوء الشمس ويخيم معها الظلام في سلسلة من عمليات الاعتماد التي تصل إلى حد انعدام رؤية الأجسام رغم سلامة النظر . ولما كانت نشأة الرسول - ﷺ - في البادية .. فإن ورود الدقائق العلمية على لسانه وحيا من الله ، دليل على أن القرآن الكريم من عند الله ، وعلى أنه معجزة هذا الرسول الكريم .

(١) لا يعرف التشابه بين السحب والجبال إلا من يركب طائرة تطلو به فوق السحاب ، فيرى من فوقه كأنها الجبال والآكام ، وإذا لم تكن تلك الطائرات في عصر النبي ﷺ فإنه يكون ذلك دليلاً على أن هذا الكلام من عند الله الذي يعلم ما علا ، وما انخفض .

(٢) « ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » : تسبق هذه الآية الكريمة ركب العلم . فإنها تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها . وما عرف علمياً في العهد الأخير من أن السحب الممطرة تبدأ على هيئة وحدات تتألف عدد منها في مجموعات هي السحب الركامية : أى السحب التي تنمو في الاتجاه الرأسى ، وترتفع قممها إلى علو ١٥ أو ٢٠ كيلو متراً ، فتبدو كالجبال الشاخنة .

والمعروف علمياً أن السحابة الركامية الممطرة تمر بمراحل ثلاث هي :

١- مرحلة الالتحام والنفو .

٢- ثم مرحلة المطول .

٣- وأخيراً مرحلة الانتهاء .

كما أن هذه السحب هي - وحدها - التي تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء . وقد يتلاحق حدوث البرق في سلسلة تكاد تكون متصلة « ٤٠ » تفرغاً في الدقيقة الواحدة » فيذهب بصر الراصد من شدة الضياء . وهذا هو عين ما يحدث للملاحين والطيارين الذين يخترقون عواصف الرعد في المناطق الحارة . وينجم عن فقد البصر هذا اضرار بليغة تشكل خطراً حقيقياً على أعمال الطيران وسط العواصف الرعدية .

تعليق المفراء على الآية ٤٥ :

« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير » : الماء في الآية الكريمة هو ماء التناسل أى المشتغل على الحيوانات المنوية ، والآية الكريمة لم تسبق فقط ركب العلم في بيان نشوء الإنسان من النطفة ، كما جاء في قوله تعالى : « فلينظر الإنسان مم خلق » . خلق من ماء دافق « (٦٠ ، ٥ من سورة الطارق) بل سبقته كذلك في بيان أن كل دابة تدب على الأرض خلقت كذلك بطريق التناسل من الحيوانات المنوية ، وإن اختلفت أشكال هذه الحيوانات المنوية وخصائصها في كل نوع من أنواع هذه الدواب .

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٦ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِأَرْسُولِهِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ٥٨ وَإِن يَكُنْ لَّهُمْ
الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَى اللَّهِ مُذْغِبِينَ ٥٩ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٦٠ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ٦١ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٦٢ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ٦٣
* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِ أَمْرَتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٦٤ قُلْ
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ

٤٦ - لقد أنزلنا بالوحي آيات واضحة تبين الأحكام والعظات، وتضرب الأمثال، والله يوفق إلى الخير من يشاء من عباده الذين استعملوا للنظر فيها والافادة منها.

٤٧ - والمنافقون يقولون بألسنتهم: آمنا بالله وبالرسول وأطعنا أوامرهما. وعند اختبارهم يعرض فريق منهم عن مشاركة المسلمين في أعمال الخير كالجهاد وغيره، بعد قولهم هذا، وهؤلاء ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا جديرين باطلاق اسم المؤمنين عليهم. ٤٨ - ومن أحوالهم أنهم إذا طلبوا إلى التحاكم أمام الرسول بمقتضى ما أنزل الله، ظهر نفاق بعضهم فرفضوا التحاكم إذا عرفوا أن الحق في جانب خصومهم.

٤٩ - أما إذا عرفوا أن الحق في جانبهم، فهم يأتون إلى الرسول مسرعين ليحكم بينهم وبين خصومهم. ٥٠ - ولماذا يقفون هذا الموقف من التحاكم أمام الرسول؟ لأن نفوسهم مريضة بالعمى فلا تخضع لحكم الحق، أم لأنهم شكوا في عدالة محمد ﷺ في الحكم؟ لا شيء من ذلك أصلاً. ولكنهم هم الظالمون لأنفسهم ولغيرهم بسبب كفرهم ونفاقهم وعدوهم عن الحق.

٥١ - إنما كان القول الحق للمؤمنين الصادقين إذا دعوا إلى التحاكم بمقتضى ما جاء عن الله ورسوله، أن يقولوا قائلين مذعنين: سمعنا دعوتك يا محمد ورضينا حكمك، وهؤلاء يكونون أهل فلاح في دنياهم وأخراهم.

٥٢ - ومن يطع الله ويرض بما يأمر به الرسول ﷺ، ويتخشى ذات الله العلية، ويستحضر جلاله ويتق غضبه، فأولئك هم الفائزون برضى الله ومحبهه، ونعم الجنة، والفائزون بالخير المطلق.

٥٣ - وأقسم المنافقون بالله أقصى ما يكون من إيمان مغلطة، أنك يا محمد إن أمرتهم بالخروج معك للغزو أطاعوا، قل لهم: لا تحلفوا فالأمور المطلوبة منكم معروفة لكم لا ينكرها أحد منكم، ولا ينفي العلم بها إيمان تكذيب فيها، وإن الله لمطلع تام الاطلاع على كل ما يقع منكم ومجازيكم عليه.

= وما تحتمله الآية من معان علمية أن الماء قوام تكوين كل كائن حى، فلا يحتوى جسم الإنسان على نحو ٧٠ في المائة من وزنه ماء.. أى أن الشخص الذى وزن ٧٠ كجم، في جسمه نحو ٥٠ كجم ماء. ولم يكن تكوين الجسم واحتواؤه هذه الكمية الكبيرة من الماء معروفاً مطلقاً قبل نزول القرآن.

والماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء.. فبينما الإنسان يمكنه أن يعيش ٦٠ يوماً بدون غذاء، لا يمكنه أن يعيش بدون الماء إلا من ٣ - ١٠ أيام على أقصى تقدير.

والماء أساس تكوين الدم والسائل اللمفاوى والسائل النخاعى وإفرازات الجسم كالبول والعرق والدموع واللعاب والصفراء واللبن والمخاط والسوائل الموجودة في المفاصل. وهو سبب رخاوة الجسم وليونته، ولو فقد الجسم ٢٠ في المائة فإن الإنسان يكون معرضاً للموت.

والماء يذيب المواد الغذائية بعد هضمها فيمكن امتصاصها، وهو كذلك يذيب الفضلات من عضوية ومعديّة في البول والعرق. وهكذا يكون الماء الجزء الأكبر والأهم من تكوين الجسم. ولذلك يمكن القول بأن كل كائن حى مخلوق من الماء.

إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ وَلَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَھُنَّ طَوُفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ

٥٤ - قل لهم : اطيعوا الله واطيعوا الرسول طاعة صادقة تدل عليها أفعالكم ، فإن أعرض المنافقون ولم يمتثلوا ، فانما على محمد ما حملة الله من أمر التبليغ وليس مكلفاً بهدايتهم ، وعليكم ما حملكم الله من التكليف والطاعة ، وستعاقبون اذا استمررتم على العصيان ، وان تطيعوا الرسول تهتدوا الى الخير ، وما عليه سوى التبليغ الواضح - أطعتم أم عصيتم - وقد بلغ .

٥٥ - وعد الله الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له منكم ، وعملوا الأعمال الصالحة وعداً مؤكداً ، أن يجعلهم خلفاء لمن سبقوهم وارثين لهم في الحكم والولاية في الأرض ، كما كان الشأن فيمن سبقوهم وأن يمكن لهم الاسلام الذي ارتضاه ديناً لهم ، فتكون لهم المهابة والسلطان ، وان يبدل حالهم من خوف الى أمن بحيث يعبدونني مطمئنين ، لا يشركون معي أحداً في العبادة . ومن اختاروا الكفر بعد هذا الوعد الصادق ، أو ارتدوا عن الاسلام فأولئك هم الخارجون المتمردون الجاحدون .

٥٦ - وأقيموا الصلاة كاملة الأركان في خشوع وخضوع ، بحيث تكون مانعة من الفحشاء والمنكر ، واعطوا الزكاة لمستحقها . واطيعوا الرسول في سائر ما يأمركم به ليكون لكم رجاء في رحمة الله ورضوانه .

٥٧ - لا تظن أيها النبي أن الكافرين سيعجزون الله عن أخذهم بذنوبهم ، أو تمكن أهل الحق من رقابهم في أى مكان من الأرض ، بل انه القادر ، فصيرهم يوم القيامة هو النار وبئس المصير مصيرهم .

٥٨ - يا أيها الذين آمنوا ، يجب أن تأمروا عبيدكم وصبيانكم الذين لم يصلوا الى حد البلوغ ألا يدخلوا عليكم الا بعد الاستئذان في ثلاثة أوقات ، وهي قبل صلاة الفجر^(١) وحين تنخفون من ثيابكم وقت القيلولة ، ومن بعد صلاة العشاء عند الاستعداد للنوم ، فهذه الأوقات يتغير فيها نظام اللبس باستبدال ثياب النوم بثياب

(١) « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » : هذه الآية الشريفة إحدى الآيات التي توجه أنظار الناس إلى اللياقة الاجتماعية في محيط الأسرة ، وذلك أن اندماج المالك - الخدم - والصبيان في أسرهم ، قد يتجاوز بهم الاحتشام في المحالطة ، فيدخلون على الغير دون استئذان في الأوقات المذكورة في الآية ، ونظرا لأنها أوقات خلوة وحرية شخصية وتحلل من لباس الحشمة ، غيت الآية بتشريع الاستئذان في تلك الأوقات بالنسبة لمن ذكرتهم من المالك والصبيان ، حتى لا يطلعوا على ما يعتبر سرا لا يستساغ اطلاعهم عليه ، إذ هو كالمعصية التي ينبغي سترها ، وفي هذا توجيه لأعضاء الأسرة الى إتخاذ الملابس اللائقة بمقابلة بعضهم البعض ، حتى تظل كرامتهم مصونة ، وحرمتهم مكفولة وأداهم مرعية ، والقرآن جدير بهذه التوجيهات التي تنهض بأخلاقتنا إلى المستوى الرفيع .

الْحُلْمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاحِهِمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّتُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ مُبَرَكََةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِذَا كَانُوا

البقطة ، ويبدو من عورات الجسم ما لا ينبغي رؤيته ، ولا حرج عليكم ولا عليهم في الدخول بغير استئذان في غير هذه الأوقات ، لأن العادة جرت بأن يتردد فيها بعضكم على بعض لقضاء المصالح ، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آيات القرآن لبيان الأحكام ، والله سبحانه واسع العلم عظيم الحكمة ، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويحاسبهم عليه .

٥٩ - وإذا وصل صبيانكم حد البلوغ وجب عليهم أن يستأذنوا للدخول في كل بيت ، وفي جميع الأوقات ، كما وجب ذلك على الذين بلغوا من قبلهم ، وبمثل هذا التوضيح يوضح الله لكم آياته التي أنزلها ، والله سبحانه واسع العلم ، عظيم الحكمة ، يعلم ما يصلح لعباده ويشرع لهم ما يناسبهم ويحاسبهم على أعمالهم .

٦٠ - والنساء الطاعنات في السن اللاتي لا يطمعن في الزواج ، لا مؤاخذه عليهن إذا تخففن من بعض الملابس ، بحيث تكن غير مظهرات زينة أمر الله بإخفائها من أجسامهن ، ولكن استعفاهن بالاستتار الكامل خير لهن من التخفف ، والله سميع لقولهن عليم بفعلهن وقصدن ومجازين على ذلك .

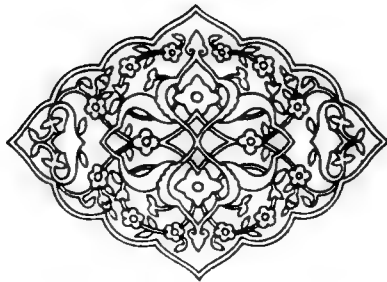
٦١ - ليس على أصحاب الأعذار كالأعمى والأعرج والمريض حرج ، بل ولا عليكم أيها الأصحاء حرج ، في أن تأكلوا من بيوت أولادكم فهي بيوتكم ، ولا أن تأكلوا بيوت آبائكم أو أمهاتكم أو إخوانكم أو أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو عماتكم أو أخوالكم أو خالاتكم ، أو البيوت التي وكل اليكم التصرف فيها ، أو بيوت أصدقائكم المصالحين إذا لم يكن فيها حرمان ، وذلك كله إذا علم سماح رب البيت بأذن أو قرينة ، وليس عليكم جناح في أن تأكلوا مجتمعين أو منفردين ، فإذا دخلتم بيوتاً حياً بالسلام أهلها الذين هم قطعة منكم . بسبب اتحاد الدين أو القرابة . فهم كأنفسكم ، وهذه التحية تحية مشروعة مباركة بالنواب وفيها تطيب للنفوس . وعلى هذا النحو يوضح الله لكم الآيات لتعقلوا ما فيها من العظات والأحكام وتفهموها وتعملوها بها .

مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَعِذُّوهُ^{٦٢} إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ^{٦٣} فَإِذَا
 اسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ^{٦٤} اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^{٦٥} لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
 بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا^{٦٦} قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْ أَدَّ^{٦٧} فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ^{٦٨} أَنْ تُصِيبَهُمْ
 فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^{٦٩} أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^{٧٠} قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ^{٧١} وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ^{٧٢} إِلَيْهِ
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا^{٧٣} وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^{٧٤}

٦٢ - ان المؤمنين الصادقين هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ولم يتركوا الرسول وحده في أمر مهم يتطلب اجتماعهم كالجهاد ، الا بعد أن يستأذنه في الانصراف ويسمح لهم به ان الذين يقدرونك أيها النبي حق قدرك ، ويدركون خطر الاجتماع فلا ينصرفون الا بعد موافقتك .. وهم الصادقون في ايمانهم بالله ورسوله ، فاذا استأذنتك هؤلاء لقضاء بعض مصالحهم فاذن بالانصراف لمن تشاء منهم ، اذا رأيت من الدلائل أنه في حاجة ماسة الى الانصراف ، ولا يمتنع الاجتماع وجوده ، ومع ذلك أطلب المغفرة لهم من الله على انصرافهم الذي ما كان يليق أبداً ، ان الله واسع المغفرة والرحمة .

٦٣ - احرصوا على احترام دعوة الرسول لكم الى الاجتماع للأمر الهامة ، واستجيبوا لها ولا تجعلوها كدعوة بعضكم في جواز التهاون فيها والانصراف عنها ، ولا تنصرفوا الا بعد الاستئذان والموافقة ، وفي أضيق الحدود وأشد الضرورات . فانه سبحانه يعلم من ينصرفون بدون اذن مخفين بين المجموع حتى لا يراهم الرسول ، فليحذر المخالفون عن أمر الله أن يعاقبهم سبحانه على عصيانهم بمحنة شديدة في الدنيا كالقحط والزلازل ، أو بعذاب شديد الايلام قد أعد لهم في الآخرة وهو النار .

٦٤ - تنبهوا أيها الناس الى أن الله وحده هو مالك السموات والأرض وما فيها ، يعلم ما أنتم عليه من الكفر والاسلام والعصيان والطاعة ، فلا تخالفوا عن أمره ، وسيخبر الناس عند رجوعهم اليه يوم القيامة بكل ما عملوا في الدنيا وسيجازيهم عليه ، لأنه محيط بكل شيء علماً ..



(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبَأْنَاهَا سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

عدد آيات هذه السورة سبع وسبعون آية، كلها مكية الا الآيات رقم ٦٨، ٦٩، ٧٠. بدأت السورة ببيان منزلة القرآن، وسعة ملك منزله، الذي له ملك السموات والأرض، ومع عظم سلطانه، يتخذ المشركون من دونه الأوثان، ويكذبون بالقرآن، وينكرون رسالة الرسول ﷺ، بحجة أنه بشر، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويطلبون تعنتاً ملائكة تبليغهم الرسالة، ولو جعلهم ملائكة لجعلهم رجالاً، يمكنهم التفاهم مع البشر. فيبقى الالتباس، وقد اعترضوا على نزول القرآن منجماً، فأجيبوا بحكمة ذلك، وأتبع هذا العناد بأمثلة معيرة عن الأنبياء وأقوامهم، لكن القوم اتبعوا أهواءهم، فصاروا كالأنعام أو أضل سبيلاً. وجاءت الآيات الكونية الدالة على كمال قدرته تعالى، الموجهة الى النظر والمعرفة، وختمت السورة بأوصاف المؤمنين التي ورثهم غرف الجنة العالية، يلقون فيها تحية وسلاماً.

١ - تعالى أمر الله وتزايد خيره، هو الذي نزل بالقرآن فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ، ليكون نذيراً به مبلغاً إياه الى العالمين.

٢ - هو سبحانه الذي يملك وحده السموات والأرض، والمنزه عن اتخاذ الولد، ولم يكن له أى شريك في ملكه، وقد خلق كل شيء وقدره تقديراً دقيقاً بنواميس تكفل له أداء مهمته بنظام^(١).

٣ - ومع ذلك ترك الكافرون عبادته، واتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله من أصنام وكواكب وأشخاص وهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ما، وهم مخلوقون لله، ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم ولا جلب خير لها، ولا يملكون امانته أحد ولا احياءه، ولا بعث الأموات من قبورهم، وكل من لا يملك شيئاً من ذلك لا يستحق أن يعبد، وما أجهل من يعبد، والمستحق للعبادة وحده هو مالك كل هذا.

(١) «الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديراً»: أثبت العلم الحديث أن كل الموجودات تسير بحكم تكوينها وما يجري عليها من تطورات مختلفة وفق نظام دقيق ثابت لا يتغير عليه إلا خالق قدير مبدع. فن حيث التكوين فقد تبين أن جميع هذه الموجودات والمخلوقات على اختلاف أشكالها وتباين صورها تتألف من اتحاد عناصر محدودة العدد، إذ يبلغ عددها قرابة المائة عنصر «منها ٩٦ معروفة حتى الآن» وهي تتدرج في صفاتها الطبيعية والكيميائية وأوزانها الذرية وتبدأ بالعنصر رقم «١» وهو الهيدروجين ووزنه الذري «١» وتنتهي - حتى الآن - بالعنصر رقم ٩٦ وهو عنصر اليورانيوم ووزنه الذري غير معلوم، وآخر عنصر علم وزنه الذري هو اليورانيوم ويبلغ وزنه الذري ٢٣٨,٥٧، وتسير هذه العناصر في اتحادها لتكوين المركبات حسب قوانين ثابتة لا تتغير عنها، وكذلك النبات والحيوان فإن كلاهما ينقسم إلى أسر وفصائل وأنواع تتدرج صفاتها في مدارج الرقي من الكائنات الحية ذات الخلية الواحدة مثل الميكروبات إلى كائنات متعددة الخلايا إلى الإنسان وهو أكملها. ولكل من هذه الأنواع صفات خاصة تتوارث فيما بينها جيلاً بعد جيل وكل هذا يسير تبعاً لقوانين ونظم ثابتة دقيقة تنبئ بجلاء ووضوح عن عظمة الخالق وقدرته. فسبحانه وتعالى عما يشركون.

كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فُكٌّ أَفْتَرْتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلُمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أُسْطِطِرُّ الْأُولِينَ
 أَكْتَنَبَهَا فَهِيَ تُمْنَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ
 نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾
 أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ

٤ - وطعن الكفار في القرآن وقالوا : انه كذب اخترعه محمد من عند نفسه ونسبه الى الله ، وساعده في اختراعه جماعة آخرون من أهل الكتاب ، فارتكب الكفار بقولهم هذا ظلماً في الحكم واعتداء على الحق ، وجاءوا بزور لا دليل عليه ، لأن من أشاروا اليهم من أهل الكتاب لسانهم أعجمي ، والقرآن لسان عربي مبين .

٥ - وقالوا عن القرآن أيضاً : انه أكاذيب السابقين سطورها في كتبهم ، ثم طلب منهم أن تكتب له وتقرأ عليه على الدوام صباحاً ومساءً حتى يحفظها ويقولها .

٦ - قل لهم أيها النبي : ان القرآن أنزله الله الذي يعلم الأسرار الخفية في السموات والأرض ، وقد أودعها في القرآن المعجز دليلاً على أنه وحيه سبحانه ، ان الله واسع المغفرة والرحمة ، يتجاوز عن العصاة اذا تابوا ولا يعجل بعقوبتهم .

٧ - وسخروا من محمد فقالوا : أى شيء يمتاز به هذا الذي يزعم أنه رسول حتى أنه يأكل الطعام كما نأكل ، ويتردد في الأسواق لكسب عيشه كما يفعل سائر البشر ؟ لو كان رسولاً لكفاه الله ذلك ، ولسأل ربه أن ينزل له ملكاً من السماء يساعده على الانذار والتبليغ ويصدقه في دعواه فتؤمن به .

٨ - وهلا سأل أن يكفيه مؤونة التردد على الأسواق ، فيلقى اليه كنزاً من السماء ينفق منه أو يجعل له حديقة يقتات من ثمارها ؟ وقال كبار الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر صادين الناس عن الايمان بمحمد ، ومحاولين تشكيك المؤمنين : ماتبعون الا رجلاً مسحوراً عقله ، فهو يهذى بما لا حقيقة له .

٩ - انظر أيها النبي كيف ضربوا لك الأمثال ، فتلوك مرة بمسحور ، وأخرى بمجنون ، وثالثة بكذاب ، ورابعة بتلق القرآن عن أعاجم ، انهم بذلك قد ضلوا طريق الحق . والحاجة الصحيحة فلا يجدون اليها سبيلاً .

جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾
 إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
 لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ
 لَهُمْ جَزَاءُهمْ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ؕ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهمْ وَمَا يَعْبُدُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ؕ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُنَا أَنْ

١٠ - تعالى الله وتزايد خيره ، هو الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا أحسن مما اقترحوا ، فيجعل لك فيها مثل ما وعدك فى الآخرة من جنات كثيرة تجرى الأنهار فى جنباتها وخلال أشجارها ومن قصور مشيدة .

١١ - والحقيقة أنهم جاحدون بكل آية ، لأنهم كذبوا بالبعث ويوم القيامة ، فهم لهذا يتعللون بهذه المطالب ليصرفوا الناس الى باطلهم ، وقد أعدنا لمن كذب بيوم القيامة نارا مستعرة شديدة الالتهاب .

١٢ - اذا رأوها ورأتهم من بعيد سمعوا لها صوتا متغيظا متحفزا لإهلاكهم ، وفيه مثل الزفرات التى تخرج من صدر متغيظ علامة على ما هى عليه من شدة .

١٣ - واذا ألقوا فى مكان ضيق منها يناسب مع جرمهم وهم مقرونة أيديهم الى أعناقهم بالأغلال ، نادوا هناك : طالبين تعجيل هلاكهم ليستريحوا من هول العذاب .

١٤ - فيقال لهم توبيخاً وسخرية : لا تطلبوا هلاكاً واحداً بل اطلبوه مراراً ، فلن تجدوا خلاصاً مما أنتم فيه ، وأن أنواع عذابهم كثيرة .

١٥ - قل يا أيها النبي للكافرين : أهذا المصير الذى أوعده الكافرون خير أم الجنة الدائم نعيمها ، والتى وعد المؤمنون الأتقياء بأن تكون لهم ثواباً ومصيراً يصيرون اليه بعد البعث والحساب ؟ .

١٦ - لهم فيها ما يرغبون ينعمون به نعيماً دائماً دون انقطاع ، وكان هذا النعيم وعداً من الله لهم ، سألوا ربهم تحقيقه فأجابهم الى ما سألوه ، لأن وعده لا يتخلف .

١٧ - واذكر للعظة يوم يحشر الله المشركين للحساب فى يوم القيامة مع من عبدوهم فى الدنيا من دون الله ، كعمى وعزير والملائكة ، فيسأل الله المعبودين : أنتم الذين أضللتهم عبادة فأمروهم بأن يعبدوكم ، أم هم الذين ضلوا السبيل باختيارهم فعبدوكم ؟ .

تَخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِثْرَ نَجْدٍ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءٌ لَكُمْ الْطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَيِّكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَيِّكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ جِئْنَا بِحُجْرٍ مَحْجُورٍ ﴿٢٣﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

١٨ - فيكون جوابهم : تزهت وتقدست ، ما كان يحق لنا أبداً أن نطلب من دونك ولياً ينصرنا ويتولى أمرنا ، فكيف مع هذا ندعو أحداً أن يعيدنا دونك ؟ ولكن السبب في كفرهم هو انعامك عليهم بأن متعتهم طويلاً بالدنيا هم وآباءهم ، فأطغاهم ذلك ونسوا شكرك والتوجه اليك وحدك بالعبادة ، وكانوا بذلك الطغيان والكفر قوماً مستحقين للهلاك .

١٩ - فيقال للعابدين المشركين : لقد كذبكم من عبدقوهم فيما زعمتم من اضلالهم اياكم . فأنتم اليوم الى العذاب صائرون ، لا تملكون حيلة لصرفه عنكم ولا تعبدون نصراً من أحد يخلصكم منه ، وليعلم العباد جميعاً أن من يظلم بالكفر والطغيان كما فعل أولئك فأننا نعذبه عذاباً شديداً .

٢٠ - واذا كان المشركون يعيبونك - أيها النبي - بأكلك الطعام ومشيك في الأسواق للعمل والكسب فنلك سنة الله في المرسلين من قبلك ، ما أرسلنا أحداً منهم الا كان يأكل الطعام ويتردد في الأسواق ، وجعلنا بعضكم أيها الناس ابتلاء لبعض ، والمفسدون يحاولون سد الطريق الى الهداية والحق بشق الأساليب ، فهل تصبرون على حقكم أيها المؤمنون وتمسكون بدينكم حتى يأتي أمر الله بالنصر ؟ اصبروا فالله مطلع على كل شيء ويجازي كلا بما عمل ..

٢١ - وقال الذين ينكرون البعث ولا يتوقعون الجزاء على أعمالهم : لماذا لا تنزل علينا الملائكة بتأييدك أو يترأى لنا الله فيخبرنا بأنه أرسلك ؟ . لقد تمكن الكبر من نفوسهم وجاوزوا الحد في الظلم والطغيان .

٢٢ - يوم القيامة يرون الملائكة كما تمنوا ، وسيكون ذلك مصدر تنفير لهم لا بشارة .. يستعيذون منهم كما كانوا يستعيذون مما يفرغهم في الدنيا .

بَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ نُسْفِقُ السَّمَاءَ بِالْغَمَمِ
وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَاقِ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ
عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلْبِسَنِي الْأَمْحَدُ مَعَ الرُّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي
عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرُّسُولُ يَرْبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا
الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ

٢٣ - ويوم القيامة ، نأتى الى ما عملوه من مظاهر البر والاحسان فى الدنيا فنحبطه ونحرمهم ثوابه ، لعدم ايمانهم الذى به تعتبر الاعمال .

٢٤ - اصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقراً واحسن منزلاً وماوى للاسترواح ، لانه الجنة المعدة للمؤمنين لا النار المعدة للكافرين .

٢٥ - واذكر - أيها النبى - يوم تنفرج السماء وتنفتح ، ويظهر من فرجها الغمام ، وتنزل الملائكة نزولاً مؤكداً .

٢٦ - فى هذا اليوم ، تبطل أملاك المالكين من الناس وتنقطع دعاواهم ، ويخلص الملك للرحمن وحده ، ويكون يوماً شديداً عصيباً على الكافرين .

٢٧ - يوم القيامة يعص الظالم لنفسه - بالكفر ومخالفة الرسل - على يديه أسفاً وندماً يقول متمنياً : يا ليتنى اتبعت الرسل فسلكت طريق الجنة وتجنبت طريق النار .

٢٨ - يقول نادماً على اتباع من أضلوه : يا ليتنى لم أصدق فلاناً الذى ملكته قيادى ..

٢٩ - لقد أبعدنى هذا الصديق عن ذكر الله وذكر القرآن بعد أن يسر لى ، وهكذا يخذل الشيطان الانسان ويسلمه الى ما فيه هلكته .

٣٠ - وقال الرسول يشكو الى الله ما يلاقه تعنت قومه : انهم تركوا القرآن وهجروه ، وقادوا فى اعراضهم وعنادهم وعدائهم .

٣١ - كما جعلنا قومك ، يا محمد يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين يعادونه ويقاومون دعوته ، وسينصرك الله ويهديك الى قهرهم ، وحسبك به هادياً ونصيراً .

٣٢ - وقال الذين كفروا طعنوا فى القرآن : لم لم ينزل دفعة واحدة ؟ لقد أنزلناه كذلك مفزاً ليشبث به فؤادك بأنسك به وحفظك له ، ورتلناه فرقناه آية أو قرآنه على لسان جبريل شيئاً فشيئاً على تودة وتمهل .

بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ط وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأُمُثْلَ ط وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرَءُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخْذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ

٣٣ - ولا يأتونك بحال من الاعتراضات الواهية الا جئناك بالحق نبينه ونفسره أحسن تفسير .

٣٤ - والذين كفروا برسالتك سيسحبون الى النار على وجوههم أذلاء ، وهم شر الناس منزلة وأوغلهم في الضلال .

٣٥ - ويسلى الرسول بما وقع للرسل قبله ، ولقد نزلنا على موسى التوراة وكلفناه أن يقوم بتبليغ رسالتنا ، وأيدناه بأخيه هارون وزيراً له ومعينا في أمره .

٣٦ - فقلنا : اذهب أنت وأخوك الى فرعون وقومه وأيدناه بالمعجزات التي تدل على صدقه ، فلم يؤمنوا بها وكذبوه ، فكان عاقبتهم أن أهلكناهم ومحققناهم محققاً .

٣٧ - وكذلك فعلنا من قبل موسى مع قوم نوح لما كذبوه ، ومن كذب رسولاً فقد كذب الرسل أجمعين ، فقد أغرقناهم بالطوفان وجعلناهم عبرة للناس ، وجعلنا لهم ولكل مشرك في الآخرة عذاباً أليماً .

٣٨ - وكذلك أهلكنا عاداً وثمود وأصحاب الرس (١) لما كذبوا رسلهم ، وأهلكنا أئماً كثيرة كانوا بين أمة نوح وبين عاد فأصابهم جزاء الظالمين .

٣٩ - ولقد أئذنا هؤلاء الأقوام كلهم ، وذكرنا لهم العظات والأمثال الصحيحة النافعة ، ولكنهم لم يتعظوا . فأخذناهم كلهم بالعذاب وأهلكناهم ودمرنا ديارهم تدميراً .

٤٠ - وهؤلاء قريش يبرون في أسفارهم الى الشام على قرية قوم لوط التي أمطرتنا عليها شر مطر وأسوأه ، حجارة من سجيل ، أفلم يروا هذه القرية فيتعظوا بما حل لأهلها ؟ .. انهم يرونها ولكن لا بأعين الانتعاض والاعتبار ، اذ كانوا لا يؤمنون بمعاد ولا بعث ، ولا يتوقعون يوماً ينشرون فيه الى الحساب .

٤١ - واذا أبصرك هؤلاء لا يتخذونك الا موضع هزؤ وسخرية ، ويقول بعضهم لبعض : أهذا هو الذي بعثه الله رسولاً إلينا نتبعه ونسير وراءه ؟ !

(١) الرس : كما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني : هو واد ، وقد استشهد بقول الشاعر : (وهن الوادي الرس كاليد للفسم) وأصحاب الرس كما جاء في الآية الكريمة : قوم كانوا يعبدون الأصنام ، فبعث الله شعيباً لهم ، فهم ممن أرسل فيهم شعيب عليه السلام ، وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن قوم شعيب مرة بأصحاب الأيكة - وهو المكان الذي يكثر فيه شجر امتاز بالنعومة - ومرة بأصحاب الرس - وهو واد فيه خير عظيم - للإشارة إلى ما كانوا فيه من نعم أنعم الله به عليهم ، فكفروا بأنعمه ، وعبدوا الأوثان .

ءَاهِنَّا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٤٧﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٥٠﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٥١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ تُسُورًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٣﴾ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَةً مِّثْنًا وَنُسْقِيَهُ

٤٢ - لقد أوتى هذا الرجل من حسن البيان وقوة الحججة ما يجذب السامعين ، ولقد نال من عقائدها حتى لقد كاد يزحزحنا عن آلهتنا ويميلنا الى الله ولكننا ثبتنا على آلهتنا وديننا ، سنين لهم جليلة الأمر حين يرون العذاب يوم القيامة ويعلمون من هو أثبت في الضلال والغواية .

٤٣ - أرايت أيها الرسول ضلال من اتبع هواه وشهواته حتى أنه ليعبد حجارة لا تضر ولا تنفع ؟ وأنت قد بعثت نذيراً وبشيراً ولست موكلأ بإيمانهم وهدايتهم .

٤٤ - وهل تظن أن أكثرهم يسمعون سماع الفهم أو يهتدون بمعقولهم ؟ ! لقد نبذوا ما تأمرهم به أحلامهم ، وصاروا كالبهائم لا هم لهم الا الأكل والشرب ومتاع الحياة الدنيا ، ولا تفكير لهم فيما وراء ذلك ، بل هم شر مكاناً من البهائم ، فالبهائم تنقاد لأصحابها الى ما فيه خيرها ، وتتأذى عما يضرها وهؤلاء يلقون بأنفسهم فيما يهلكهم .

٤٥ - لقد نصبنا من الدلائل على التوحيد ما يهتدى ذوى الأبواب ، انظر الى الظل فقد بسطه الله وجعله ساكناً أول النهار ، ثم سلطنا الشمس تزيل منه بما يحمل محله من أشعتها ، فكانت الشمس دالة عليه ولولاها ما عرف الظل ، ولو شاء الله لجعل الظل ساكناً مطبقاً على الناس فتفوت مصالحهم ومرافقهم (١) .

٤٦ - ولقد كان نسخنا للظل بالشمس تدريجياً بمقدار ولم يكن دفعة واحدة ، وفي ذلك منافع للناس .

٤٧ - ومن آيات التوحيد أن جعل الليل سترأ بظلامه ، يدخل فيه الخلق فيحيطهم احاطة الثوب بلباسه ، وهياً الناس للنوم فكان راحة لهم يستجمون به من التعب ، بضياته ناشراً للناس باحثين عن معاشهم طالبين لرزقهم .

٤٨ - وهو الذى سخر الرياح فتسوق السحب وتبشر الناس بالمطر الذى هو رحمة منه لهم ، ولقد أنزلنا من السماء ماء طاهراً مطهراً مزيلاً للأنجاس والأوساخ (٢) .

(١) « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً » : هذه الآية تظهر عناية الخالق وقدرته . فد الظل يدل على دوران الأرض وعلى ميل محور دورانها ولو أن الأرض سكنت بحيث أنها ظلت غير متحركة حول الشمس وكذلك انعدام دورانها حول محورها لساكن الظل وظلت أشعة الشمس مسلطة على نصف الأرض بينما يظل النصف الآخر ليلاً مما يحدث اختلاف التوازن الحرارى ويؤدى إلى انعدام الحياة على الأرض وكذلك إذا كان هذا هو حال الأرض فإن الظل يظل ساكناً . وهذا أيضا يحدث إذا كانت فترة دوران الأرض حول محورها هي نفسها فترة دورانها من حول الشمس ، أى أن اليوم يصبح سنة كاملة ولكن لا يمكن أن يفعل ذلك غير الله ، هذا فضلاً عن أن الظل ذاته نعمة من نعم الله ، ولو أن الله خلق الأشياء كلها شفاقة لما وجد الظل ولا انعدمت فرص الحياة أمام الكائنات التى تحتاج إليه .

(٢) « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً » : في هذه الآية الكريمة بين الله على البشر بإنزال الماء طاهراً إليهم من السماء ، وتتضمن الآية الإشارة إلى أن ماء المطر عند بدء تكوينه يكون في أعلى درجات النقاء . وعلى الرغم من أن حمله بعد ذلك ما في الجو من أجسام وذرات فإنه يكون في أعلى درجات الطهارة .

مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَائِيَّ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ
 شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَدْنَاهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ
 الْمَاءِ بَشَرًا لَّجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٥﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴿٥٦﴾ وَكَانَ
 الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٨﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَا مَنَ شَاءَ
 أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٩﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ

٤٩ - أنزلنا المطر لينبت به الزرع، فتحيا به الأرض الجدبة بعد موتها، وينتفع به السقيا مما خلق انعاماً وأناسي كثيراً.

٥٠ - وهذا القرآن قد بينا آياته وصرفناها، ليتذكر الناس ربهم وليتعضوا ويعملوا بموجبه، ولكن أكثر الناس أبوا إلا الكفر والعناد.

٥١ - ولو شئنا لبعثنا في كل بلدة نذيراً، فاجتهد في دعوتك، ودع كلام الكافرين، وانبذ ما يأتون به ..
 ٥٢ - واستمر في دعابتك الى الحق وتبليغ رسالة ربك، وان قاوموا دعوتك واعتدوا على المؤمنين فحاربهم وجاهد في ذلك جهاداً عظيماً.

٥٣ - والله هو الذي أجرى البحرين: البحر العذب والبحر الملح، وجعل المجرى لكل واحد يجاور المجرى الآخر، ومع ذلك لا يختلطان، نعمة ورحمة بالناس^(١).

٥٤ - والله هو الذي خلق من النطفة هؤلاء الناس، وجعلهم ذكوراً وإناثاً ذوى قرابات بالنسب أو المصاهرة، وكان الله قديراً على ما يريد اذ خلق من النطفة الواحدة نوعين متمايزين ..

٥٥ - وبعد هذه الآيات الدالة على استحقاق الله وحده العبادة، وأن لا اله سواه، يعبد فريق من الناس ما لا ينفع ولا يضر من الأوثان، وهؤلاء يعلمهم هذا يعاونون الشيطان وهو يضلهم، فهم متظاهرون على الحق الذي دعاهم اليه الله.

٥٦ - وليس عليك أيها النبي الا تبليغ ما أرسلت به، وتبشير المؤمنين بالجنة، وتخويف الكافرين ما سيلقونه، وليس عليك بعد ذلك شيء تطالب به.

٥٧ - وقل لهم: اني لا أبتغي على دعوتكم الى الاسلام اجراً وجزاء، الا أن يهتدى أحدكم ويسلك سبيل الحق ويرجع الى ربه.

(١) « وهو الذي مرَجَّ البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا »: قد تشير هذه الآية إلى نعمة الله على عباده بعدم اختلاط الماء الملح المتسرب من البحار في الصخور القريبة من الشاطئ. بالماء العذب المتسرب إليها من البر اختلاطاً تاماً بل انها يلتقيان مجرد تلاق. يطفو العذب منها فوق الملح كأن بينهما برزخاً يمنع بغي أحدهما على الآخر، وحجراً محجوراً، أي حاجزاً خفياً مستوراً لا نراه.

وليس هذا فقط بل ان هناك قانوناً ثابتاً يحكم هذه العلاقة ويتحكم فيها لمصلحة البشر ممن يسكنون في تلك المناطق وتتوقف حياتهم على توفر الماء العذب، فقد ثبت أن طبقة الماء العذب العليا يزداد سمكها مع زيادة الارتفاع عن منسوب البحر بعلاقة منتظمة حتى أنه يمكن حساب العمق الأقصى للماء العذب الذي يمكن الوصول إليه. فهو يساوي قدر الفرق بين منسوب الأرض ومنسوب البحر أربعين مرة.

خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

٥٨ - وتوكل في أمورك على الله الحى الذى لا يمكن أن يموت، ونزهه وقدمه حامداً أنعمه، ودع من خرج عن الجادة، فالله خير بهم مكافئ لهم على ذنوبهم.

٥٩ - والله هو الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وقد استولى على العرش الملكوت وعم سلطانه كل شيء، وهو الرحمن، وإن ابتغيت أن تعرف شيئاً من صفاته فاسأل الخير عنه يجيبك وهو الله العليم الحكيم^(١).

٦٠ - وإذا قيل لهؤلاء الكفار: اخضعوا للرحمن واعبدوه. كان جوابهم بالانكار وتجاهل الرحمن وقالوا: من هو الرحمن؟! نحن لا نعلمه حتى نسجد له، فهل نخضع لأمرك وحسب؟، وازدادوا عن الإيمان بعداً ونفوراً...

٦١ - تعالى الرحمن وتزايد فضله، انشأ الكواكب في السموات وجعل لها منازل تسير فيها، وجعل من الكواكب الشمس سراجاً مضيئاً والقمر منيراً^(٢).

٦٢ - والرحمن هو الذى جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر، وقد دبرنا هذا ليتذكر من شاء هذا التدبير، فيعرف حكمة الله وقدرته، أو يشكره على هذه النعمة الجليلة.

٦٣ - فعباد الرحمن هم الذين يتواضعون في الدنيا، إذا مشوا على الأرض مشوا في سكونة ووقار، وكذلك في سائر أفعالهم، وإذا سابههم السفهاء من المشركين تركوهم وشأنهم وقالوا لهم: لا شأن لنا بكم بل أمرنا سلام عليكم.

(١) «الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، الرحمن فاسأل به خيراً»: النسخة أيام تعبير من جانب الله - عز وجل - عن الزمن، وهو تعالى أعلم بمقدار اليوم، ومن الوجهة العلمية تتطلب عملية خلق الكون المرور بمراحل وأدوار مختلفة «السموات والأرض وما بينهما» تشير إلى سائر أجرام السماء من نجوم وشموس وكواكب وأقمار وأتربة كونية، وغازات وطاقات يتألف الكون منها «ثم استوى على العرش» يثبت أن للكون بداية من حيث الزمن وأن نشوء الكون لازمه نظم كونية أو إلهية منظمة له، وبتنظيم الكون على الوجه التفصيلي الكامل الذى شمل كل شيء اتضح استيلاء الله - سبحانه - على الكون إجمالاً وتفصيلاً.

«فاسأل به خيراً» في هذه الجملة من الآية الكريمة توجيه علمي من الله إلى ضرورة البحث والتفتيش فيما يمكن بحته من مظاهر الكون ونظمه المختلفة للوقوف على أسرار قدرة الله في ابداع الكون

(٢) «تبارك الذى جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً»: تشير الآية الكريمة إلى المعاني العلمية المتضمنة في نظام الكون الذى خلقه الله - سبحانه وتعالى - وتزايد فضله. وأتينا لشاهد نجوم السماء على هيئة مجموعات تكاد تحتفظ بصورها على مر الأجيال والبروج هي تلك المجموعات من النجوم التي قر أمامها الشمس أثناء دوراتها الظاهرى من حول الأرض، فالبروج كأنها منازل الشمس في دوراتها أثناء السنة. وكل ثلاثة منها تؤلف فصلاً من فصول السنة وهي كمفردات مبتدئين بفصل الربيع: الحمل - الثور - الجوزاء - السرطان - الأسد - السنبلة - الميزان - العقرب - القوس - الجدى - الدلو - الحوت. والشمس هي إحدى النجوم المتوسطة القدر وهي كسائر النجوم مضيئة بذاتها نظراً للتفاعلات الذرية في داخلها، فالإشعاع الشمسي المنبعث من هذه الطاقة يسقط على الكواكب والأرض والأقمار وسائر أجرام السماء غير المضيئة بذاتها، فينيرها أى أن الشمس هي سراج وهاج. أما القمر فينير بضياء الشمس المرتد من سطحه وأن في وصف الشمس بأنها سراج ووصف القمر بأنه منير إشارة إلى أن الشمس مصدر الطاقة الحرارية.

وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ مَجْدًا وَفَيْدًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۚ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ^{٦٥}
 إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ وَالَّذِينَ
 لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنقَلْ
 أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
 مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا
 عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّحِينَ إِمَامًا ۖ

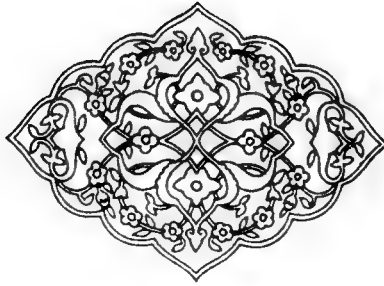
- ٦٤ - والذين يبتغون على التعبد والصلاة ويذكرون الله كثيراً .
 ٦٥ - والذين يغلبون الخوف على الرجاء - شأن الاتقياء - فيخافون عذاب الآخرة ، يكون دأبهم أن يدعوا الله أن ينجيهم من عذاب جهنم ، فإن عذابها إذا نزل مجرم يلزمه ولا يفارقه .
 ٦٦ - وأن جهنم شر مستقر لمن يستقر فيها وشر مقام لمن يقيم .
 ٦٧ - ومن سمات عباد الرحمن الاعتدال في انفاقهم المال على أنفسهم وأسرهم ، فهم لا يبذرون ولا يضيقون في النفقة ، بل نفقتهم وسط بين الأمرين .
 ٦٨ - ومن شأنهم أنهم أخلصوا التوحيد ونبذوا كل أثر للشرك في عبادة ربهم ، وتنزهوا عن القتل للنفوس التي نهى الله عن قتلها لكن ان اعتدت قتل بالحق . . وقد تجنبوا الزنا ، وقصروا أنفسهم على الحلال من أوجه المتاع ، لينجوا من عقاب هذه المهلكات ، فإن من يفعل هذه الأمور يلقى منها شراً وعذاباً .
 ٦٩ - فانه سيلقى يوم القيامة عذاباً مضاعفاً ، ويخلد فيه ذليلاً مهاناً .
 ٧٠ - ولكن من تاب من هذه الذنوب وصدق في إيمانه واتبع ذلك بالطاعات والأعمال الصالحة ، فهو له يغفر لهم رحمة منه ويجعل لهم مكان السيئات السالفة حسنات يشيهم عليها أجزل الثواب ، وإن الله من شأنه الرحمة والغفران .
 ٧١ - وهكذا مضى أمرنا أن من تاب من إثم وظهر أثر ذلك في إقباله على الطاعة واجتنابه المعصية ، فهو الذي يقبل الله توبته . وبها يرجع الى ربه بعد نفاذه .
 ٧٢ - ومن أخلاق عباد الرحمن أنهم ، يتنزهون عن شهادة الزور ، وإنهم إذا صادفوا من إنسان ما لا يحمد من قول أو فعل لم يشتركوا فيه ورفعوا أنفسهم عن مقارنته .
 ٧٣ - ومن صفاتهم أنهم إذا وعظهم واعظ وتلا عليهم آيات الله ألقوا بسماعهم اليها ، فوعتها قلوبهم ، وتفتحت لها بصائرهم ، ولم يكونوا كأولئك الذين يضطربون عند سماعها معرضين عنها ، لا تخرق أذانهم وتسد عنها أبصارهم .
 ٧٤ - وهم يسألون ربهم أن يجعل نسائهم وأولادهم موضع أنس أنفسهم بما يعملون من خير ، وأن يجعلهم أئمة في الخير يقتدى بهم الصالحون .

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾
 قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

٧٥ - هؤلاء الموصوفون بما وصفناهم عباد الله حقاً، وجزاؤهم غرف الجنة العالية كفاء صبرهم على الطاعات، وسيلقون في الجنة التحية والتسليم ..

٧٦ - ونعيمهم في الجنة خالد لا انقطاع له، فنعمة الجنة مستقراً ومقاماً ..

٧٧ - قل أيها الرسول للناس : ان الله لا يعنيه منكم الا ان تعبدوه وتدعوه في شئونكم ولا تدعوا غيره ، ولذلك خلقكم ، ولكن الكافرين منكم كذبوا ما جاء به الرسل فسيكون عذابهم لازماً لهم لا منجى لهم منه .



سُورَةُ الشَّجَرَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سَبْعٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرًا اُنْبَتْنَا فِيهَا

اشتملت السورة في بدايتها على التنويه بشأن القرآن ، وانتقلت بعده الى ذكر تهديد الكافرين بقدرة الله على انزال العذاب بهم ، وتسليية النبي - ﷺ - عن تكذيب قومه بما لقيه فريق من رسل الله ، من تكذيب أمهم ، فحدثت عن لقاء موسى وهارون لفرعون ، وتكذيبه لهما ، ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم أبي الأنبياء ، ونبأ نوح مع قومه ، وشأن هود مع عاد ، وصالح مع ثمود ، ثم شرحت السورة دعوة لوط ، وقصة شعيب مع أصحاب الأيكة .

ويرى المتأمل في قصص هؤلاء النبيين السبعة أن أصول دعوتهم واحدة ، وأسلوب الكافرين في رد رسالتهم واحد ، ثم ختمت السورة بالتنويه بشأن القرآن ، كما افتتحت به ، وانتهت الحديث بإبطال ان يكون الرسول من الشعراء وأن يكون القرآن شعراً .

١ - هذه الحروف لبيان ان القرآن المعجز للبشر ركبت كلماته منها ومن أخواتها ، ونهى في طوقهم ، فن ارتاب في أنه من عند الله فليات بمثله ، ولن يستطيع .

٢ - هذا الكلام الذى أوحيت به إليك آيات الكتاب الموضح لما اشتمل عليه من أحكام .

٣ - أشفق على نفسك - أيها النبي - أن تقتلها حزناً على عناد قومك ، وعدم إيمانهم .

٤ - ان في قدرتنا أن نأتيهم بمعجزة تلجئهم الى الايمان ، فيخضعون لأمره ، ويتم ما ترجوه ، ولم تأتهم بذلك لأن سننتنا تكليف الناس بالايمان دون الجاء ، كى لا تفوت الحكمة في الابتلاء ، وما وراه من ثواب وعقاب .

٥ - وما يجدد الله لقومك بوحيه ما يذكرهم بالدين الحق ، رحمة بهم ، الا جددوا اعراضاً عنه ، وكفراً به ، حيث أغلقت أمامهم طرق الهداية .

٦ - فقد كذب هؤلاء بالحق الذى جئتهم به ، وسخروا منه ، فاصبر عليهم ، فسيرون عاقبة استهزائهم القاصمة .

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾
وَلَا تَدَّى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يَكْذِبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾
قَالَ كَلَّا فَادْخُلَا يَحَابَّتِنَا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ
مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عَمَرِكَ سنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ

٧ - أفعّلوا ما فعلوا من الكفر والتكذيب ، ولم ينظروا الى بعض خلق الله في الأرض ؟ ولو نظروا متأملين
لاهندوا ، فهذه الكثرة من أصناف النباتات النافعة أخرجناها من الأرض ، ولا يستطيع ذلك غير اله واحد قدير .

٨ - ان في اخراج النبات من الأرض لدلالة عظيمة على وجود الخالق القدير ، وما كان أكثر القوم مؤمنين .

٩ - وان مالك أمرك وحافظك هو المنتقم من المكذبين ، المتفضل بالرحمة على المؤمنين ..

١٠ - واذكر - يا محمد - لقومك قصة موسى حين ناداه ربك : يا موسى . اذهب رسولاً الى القوم الذين ظلموا
أنفسهم بالكفر ، وبني اسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد .

١١ - انت قوم فرعون ، فانهم ماضون في ظلمهم . عجباً لهم ! أما يخافون عاقبة ذلك ، ويحذرونها ؟

١٢ - قال موسى : يارب انني أخشى ألا يقبلوا رسالتي ، كبراً وعناداً .

١٣ - ويحيط بي الغم اذا كذبتني ، ولا ينطلق لساني حينئذ في محاجتهم كما أحب ، فأرسل جبريل الى أخى
هارون ليؤازرنى في أمرى .

١٤ - وهؤلاء ذنب على ، فقد قتل منهم رجلاً ، فأخاف أن يقتلوني قصاصاً قبل أداء مهمتى ، ويزيدنى ذلك
خوفاً .

١٥ - قال الله له : لن يقتلوك ، وقد أجبت سؤالك في هارون ، فادخبا مزدوين بمعجزاتنا ، انى معكم بالحفظ ،
أسمع ما يجرى بينكما وبين فرعون ، فلكما النصر والتأييد ..

١٦ - فتوجها الى فرعون فقولا له : انا مرسلان اليك من رب العالمين .

١٧ - يقول لك رب العالمين : اطلق سراح بنى اسرائيل ، ليذهبوا معنا .

١٨ - قال فرعون لموسى ممتناً - وقد عرفه حينئذ دخلا عليه وأديا الرسالة ، حيث تربى في قصره - : ألم نربك
فينا وليداً ، ومكثت في رعايتنا سنين من عمرك ؟

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خَفَّكُمُ فَوْهَبُ لِي رَبِّي
حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

١٩ - وجنيت جنايتك النكراء ، بقتلك رجلاً من قومي ، وجحدت نعمتي التي سلفت منا عليك ، فلم تحفظ
رعيتي ، واعتديت على ألوهيتنا بادعاء انك رسول رب العالمين .

٢٠ - قال موسى : لقد فعلت ما ذكرت جهلاً بما يفضي اليه العقل من القتل ، فلا تثرىب على .

٢١ - ففرت منكم لما خفت أن تقتلوني بهذه الجناية التي لم تكن عن عمد ، فوهب لي ربي فيها وعلاً ، تفضلاً
وانعاماً ، وجعلني من المرسلين .

٢٢ - أشار موسى الى خصلة ذميمة من خصال فرعون ، وبين أنها تعبيد بني اسرائيل وذبح أبنائهم ، وأبى أن
تسمى تربيته في بيته نعمة ، فسببها اتصافه بما تقدم ، فألقى في اليم لينجو من قتله ، قال الى بيته ، ولولا ذلك لرباه
أبواه .

٢٣ - قال فرعون : وما صفة رب العالمين الذي تذكره كثيراً ، وتدعى انك رسوله : حيث لا نعلم عنه شيئاً ؟ .

٢٤ - قال موسى هو مالك السموات والأرض وما بينهما ، ان كنتم موقنين بصدق هذا الجواب لاتنفعتم ،
واهتديتم ، وعرفتم أن ملك فرعون المدعى لا يذكر في جانب ملكه ، فهو لا يعدو إقليماً واحداً في الأرض .

٢٥ - قال فرعون - يعجب لمن حوله من جواب موسى ، اذ ذكر رباً غيره لا يذكر في جانب ملكه ملك
فرعون - : كيف تسمعون كلام موسى ؟ .

٢٦ - قال موسى ماضياً في أمره غير مبال بغيظ فرعون وسوء مقالته : رب العالمين خالقكم وخالق آباءكم
السابقين ، ومنهم من كان يدعى الألوهية كما تدعى ، وقد لحقهم الفناء ، وستفنى مثلهم فيبطل ما تدعيه ، اذ الاله
الحق لا يموت .

٢٧ - قال فرعون مخاطباً قومه بما يثير غضبهم ، اذ أضاف رسالة موسى اليهم دونه ، مع وصفه بالجنون ، حيث
يسأل عن الشيء فيجيب عن غيره ، وينعت الرب بصفات عجيبة ، وفرعون بهذا يحرضهم على تكذيبه .

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالَ أُولَوْجِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ
 مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرُ عَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ
 يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَاذًا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّ

٢٨ - قال موسى : ان كنتم تعقلون فآمنوا برسالتى ، لأن شروق الشمس وغروبها بتقدير محكم دليل ظاهر على الخالق ، اذن فأنتم الأحقاء بصفة الجنون .

٢٩ - قال فرعون لموسى : لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك واحدا ممن عرفت سوء حالهم فى سجونى . وقد لجأ إلى تهديده بهذا بعد أن يش من رفع آثار صنع الخالق .

٣٠ - قال موسى متلفظا طمعا فى إيمانه : أتجعلنى من المسجونين ولو جئت بك ببرهان عظيم يصدقنى فيما أقول !

٣١ - قال فرعون : فأْت بالذى يشهد بنبوتك ان كنت صادقا فى دعواك ، قال ذلك طمعا فى أن يجد موطن ضعف فى حجته .

٣٢ - فألقى موسى عصاه فى الأرض أمامهم ، فانقلبت ثعبانا حقيقيا ، لا شيئا مزورا بالسحر يشبه الثعبان .

٣٣ - وأخرج موسى يده من جيبه آية ثانية ، فإذا هى بيضاء ، اشتد بياضها من غير سوء ، حتى بهر الناظرين .

٣٤ - قال فرعون لقومه : ان موسى لساحر فائق فى سحره . قال ذلك خشية أن يخضعوا للحق الذى رآوه من موسى .

٣٥ - وقال فرعون أيضا : يريد هذا الساحر أن يقهرنى فيخرجكم من أرضكم ، وذلك تحريض على موسى ، إذ من أشق الأشياء مفارقة الوطن ، لا سيما إذا كانت قهرا ، وطلب الرأى ممن يعبدونه ناسيا للوحيته ، لقوة آيات موسى .

٣٦ - قال له قومه : أجل الفصل فى أمرها ، وأرسل الجند فى المدائن يجمعون لك السحرة من رعبتك ، فالسحر يعارض بالسحر .

بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ جُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوَامَ أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ

٣٧ - يأتوك بالعدد الكثير، وكلهم قد أجاد فن السحر، ويفوق موسى عملا به ومرانا عليه. وقصدوا بهذا التخفيف من قلق فرعون.

٣٨ - فجمع السحرة من كل أرجاء البلاد، وحدد لهم وقت الضحى من يوم الزينة للاجتماع بموسى.

٣٩ - وقال الناس - بحث بعضهم بعضا على الاجتماع فى اليوم المعلوم، لحضور الحفل المشهود -: «هل أنتم مجتمعون» أى اجتمعوا.

٤٠ - وأعلنوا توقعهم انتصار السحرة، فيثبتون على دينهم، حملا على الاهتمام والجد فى مغالبة موسى.

٤١ - فلما جاء السحرة فرعون قالوا له: أياكون لنا قبلك أجر عظيم ان كنا نحن الغالبين؟.

٤٢ - قال فرعون: نعم لكم ما ذكرتم، ومع هذا الأجر العظيم تكونون من المقربين لدى، ومن أصحاب الجاه والسلطان.

٤٣ - قال موسى للسحرة - حينما جاء الوقت المحدد فى اليوم الموعد - ألقوا ما تريدون القاءه من السحر.

٤٤ - فألقوا حبالهم وعصيهم، وخيل للناس أنها حيات تسعى، وأقسموا بعزة فرعون وقوته أنهم الغالبون.

٤٥ - فألقى موسى عصاه، فإذا هى حية عظيمة تبتلع ما كانوا يزورونه بالسحر من حبالهم وعصيهم، متوهمين أنها حيات تسعى..

٤٦ - فبادر السحرة بالسجود لله، حينما أيقنوا أن أمر موسى ليس بالسحر.

٤٧ - قالوا مؤكدين فعل السجود بالقول: «آمنّا برب العالمين».

٤٨ - وبينوا أن رب العالمين الذى آمنوا به «رب موسى وهارون».

لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَا قَطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾
 قَالُوا لَا ضَرِيرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾
 * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءَ
 لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾

٤٩ - قال فرعون - منكرا على السحرة إيمانهم بموسى قبل إذنه لهم ، مهددا إياهم على ذلك بأنه
 أستاذهم الذى عليه تلقوا فنون السحر ، وسيعلمون ما سينزل بهم من العقاب - : لأقطعن أيديكم وأرجلكم
 من خلاف . أقطع اليمنى مع اليسرى أو العكس . ولأصلبكنم أجمعين ..

٥٠ - قال السحرة : لا ضرر علينا مما يلحقنا من عذابك الذى توعدتنا به ، لأننا راجعون إلى ثواب ربنا ،
 وهو خير ثواب وخير عاقبة .

٥١ - انا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا التى أسلفناها ، إذ كنا أول المؤمنين فى قومك .

٥٢ - وأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يسير ليلا بالمؤمنين من بنى اسرائيل ، حينما لم تجد مصابرة موسى ،
 وقد نظم أمر الفريقين على أن يتقدم موسى بقومه ، ويتبعهم فرعون بقومه ، حتى يدخلوا مدخلهم من طريق البحر ،
 فيهلكهم الله .

٥٣ - فأرسل فرعون جنده فى مدائن مملكته ، يجمعون الأشداء من قومه ، حينما علم بسير موسى ببنى
 اسرائيل ، ليحول بينهم وبين ما يقصدون .

٥٤ - قال فرعون : ان بنى اسرائيل الذين فروا مع موسى طائفة خسيصة فى شأنها ، قليل عددها ، يثير بذلك
 الحمية فى نفوس جنده .

٥٥ - وأنهم مع هذا فاعلون ما يثير غيظنا ، بمخالفة أمرنا والخروج بغير اذننا .

٥٦ - وانا لجمع ، من عادتنا الحذر واليقظة ، والحزم فى الأمور .

٥٧ - فأخرجنا فرعون وجنوده من أرضهم الشبيهة بمجناات تجرى من تحتها الأنهار ، فأهلكوا بصرفهم عن
 الحق ، واثارتهم إلى الخروج وراء موسى ، بما جاء فى الآيات الثلاث السابقة .

وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْغَزِيرُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَآتَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا

٥٨ - وأخرجناهم كذلك من كنوز الذهب والفضة والأماكن التي كانوا يقيمون فيها ، منعمين ببهاها وحسن مرافقها .

٥٩ - مثل هذا الاخراج العجيب الذي وصفناه لك أخرجناهم ، وجعلنا هذا الملك وما فيه من ألوان النعيم لبني اسرائيل ، بعد أن كانوا معدمين .

٦٠ - جد فرعون وقومه في السير ليلحقوا ببني اسرائيل ، فلحقوا بهم وقت شروق الشمس .

٦١ - فلما رأى كل من الجمعين الآخر قال أصحاب موسى : ان فرعون وقومه سيدركونا ، فينزل بنا الهلاك .

٦٢ - قال موسى : ان معي عناية الله تلاحقني بالحفظ ، وسيرشدني إلى طريق النجاة ، ليطمئنا على سلامتهم ، ولتبتعد عن أذهانهم فكرة الادراك المفزعة .

٦٣ - فأوحينا إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقا بعدد طوائف بني اسرائيل ، وكان كل طريق من هذه الطرق حاجزا من الماء كالجبل العظيم الثابت .

٦٤ - وقربنا فرعون وقومه ، حتى دخلوا هذه الطرق وراء موسى وقومه .

٦٥ - وأنجينا موسى ومن معه بحفظ البحر متاسكا ، حتى تم عبورهم .

٦٦ - ثم أغرقنا فرعون ومن معه باطباق الماء عليهم عندما تبعوهم .

٦٧ - ان في ذلك التصرف الالهي العجيب لعبرة لمن أراد أن ينتفع ، وما كان أكثر القوم مصدقين .

٦٨ - وان خالقك ومربيك هو القوى في الانتقام من المكذبين ، المنعم بالرحمات على المؤمنين .

٦٩ - وائل على الكافرين - أيها الرسول - قصة ابراهيم عليه السلام .

٧٠ - إذ قال لأبيه وقومه : أي شيء هذا الذي تعبدونه مما لا يستحق العبادة ؟ يقصد تقبيح عبادة الأصنام .

عَصِيْفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾
وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي

- ٧١ - قالوا مجيبين بطريق المباهاة : نعبد أصناما فنقيم على عبادتها دائما ، تعظيها لها وتمجيدا .
- ٧٢ - قال ابراهيم : هل يسمعون دعاءكم ، أو يستجيبون لكم إذ تدعونهم ؟ يقصد بذلك التنبيه على فساد مسلكهم .
- ٧٣ - أو يقدمون لكم نفعا إذا أطعتموهم ، أو يصيرونكم بضر إذا عصيتموهم ؟
- ٧٤ - قالوا : لا يفعلون شيئا من ذلك ، ولكن وجدنا آباءنا يعبدونها مثل عبادتنا ، فقلدناهم فيما كانوا يفعلون .
- ٧٥ - قال ابراهيم - تبكيئا لهم - : أفكرتم فعلتم أي شيء تستمرون على عبادته ؟
- ٧٦ - أنتم وأباؤكم الأقدمون . أهو أهل لأن يعبد أم لا ؟ . لو تأملتم لعلمتم أنكم في الضلال المبين .
- ٧٧ - فإن ما تعبدونهم من دون الله أعداء لي ولكم ، فلا أعبدكم ، لكن خالق العالمين ومالك أمرهم وحافظهم هو الذي أعبدته ، وأتقرب إليه .
- ٧٨ - الذي أوجدني من العدم في أحسن تقويم ، وهبني الهداية لما يوصلني إلى سعادتي في الدنيا والآخرة .
- ٧٩ - وهو الذي أنعم علي بالطعام والشراب ، وأقدرني على تناولها والانتفاع بها ، حفظا لحياقي .
- ٨٠ - وإذا نزل بي مرض فهو الذي يشفيني بتيسير أسباب الشفاء ، وتفويض الأمر إليه .
- ٨١ - والذي يميتني إذا حل أجلي ، والذي يحييني مرة أخرى للحساب والجزاء .
- ٨٢ - والذي أطعم في غفرانه وتجاوزته عما فرط مني من الهفوات في الدنيا ، إذا جاء وقت الحساب .

بِالصَّالِحِينَ ۝٨٣ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۝٨٤ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝٨٥ وَأَغْفِرْ لِأَيِّ ۞ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝٨٦ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ۝٩٣ فَكَبِئُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝٩٥

٨٣ - قال ابراهيم عليه السلام داعيا : رب امنحنى كمالا في العلم والعمل ، حتى أكون أهلا لحمل رسالتك والحكم بين عبادك ، ووفقني لأنظم في عداد الصالحين .

٨٤ - واجعل لي ثناء حسنا ، وذكرًا جميلا في الأمم التي تجيء بعدى ، يبق أثره بين الناس إلى يوم القيامة .

٨٥ - واجعلني من عبادك الذين منحتهم نعيم الجنة ، ثوابا على إيمانهم بك وعبادتهم لك .

٨٦ - واجعل أبى أهلا للمغفرة بتوفيقه للاسلام ، وكان قد وعده بالاسلام يوم فارقه ، لأنه كان من المنحرفين عن طريق الهدى والرشاد .

٨٧ - ولا تلحق بى هوانا أو خجلا بين الناس ، يوم يخرجون من القبور للحساب والجزاء .

٨٨ - يوم لا ينفع أحدا مال يبذل ، ولا بنون ينصرون .

٨٩ - إلا من كان مؤمنا ، وأقبل على الله بقلب برىء من مرض الكفر والنفاق والرياء .

٩٠ - وأدريت الجنة ، وقربت من مكان السعداء ، فيسير إليها الذين اتقوا الكفر والمعاصي ، وأقبلوا على الإيمان والطاعة في الدنيا .

٩١ - وأظهرت الجحيم للمنصرفين عن دين الحق ، حتى يكاد يأخذهم لها فيتחסرون ..

٩٢ - وقيل لهم توبيخا : أين ألهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟!

٩٣ - من دون الله وتزعمون أنها تشفع لكم اليوم ، هل ينفعونكم بنصرتهم لكم ، أو ينفعون أنفسهم بانتصارهم ؟ لا شيء من ذلك ، لأنهم وألهتهم وقود النار .

٩٤ - فألقوا في الجحيم على وجوههم ، ينقلبون مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قاعها هم والذين أضلّوهم وأوقعوهم في الفى والضلال .

٩٥ - ومعهم أعوان إبليس الذين كانوا يزينون للناس الشرور والآثام ، أو الذين اتبعوه من عصاة الانس والجن .

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا
 الْمَجْرُمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحٌ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا * قَالُوا أَنْتُمْ
 نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ

٩٦ - قالوا معترفين بخطئهم - وهم يتخاصمون مع من أضلهم من معبوداتهم .

٩٧ - والله أن كنا في دنيانا لنى نخطب واضح ، وجهل مطبق ، وزيف عن الحق الذى لا خفاء فيه .

٩٨ - إذ نسويكم أيها المعبودون من دون الله برب العالمين فى استحقاق العبادة ، مع عجزكم وقدرته .

٩٩ - وما أوقعنا فى هذا الهلاك إلا المجرمون الذين أضلونا عن سواء السبيل .

١٠٠ - فلا يوجد لنا شافعون يخلصوننا من العذاب كما توهمنا من قبل .

١٠١ - ولا صديق يتوجع لحالهم ، وإن لم يخلصهم .

١٠٢ - فيتمنون لأنفسهم حينئذ رجعة إلى الدنيا ، ليكونوا من المؤمنين حتى ينجوا ..

١٠٣ - إن فيما ذكر الله من نبأ إبراهيم لظة وعبرة لمن أراد أن يتعظ ويعتبر ، وما كان أكثر قومك الذين تتلو عليهم هذا النبأ مذعنين لدعوتك .

١٠٤ - وإن ربك هو القادر على الانتقام من المكذبين ، المتفضل بالإنعام على المحسنين .

١٠٥ - وذكر الله نبأ نوح فى قوله : كذبت قوم نوح رسالته ، وردوها عليه ، وبهذا كانوا مكذبين لجميع رسل الله ، لاتحاد دعوتهم فى أصولها وغايتها .

١٠٦ - كذبوا هذه الرسالة حين قال لهم أخوهم نوح - نسبا لا دينا - محذرا : ألا تتقون الله فتركوا عبادة غيره .

١٠٧ - إني رسول الله اليكم لأهديكم إلى طريق الرشاد ، أمين على تبليغ هذه الرسالة .

١٠٨ - فخافوا الله ، وامتثلوا أمرى فيما أدعوكم إليه من توحيد الله وطاعته .

١٠٩ - وما أطلب منكم أى أجر على ما أبذله لكم من النصيح والدعاء ، ما جزائى إلا على خالق العالمين ومالك أمرهم .

١١٠ - فاحذروا عقاب الله ، وامتثلوا ما أمركم به .

لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَسْعَرُونَ ﴿١١٣﴾
وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَدُنْكَ يَنْحُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذِبُونَ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

١١١ - قال قوم نوح - يردون دعوته - : لن يكون منا ايمان لك في حال اتباع سفلة الناس وأقلهم جأها وما لا لك .

١١٢ - قال نوح : أى شئ أعلمنى ما هم عليه من قلة الجاه والمال ؟ ! انما أطلب منهم الايمان دون تعرض لمعرفة صناعاتهم وأعمالهم .

١١٣ - ما جزاؤهم على أعمالهم إلا على ربى ، فهو المطلع على بواطنهم ، لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك .

١١٤ - وما أنا بطارد الذين يؤمنون بدعوى مهما كان حالهم من فقر أو غنى ، تلبية لرغبتكم كى تؤمنوا بى .

١١٥ - ما أنا إلا رسول من الله ، لإنداز المكلفين انذارا واضحا بالبرهان الذى يتميز به الحق من الباطل ، لا فرق بين شريف وضعيف ، فكيف يليق بى طرد المؤمنين لفقرهم ؟ !

١١٦ - قالوا : لنن لم ترجع يا نوح عن دعوتك ، لترجعتك بالحجارة ، يقصدون بهذا القول تهديده بالقتل .

١١٧ - قال نوح مظهرا استمرار قومه على التكذيب بندائه : « رب ان قومى كذبون » ليبرر دعاءه عليهم .

١١٨ - فاحكم بينى وبينهم حكما تهلك به من جحد توحيدك ، وكذب رسولك ، ونجنى ومن معى من المؤمنين من عذاب بغيهم .

١١٩ - فأنجيناها ومن آمن معه فى السفينة المملوءة بهم ، وبما يحتاجون إليه ، استجابة لدعوته .

١٢٠ - ثم أغرق الله بعد انجاء نوح ومن آمن الباقين الذين لم يؤمنوا من قومه .

١٢١ - ان فيما ذكره القرآن من نبأ نوح ، لحجة على صدق الرسل وقدره الله ، وما كان أكثر الذين تتلو عليهم هذا القصص مؤمنين .

وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِمْ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾

- ١٢٢ - وان ربك هو القوي في الانتقام من كل جبار عنيد، المنعم بأنواع الفضل على المتقين.
- ١٢٣ - كذبت قبيلة عاد رسولهم هودا عليه السلام، وبهذا كانوا مكذبين لجميع الرسل، لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها.
- ١٢٤ - إذ قال لهم أخوهم هود: ألا تخشون الله فتخلصوا له العبادة!؟
- ١٢٥ - اني مرسل من الله هدايتكم إلى الرشاد، حفيظ على رسالة الله، أبلغها اليكم كما أمرني ربى.
- ١٢٦ - فامثلوا أمر الله، وخافوا عقوبته، وأطيعوا ما أمركم به من عند الله.
- ١٢٧ - وما أطلب منكم على نصحى وارشادى أى نوع من أنواع الأجر، ما جزائى إلا على خالق العالمين.
- ١٢٨ - أتشيّدون بكل مكان مرتفع من الأرض بناء شامخا تتفاخرون به، وتجتمعون فيه لتعيثوا وتفسدوا.
- يزيد سبحانه تنبيههم إلى ما يتفهمهم، وتوبيخهم على ترك الإيمان وعمل الصالحات.
- ١٢٩ - وتتخذون قصورا مشيدة، منيعة، وحياضا للماء، مؤملين الخلود في هذه الدنيا كأنكم لا تموتون.
- ١٣٠ - وإذا أخذتم أخذ العقوبة أسرفتم في البغى جبارين، تقتلون وتضربون غاضبين بلا رافة.
- ١٣١ - فخافوا الله في البطش، وامثلوا أمرى فيما أدعوكم إليه، فإنه أنفع لكم وأبقى.
- ١٣٢ - واحذروا غضب الله الذى بسط اليكم يد انعامه، بالذى تعلمونه بين أيديكم من ألوان عطائه.
- ١٣٣ - عدد ما أمدهم به من ابل وبقر وغنم، وبنين أقوياء، ليحفظوا لهم الأنعام، ويعينوه على تكاليف الحياة.

وَجَنَّتْ وَعُيُونٌ ﴿١٣٦﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٣٩﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

١٣٤ - وبساتين مشمرات، وعيون تجرى بالماء الذى يحتاجون إليه .

١٣٥ - إني أخاف أن ينزل الله بكم عذاباً شديداً في الدنيا، ويدخلكم في الآخرة نار جهنم، بسبب طغيانكم وانعام الله عليكم .

١٣٦ - قالوا استخفافا به : سواء لدينا بالغت في وعظنا وانذارنا أم لم تكن من الواعظين .

١٣٧ - ما هذا الذى جئنا به الا كذب الأولين وأباطيلهم، اعتادوا تلفيق مثله، فلا نرجع عما نحن فيه .

١٣٨ - وما نحن بمعذيين على ما يصدر منا من عمل .

١٣٩ - فاستمروا على تكذيبه، فعاجلهم الله بالهلاك، ان في ذلك الذى أنزله الله بعاد جزاء تكذيبهم لحجة تدل على كمال قدرة الله، وما كان أكثر الذين تتلو عليهم نبأ عاد مؤمنين .

١٤٠ - وان ربك هو القاهر للجبارين، الرحيم بالمؤمنين .

١٤١ - كذبت قبيلة ثمود صالحاً في رسالته ودعوته لهم إلى توحيد الله، وبهذا كذبوا جميع المرسلين، لاتحاد رسالاتهم في أصولها .

١٤٢ - اذكر لقومك - أي الرسول - وقت أن قال ثمود أخوهم صالح في النسب والوطن : ألا تحشون الله فتفردوه بالعبادة ؟!

١٤٣ - انى مرسل من الله اليكم بما فيه خيركم وسعادتكم، حفيظ على هذه الرسالة كما تلقيتها عن الله .

١٤٤ - فاحذروا عقوبة الله، وامتلوا ما أدعوكم إليه من أوامره .

إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتَتَرَكُونَ فِي مَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ
 طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَجْنُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾
 الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
 بِغَايَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ
 فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

١٤٥ - وما أطلب منكم أى أجر على نصحى لكم وارشادى ، ما أجرى الا على مالك العالمين ..

١٤٦ - أنكر عليهم اعتقادهم البقاء فيما هم فيه من النعيم ، آمنين من العذاب والزوال والموت .

١٤٧ - فى حدائق مشمرات ، وعيون تجرى بالماء الفرات .

١٤٨ - وزروع يانعات ، ونخل ثمرها الذى يظهر منها لبن نضيج .

١٤٩ - وتتخذون من الجبال بيوتا عاليات ، حاذقين نشطين فيما تصنعون .

١٥٠ - فخافوا عقوبة الله ، لعدم شكركم له على نعمه ، واقبلوا نصحى واعملوا به .

١٥١ - ولا تطيعوا أمر الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك واتباع الهوى والشهوات .

١٥٢ - الذين يعيشون فى أرض الله فسادا ، ولا يقومون فيها بإصلاح به تسعد البلاد .

١٥٣ - قالوا ما أنت إلا من الذين سحروا سحرا شديدا حتى غلب على عقولهم ، وفى هذا الرد عنف
 وسفاهة .

١٥٤ - ما أنت الا فرد مماثل لنا فى البشرية فكيف تتميز علينا بالنبوة والرسالة ؟! فإن كنت صادقا فى
 دعواك فأت بمعجزة تدل على ثبوت رسالتك .

١٥٥ - قال لهم صالح - حينما أعطاه الله الناقة معجزة له - : هذه ناقة الله أخرجها لكم آية ، لها نصيب من
 الماء فى يوم فلا تشربوا فيه ، ولكم نصيب منه فى يوم آخر فلا تشرب فيه .

١٥٦ - ولا تلحقوا بها أذى ، فيهلككم عذاب عظيم .

١٥٧ - فذبحوا الناقة مخالفين ما اتفقوا عليه مع صالح ، فحق عليهم العذاب ، فأصبحوا على ما فعلوا
 نادمين .

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ

١٥٨ - فأهلكهم عذاب الله الذي توعدهم به صالح . ولم يدفع الندم عنهم عقاب جرمهم ، ان في ذكر قصتهم دلالة على قدرة الله على اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين ، وما كان أكثر قومك مؤمنين .

١٥٩ - وان خالقك هو القادر على اهلاك الجاحدين المتفضل بانجاء المتقين .

١٦٠ - كذبت قوم لوط - حين دعاهم إلى توحيد الله وترك الشرك - جميع المرسلين .

١٦١ - اذكر لقومك أيها الرسول إذ قال لوط لقومه - وهو أخوهم وصهرهم - : ألا تخافون عذاب الله ؟

١٦٢ - اني مرسل لكم من الله بالدين الحق ، آمين على تبليغ هذا الدين .

١٦٣ - فاحذروا عذاب الله ، وامثلوا أمرى في ما أدعوكم إليه .

١٦٤ - وما أطلب منكم أجرا على ما أدعوكم إليه من الهدى والرشاد ، ما جزائي الا على مالك العالمين

ومريهم .

١٦٥ - قال لوط : أنستمعون بوطء الذكور دون الاناث ؟ يريد بذلك أن يشكر ما دأبوا عليه من ارتكاب هذه الفاحشة النكراء (١) .

١٦٦ - وتكون ما خلقه الله لمناعمكم من أزواجكم الحلال ، بل أنتم قوم متجاوزون الحد في الظلم بارتكاب جميع المعاصي .

١٦٧ - قالوا غاضبين لانكاره وتشنيعه عليهم بسبب تلك الرذيلة : لئن لم تترك توبيخنا لتكونن من المنفيين من بلادنا على أسوأ حال .

١٦٨ - قال لوط : اني لعملكم هذا من المبغضين ، فلا أترك انكاره والتشنيع عليه .

(١) «أتأتون الذكران من العالمين» اللواط : أصلا هو جريمة فسق بشعة تتقزز منها الأسماع وتتفر منها الطباع وتنزل بالآدمية إلى الحضيض ، وتؤدي - لو شاعت - إلى تعطيل سنة الزواج وهي سنة طبيعية يتوقف عليها التناسل والتكاثر وعمارة الأرض . وينتقل باللواط ما ينتقل بالزنا من الأمراض كالزهري والسلان والقرحة الرخوة وأمراض الجلد كالجرب في الجلد ، ويحدث بالشرح علامات منها ضعف العضلة العاصرة حتى أنها قد تفقد السيطرة على عملية التبرز ، فيحدث عن غير إرادة ومنها تمزق بالشرح وزوال =

نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجِّنْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَنْحَرِينَ ﴿١٧٢﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

١٦٩ - ونادى ربه : أن ينقذه وأهله مما يعمل هؤلاء الجاهلون ، حينما يش من استجابتهم له .

١٧٠ - فاستجاب الله دعاءه ، ونجاه ومن اتبع دعوته ، بإخراجهم جميعا من بيوتهم وقت نزول العذاب بالمكذبين .

١٧١ - إلا امرأته العجوز بقيت ولم تخرج معه ، فهلكت ، لكفرها وخيانتها ، بموالاتها للفاسقين .

١٧٢ - ثم أهلك الله الكفرة الفجرة أشد هلاك وأفظعه .

١٧٣ - وأنزل الله على شذاذ القوم حجارة من السماء ، فأهلكهم ، وكان مطرا هائلا في كثرته ونوعه ، فساء مطر المنذرين مطرهم ، إذ نزل بأشد أنواع الهلاك .

١٧٤ - ان في ذلك العقاب الذى نزل بالقوم ، لحجة تدل على تمام قدرة الله ، وما كان أكثر قومك مصدقين بدعوتك .

١٧٥ - وان ربك هو الغالب على كل شيء المتصف بالرحمة الكاملة فيعاقب المذنبين ، ويثيب المؤمنين .

١٧٦ - هذه قصة شعيب مع أصحاب الأيكة ، وهى غيضة تنبت ناعم الشجر بقرب مدين ، نزل بها جماعة من الناس وأقاموا بها ، فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث إلى مدين ، فكذبوه في دعوته ، وبهذا كانوا منكبين لجميع الرسالات .

١٧٧ - اذكر - يا محمد - لقومك وقت قول شعيب لأصحاب الأيكة : ألا تخافوا الله فتؤمنوا به ؟ ! فبادروا بتكذيبه .

١٧٨ - انى هدايتكم وارشادكم مرسل من رب العالمين ، أمين على توصيل رسالته اليكم .

١٧٩ - فاحذروا عقوبة الله ، وأطيعوني باتباع أوامر الله وتخليص أنفسكم من الآثام .

١٨٠ - وما أطلب منكم على ارشادى وتعليمى أى أجر . ما جزائى الكامل فى مقابلة عملى إلا على رب العالمين .

≈ الأنسجة حوله ، فيفور ويشبه القمع شكلا . والشرح ملئ بالميكروبات الأخرى التى قد تنتقل إلى عضو الجاني فتحدث فيه التهابات فى مجرى البول ، وقد يصبح المبنى عليه مخمنا إذا لازمته هذه العادة من صفرة ، وقد يظهر على العكس أكثر رجولة ليقطى النفس عنده . وقد نهى الله - سبحانه - عن هذه الجريمة فى كثير من الآيات وبين فى بعضها حكمة من حكم هذا التحريم ، فقال : « أتأتون الذكران من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » .

* أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةًٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ

١٨١ - أمرهم شعيب بإعطاء الكيل وافيًا، حيث كان يشيع بينهم بخس الكيل والميزان، ونقص حقوق الناس بالتطفيف والخسران.

١٨٢ - وزنوا بين الناس بالميزان السوى، حتى يأخذوا حقهم بالعدل المستقيم.

١٨٣ - ولا تنقصوا الناس شيئًا من حقوقهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بالقتل وقطع الطريق وارتكاب الموبقات واطاعة الهوى.

١٨٤ - واحذروا عقوبة الله الذى خلقكم، وخلق الأمم القوية العاتية المتقدمة.

١٨٥ - قالوا: ما أنت الا واحد من الذين أصابهم السحر اصابة شديدة، فذهب بعقولهم.

١٨٦ - وما أنت إلا واحد منا مساو لنا فى البشرية، فكيف تتميز علينا بالرسالة؟! ونحن نعتقد أنك من الراسخين فى الكذب.

١٨٧ - فأسقط علينا قطع عذاب من السماء ان كنت من الصادقين فى الرسالة.. وهذا اقتراح تحته كل ألوان الإنكار.

١٨٨ - قال شعيب: ربى بالغ العلم بما تعملونه من المعاصى، وبما تستحقونه من العذاب، ينزله عليكم فى وقته المقدر له، وهذا منه منتهى التفويض لله وغايته التهديد لهم..

١٨٩ - فاستمروا على تكذيبه، فسلط الله عليهم الحر الشديد، فكانوا يفرون منه إلى غير حمى، إلى أن أظلمت سحابة من الشمس فاجتمعوا تحتها، فاسقطها الله عليهم نارا فأهلكهم جميعا فى يوم شديد الهول.

١٩٠ - ان فيما نزل بأصحاب الأيكة من العقوبة - جزاء تمردهم - لدليل على كمال قدرة الله، وما كان أكثر قومك مصدقين.

١٩١ - وان ربك هو المتفرد بالقوة والغلبة. المنعم بالرحمات على المؤمنين.

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيرٌ لِلْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٥﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٧﴾

١٩٢ - وان هذا القرآن الذى ذكرت فيه هذه القصص الصادقة منزل من خالق العالمين ومالك أمرهم ومربيهم ، فخبره صادق ، وحكمه نافذ إلى يوم القيامة .

١٩٣ - نزل به الروح الأمين ، جبريل عليه السلام .

١٩٤ - على قلبك متمكنا من حفظه وفهمه ، مستقرا في قلبك استقرار ما لا ينسى ، لتنذرهم بما تضمنه من العقوبات للمخالفين .

١٩٥ - نزل به جبريل عليك بلغة عربية ، واضحة المعنى ، ظاهرة الدلالة فيما يحتاجون إليه في اصلاح شئون دينهم ودنياهم .

١٩٦ - وان ذكر القرآن والأخبار عنه بأنه من عند الله نزل على محمد - ﷺ - لثابت في كتب الأنبياء السابقين .

١٩٧ - أكفر هؤلاء المعاندون بالقرآن ، وعندهم حجة تدل على صدق محمد - ﷺ - وهى علم علماء بنى اسرائيل بالقرآن كما جاء في كتبهم .!

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض من الأعجميين ، يقدر على التكلم بالعربية ولا يفصح بها ، فلا يتوهم اتهامه باختراعه .

١٩٩ - فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادة لكفروا به ، وانتحلوا لجحودهم عذرا .

٢٠٠ - أدخلنا التكذيب في قلوب المجرمين ، وقرنناه فيها ، مثل تقريره في قلوب من هم على صفتهم .

٢٠١ - فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده ، حتى يعاينوا العذاب الشديد الذى وعدوا به .

٢٠٢ - فينزل بهم العذاب فجأة من غير توقع ، وهم لا يشعرون بقدومه .

٢٠٣ - فيقولون عند نزول العذاب : « هل نحن منظرون » تحسرا على ما فاتهم الايمان وطلبها للامهال ، ولكن لا يجابون .

أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَنْزَلُ بِهِ الشَّيَاطِينَ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئَاسَةِ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي

٢٠٤ - قال تعالى أغر كفار مكة امهالى ، فيستعجلون نزول العذاب ؟ ! يريد سبحانه تسفيه عقوبهم بسبب استعجالهم العذاب أثر تكرار انذارهم وتخويفهم .

٢٠٥ - أفكرت فعلمت أن متعناهم بالحياة سنين طويلة مع طيب العيش ؟

٢٠٦ - ثم نزل بهم العذاب الموعود .

٢٠٧ - ما يدفع عنهم تمتعهم بطول العمر وطيب العيش من عذاب الله شيئاً ، فعذاب الله واقع عاجلاً أو آجلاً ولا خير في نعيم يعقبه عذاب .

٢٠٨ - وستنتنا في الأمم جميعاً أننا لم ننزل هلاكاً بأمة إلا بعد أن نرسل إليها رسلاً ينذرونها إلزاماً للحجة .

٢٠٩ - تذكرة وعبرة ، وما كان شأننا الظلم فنعذب أمة قبل أن نبعث إليها رسولا

٢١٠ - نفي القرآن ما قاله كفار مكة من أن لمحمد تابعا من الجن ، يلقي القرآن إليه فقال : وما نزلت الشياطين بهذا القرآن .

٢١١ - وما يجوز لهم أن ينزلوا به ، وما يستطيعون ذلك .

٢١٢ - انهم عن سماع القرآن الذى ينزل به الوحي على محمد - ﷺ - لهجويون .

٢١٣ - فتوجه إلى الله مستترا على اخلاصك له في العبادة ولا تهتم بفساد زعم المشركين وسوء مسلكهم . ودعوة الرسول إلى هذا اللون من الاخلاص دعوة لأفراد أمته جميعاً .

٢١٤ - وخوف بالعذاب على الشرك والمعاصي الأقرب فالأقرب من عشيرتك .

٢١٥ - وألن جانبك لمن أجاب دعوتك بالايان .

٢١٦ - فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعماهم ، من الشرك وسائر المعاصي .

٢١٧ - وفوض أمرك إلى القوى القادر على قهر أعدائك بعزته ، وعلى نصرتك ونصرة كل مخلص في عمله برحمته .

يَرْنِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

٢١٨ - الذى يراك حين تقوم إلى التهجد وأعمال الخير .

٢١٩ - ويرى تصرفك فيما بين المصلين ، بالقيام والقعود والركوع والسجود ، حين تؤمهم فى الصلاة .

٢٢٠ - انه سبحانه هو السميع لدعائك وذكرك ، العليم بنيتك وعملك . وكأنه سبحانه يقول له : هون على نفسك مشاق العبادة ، فأنت تعمل بمرأى ومسمع منا .

٢٢١ - قال المشركون : ان الشياطين تلقى السمع على محمد ، فرد القرآن عليهم ؛ هل أخبركم على أى الأفراد تنزل الشياطين ، وتلقى الوسوس ؟!

٢٢٢ - تنزل على كل مرتكب لأفحج أنواع الكذب وأشنع الآثام ، وهم الكهنة الفجرة الذين بين طباعهم وطباع الشياطين تجانس ووافق .

٢٢٣ - يلقون أسماعهم إلى الشياطين ، فيتلقون منهم ظنونا ، وأكثرهم كاذبون ، حيث يزيدون فى القول على ما تلقىه الشياطين .

٢٢٤ - قال الكفار : ان القرآن شعر ، ومحمد شاعر ، فأبطل الله هذا باثبات أن القرآن ملء بالحكم والأحكام ، فأسلوبه يتنافى أسلوب الشعر الذى يقوم على الباطل والكذب ، وبين أن حال محمد - ﷺ - يتنافى حال الشعراء ، فهو ينطق بالحكمة ، وهم ينطقون بالزور ، وهذا حال أغلب الشعراء .

٢٢٥ - ألم تر أنهم فى كل واد من أودية القول يهيمون على وجوههم ، فلا يهتدون إلى الحق ؟

٢٢٦ - وأنهم يقولون بألسنتهم ما لا يلتزمون فى عملهم .

٢٢٧ - لكن الذين اهتموا بهدى الله وعملوا الصالحات حتى تمكنت فيهم ملكات فاضلة ، وذكروا الله كثيرا حتى تمكنت خشيتهم من قلوبهم . هؤلاء يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء ، وينتصرون لدينهم واقامة الحق إذا جور على الحق ، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجاء الرسول أى مرجع من مراجع الشر والهلاك يرجعون إليه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

سورة النمل مكية ، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية .

وقد ابتدأت بالحروف الصوتية ، تنبيها لمنزلة القرآن الذي يجانس كلام العرب ، ومع ذلك أعجزهم ، وهى فوق ذلك تنبيه لمن يتغافل عن الاستماع . وجاءت بعد ذلك بقصة موسى ، وذكر بعض معجزاته عليه السلام ، وقصة داود عليه السلام ووراثته لوالده سليمان الملك . وحشر الجن والانس والطير له ، وفهمه عليه السلام لكلام الحيوان ، وشكره هذه النعمة ، ثم غيبة الهدد ، وبجيئه بقصة بلقيس ، وعبادتها وقومها للشمس ، وارسال سليمان عليه السلام إليها كتابا ، وردھا عليه بهدية بعد ابتيشارتها قومها ، واحضار عرشها عن طريق من عنده علم من الكتاب ، ودخولها قصر سليمان الذى أدهشها ، فأعلنت طاعتها وإيمانها به .

وقد ذكرت قصة صالح مع قومه ، وقصة لوط عليه السلام وقومه ، ونجاته وأهله واهلاك الفاسقين . ونهيت السورة الكريمة إلى ما فى خلق السموات والأرض من دلائل على قدرته ووحدانيته .

وأشارت إلى مقام القرآن الكريم فى الدعوة ، واعراض المشركين عنه كمال اعجازه وذكرت ما سيكون من خروج دابة تكلم الناس أنهم كانوا بآياتنا لا يوقنون . ثم وجهت الأنظار إلى الكون ، وكيف يفزع كل من فيه عند النفخ للبعث والنشور ، ونهيت إلى حال الأرض وأن جبالها ترمى السحاب ، ورسمت ما يتبعه الرسول فى دعوته ، ووجوب أن يحمد الله سبحانه .

١ - طس - حرفان صوتيان ابتدأ بهما السورة الكريمة تنبيها إلى سر الاعجاز فى القرآن مع الإشارة إلى أنه من جنس ما يتكلمون ولتنبيه الأذهان للاستماع إليه .

تلك آيات المنزل مقروءا تتلونه ، وهو كتاب مبين لما جاء به .

٢ - وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الخير والفوز فى الدنيا والآخرة ، ومبشر لهم بحسن المآل .

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٥﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٦﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ
 عَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاعَتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ
 تَصْطَلُونَ ﴿٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ يَمْوَسِي
 إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ وَالَّتِي عَصَاكَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرًّا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسِي
 لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٢﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ وَأَدْخِلْ

٣ - الذين يؤدون الصلاة في خشوع مستوفية الأركان ، ويعطون الزكاة في أوقاتها ، وهم يوقنون بالحياة الآخرة ، وما يكون فيها من ثواب وعقاب .

٤ - ان الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ، زيناهم أعمالهم بخلق الشهوة فيهم ، فهم يتردون في ضلالهم .

٥ - أولئك الذين لهم العذاب السيئ ، وهم في الآخرة أشد الناس خسرانا .

٦ - وانك أيها النبي لتلقى القرآن الذي ينزل عليك من لدن من لا يداني في حكمته ، وقد أحاط بكل شيء علما .

٧ - اذكر حين قال موسى لزوجته ومن معه وهو عائد إلى مصر : اني أبصرت نارا ، سأتيكم منها بخبر عن الطريق ، أو آتيكم بشعلة مضيئة نارا مقبوسة ، لعلكم تستدفنون بها من البرد .

٨ - فلما وصل إليها نودي : أن بورك من في مكان النار ومن حولها . وهم الملائكة وموسى . ونزه الله رب العالمين عن كل ما لا يليق به .

٩ - يا موسى اني أنا الله المستحق للعبادة وحده ، الغالب على كل شيء ، الذي يضع كل أمر في موضعه .

١٠ - وفي سبيل أن تؤدي دعوتك ألقى عصاك ، فلما القاها ورآها تهتز كأنها حية خفيفة سريعة ، أعرض عنها راجعا إلى الوراء ، ولم يعد إليها بعد أن أدبر عنها ، فطمأنه الله تعالى بقوله : لا تخف اني لا يخاف عندى المرسلون حين أخاطبهم^(١) .

١١ - لكن من عمل شيئا غير مأذون له فيه ، ثم بدل حسنا بعد هفوة ، فإنني كثير المغفرة عظيم الرحمة .

(١) ذكرت قصة موسى أكثر من مرة في القرآن ، وفي بعضها يحذف ما سيذكر في غيره ، ولكل جزء مناسبة ، ففي هذا الجزء إزالة استغراب أن يوحى إلى النبي ﷺ .

يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
 فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيَّاهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ
 مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
 حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

١٢ - وأدخل يدك في فتحة ثوبك تخرج بيضاء من غير برص، في جملة تسع معجزات (١)، مرسلا إلى فرعون وقومه، انهم كانوا قوما خارجين عن أمر الله كافرين.

١٣ - فلما جاءت هذه المعجزات واضحة ظاهرة قالوا: هذا سحر واضح بين.

١٤ - وكذبوا بها منكرين لدلائلها على صدق الرسالة، وقد وقع اليقين في قلوبهم، ولكنهم لم يذعنوا لاستعلانهم بالباطل وطفيتهم، فانظر أيها النبي كيف كانت عاقبة الذين دأبوا على الفساد، فكفروا بالمعجزات وهي واضحة؟

١٥ - هذا طغيان فرعون بسبب ملكه، فانظر إلى السلطان العادل، سلطان الحكم وسلطان النبوة في داود وابنه سليمان عليها السلام، لقد آتيناهما علما كثيرا بالشرعية ودراية الأحكام، فأقاما العدل وحمدا الله الذي منحها فضلا على كثير من عباده الصادقين المذعنين للحق.

١٦ - وقد آل الملك والحكم من داود إلى سليمان ابنه، وقال: يأياها الناس علمنا لغة الطير، وأوتينا كثيرا مما نحتاج إليه في سلطانتنا: أن هذه النعم هي الفضل الواضح الذي خصنا الله به (٢).

١٧ - وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير في صعيد واحد، فهم يحبس أولهم على آخرهم حتى يكونوا جيشا منظما خاضعا.

١٨ - حتى إذا بلغوا وادي النمل قالت نملة: يأياها النمل ادخلوا مخابثكم، لكيلا تفتكم جنود سليمان وهم لا يحسبون بوجودكم (٣).

(١) تلك التسع هي: فلق البحر والطران - والجراد - والقمل - والضفادع - والدم - والجذب - والعصا - وإخراج اليد بيضاء من غير سوء.

(٢) «ورث سليمان داود وقال يأياها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء، إن هذا هو الفضل المبين»: سليمان عليه السلام هو ابن داود، وهو نبى وملك مثله، عاش من حوالى سنة ٩٧٤ إلى ٩٣٧ ق. م. أختصه الله تعالى بمعرفة لغة الطير. وقد دلت الأبحاث الحديثة على أن لكل جماعة من الطير طريقة خاصة يتفاهم بها أفرادها منها اللبس، ومنها الصوت، ومنها الإشارة.

(٣) «حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأياها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون»: يتضح من هذه الآية الشريفة أن النمل يعيش في جماعات: أى أن له مجتمعا وأن من خصائصه اليقظة والحذر... وقد عرف لاجتماع النمل منذ القدم خصائص عدة تشهد بأن له مجتمعا منظما له نظام دقيق في الحكم وأنه على قدر كبير من الذكاء والدهاء وقوة الذاكرة وحس العمل والمتابعة، والجهاد الذى لا يعرف الكلل ولا اليأس، كما عرف عنها سعة الحيلة فيما تقوم به من أعمال. وآية ذلك أن مجتمع النمل هو الوحيد بين المخلوقات الحية بعد الإنسان الذى يقوم بدفن موته، وتعرض جماعاته المختلفة على الالتقاء في =

صَلِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ وَأَوْلِيَّا يُنَبِّئُنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَثَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا

١٩ - فتبسم سليمان ضاحكا من قول هذه الثملة الحريصة على مصالحها، وأحس بنعمة الله تعالى عليه وقال : يا خالتي الحمى أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي، ووفقي لأن أعمل الأعمال الصالحة التي ترضاه، وأدخلني برحمتك السابعة في عبادك الذين ترضى أفعالهم .

٢٠ - وتعرف جنوده من الطير فلم يجد الهدهد، فتعجب وقال : مالي لا أرى الهدهد ؟ أهو بيننا ولم يقع عليه نظري، أم هو غائب عنا ليس بيننا ؟؟؟

٢١ - والله لأتزلن به عذابا شديدا يردعه، أو لأذبحنه ان كان الذنب عظيما، الا أن يأتيني بحجة بينة تبرر غيابي عني .

٢٢ - وكان الهدهد قد مكث في مكان غير بعيد زمانا غير مديد، ثم جاء إلى سليمان يقول له : قد أحطت علما بما لم يكن عندك علم به، وجئتكم من سبأ بخبر ذي شأن عظيم وهو مستيقن به (١) .

٢٣ - اني وجدت في أهل سبأ امرأة تحكمهم، وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سرير كبير يدل على عظمة ملكها وقوة سلطاتها .

٢٤ - وجئتها هي وقومها يعبدون الشمس ولا يعبدون الله، وحسن لهم الشيطان أفعالهم فظنوها حسنة وهي السوء، فصرفهم بذلك عن سبيل الحق، فهم لا يهتدون .

صعيد واحد من حين إلى آخر، ولهذا خصص أياما معينة لإقامة سوق تجتمع فيه جماعاته لتبادل السلع والتعارف، وهذه الجماعات حين تلتقي تتجاذب أطراف الحديث باهتمام بالغ ويسال بعضها البعض أسئلة تتصل بشئونها . . ومن مظاهر مجتمعها الترابط قياهما بشروعات جماعية مثل إقامة الطرق الطويلة، في إناة ومثابرة تثيران الدهشة، ولا تكني هذه الجماعات بالعمل نهارا بل تواصله ليلا في الليالي القمرية ولكنها تلتزم مستمراتها في الليالي المظلمة، ولأعضاء هذا المجتمع في جمع المواد الغذائية وحلها وتخزينها والحفاظ عليها طرق فريدة في نوعها، فإذا لم تستطع الثملة حل ما جمعت في قفا كعادتها لكبر حجمه حركته بأرجلها الخلفية ورفعت بهذاتها، ومن عاداتها أن تقضم الجذور وتغلق بعض الحبوب قبل تخزينها حتى لا تصود إلى الإنبات مرة أخرى، وتجزيء البذور الكبيرة لكي يسهل عليها إدخالها في مستودعاتها، وإذا ما أبليت بفعل المطر أخرجتها إلى الهواء والشمس لتجف .

(١) « فكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ بنيا يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجئتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أفعالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » : هذه هي الآيات الخاصة بملكة سبأ، وسبأ هي إحدى ممالك بلاد العرب الجنوبية المسماة باليمن المعروفة في العالم القديم « بالعربية السعيدة » وتشير هذه التسمية الأخيرة إلى تقدم اليمن وثرائها، فلقد كان لها حضارة راقية منذ الألف الثاني قبل الميلاد، قامت على الزراعة . وذلك لحصص أراضيها، وملاءمة مناخها، وكذلك على التجارة لتوسطها بين الهند والحيشة والصومال والشام وال عراق، والحق إن السدود المشاة لحزن المياه وتصريفها وأشهرها سد مارب « انظر سيل العرم، الآية ١٦ من سورة سبأ » والمدن المحصنة والقصور والمباني الفاخرة حين ذاك في أمثاتها تشهد إلى اليوم بما كانت تتمتع به هذه البلاد من تقدم اجتماعي وثراء .

وأن النقوش التي خلفها حكامهم ومن بين تلك النقوش مجموعة من القوانين التي نظمت شئون الملكية العقارية وغيرها عندهم لتدل كل الدلالة على مبلغ ما وصلوا إليه من حضارة زاهرة . وملكة سبأ التي كانت في أوج ازدهارها على أيام سليمان - عليه السلام - « حوالى القرن العاشر قبل الميلاد » كان الحكم فيها - شأنها شأن مملكة معين قبلها - ملكا وراثيا يرثه الأبناء عن الآباء . ومن هنا كانت تحكمها على أيام سليمان - عليه السلام - ملكة اختلف المؤرخون في اسمها، ويطلق عليها العرب بقليس . . يعاونها شيوخ المملكة الأشراف كمجلس شورى لها « انظر الآيات من ٢٨ - ٣٣ » من سورة القمل، ولم يثبت التاريخ أن مملكة سبأ كانت دولة فتع بل مملكة تجارة وقوافل . ولا نجد للحرب أو للفتح ذكرا في آثارها إلا قليلا، ولهذا فإن مهمة جيوشها كانت لحفظ القلاع وحمايتها وحراسة القوافل في الغالب . . وكان السبئيون وتبين يعبدون الشمس على نحو ما ورد في الآية الشريفة رقم ٢٤ من هذه السورة . . والقرم وهما أهم ألهتهم، وكانوا يقدمون لها القرابين ويمرحون بالخمر في هياكلها .

تَعْلُونُ ٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾
 أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي
 إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ
 شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا
 أُذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ
 أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ

٢٥ - الا يسجدوا لله تعالى ، وهو الذى يخرج الغيوب فى السموات والارض ، ويعلم ما تسرون
 وما تظهرون ؟

٢٦ - الله لا معبود بحق سواه ، صاحب السلطان المطلق العظيم على كل ما فى الوجود .

٢٧ - قال سليمان مخاطبا المهدد : سنتحرى خبرك هذا ، اصدقت فيه أم كنت من الكاذبين ؟

٢٨ - اذهب بكتابتى هذا فأوصله اليها وإلى قومها ، ثم تنع عنهم متواريا فى مكان قريب ، لتنظر فيما يرجع به
 بعضهم إلى بعض ويرددونه من قول .

٢٩ - وصل الكتاب اليها فجمعت أشراف قومها ، وذوى شوراها ، وقالت : يا أيها الملأ انى قد وصل إلى
 كتاب عظيم الشأن .

٣٠ - ثم تلت الكتاب عليهم ، أنه مفتتح باسم الله ذى الجلال والانعام ، الذى يفيض برحمته دائما على خلقه .

٣١ - لا تتكبروا على ، وأتوني منقادين خاضعين .

٣٢ - قالت لمجلس شوراها : بينوا لى الصواب فى هذا الأمر الخطير الذى عرض لى ، فإنى لا أبت فى أمر
 حتى يكون بمحضركم .

٣٣ - قالوا مطمئنين لها : نحن أصحاب قوة بدنية وأهل نجدة وشجاعة ، لا نخاف الحرب ، فانظري فى الأمر
 الذى تأمريننا به ، فانا مطيعون .

٣٤ - قالت متريئة مسالة : ان الملوك إذا دخلوا مدينة عظيمة يجيوشهم أفسدوها ، فاذهبوا عمرانها ، وأبادوا
 الحرث والنسل ، وأفعالهم كذلك دائما .

٣٥ - وانى ايثارا للسلم والعافية رسالة إلى سليمان وقومه بهدية ، ومنتظرة ما يرجع به الرسل ، بقبول الهدية
 أم بردها .

٣٦ - وصل الرسل إلى سيدنا سليمان بالهدية ، فقال لهم شاعرا بأنعم الله تعالى عليه ، مخاطبا لها ولقومها فى
 مواجهة رسلها : أنعطوننى مالا ؟ ! فا أعطانى الله من النبوة والملك والنعمة أعظم مما آتاكم . بل أنتم بهديتكم
 وكثرة أموالكم تفرحون لا مثل ، لأنكم لا تعلمون الا ما يتعلق بالدنيا .

لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاءَ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ^ط وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ^ج فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ^ط وَمَن شَكَرْ فَإِنَّمَا يَظْعِكُ لِنَفْسِهِ ءَ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ^ط قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ^ع وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ^ط إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ^ط فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا ^ج قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ

٣٧ - وقال يخاطب المتكلم باسمهم : ارجع أيها الرسول اليهم ، فوالله لأناتهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ومقابلتها ، ولنخرجهم من سبأ فاقدى العز ، وهم مستعبدون .

٣٨ - اتجه سليمان إلى الاستعانة بمن سخرهم الله له من الانس والجن ، ليفاجئها بأمر غريب ، فقال : أيكم يأتيني بعرشها العظيم قبل أن يأتوني خاضعين منقادين ؟

٣٩ - قال مارد من الجن : أنا آتيك به . وأنت في مجلسك هذا قبل أن تقوم منه ، وإنى لقادر ، أمين في قولي وفعلي .

٤٠ - قال الذي آتاه الله قوة روحية وعلمًا من الكتاب : أنا آتيك بهذا العرش قبل أن تحرك أجنانك ، وقد نفذ ما قال . فلما رأى سليمان العرش ثابتاً عنده غير مضطرب قال : هذا من فضل الله الذي خلقني وأمدني بخيره ليختبرني أشكر هذه النعمة أم لا أؤدى حقها ، ومن شكر الله فإنما يحيط عن نفسه عبء الواجب ، ومن يترك الشكر على النعمة فإن ربي غني عن الشكر ، كريم بالانعام .

٤١ - قال سليمان لحاشيته : أخفوا عنها العرش ببعض التغير في مظاهره ، لئلا يرى ، أتعرفه مهتدياً إليه أم لا تعرفه فلا تهتدي إليه ؟

٤٢ - فلما أقبلت ، وجهت نظرها إلى عرشها ، فقيل لها : أهذا مثل عرشك ؟ فقالت لكمال التشابه : كأنه هو . وقال سليمان ومن معه : أوتينا العلم بالله وبقدرته وبوصحة ما جاء من عنده مثل علمها وكنا قوماً منقادين لله مخلصين العبادة له .

٤٣ - وصرفها عن عبادة الله ما كانت تعبد من آلهة غير الله تعالى من شمس ونحوها ، إنها كانت من قوم كافرين .

قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ۖ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيرَ نَابِكَ ۖ وَبِمَنْ مَعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهَمًّا لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ ۖ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۖ إِنَّا فِي ذَلِكَ

٤٤ - قيل لها من بعد ذلك : ادخلى قصر سليمان ، وكان صحنه من زجاج تحته ماء يسبح فيه السمك ، فكشفت عن ساقها ، تحسب ما تمر فيه ماء فنبهها سليمان إلى أن الصحن أملس مكون من زجاج ، فراعها ذلك المنظر المادى ، وعلمت أن ملكها لا يساوى شيئاً بجوار ملك سليمان النبى ، فقالت : رب انى ظلمت نفسى باغترارى بملكى وكفرى . وأذعنت فى صحبة سليمان مؤمنة بالله تعالى خالق العالمين ومربيهم والقائم عليهم .

٤٥ - ولقد بعثنا إلى ثمود أخاهم صالحاً ، بأن وحدوا الله ، فسارعوا إلى الاختصام والاختلاف ، وصاروا فريقين ، أحدهما مؤمن والآخر كافر .

٤٦ - قال صالح ناصحاً لهم : يا قوم لم تستعجلون بالعذاب الذى توعدون قبل التوبة ، هلا تطلبون المغفرة من ربكم وتؤمنون به رجاء أن ترحموا ؟ !

٤٧ - وقالوا : تشاء منا بك أنت ومن معك وأصابنا القحط ، قال : أسباب الخير والشر الذى نزل بكم إنما كان من عند الله . بل أنتم قوم تختبرون بالسراء والضراء ، لعلكم تؤمنون .

٤٨ - وكان زعماء الشرفيهم تسعة ، يفسدون بأرائهم ودعايتهم فى الأرض ، وليس من شأنهم عمل الصالح .

٤٩ - قال أولئك المشركون بعضهم لبعض : تبادلو القسم بالله لنغوين عليه هو وأهله ونقتلهم ، ثم نقول لولى دمه : ما شهدنا هلاكه ولا هلاك أهله ، وانا لصادقون فيما ذكرنا .

٥٠ - دبروا الفتك بصالح وأهله ، والله من ورائهم قد دبر النجاة لنبىه وأهله والهلاك لهم وهم لا يشعرون بتدبير الله .

٥١ - فانظر أيها النبى إلى عاقبة تدبيرهم وتدميرنا لنبينا ، أنا أهلكتناهم وقومهم أجمعين .

٥٩ - قل - أيها الرسول :- إني أحمد الله وأتقن عليه وحده ، واسأل الله سلاما وتحية لعباده الذين اختارهم لأداء رسالته ، وقل - أيها الرسول - للمشركين : هل توحيد الله خير لمن آمن أم عبادة الأصنام التي أشركتم بها وهي لا تملك ضرا ولا نفعا ؟ !

بِهِ حَدَاقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ
 الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوِاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
 مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ
 تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قُلْ
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

٦٠ - بل اسألهم - أيها الرسول - عمن خلق السموات والأرض وما فيها ، وأنزل لأجلكم من السماء غيثا
 نافعا ، فأثبت به بساين ذات حسن وبهاء . ما أمكن لكم أن تنبتوا شجرها المختلف الأنواع والألوان والثمار !! هذا
 التناقض في الخلق يثبت أن ليس مع الله إله ، ولكن الكفار قوم يعدلون عن الحق والايان ويميلون للباطل والشرك .

٦١ - بل اسألهم - أيها الرسول - عمن مهد الأرض للقامة فيها والاستقرار عليها ، وخلق وسطها أنهارا ،
 وخلق عليها جبالا تمنعها من الميل ، وجعل بين الماء العذب والماء المالح فاصلا يمنع امتزاج أحدهما بالآخر !! ليس
 هناك إله مع الله فهو الخالق وحده ، لكن أكثر الناس لا ينتفعون بالعلم الحق على وجهه وكأنهم لا يعلمون .

٦٢ - بل اسألهم - أيها الرسول - عمن يجيب المضطر - في دعائه - إذا أحوجته الشدة فلجأ إلى الله في
 ضراعة وخشوع ، ويدفع عن الانسان ما يعتريه من مكروه ، ويجعلكم خلفاء لمن سبقكم في الأرض !! ليس هناك
 إله مع الله المانع لهذه النعم ، ولكنكم أيها الكافرون قلما تتعظون .

٦٣ - بل اسألهم أيها الرسول - عمن يرشدهم إلى السير في ظلام الليل برا وبحرا ، وعمن يبعث الرياح
 مبشرة بمطر هو رحمة من الله !! أنذاك اله مع الله تعالى يصنع ذلك ؟ ! تنزه الله سبحانه عن أن يكون له شريك .

٦٤ - بل اسألهم أيها الرسول عمن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يوجد بعد فئانه كما كان ، ومن الذي ينزل لكم
 الرزق من السماء ويخرجه من الأرض ، ليس هناك اله مع الله يفعل ذلك . قل أيها الرسول موبخا لهم ومنكرا
 عليهم : ان كان لكم اله سوى الله فأقيموا لنا حجة على ذلك ان كنتم تزعمون أنكم صادقون ، ولن يتأق لكم
 ذلك .

أَيَّانُ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءِذَا بَابُؤُنَا أَبْنَاءُ لَمْخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءِيبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
 فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ
 لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمِمَّنْ غَاثِيَّةٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ

٦٥ - قل أيها الرسول : ان من تفرد بفعل هذا كله قد تفرد سبحانه بعلم ما في السموات والأرض من أمور الغيب ، وهو الله وحده ، وما يعلم الناس أى وقت يبعثون فيه من قبورهم للحساب والجزاء .

٦٦ - تلاحق عليهم في الآخرة من جهل بها إلى شك فيها ، وهم في عمية عن ادراك الحق في أى شيء من أمرها لأن الغواية أفسدت ادراكهم .

٦٧ - وقال الكافرون منكرين للبعث : أنذا صرنا ترابا وبليت أجسامنا وأجسام آبائنا السابقين هل نعاد ونخرج إلى الحياة من جديد ؟ !

٦٨ - لقد وعدنا محمد بهذا البعث كما وعد الرسل السابقون آبائنا ، ولو كان حقا لحصل ، وليس هذا إلا من أكاذيب السابقين .

٦٩ - قل لهم أيها الرسول : تجولوا في الدنيا وانظروا آثار ما حل بالمكذبين من عذاب الله لعلكم تعتبرون بهذا ، وتحشون ما وراءه من عذاب الآخرة .

٧٠ - لا تحزن - أيها الرسول - على الكافرين الذين لم يتبعوك ، فانما عليك البلاغ ، ولا يكن في صدرك حرج من مكرهم وكيدهم ، فإن الله ناصرك عليهم .

٧١ - وبيالغ الكافرون في التكذيب ، فيستعجلون العذاب قائلين : متى يحين موعد العذاب الذى هددقونا به ، ان كنتم صادقين في أن العذاب نازل بالمكذبين ؟ !

٧٢ - قل - أيها الرسول - : لعله أن يكون قد لحق بكم وقرب منكم بعض ما تستعجلونه من العذاب .

٧٣ - وان الله ربك - أيها الرسول - لصاحب انعام واحسان على الناس كافة ، ومن رحمته تأخير العقوبة على المكذبين ، ولكن أكثر الناس لا يدركون فضل الله ولا يشكرونه .

٧٤ - وان الله ربك - أيها الرسول - لعليم بكل ما يسرون وما يعلنون من الأقوال والأفعال المنكرة ، ومجازمهم عليها .

مُبينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَقْضَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الْأَلْهَامَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَدَى الْعُصَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا

٧٥ - وما من خافية غائبة مهما صغرت وضوت في السموات أو في الأرض إلا علمها الله وأحصاها في كتاب حق عنده .

٧٦ - ان هذا الكتاب الذي أنزل على محمد بين لبني اسرائيل حقيقة ما جاء في التوراة من عقائد وأحكام وقصص ، ويردهم إلى الصواب فيما اختلفوا فيه .

٧٧ - وان هذا الكتاب هداية من الضلال ورحمة من العذاب لجميع من آمن به .

٧٨ - ان ربك - أيها الرسول - يفصل بين الناس جميعا يوم القيامة بعدله . وهو الغالب فلا يرد قضاؤه ، العليم فلا يلتبس لديه حق بباطل .

٧٩ - ففوض أمرك - أيها الرسول - إلى الله ، وثابر بدعوتك واثقا بنصره ، لأنك على الحق الواضح . ولا يضررك اعراض الكافرين عنك .

٨٠ - انك - أيها الرسول - لا تستطيع هدايتهم ، فانهم كالملوق في عدم الوعي ، وكالصم في فقدان أداة السمع ، فليسوا مستعدين لسماع دعوتك فمادهم في الاعراض عنك .

٨١ - ولست بمستطيع أن تهدي إلى الحق من عميت أبصارهم وبصائرهم ، ولا يمكنك أن تسمع إلا من يقبل على الايمان بآياتنا ، فهم مطيعون مستجيبون .

٨٢ - وإذا قرب أن يتحقق وعد الله بقيام الساعة ، وأن يقع العذاب على الكافرين ، أخرج الله للناس دابة من الأرض تقول لهم من جملة ما تقول : أن الكفار كانوا بمعجزاتنا كلها وباليوم الآخر لا يؤمنون ، وقد تحقق الآن ما كانوا به يكذبون . . وهاهو ذا هول الساعة وما وراءها (١) .

(١) هذا تفسير الآية بظاهر ألفاظها . وهناك تفسيران آخران تحتلها الآية : « أولها أن المراد من الدابة كل ما يندب من الأناسي أو غيرها ، وتحمل هنا على الأناسي ، وبجيتها قبل القيامة . والمعنى أنه إذا وقع القول عليهم وحق العذاب جامتهم جوع عظمي من المؤمنين تدب إليهم . وغلا السهل والرهى وتزلزل أركان الكفر . وتهدم بنيانه . » ثانيها « أن تكون كلمة الدابة يراد بها الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب ، كما قال الأصمغاني في مقررته ، والمعنى أنه عندما يقرب يوم القيامة يكثر الشر والفساد ، وتكون القيامة التي كذب بها الكافرون ، ويكون هذا هو القول ، وهو بلسان الحال لا بالمقال ، كالرأى الذي سبق .

فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلَيَّا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَانِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

٨٣ - واذكر - أيها الرسول - يوم نجمع من كل أمة طائفة من المكذبين بآياتنا ، وهم الزعماء المتبعون . فهم يساقون في مقدمة أمهم إلى الحساب . والجزاء .

٨٤ - وحينما يقفون بين يدي الله للحساب يقول - سبحانه - لهم تبيكتنا وتعنيفنا : قد كذبتكم بكل آياتي وأنكرتموها دون تدبر ولا فهم ، بل ماذا كنتم تعملون وأنتم لم تخلقوا عبثا ؟

٨٥ - وحل بهم العذاب بسبب ظلمهم أنفسهم بالكفر ، فهم عاجزون عن الدفاع والاعتذار .

٨٦ - لقد شاهدوا أن الله جعل الليل ليسترحوا فيه ، وجعل النهار مضيقا ، ليتصرفوا فيه ويسعوا على معاشهم ، ان في ذلك لدلالات واضحة على الوهية الله ووحديته لقوم يتدبرونها فيؤمنون .

٨٧ - واذكر - أيها الرسول - يوم ينفخ اسرافيل في البوق بإذن الله ، فيرتعب من في السموات ومن في الأرض من هول النفخة ، إلا من طمأنه الله وأعفاه من الفزع ، وكل المخلوقات يأتون إلى ربهم صاغرين .

٨٨ - وترى - أيها الرسول - الجبال تظنها ثابتة لا تتحرك ، ولكنها في واقع الأمر تتحرك بسرعة كالسحاب ، وهذا من صنع الله الذي خلق كل شيء وأبدعه . انه سبحانه كامل العلم بما يفعل الناس من طاعة ومعصية ، ومجازيهم عليه^(١) .

٨٩ - كل من أتى بالحسنة في الدنيا وهي الايمان والاخلاص في الطاعة فله في الآخرة الثواب الأعظم من أجل ما تقدم . وأصحاب هذه الحسنات آمنون من الخوف والفزع يوم القيامة .

٩٠ - وكل من أتى في الدنيا بالسيسة - وهي الشرك والمعصية - ومات على ذلك فجزاء هذا الفريق أن يكهم الله على وجوههم في النار يوم القيامة ويقال لهم حينئذ - توبيخا - . انكم لا تجزون اليوم الا بسبب شرككم ومعصيتكم .

(١) « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذي أتقن كل شيء » ، انه خير بما تفعلون » : تقرر هذه الآية الكريمة أن جميع الأجسام التي تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال والبحار والغلاف الجوي ... إلخ تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها ودورتها السنوية حول الشمس ، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام دامس لمدة ستة أشهر والنصف الآخر في نهار الحار الجوى والأجرام السماوية ، لكن هذه الدورة لا تدرك فهي مثل حركة السحب في الجو يراها الناظرون بعينهم ولكن لا يسمعون صوتها أو =

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾
وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ۖ فَمِمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرَ يَكْمَةً ۖ أَيَّتَهُ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

٩١ - قل - أيها الرسول - للناس : ما أمرت أن أعبد أحدا الا الله رب مكة الذي كرمها ، فجعلها حرما آمنا ، لا يسفك فيها دم ، ولا يصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها .. وله سبحانه كل ما في الكون خلقا وملكا وأمرت أن أكون من الخاضعين لله .

٩٢ - وأمرت أن أواظب على تلاوة القرآن عبادة وتدبرا ودعوة إلى ما فيه ، فمن اهتدى وأمن به واتبعت فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه لا لك ، ومن ضل عن الحق ولم يتبعك فقل : إنما أنا رسول ، أنذر وأبلغ .

٩٣ - وقل - أيها الرسول - : الحمد لله على نعمة النبوة والهداية : سيكشف الله لكم في الدنيا عن آثار قدرته ، وفي الآخرة عن صدق ما أخبركم به فتعرفوها معرفة حق ، وليس الله بعاجز عن حسابكم ولا بغافل عن أعمالكم

= يلمسونها وتبين هذه الآية الكريمة أن الله عز وجل : خلق الكون والقوانين التي تنظمه وهو قادر على أن يجعل الأرض ساكنة لا تدور حول محورها أو يجعل فترة دورانها حول محورها تساوي فترة دورانها حول الشمس ، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام دامس لمدة ستة أشهر والنصف الآخر في نهار ساطع الضوء مما يؤدي إلى اختلال التوازن الحراري على الأرض كلها ، وفي هذا فناء الأحياء التي عليها ، والله - سبحانه وتعالى - هو الذي وضع هذا النظام المحكم رحمة ورأفة بعباده .

وبالرغم من أن « اريستارخوس » الفلكي السكندري ٣١٠ - ٢٣٠ ق . م « كتب في موضوع دوران الأرض حول نفسها ، فإن هذه الكتابات العلمية القديمة لم تصل إلى العرب وقت محمد ﷺ أو قبله . بل أن أول من أشار إلى هذه المعلومات منهم هو البيروني عام ألف للميلاد ، بعد حركة الترجمة في الدولة العباسية ، فإن إيراد هذه الحقائق العلمية على لسان النبي - التي لم تكن قد وصلت إلى علمه - دليل على أنها موحى بها من عند الله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسَمَ ١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِبحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥

سورة القصص الثامنة والعشرون في ترتيب السور بالمصحف ، وهي من السور المكية ، وعدد الآيات فيها ثمان وثمانون .

وقد اشتملت على تفصيل لما ذكر قبلها اجمالاً ، من شأن موسى عليه السلام ، منذ ولد في عهد فرعون ، وكان فرعون يقتل الأبناء من بني اسرائيل خوف ظهور نبي يقضى على سلطانه .

ثم ما كان من تربية موسى في بيت فرعون ، إلى أن خرج من مصر فاراً بنفسه إلى مدين بالشام ، وعاد بزوجه بنت شعيب عليه السلام .

ثم ما كان من مناجاة الله لموسى أثناء عودته ، واختياره للرسالة ، وما حدث من شأن فرعون وسحرته مع موسى ، إلى أن أغرق الله فرعون وجنده ، ونجى موسى ومن معه من بني اسرائيل ، ثم ما كان من بني اسرائيل مع موسى وأخيه هارون ، وما يتصل بهذا من أنباء المكذبين كقارون ومن سبقه من الكافرين . ولهذا البيان الشامل سميت السورة بسورة القصص .

١ - طسم حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف التي يتألف منها حديثكم ، ولتنبيه السامعين .

٢ - هذه الآيات التي نوحها إليك - أيها الرسول - آيات القرآن المبين الواضح ، المظهر للحق من الباطل ، وللحلال من الحرام ، والوعد بالثواب ، والوعيد بالعقاب .

٣ - نقص عليك بعض أخبار موسى وفرعون بالصدق ، ليعتبر بما فيه المؤمنون .

٤ - ان فرعون تعاظم في نفسه ، وجاوز الحد في ظلمه ، واستكبر في أرض مصر ، وصير أهلها فرقاً ، يسطق بعضها ويسخر بعضها ، ويستضعف منهم بني اسرائيل ، فيذبح الذكور من أولادهم ويستبيح الاناث ، انه كان من المسرفين في الطغيان والافساد .

٥ - وأراد الله أن يتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض ، وأن يجعلهم هداة إلى الخير ، ويورثهم ملك الأرض والسلطان .

وَمَكَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ۚ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لَأُخْسِيَهُ قُصِيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١١﴾ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ

٦ - ونبتهم في الأرض ويتخذون فيها مكانا ، ونبت لفرعون ووزيره هامان وجندهما ما كانوا يخشونه ، من ذهاب ملكهم على يد مولود من بنى اسرائيل .

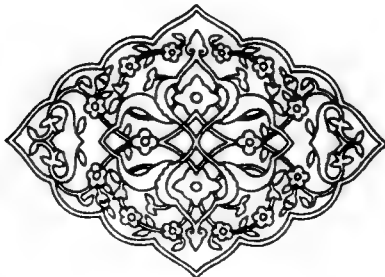
٧ - وأهم الله أم موسى - حينما خشيت عليه أن يذبحه فرعون كما يذبح أبناء بنى اسرائيل - أن ترضعه مطمئنة عليه من قتل فرعون ، فإذا خشيت أن يعرف أمره وضعته في صندوق وألقته في النيل غير خائفة ولا محزونة ، فقد تكفل الله لها بحفظه ورده إليها ، وأن يرسله إلى بنى اسرائيل .

٨ - فأخذه آل فرعون ، ليتحقق ما قدره الله بأن يكون موسى رسولا معاديا لهم ومثيرا لحزنهم بنقد دينهم والظعن على ظلمهم ، ان فرعون وهامان وأعوانها كانوا آثمين مسرفين في الطغيان والفساد .

٩ - وقالت امرأة فرعون حين رأتة لزوجها : هذا الطفل مبعث السرور لى ولك . نستبقيه ولا نقتله رجاء أن ننتفع به في تدبير شأننا أو ننبئناه ، وهم لا يشعرون بما قدر الله في شأنه .

١٠ - وصار فؤادها خاليا من العقل لمادهمها من الجزع لوقوع ولدها في يد فرعون ، انها كادت تظهر أمره بأنه ولدها ، لولا أن ثبت الله قلبها بالصبر لأعلنت أنه ولدها شفقة عليه ، ولتكون في ضمن المؤمنين المطمئنين .

١١ - وقالت أمه لأخته : تتبعى أثره لتعرفى خبره ، فرأته عن بعد وهى تتجنب ظهور أمرها وفرعون وآله لا يدرون أنها أخته .



عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَى تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَنَافَهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ

١٢ - ومنع الله الطفل موسى أن يرضع ثديا لمرضع قبل أن يرشدوا إلى أمه ، فاغتم آل فرعون ، وأهمهم ذلك . فقالت لهم أخته : ألا أرشدكم إلى أسرة تكفله وتتعهده بالرضاع والتربية ، وهم له حافظون ؟

١٣ - فقبلوا ارشادها ، وردده الله إلى أمه كي تطيب نفسها ، وتفرح بعودته إليها ، ولا تحزن بفراقه . ولتزداد علما بأن وعد الله برده لها حاصل لا يتخلف ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون عودة موسى إلى أمه لحفائه عليهم .

١٤ - ولما بلغ موسى رشده واكتمل نضجه أعطاه الله الحكمة والعلم . ومثل ذلك الاحسان الذي أحسنا به إلى موسى وأمه نكافيء المحسنين على احسانهم .

١٥ - ودخل موسى مصر في وقت غفل فيه أهلها ، فوجد فيها رجلين يقتتلان : أحدهما من بني اسرائيل ، والآخر من قوم فرعون ، فاستعان به الاسرائيلي على خصمه فأعانه موسى ، وضرب الخصم بقبضة يده فقتله من غير قصد . ثم أسف موسى ، وقال : ان إقدامي على هذا من عمل الشيطان ، ان الشيطان لعدو ظاهر العداوة واضح الضلال .

١٦ - قال موسى متضرعا إلى الله في ندم : يارب إني أسأت إلى نفسي بما فعلت ، فاغفر لي فعلتي ، فأجاب الله دعوته وغفر له ، ان الله هو العظيم المغفرة الواسع الرحمة .

١٧ - قال موسى متضرعا : يارب بحق انعامك على بالحكمة والعلم وفقني للخير والصواب ، فإذا وفقني فلن أكون عوناً للكافرين .



بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمُوسَى
أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ
الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ
إِلَى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ
مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ
وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

١٨ - فأصبح موسى في المدينة - مصر - فزعا ، يتوقع أن يصيبه الأذى من القوم بسبب قتله المصري ، فوجد الاسرائيلي الذي طلب منه النصرة بالأمس يستغيث به مرة ثانية على مصرى آخر ، فنهزه موسى قاتل له : انك لشديد الفوابة ظاهر الضلال ، حيث عدت لمثل ما فعلت بالأمس ودعوتني مرة ثانية لنصرتك .

١٩ - فلما هم موسى بالبطش بالمصري الذي هو عدو لها ، بسبب هذه العداوة . قال - وقد ظن أن موسى سيقتله - : أتريد أن تقتلني كما قتلت شخصا آخر بالأمس ، ما تريد إلا أن تكون طاغية في الأرض ، وما تريد أن تكون من دعاة الإصلاح والخير .

٢٠ - وجاء رجل مؤمن من آل فرعون من أقصى المدينة حينما انتشر نبأ قتل موسى للمصري ، يخبر موسى أن القوم يتشاورون لقتلك ويقول له : اخرج من المدينة فرارا من القتل ، افي لك من الناصحين .

٢١ - فخرج موسى من المدينة خائفا يتوقع أن يتعرض له أعداؤه بالأذى ، ضارعا إلى الله أن ينجيه من ظلم الكافرين .

٢٢ - ولما توجه ناحية مدين قرية شعيب - لما فيها من الأمن - تضرع إلى الله أن يهديه طريق الخير والنجاة .

٢٣ - ولما وصل ماء آل مدين الذي يسقون منه وجد على جانب البئر جماعة كثيرة من أناس مختلفين يسقون مواشيهم ، ووجد في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تدفعان غنمهما بعيدا عن الماء ، فقال لهما موسى : لم تبتعدان عن الماء . فأجابتا : لا نستطيع الزحام ، ولا نسقي حتى يسقي الرعاة ، وأبونا شيخ طاعن لا يستطيع الرعى ولا السقي .

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَبْتَ اسْتَغْرَهُ وَإِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَغْرَتِ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَّجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ * فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا عَلَى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَلْمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ

٢٤ - فتطوع موسى وسقى لها ، ثم ركن إلى ظل شجرة يستريح من الجهد . وهو يقول في ضراعة : يارب إنى فقير لما تسوقه إلى من خير ورزق .

٢٥ - فجاءت احدى الفاتين - مرسله من قبل أبيها بعد أن علم بأمر موسى معها - تسير إلى موسى في حياء ، قالت : ان أبى يدعوك ليجزيك أجر سقيك لنا ، فلما ذهب إليه وقص عليه قصة خروجه من مصر قال والد الفاتين : لا تخف ، نجوت من القوم الظالمين ، إذ لا سلطان لفرعون علينا .

٢٦ - قالت احدى الفاتين : يا أبت اتخذه أجيرا لرعى الغنم والقيام على شأنها ، انه خير من تستأجره لقوته وأمانته .

٢٧ - قال له شعيب عليه السلام : انى أريد أن أزوجه واحدة من ابنتي هاتين على أن يكون مهرها أن تعمل عندنا ثمانى سنوات ، فإن أتممت عشرا فمن عندك تطوعا ، وما أريد أن الزمك بأطول الأجلين ، وستجدنى أن شاء الله من الصالحين المحسنين للمعاملة الموفين بالعهد .

٢٨ - قال موسى : ذلك الذى عاهدتنى عليه قائم بينى وبينك ، أى مدة من المدينين أقضيتها فى العمل أكون وفيتك عهدك فلا أطالب بزيادة عليها ، والله شاهد على ما نقول .

٢٩ - فلما أتم موسى المدة المشروطة ، وأصبح زوجا لبنت الذى آواه ، وعاد بها إلى مصر أبصر فى طريقه من ناحية جبل الطور نارا ، فقال لمن معه : امكثوا هنا ، انى رأيت نارا استأنست بها فى هذه الظلمة ، سأذهب اليها لأنيكم من عندها بخبر عن الطريق أو بجذوة منها لعلكم تستدفئون بها .

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعَقِّبُ يَلْمُوسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَحْفَظُ
 إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ
 فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
 فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْشِدُ عُصْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكَ ۚ بَايَعْنَا أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ
 الْغُلَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

٣٠ - فلما جاء موسى إلى النار التي أبصرها سمع من ناحية الجانب الأيمن له من الشجرة النابتة في البقعة المباركة بجانب الجبل نداء علويا يقول له : يا موسى ، انى أنا الله الذى لا يستحق العبادة سواء ، خالق العالمين وحاميهم وحافظهم ومربيهم .

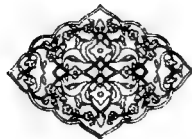
٣١ - ونودى : أن ألقى عصاك ، فألقاها فقلبها الله ثعبانا ، فلما أبصرها موسى تتحرك كأنها حية في سعيها خاف وفر فزعا ولم يرجع . فقيل له : يا موسى أقبل على النداء وعد إلى مكانك ولا تحف ، انك فى عداد الآمنين من كل مكروه .

٣٢ - وأدخل يدك فى طوق ثوبك تخرج شديدة البياض من غير عيب ولا مرض . واضمم يدك إلى جانبك فى ثبات من الخوف ، ولا تفرع من رؤية العصا حية ومن رؤية اليد بيضاء ، فهاتان المعجزتان من الله ، تواجه بهما فرعون وقومه حينما يقابلون رسالتك بالتكذيب خارجون عن طاعة الله .

٣٣ - قال موسى - متخوفا وطالبا العون - : يارب ، انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلوني به قصاصا .

٣٤ - وأخى هارون هو أفصح منى لسانا ، فأرسله معى عوناً فى التبليغ ، لأنى أخاف أن يكذبون .

٣٥ - قال الله - استجابة لدعائه - : سنقويك بهارون ، ونجعل لك سلطانا وتأييدا بالمعجزات فلا يستطيعون الاعتداء عليكما ، وانكما ومن اتبعكما واهتدى بكما الغالبون المنتصرون على هؤلاء الكافرين .



الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمْ أَلْهَمْ لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأُظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةُ

٣٦ - فلما واجههم موسى بدعوته مؤيدة بالمعجزات الواضحة أنكروا ما شاهدوا ، وقالوا : ما هذا إلا سحر تفتريه على الله ، ولم نسمع بهذا الذي تدعيه فيمن سبقنا من آبائنا الأولين .

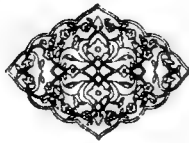
٣٧ - وقال موسى - ردا على فرعون وقومه - : ربي يعلم اني جئت بهذه الآيات الدالة على الحق والهدى من عنده ، فهو شاهد لى على ذلك ان كذبتمنى ، ويعلم أن العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق ، انه لا يفوز بالخير الكافرون .

٣٨ - وقال فرعون - عندما عجز عن محاجة موسى ، تماديا في طغيانه - : يأيها الملاء ، ليس لى علم بوجود إله لكم غيرى ، وأمر وزيره هامان أن يصنع له الآجر ويشيد له صرحا شامخا عاليا ليصعد عليه ، وينظر إلى الإله الذى يدعو إليه موسى ، ويؤكد فرعون مع ذلك أن موسى من الكاذبين فى ظنه .

٣٩ - وظل فرعون وجنوده مستكبرين فى أرض مصر بالباطل ، وظنوا أنهم لن يبعثوا فى الآخرة للحساب والجزاء .

٤٠ - فانتزعنا فرعون من سلطانه ، واستدرجناه هو وجنوده إلى اليم ، وأغرقناهم فيه نابذين لهم سبب ظلمهم . فتدبر يا محمد ، وحذر قومك كيف كانت نهاية الظالمين فى دنياهم ؟ وانك لمنصور عليهم .

٤١ - قال تعالى : وجعلناهم دعاة يدعون إلى الكفر الذى يؤدى إلى النار ، ويوم القيامة لا يجدون من ينصرهم ويخرجهم من هذا العذاب .



وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُنَبِّئَ بِآيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا

٤٢ - وجعلناهم في هذه الدنيا مطرودين من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المهلكين. وما حكى في الآيتين بشأنهم دليل غضب الله.

٤٣ - ولقد أنزل الله التوراة على موسى بعد أن أهلك المكذبين من الأمم السابقة لتكون نورا للقلوب، لأنها كانت مظلمة لا تعرف حقا وارشادا، لأنهم كانوا يتخبطون في الضلال، وطريقا لنيل الرحمة لمن عمل بها، ليتعظوا بما فيها فيسارعوا إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

٤٤ - وما كنت يا محمد حاضرا مع موسى في المكان الغربي من الجبل، حين عهد الله إليه بأمر الرسالة، ولم تكن معاصرا لموسى ولا شاهدا تبليغه للرسالة، فكيف يكذب قومك برسالتك وأنت تتلو عليهم أنباء السابقين؟!

٤٥ - ولكننا خلقنا أمما كثيرة في أجيال طال عليها الزمن فسوا ما أخذه عليهم من العهود، ولم تكن - أيها الرسول - مقيا في مدين حتى تخبر أهل مكة بأنبيائهم، ولكننا أرسلناك وأخبرناك بها من طريق الوحي.

٤٦ - وما كنت - أيها الرسول - حاضرا في جانب الطور حين نادى الله موسى واصطفاه لرسالته، ولكن الله أعلمك بهذا من طريق الوحي رحمة بك وبأمتك، لتبلغه قوما لم يأتهم رسول من قبلك لعلهم يتذكرون.

٤٧ - ولولا أن الكفار حين تصيبهم عقوبة بسبب كفرهم يعتذرون ويحتجون قائلين: ربنا لم ترسل إلينا رسولا نؤمن به ونذعن لمعجزاته ونكون من المؤمنين، ما كانت رسالات الرسل.

مَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰٓ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ نَّهَىٰ قُلُوفًا بِكُتُبٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٢﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ

٤٨ - فلما جاء رسول الله محمد بالقرآن من عند الله قال الكفار: ليه أعطى مثل ما أعطى موسى من معجزات حسية وكتاب نزل جملة واحدة كالطوراة، وقد كفروا من قبل بموسى وآياته كما كفروا اليوم بمحمد وكتابه.. وقالوا: نحن بكل منها كافرون، فالجحد هو الذي أدى إلى الكفر بالمعجزات.

٤٩ - قل لهم: - أيها الرسول - إذا لم تؤمنوا بالقرآن فهااتوا كتابا من عند الله أحسن منها هداية أو مثلها أتبعه معكم، ان كنتم صادقين في زعمكم أن ما جئنا به سحر.

٥٠ - فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى الاتيان بالكتاب الأهدى، فاعلم أنهم قد ألزموا ولم يبق لهم حجة، وأنهم بذلك يتبعون أهواءهم، ولا أحد أكثر ضلالا ممن اتبع هواه في الدين بغير هدى من الله، ان الله لا يوفق من ظلم نفسه باتباع الباطل دون أن ينشد حقا.

٥١ - ولقد أنزل الله القرآن عليهم متواصلا، بعضه اثر بعض حسب مقتضيه الحكمة، ومتابعا وعدا ووعدا وقصصا وعبرا، ليتدبروا ويؤمنوا بما فيه.

٥٢ - الذين أنزلنا لهم التوراة والانجيل من قبل نزول القرآن، وآمنوا بها، وصدقوا بما فيها عن محمد وكتابه، هم بمحمد وكتابه يؤمنون.

٥٣ - وإذا يقرأ القرآن على هؤلاء قالوا - مسارعين إلى اعلان الايمان - : آمنا به لأنه الحق من ربنا ونحن عرفنا محمدا وكتابه قبل نزوله، فاسلامنا سابق على تلاوته.

٥٤ - أولئك الذين آمنوا بالقرآن وبما أنزل من قبله يعطون ثوابهم مضاعفا، بصبرهم على ما لحقهم من الأذى في سبيل الايمان، ويؤثرون العمل الصالح، ويقابلون السيئة بالعفو والاحسان، وينفقون في سبيل الخير مما منحهم الله من مال.

وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمُ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ الْهُدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكُرِّهُوا مِنْ قَرِيْبٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِتْلِكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْتَيْنَاهُمْ

٥٥ - وإذا سمعوا الباطل من الجاهلين انصرفوا عنه تفرغوا وترفعوا ، وقالوا : لنا أعمالنا الحق لا نحيد عنها ، ولكم أعمالكم الباطلة ووزرها عليكم ، ونحن نترككم وشأنكم لأننا لا نريد صحبة الجاهلين .

٥٦ - انك - أيها الرسول - شديد الحرص على هداية قومك ، ولكنك لا تستطيع أن تدخل في الاسلام كل من تحب ، ولكن الله يهدي للآيمان من علم فيهم قبول الهداية واختيارها ، وهو الذي يعلم علما ليس فوقه علم من سيعمل في صفوف المهتدين .

٥٧ - وقال مشركو مكة للرسول - ﷺ - معذرين عن بقائهم على دينهم : ان اتبعناك على دينك أخرجنا العرب من بلدنا وغلبنوا على سلطاننا . وهم كاذبون فيما يعتذرون به ، فقد ثبت الله أقدامهم ببلدهم ، وجعله حرما يأمنون فيه - وهم كفرة - من الاغارة والقتل ، وتحمل إليه الثمرات والخيرات المتنوعة الكثيرة رزقا يسوقه الله اليهم من كل جهة ، فكيف يستقيم أن يسلبهم الأمن ويعرضهم للتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت الايمان بمحمد ؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق ، ولو علموا لما خافوا التخطف .

٥٨ - لم يعتبر هؤلاء بمصاير الأمم السابقة ، فقد أهلك قرى الذين اغتروا بنعمة الله ثم كفروا بها وبالله ، وهذه ديارهم خاوية لا تصلح للسكن بعدهم إلا فترات عابرة للهارين بها ، ولم يبق لها مالك بعدهم إلا الله ذو الجلال والاكرام .

٥٩ - وما كان من حكمة الله تعالى - وهو ربك الذي خلقك واصطفاك - أن يهلك المدن العظيمة الا بعد أن يرسل إلى أهلها رسولا بالمعجزات الباهرة يتلو عليهم الكتاب المنزل ، ويبين لهم شرائعهم ثم لم يؤمنوا ، وما كنا مهلكي المدن العظيمة إلا وأهلها مستمرون على الظلم والاعتداء .

مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَقْنِ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَةً مُتَنَعَةً الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ

٦٠ - وكل شيء رزقتموه من أعراض الدنيا وزينتها فهو متاع محدود إلى أمد قريب ، فلا يصرفنكم عن الإيمان والعمل الصالح ، فإن ما عند الله في الآخرة من الثواب والتعيم الخالد أنفع وأدوم من ذلك كله ، فلماذا لا تعملون عقولكم بدل أهوائكم ؟!

٦١ - لا يستوى من آمن وعمل صالحا فاستحق وعد الله ، الوعد الحسن بالثواب والجنة . فهو مدركه كما وعده الله ، ومن كفر وعمل سيئا وفتته متاع الحياة وزخرفها ، ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب ، الهالكين في العذاب .

٦٢ - واذكر - أيها الرسول - يوم يقف هؤلاء بين يدي الله للحساب ، فيناديهم سبحانه نداء توبيخ : أين الآلهة الذين زعمتموهم شركاء ، ليدافعوا عنكم أوليفعوا فيكم ؟!

٦٣ - قال قادة الكفر من الذين حق عليهم غضب الله ووعيده : يا ربنا ، هؤلاء الذين دعوناهم إلى الشرك وزينا لهم الضلال أغويناهم ، لأنهم اختاروا الكفر وتقبلوه كما اخترنا نحن وتقبلناه : تبرأنا إليك منهم اليوم وما اختاروه في الدنيا من الكفر ، لم يعبدونا نحن ، بل عبدوا أهواءهم وأطاعوا شهواتهم .

٦٤ - وأمر المشركون من جانب الله أمر توبيخ ، بدعوة الآلهة التي أشركوها مع الله لتخلصهم من عذابه كما زعموا ، فخضعوا في ذلة ودعاهم في حيرة ، فلم يظفروا منهم بجواب ، وشاهدوا العذاب المعد لهم حاضرا ، وتمنوا لو أنهم كانوا في دنياهم مؤمنين مهتدين لما حاق بهم ذلك العذاب .

٦٥ - واذكر - أيها الرسول - كذلك يوم ينادي المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ ، فيقال لهم : بأي شيء أجبتهم رسل الذين أرسلتهم لدعوتكم إلى الإيمان ببلغوكم الرسالة ؟

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضْيَاءٍ أَوْ أَفْلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَا تَبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

٦٦ - فصارت الأخبار غائبة عنهم لا يهتدون إليها ، كأنهم في عمى ، ولم يرجع بعضهم إلى بعض في ذلك لتساوهم في العجز عن الاجابة .

٦٧ - هذا شأن المشركين ، فأما من تاب من الشرك ، وآمن إيماناً صادقاً وعمل الصالحات ، فهو يرجو أن يكون عند الله من الفائزين برضوان الله وبالنعيم الدائم المستمر .

٦٨ - وربك يخلق ما يشاء بقدرته ، ويختار بحكمته من يشاء للرسالة والطاعة على مقتضى علمه باستعدادهم لذلك ، ولم يكن في مقدور الخلق ولا من حقهم أن يختاروا على الله ما يشاءون من أديان باطلة وآلهة زائفة ، تنزه الله - تعالى شأنه - عن الشركاء .

٦٩ - وربك - أيها الرسول - محيط علمه بما تخفيه صدور المشركين من عداوتهم لك ، وما يعلنون بألسنتهم من المطاعن فيك والاعتراض على اختيارك للرسالة .

٧٠ - وربك - أيها الرسول - هو الله الحق المختص بالألوهية ، المستحق - وحده - للحمد من عباده في الدنيا على انعامه وهدايته ، وفي الآخرة على عدله ومثوبته . وهو وحده صاحب الحكم والفصل بين عباده ، وإليه المرجع والمصير .

٧١ - قل - أيها الرسول - : أخبروني أيها الناس ، ان جعل الله عليكم الليل متتابعاً دون نهار إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتاكم بنهار مضى تقومون فيه بمعاشكم وشئون دنياكم ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تسمعون سماع تدبر واعتبار ؟

٧٢ - قل - أيها الرسول - للناس : ان جعل الله عليكم النهار متتابعاً دون الليل إلى يوم القيامة ، فهل لكم إله سوى الله يأتاكم بليل تستريحون فيه من عمل النهار ؟ ليس لكم ذلك ، فلماذا لا تبصرون آيات الله فتؤمنوا وتتهتدوا ؟

٧٣ - ومن رحمة الله بخلقه أن خلق لهم الليل والنهار وجعلها متعاقبين ، ليستريحوا في الليل ، وليسعوا على رزقهم ومنافعهم في النهار ، وليدركوا فضل الله عليهم فيشكروه^(١) .

(١) قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، لاشك في أن خلق الأرض على صورتها الحالية ومركزها بالنسبة إلى الشمس ودورانها حول نفسها كل يوم مرة وحول الشمس في كل سنة شمسية مرة ، لاشك في أن هذا مظهر من مظاهر قدرة الله وحكمته ووحدانيته . والآية الكريمة تنبه الناس إلى حقيقة يجب أن يعرفوها وهي أنه - تعالى - لو خلق الأرض بحيث يكون ليلاً دائماً ، أو بحيث يكون نهارها دائماً ، فليس هناك إله غيره يستطيع أن ينعم عليهم بالنهار والليل المتعاقبين .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَزَعَّنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ * إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ أُولِيَ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَكَثَرُ جَعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ

٧٤ - واذكر كذلك - أيها الرسول - يوم ينادى المشركون من جانب الله تعالى نداء توبيخ ، فيقال لهم : أين الشركاء الذين زعمتموهم آلهة ينصرونكم أو شفعاء يشفعون لكم ؟ !

٧٥ - وأخرجنا يوم القيامة من كل أمة شهيدا هو نبيها . يشهد عليها بما كان منها في الدنيا فنقول حينئذ للمخالفين منهم : ما هي حجتكم فيما كنتم عليه من الشرك والمعصية ؟ فيعجزون عن الجواب ، ويعلمون حينئذ أن الحق لله بداية ونهاية ، وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون على الله .

٧٦ - ذكرت السورة قصة قارون ، وأنه كان من قوم موسى ، فتكبر عليهم غرورا بنفسه وماله ، وقد أعطاه الله كنوزا زاخرة بالأموال ، بلغت مفاتيحها من الكثرة بحيث ينقل حملها على الجبابة الأقوياء من الرجال ، وحين أغتر بنعمة الله عليه وكفر بها نصحه قومه قائلين له : لا تغتر بمالك ، ولا يفتنك الفرح به عن شكر الله ، أن الله لا يرضى عن المغرورين المفتونين ، والعبرة في هذه القصة أن الكافرين بمحمد - ﷺ - قد اغتروا بأموالهم ، فين القرآن أن أموالهم بجانب مال قارون ليس شيئا مذكورا .

٧٧ - واجعل نصيبا مما أعطى لك الله من الغنى والخير في سبيل الله والعمل للدار الآخرة ، ولا تمتنع نفسك نصيبها من التمتع بالحلال في الدنيا ، وأحسن إلى عباد الله مثلما أحسن الله إليك بنعمته ، ولا تفسد في الأرض متجاوزا حدود الله ، أن الله سبحانه لا يرضى عن المفسدين لسوء أعمالهم !

٧٨ - فلم يستجب قارون لنصح قومه ، ونسى فضل الله عليه ، وتجاهل أن الله قد أهلك قبله كثيرين كانوا أكثر منه قدرة على كسب المال وخبرة بوجوه استناره ، والمجرمون لا يسألون عن ذنوبهم لعلمه تعالى بها ، فيدخلون النار بغير حساب وإنما يسألون سؤال توبيخ .

= وذلك أن الأرض لو كانت تدور حول محورها وحول الشمس في فترة واحدة مقدارها ٣٦٥ يوما تقريبا ، لحدثت تغيرات جوهرية منها استمرار الظلام في نصفها واستمرار الضياء في نصفها الآخر تقريبا ، وبهذا ترتفع الحرارة في النصف المضاء ارتفاعا لا يطاق ، ويتجمد النصف المظلم ، ويصير النصفان غير صالحين للحياة ، أما نظام الأرض الحالي فإنه يكفل تعاقب الليل والنهار فينشأ السكون في الليل والسمى في النهار ، ويتبأ الجو الصالح لحياة الإنسان والحيوان والنبات ، وهذا فضل من الله على عباده يستدعى الإقرار بقدرته ودوام شكره .

قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُمْ لَذَوَحٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ
وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانُوا لَهُ مِن فِتْنَةٍ يَنْصَرُونَ ۖ وَمِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآءُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَآءُهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۖ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ

٧٩ - لم يعبأ قارون بنصح قومه، وخرج عليهم في زينته، فاغتر به الذين يحبون متاع الحياة الدنيا، وتمنوا أن يكون لهم مثل ما أعطى قارون من المال والحظ العظيم في الحياة.

٨٠ - أما الذين رزقهم الله العلم النافع فلم يفتنهم ذلك، وتوجهوا بالنصح للمفتونين قائلين لهم: لا تمنوا هذا ولا تنصرفوا عن الدين، فإن ما عند الله من ثواب ونعيم أذكى لمن آمن به وعمل صالحا، وتلك نصيحة حقة لا يتقبلها إلا من يجاهدون أنفسهم ويصبرون على الطاعة.

٨١ - فخسف الله به الأرض فابتلعتة هو وداره بما فيها من أموال وزينة، فلم يكن له أنصار يمنعونه من عذاب الله، ولم يكن يستطيع أن ينتصر لنفسه!

٨٢ - وصار الذين تمنوا منذ وقت قريب منزلته من الدنيا يرددون عبارات التحسر والندم بعد أن فكروا فيما أصابه! ويقولون: إن الله يوسع الرزق على من يشاء من عباده المؤمنين وغير المؤمنين، ويضيق على من يشاء منهم، ويقولون شاكرين: لولا أن الله أحسن إلينا بالهداية إلى الإيمان والعصمة من الزلل لامتننا بإجابة ماتمينا، ولفعل بنا مثل ما فعل بقارون، إن الكافرين بنعمة الله لا يفلحون بالنجاة من عذابه!

٨٣ - تلك الدار التي سمعت خبرها - أيها الرسول - وبلغك وصفها - وهي الجنة - نخص بها المؤمنين الطائعين الذين لا يطلبون الغلبة والتسلط في الدنيا، ولا ينصرفون إلى الفساد بالمعاصي، والعاقبة الحميدة إنما هي للذين تمتلئ قلوبهم خشية من الله فيعملون ما يرضيه!

٨٤ - الذي يأتي بالحسنة - وهي الإيمان والعمل الصالح - له ثواب مضاعف بسببها. والذي يأتي بالسيسة - وهي الكفر والمعصية - فلا يجزى إلا بمثل ما عمل من سوء.

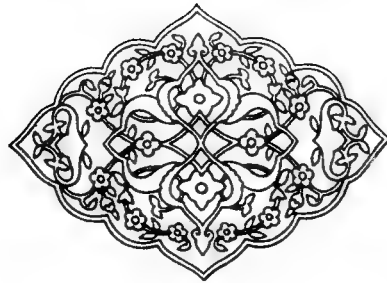
بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلَاقِيَكَ إِلَٰهُكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُتِرْتَ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٨٥ - ان الله الذى أنزل القرآن، وفرض عليك تبليغه والتمسك به لرادك إلى موعد - لا محالة منه - وهو يوم
القيامة ليفصل بينك وبين مكذبيك، قل - أيها الرسول - للكافرين: ربى هو الذى يعلم علما ليس فوقه علم بمن
منحه الهداية والرشاد، ومن هو واقع فى الضلال الذى يدركه كل عاقل سليم الادراك!

٨٦ - وما كنت - أيها الرسول - تأمل وتنتظر أن ينزل عليك القرآن، ولكن الله أنزله عليك من عنده رحمة
بك وبأمتك، فاذكر هذه النعمة، وثابر على تبليغها، ولا تكن أنت ولا من اتبعك عوناً للكافرين على ما يريدون.

٨٧ - ولا يصرفك الكافرون عن تبليغ آيات الله والعمل بها، بعد أن نزل بها الوحي عليك من الله
وأصبحت رسالتك، وثابر على الدعوة إلى دين الله، ولا تكن أنت ولا من اتبعك من أنصار المشركين باعانتهم
على ما يريدون.

٨٨ - ولا تعبد من دون الله الها سواه، إذ ليس هناك إله يعبد بحق غيره، كل ما عدا الله هالك وفان،
والخالد انما هو الله الذى له القضاء النافذ فى الدنيا والآخرة، وإليه لا محالة مصير الخلق أجمعين!



(٢٩) سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِأَتْهَا نُسُجٌ وَسَيُّئُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هذه السورة مكية، وعدد آياتها ٦٩، والآيات من ١ إلى ١١ مدنية، وقد ابتدأت السورة ببيان أنه لا بد من أن يختبر إيمان المؤمنين بالشدائد، والجهاد لصيانة دولة الحق والإيمان، وقد أوصى الإنسان بأبويه مع الأمر بالجهاد، حتى يجمع بين الاحسان والجهاد، وبين أصناف الناس بالنسبة للإيمان، وأن منهم من يقول آمنا بلسانه ولم يذعن قلبه، ثم أشار إلى نوح وجهاده في قومه، وكذلك أشار إلى قصة إبراهيم في دعوته، وبين وجه العبرة للنبي ﷺ، ثم بين جواب قوم إبراهيم، وأشار إلى لوط وقصة قومه، وانزال رسل الله من الملائكة لاهلاكهم، ونجاة أهله إلا امرأته، ثم أشار سبحانه إلى قصة شعيب مع مدين، وإلى هود وعاد، وإلى صالح وثمود، وإلى غرور قارون وفرعون وهامان وعاقبة أمورهم، وبين سبحانه أن عبادة المشركين للأوثان تقوم على حجة هي أضعف من بيت العنكبوت قوة، وأن هذه الأمثال لا يدركها إلا الذين يعملون عقولهم، وأمر الله نبيه بعد ذلك بالآي جادل أهل الكتاب إلا بالهسفي وأشار سبحانه إلى أمية النبي ﷺ وأنها تدل على رسالته. وقد أشار سبحانه إلى تعنت المشركين في طلبهم معجزات حسية سيكفرون بها، كما كفر بها قوم موسى وغيرهم، وأشار إلى استعجالهم العذاب، وقد بين لهم ما يستقبلهم منه، وذكر سبحانه جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة. ووجه الأنظار بعد ذلك إلى الكون ونعم الله تعالى فيه، ثم ذكر قيمة الحياة الدنيا بجوار الآخرة. وحال المشركين في ضعفهم ولجوتهم إلى الله حين يخافون، وفي قوتهم واشراكهم به حين يأمنون، ثم بين نعمته عليهم في البيت الحرام وكفرهم بها، ثم بين فضل المجاهدين.

١ - الم : حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز مؤلف من هذه الحروف التي يحسنون نطقها، ولتنبيه السامعين ولفت أنظارهم إلى الحق.

٢ - أظن الناس أنهم يتركون شأنهم لنطقهم بالشهادتين دون أن يختبروا بما يتبين به حقيقة إيمانهم من المحسن والتكاليف ؟ لا . بل لا بد من امتحانهم بذلك .

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤٠﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤١﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ

٣ - ولقد اختبر الله الأمم السابقة بالتكاليف وألوان النعم والمحن . ليظهر ما سبق في علمه القديم ، ويتميز الصادقون في إيمانهم من الكاذبين .

٤ - أظن الذين يشركون بالله ويعصونه أن يسبقونا في فرارهم من عذاب الله وعقابه ؟ ! بس حكمهم هذا .

٥ - من كان يؤمن بالبعث ويرجو ثواب الله ويخاف عقابه فإيمانه حق . وليبادر إلى العمل الصالح ، فإن اليوم الموعود آت لا محالة ، والله سميع لأقوال العباد عليم بأفعالهم ، وسيجزى كلا بما يستحق .

٦ - ومن جاهد في سبيل اعلاء كلمة الله ، وجاهد نفسه بالصبر على الطاعة ، فإن ثواب جهاده لنفسه ، وأن الله سبحانه لغني عن طاعة العالمين .

٧ - والذين اتصفوا بالإيمان وعملوا الصالحات لنذهب عنهم سيئاتهم ، ونغفر لهم ، ونجزهم أوفى جزاء على أفعالهم الصالحة .

٨ - وأمر الله الانسان أن يبالغ في الاحسان إلى والديه وطاعتهما . وان هلاك على الشرك بالله - وهو ما لا يقره علم ولا عقل - فلا تطعها ، وإلى الله مرجع الخلق كافة فينبئهم بما عملوا في الدنيا ويجزهم به .

٩ - والذين صدقوا بالله ورسالاته وعملوا الصالحات ليدخلنهم الله في الصالحين ، ينالون جزاءهم ويأنسون

جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لِيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ

١٠ - ومن الناس من يقول بلسانه : أمنا ، فإذا أصابه أذى في سبيل الله جزع وفتن عن دينه ، ولم يفكر في عذاب الله يوم القيامة ، فكأنه جعل إيذاء الناس كعذاب الله في الآخرة . . إذا نصر الله المؤمنين على عدوهم فغنموا منهم جاء هؤلاء المتظاهرون بالايان ، وقالوا للمسلمين : انا كنا معكم في الايمان ، فاعطونا نصيبا من الغنيمة لا ينبغي أن يظن هؤلاء أن أمرهم خاف على الله فانه أعلم بما في صدور الناس من نفاق وإيمان .

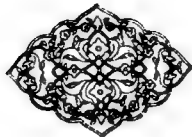
١١ - وليظهرن الله للناس سابق علمه ، فيميز بين المؤمنين والمنافقين ، ويجازى كلا بما عمل .

١٢ - وكان زعماء الشرك يقولون للذين دخلوا في الاسلام مخلصين : كونوا كما كنتم على ديننا ، واتبعوا ما نحن عليه ، وإذا كان هناك بعث وحساب تخشونه فنحن نحمل عنكم أثامكم . لن تحمل نفس وزر نفس أخرى ، ان الكافرين لكاذبون في وعدهم .

١٣ - وسوف يحمل الكفار أوزار أنفسهم الثقيلة ، ويحملون معها مثل أوزار من أضلوههم وصرفوهم عن الحق ، وسيحاسبون حتما يوم القيامة على ما كانوا يختلقون في الدنيا من الأكاذيب ، ويعذبون بها .

١٤ - ولقد بعث الله نوحا إلى قومه يدعوهم إلى التوحيد ، فكث يدعوهم تسعائة وخمسين سنة وهم لا يستجيبون له ، فأغرقهم الله بالطوفان وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر .

١٥ - وحقق الله وعده لنوح ، فأنجاه والمؤمنين الذين ركبوا معه السفينة ، وجعل قصتهم عبرة لمن بعدهم .



ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۚ

١٦ - واذكر - أيها الرسول - قصة إبراهيم حين دعا قومه الى توحيد الله وطاعته ، ونبههم الى أن الايمان خير لهم من الكفر ان كانوا من ذوى العلم والعقل .

١٧ - وقال لهم : أنتم لا تعبدون من دون الله الا تماثيل وأصناما تصنعونها بأيديكم ، وتختلقون الكذب فتسمونها آلهة . وأن هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الله لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع لكم رزقا ، فاتمسوا الرزق من الله وحده ، وخصوه بالعبادة والشكر له على أنعمه ، فإليه مصيركم أجمعين فيجازيكم على أعمالكم .

١٨ - وان تستمروا على تكذيبى فلن تضرونى ، فقد أبلغتكم أن الرسل قبل كذبتهم أهمهم وما ضرهم ، وانما ضروا أنفسهم اذ أهلكهم الله بسبب تكذيبهم ، فليس على الرسول إلا أن يبلغ فى وضوح رسالته الى قومه .

١٩ - قد رأوا وعلموا أن الله يبدئ الخلق ثم يعيده ، فكيف ينكرون البعث فى اليوم الآخر للحساب والجزاء ؟! إن الاعادة على الله أسهل .

٢٠ - قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين : امشوا فى الأرض ، وتأملوا فيها أنشأ الله فيها من مختلف الكائنات ، وانظروا إلى آثار من كان فيها قبلكم بعد أن ماتوا وخلت منهم ديارهم ، واعلموا أن الله بقدرته سيعيد كل ذلك فى الآخرة بالبعث وهو الانشاء الآخر ، وكذلك شأنكم ان الله سبحانه تام القدرة على كل شئ^(١) .

٢١ - يعذب الله من يشاء بعد النشأة الآخرة وهم المنكرون لها ، ويرحم من يشاء وهم المؤمنون المقرون بها ، واليه وحده مرجع الخلق جميعا للحساب والجزاء .

٢٢ - ولستم - أيها المكذبون - بغالين لقدرة الله ، سواء أكنتم فى الأرض أم فى السماء ، بل هى محيطة بكم ، وليس لكم ولى يمنعكم من الله ولا نصير يدفع عنكم عذابه .

(١) « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شئ قدير » : تحت هذه الآية الكريمة الباحثين على السير فى الأرض ليكتشفوا عن كيفية بدء خلق الأشياء من حيوان ونبات وجماد ، فإن آثار الخليقة الأولى منطبعة بين طبقات الأرض وعلى ظهرها وهى لذلك سجل حافل بتاريخ الخليقة منذ بدئها حتى الآن .

أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ * فَتَأْمَنَ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

٢٣ - والذين كفروا بدلائل الله على وحدانيته ، وكذبوا برسله وكتبه ، وأنكروا البعث والحساب . هؤلاء ليس لهم مطمع في رحمة الله وهؤلاء لهم عذاب شديد مؤلم .

٢٤ - لم يكن جواب قوم ابراهيم له - حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان - إلا الامعان في الكفر ، وقول بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه ، فألقوه في النار ، فجعلها الله بردا وسلاما عليه ، وأنجاه منها ، ان في احباط كيدهم وانجائه منها وعدم تأثيرها فيه لدلائل واضحة لقوم يصدقون بتوحيد الله وقدرته .

٢٥ - وقال ابراهيم لقومه : لم تعبدوا إلا آلهة باطلة عبادتها ، ولم ينكر بعضكم على بعض ابقاء لمودة أئمة ارتضيتموها في حياتكم الدنيا ، ثم يتبدل الحال يوم القيامة ، فيتبرأ القادة من الأتباع ، ويلعن الأتباع القادة ، ومصيركم جميعا النار ، وليس لكم ناصر يمنعكم من دخولها .

٢٦ - وكان أول من أجاب دعوة ابراهيم الى الحق لوط فصديق وكان موحدا من قبل ، وقال ابراهيم مطيعا لأمر الله : إني مهاجر الى الجهة التي أمرني ربي بالهجرة اليها والقيام بالدعوة الى الله فيها . وهو العزيز الذي يميني من أعدائي ، الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو خير .

٢٧ - ومن الله على ابراهيم باسحاق ولده ويعقوب حفيده ، وكرمه بأن جعل النبوات في ذريته ، وأنزل عليهم الكتب السماوية ، وجزاه الله أحسن الجزاء في الدنيا ، وهو في الآخرة من خيار الصالحين .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تُرَاكَتُ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وضاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ

٢٨ - واذكر - أيها الرسول - اذ أرسلنا لوطا الى قومه ، فدعاهم الى توحيد الله وطاعته ، وأنكر عليهم العمل الفاحش الذى كانوا يفعلونه ولم يسبقهم الى فعله أحد من خلق الله .

٢٩ - ان ما تفعلونه منكرو مهلك . فانكم تفعلون الفاحشة بالرجال ، وتقطعون سبيل النسل ، فيكون المآل الفناء . وترتكبون في مجتمعاتكم المنكرات دون خوف من الله ولا حياة فيما بينكم . فلم يستمع له قومه ، ولم يكن لهم جواب غير السخرية به ، وطلبوا منه أن يعجل بعذاب الله الذى يهددهم به إن كان صادقا فيما يقول .

٣٠ - فاستعان لوط عليهم باالله ، وطلب أن ينصره على قومه المفسدين فى الأرض .

٣١ - وحين جاءت ملائكة الله الى ابراهيم عليه السلام مبشرين ، قالوا : ان أمرهم باهلاك أهل هذه القرية ، بسبب افسادهم وظلمهم أنفسهم بالشرك وارتكاب الفاحشة .

٣٢ - قال ابراهيم عليه السلام للملائكة : ان فى القرية لوطا ، وكيف تهلكونهم وهو فيهم ، فأجابته الملائكة : بأنهم يعلمون من فيها ، وأنهم ينجون لوطا وأهله من العذاب ، إلا أمراته فانها فى الهالكين لكفرها وإساءتها .

٣٣ - ولما ذهب الملائكة المرسلون الى لوط ورآهم حزن لحضوفه عليهم من عدوان قومه ، وعجزت حيلته فيما يتعلق بمحاييتهم ، فطمأنوه وقالوا له : لا تخشين عدوان قومك علينا ، ولا تحزن من أجلنا ، فقد أتينا لاهلاك أهل هذه القرية ، وسننجيك واهلك ، ولكم امرأتك لكفرها ستكون مع الهالكين .

رَجَا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فصدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعُونَ وَهَمْنًا ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ^ط فَنُفِثَ مِنْ أَرْضِنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبَاحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ^ج وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

٣٤ - وقالت الملائكة : اننا مرسلون لتنفيذ أمر الله بانزال العذاب من السماء على سكان هذه القرية ، بسبب فسقهم وكفرهم .

٣٥ - ولقد أهلك الله هذه القرية ، وترك منها آثارا ظاهرة ، لتكون دليلا على ما فعله الله بهم وعبرة لمن يتدبر .

٣٦ - وأرسل الله الى اهل مدين رسولا منهم وهو شعيب ، دعاهم الى توحيد الله وعبادته والخوف من اليوم الآخر وفعل ما يرجون به ثواب الله فيه . ونهاهم عن السعي في الأرض بالفساد .

٣٧ - فكذبوه وعصوه ، فأهلكهم الله بزلزال شديد دمر عليهم مساكنهم ، ففقدوا فيها صرعى ميتين .

٣٨ - واذكر - أيها الرسول - مصارع عاد وثمود إذ أهلكناهم ، وقد بقيت من مساكنهم آثار ظاهرة ترونها ، وكان هذا الهلاك بسبب ما زين لهم الشيطان من أفعالهم الباطلة فاتبعوه ، فصرفهم عن طريق الحق الذي كانوا يعرفون بواسطة الرسل .

٣٩ - واذكر - أيها الرسول - هؤلاء المغترين بأموالهم وسلطانهم مصرع قارون وفرعون وهامان وما جرى عليهم من سنة الله باهلاك المكذبين ، وقد بعث الله اليهم موسى بالمعجزات الظاهرة الدالة على صدقه ، فكذبوه وأبوا أن يستجيبوا له استكبارا ، وما كانوا غاليين لقدرة الله بالافلات من عذابه .

يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَقُلُّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ * وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

٤٠ - فكل أمة من هذه الأمم المكذبة برسلها أهلكتها الله بسبب كفرها وما ارتكبت من المعصية ، فبعض هذه الأمم أهلكتها الله بالريح العاصفة التي حصبتهم بالحجارة ، وبعضهم هلك بالصيحة المدوية المهلكت ، وبعضهم خسف الله به الأرض ، وبعضهم أغرقه الله في اليم . ولم يكن هذا العذاب ظلما من الله لهم ، بل كان بسبب كفرهم وارتكابهم الذنوب .

٤١ - شأن المبطلين الموالين لغير الله في الضعف والوهن والاعتدال على غير معتمد كشأن العنكبوت في اتخاذها بيتا تحتوى به ، وبيتها أوهى البيوت وأبعد عن الصلاحية للاحتواء ، ولو كان هؤلاء المبطلون أهل علم وفطنة لما فعلوا ذلك (١) .

٤٢ - ان الله سبحانه محيط علما ببطلان عبادة الآلهة ، وهو سبحانه الغالب على كل شيء الحكيم في تديبه وتشريعه .

٤٣ - وهذه العبر والأمثال يذكرها الله للناس للعظة والاعتبار ، وما يعتبر بها الا العقلاء الذين يتدبرون .

٤٤ - وبجانب ما ذكر الله من القصص والأمثال والآيات آية أوضح ، هي خلق السموات والأرض بالقدره والحكمة ، والتدبير الكامل لصالح الناس ، وفي هذا دلائل صادقة لمن يؤمنون بالحق .

٤٥ - اقرأ أيها النبي كتاب الله ، ولا تلتفت إليهم ، وأد الصلاة على وجهها ، لأن الصلاة مع الاخلاص من شأنها أن تصرف من يقيمها عن الذنوب الكبيرة وكل ما ينكره الشرع . ولتقوى الله ومراقبته في الصلاة وغيرها أكبر أثرا وأعظم ثوابا . والله يعلم ما تفعلون من الخير والشر فيجازيكم عليه .

(١) « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون » :

بيوت العنكبوت التي تبنيها لسكنائها . وللقبض على فريستها دقيقة الصنع لأنها مكونة من خيوط على درجة عظيمة من الرقة تفوق رقة الحرير ، وهذا مما يجعل نسيجها أضعف بيت يتخذ أي حيوان مأوى له .

وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَإِلَٰهُنَا إِلَٰهُ الْبُكْرِ وَالْأُنْهَىٰ وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَلَا الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَآرْتَابَ الْمُبِطُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَظِرُونَ ۖ وَأَنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مَدِينًا ۚ وَنَحْنُ بِهِ وَاعِدُونَ ۚ وَالَّذِينَ

٤٦ - ولا تجادلوا مخالفكم من اليهود والنصارى إلا بالطريقة التي هي أهدأ والين وأدعى إلى القبول .
إلا الذين جاوزوا حد الاعتدال في الجدل فلا حرج في مقابلتهم بالشدة ، وقولوا لمن تجادلونهم : صدقنا بما أنزل الله
إلينا من القرآن وما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل ، ومعبودنا ومعبودكم واحد ، ونحن له - وحده - منقادون .

٤٧ - وكما أنزلنا الكتب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك القرآن ، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن
فتدبروه واهتدوا به يؤمنون بهذا القرآن . ومن هؤلاء العرب من يؤمن به وما ينكر آياتنا - بعد ظهورها وزوال
الشبهة عنها - إلا المصرون على الكفر .

٤٨ - وما كنت تقرأ كتاباً من الكتب قبل القرآن ، ولا كنت تكتب بيمينك ، ولو كنت ممن يقرأ ويكتب لشك
أهل الباطل في أنه من عند الله .

٤٩ - ليس هذا الكتاب موضع ارتياب ، بل هو آيات واضحة محفوظة في صدور الذين آتاهم الله العلم ،
وما ينكر آياتنا - بعد العلم بها - إلا الظالمون للحق ولأنفسهم .

٥٠ - وقال الكفار في جدالهم ولجاجهم : هلا أنزل عليه معجزات حسية كالتى نزلت على الرسل من قبل . قل
لهم : إنما المعجزات كلها من عند الله ، ينزلها حين يشاء ، وإنما أنا مكلف بالإنذار الواضح ، لا الإتيان بما تقترحون .

٥١ - أبقرحون هذه الآيات ولا يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يقرأ عليهم - وهو الآية الخالدة على مر
الزمن - إن في إنزال هذا الكتاب عليك لرحمة بهم وبالأجيال من بعدهم ، وتذكراً دائماً نافعة لقوم شأنهم أن يؤمنوا
إذا وضحت لهم سبل الهداية .

ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَٰئِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَقْسِمُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعِبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَٰئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

٥٢ - قل : حسبى وحسبكم أن يكون الله شاهدا على أنى قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فهو مطلع على أمرى وامركم ، لا يخفى عليه شئ فى السموات والأرض . والذين عبدوا غير الله وكفروا بالله فلم يخصوه بالعبادة . أولئك هم الذين اشتروا الكفر بالإيمان فأصابهم الخسران المبين .

٥٣ - ويتحداك الكافرون أن تعجل لهم العذاب الذى حذرته منه ، ولولا أجل معلوم قضت به حكمتنا لعجلنا لهم العذاب الذى استعجلوه ، وأقسم ليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون .

٥٤ - يطلبون اليك تعجيل العذاب وهو واقع بهم لا محالة . وان جهنم لتحيط - يقينا - بالكافرين .

٥٥ - يوم يغمرهم العذاب من أعلاهم دون أسفلهم ، ويقول الملك الموكل بعذابهم : ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات .

٥٦ - يا عبادى الذين صدقوا بى وبرسولى : إن أَرْضِي واسعة لمن أراد أن يفر عن مواطن الشرك . ففروا الى مخلصين لى العبادة .

٥٧ - كل نفس ستذوق طعم الموت - لا محالة - ثم الينا تعودون فتجزون بما قدمتم من خير وشر

٥٨ ، ٥٩ - والذين صدقوا بالله وكتبه ورسله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، نقسم : لننزلنهم من دار النعيم غرفات تجرى من تحتها الأنهار ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، نعم هذا الجزاء أجراً للعاملين الصابرين على كل ما يصيبهم فى سبيل الله من فراق الأوطان والأهل والأموال . المعتمدين على الله - وحده - فى جميع أحوالهم .

٦٠ - وكثير من الدواب التى تعيش معكم فى الأرض لا تستطيع - لضعفها - أن تحمل رزقها وتنقله ، لتأكله أو تدخره . الله يهيى لها أسباب رزقها وحياتها ، ويهيى لكم أسباب رزقكم وحياتكم . وهو المحيط بكل ما خلق سمعا وعلما .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَرَّ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يُسْطِرُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا آمَنُوا وَخُفِّلُوا النَّاسُ

٦١ - وأقسم ان سألت المشركين : من أوجد السموات والأرض ، وذلّل الشمس والقمر وأخضعها لمنافع الناس ؟ ليقولن : خلقهن الله ، ولا يذكرون أحدا سواه ، فكيف اذن يصرفون عن توحيد الله - تعالى - مع اقرارهم بهذا كله ؟ !

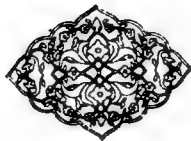
٦٢ - الله يوسع على من يشاء في الرزق ويضيق على من يشاء حسبما يقتضيه علمه بالمصالح فإن الله قد أحاط بكل شيء علما .

٦٣ - وأقسم ان سألتهم : من نزل من السماء ماء ، فجعل منه حياة الأرض بالنبات بعد جديها ؟ ليقولن : الله . قل الحمد لله على اعترافهم بالحق ، بل أكثرهم لا يفهمون مايقعون فيه من تناقض .

٦٤ - وليست هذه الحياة الدنيا الا متاعا محدود الوقت ، يلهو به الغافلون كما يلهو الصبيان ويلعبون وقتا ما ثم ينفضون . وإن الدار الآخرة هي دار الحياة الحقيقية الكاملة الدائمة ، وهذه حقائق ثابتة يدركها هؤلاء لو كان من شأنهم الادراك الصحيح .

٦٥ - هم على ما وصفوا به من الشرك ، فإذا ركبوا السفن في البحر وادركهم شيء من أهواله توجهوا الى الله مخلصين له الدعاء أن يكشف عنهم الضر ، فلما نجاهم الى البر سارعوا بالعودة الى الإشرak .

٦٦ - لينكروا ما أعطيناهم من النعم ، ولينتمتعوا بما يرضى هواهم في هذه الحياة ، فسوف يعلمون عاقبة الكفر حين يشاهدون العذاب الأليم .

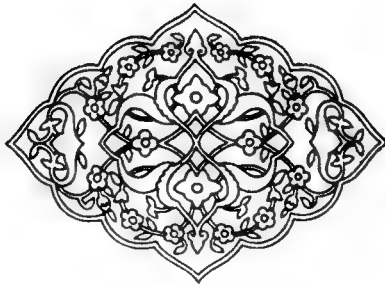


مِنْ حَوْلِهِمْ أَفْئَالٌ بَاطِلٌ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

٦٧ - أعمى كفار مكة عن نعم الله التي أسبغها عليهم ، ولم يروا أننا جعلنا بلدهم مصونا لا ينهب ولا يسلب ، مقدسا لا يسبي أهله ولا يقع فيه قتل ، ويسلب الناس ويسبون من حولهم ؟! أعموا عن هذه النعم فما لا أصل له يصدقون ، وبمحمد وبكل ما جاء به يكذبون ؟!

٦٨ - وليس هناك أحد أشد ظلما ممن نسب الى الله ما لم يشرعه ، أو كذب بالدين الحق حين بلغه ، إن في جهنم لماوى لهؤلاء الظالمين الكافرين .

٦٩ - والذين بذلوا جهدهم ، واعتملوا المشقة في سبيل نصره ديننا ، لنزيدهم هداية الى الخير والحق . وإن الله لمع الذين يحسنون أعمالهم ، يعينهم وينصرهم . والله أعلم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ اللَّهُ الْأَمْرُ

بدأت السورة بذكر هزيمة الروم، ووعد الله للمؤمنين أن ينصرهم على الفرس، ودعت إلى التفكير في خلق الله، والسير في الأرض، ليعرفوا عاقبة الكافرين الذين عمروا الأرض أكثر مما عمرها قريش، وعرضت لحال الناس يوم القيامة، ونوهت بتسبيح المؤمنين لله وعبادتهم إياه في الغداة والعشي والظهرية والأصيل، ونهت إلى دلائل وحدانية الله بتعاقب الليل والنهار واختلاف الألسنة ومظاهر الكون في السموات والأرض، وضربت الأمثال التي تدل على بطلان الشرك، وذكرت الناس بخلق الله لهم ونعمه عليهم، وقوت دعائم الأسرة وأواصر المجتمع، وعينت بالتشريع، فحرمت الربا، وشرعت الزكاة، وحثت على البر بالآقربين.

ثم امتن الله - سبحانه - على عباده - ودعاهم إلى التدين والطاعة، ووجه أنظارهم إلى ما في الكون من عجائب تدل على مبلغ القوة والقدرة، وبين أطوار الانسان إلى أن يبلغ أركل العمر.

وأشارت الآيات الأخيرة إلى يوم القيامة وكفر المشركين به، وختمت السورة بالنصح للرسول - ﷺ - أن يثبت في الحق، ويصبر على ما يلقى، فإن وعد الله آت لا محالة.

١ - بدأت السورة بهذه الآية لبيان أن القرآن مؤلف من هذه الحروف التي ينطق بها العرب في سهولة ووضوح، ولكن المنكرين له عجزوا عن الاتيان بمثله، وهي - كذلك - تنبه الناس إلى الاستماع والانصات. وتحملهم على التصديق برسالة محمد ﷺ.

٢، ٣ - غلبت فارس الروم في أقرب الأرض من العرب، وهي أطراف الشام، وهم بعد انهزامهم سيفليون فارس.

تطبيق الخبراء على الآيات من «١ - ٤» :

في هذه الآيات الشريفة إشارة إلى حديثين : كان أولها قد وقع بالفعل، وأما الثاني فلم يكن قد وقع بعد، وهو اخبار عن الغيب، (وحدد لوقوعه بضع سنين فيما بين الثلاث والسبع).

وتفصيل الحدث الأول أن الفرس والبيزنطيين قد اشتبكوا في معركة في بلاد الشام على أيام خسرو ابرويز أو خسرو الثاني عاهل الفرس المعروف عند العرب بكسرى، وهيراكليوس الصغير الإمبراطور الروماني المعروف عند العرب بهرقل، ففي عام ٦١٤ استولى الفرس =

مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَذِ يَقْرُحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ

٤ ، ٥ - قبل أن تمضي تسع سنوات - وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس ، وقالوا للمسلمين : سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التي هي من أهل الكتاب - قد حقق الله وعده ، فانتصر الروم على فارس في الأجل الذي سماه ، فكان ذلك آية بينة على صدق محمد - ﷺ - في دعواه وصحة ما جاء به ، لله الأمر والقضاء من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء ، ويوم ينتصر الروم على فارس يفرح المؤمنون بنصر الله الذي يؤيد من يشاء ، وهو الغالب على أعدائه ، الرحيم بأوليائه .

٦ - وعد الله المؤمنين وعدا صادقا ، لا يخلف الله وعده ، ولكن الجاحدين ليس من شأنهم العلم بالأمور على وجهها .

٧ - يعلمون شئون ووسائل عمرانها والتمتع بزخارفها ، وهم عن التزود للآخرة مسرفون في الجهل والغفلة .

٨ - أطمس على أعينهم وقلوبهم ولم يتفكروا في أمر أنفسهم ليعرفوا مصيرهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينها من كواكب وغيرها الا مقرونة بالجد ، مصحوبة ومحدودة بوقت تنتهي عنده ، وإن كثيرا من الناس بلبقاء الله وقيام الساعة لجاهلون .

= على أنطاكية أكبر المدن في الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الرومانية . ثم على دمشق ، وحاصروا مدينة بيت المقدس إلى أن سقطت في أيديهم وأحرقوها ونهبوا السكان وأخذوا يذبحونهم ، وقد دمر الحريق كنيسة القيامة واستولى المغيرون على الصليب ونقلوه إلى عاصمتهم ، وقد جزعت نفوس المسيحيين لهذه الكارثة المروعة ولما كانت هذه الهزيمة مبعث سرور للمشركين من أهل مكة وسبب شمتهم بالمسلمين لأن الروم أهل كتاب كأصحاب محمد - ﷺ - والفرس ليسوا أصحاب كتاب كالمشركين ، أنزل الله جل جلاله على محمد هذه الآيات البينات ليشرهم بنصرة أهل الكتاب وفرحتهم ، وهزيمة المشركين وسوء عاقبتهم في فترة من الزمن حددها بيضع سنين .

وتفصيل الحدث الثاني أن هرقل قيصر الروم الذي منى جيشه بالهزيمة لم يفقد الأمل في النصر ولهذا أخذ يعد نفسه لمعركة تمحو عار هزيمته ، حتى إذا كان العام ٦٢٢ الميلادي « أي العام الهجري الأول » أرغم الفرس على خوض معركة على أرض أرمينيا وكان النصر حليف الروم ، وهذا النصر فاتحة انتصارات الروم على الفرس . . وهكذا انتصر أهل الكتاب على المشركين فتحقت بشرى القرآن . .

وقمة حدث ثالث يفهم من سياق هذه الآيات الشريفة كانت مبعث فرح المسلمين وهو انتصارهم على مشركي قريش في غزوة بدر التي وقعت في يوم الجمعة ١٧ رمضان من العام الثاني الهجري أي سنة ٦٢٤ ميلادية .

لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عِاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخَيِّ

٩ - ألزموا وطنهم ولم يسيروا في أرجاء الأرض ليشاهدوا كيف كانت نهاية الذين كفروا من قبلهم ؟ كانوا أشد من هؤلاء الكافرين الحاضرين قوة ، وقلبوا وجه الأرض ، ليستخرجوا ما فيها من مياه ومعادن وزروع ، وعمروا الأرض أكثر مما عمرها هؤلاء ، وجاءتهم رسل الله بالمعجزات الواضحات فكفروا ، فأخذهم الله ، لأنه ما كان ليجزيهم ، من غير ذنب ولا لياخذهم قبل تذكيرهم وامهالهم ، ولكن كان هؤلاء لا يظلمون الا أنفسهم .

١٠ - ثم كانت نهاية الذين ارتكبوا أشد الوان الاساءة أن جحدوا آيات الله ، وكانوا يحقرون من شأنها .

١١ - الله - سبحانه وتعالى - ينشئ خلق الناس ابتداء ، ثم يعيد خلقهم بعد موتهم ، ثم اليه - وحده - يعودون للحساب والمجزاء .

١٢ - ويوم تأتي القيامة ييأس الكافرون من الدفاع عن أنفسهم .

١٣ - ولم يوجد لهم من الذين عبدوهم مع الله شفعاء ، وكانوا في الدنيا بسببهم كافرين .

١٤ - ويوم تقوم الساعة - يوم أذتقوم - يذهب كل فريق الى مصيره الأبدي .

١٥ - فأما الذين آمنوا ، وقرنوا إيمانهم بالأعمال الصالحة ، فهم في جنة ذات أشجار وأزهار ، يسرون وينعمون .

١٦ - وأما الذين كفروا ، وأنكروا آياتنا ولقاء البعث والحساب . . فأولئك في العذاب مقيمون لا يغيبون عنه .

١٧ - فزهوا الله عما لا يليق بجلاله وكهاله ، واعبدوه حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح .

١٨ - والله وحده هو الحقيق بالحمد والثناء والشكر من أهل السموات والأرض فاحمدوه واعبدوه في العشي ، وحين تدخلون في الظهيرة .

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ۝١٩ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ۝٢٠
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَاللُّغَةَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
لَا يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ۝٢٣ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٤ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً
مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۝٢٥ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ۝٢٦ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ

١٩ - يخرج الكائن الحى من شئ لا حياة فيه ، ويخرج الشئ الذى لا حياة فيه من الكائن الحى ، ويحيى الأرض بالنبات بعد يبسها ، ومثل هذا الاخراج يخرجكم الله من قبوركم .

٢٠ - ومن الدلائل على كمال قدرته أن خلق أصلكم من تراب لا حياة فيه ، ثم أنتم بشر تتفرقون فى الأرض ، للسعى فى تحصيل ما به بقاؤكم .

٢١ - ومن دلائل رحمته ان خلق لكم - أيها الرجال - زوجات من جنسكم لتألفوهن ، وجعل بينكم وبينهن مودة وتراحما . ان فى ذلك لدلائل لقوم يفكرون فى صنع الله تعالى .

٢٢ - ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته خلق السموات والأرض على هذا النظام البديع ، واختلاف ألسنتكم فى اللغات واللهجات ، وتباين الوانكم فى السواد والبياض وغيرها . ان فى ذلك لدلائل ينتفع بها أهل العلم والفهم .

٢٣ - ومن آياته الدالة على كمال قدرته أن هيا لكم أسباب الراحة بئامكم ، ويسر لكم طلب الرزق ليلا ونهارا من فضله الواسع . ان فى ذلك لدلائل لقوم ينتفعون بما يسمعون .

٢٤ - ومن آياته انه يريكم البرق من خلال السحب ، لتشعروا بالخوف من الصواعق وتطمعوا فى المطر أن ينزل من السماء ، لتحيا به الأرض بعد أن يبست . ان فى ذلك لدلالات لقوم يتدبرون الأمور فيفهمونها على وجهها .

٢٥ - ومن الدلائل على كمال قدرته وحكمته وسعة رحمته أن تقوم السماء والأرض بأمر الله على ما ترون من احكام صنع ودقة تدبير ، ثم إذا دعاكم للبعث تخرجون من القبور مسرعين مستجيبين لدعائه .

٢٦ - لله - سبحانه - كل من فى السموات والأرض خلقا وملكا وخضوعا ، كلهم لله متقادون .

ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْتَكُمْ فَآتَتْكُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتَكُمْ أَنفُسُكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَضَعُ لِفِئْتِكُمُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللَّهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَنقَضَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ۖ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ

٢٧ - والله - سبحانه - الذى يبدأ الخلق على غير مثال ، ثم يعيده بعد الموت ، واعادته أهون عليه من ابتدائه بالنظر الى مقاييسكم واعتقادكم أن إعادة الشئ أسهل من ابتدائه . والله الوصف السابق العجيب الشأن فى القدرة الكاملة والحكمة التامة فى السموات والأرض ، وهو الغالب فى ملكه ، الحكيم فى فعله وتقديره .

٢٨ - بين الله لكم مثلاً منتزعا من أنفسكم - وقد ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكا من خلقه - هل لكم من عبيدكم شركاء فيما ملكناكم من الأموال وغيرها ؟ فأنتم وهم مستون فيها ، تخافون هؤلاء العبيد ، فلا تنصرفون فى شئ مما تملكون دون اذنهم ، كما يخاف الأحرار بعضهم بعضا ، فإذا كنتم لا تعقلون هذا ولا تفعلونه ، فكيف تجعلون بعض مملوكات الله شركاء له ؟! مثل هذا التفصيل نبين الآيات لقوم يتدبرون فى ضرب الأمثال .

٢٩ - بل اتبع الذين كفروا أهواءهم دون علم بعاقبة كفرهم ، فلا أحد يهتدى من أضل الله ، وليس من يشفع لهم ويدفع عنهم عذابه .

٣٠ - فسدد وجهك ، واتجه الى الدين بعيدا عن ضلاتهم ، والزم خلقه الله الذى خلق الناس عليها ، وهى انهم قابلون للتوحيد ، غير منكربين له ، وما ينبغى أن تغير هذه الخلقة ، ذلك الخلق على التوحيد هو الدين المستقيم ، ولكن المشركين لا يعلمون حقيقة ذلك .

٣١ - كونوا راجعين اليه ! وافعلوا ما أمركم به ، واتركوا ما نهاكم عنه ، وحافظوا على الصلاة ، ولا تكونوا من الذين عبدوا مع الله غيره .

٣٢ - من الذين فرقوا دينهم فاختلفوا فيه ، وصاروا فرقا .. كل فرقة تشايح من تتبعه ، كل فريق منهم بما عندهم مسرورون ، يظنون أنهم على الحق .

٣٣ - وإذا أصاب الناس ضر - من مرض أو شدة - التجأوا الى الله ، ودعوه راجعين اليه ، طالبين كشف الشدة عنهم ، ثم إذا أذاقهم الله خلاصا من الشدة ومنحهم من فضله ، سارع فريق منهم برهم يشركون .

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً فَفَرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِبْهُمْ سَيِّئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَكَاتِذَا أَقْرَبْنِي حَقَّهِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ
السَّبِيلِ ؕ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ
رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

٣٤ - لتكون عاقبة أمرهم أن يكفروا بما آناهم الله من النعم ، فتمتعوا - أيها المجاهدون - كما تشاءون ، فسوف تعرفون عاقبتكم .

٣٥ - أتركناهم في ضلالهم ولم ننفه أعلامهم ، بل أنزلنا عليهم برهانا ، فهو يشهد بالذي كانوا يشركونه مع الله .

٣٦ - وإذا أذقنا الناس نعمة فرحوا بها فرحا يبطرهم ، وإن تصيبهم شدة بسبب ما اقترفوا من ذنوب يسارع اليهم اليأس من الرحمن .

٣٧ - أجهلوا ما يوصل الى الايمان ، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيق على من يشاء ، بحسب ما تقتضيه حكمته ؟ إن في ذلك لدلائل واضحة لقوم يصدقون بالحق .

٣٨ - وإذا كان الله - تعالى - هو الذي يسط الرزق ويقدره ، فأعط القريب حقه من البر والصلة ، والمحتاج والمنقطع به الطريق حقها من الزكاة والصدقة ، ذلك خير للذين يريدون رضا الله ويطلبون ثوابه ، وأولئك هم الفائزون بالنعم المقيم .

٣٩ - وما أعطيتم أكلة الربا من مال ليزيد لكم في أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه ، وما أعطيتهم من صدقة تبتغون بها وجه الله - بدون رياء ولا طمع في مكافأة - فأولئك هم أصحاب الأضعاف من الحسنات .

٤٠ - الله - سبحانه - الذي أوجدكم ، ثم أعطاكم ما تعيشون به ، ثم يميتكم ، ثم يعثكم من قبوركم ، هل هناك من الشركاء الذين تزعمونهم فتعبدونهم من دون الله من يفعل من الخلق والرزق والامانة والاحياء شيئا من تلك الأفعال ، تنزه الله تعالى عما يشركون به .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَنِيمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلَا نَفْسٍ بِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾
 وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ بِآيَاتِهِمْ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا

٤١ - ظهر الحرق والقحط والآفات وكساد التجارة والفرق ، بسبب ما فعله الناس من جرائم وأثام ، ليعاقب الله الناس في الدنيا ببعض أعمالهم لعلهم يرجعون عن المعاصي .

٤٢ - قل - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ - للمشركين : سِيرُوا فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ ، فانظروا كيف كانت نهاية الذين مضوا قبلكم ، فسترون أن الله أهلكهم وخرّب ديارهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين مثلكم .

٤٣ - فسدد وجهك للدين الكامل الاستقامة ، من قبل أن يأتي يوم لا يستطيع احد أن يرده من الله ، يومئذ يتفرق الناس ويختلف حالهم .

٤٤ - من كفر بالله فعليه وبال كفره ، ومن آمن وعمل صالحا فلأنفسهم - وحدها - يسوون طريق النعيم المقيم .

٤٥ - لأن الله يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات على ما قدموا ، ويزيد جزاءهم تفضلا منه ، لأنه يحبهم ، ويبغض الذين كفروا به وأنكروا نعمه .

٤٦ - ومن الدلائل على قدرة الله ورحمته أنه يبعث الرياح مبشرات بالمطر الذي يكون لكم ربا وسقيا ، وليهبكم من فيض احسانه المنافع التي نشأت من المطر ، ولتجري السفن في الماء بأمر الله وقدرته ، ولتطلبوا الرزق من فضله بالتجارة واستغلال ما في البر والبحر ، ولتشكروا الله نعمه بطاعتكم له وعبادتكم إياه .

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ رِجًّا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قِبَلِهِ لُمُسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنَّ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

٤٧ - ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم ، فجاء كل رسول قومه بالحجج الواضحة الدالة على صدقه ، فكذبهم قومه ، فأهلكنا الذين أذنبوا وعصوا . وقد أوجب الله على نفسه أن ينصر عباده المؤمنين .

٤٨ - الله - سبحانه وتعالى - الذي يرسل الرياح ، فتتحرك بقوة دفعها السحاب ، فيبسطه الله في السماء كيف يشاء هنا وهناك في قلة أو كثرة ، ويجعله قطعا ، فتري المطر يخرج من بين السحاب ، فإذا أنزل الله المطر على من يشاء من عباده يسارعون إلى البشر والفرح ^(١) .

٤٩ - وأنهم كانوا قبل أن ينزل بهم المطر لقي يأس وحريرة .

٥٠ - فانظر نظر تفكر وتدبر إلى آثار المطر ، كيف يحيى الله الأرض بالنبات بعد أن كانت هامدة كالميت ، ان الذي قدر على احياء الأرض بعد موتها لقادر على احياء الموتي من الناس ، وهو تام القدرة لا يعجزه شيء .

٥١ - وأقسم : لئن أرسلنا ريحا مضره بالنبات ، فرأوه مصفرا بسببها ، لصاروا من بعد اصفراره يبحدون النعمة ويكفرون بالله .

٥٢ - فلا تحزن من عنادهم وعدم استجابتهم لك ، فأنت لا تستطيع أن تسمع الموتي دعاءك ، ولا أن تسمع الصم نداءك ، إذا زادوا على صممهم ، بأن فروا عنك معرضين .

٥٣ - وهؤلاء كالعمى ، لا غلاقتهم قلوبهم عن الاستجابة للهدى ، وأنت لا تستطيع أن تهدي هؤلاء العمى ، وتصدهم عن كفرهم ، وانما تسمع سماع فهم وقبول من تهبأت قلوبهم لتلقى الإيمان . فهؤلاء ينقادون للحق متى ظهر .

ضَعِيفُ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعِيفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٥٤ - الله الذي خلقكم من نطفة ، فنشأتم ضعافا ، ثم جعل لكم من بعد هذا الضعف قوة ، بنموكم وبلوغكم حد الرشد ، ثم جعل لكم من بعد هذه القوة ضعف الشيخوخة والشيب ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم بتدبير خلقه ، القدير على إيجاد ما يشاء .

٥٥ - ويوم تقوم الساعة يحلف الكافرون أنهم ما لبثوا في الدنيا أو في قبورهم غير ساعة ، ومثل ذلك الصرف كانت تصرفهم الشياطين في الدنيا عن الحق إلى الباطل .

٥٦ - وقال الذين آتاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة والمؤمنين : لقد لبثتم في حكم الله وقضائه إلى يوم البعث ، فهذا يوم البعث الذي أنكرتموه ، ولكنكم كنتم في الدنيا لا تعلمون أنه حق ، لجهالتكم واعراضكم .

٥٧ - فيومئذ يبعث الناس ، لا ينفع الذين كفروا اعتذارهم عن انكارهم وتكذيبهم لرسولهم ، ولا يطلب منهم أحد أن يفعلوا ما يرضى الله ، هوانهم عنده وطردهم من رحمته .

٥٨ - ولقد بينا لهداية الناس في هذا القرآن كل مثل يرشدهم إلى طريق الهدى ، ولئن أتيتهم بآية معجزة ليقولن الذين كفروا - من فرط عنادهم وقسوة قلوبهم - : ما أنت وأتباعك الا مبطلون في دعواكم .

٥٩ - ومثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الذين لا يعلمون التوحيد من الجاهلين .

٦٠ - فاصبر - أيها النبي - على أذاهم ، ان وعد الله بنصرك على أعدائك واطهار الإسلام على كل دين حق لا يتخلف أبدا ، ولا يحملنك على القلق وعدم الصبر الذين لا يؤمنون بالله ورسوله .

(٣١) سُورَةُ لُقْمَانَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن الكتاب وما فيه من هدى ورحمة، ووصفت المحسنين بالطاعة لله والإيمان بالآخرة والحصول على الفلاح، وعقبت ذلك بذكر المضلين المستكبرين، وبشرت المؤمنين بحسن جزائهم في دار النعيم، ولفتت الأنظار إلى الآيات الكونية التي تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيته، وتحدثت الكفار بأن الله الذي أشركوا به خلق ما لا يقدر عليه أحد سواه. وانتقلت إلى وصايا لقمان لابنه، وما اندمج فيها من وصية الإنسان بوالديه، وعرضت لما سخره الله للإنسان، وما أسبغه عليه من النعم الظاهرة والباطنة.

وتحدثت عن مجادلون في الله بغير علم، ويعتذرون عن ضلالهم باتباع ما كان عليه آبائهم، ونهت بشأن من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، ونصحت للرسول ألا يحزنه كفر من كفر، فرجعه إلى الله وفصلت كثيراً من مظاهر القدرة والعظمة والرحمة.

وذكرت أن المشركين إذا سئلوا عنها يعترفون بخلق الله لها، وهم يستمدون من فضل الله، ويلجأون إليه في أزماتهم، ويعدون بالشكر ثم يخلفون.

وأمرت السورة بتقوى الله والخشية من الحساب والجزاء، وحذرت من الفرور وطاعة الشيطان، وختمت بما استأثر الله بعلمه. وأهم ما تناولته السورة ثلاثة أغراض:

الأول: تبشير المحسنين بنعيمهم، وإنذار الكافرين بعذابهم.

الثاني: عرض الآيات الكونية وما فيها من المظاهر التي تشهد بقدرة الله ووحدانيته ومبلغ عظيمته ورحمته.

الثالث: الوصايا العظيمة التي غنيت بسلامة العقيدة، والمحافظة على الطاعة وحسن الخلق.

١ - هذه حروف ابتداء الله بها بعض السور، ليشير بها إلى اعجاز القرآن المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله، ولينبه إلى الاستماع والإنصات، وكان المشركون قد اتفقوا على أن يلفوا فيه ولا يسمعوا.

٢ - هذه الآيات العظيمة آيات القرآن المشتمل على الحكمة والصواب.

٣ - هذه الآيات هداية كاملة ورحمة شاملة لمن يحسنون العمل.

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنِهِ قِرَاءًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

٤ - هم الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه ، ويعطون الزكاة لمستحقها ، وهم بالحياة الآخرة يؤمنون أقوى الإيمان .

٥ - أولئك المؤمنون المحسنون في أعمالهم متمكنون من الهدى الذى جاءهم من ربهم ، وأولئك هم - دون غيرهم - الفائزون حقا .

٦ - ومن الناس من يشتري باطل الحديث ويقصه على الناس ، ليصددهم عن الإسلام والقرآن جهلا منه بما عليه من اثم ، ويتخذ دين الله ووحيه سخرية .. الذين يفعلون ذلك لهم عذاب بينهم وبينهم .

٧ - وإذا تتلى على هذا الضال آيات الله البينات أعرض عنها متكبرا ، وحاله فى ذلك حال من لم يسمع ، كأن فى أذنيه صمما ، فأنذره بأن الله أعد له عذابا شديدا بالإسلام .

٨ - ان الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الطيبة الصالحة لهم جنات النعيم .

٩ - يبقون فيها على وجه الخلود ، وعدمهم الله وعدا لا يتخلف ، والله الغالب على كل شئ ، الحكيم فى أقواله وأفعاله .

١٠ - خلق الله السموات من غير عمد مرئية لكم ، وجعل فى الأرض جبالا ثوابت ، لئلا تضطرب بكم ، ونشر فيها من كل الحيوانات التى تدب وتتحرك ، وأنزلنا من السماء ماء ، فأنبتنا به فى الأرض من كل صنف حسن كثير المنافع (١) .

١١ - هذا مخلوق الله أمامكم ، فأرونى ماذا خلق الذين يجعلونهم آلهة من دونه ، حتى يكونوا شركاء له ؟ بل الظالمون - بإشراكهم - فى ضلال واضح .

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ ۖ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ
بِـِ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ ۖ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ۚ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ
فَإَنْتَبِهُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُنْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ

١٢ - ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والإصابة في القول، وقلنا له : اشكر الله على ما أعطاك من النعم .
ومن يشكر فإنما يبتغي الخير لنفسه ، ومن كفر النعم ولم يشكرها فإن الله غير محتاج إلى شكره ، وهو مستحق
للحمد وان لم يحمده أحد .

١٣ - واذكر اذ قال لابنه وهو يعظه : يا بني ، لا تشرك بالله أحدا ، ان الشرك بالله لظلم عظيم يسوى بين
المستحق وغير المستحق (١) .

١٤ - وأمرنا الإنسان أن يبر والديه ، ويجعل أمه أوفر نصيبا ، حملته يتزايد ضعفها ، ويعظم شيئا فشيئا ،
وفطامه في عامين ، ووصيائه أن اشكر لله ولوالديه ، إليه المرجع للحساب والجزاء .

١٥ - وان حملك والداك - بجهد - على أن تشرك بالله ما لا تعلم أنه يستحق العبادة فلا تطعهما ، وصاحبها في
الدنيا بالبر والصلة والإحسان . واتبع طريق من رجع إلى بالتوحيد والإخلاص ، ثم إلى مرجعكم جميعا ، فأخبركم
بما كنتم تعملون من خير وشر ، لاجازيكم عليه .

(١) عرف العرب بهذا الاسم شخصين أحدهما : لقمان بن عاد وكانوا يعظمون قدره في النباهة والرياسة والعلم والفصاحة والدهاء
وكثيرا ما ذكروا وضربوا به الأمثال كما تبين من المراجع العربية الكثيرة .

أما الآخر : فهو لقمان الحكيم الذي اشتهر بحكمه وأمثاله وسميت سورة في القرآن الكريم باسمه ، وقد كانت حكمة شائعة بين العرب . فقد
ذكر ابن هشام ان سويد بن الصامت قدم مكة وكان شريفا في قومه ، فدعاه رسول الله - ﷺ - إلى الاسلام . فقال سويد : فلعل الذي
معه مثل الذي معي . فقال له الرسول : وما الذي معك ؟ قال مجلة لقمان . فقال الرسول . اعرضها علي . فعرضها عليه ، فقال : ان هذا
الكلام حسن والذي معي أفضل منه قرآن أنزله الله على هو هدى ونور ، وتلا عليه رسول الله القرآن ودعاه إلى الإسلام .
وكذلك ذكر الإمام مالك في الموطأ كثيرا من حكم لقمان . وذكرت بعض كتب التفسير والأدب ألوانا من هذه الحكم .
ثم جمعت أمثال قصصية بعد ذلك في كتاب اسمه أمثال لقمان ، ولكن ضعف أسلوبها وكثرة أغلاطها التحوية والصرفية وعدم ورود كتاب
بهذا الاسم في كتب العرب القديمة يؤكد أنه موضوع في عصر متأخر .

والآراء مضطربة في حقيقة لقمان الحكيم : فهو نوبي من أهل أيلة أو حبشي أو أسود من السودان مصر ، أو عبري وجمهور الذين ذكروه
بجمعهم على أنه لم يكن نبيا ، وقليل منهم ذهبوا إلى أنه كان نبيا ، والذي نستطيع استنباطه مما ذكره أنه لم يكن عربيا ، لأنهم متفقون على
هذا ، وأنه كان رجلا حكيما ولم يكن نبيا . وأنه أدخل على العرب حكمة جديدة تداولوها فيما بعد كما تبين من كثير من المراجع .

أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْتَشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقِصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحَرَّكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ * وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ

١٦ - يا بني : ان الحسنه أو السيئه للإنسان ان تكن - مثلاً - في الصغر كحبة الخردل ، فتكن في أخفى مكان ، كقلب صخرة أو في السموات أو في الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها ، ان الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء ، خبير يعلم حقائق الأشياء كلها .

١٧ - يا بني : حافظ على الصلاة ، وأمر بكل حسن ، وانه عن كل قبيح ، واحتمل ما أصابك من الشدائد ، ان ما أوصى الله به هو من الأمور التي ينبغي الحرص عليها والتمسك بها .

١٨ - ولا تمل خدك للناس تكبراً ، ولا تمتش في الأرض معجباً بنفسك ، ان الله لا يحب كل مختال يعدد مناقبه .

١٩ - وتوسط في مشيك بين السرعة والبطء ، واخفض من صوتك ، لأن أقيح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير ، أوله زفير مما يكره ، وآخره شهيق مما يستقبح .

٢٠ - قد رأيتم أن الله ذلل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم وغيرها ، وما في الأرض من الأنهار والبحار والدواب ، واتم عليكم نعمه ظاهرة لكم ومستورة عنكم ، ومن الناس من يجادل في ذات الله وصفاته بلا دليل ولا رشاد مأثور عن نبي ولا وحى بضئ طريق الحق .

٢١ - وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله من الحق والهدى قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى ضلال يدخلهم عذاب السعير .

إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۖ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَتَمَّافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرِ يَمْدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةً ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ

٢٢ - ومن يتجه إلى الله بقلبه ووجهه ، ويفوض إليه جميع أمره ، وهو محسن في عمله فقد تعلق بأقوى الأسباب التي توصله إلى رضا الله ، وإليه - سبحانه - مصير الأمور كلها .

٢٣ - ومن لم يجعل ذاته ونفسه خالصة لله فلا يحزنك جحوده واعراضه ، إلينا وحدنا - مرجع هؤلاء يوم القيامة ، فنعرض عليهم أعمالهم ، لأننا نحيط علما بدخائل النفوس فكيف بظواهر الأعمال .

٢٤ - نمتعهم زمنا قليلا في دنياهم ، ثم نلجئهم إلى عذاب شديد لا يحتمل .

٢٥ - وأقسم لك - أيها النبي - ان سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن : هو الله . قل : الحمد لله الذي أوجد من دلائل وحدانيته ما يهدم ما هم عليه من إشراك غيره معه في العبادة . ولكن أكثرهم لا يعلمون أنهم بإقرارهم هذا قد أقاموا المحجة على أنفسهم بفساد عقيدتهم .

٢٦ - لله ما في السموات والأرض خلقا واقتدارا وتديرا ، فكيف يتركون عبادته ؟ وان الله - سبحانه - هو الغني عن خلقه وعن عبادتهم له ، المحمود بذاته ، المدبر بالثناء عليه من عباده .

٢٧ - ولو تحولت كل أشجار الأرض أقلاما ، وصارت مياه البحر الكثيرة مدادا تكتب به كلمات الله لفنيت الأقلام ، ونفذ المداد قبل أن تنفذ كلمات الله ، لأن الله عزيز لا يعجزه شيء ، حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ، فلا تنفذ كلماته وحكمته .

٢٨ - ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم بعد الموت أمام قدرة الله الا كخلق نفس واحدة أو بعثها . ان الله سميع لقول المشركين : لا بعث . بصير بأعمالهم فيجازيهم عليها .

يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمْ يَنْجِهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنُهِمُ
مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَارْتَضَ لَهُ
وَلَدَهُ لَا يُولَدُ لَهُ أَحَدٌ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْنَوُوكُمُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْنَوُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ

٢٩ - ألم تنظر - أيها المكلف - نظر اعتبار أن الله ينقص من زمن الليل بقدر ما يزيد من النهار، وينقص من
زمن النهار بقدر ما يزيد في زمن الليل، وذلك الشمس والقمر لمصالحكم وأخضعهما لنظام بديع، فيجري كل منهما
في فلك معين لا يحد عنه، ويستمر كذلك إلى يوم القيامة، وأنه - سبحانه - خير بكل ما تعملون ومجازيكم عليه .
٣٠ - ذلك المذكور من عجائب صنع الله وقدرته، بسبب أن صانعه هو الاله الثابت الالوهية، الجدير -
وحده - بالعبادة، وأن الآلهة التي تعبدونها من دونه باطلة الالوهية، وأن الله - وحده - هو العلي الشأن، الكبير
السلطان .

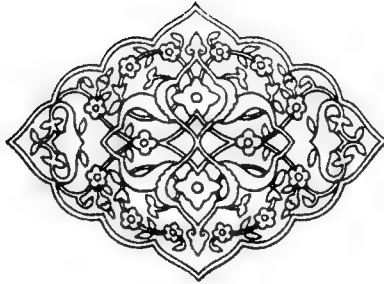
٣١ - ألم تنظر - أيها الإنسان - إلى الفلك تجرى في البحر برحمة الله حاملة على ظهرها ما ينفعكم، ليظهر لكم
بذلك بعض عجائب صنعه، ودلائل قدرته، ان في ذلك آيات لكل صبار على بلائه، شكور لنعمائه .

٣٢ - هؤلاء المجاهدون بالله إذا ركبوا في السفن، واضطرب بهم البحر، وارتفعت أمواجه حتى بدت كأنها
تظللهم، وظنوا أنهم غارقون - لا محالة - ولجأوا إلى الله، يدعونه في اخلاص وخضوع أن ينجيهم، فلما نجاهم إلى
البر كان منهم قليل تذكر عهده، واعتدل في عمله، ومنهم، كثير نسي فضل ربه، وظل على جحوده به، ولا ينكر
فضل ربه عليه واحسانه إليه الا كل انسان شديد الغدر، مسرف في الكفر بربه .

٣٣ - يا أيها الناس : افعلوا ما أمركم ربكم به، واتركوا ما نهاكم عنه، واحذروا عذابه يوم القيامة، يوم
لا يغني والد فيه عن ولده شيئاً، ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً، ان هذا اليوم وعد الله به، ووعدته حق
لا يتخلف، فلا تلهينكم زخارف الدنيا وزينتها عن الاستعداد له، ولا تتخذعنكم وساوس الشيطان، فتصرفكم عن
الله وطاعته .

عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

٣٤ - ان الله يثبت عنده علم الساعة ، فلا يعلمها أحد سواه ، وينزل المطر في موعده الذي ضربه له ، ويعلم ما في الأرحام من ذكورة وأنوثة وقام ونقصان . وما تعلم نفس بارة أو فاجرة ما تكسبه في غدها من خير أو شر ، وما تعلم نفس ببقعة الأرض التي فيها ينتقضى أجلها ، لأن الله تام العلم والخبرة لكل شيء ، ولا يظهر على غيبه أحدا .



(٣٢) سُورَةُ السَّجْدَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِئَانَهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ

نزلت بعد سورة المؤمنون ، وتضمنت الحديث عن تنزيل الكتاب ومهمة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وخلق السموات والأرض ، وشأنه - تعالى - في التدبير ، وأطوار خلق الإنسان ، ومقالة منكري البعث والرد عليهم ، وحال المجرمين يوم الحساب ، وموقف المؤمنين عند التذكير بالآيات ، وبيان الجزاء للمؤمنين والفساقين ، وانزال التوراة على موسى - عليه الصلاة والسلام - ومعاملة الله - تعالى - لبني إسرائيل ، وتوجيه كفار مكة إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم ، ولفت أنظارهم ، ليؤمنوا بالبعث ، وسخريتهم من يوم الفتح ، والرد عليهم .

وأهم أهداف هذه السورة : لفت الأنظار إلى الآيات الكونية ، والحديث عن البعث ، والرد على منكريه ، وتوجيه الكفار إلى الاعتبار بهلاك من سبقهم .

١ - ألم : حروف صيغ منها القرآن ، كما صيغ منها كلامكم ، فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كان عجزكم دليلاً على أنه من عند الله ، ولم يقله بشر .

٢ - تنزيل القرآن من الله رب العالمين ومدير أمورهم ، لاشك في كونه منزلاً منه .

٣ - بل يقولون : اختلقه محمد ، ونسبه لله ، ما كان لهم أن يقولوا هذا ، بل هو الحق المنزل عليك من ربك ، لتخوف به قوما لم يأتهم من رسول من قبلك ، ترجو بذلك الإنذار هدايتهم واذعائهم للحق .

٤ - الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش استواء يليق به ، ما لكم من دون الله ناصر ينصركم ، ولا شفيع يشفع لكم ، أتجادون في الكفر والعناد فلا تتعظون بمواعظ الله ؟ .

إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرَجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾
وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ * قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسَ أُرُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا
فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ۖ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

٥ - يدبر شئون الخلق من السماء إلى الأرض ، ثم يصعد إليه أمرها في يوم مقدر بألف سنة من سنى الدنيا التي تعدونها .

٦ - ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالم ما غاب عن الخلق وما شاهده ، الغالب أمره ، الواسع الرحمة .

٧ - الذى أتقن كل شيء خلقه ، بحسب ما تقتضيه حكمته ، وبدأ خلق الإنسان الأول من طين .

٨ - ثم جعل ذريته - بعد ذلك - متخلقة من ماء قليل ضعيف لا يؤبه له في العادة (١) .

٩ - ثم قومه ووضع فيه من سره الذى اختص به ، وجعل لكم السمع والأبصار والعقول لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ، ما تشكرون الا شكرا قليلا .

١٠ - وقال المنكرون للبعث ، انذا صرنا ترابا مختلطاً بتراب الأرض لا يتميز عنه . اننا لنعود في خلق جديد ، انهم لا ينكرون البعث - وحده - بل هم بجميع ما يكون في الآخرة مكذبون .

١١ - قل : يتوفاكم ملك الموت الموكل بقبض أرواحكم عند انتهاء آجالكم ، ثم إلى الله - وحده - تعودون .

١٢ - ولو أتيج لك أن ترى المجرمين في موقف الحساب لرأيت عجا ، اذ المجرمون المستكبرون منكسو الرؤوس خزيا من ربهم . يقولون في ذلة : ربنا أبصرنا ما كنا نتعاصى عنه ، وسمعنا ما كنا نتصامم عنه ، فأرجعنا إلى الدنيا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمله ، انا موقنون - الآن بالحق الذى جاء به رسلك .

(١) في هذه الآية الكريمة « من ماء مهين » المهين من الرجال : الضعيف . والمهين : القليل . وقوله تعالى : من ماء مهين . أى من ماء قليل ضعيف . ومثله قوله تعالى : « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين » . ومهن الإبل يهينها مهنة حلبها . فلا مانع من أن تفسر كلمة مهين في الآية بأنه ماء منصب أو دافق أو مقنوف أو قليل .

مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰئِ زُلَاجِمًا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ

١٣ - ولو شئنا لأعطينا كل نفس هداها، ولكن سبق القول مني : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ، لعلنا أن أكثرهم سيختارون الضلالة دون الهدى .

١٤ - فذوقوا العذاب بما غفتم عن لقاء يومكم هذا ، انا تركناكم في العذاب كالمنسين ، وذوقوا العذاب الدائم الذى لا انقطاع له ، بسبب كفركم ومعاصيكم .

١٥ - انما يصدق بآياتنا الذين إذا وعظوا بها وقعوا لله ساجدين ، ونزهوا ربهم عن كل نقص ، مثني عليه بكل كمال ، وهم لا يستكبرون عن الانقياد لهذه الآيات .

١٦ - تتنحى جنوبهم عن مضاجعها ، يدعون ربهم خوفا من سخطه ، طمعا في رحمته ومن المال الذى رزقناهم به ينفقون في وجوه الخير .

١٧ - فلا تعلم نفس مقدار ما أعد الله وأخفاه هؤلاء من النعيم العظيم ، الذى تقر به عيونهم ، جزاء بما كانوا يكسبون من الطاعة والأعمال .

١٨ - أيستوى الناس في جزائهم وقد اختلفوا في أعمالهم ؟ فن كان مؤمنا بالله كمن كان كافرا به ، عاصيا له ؟ لا يستون ؟ .

١٩ - أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى التى فيها مساكنهم ، كرامة لهم بما كانوا يعملون .

٢٠ - وأما الذين خرجوا عن طاعة الله بكفرهم فقامهم الذى أعد لهم النار ، كلما حاولوا الخروج منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم : ذوقوا عذاب النار الذى كنتم في الدنيا تصرون على التكذيب به .

٢١ - ونقسم : لنذيقنهم في الدنيا عذاب الخلدان قبل أن يصلوا إلى العذاب الأكبر ، وهو الخلود في النار ، لعل المعذنين بالعذاب الأدنى يتوبون عن الكفر .

مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِعَايِلَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَرَّ أَهْلِكًا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

٢٢ - ولا أحد أشد ظلماً للحق ولنفسه من انسان ذكر بآيات الله وحججه البينات ثم انصرف عن الايمان بها مع وضوحها ، اننا من كل مجرم سننتقم .

٢٣ - ولقد آتينا موسى التوراة ، فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب ، وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هاديا لبني اسرائيل .

٢٤ - وجعلنا من بنى اسرائيل أمة في الدين ، يقومون بهداية الناس ، استجابة لأمرنا حين صبروا على العمل بما في التوراة ، وكانوا بآياتنا يصدقون أقوى التصديق .

٢٥ - ان ربك هو - وحده - يقضى بين الأنبياء وأممهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون

٢٦ - أترك الله المكذبين لرسولهم ، ولم يبين لهم أنه أهلك كثيرا من الأمم التي سبقتهم ، وهم يبرون بديارهم ، ويمشون في مساكنهم ؟ ان في ذلك لعظات تبصرهم بالحق ، أصموا فلا يسمعون هذه العظات .

٢٧ - أعموا ولم يروا أنا نجري المطر والأنهار إلى الأرض التي قطع نباتها ، فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم ، يأكلون حبه وثمره ؟ أعموا فلا يبصرون دلائل قدرة الله على احياء الموتى .

٢٨ - ويقول المشركون لك وللمؤمنين : في أى وقت يفتح الله عليكم بالنصر ؟ أخبرونا بوعده ان كنتم صادقين .

٢٩ - قل لهم : يوم القضاء والفصل إذا حل بكم لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ، ولا هم يهلون لحظة عن العذاب الذى يستحقونه .

٣٠ - وإذا كان هذا الاستهزاء دأبهم فأعرض عنهم ، وانتظر صدق ما وعدك ربك فيهم انهم ينتظرون الغلبة عليكم .

سُورَةُ الْاِحْزَابِ مَدَنِيَّةٌ
وَاَيُّهَا نَاشِلَاتُ وَسَبْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيِبُ النَّبِيُّ أَتَى اللَّهَ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ

بدأت ببناء رسول الله - ﷺ - أن يتق الله ويتوكل عليه ، وانتقلت إلى الحديث عن الأدعياء ، ونفت أنهم أبناء لمن تبناهم ، وذكرت ما أوجبه الله لرسوله من المحبة والطاعة ، وأوجبه لأمهات المؤمنين من الاحترام والتوقير ، وعرضت لما أخذ الله على النبيين من العهد في تبليغ الرسالات ، وفصلت غزوة الأحزاب وما كان فيها من خوف واضطراب ، وما تم للمؤمنين من نصر تحقق به وعد الله ، وعينت بذكر الآداب التي ينبغي لنساء النبي - ﷺ - أن يسلكنها ويأخذن أنفسهن بها ، وعادت إلى الحديث عن المتبينين ، وهدمت ما كان معروفا في الجاهلية من حرمة الزوج بحليلة الدعي على من تبناه ، ونوهت بشأن الرسول - ﷺ - وأثنت عليه بما هو أهله ، وأوصت بالمنفعة والسراح الجميل لمن طلقت قبل الدخول ، وخصت الرسول - ﷺ - بأنها أباحت له أن يدخل بين وهبت نفسها له ، وصرحت بأنه لا يحل له النساء بعد التسع ، ثم بينت السورة الكريمة ما يجب على المؤمنين مراعاته في دخولهم بيوت النبي للطعام ، وفي انصرافهم عقبه ، وفي سؤا لهم أزواجه من وراء حجاب ، وطالبت أمهات المؤمنين بأن يدين عليهن من جلايبهن ، وتحدثت عن الساعة وأحوال القيامة ، ونصحت بالتقوى والقول السديد ، وختمت بالحديث عن فرائض الله التي حملها الإنسان ولم تطق حملها السموات والأرض والجبال .

ومن ثم يتبين أن أهم أهدافها : الحديث عن الأدعياء ، وهدم العادة التي سادت من تحريم حلالهم على من تبنوه ، وامتنان الله - تعالى - على المؤمنين بتحقيق ما وعدهم من النصر والغلبة على المشركين ، وتفصيل ما شرعه الله للمؤمنين في دخول بيوت النبي وتحريم أزواجه عليهم ، وتحديد الآداب الخاصة بأمهات المؤمنين .

١ - يأياها النبي : استمر على ما أنت عليه من تقوى الله ، ولا تقبل رأيا من الكافرين والمنافقين ، ان الله محيط علما بكل شيء ، حكيم في أقواله وأفعاله .

٢ - واتبع الوحي الذي ينزل عليك من ربك ، ان الله الذي يوحى إليك خير بدقائق ما تعمل أنت ويعمل الكافرون والمنافقون .

٣ - وفوض جميع أمورك إلى الله ، وكفى بالله حافظا موكولا إليه كل أمر .

فِي جَوْفَةٍ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ اذْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۚ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۚ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ۚ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

٤ - ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل زوجة أحدكم حين يقول لها : أنت على كظهر أمي أما له ، وما جعل الأولاد الذين تتبنوهم أبناء لكم يأخذون حكم الأبناء من النسب . ذلكم - أي جعلكم الادعياء أبناء - قول يصدر من أفواهكم لا حقيقة له . فلا حكم يترتب عليه ، والله يقول الأمر الثابت الحقيق ، ويرشدكم إليه ، وهو - وحده سبحانه - يهدي الناس إلى طريق الصواب .

٥ - انسبوا هؤلاء الأولاد لأبائهم الحقيقيين ، هو أعدل عند الله ، فإن لم تعلموا آباهم المنتسبين بحق إليهم فهم اخوانكم في الدين ونصراؤكم ، ولا اثم عليكم حين نسبتموهم إلى غير آبائهم خطأ ، ولكن الاثم فيما تقصده قلوبكم بعد أن تبين لكم الأمر . والله يغفر لكم خطأكم ، ويقبل توبة متعمدكم .

٦ - النبي محمد أحق ولاية بالمؤمنين ، وأرحم بهم من نفوسهم ، فعليهم أن يحبوه ويطيعوه ، وأزواجه أمهاتهم في التوقير وحرمة الزوج بهن بعده . وذوو القربات أولى من المؤمنين والمهاجرين بأن يتوارثوا فيما بينهم فرضا في القرآن . لكن يجوز أن تقدموا إلى من واليتم في الدين من غير الأقارب معروفا ، فتعطوه - برا وعطفا عليه - أو توصوا له بجزء من مالكم . كان ذلك التوارث بالأرحام في الكتاب مقرا لا يعتريه تبديل .

٧ - واذكر حين أخذنا من النبيين السابقين ميثاقهم - بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم - ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم عهدا عظيم الشأن .

٨ - ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء عما قالوه لقومهم ، وأعد للكافرين بالرسول عذابا أليما .

٩ - يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله وفضله عليكم ، حين جاءكم الأحزاب يوم الخندق فأرسلنا عليهم ريحا عاصفة باردة وملائكة لم تروها ، نشرت الرعب في قلوبهم ، وكان الله بصيرا بأعمالكم وصدق نياتكم ، فتولى الدفاع عنكم .

إِذْ جَاءَ وَكَرَّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِأَلَلِّهِ
الْظُّنُونُ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَعْذِرُونَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ
مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ
الْأَذْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ

١٠ - حين جاء وكم من أعلى الوادي ومن أسفل، وحين مالت الأبصار عن مستوى نظرها، وارتفعت القلوب
إلى منتهى الحلقوم فزعوا واضطرابا، وأنتم في ذلك الوقت العصيب تنهب بكم الظنون في وعد الله كل مذهب (١).

١١ - في ذلك الوقت امتحن المؤمنون بالصبر على الإيمان، واضطربوا بالخوف اضطرابا شديدا.

١٢ - واذكر ما حدث من المنافقين ومرضى القلوب بالريب، حين يقولون: ما وعدنا الله ورسوله الا وعدا
باطلا قصد به التفرير بنا.

١٣ - واذكر حين قالت طائفة من المنافقين وضعاف العزائم: يا أهل المدينة، لا وجه لبقاتكم هنا في معركة
خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم، ويستأذن فريق منهم الرسول في الرجوع إلى المدينة، ويقولون: ان بيوتنا غير
محصنة، ولا بد لنا من الرجوع لحراستها، وما كانت بيوتهم معرضة كما يقولون، وما يريدون الا الفرار من المعركة
بهذا العذر الكاذب.

١٤ - ولو دخلت الأحزاب عليهم المدينة من كل جوانبها، ثم طلب منهم أن يعلنوا رجوعهم عن الإسلام
ويقاتلوا المسلمين لاستجابوا لما طلب منهم، وما انتظروا في ذلك الا وقتا قصيرا

١٥ - ولقد كان هؤلاء الفارون من ميدان القتال عاهدوا الله من قبل هذه الغزوة أن يثبتوا في القتال مع
الرسول ولا يفروا. وكان عهد الله مسئولا من صاحبه، يجب عليه الوفاء به.

١٦ - قل لهم: لن ينفعكم الهرب ان هربتم من الموت أو القتل، وقد حضر أجلكم، وإذا لم يحضر وبقيتم لا
تمتعون في الدنيا الا مدة أعماركم، وهي قليلة.

(١) ليس المراد بهذا التعبير أن الأعداء جاءوا من كل مكان، وإذا رجعنا إلى تفصيلات الواقعة تبين أن المراد بالذين جاءوا من
فوق المسلمين غطفان ومن تابعوها من سكان نجد، لأنهم جاءوا من أعلى الجزيرة شرقا، وتبين لنا أن الذين جاءوا من أسفل المؤمنين
قريش لأنهم قدموا من أسفل الجزيرة غربا.

دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوِائِهِمْ بِأَدُونِ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قُتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مَنِ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

١٧ - قل لهؤلاء المترددين : من ذا الذي يجيركم من الله ان أراد بكم شرا ، أو يمنع الخير عنكم ان أراد بكم رحمة ؟ ولا يجدون لهم من دون الله مجيرا ولا مغيثا .

١٨ - ان الله يعلم المبطلين منكم والذين يقولون لايخوانهم : انفضوا الينا ، ولا يأتون شدة الحرب الا اتيانا قليلا .

١٩ - حرصاء عليكم في الظاهر حيث لا خوف ، فاذا جاء الخوف من قبل العدو أو من قبل الرسول - ﷺ - رأيتهم ينظرون اليك ، تدور أعينهم حائرة ، كحال المغشى عليه من سكرات الموت ، فاذا ذهب الخوف بالفؤا في فكمم وشتمكم بالسنة قاطعة ، بخلاء بكل خير . أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم وان اعلنوا اسلامهم فأبطل الله اعمالهم بإضارهم الكفر ، وكان ذلك الاحباط أمرا هينا على الله (١) .

٢٠ - يظن هؤلاء المنافقون أن جيوش الكفار المتحزبة لا تزال مكانها محاصرة المدينة ، وان يأت الأحزاب كره أخرى يتمن الجبناء ان لو كانوا يعيشون مع الاعراب في البوادي يتسقطون اخباركم ، ولو ظل هؤلاء في معسكرهم ولم يفروا والتحم الجيشان ماقاتلوا معكم الا قليلا للرياء والسمعة .

٢١ - لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة ، لمن كان يرجو رحمة الله ونعيم اليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا في الخوف والرجاء والشدة والرخاء .

٢٢ - ولما رأى المؤمنون الأحزاب المشركين قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله من قبل ، فقد وعدنا بالشدائد ثم النصر ، وصدق الله ورسوله ، وما زادتهم هذه الشدائد الا قوة ايمان بالله وحسن تسليم لقضائه .

(١) تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية لم يكن سبيلها معلوما عند نزول القرآن الكريم ، وهي دوران مقلة العين عند اقتراب الموت وعند الخوف . ومن أسباب ذلك أن شدة الخوف تنهب الوعي فيبطل الإدراك فتختل المراكز العصبية اللاواعية في منطقة مهاد المخ فيصير الحائف شبيها بحالة الذي يغشى عليه من الموت ، إذ تدور مقلة وتوسع حدقته وتثبت على اتساعها حتى يموت .

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَبِذَنِّهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ

٢٣ - من هؤلاء المؤمنين رجال عاهدوا الله على الثبات في القتال مع الرسول ، فوفوا بما عاهدوا ، فهم من نال شرف الاستشهاد ، ومنهم من بق حيا ينتظر أن ينال هذا الشرف ، ومابدلوا عهد الله الذي قطعوه على أنفسهم ، ولا غيروا شيئا منه .

٢٤ - ليجزى الله المؤمنين الصادقين بصدقهم في ايمانهم ووفائهم بعهدهم ، ويعذب المنافقين - ان شاء - أو يوفق المستعد منهم الى التوبة ، ان الله كان غفورا بقبول التوبة ، رحما بالعفو عن المعصية .

٢٥ - ورد الله الكفار المتحزبين على الرسول ممتلئة قلوبهم بالغيط ، لم ينالوا خيرا من نصر أو غنيمة ، وكفى الله المؤمنين مشقة قتالهم بما سلطه عليهم من الريح والملائكة ، وكان الله قويا على تنفيذ ما يريد ، عزيزا لا يقبله غالب .

٢٦ - وأنزل الله الذين عاونوا الأحزاب من أهل الكتاب ، وهم يهود بنى قريظة - من قلاعهم التي يتحصنون بها ، وألقى في قلوبهم الرعب ، فريقتا تقتلون - وهم الرجال - وتأسرون فريقتا آخر وهو النساء والذراري .

٢٧ - وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأها أقدامكم من قبل ، وكان الله - سبحانه - قديرا على تنفيذ كل شيء يريد .

٢٨ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ : قل لأزواجك - ناصحا لهن - : ان كنتم تردن الحياة الدنيا ومتعتها ، فأقبلن أدفع اليكن ما يخفف وحشة الطلاق ، فيكون متعة لكن ، وأطلقكن طلاقا لا اساءة معه .

٢٩ - وان كنتم تؤثرون حب الله ورسوله ونعيم الدار الآخرة ، وترضين بما أنتم فيه من خشونة عيش ، فان الله أعد لأمثالكن من المحسنات في أعمالهن أجرا لا يقدر قدره .

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ خِطْيَاءً فَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣١﴾ وَيَسْأَلُ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۚ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْخَافِضِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ

٣٠ - يانساء النبي : من يفعل منك خطيئة ظاهرة في قبحها يضم الى عذابها عذابان ، حتى تكون ثلاثة بالقياس الى عذاب غيرها ، وكان ذلك التضعيف على الله هينا .

٣١ - ومن يدم منك على الخضوع لله ورسوله ، وتعمل صالحا يعطها الله أجرها مرتين ، وأعدنا لها في الآخرة رزقا جليل القدر .

٣٢ - يانساء النبي : لستن في الفضل والشرف كأحد من النساء ، ان أردتن التقوى فلا تتحدثن بكلام فيه طراوة وتكسر ، فيطمع فيكن من في قلبه فساد ، وليكن قولكن قولا متعارفا غير متكلف .

٣٣ - والزمن بيوتكن ، لا تخرجن الا الحاجة شرع الله الخروج لقضائها ، ولا تظهرن محاسنكن وزينتكن للرجال اذا خرجتن ، كما كانت تفعل أهل الجاهلية الأولى ، وأدين الصلاة كاملة ، وأعطين الزكاة ، وامثلن أمر الله ورسوله ، انما يريد الله بكل ما يأمركن به وينهاكن عنه الشرف والكرامة ، لينهب عنكم الانتم والمعصية - يا أهل بيت النبي - ويظهركم تطهيرا لا يخالطه شبهة .

٣٤ - واحفظن ما يقرأ في بيوتكن من آيات القرآن التي أنزلها الله ، وما ينطق به رسول الله من الحكم السديد . ان الله كان عالما بغوامض الاشياء وحقائقها ، فاحذرن مخالفتها ومعصية رسوله .



وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ

٣٥ - ان المنقادين من الرجال والنساء ، والمصدقين بالله ورسوله والمصدقات . والقائمين بالطاعة والقائمات ، والصادقين في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم والصادقات ، والصابرين على تحمل المشاق في سبيل الله والصابرات والمتواضعين لله والمتواضعات ، والمتصدقين من ما لهم على المحتاجين والمتصدقات ، والصائمين الفرض والنفل والصائمات ، والحافظين فروجهن عما لا يحل والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات ، أعد الله لهم غفرانا لذنوبهم وثوابا عظيما على أعمالهم .

٣٦ - وما ساء لمؤمن ولا لمؤمنة إذا حكم الله ورسوله في أمر من الأمور أن يكون له خيار فيه بعد أن حكم الله ورسوله ، ومن يخالف ما حكم به الله ورسوله فقد بعد عن طريق الصواب بعدا ظاهرا .

٣٧ - واذكر اذ تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بهداية الاسلام ، وأنعمت عليه بالتربية والعق ، أمسك عليك زوجك - زينب بنت جحش - واتق الله فيها ، واصبر على معاشرتها ، وتخفي في نفسك ما الله مظهره من انه سيطلقها وانك ستزوجه ، وتخاف ان يعيرك الناس . والله هو المجدير بان تخافه ولو كان في ذلك مشقة عليك . فلما قضى زيد منها حاجته وطلقها تخلصا من ضيق الحياة معها وزوجناكها ، لتكون قدوة في ابطال هذه العادة الرذولة ، ولا يتحرج المسلمون بعد ذلك من التزوج بزوجات من كانوا يتبنونهم بعد طلاقهن . وكان أمر الله الذي يريده واقعا لا محالة .

٣٨ - ما كان على النبي من اثم في عمل أمره الله به ، سن الله سنته مع الانبياء من قبل الا يحظر عليهم ما أباح لهم ووسع عليهم ، وكان أمر الله قضاء مقضيا وحكما مثبتا .

وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ

٣٩ - الذين يلبثون الى الناس رسالات الله كما أنزلها ، ويخافونه ولا يخافون أحدا سواه ، وكفى أن يكون الله هو الرقيب المحاسب .

٤٠ - ماكان محمد ابا أحد من رجالكم حتى يحرم عليه التزوج من مطلقة ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، عليه ان يؤدي رسالته كما أمره ربه من غير خشية أحد ، وكان الله بكل شيء محيطا علمه .

٤١ ، ٤٢ - يأيها الذين آمنوا : اثنوا على الله بضروب الثناء واكثروا من ذلك ، ونزهوه عن كل مالا يليق به أول النهار وآخره .

٤٣ - وهو الذى يتعهدكم برحمته ولطفه ، وملائكته تطلب المغفرة والهداية لكم ، ليخرجكم الله بذلك من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والطاعة ، وكان الله بالمؤمنين عظيم الرحمة .

٤٤ - تحيتهم من الله يوم يلقونه أمن وسلام لهم ، وهيا لهم على اعمالهم أجرا سخيا يشعروهم بفضله .

٤٥ - يأيها النبي : انا بعثناك الى الناس برسالة الاسلام ، تشهد بالحق ، وتبشر المؤمنين بما يكون لهم من خير وثواب ، وتنذر الكافرين بسوء المصير .

٤٦ - وداعيا الخلق الى الله بأمره ، وسراجا يهدي بنوره الحاضرين فى ظلمات الشك .

٤٧ - وبشر المؤمنين بأن لهم مزيذا كبيرا من الخير فى الدنيا والآخرة .

٤٨ - ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ولا تعبأ بأذاهم ، واجعل الله وكيلك يدفع عنك ضرهم وشرهم وحسبك الله وكيلا يكفيك ويغنيك .

ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُمْ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾
يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي أَتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ
عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا
لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ * تُرْجَى مِنْ نِسَاءِ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى
إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءٍ وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَنِتَّهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ
بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ
بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا

٤٩ - يأياها الذين آمنوا اذا عقدتم على المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تدخلوا بهن ، فليس لكم عليهن
عدة تستوفون عددها ، فأعطوهن شيئا من المال جبرا لحاظرهن ، واخرجوهن من بيوتكم من غير اضرار بهن .

٥٠ - يا أيها النبي : انا أبجنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن ، وأبجنا لك ما ملكت يمينك من الاماء
بما أنعم الله به عليك ، وأحللنا لك الزوج من بنات عمك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي
هاجرن معك ، وأحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك بلا مهر ، وأنت تريد نكاحها وترغب فيها ، خلصت لك
هذه الهبة من دون المؤمنين فلا تحل لهم ، قد علمنا ما فرضناه على المؤمنين في أزواجهم وامانهم من أحكام .
وما رخصنا لك فيه دونهم ، لئلا يكون عليك ضيق فيما شرعناه لك . وكان الله غفورا لذنوب عباده ، رحيا بالتوسعة
عليهم .

٥١ - تؤخر من نساء منهن في القسم ، وتدنى اليك من نساء ، ومن طلب ممن أخرت قسمها فلا مؤاخنة
عليك ، ذلك التفويض الى مشيئتك أقرب الى سرورهن وبعد الحزن عنهن ، ويرضين كلهن بما آتيتهن ، والله يعلم
ما في قلوبكم من السخط أو الرضا بما شرع ، وكان الله عليا بما في الصدور ، حليما لا يعاجل بالعقوبة .

٥٢ - لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تطلقهن لتستبدل بهن من النساء من نساء ، ولو أعجبك حسنهن ،
ولكن الله أحل لك ما ملكه يدك من الاماء ، وكان الله مطلعا على كل شيء ، حاقظا له .

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْشَرُوا وَلَا مُسْتَعْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تَخَفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلُوكَاتِ أَيْمَنَتهُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يَصْطَلُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

٥٣ - يأيا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا في حال اذنه لكم لتناول الطعام ، غير منتظرين وقت ادراكه ، ولكن اذا دعاكم الرسول فادخلوا ، فاذا طعمتم فانصرفوا ، ولا تمكثوا بعد ذلك مستأنسين لحديث بعضكم بعضا ، لان الدخول بدون اذنه واطالة المكث بعد الطعام كان يؤذي النبي فيستحيى أن يطلب اليكم الخروج ، ولكن الله - تعالى - لا يمنعه من الجهر بالحق ما يمنع المخلوقين . واذا سألتهم احدى زوجات النبي - ﷺ - حاجة فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلك أعظم طهارة لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان ، وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تزوجوا نساءه من بعده أبدا ، احتراماً له ولهن ، ان ذلكم كان عند الله ذنباً عظيماً^(١) .

٥٤ - ان تظهروا شيئاً مما يؤذيه أو تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليماً .

٥٥ - لا اثم على نساء النبي الا يحتجبن من آبائهن ولا أبنائهن ولا اخواتهن ولا أبناء اخواتهن ولا اخواتهن ولا النساء المؤمنات ولا العبيد المملوكين لهن ، لشدة الحاجة اليهم في الخدمة ، واتقين الله فيما أمركن به ، فلا تتجاوزن حدوده ، لانه كان بكل شيء عالماً لا تخفى عليه خافية .

٥٦ - ان الله يرحم نبيه ويرضى عنه ، والملائكة يدعون له . يأيا الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

(١) راجع التعليق العلمي على الآيتين ٥٨ ، ٥٩ من سورة النور في شأن آداب الزيارة وحرمة المساجد .

لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَئِلْنَا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ * لَّيْنٌ لِّرَبِّهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ فِيهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلْبِسْنَا

٥٧ - ان الذين يؤذون الله ورسوله بتحديدها والتخريض على الكفر بها طردهم الله في الدنيا والآخرة من رحمته ، واعد لهم عذابا يذل كبرياءهم .

٥٨ - والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب فعلوه ، فقد تحملوا وزر كذبتهم عليهم ، وأتوا ذنبا ظاهر القبح .

٥٩ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ، وذلك اللباس على هذا الحال أولى وأحق بأن يعرفن فلا يتعرض لهن بأذى ، وكان الله غفورا رحما لمن أفلح عن ذنوبه .

٦٠ - أقسم : ان لم يكف المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمشيعون للاخبار الكاذبة في المدينة لنسألك عنهم ، ثم لا يكون لهم بقاء بجوارك فيها الا زمنا قليلا .

٦١ - مستحقين للعنة والطرده ، أينما وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا .

٦٢ - سن الله - تعالى - من قبل فيمن نافقوا الانبياء والمرسلين ، وتمردوا ، أن يقتلوا أينما وجدوا ، ولن تجد لسنة الله تغييرا .

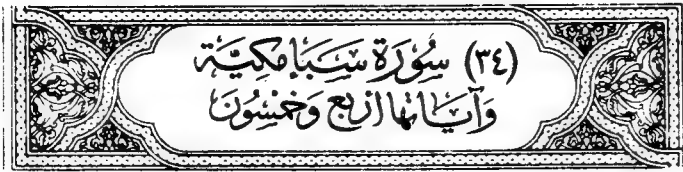
٦٣ - يسألك الناس عن وقت قيام الساعة ، قل هؤلاء : ان علم وقتها عند الله - وحده - وما يدريك لعل وقت قيامها يكون قريبا .

٦٤ - ان الله طرد الكافرين من رحمته ، وأعد لهم نارا شديدة الانتقاد .

٦٥ - لا يخرجون منها أبدا ، لا يجدون لهم من يتكفل بمحبتهم ، ولا من يدفعها عنهم .

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ
 ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ
 بِمَا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴿٧٢﴾ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٣﴾
 لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٤﴾

- ٦٦ - يوم تتقلب وجوههم في النار من حال الى حال ، يقولون - نادمين - : ياليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول .
 ٦٧ - وقالوا : ربنا انا اتبعنا رؤساءنا وكبراءنا في الكفر بك وبرسولك ، فأبعدونا عن الطريق المستقيم .
 ٦٨ - ربنا اجعل عذابهم مضاعفا ، واطردهم من رحمتك طردا كبيرا بمقدار اثمهم وجرمهم .
 ٦٩ - يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا النبي بأى نوع من الاذى ، كالذين آذوا موسى . من قومه ، فبرأه الله مما نسبوه اليه ، وكان موسى عند الله سيدا ذا جاه .
 ٧٠ - يا أيها الذين آمنوا خافوا عقاب الله اذا عصيتموه ، وقولوا قولا مستقيما لا اعوجاج فيه .
 ٧١ - يوفقكم للعمل الصالح ويمح ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد نال الفوز العظيم ، بالنجاة من العقاب والحصول على الثواب .
 ٧٢ - انا عرضنا التكاليف على السموات والارض والجبال فأبين حملها ، وخفن منها ، وحملها الانسان ، انه كان شديد الظلم لنفسه ، جهولا بما يطيق حمله .
 ٧٣ - ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويقبل الله توبة المؤمنين والمؤمنات ، والله كثير المغفرة واسع الرحمة ..



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ

افتتحت هذه السورة باستحقاق الله - وحده - الثناء والمدح على ما أنعم به على عباده فكل ما في السموات والارض له - سبحانه - خلقا وملكا. وتحكى السورة قالة الكافرين في الساعة، واستبعادهم للبعث، ورميهم الرسول بالكذب وبالجنون، ويردهم - سبحانه - الى دلائل قدرته، ويخوفهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بأشباههم، فيخسف بهم الارض، أو يسقط عليهم قطعا من السماء، ويذكرهم بفعله مع أوليائه، فقد ألان الحديد لداود، ومكن سليمان وسخر له الجن، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، وداود وسليمان قد شكرا النعمة، وقليل من عباد الله الشكور، واتبع ذلك بما أنعم الله على سبأ من نعم لم يشكروها، فكان لهم جنتان عن يمين وشمال، فكانت قراهم متقاربة، يسرون اليها آمنين، فأبطرتهم النعمة، وطلبوا بعد الاسفار، فجازاهم الله بما يجازى به المجاهدين لنعمه، وهم قد حققوا ظن ابليس واتبعوه، وما كان له عليهم من سلطان، وانما هو فتنة تميز المؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها. ثم أخذت السورة تصف من جعلوهم آلهة بالعجز، وتذكر أن كل نفس مسئولة عن جرمها، وتثبت عموم رسالة الرسول، وتنقل استبطاء المشركين ليوم الوعيد، وله وقت معلوم.

وتحكى السورة قول الكافرين في القرآن ومحاوراة المستكبرين والضعفاء، وتضع حدا للتفاخر بالاموال والاولاد، وانها لا تقرب الى الله الا بقدر ماتوجه اليه من نفع عام، فهي ملكه، وهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وتعرض صورا للمشركين، فقد قالوا في رسولهم: انه يريد ان يصدهم عما يعبد آباؤهم، وقالوا فيما نزل عليه من آيات: افك مفترى وسحر مبين. وما أوتوا كتبنا من قبل، وما أرسل اليهم قبلك من رسول، وقد أرسلنا الى من قبلهم ممن علموا قوتهم وعزتهم وأخبارهم، فلما لم يستجيبوا أخذناهم بالعذاب. ويؤمر الرسول - ﷺ - أن يوضح مهمته معهم، وانها التذكير دون الالهاء، ويؤمرون بالنظر في صاحبهم، فابنه جنون، ولا هو طالب لمال، ودعوته للناس الى الحق يوحى من الله - تعالى - ليتحقق لهم الامن، فاذا جاءت الساعة وفزعوا ولا مهرب أخذوا من مكان قريب، وقالوا عند ذلك: آمنا. وانى لهم الايمان وقد كفروا من قبل، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأمتائهم، انهم جميعا كانوا في شك من أمر الدين موقع في الريبة.

١ - الثناء كله حق لله - وحده - الذى له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتديرا، وله - وحده - الثناء في الآخرة للملكه الشامل، وهو الحكيم الذى لا يخطئ، الخبير الذى لا يغيب عنه سر.

مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّبِّهِمْ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلٌّ مُّرِقٌ ۚ إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٦﴾

٢ - يعلم كل ما يدخل في أجزاء الأرض كالماء والكنوز والدفائن وأجزاء الموق، وكل ما يخرج منها كالحیوان والنبات والمعادن ومياه الآبار والعيون، ويعلم ما ينزل من السماء كالملائكة والكتب التي يتلقاها الأنبياء والمطر والصواعق وما يصعد فيها ويرقى إليها كالملائكة وأعمال العباد والأرواح، وهو الكثير الرحمة العظيم المغفرة.

٣ - وقال الذين كفروا: لا تأتينا الساعة الموعودة للبعث والنشور. قل لهم - أيها الرسول - : ستأتيتكم، وربى لتأتيتكم، عالم الغيب لا يغيب عن علمه قدر ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا مسطور في كتاب تام البيان^(١).

٤ - ليثبت الله الذين آمنوا وعملوا الخير لأنفسهم وللناس، أولئك المؤمنون العاملون لهم من الله مغفرة تمحو ذنوبهم ورزق واسع لا من فيه.

٥ - والذين أجهدوا أنفسهم في محاربة القرآن، مغالين أمر الله في نصر رسوله، أولئك لهم عذاب من أسوأ العذاب المؤلم.

٦ - ويعلم الذين من الله عليهم بالعلم أن القرآن الذي أنزل اليك من ربك - بما فيه من عقائد وهداية - هو الحق الذي لا مرية فيه وهو الذي يهدي إلى طريق الله الغالب على كل شيء، المستحق لكل ثناء.

٧ - وقال الكفار بعضهم لبعض - استهزاء بخبر البعث - : هل ندلكم على رجل يحدثكم أنكم إذا متم وفرقت أجسامكم كل فريق أنكم لتبعثون في خلق جديد؟!

(١) الذرة في اللغة العربية: شيء صغير جدا كصغار التل أو دقيقة الغبار. ومثقال الذرة، معناه: وزن الذرة وتفيد الآية وجود ما هو أصغر من الذرة، وجددير بالذكر أن العلم الحديث أثبت انقسام الذرة إلى أصغر منها وهي مكوناتها المعروفة بالنواة والكهارب. وهذا لم يتحقق علميا إلا في القرن العشرين الميلادي.

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ تَشَاءُ نَحْشِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ * وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَالُ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلَاحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ غَدُوَهَا شَهْرًا وَرَوَّاحَهَا شَهْرًا وَأَسْلَنَّا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجَنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَمِثْقَلِ ذَرَّةٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

٨ - اختلق هذا الرجل على الله كذبا فيما نسبته اليه من احياء الموتى ، أم به جنون فهو يتكلم بما لا يدري ؟ ليس الامر كما زعموا بل الحقيقة ان الذين لا يؤمنون بالآخرة واقعون في العذاب والضلال البعيد عن الحق .

٩ - أعموا فلم ينظروا الى ما بين أيديهم وما وراءهم من السماء والارض ، ليعلموا قدرتنا على فعل ما نشاء ؟ ان نشاء نخسف بهم الارض خسفناها بهم ، أو ان نشاء نسقط عليهم قطعا من السماء نسحقهم بها أسقطناها ، ان فيما ذكرنا لدليلا لكل عبد راجع الى ربه في كل أمره .

١٠ - والله : لقد أعطينا داود منا فضلا باعطائه الحكمة والكتاب ، وقلنا : يا جبال رددى معه التسبيح اذا سبح ، وسخرنا له الطير ترجع تقديس الله ، وصيرنا له الحديد لينا يشكله كما يشاء (١) .

١١ - أوحينا اليه أن اعمل دروعا واسعة تحمى من بأس الاعداء ، وأحكم نسجها بتداخل حلقاتها ، وقلنا له ولآله : اعملوا ما يعود عليكم وعلى غيركم بالخير والصلاح ، انى بكل ما تعملون بصير لا يغيب عنى شيء منه .

١٢ - وسخرنا لسليمان الريح ، جريها في أول النهار يعدل السير العادى شهرا ، وجريها في آخر النهار يعدل السير شهرا . واسلنا له معدن النحاس يجرى غزيرا مستعرا ، وسخرنا له من الجن من يعمل امامه بتسخير ربه ، ومن ينحرف من الجن عن أمرنا لهم بطاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة .

١٣ - يعملون له ما يريد من مساجد للعبادة وصور مجسمة وقصاع كبيرة كالأحواض واوان للطبخ ثابتات على قواعد لها عظمتها ، وقلنا لآل داود : اعملوا عملا تشكرون به الله شكرا ، وقليل من عبادى من يذكر نعمى فيكثر شكرى .

(١) داود عليه السلام - أحد أنبياء بنى إسرائيل وملوكهم ، عاش في الفترة التي بين سنة ١٠١٠ و ٩٧٠ ق.م .

مَوْتَهُ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ١٤ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ١٦ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ ١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَهْرَهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيًَّ وَأَيَّامًا مَمْلُوءَةً ١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَعَلَّاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ١٩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ٢٠ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢١ وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لَنَعْلَمَ

١٤ - فلما حكمنا على سليمان بالموث ما دل الجن على موته الادابة الارض تأكل منسأته وهو متكى عليها ، فلما سقط علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العذاب الشاق المهين لهم .

١٥ - اقسام : قد كان لأهل سبأ في مسكنهم باليمن آية دالة على قدرتنا . حديقتان يحفان ببلدهم عن يمين وشمال ، قيل لهم : كلوا من رزق ربكم واشكروا نعمه بصرفها في وجوها . بلدتكم بلدة طيبة ذات ظل وثمار ، وربكم كثير المغفرة لمن شكره .

١٦ - فأعرضوا عن شكر النعمة ويطروا معيشتهم ، فأطلقنا عليهم السيل الجارف الذي اعقب تصدع السدود ، فأهلك البساتين ، وبدلناهم بجنتيهم المثمرتين ذواتي ثمر مر ، وشجر لا يشمر ، وشيء من نبق قليل لا غناء فيه (١) .

١٧ - ذلك الجزاء جزيناهم بكفرهم النعمة وعدم شكرها ، وهل نعاقب هذا العقاب الا شديد الكفر بالله وبأفضاله ؟

١٨ - وجعلنا بين مسكنهم باليمن وبين القرى المباركة قرى متقاربة يظهر بعضها لبعض ، وجعلنا نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين من السير لا مشقة معه . وقلنا لهم : سيروا فيها ليلالي وأياما متمتعين بالامن .

١٩ - فقالوا - بطرا بنعمة الراحة والامن - ربنا : باعد بين أسفارنا ، فلا نصادف قرى عامرة في طريقنا الى مقاصدنا ، فباعد الله بين أسفارهم ، وظلموا أنفسهم بطغيانهم ، فصيرناهم أحاديث للناس ، وفرقناهم كل فريق ان فيما وقع لهم لعظات لكل صبار على البلاء . شكور على العطاء .

٢٠ - ولقد حقق إبليس ظنه عليهم ، فاتبعوه الا فريقا قليلا من المؤمنين .

(١) سيل العرم أو سد مأرب . هو أعظم سدود اليمن ، وقد استطاع هذا أن يحول مساحة قدرها ثلاثة ميل مربع كانت جرداء قاحلة فأصبحت بعد تدبير المياه غياضا وبساتين . وآية ذلك هاتان الجنتان ، وقد اختلفت اقوال المؤرخين فيمن بناء ، كذلك تعددت الأقوال في أسباب تهديمه .

مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۖ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْسَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْصَتُمْ بِهِمْ شُرَكَاءُ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

٢١ - وما كان لابلis عليهم من قوة يخضعهم بها ، ولكن الله امتحنهم ليطهر من يصدق بالآخرة من هو منها في شك . وربك - أيها النبي - على كل شيء رقيب قائم على كل أمر .

٢٢ - قل - أيها النبي - للمشركين : ادعوا الذين ادعيتهم باطلا انهم شركاء من دون الله ليجلبوا لكم نفعا أو يدفعوا عنكم ضرا ، هم لا يجيبونكم ، لانهم لا يملكون مقدار ذرة في السموات ولا في الارض ، وليس لهم فيها شركة مع الله في خلق أو ملك ، وليس لله من هؤلاء الشركاء المزعومين من يعينه على تدبير شئون خلقه .

٢٣ - ولا تنفع الشفاعة عند الله الا للمستأهلين لمقام الشفاعة ، حتى اذا كشف الفزع عن قلوبهم بالاذن لهم في الشفاعة ، قال بعضهم لبعض - مستبشرين - : ماذا قال ربكم ؟ ! فيجيبون بأنه قال القول الحق باذنه في الشفاعة لمن ارتضى ، وهو - وحده - صاحب العلو والكبرياء ، وبأذن ويمنع من يشاء كما يشاء .

٢٤ - قل - أيها النبي - للمشركين : من يأتيكم برزقكم من السموات والأرض ؟ ! قل لهم - حين لا يجيبون عنادا - : الله وحده هو الذي يرزقكم منها ، واننا معشر المؤمنين أو اياكم معشر المشركين لعل أحد الامرين من الهدى أو الضلال الواضح .

٢٥ - قل لهم - أيها النبي - : لاتسألون عما أذننا ولا نسأل عن أعمالكم .

٢٦ - قل لهم : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يقضى بيننا بالحق ، وهو - سبحانه - المحاكم في كل أمر ، العليم بحقيقة ما كان منا ومنكم .

٢٧ - قل لهم : أروني الذين الحقتم بالله في استحقاق العبادة ، تزعمون شركهم له ، ليس له شريك ، بل هو الله الغالب على كل شيء ، الحكيم في تدبيره وتصريفه .

إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَلَا أَنْتُمْ لَنَا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا أَنْحَنُ صَدَدْنَا عَنْ آهْدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨ - وما أرسلناك - يا محمد - الا للناس جميعا ، بشيرا للمؤمنين بالخير ، ونذيرا للكافرين بالشر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون صدقك وعموم رسالتك .

٢٩ - ويقول الكافرون - استبعادا لليوم الموعود للجزاء - متى هذا الوعد فندخل النار وتدخلون الجنة ان كنتم صادقين في وعدكم به ؟ !

٣٠ - قل لهم أيها النبي : لكم ميعاد يوم عظيم ، لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون .

٣١ - وقال الذين كفروا : لن نصديق بهذا القرآن ولا بالكذب التي تقدمت عليه فيما تأمر به وتدعو اليه . ولو ترى - يا من تمكك الرؤية - وقت وقف الظالمين عند خالقهم ومالك أمرهم لرأيت العجيب في موقفهم ، حين يرد بعضهم الى بعض القول ، يقول المستضعفون للمستعبلين عليهم : لولا أنتم - بتسلطكم علينا - لكنا مؤمنين .

٣٢ - قال المستكبرون للمستضعفين - منكرين قولهم - : أنحن صددناكم عن الهدى بعد مجيئه لكم ؟ ! نصدكم عنه ، بل كنتم مؤثرين الضلالة على الهدى .

٣٣ - وقال المستضعفون للمستكبرين : بل تدبركم ووسوستكم لنا في الليل والنهار أوقعتنا في التهلكة ، حين كنتم تطلبون منا أن نكفر بالله ، ونجعل له شركاء ، وأسر الفريقان الحسرة لما رأوا العذاب واقعا بهم ، فعلموا أن لا فائدة من اظهار هذه الحسرة ، وجعلنا الاغلال في أعناق الذين لم يؤمنوا ، هل يستحق هؤلاء الا جزاء ماكانوا يعملون ؟ !

٣٤ - وما أرسلنا في قرية من رسول يدعوهم الى الحق الا قال المترفون من أهلها : انا بما جئتم به مكذوبون .

٣٥ - وقالوا - متباهين - : نحن أكثر أموالا وأولادا ، وما نحن بمُعَذَّبِينَ في الآخرة .

قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ بِأَكْرَمَ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْإِنِّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا نُسِئَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ءَابَاءُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا أَفْكٌ مُمْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ

٣٦ - قل لهم - أيها النبي - : ان خالق يوسع الرزق لمن يشاء من العاصين والمطيعين ويضيق على من يشاء ، وليس ذلك دليل رضا أو سخطه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣٧ - وليست أموالكم وأولادكم بالزينة التي تقربكم عندنا قربة ، لكن من ثبت له الايمان وعمل صالحا فأولئك لهم الثواب المضاعف بما عملوا ، وهم في أعلى الجنات آمنون .

٣٨ - والذين يسعون في معارضة آياتنا - محاولين ابطالها وتعجيز أنبيائنا عن تبليغها - أولئك في العذاب محضرون لا يفلتون .

٣٩ - قل - أيها النبي - : ان ربى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيق عليه ، وما انفقتم من شيء فهو يعوضه ، وهو - سبحانه - خير الرازقين .

٤٠ - واذكر - أيها النبي - يوم يحشرهم الله جميعا ، ثم يقول - سبحانه - للملائكة أمام من كانوا يعبدونهم : أهؤلاء خصوكم بالعبادة دوني ؟ !

٤١ - قالت الملائكة : نزهك - نزهها - عن أن يكون لك شريك - أنت الذى نواله من دونهم ، وهم واهمون في زعمهم أنهم كانوا يعبدوننا ، بل كانوا خاضعين لتأثير الشياطين الذين زينوا لهم الشرك . أكثرهم بهم مصدقون .

٤٢ - فيوم الحشر لا يملك بعضكم لبعض نفع ولا دفع ضرر ، ونقول للظالمين أنفسهم : ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون .

كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ * قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَلِئَمَّا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحِيْ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ

٤٣ - وإذا تتلى على الكفار آياتنا واضحات الدلالة على الحق قال الكافرون : ما هذا الا رجل يريد أن يمنعكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا القرآن الا كذب مخلق ، وقال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم : ما هذا الا سحر واضح .

٤٤ - وما أنزل الله على العرب من كتب سماوية يدرسونها ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يخوفهم عاقبة جحودهم .

٤٥ - وكذب الذين سبقوا من الأمم أنبياءهم ، وما بلغ مشركو قومك عشر ما آتينا هؤلاء السابقين من قوة وتمكين ، فكذبوا رسلى ، فكيف كان انكارى عليهم بعنابى لهم ؟ !

٤٦ - قل لهم : انما أمركم بمخصلة واحدة هى : أن تقوموا - مخلصين لله بعيدين عن التقليد - فى البحث بإخلاص لله ، ومتفرقين اثنين اثنين يتعاونان فى التأمل ، وواحدا واحدا ينظر بعدل وانصاف ، ثم تتفكروا فى أمر صاحبكم - محمد - الذى عاشرقوه وعرفتم سلامة عقله . ما به من جنون حين تصدى لهذا الأمر ، ان هو الا نذير لكم بعذاب شديد مقبل أمامكم .

٤٧ - قل للكفار : أى شئ من أجر طلبته منكم على تبليغ الرسالة فهو لكم ، ما أجرى الذى أنتظره الا على الله ، وهو على كل شئ رقيب مطلع .

٤٨ - قل لهم : ان ربى يرمى بالحق فى وجه الباطل فيمحقه ، وهو علام الغيوب لا يخفى عليه سر .

٤٩ - قل لهم : ظهر الإسلام ، وما يستحق الباطل وسيلة تدفع الحق . وما يعيد وسائله السابقة .

قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِءِ وَأَنْتَ لَهمُ
الْتَّائِشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِءِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾

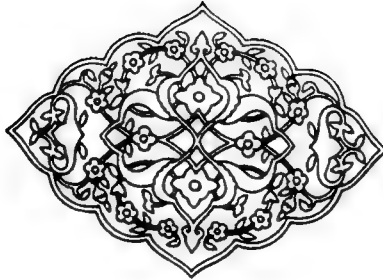
٥٠ - قل لهم : ان انحرفت عن الحق فإنما ضرر ذلك عائد على نفسى ، وان اهتديت فبارشاد ربى ، انه سميع
لقولى وقولكم ، قريب منى ومنكم .

٥١ - ولو ترى - أيها المبصر - حين فزع الكفار عند ظهور الحق فلا مهرب لهم ، وأخذوا إلى النار من مكان
قريب .

٥٢ - وقالوا - عندما شاهدوا العذاب - : آمنا بالحق ، وكيف يكون لهم تناول الإيمان بسهولة من مكان بعيد
عن الدنيا التى انقضى وقتها ؟

٥٣ - وقد كفروا بالحق من قبل هذا اليوم ، ويرجمون بالظن الباطل من مكان بعيد عن الصواب .

٥٤ - وحيل بينهم وبين ما يشتهون من ايمان ينفعهم ، كما فعل بأشياءهم من قبل عندما آمنوا بعد فوات
الوقت ، لأنهم - جميعا - كانوا فى شك من الحق موقع فى التهمة .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ

افتتحت هذه السورة بالثناء على الله خالق السموات والأرض على غير مثال، جاعل الملائكة رسلا إلى عباده ذوى أجنحة عديدة، ما يرسله للناس من فضل لا أحد يمنع، وما يمسه لا أحد يرسله، يدعو الناس إلى ذكر النعمة، إذ لا خالق معه يمدهم بالرزق ولا اله معه يصرفون إليه. وكذب القوم دعوتك، فلك فيمن سبق من الرسل عبرة، ولك فيما وعدنا من رجعة إلينا ما يسليك وواجب على الناس ألا تغرهم الدنيا بزخارفها، ولا يفرهم الشيطان وأمره مقصور على دعوة متابعيه إلى التهلكة، ومن تابعه قاده إلى النار، ولا يستوى من زين له الشيطان سوء عمله ومن تركه، وإذا كان شأن الناس ذلك فلا تأسف على عدم إيمانهم، فمن أرسل السحاب وأحيا به الموات، يحيى الأموات للحساب والجزاء، ومن أراد المنعة اعتر بالله، ومن اعتر بغيره أذله، وأعمال العباد تصعد إليه، فيقبل عمل المؤمنين ويحبط عمل الكافرين. ودليل قدرته على البعث والنشور أنه خلق الناس من تراب ثم من نطفة ثم جعلهم أزواجا، وما تحمل من أنثى ولا تضع ألا بعلمه، خلق العذب والملح، ومن كل تحصل الارزاق، وأدخل الليل في النهار وأدخل النهار في الليل، وسخر الشمس والقمر، كل يجري إلى أجل مسمى، هذا القادر هو الاله الحق. والذين يدعون من دونه لا يملكون، وإذا دعوا لا يسمعون، وإذا سمعوا لا يستجيبون، ويوم القيامة يكفرون بشرك من أشركوهم مع الله، وهو عادل يحمل كل نفس عملها، ويوجه الرسل أن يقصدوا بدعواتهم من يخشون الله، ووظيفة الرسول انذار قومه، وما من أمة الا خلا فيها نذير.

وتعود السورة إلى دلائل القدرة، فالماء تخرج به الثمرات المختلفة، والجبال طرائق بيض وحمر وسود، والناس والدواب مختلف ألوانهم، كل ذلك يحمل على الخشية منه، ومن يتل كتاب الله الذى أورثه من اصطفاه يدخل الجنة يتمتع بما فيها، ومن كفر يدخل النار لا يقضى عليه فيها ولا يخفف عنه من عذابها، يطلب الرجعة إلى الدنيا ليصلح من عمله، وقد أمهل وقتا يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذير. وهو - سبحانه - جعلكم خلائف الأرض، ويمسك السموات والأرض أن تزولا. وقد أقسم المعاندون: لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى ممن سبقوهم، فلما جاءهم استكبروا، فحاق بهم مكرهم، وما قدروا الله حق قدره، ولو يؤاخذ الله أهل الأرض بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة، ولكن يؤخرهم إلى أجل، فإذا جاء فإن الله كان بعباده بصيرا.

مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَقْنِ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

١ - الثناء الجميل حق لله - وحده - موجد السموات والأرض على غير مثال سبق ، جاعل الملائكة رسلا إلى خلقه ذوى أجنحة مختلفة العدد ، اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا . يزيد في الخلق ما يشاء أن يزيد ، لا يعجزه شيء ، ان الله على كل شيء عظيم القدرة .

٢ - ما يرسل الله للناس رحمة - أى رحمة كانت مطرا أو نعمة أو أمنا أو حكمة - فلا أحد يحبسها عنهم ، وما يحبس من ذلك فلا أحد يستطيع أن يطلقه من بعده ، وهو الغالب الذى لا يغلب ، الحكيم الذى لا يخطئ .

٣ - يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بشكرها وتأدية حقها ، وأقروا بما يقع في نفوسكم أنه لا خالق غير الله يرزقكم من السماء بما ترسله والأرض بما تخرجه مما به حياتكم . لا اله الا هو يرزق عباده ، فكيف تصرفون عن توحيد خالقكم ورازقكم إلى الشرك في عبادته ؟ !

٤ - وان يكذبك كفار قومك فيما جئتهم به من الهدى فاصبر عليهم ، فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا حتى انتصروا ، وإلى الله - وحده - ترجع الأمور كلها .

٥ - يا أيها الناس : ان وعد الله - بالبعث والجزاء والنصر - حق ، فلا تخدعنكم الدنيا عن الآخرة ، ولا يخدعنكم الشيطان عن اتباع الرسل ، فيمنيتكم بالمغفرة مع الإصرار على المعصية .

٦ - ان الشيطان لكم عدو قديم فلا تنخدعوا ، بوعوده ، فاتخذوه عدوا ، انما يدعو متابعيه ليكونوا من أصحاب النار المشتعلة لا يدعوهم لغيرها .

٧ - الذين كفروا بالله ورسله لهم عذاب شديد ، والذين آمنوا بالله ورسله وعملوا الصالحات لهم عند الله مغفرة لذنوبهم وأجر كبير على أفعالهم .

٨ - أفقدوا التمييز ، فن زين له الشيطان عمله السيئ فرآه حسنا كمن اهتدى بهدى الله فرأى الحسن حسنا والسيئ سيئا ! فإن الله يضل من يشاء ممن ارتضوا سبيل الضلال سبيلا ، ويهدي من يشاء ممن اختاروا سبيل الهداية سبيلا . فلا تهلك نفسك حزنا على الضالين وحسرة عليهم ، ان الله محيط علمه بما يصنعون من شر ، فيجزئهم به .

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفْرِئُ سَحَابًا فُسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾
 مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۖ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ
 السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۚ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ
 لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

٩ - والله - وحده - هو الذى أرسل الرياح فتتحرك سحباً تراكم من أبخرة الماء ، فسقنا السحاب إلى بلد
 مجذب ، فأحيينا به أرضه بالنبات بعد موتها ، مثل اخراجنا النبات من الأرض نخرج الموقى من القبور يوم
 القيامة (١).

١٠ - من كان يريد الشرف والقوة فليطلبها بطاعة الله ، فإن له القوة كلها ، إليه يعلو الكلم الطيب ، ويرفع
 الله العمل الصالح فيقبله ، والذين يدبرون للمؤمنين المكيدات التى تسوءهم لهم عذاب شديد ، وتديبرهم فاسد ،
 لا يحقق غرضاً ولا ينتج شيئاً .

١١ - والله أوجدكم من تراب ، اذ خلق أبائكم آدم منه ، ثم خلقكم من نطفة هى الماء الذى يصب فى الأرحام ،
 وهى أيضاً من أغذية تخرج من التراب ، ثم جعلكم ذكراً وإناثاً ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها الا بعلمه
 تعالى ، وما يمد فى عمر أحد ولا ينقص من عمره الا مسجل فى كتاب ، ان ذلك على الله سهل هين .

١٢ - وما يستوى البحرين فى علمنا وتقديرنا وان اشتركا فى بعض منافعها ، هذا ماء عذب يقطع العطش
 لشدة عذوبته وحلاوته وسهولة تناوله ، وهذا ملح شديد الملوحة . ومن كل منها تأكلون لحماً طرياً مما تصيدون من
 الأسماك ، وتستخرجون من الماء الملح ما تتخذونه زينة كاللؤلؤ والمرجان . وترى - أيها المشاهد - السفن تجرى فيه
 شاقة الماء بسرعتها ، لتطلبوا شيئاً من فضل الله بالتجارة ، ولعلكم تشكرون لربكم هذه النعم (٢) .

(١) يرجع إلى التعليق العلمى على الآية ٥٧ من سورة الأعراف .

(٢) ومن آيات الله التى دعا الناس إلى تعقلها ومن عليهم بها جريان الفلك ومخورها فى البحر حسب سنته التى سنّها فى الطبيعة وهو
 ما بينه قانون الأجسام الطافية ، وبديهي أن بعض الحلى تستخرج من البحر الملح وقد يستبعد بعض الناس أن تكون المياه العذبة مصدراً
 للحلى أيضاً ولكن العلم والواقع أثبتا غير ذلك أما اللؤلؤ فإنه كما يستخرج من أنواع معينة من البحر يستخرج أيضاً من أنواع معينة
 أخرى صدفيات الأنهار . فتوجد اللؤلؤ فى المياه العذبة فى إنجلترا واسكتلندا وويلز وتشيكوسلوفاكيا واليابان .. إلخ بالإضافة إلى مصائد
 اللؤلؤ البحرية المشهورة . ويدخل فى ذلك ما تحمله المياه العذبة من المعادن العالية الصلابة كالماس الذى يستخرج من رواسب الأنهار
 الجافة المعروفة بالبرقة . ويوجد الياقوت كذلك فى الرواسب النهرية فى موزوك بالقرب من باندالاس فى بورما العليا ، أما فى سيام وفى
 سيلان فيوجد الياقوت غالباً فى الرواسب النهرية . ومن الأحجار شبه الكريمة التى تستعمل فى الزينة حجر التوباز .
 ويوجد فى الرواسب النهرية فى مواقع كثيرة ومنتشرة فى البرازيل وفى روسيا (الأورال وسيبيريا) وهو فلورسيليكات الألمنيوم ويغلب
 أن يكون أصفر أو بني .

الزركون CIRCUM حجر كريم جذاب تتقارب خواصه من خواص الماس ومعظم أنواعه الكريمة تستخرج من الرواسب النهرية .

يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوجِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَخَسَفَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُكُمْ ﴿١٤﴾ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ * يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ
وِازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لَا يَحْمِلَنَّ مِنْهُ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ

١٣ - يدخل الليل في النهار ويدخل النهار في الليل ، بطول ساعات أحدهما وقصرها في الآخر . حسب
أوضاع محكمة مدى الأعوام والدهور ، وسخر الشمس والقمر لمنفعتكم ، كل منها يجري إلى أجل معين ينتهي إليه .
ذلك العظيم الشأن هو الله مدبر أموركم ، له الملك وحده ، والذين تدعون من غيره آلهة تعبدونها ما يملكون من لفافة
نواة ، فكيف يستأهلون العبادة ؟ (١) .

١٤ - ان تدعوا الذين تعبدونهم من دون الله لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا دعاءكم ما أجابوا شيئاً
مما تطلبون ، ويوم القيامة ينكرون اشراككم لهم مع الله ، ولا يخبركم بهذا الخبر من أحوال الآخرة مثل علم به علماً
دقيقاً .

١٥ - يا أيها الناس : أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء ، والله هو الغني - وحده - عن كل خلقه ، المستحق
للحمد على كل حال .

١٦ - ان يشأ الله أهلكم أهلككم تمام قدرته ، ويأت بخلق جديد ترضاه حكته .

١٧ - وما هلاككم والإتيان بغيركم بممتنع على الله .

١٨ - ولا تحمل نفس مذنبية اثم نفس أخرى ، وان تدع نفس مثقلة بالذنوب شخصاً ليحمل عنها ، لا يحمل
هذا الشخص من ذنوبها شيئاً ، ولو كان ذا قرابة بها ، لاشتغال كل بنفسه ، ولا يحزنك - أيها النبي - عناد قومك ،
انما ينفع تحذيرك الذين يخافون ربهم في خلواتهم ، وأقاموا الصلاة على وجهها ، ومن تظهر من دنس الذنوب
فانما يظهر لنفسه ، وإلى الله المرجع في النهاية ، فيعامل كلاهما يستحق (٢) .

(١) تشير الآية الكريمة إلى أن للشمس أجلاً تنتهي بعده وقد تكون هذه هي النهاية على ما قال به علماء الفلك من أن الشمس تحرق
وقودها الذرى وهو مادة الهيدروجين فتتحول إلى هيليوم وقد يكون أجل الشمس بكارثة كونية .
(٢) براجع التعليق العلمى على الآية ٧ من سورة الزمر : ولا تزر وازرة وزر أخرى .

وَالْبَصِيرُ ﴿٢٣﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٤﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢٥﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٣١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۖ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٣٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ۚ كَذَلِكَ ۖ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

١٩ ، ٢٠ ، ٢١ - وما يستوى الذى لا يهتدى الى الحق لجهله ، والذى يسلك طريق الهداية لعلمه ، ولا الباطل ولا الحق ، ولا الظل ولا الريح الحارة .

٢٢ - ولا يستوى الأحياء بقبول الإيمان ولا الأموات الذين عطلت حواسهم وأغلقت قلوبهم عن سماع الحق ، ان الله يهتدى من يشاء إلى سماع الحق بقبول ، وما أنت - أيها النبي - بمسمع أموات القلوب بالعناد والكفر ، كما أنك لا تسمع الموتى في القبور .

٢٣ - ما عليك الا أن تبلغ وتنذر .

٢٤ - انا أرسلناك - أيها النبي - للناس جميعا بالدين الحق ، مبشرا من آمن به بالجنة ، ومنذرا من كفر به بعذاب النار ، وما من أمة من الأمم الماضية الا جاءها من قبل الله من يحذر عاقبه .

٢٥ - وان يكذبك قومك في ذلك فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم ، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحات وبالصحف الربانية وبالكتاب المنير لطريق النجاة في الدنيا والآخرة .

٢٦ - ثم أخذت الذين كفروا أخذا شديدا ، فانظر كيف كان انكارى لعملهم وغضبى عليهم ؟ !

٢٧ - ألم تر - أيها العاقل - أن الله أنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ، منها الأحمر والأصفر والحلو والمر والطيب والخبيث ، ومن الجبال جبال ذوو طرائق وخطوط بيض وحرر مختلفة بالشدّة والضعف وجبال للذنوب من يرجع إليه^(١) .

(١) ليس الإعجاز العلمى فى هذه الآية الكريمة هو التنويه فقط بما للجبال من ألوان مختلفة ترجع إلى اختلاف المواد التى تتألف منها صخورها من حديد يجعل اللون السائد أحمر أو منجنيز أو فحم يجعله أسود أو نحاس يجعله أخضر وغير ذلك . ولكن الإعجاز هو الربط بين إخراج ثمرات مختلفات الألوان يروى شجرها ماء واحد وخلق جبال حر وبيض وسود ويرجع أصلها إلى مادة واحدة متجانسة التركيب أصل معيها من باطن الأرض . ويسمى علماء الجيولوجيا بالصهارة والمagma ، وهذه الصهارة الواحدة عندما تنبثق فى أماكن مختلفة من الأرض وعلى أعماق مختلفة من السطح يعترى تركيبها الاختلاف فتتصلب آخر الأمر فى كتل أو جبال مختلفات المادة والألوان . وهكذا فسنة الله واحدة لأن الأصل واحد والفروع مختلفة متباينة وفى هذا متاع وقائدة لبني الإنسان .

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَى الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَنُفِثَ فِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي

٢٨ - ومن الناس والدواب والابل والبقر والغنم مختلف ألوانه كذلك ، في الشكل والحجم واللون . وما يتدبر هذا الصنع العجيب ويحشى صانعه الا العلماء الذين يدركون أسرار صنعه ، ان الله غالب يخشاه المؤمنون ، غفور كثير المحو لذنوب من يرجع اليه (١) .

٢٩ - ان الذين يتلون كتاب الله ، متدبرين فيه عاملين به ، وأقاموا الصلاة على وجهها الصحيح ، وأنفقوا بعض ما رزقهم الله سرا وجهرا ، يرجون بذلك تجارة مع الله لن تكسد .

٣٠ - ليوفهم ربه أجورهم ويزيدهم من فضله ، بما يربى من حسناتهم ويمحو من سيئاتهم ، انه غفور كثير المحو للهنات ، شكور كثير الشكر للطاعات .

٣١ - والذي أوحينا اليك من القرآن هو الحق الذي لا تحسبه فيه ، أنزلناه مصدقا لما تقدم من الكتب المنزلة على الرسل قبلك ، لاتفاق أصولها ، ان الله بعباده واسع الخبرة والبصر .

٣٢ - ثم جعلنا هذا الكتاب ميراثا للذين اخترناهم من عبادنا ، فنهى ظالم لنفسه بغلبة سيئاته على حسناته ، ومنهم مقتصد لم يسرف في السيئات ولم يكثر من الحسنات ، ومنهم سابق غيره بفعل الخيرات بتيسير الله ، ذلك السبق بالخيرات هو الفوز الكبير من الله .

٣٣ - جزاؤهم في الآخرة جنات اقامة يدخلونها ، يتزنون فيها بأساور من ذهب ولؤلؤا ، وثيابهم في الجنة حرير .

٣٤ - وقالوا وقد دخلوها : الثناء الجميل لله الذي أذهب عنا ما يحزننا ، ان ربنا لكثير المغفرة كثير الشكر .

(١) بعد استعراض تباين القرات والجيال والناس والدواب والأنعام ، وقد يشار إلى أن وراء هذا التباين في تلك الأحوال جميعها وحدة في الأصل : فالقرات من ماء واحد ، والجيال من صهارة واحدة ، وكذلك اختلاف الألوان والناس والدواب والأنعام لا يظهر في النطف التي تنشأ منها ، ولو فحصت بالمجاهر القوة فإنها في مظاهرها لا تشير إلى شيء مما تكنه من أوجه الاختلاف وإنما هي دقائق وأسرار تحتونها في داخلها (جيناتها أو موزياتها) وربما كان هنا إشارة أيضا إلى أن الخصائص الوراثية الكافية في جراثيم النبات والحيوان والإنسان تحافظ على فطرتها ولا تتغير حقيقتها بالبيئة أو الغذاء .

واحق الناس بخشية الله هم العلماء الذين عرفوا أسرار اختلاف هذه الموجودات .

أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أُولَٰئِكَ نُعَذِّبُكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ ۚ وَجَاءَ كُرُّ النَّذِيرِ ۚ فَذُوقُوا ۚ فَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مُقْبًا ۚ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ ۚ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ

٣٥ - الذى أنزلنا دار النعيم المقيم من فضله لا يصيبنا فيها تعب ، ولا يمسننا فيها اعياء .

٣٦ - والذين كفروا جزاؤهم المعد لهم نار جهنم يدخلونها ، لا يقضى عليهم الله بالموت فيموتوا ، ولا يخفف عنهم شيء من عذابها فيستريحوا . كذلك نجزي به كل مهاد في الكفر مصر عليه .

٣٧ - وهم يستغيثون فيها قائلين : ربنا أخرجنا من النار نعمل صالحا غير العمل الذى كنا نعمله في الدنيا ، فيقول لهم ، ألم نمكنكم من العمل ونطل أعماركم زمنا يتمكن فيه من التدبر من يتدبر ، وجاءكم الرسول يحذركم من هذا العذاب ؟ فذوقوا في جهنم جزاء ظلمكم ، فليس للظالمين من ناصر ومعين .

٣٨ - ان الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض ، لا يغيب عن علمه شيء ، ولو أجابكم وأعدادكم الى الدنيا لعدتم إلى ما نهاكم عنه ، انه - تعالى - عليم بخفايا الصدور من النزعات والميول .

٣٩ - الله هو الذى جعل بعضكم يخلف بعضا في تعمير الأرض وتسميرها ، وهو حقيق بالشكر لا بالكفر ، فمن كفر بالله فعليه وزر كفره ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا بغضا وغبضا ، ولا يزيد الكافرين الا خسرانا .

٤٠ - قل - أيها النبي للمشركين : أخبروني : أبصرتكم حال شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله ؟ ! أخبروني : أى جزء خلقوا من الأرض ؟ ! بل ألهم شركة مع الله في خلق السموات ؟ ! لم نعظم كتابا بالشركة فهم على حجة منه ، بل ما يعد الظالمون بعضهم بعضا بشفاعة الآلهة التى يشركونها مع الله الا باطلا وزخرفا لا يخضع إلا ضعاف العقول .

مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أُولَٰئِكَ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٤١ - ان الله هو الذى يمنع اختلال نظام السموات والأرض ، ويحفظها بقدرته من الزوال ولئن قدر لها الزوال ما استطاع أحد أن يحفظها بعد الله ، انه كان حلما لا يعجل بعقوبة المخالفين غفور ذنوب الراجعين إليه (١) .

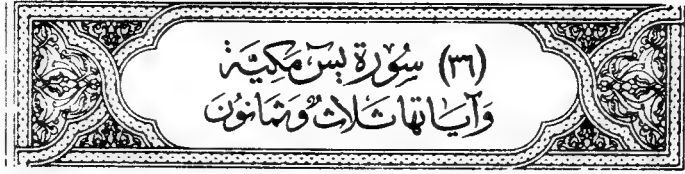
٤٢ - وأقسم الكافرون بالله غاية اجتهادهم فى تأكيد يمينهم : لئن جاءهم رسول ينذرهم ليكون أكثر هداية من احدى الأمم التى كذبت رسلها ، فلما جاءهم رسول منهم ينذرهم ما زادهم بإنذاره ونصحه الا نفورا عن الحق .

٤٣ - نفروا استكبارا فى الأرض وأنفة من الخضوع للرسول والدين الذى جاء به ، ومكروا مكر السوء - وهو الشيطان الذى قادهم إلى الانصراف عن الدين ومحاربة الرسول - ولا يحيط ضرر المكر السوء الا بمن دبروه ، فهل ينتظرون الا ما جرت به سنة الله فى الذين سبقوهم ؟ فلن تجد لطريقة الله فى معاملة الأمم تغييرا بطمع هؤلاء الماكرين فى وضع لم يكن لمن سبقوهم ، ولن تجد لسنة الله تحويلا عن اتجاهها .

٤٤ - أقعدوا وأنكروا وعيد الله للمشركين ، ولم يسيروا فى الأرض فينظروا بأعينهم آثار الهلاك الذى أنزل على من قبلهم عقابا لتكذيبهم الرسل ؟! وكان من قبلهم من الأمم أشد منهم قوة ، فلم تمنعهم قوتهم من عذاب الله ، وما كان ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض ، انه واسع العلم عظيم القدر .

٤٥ - ولو يعاقب الله الناس فى الدنيا لعن العقاب ، وما ترك على ظهر الأرض دابة ، لصدور الذنوب منهم جميعا ، ولكن يؤخر عقابهم إلى زمن معين هو يوم القيامة ، فإذا جاء أجلهم المضروب لهم فسيجازيهم بكل دقة ، لأنه كان بأعمال عباده بصيرا ، لا يخفى عليه شيء منها . والله أعلم .

(١) تقرر هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وحده خالق السموات والأرض ، يسكنها من الزوال ، فالأجرام السماوية القريبة والبعيدة منا تظهر على القبة السماوية متأسكة وطبقا لنظام بديع خلقه الله سبحانه وتعالى وهو ما أودعه إياها من جاذبية فلا تحيد عنه على مر الزمن والأجيال ويحفظها من الاختلال فى التوازن ، والله سبحانه وتعالى هذه القدرة وليست لأحد سواه .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ

افتتحت هذه السورة بحرفين من الحروف التي تتكون منها الكلمات العربية ، وأتبعتهما بالقسم بالقرآن على أن محمدا - ﷺ - من المرسلين ، وأنه على طريق معتدل رسمه القرآن المنزل عليه من العزيز الرحيم ، لينذر به قوما ما أنذر آبائهم من قبل . وأخذت السورة تصور المجاهدين الذين لا ينتفعون بالإنذار ، وتبين أن الإنذار إنما يفيد من اتجه لقبول الذكر وخشى الرحمن ، وأن الله يبعث الموتى ويحصى أعمال العباد . وتسوق السورة مثلا لكفار مكة يكشف عن الصراع بين الداعين إلى الله وبين المكذبين ، مبينة عاقبة الفريقين . ثم أخذت تعرض من أدلة القدرة الموجبة للإيمان والخوف من وعيد الله الذي سيفاجئهم يوم تجزى كل نفس ما عملت . فأصحاب الجنة يتمتعون ، ولهم ما يشتهون ، وأصحاب النار يطردون ، وهم في قبضة القدرة ، تحتم أفواههم ، وتنطق جوارحهم ، ولو شاء الله لغير صورهم ، فهو الذي يبدل من طال عمره في الدنيا بالقوة ضعفا وبالعقل خرفا . وهو الذي عصم نبيه من الخيال والخيال ، فاعلمه الشعر ، وما تنبغى له تلك الصناعة التي يهيم أصحابها في كل واد . ما جاء إلا بالذكر الواضح وليد المنطق لا وليد الخيال . وتتم السورة تذكر فضل الله على عباده ، وأنه سخر لهم الأنعام يملكونها ويركبونها ، ومع هذه النعم المسخرة لمصالحهم يتخذون الأنداد العاجزة ، وتحم السورة بلغت الإنسان إلى خلقه من نطفة ، فإذا هو خصيم بين الخصومة ، ومن له النشأة الأولى ، ومن يخرج من الشجر الأخضر نارا ، ومن خلق السموات والأرض قادر على أن يحیی العظام وهي رميم . وأمره يقول للشيء : كن فيكون ، تنزه مالك كل شيء وإليه ترجعون .

١ - يس : حرفان بدئت بهما السورة على طريقة القرآن في بدء بعض السور بالحروف المقطعة .

٢ - أقسم بالقرآن المشتغل على الحكمة والعلم النافع .

٣ - انك يا محمد لمن الذين بعثهم الله إلى الناس بالهدى ودين الحق .

٤ - على طريق معتدل ، هو دين الإسلام .

الرَّحِيمِ ⑤ لِنُذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ⑥ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑦ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ⑧ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ⑨ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑩ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ⑪ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ⑫ وَاصْرَبْ لَّهُمْ مَثَلًا مِّنَ الْقُرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ⑬ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ⑭ قَالُوا مَا أَنْتُمْ

٥ - تنزيل القوى الغالب على كل شيء ، الذى لا يستطيع أحد أن يمنعه عما يريد ، الرحيم بعباده ، اذ أرسل إليهم من يرشدهم إلى طريق النجاة .

٦ - لتنذر قوما لم ينذر آبائهم الاقربون من قبل ، فهم ساهون عما يجب عليهم نحو الله ونحو أنفسهم ونحو الناس .

٧ - لقد سبق في علمنا أن أكثرهم لا يختارون الإيمان ، فطابق واقعهم ما علمناه عنهم ، فلن يكون منهم الإيمان .

٨ - انا جعلنا المصرين على الكفر كمن وضعت في أعناقهم السلاسل ، فهي تصل إلى أذقانهم ، وتشد أيديهم برؤسهم وترفعها مع غض أبصارهم ، فلا يستطيعون أن يحركوا الرؤوس ليروا .

٩ - وجعلنا من حرموا النظر في الآيات والدلائل كمن حبسوا بين سدين فغطيت أعينهم فهم لا يرون ما أمامهم وما خلفهم .

١٠ - وسواء عليهم تحذيرك لهم وعدم تحذيرك ، فهم لا يؤمنون .

١١ - انما يفيد تحذيرك من يتبع القرآن ويخاف الرحمن ، وان كان لا يراه ، فبشر هؤلاء بعفو من الله عن سيئاتهم ، وجزاء حسن على أعمالهم .

١٢ - انا نحن نحى الموتى ، ونسجل ما قدموا في الدنيا من أعمال وما أبقوا فيها من آثار بعد موتهم ، وكل شيء أنبتناه في كتاب واضح .

١٣ - واذكر - أيها النبي - لقومك : قصة أهل القرية^(١) فإنها كقصتهم ، اذ ذهب إليهم المرسلون لهدايتهم .

١٤ - أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما ، فقويتاهما بثالث ، فقال هؤلاء الثلاثة : انا إليكم مرسلون .

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْلًا لَّ نَتَّبِعُهُمْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ دُرِّكْتُمْ بِلِ أَلَّكُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفِقُمْ أَتَبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لِّنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَبْتَ قَوْمِي

١٥ - قال أهل القرية - ردا عليهم - : ما أنتم الا بشر مثلنا ، وما أوحى الرحمن إلى بشر من شيء ، ما أنتم الا قوم تقولون غير الواقع !

١٦ - قال المرسلون : ربنا الذى بعثنا إليكم يعلم انا إليكم لمرسلون .

١٧ - وليس علينا الا أن نبلغ رسالة الله بلاغا واضحا .

١٨ - قال أهل القرية : اننا نشاء منا بكم . ونقسم : ان لم تكفوا عن دعوتكم لزمينكم بالحجارة ، وليصيبنكم منا عذاب شديد الالم .

١٩ - قال المرسلون : شؤمكم معكم بكفركم ، أنن وعظم بما فيه سعادتكم تشاءوا منا وتهدوننا بالعذاب الالم ؟ ! لكن أنتم قوم متجاوزون الحق والعدل .

٢٠ - وأقبل من أبعد مكان بالمدينة رجل يسرع نحو أهل المدينة : قال : يا قوم ، اتبعوا المرسلين من الله اليكم .

٢١ - اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أجرا على نصحتكم وارشادكم ، وهم مهتدون تنتفعون بهديهم فى سلوك طريق الخير والفلاح .

٢٢ - وأى شيء ينعنى أن أعبد الذى خلقنى وإليه - لا إلى غيره - ترجعون ؟ !

٢٣ - أأتخذ من دون الله آلهة لا تفيدنى شفاعتهم شيئا ان أرادنى الله بسوء ، ولا يخلصونى منه ان نزل بى ؟ !

٢٤ - انى - اذ أتخذ من دونه آلهة - لى ضلال مبين .

٢٥ - انى صدقت بربكم الذى خلقكم وتولى أمركم ، فاسمعوا لى وأطيعون .

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِلَكَّا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَهُ بِأَكْلُونِ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْبَلُّ

٢٦ ، ٢٧ - قيل له - جزاء على إيمانه ودعوته إلى الله - : ادخل الجنة قال - وهو في ظل النعيم والكرامة - :
بالبت قومي يعلمون بغفران ربى واکرامه لى ، لیؤمنوا کما آمنت .

٢٨ - وما أهلكتناهم بمجنود أنزلناها من السماء ، وما كان من سنتنا فى اهلاك الأمم أن نزل جنودا .

٢٩ - ما كان هلاكهم الا بصيحة واحدة أرسلناها عليهم ، فإذا هم ميتون كالنار الخامدة !

٣٠ - يا خسارتهم التى تستحق التحسر عليهم ، ما نبعث إليهم برسول الا كانوا منه يسخرون .

٣١ - ألم يعتبروا بالأمم الكثيرة الخالية التى أهلكتها ، انهم لا يعودون كرة أخرى إلى حياتهم الدنيا !

٣٢ - وما كل من الأمم السابقة واللاحقة الا مجموعون لدينا ، مقهورون على الحضور إلينا .

٣٣ - ودليل لهم على قدرتنا على البعث والنشور الأرض الجديدة أحييناها بالماء ، وأخرجنا منها حبا ، فنه يأكلون .

٣٤ ، ٣٥ - وأنشأنا فيها حدائق وبساتين من نخيل وأعناب ، وشققنا فيها من عيون الماء ما يروى شجرها ويخرج ثمرها ، ليأكلوا منه ، وما هو من صنع أيديهم ، أفلا يؤدون حق الله عليهم فى ذلك بالإيمان والثناء عليه ؟ !

٣٦ - تنزيها لله الذى خلق الأشياء كلها على سنة الذكورة والأنوثة ، من النبات ومن الأنفس ومما لا يعلم الناس (١) .

(١) الحرف « من » فى هذه الآية للبيان ، أى أن الله تعالى جعل الذكور والإناث فى مخلوقاته كلها ، سواء فى ذلك النباتات والحيوانات والبشر وما لا يعلمه الناس من الأحياء غير المنظورة .

نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

٣٧- وآية لهم على وجود الله وقدرته الليل نزع عنه النهار الساتر له ، فإذا الناس داخلون في الظلام المشتمل عليهم من كل جانب .

٣٨- والشمس تسير لمستقر لها ، قدره الله زمانا ومكانا ، ذلك تدبير الغالب بقدرته ، المحيط علما بكل شيء .

٣٩- والقمر جعلناه بتدبير منا منازل ، اذ يبدو أول الشهر ضيلا ، ثم يزداد ليلة بعد ليلة ، إلى أن يكتمل بدرا ، ثم يأخذ في النقصان كذلك ، حتى يعود في مرآه كأصل العنقود من الرطب إذا قدم فدى وانحنى واصفر .

٤٠- لا الشمس يتأتى لها أن تخرج على نوايسها فتلتحق القمر وتدخل في مداره ، ولا الليل يتأتى له أن يغلب النهار ويحول دون مجيئه ، بل هما متعاقبان . وكل من الشمس والقمر وغيرها يسبح في فلك لا يخرج عنه^(١) .

٤١- وآية أخرى لهم أننا حملنا بنى الإنسان في السفن المملوءة بهم وبأمتعتهم وأرزاقهم .

٤٢- وخلقنا لهم من مثل الفلك ما يركبونه كذلك .

٤٣- وإن نرد أغراقهم بما كسبوا نغرقهم ، فليس لهم مغيث ، ولا هم ينجون من الهلاك .

٤٤- لكننا لا نغرقهم رحمة منا بهم ، ولنتمتعهم إلى أجل مقدر .

(١) ان هذه الآيات الكريمة تبين معاني وحقائق علمية لم يتعرف عليها العلماء إلا في أوائل القرن الرابع عشر الميلادى . والشمس هي إحدى نجوم السماء ، وهي كسائر النجوم ولها حركتها الذاتية ، ولكنها تتميز عن النجوم الأخرى لقربها من الأرض وبأنها مجموعة من الكواكب والأقمار المذنبات والكويكبات تتبعها دائما وتخضع لقوة جاذبيتها حيث تجعلها من حولها في مدارات متتابعة بوضاوية الشكل ، وجميع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حركتها الذاتية . والخلاصة أن الشمس والأرض والقمر وسائر الكواكب والأجرام تجرى في الفضاء بسرعة محدودة وفي اتجاه محدود ويلاحظ أن الشمس ومجموعتها والنجوم القريبة منها تقع في داخل سديم عظيم ممتد في السماء يسمى بسديم المجرة ، وقد تبين من الدراسات الحديثة أن سائر أجزاء السديم تدور حول المركز بسرعة تتناسب وعكس بعدها على المركز . كما اتضح أيضا أن الشمس والأرض وكواكبها والنجوم القريبة منها تدور بسرعة ، وفي اتجاه محدود ، تبلغ هذه السرعة حوالى ٧٠٠ كيلومتر في الثانية ، وتم دورتها حول المركز في مدى حوالى ٢٠٠ مليون سنة ضوئية .

وصفوة القول أن الآية الكريمة التى تنص على أن الشمس تجرى لمستقر لها لم يتعرف على معالها العلماء إلا في أوائل هذا القرن ولا يمكن أن تدرك الشمس القمر ، لأن كلا منهما يجرى في أفلاك متوازية فيستحيل أن تتقابلا كما يستحيل أن يسبق الليل النهار حيث يتطلب ذلك أن تدور الأرض حول محورها من الشرق إلى الغرب بدلا من اتجاهها الحالى مع الغرب نحو الشرق . والقمر خلال دورته حول الأرض ودورة الأرض حول الشمس يمر بمجموعات من النجوم تسمى بمنازل القمر . وفي الربع الأول والأخير من الشهر يظهر القمر شكله كالرجون القديم . أى يصير كالسبابة إذا قدمت وبيست وأعوجت .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَسَاءَ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَبَاحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَلْوِيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبَاحَةٌ وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

٤٥ - وإذا قيل لهم : خافوا مثل ما جرى للامم الماضية بتكذيبهم ، وخافوا عذاب الآخرة الذى تتعرضون له بإصراركم على الكفر - رجاء أن يرحمكم ربكم إذا اتقيتموه - أعرضوا .

٤٦ - وما تجيبهم من حجة من حجج ربهم ، دالة على وحدانية الله وقدرته الا كانوا عنها منصرفين .

٤٧ - وإذا قيل لهم أنفقوا على الفقراء مما رزقكم الله ، قال الكافرون للمؤمنين : أنطعم من لو أراد الله اطعامه ، فنعانده بهذا مشيئة الله ، ما أنتم - أيها الداعون إلى الإنفاق - الا فى عمى واضح عن الحق .

٤٨ - ويقولون للمؤمنين - استهزاء بهم - : متى يقع هذا الذى وعدتونا به ، ان كنتم صادقين فيما وعدتم ؟ !

٤٩ - ما ينتظرون الا صوتا واحدا يقضى عليهم بقتة ، وهم يتنازعون فى شئون الدنيا ، غافلين عن الآخرة .

٥٠ - فلا يستطيعون - لسرعة ما نزل بهم - أن يوصوا بشيء ، ولا أن يرجعوا إلى أهلهم .

٥١ - ونفخ فى الصور نفخة البعث ، فإذا بالأموات يخرجون من قبورهم مسرعين للقاء الله . والصور والنفخ فيه مما استأثر الله بعلمه .

٥٢ - قال المبعوثون من القبور : يا هول ما ينتظرنا ، من أيقظنا من نومنا ؟ ! ويحضرهم جواب سؤا لهم : هذا يوم البعث الذى وعد الرحمن به عباده ، وصدق المرسلون فيما أخبروا عنه .

٥٣ - ما كانت دعوتهم إلى الخروج الانداء واحدا ، فإذا هم مجتمعون لدينا ، محضرون لحسابنا .

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ
فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾
سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِءَ آدَمَ
أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ
جِبِلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا

٥٤ - فى هذا اليوم لا تنقص نفس أجر شئ مما عملته ، ولا تلقون الا الجزاء ما كنتم تعملون من خير أو شر .

٥٥ - ان أصحاب الجنة فى هذا اليوم مشغولون بما هم فيه من نعيم ، معجبون به فرحون .

٥٦ - هم وأزواجهم فى ظلال سابعة ، على السرر المزينة متكفون .

٥٧ - لهم فى الجنة فاكهة من كل أنواعها ، ولهم فيها كل ما يطلبون .

٥٨ - يقال لهم : سلام قولا صادرا من رب رحيم .

٥٩ - ويقال للمجرمين فى هذا اليوم : اعتزلوا عن المؤمنين .

٦٠ - ألم أوصكم - يابنى آدم - ألا تطيعوا الشيطان طاعة المعبود ، انه لكم عدو بين العداوة ؟ !

٦١ - وأن أفردوني بالعبادة ، فافرادى بها طريق عظيم فى استقامته .

٦٢ - ولقد أغوى الشيطان منكم خلقا كثيرا . أغفلتم عن ذلك ، فلم تكونوا تعقلون حين أطعتموه ؟ !

٦٣ - يقال لهم : هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا ، جزاء كفركم .

٦٤ - ادخلوها ، وقاسوا حرها فى هذا اليوم بكفركم .

٦٥ - اليوم نغضى على أفواههم فلا تتلقى ، وتكلمنا أيديهم ، وتتلقى أرجلهم شاهدة عليهم بما كانوا يعملون .

٦٦ - ولو نشاء علمهم فى الدنيا لأعيناهاهم فتسابقوا الى الطريق السلوك لهم فما استطاعوا رؤيته ، فكيف

يبصرونه وقد أعيناهاهم !

أَسْتَطْعَمُوا مِضْيَاً وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ

٦٧ - ولو نشاء تغيير صورهم لغيرناهم الى صور قبيحة ، على ما لهم من قوة ومنزلة ، فيما استطاعوا مضيا الى الأمم ، ولا هم يرجعون الى الوراء ، لأننا أبطالنا قواهم .

٦٨ - ومن نطل عمره نرده من القوة الى الضعف ، أفلا يعقلون قدرتنا على ذلك ليعلموا أن الدنيا دار فناء وأن الآخرة هي دار البقاء ؟ (١) .

٦٩ - وما علمنا رسولنا الشعر ، وما يصح - لمكانته ومنزلته - أن يكون شاعرا . ما القرآن المنزل عليه الا عظة وكتاب سماوى واضح ، فلا مناسبة بينه وبين الشعر .

٧٠ - ليخوف من كان حى القلب مستنير العقل ، وتجب كلمة العذاب على الجاحدين به ، المنكرين لهديه .

٧١ - أعمى الكافرون ولم يروا أننا خلقنا لهم مما صنعت قدرتنا انعاما (٢) فهم مالكون لها ، يتصرفون فيها كما يشاءون ؟ !

٧٢ - وأخضعناها لهم ، فنها مايركبون ، ومنها ما يأكلون .

٧٣ - ولهم فيها ما ينتفعون به من أصوافها واوبارها وأشعارها وجلودها وعظامها ، ومشارب من ألبانها ، أينسون هذه النعم فلا يشكرون النعم بها ؟ !

٧٤ - واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها ، رجاء أن تنصرهم .

٧٥ - لا يستطيع الآلهة نصرهم ان أراد الله بهم سوءا ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، وهم لآلهتهم العاجزة جند معدون لخدمتهم ودفع السوء عنهم .

(١) ومن نطل عمره نرده الى عكس ما كان عليه من القوة فيصبح ضعيفا ، وذلك لأن حياة الإنسان تأخذ ثلاث مراحل ، نحو ونضج وضهور النسيج المشوى فى الكل والكبد والغدة الدرقية والبنكرياس ، وهذا له أثر فى إضعاف الجسم كله . وتبدأ كذلك الشرايين فى التصلب والضمور وبذلك يقل الدم الذاهب إلى جميع أعضاء الجسم فيزيد ضعفا على ضعف ومن أسباب الشيخوخة زيادة قوى الهدم على قوى البناء فى الجسم Metabolism وذلك أن خلايا الجسم كلها فى تغير مستمر وكذلك خلايا الدم ما عدا خلايا المخ والنخاع فإنها لا تتغير مدى الحياة ، فإذا كانت نسبة تجديد الخلايا كنسبة هلاكها لا تظهر الأعراض ، أما إذا زادت نسبة هلاك الخلايا على تجديدها فى أى عضو ظهر ضمور هذا العضو . وعلى ذلك فكلا تقدم السن تضاهلت نسبة التجدد وزادت نسبة الانحلال الخلوى وظهر الضمور العام . وتختلف نسبة التجدد والضمور باختلاف نوع الأنسجة . فالظاهر منها كال بشرة الكاسية للجسم والأغشية المبطنة للقنوات الهضمية وقنوات الغدد تضر بنسبة أكبر كلما تقدمت السن بالإنسان ، وهذا هو السبب المباشر لأعراض الشيخوخة .

(٢) الإبل والغنم والبقر .

وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

- ٧٦ - فلا يحزنك قولهم في الله بالاحاد وفيك بالتكذيب ، انا نعلم ما يخفون وما يعلنون ، فنجازهم عليه .
- ٧٧ - أجدد الانسان وجود الله وقدرته . ولم ير أنا خلقناه - بعد العدم - من نطفه مهينة ؟ ! فإذا هو شديد الخصومة بين لها ، معلن عنها .
- ٧٨ - وساق لنا هذا الخصيم المبين مثلاً ينكر به قدرتنا على احياء العظام بعد أن تبلى ، ونسى خلقنا اياه بعد أن لم يكن ، قال منكراً مستبعداً قدرتنا على ذلك : من يحيى العظام وهى رميم ؟ !
- ٧٩ - قل - يا محمد - : يحييها الذى أنشأها أول مرة ، فى استطاعة من بدأ أن يعيد ، وهو عظيم العلم بكل ما خلق ، فلا يعجزه جمع الأجزاء بعد تفرقها .
- ٨٠ - الذى خلق لكم من الشجر الأخضر - بعد جفافه - وبيسه - ناراً (١) .
- ٨١ - أفقدوا عقولهم ولم يعلموا أن الذى خلق السموات والأرض - مع عظم حجمها - قادر على إعادة خلق الناس مع صغرهم وضعف شأنهم ؟ ! بلى - أى هو القادر - وهو الكثير الخلق ، المحيط علمه بكل شئ .
- ٨٢ - انما شأنه فى الخلق اذا أراد ايجاد شئ أن يقول له : كن . فيكون ويوجد فى الحال .
- ٨٣ - فتزنها للذى بقدرته ملك كل شئ - خلقاً وتديراً وتصرفاً - عما لا يليق بذاته - تعالى - واليه وحده تعودون ، فيحاسبكم على أفعالكم .

(١) ان طاقة الشمس تنتقل إلى جسم النبات بعملية التمثيل الضوئى ، إذ تمتص خلاياه المحتوية على المادة الخضراء فى النبات « الكلوروفيل » ثانى أكسيد الكربون من الجو ، ويتفاعل هذا الغاز مع الماء الذى يمتصه النبات تنتج المواد « الكربوهيدراتية » بتأثير الطاقة المستمدة من ضوء الشمس ومن ثم يتكون الخشب الذى يتركب أساسياً من مركبات كيميائية محتوية على الكربون و « الهيدروجين » والأكسجين ، ومن هذا الخشب يتكون الفحم الباقى المستعمل فى الوقود ، إذ بإحراق هذا الفحم تنطلق الطاقة المدخرة فيه وينتفع بها فى الطهي والتدفئة والإنارة وتسخين الماء وفى كثير من الأغراض . وما الفحم المجزئ الخشبي إلا نباتات وأشجار نشأت ونمت على النحو السابق وكبرت بفعل عملية التمثيل الضوئى أو الكلوروفيل ثم دفنت بطريقة ما وتحولت بالتحلل الجزئى بعد مضي ملايين السنين إلى الفحم المذكور تحت تأثير فعل العوامل الجيولوجية كالحراة أو الضغط وغيرها . ويجب أن يلاحظ أن لفظ الإخضرار فى الآية ووصف الشجر بهذا اللون لم يكن عفواً ، إنما هو إشارة إلى مادة الكلوروفيل الأخضر اللازمة لـ تمثيل غاز ثانى أكسيد الكربون .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ

بدأت هذه السورة بالقسم بطوائف من خلق الله لما صفة الصف والزجر والتلاوة على ان الله واحد ، والآيات شاهدة بذلك ، فهو رب السموات والأرض وما بينها ورب المشارق ، الذي زين السماء الدنيا بالكواكب ، وجعلها محفوظة من مارد خارج عن طاعة الله . وبعد تقرير عقيدة التوحيد أتبع ذلك بتقرير عقيدة البعث ، وهددت المرتابين فيه بأنه سيفاجئهم وهم ينظرون ، وسأقت أدلة امكانية وسهولة وقوعه ، وهم يوم يرونه يقولون : هذا يوم الدين ، ويقال لهم : هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون . ويحشر الظالمون وما كانوا يعبدون ، ويسألون ويتحاجون ، ويحمل بعضهم بعضا اثم ما أصابه ، وهم جميعا في العذاب مشتركون ، فقد استكبروا عن توحيد الله ، ورموا رسولهم بالحبال والجنون ، مع أنه جاءهم بالحق ، وصدق المرسلين فيما جاءوا به عن الله . والمؤمنون المخلصون يتمتعون بأنواع النعيم ، ويتذكرون نعم الله ، ويطلعون على قرناء السوء فيرونهم في سواء الجحيم ، فيحمدون الله نعمة عصمتهم ونجاتهم من دعوتهم . وبعد ذلك أخذت السورة تصف منازل الظالمين ومنازل المؤمنين . واتبعت ذلك بسرد أخبار المرسلين تسليية لرسول الله وعظة لقومه المجاهدين . وبعد قصص تعددت وقائمه واختلقت أزمانه وأشخاصه - بين فيه منزلة الرسالة والمرسلين - نقضت السورة مزاعم المشركين من أن الله البنات ولهم البنين ، وأنه جعل الملائكة اناثا ، وأن بينه وبين الجنة نسبا . تنزه الله عما يصفون ، وعباده هم المنصورون ، وجنده هم الغالبون ، وعذابه يسيء صباح المنذرين ، وختمت السورة بتنزيه رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

١ - أقسم بطوائف من خلق ، تصطف بنفسها صفا محكما في مقام العبودية والانقياد .

٢ - فالمناعات للمتجاوز حدوده منعا شديدا ، يبق النظام ويحفظ الأكوان .

٣ - فالتاليات للآيات ، يذكرون الله ذكرا بالتسبيح والتمجيد .

٤ - ان الهكم المستوجب للعبادة لواحد ، لا شريك له في ذات أو فعل أو صفة .

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ
مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَمَلِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ
خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ

٥- هو - وحده - خالق السموات والأرض وما بينهما ، ومدبر الأمر ، ومالك المشارق لكل ماله مشرق (١) .

٦ - إنا حسنا السماء القريبة من أهل الأرض بزينة هي الكواكب المشرقة المختلفة الأحجام والأوضاع في محيط الكون في رأى العين .

٧ - وحفظناها حفظاً محكما من كل شيطان عات متمرد .

٨ - لا يمكن عتاة الشياطين من التسمع الى ما يجرى في عالم الملائكة ، ويرمون من كل بما يدفعهم .

٩ - يطردون طرداً عنيفاً عن الوصول الى تسمع أخبار السماء ، ولهم عذاب شديد دائم في الآخرة .

١٠ - الا من اختلس الكلمة من أخبار السماء ، فإننا نتبعه بشعلة من النار تثقب الجو بضوئها فتحرقه .

(١) الله خالق السموات السبع وما بينهما من مختلف الأجرام السماوية وكواكبها . . وهو القيم المهيمن كذلك على مواضع شروق الشمس وشروق سائر النجوم ، فهو الذى يظهرها كل يوم في موضع في الأفق الشرق يختلف عن الموضع الذى أظهرها منه في اليوم السابق ، وذلك بما سنه في النظام الشمسى من قوانين حين تدور الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق كل يوم مرة وتجرى في فلكها الاهليجى حول الشمس في الوقت نفسه .

وتبدو الشمس والنجوم لسكان الأرض كل يوم بدوران الأرض حول محورها مشرقة في مواضع مختلفة ، وكلما غيرت الأرض موضعها في رحلتها على القبة السماوية بدت مشرقة من مواضع مختلفة ، فإذا رصدت الشمس بانتظام ابتداء من أواخر مارس أى في الاعتدال الربيعي « ومن نصف الكرة الشمالى » فإنها ترى وهي تشرق في نقطة في الشرق على الأفق ، وكلما مر يوم رآها الراصد تشرق في نقطة أقرب إلى الشمال . وفي أواخر يونيو ترى مشرقة في مكان هو نهاية اقترابها من الشمال ثم تبدو الشمس بعد ذلك وهي تقفل راجعة متبعة نفس التغيرات حتى أواخر سبتمبر (عند الاعتدال الخريفي) حيث ترى مشرقة من المكان الذى أشرقت منه عند الاعتدال الربيعي ، ثم تبدو بعد ذلك مستمرة في الحركة نحو الجنوب حيث ترى مشرقة في أقرب نقطة إلى الجنوب في أواخر ديسمبر ، ثم تأخذ في الرجوع ظاهرياً نحو الشمال حيث تكمل دورتها في الاعتدال الربيعي التالى ، ويستغرق ذلك كله ٣٦٥ يوماً وربع يوم ، ويلاحظ أن النجوم ترى كذلك مشرقة في مواضع مختلفة في الأفق الشرقى أثناء رحلة الأرض إلى القبة السماوية خاصة نجوم الأبراج الاثنى عشر التى تنتقل الشمس فيها على مدار السنة .

لَازِبٍ ⑪ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ⑬ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ⑭ وَقَالُوا
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑮ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أُنَّا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ أَوَإِبْرَاهِيمُ وَالْأُولُونَ ⑰ قُلْ نَعَمْ
 وَأَنْتُمْ دَارِحُونَ ⑱ فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ⑲ وَقَالُوا يَتَوَلَّىٰ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ⑳ هَذَا
 يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ㉑ * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ㉒ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ㉓ وَقِفُوهُمْ ㉔ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ㉕ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ㉖ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ

١١ - فاستخبر - أيها النبي - المنكرين للبعث والمستبعدين لحصوله : أهم أصعب خلقا أم من خلقنا من
 السموات والأرض والكواكب وغير ذلك ؟!

إنا خلقناهم من طين لاصق بعضه ببعض ، فلم يستبعدون اعادةهم ؟ !

١٢ - بل عجبت - أيها النبي - من انكارهم للبعث مع قيام الأدلة على قدرة الله - وهم يسخرون من تعجبك
 وتقريرك له .

١٣ - وإذا وجهوا بأدلة قدرة الله على البعث لا يلتفتون ولا ينتفعون بدلالاتها .

١٤ - وإذا رأوا برهانا على قدرة الله دعا بعضهم بعضا الى المبالغة في الاستهزاء به .

١٥ - وقال الكافرون في الآيات الدالة على القدرة : ما هذا الذي نراه إلا سحر واضح .

١٦ - أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء ؟ !

١٧ - أنحيا ويبعث آبائنا الأولون الذين ماتوا قبلنا فبادوا وهلكوا ؟ !

١٨ - قل - أيها النبي - لهم : نعم سميعون جميعا وانتم أذلاء صاغرون .

١٩ - فانما البعثة صيحة واحدة فإذا هم أحياء ينظرون ما كانوا يوعدون .

٢٠ - وقال المشركون - ياهلاكنا ... هذا يوم الحساب والجزاء على الأعمال .

٢١ - فيجابون : هذا يوم القضاء والفصل في الأعمال الذي كنتم به في الدنيا تكذبون .

٢٢ ، ٢٣ - اجمعوا - ياملأكني - الظالمين أنفسهم بالكفر وازواجهم الكافرات وأهتهم التي كانوا يعبدونها من

دون الله من الأوثان والأنداد ، فعرفوهم طريق النار ليسلكوها .

٢٤ - واحبسوهم في هذا الموقف ، انهم مسئولون عن عقائدهم وأعمالهم .

٢٥ - مالكم - أيها المشركون - لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تتناصرون في الدنيا ؟ !

مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ
تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَافِينَ ﴿٣٠﴾ لَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا
لَذَاقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَالِينَ ﴿٣٢﴾ فَلِإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهِنَا لِشَاعِرٍ
مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَاقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ

٢٦ - لا يتناصرون في هذا اليوم، بل هم منقادون مستسلمون لأمر الله.

٢٧ - وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون، ويسأل بعضهم بعضا عن مصيرهم السيئ.

٢٨ - قال الضعفاء للذين استكبروا: انكم كنتم تأتوننا عن الناحية التي نظن فيها الخير واليمن، لتصرفونا عن الحق الى الضلال.

٢٩ - قال المستكبرون: لم نصرفكم، بل أنتم أبيتم الايمان وأعرضتم عنه باختياركم.

٣٠ - وما كان لنا من تسلط عليكم، نسلبكم به اختياركم، بل كنتم قوما خارجين على الحق.

٣١ - فحق علينا كلمة ربنا: انا لذائقون العذاب يوم القيامة.

٣٢ - فدعوناكم الى الفی والضلال فاستجبتم لدعوتنا، إن شأنا التحايل لدعوة الناس الى ما نحن عليه من الضلال، فلا لوم علينا.

٣٣ - فإن الاتباع والمتبوعين يوم القيامة في العذاب مشتركون.

٣٤ - إن مثل ذلك العذاب نفعل بالذين أجمعوا في حق الله بالشرك وفعل المعاصي.

٣٥ - إن هؤلاء كانوا إذا قيل لهم: لا إله الا الله يأبون الاقرار بذلك تكبرا واستعظاما.

٣٦ - ويقولون: أنحن نترك عبادة آلهتنا لقول شاعر متخيل مستور العقل؟!

٣٧ - بل جاءهم رسولهم بالتوحيد الذي دعا اليه جميع الرسل، وصدق بذلك دعوة المرسلين.

٣٨ - انكم - أيها المشركون - لذائقون العذاب الشديد في الآخرة.

تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهِ وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوْ ذَا مِثْنَا

٣٩ - وما تلقون من جزاء في الآخرة إلا جزاء عملكم في الدنيا .

٤٠ - إلا عباد الله المخلصين ، فإنهم لا يذوقون العذاب ، لأنهم أهل إيمان وطاعة .

٤١ - هؤلاء المخلصون لهم في الآخرة رزق معلوم عند الله .

٤٢ - فواكه متنوعة ، وهم مرفهون معظمون .

٤٣ - في جنات النعيم .

٤٤ - يجلسون فيها على سرر يقابل بعضهم بعضا .

٤٥ - يطوف عليهم ولدان بآناء فيه شراب من منابع جارية لا تنقطع .

٤٦ - بيضاء عند مزجها ، شهية للشاربين .

٤٧ - ليس فيها غائلة الصداق تأخذهم على غرة ، ولا هم بشرها يذهب وعيهم شيئا فشيئا .

٤٨ - وعند هؤلاء المخلصين في الجنة حوريات طبعن على العفاف ، قد قصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا يتطلعن لشهوة ضالة ، نجل العيون حسانها .

٤٩ - كأن قاصرات الطرف بيض النعام ، المصون بأجنحة ، فلم تمسه الأيدي ، ولم يصبه الغبار .

٥٠ - فأقبل بعض هؤلاء المخلصين على بعض يتساءلون عن أحوالهم . وكيف كانوا في الدنيا ؟

٥١ - قال قائل منهم عند ذلك : انى كان لى صاحب من المشركين ، يجادلنى فى الدين وما جاء به القرآن الكريم .

٥٢ - يقول : أئنك لمن الذين يصدقون بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء ؟ !

وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْ نَالَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ
تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتَرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا
الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ
خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾
طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَاكِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِمَّنْ

٥٣ - أبعد أن نفى ونصير تراباً وعظاماً نجها مرة أخرى ، لنحاسب ونجازى على ما قدمنا من عمل ؟ !

٥٤ - قال المؤمن لجلسائه : هل أنتم يا أهل الجنة مطلعون على أهل النار ، فأرى قريفي ؟ .

٥٥ - ودار يبصره نحو النار ، فرأى صاحبه القديم في وسطها ، يعذب بنارها .

٥٦ - قال حينما رآه : تالله إن كدبت في الدنيا لتهلكني لو أطعته في كفرك وعصيانك .

٥٧ - ولولا نعمة ربي بهدايته وتوفيقه لي إلى الإيمان بالله والبعث لكنت مثلك من المحضرين في العذاب .

٥٨ ، ٥٩ - نحن مخلدون منعمون في الجنة ، فلا نموت أبداً غير موتتنا الأولى في الدنيا ، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة ؟ ..

٦٠ - إن هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة هو الفوز العظيم ، والنجاة الكبرى مما كنا نحذره في الدنيا من عقاب الله .

٦١ - لنيل مثل ما حظي به المؤمنون من الكرامة في الآخرة ، فليعمل في الدنيا العاملون ، ليدركوا ما أدركوا .

٦٢ - أذلك الرزق المعلوم المد لاهل الجنة خير أم شجرة الزقوم المعدة لأهل النار ؟ .

٦٣ - أنا جعلنا هذه الشجرة محنة وعذاباً في الآخرة للمشركين .

٦٤ - إنها شجرة في وسط الجحيم ، غذيت من النار ومنها خلقت .

٦٥ - ثمرها قبيح المنظر ، كرهه الصورة ، تنفر منه العيون كأنه رؤوس الشياطين التي لم يرها الناس ، ولكن وقع في وهمهم شفاعتها وقبح منظرها .

٦٦ - فانهم لا يكونون من هذه الشجرة فالتون من طلوعها بطونهم ، إذا لا يجدون غيرها ما يأكلون .

حَمِيمٍ ٧٧ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ٧٨ إِنَّهُمْ الْفَوَّاءُ أَبَاءُهُمْ ضَالِّينَ ٧٩ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ٨٠ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ٨١ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ٨٢ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ ٨٣ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ٨٤ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحَ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ٨٥ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٨٦ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ٨٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ٨٨ سَلَّمَ عَلَىٰ نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ٨٩ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٩٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ٩١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ٩٢

٦٧ - ثم ان هؤلاء المشركين على ما يأكلون من الزقوم لخلطا ومزاجا من ماء حار يشوى وجوههم ، وتقطع منه أمعاؤهم .

٦٨ - ثم ان مصيرهم إلى النار ، فهم في عذاب دائم ، إذ يوقى بهم من النار إلى شجرة الزقوم ، فيأكلون ثم يسقون ، ثم يرجع بهم إلى محلهم من الجحيم .

٦٩ ، ٧٠ - انهم وجدوا آباءهم ضالين ، فهم يسرعون الخطى على آثارهم ، ويستعجلون السير في طريقهم ، مقلدين لا متبصرين ، كأنهم يزعجون ويحثون على الاسراع إلى متابعة الآباء من غير تدبر ولا تعقل .

٧١ - ولقد ضل عن قصد السبيل وطريق الايمان قبل مشركى مكة أكثر الامم الخالية من قبلهم .

٧٢ - ولقد أرسلنا في هذه الامم الخالية رسلاً ينذرونهم ويخوفونهم عذاب الله فكذبوهم .

٧٣ - فانظر - يامن يتأتى منك النظر - كيف كان مآل الذين أنذرهم رسلهم ! لقد أهلكوا ، فصاروا عبرة للناس .

٧٤ - لكن هناك مؤمنون استخلصهم الله لعبادته ، لينالوا فضل كرامته ، ففازوا بثوابه ، ونجوا من عذابه .

٧٥ - ولقد نادانا نوح حين يش من قومه فلنعم المجيبون ، كنا له إذ استجبنا دعاءه ، فأهلكنا قومه بالطوفان .

٧٦ - ونجيننا نوحا ومن آمن معه من الفرق والطوفان .

٧٧ - وجعلنا ذرية نوح هم الباقين في الأرض بعد هلاك قومه .

٧٨ - وتركنا ذكرا جيلا على نوح في الآخرين من الأمم الى يوم القيامة .

٧٩ - تحية سلام وأمن لنوح في الملائكة والنقلين جميعا .

٨٠ - إنا مثل هذا الجزاء نجزي من أحسن ، فجاهد لاعلاء كلمتنا ، وتحمل الأذى في سبيلنا .

٨١ - انه من عبادنا الذين آمنوا بنا ، ووفوا بعهدا ، وأدوا رسالتنا .

٨٢ - ثم أغرقنا الآخرين من كفار قومه .

* وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ قَالَتْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

٨٣- وان ممن على طريقته وسنته في الدعوة الى التوحيد والايان بالله لابراهيم .

٨٤- إذ أقبل على ربه بقلب نقي من الشرك ، مخلصا له العبادة .

٨٥- إذ انكر على أبيه وقومه ما هم عليه من عبادة الأصنام بقوله : ما هذه الأوثان التي تعبدونها ؟ .

٨٦- أترتكبون كذبا فاضحا بما تصنعون ، إذ تعبدون غير الله ، وتريدون هذا الافك بلا مسوغ الا اختياركم

له .

٨٧- ما ظنكم بمن هو الحقيق بالعبادة لكونه خالقا للعالمين ، إذا لاقيتموه وقد أشركتم معه في العبادة غيره ؟ .

٨٨- فنظر نظرة في النجوم ، ليستدل بها على خالق الكون ، فوجدها متغيرة متحولة .

٨٩- فقرر أنه يخشى على نفسه الضلال وسقم الاعتقاد .

٩٠- فانصرف عنه قومه ، معرضين عن قوله .

٩١- قال الى اصنامهم سرعا متخفيا ، وعرض عليها من الطعام الذي وضعه أمامها . ليصيبوا من بركتها في زعمهم ، فقال في سخريه واستهزاء : ألا تأكلون ؟ .

٩٢- ما لكم عجزتم عن الكلام بالايجاب أو السلب ؟ .

٩٣- قال عليهم ضربا باليد اليمنى - لأنها أقوى الباطشتين - فحطمها .

٩٤- فأسرعوا الى ابراهيم - وبعد أن تبين لهم أن ماحدث لآلهتهم من التكسير كان بفعله - يعاقبونه على ما ارتكب في شأن آلهتهم .

٩٥- قال ابراهيم موجها لهم : أتعبدون ما سويتم بأيديكم من احجار ؟ . فأين ذهبت عقولكم ؟ .

٩٦- والله خلقكم وخلق ما تصنعون بأيديكم من الأوثان ، فهو المستحق - وحده - للعبادة .

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنِيْٓ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُكَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَكْرِهْ إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا ۚ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

٩٧ - قال عباد الأصنام لبعض - لما قرعتم الحجاة ، ولجأوا الى القوة ، فعزموا على احراقه - : ابنوا له بنيانا ، واملأوه نارا متأججة ، وألقوه في وسطها .

٩٨ - فأرادوا بهذا أن ينزلوا به الأذى ، فأنجاه الله من النار بعد أن ألقى فيها ، وعلا شأنه بما كان له من كرامة ، وجعلهم الله هم الأسفلين .

٩٩ - وقال ابراهيم - لما يس من إيمانهم - : انى مهاجر الى المكان الذى أمرنى ربى بالمسير اليه ، سيهدينى ربى الى المقر الأمين والبلد الطيب .

١٠٠ - رب هب لى ذرية من الصالحين ، تقوم على الدعوة اليك من بعدى .

١٠١ - فبشرته الملائكة بآبى يتحلى بالعقل والحلم .

١٠٢ - وولد وشب ، فلما بلغ معه مبلغ السعى فى مطالب الحياة اختبر ابراهيم فيه برؤية رآها . قال ابراهيم : يا بنى انى أرى فى المنام وحيا من الله يطلب منى ذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال الابن الصالح : يا أبت أنجز أمر ربك ، ستجدنى من الصابرين ان شاء الله .

١٠٣ - فلما استسلم الوالد والمولود لقضاء الله ، ودفعه ابراهيم على الرمل المجمع ، وأسقطه على شقه ، فوقع جبينه على الأرض ، وتبها لذبحه .

١٠٤ ، ١٠٥ - وعلم الله صدق ابراهيم وابنه فى الاختبار ، وناداه الله - نداه الخليل - : يا ابراهيم ، قد استجبت مطمئنا لوى الرويا ، ولم تتردد فى الامتثال ، فحسبك هذا ، انا نخفف عنك اختبارنا جزاء احسانك ، كما نجزي المحسنين على احسانهم .

١٠٦ - إن هذا الابتلاء الذى ابتلينا به ابراهيم وابنه هو الابتلاء الذى ابان جوهر إيمانها ويقينها فى رب العالمين .

١٠٧ - وفدينا به بذبح عظيم القدر ، لكونه بأمر الله تعالى .

١٠٨ - وتركنا له الثناء على ألسنة من جاء بعده .

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ۝ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ وَخَبَّبْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

١٠٩ - تحية أمن وسلام على ابراهيم .

١١٠ - مثل ذلك الجزاء الدافع للبلاء نجزي المحسنين في امتثال أوامر الله .

١١١ - إن ابراهيم من عبادنا المذعنين للحق .

١١٢ - وبشرته الملائكة - بأمرنا - بأنه سيرزق ابنه اسحق على بأس وعقم من امرأته ، وأنه سيكون نبيا من الصالحين .

١١٣ - ومنحناه وابنه البركة والخير في الدنيا والآخرة ، ومن ذريتها محسن لنفسه بالايان والطاعة ، وظالم لها بين الضلال بكفره ومعصيته .

١١٤ - ولقد أنعمنا على موسى وهارون بالنبوة والنعم الجسام .

١١٥ - ونجبناهما وقومهما من الكرب الشديد الذي كان يزل بهم فرعون وقومه .

١١٦ - ونصرناهم على اعدائهم ، فكانوا هم الغالبين .

١١٧ - وآتيناه موسى وهارون الكتاب الواضح المبين لاحكام الدين ، وهى التوراة .

١١٨ - وأرشدناهما الى الطريق المعتدل .

١١٩ - وأبقينا ثناء حسنا عليهما في الآخرين الذين جاءوا من بعدهم .

١٢٠ - تحية أمن وسلام على موسى وهارون .

١٢١ - إن مثل الجزاء الذى جازينا به موسى وهارون نجزي كل المحسنين .

١٢٢ - انها من عبادنا المذعنين للحق .

١٢٣ - وإن إلياس لمن أرسلناه هداية أقوامهم .

١٢٤ - إذ قال إلياس لقومه - وكانوا يعبدون صنما لهم - : أتستمرون على غيكم ، فلا تحافون الله باتقاء

عذابه ؟ .

١٢٥ - أتعبدون الصنم المسمى بعلا ، وتركون عبادة الله الذى خلق العالم فأحسن خلقه ؟ .

ءَابَايُكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكَآ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَلَبِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَتَى إِلَى أَفْئُكِ الْمَشْهُونَ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهُمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ

١٢٦ - الله خلقكم وحفظكم أنتم وأبائكم الأولون، فهو الحقيق بالعبادة.

١٢٧ - فكذبوه، فجزاؤهم أن يحضروا الى النار يوم القيامة.

١٢٨ - الا عباد الله الذين أخلصوا في إيمانهم، فهؤلاء هم الفائزون.

١٢٩ - وجعلنا له ذكرا حسنا على السنة من جاءوا من بعده.

١٣٠ - سلام على آل ياسين، أو عليه وعلى آله بتغليبه عليهم.

١٣١ - إن مثل الجزاء الذى جازينا به آل ياسين نجزي كل محسن على احسانه.

١٣٢ - إن الياس من عبادنا المؤمنين.

١٣٣ - وإن لوطا لمن المرسلين الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا الى الناس.

١٣٤ - لقد نجيناه وأهله جميعا، مما حل بقومه من العذاب.

١٣٥ - إلا امرأته العجوز، فقد هلكت مع المالكين.

١٣٦ - ثم أهلكنا من سوى لوط ومن آمن به.

١٣٧، ١٣٨ - وانكم يا أهل مكة ترون على ديار قوم لوط فى سفركم الى الشام صباحا ومساء، أفقدتم

عقولكم فلا تعقلون ما حل بهم جزاء تكذيبهم ؟.

١٣٩ - وإن يونس لمن الذين أرسلناهم لتبليغ رسالتنا الى الناس.

١٤٠، ١٤١ - إذ هجر قومه من غير أمر ربه، وذهب الى سفينة مملوءة فركب فيها، فتمرضت السفينة لأمر

يطلب الاقتراع لخراج أحد ركايبها عن حمولتها، فخرجت القرعة على يونس، فكان من المغلوبين بالقرعة، فالتقى

فى البحر على حسب عرفهم فى ذلك الحين.

١٤٢ - فابتلعه حوت وهو مستحق للعلامة، جزاء هروبه من الدعوة الى الحق والصبر على المخالفين.

الْمُسِيحِينَ ۖ لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً
مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَعَامِنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمَ الرِّبِّكَ
الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُنُوزِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسَاءً ۚ لَقَدْ عَلِمْتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ

١٤٣ ، ١٤٤ - فلولا أن يونس كان من المزهين لله ، المواظين على ذكره ، لالت في بطن الحوت ، وما خرج منه الى يوم البعث .

١٤٥ - فطرحناه في الفضاء الواسع من الأرض ، لا يواريه شيء من شجر أو بناء ، وهو عليل مما كان فيه (١) .

١٤٦ - وأنبتنا عليه شجرة لا تقوم على ساق ففطنته ووقته غوائل الجوى .

١٤٧ - حتى إذا صبح مما أصابه ، أرسلناه الى عدد كبير يقول من رآه : انهم مائة الف أو يزيدون .

١٤٨ - فاستجابوا لدعوته ، فبسطنا عليهم نعمتنا الى وقت معلوم .

١٤٩ - فاستفت قومك - أي النبي - : الخالقك البنات دونهم ، ولهم البنون دونه ؟ .

١٥٠ - بل أخلقنا الملائكة اناها وهم معانيون خلقهم ، فتعلقوا بما شاهدوه ؟ .

١٥١ - تنبه - أي السامع - لحديثهم ، انهم من كذبهم ليقولون : ولد الله ، وهو المنزه عن الوالدية ، والوالدية ، وانهم لكاذبون في هذا القول بشهادة الأدلة على وحدانية .

١٥٣ - أختار لنفسه البنات المكروهة في زعمكم على البنين المحبوبين منكم ، وهو الخالق للبنات والبنين ؟ .

١٥٤ - ماذا أصابكم حين حكمتم بلا دليل ، كيف تحكمون بذلك مع وضوح بطلانه ؟ .

١٥٥ - أنسيتم دلائل القدرة والتنزيه فلا تتذكرون حتى وقعتم في الضلال ؟ .

١٥٦ - بل ألكم قوة دليل بين تستدلون به على ما تدعون ؟ .

١٥٧ - فأتوا بحجتكم - إن كان لكم حجة في كتاب سماوى - إن كنتم صادقين فيما تقولون وتحكمون .

(١) ما حدث لسيدنا يونس عليه السلام معجزة وليس في طبيعة الأشياء ما يمنع حدوث ابتلاع حوت رجلا وبقاءه حيا في جوفه بعض الوقت ، وهناك احتمالان : أحدهما : أن يكون الحوت من غير ذوات الأسنان من المراكولات الضخام مثل المراكول العادى الذى يرتاد البحر الأبيض المتوسط وقد يبلغ طوله نحو عشرين مترا فبقى يونس في فمه المائل بين صفائح البالين المتدلية من سقفه إلى أن لفظه في العراء لأن حلق هذه الحيتان تضيق كثيرا عن ابتلاع رجل .

الثانى : أن يكون الحوت من ذوات الأسنان مثل حوت العنبر الذى يبلغ طوله نحو عشرين مترا أيضا . وأن هذا الحوت شوهد مرارا في البحر الأبيض المتوسط . ويمكنه أن يتبلغ في العادة حيوانات ضخاما قد يتجاوز طولها ثلاثة أمتار .

لْمُحْضَرُونَ ١٥٨ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٦٠ فَإِن كُرَّ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَلْتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ١٦٣ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ١٦٦ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُوا بِهِ ١٧٠ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧١ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧٢ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ١٧٣ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ١٧٤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ١٧٥ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ١٧٦

١٥٨ - تمادوا في اعتقادهم وجعلوا بين الله وبين الجنة المستورين عنهم قرابة ، ولقد علمت الجنة إن الكفار محضرون الى الله ، لينالوا جزاءهم المحتوم .

١٥٩ - تنزيها لله - تعالى - عما يذكره المفكرون من صفات العجز والنقص .

١٦٠ - لكن عباد الله المخلصين برآء مما يصفه الكافرون .

١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ - فانكم - أيها الكفار - وما تعبدون من دون الله ، ما أنتم على ما تعبدون من دونه بمضلين أحدا باغوائكم ، إلا من سبق في عمله - تعالى - أنه من أهل الجحيم وسيصلى نارها .

١٦٤ - وقالت الملائكة - متحيزين لموقف العبودية :- ما أحد منا إلا له مقام في المعرفة والعبادة معلوم لا يتعداه .

١٦٥ - وإنا نحن الصافون أنفسنا في مواقف العبودية دائما .

١٦٦ - وإنا نحن المزهون لله - تعالى - عما لا يليق به في كل حال .

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ - وإن كان كفار مكة قبل بعثة الرسول ليقولون : لو أن عندنا كتابا من جنس كتب الأولين ، كالتوراة والانجيل - لكننا عباد الله المخلصين له العبادة .

١٧٠ - وجاءهم الكتاب فكفروا به ، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم .

١٧١ ، ١٧٢ - أقسم : لقد سبق قضاؤنا لعبادنا المرسلين ، أن النصر والعاقبة لهم على الكافرين .

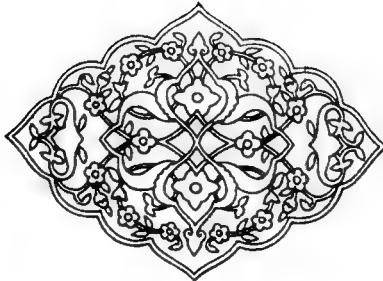
١٧٣ - وأن أتباعنا وأنصارنا لهم الغلبة - وجدهم - على المخالفين .

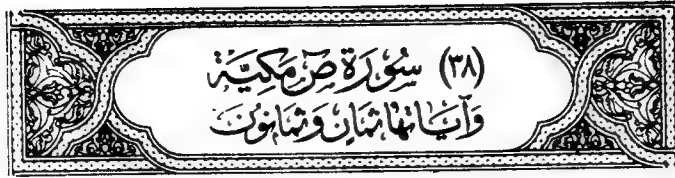
١٧٤ - فأعرض عنهم وانتظر إلى وقت مؤجل ، فانتنا سنجعل لك العاقبة والنصر والظفر .

١٧٥ - وانظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ، فسوف يعاينون الهزيمة بصفوفهم ، ويرون نصر الله للمؤمنين .

أَفِعْذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾
وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- ١٧٦ - أسلبوا عقولهم فبعذابنا يستعجلون ؟ ..
١٧٧ - فإذا نزل العذاب بفنائهم الواسع فساء صباح المبشرين بالعذاب .
١٧٨ - وأعرض عنهم إلى حين ينتهى إليه أمرهم .
١٧٩ - وأبصر ما يستقبلهم ويستقبلك ، فسوف يرون ما به يستعجلون .
١٨٠ - تنزهها لله خالقك وخالق القوة والغلبة عما ينعونه به من المفريات .
١٨١ - وسلام على الأصفياء المرسلين .
١٨٢ - والثناء لله - وحده - خالق العالمين ، والقائم على الخلق أجمعين .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرَّاهَلَكًا مِّن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ

هذه السورة هي الثامنة والثلاثون من سور القرآن الكريم، وهي مكية وآياتها ثمان وثمانون آية.

وقد صورت لنا لونا من عناد المشركين لدعوة النبي - ﷺ - وحسدهم على ما كرمه الله به من شرف الرسالة ونزول القرآن، فردت عليهم ما تعلقوا به من أوهام باطلة، وبينت أن الذي حملهم على محاربة الدعوة ما هم فيه من أنفة كاذبة وحب للمخالفة والشقاق، وأنه لو نزل بهم عذاب الله لما كان موقفهم من الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - هذا الموقف. ثم ضرب الله الأمثال بالأمم السابقة، ليكون ذلك زجرا لهم عن العناد واللجاج، وتثبيتا لرسوله - ﷺ - على ابلاغ الدعوة مهما يلاقى في سبيلها من عنت المشركين ومكرهم، وليشكر الله على ما بقى عليه من نعم، كما فعل اخوانه من الأنبياء والمرسلين. وعقب هذا بذكر ما أعده الله للمتقين من حسن المآب، وما أعده للطاغين من شر المآل. ثم ذكرهم بما كان بين أبيهم آدم - عليه السلام - وعدوه ابليس، ليعلموا أن ما يدعوهم إليه من التكبر عن اتباع الحق خلق من أخلاقه، وأن هذا الاستكبار كان سببا لطرده من رحمة الله.

وختمت السورة بتحديد مهمة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وهو ابلاغ الدعوة وأنه لا يسألهم عليها من أجر، وليس هو المتكلف لها من تلقاء نفسه، وما القرآن إلا ذكر للعالمين، وليعلمن صدق أنبائه بعد حين.

١ - ص: حرف بدئت به السورة على طريقة القرآن في بدء بعض السور بالحروف المقطعة، أقسم بالقرآن ذى الشرف والشأن العظيم أنه الحق لا ريب فيه.

٢ - بل الذين كفروا في استكبار عن اتباع الحق ومعاندة لأهله.

٣ - كثيرا ما أهلكنا قبلهم من أمة مكذبة، فاستغاثوا حين جاءهم العذاب، وليس الوقت وقت خلاص منه.

٤ - وعجب هؤلاء أن جاءهم رسول بشر مثلهم، وقال الجاحدون لرسالته: هذا عموه شديد الكذب.

إِلَهِهَا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ۝ وَأَنطَلَقَ أَمَلًا مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
 يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِإِمْلَةٍ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
 مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
 قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِن كُلَّ
 إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقَّ عِقَابِ ۝ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا مِنْ قَوَاقٍ ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا
 فِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۝ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا نَحْنُرْنَا الْجِبَالَ

٥ - أجعل الآلهة المتعددة ألها واحدا؟! ان هذا الأمر بالغ نهاية العجب .

٦ - واندفع الكبراء منهم يوصى بعضهم بعضا : ان سيروا على طريقتكم ، واثبتوا على عبادة آلهتكم ، ان هذا لأمر جسيم يراد بنا .

٧ - ما سمعنا بهذا التوحيد في دين آبائنا الذين أدركناهم . ما هذا إلا كذب مصنوع .

٨ - أخص محمد من بيننا بشرف نزول القرآن عليه ؟! ليس الحق في شيء مما زعموا بل هم من القرآن في حيرة وتحيط بل انهم لم يتحيروا ويتخبطوا إلا لأنهم لم يذوقوا عذابي بعد وانهم لذائقوه .

٩ - بل نسأل هؤلاء الحاسدين لك : عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ، حتى يتخيروا للنبوة من تهوى أنفسهم ؟!

١٠ - بل نسألهم : ألهم ملك السموات والأرض وما بينها ؟! اذن فليتدرجوا في المراق إلى المنزل التي يتحكمون فيها بما يشاءون ، ان استطاعوا .

١١ - جند حقير هنالك مهزوم - لا محالة - كما هزم أمثالهم من المتحزبين على الأنبياء ؟

١٢ ، ١٣ - كذبت قبل هؤلاء قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأبنية العظيمة الراسخة كالجبال ، وثمود . وقوم لوط وقوم شعيب - أصحاب الشجر الكثير الملتف - أولئك الذين تحزبوا على رسلهم كما تحزب قومك .

١٤ - ما أحد من كل هؤلاء إلا كذب رسوله ، فحل بهم عقابي .

١٥ - وما ينتظر هؤلاء المتحزبون على الرسل الا صيحة واحدة لا تحتاج إلى تكرار .

١٦ - وقال الكافرون مستهزئين : ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب قبل يوم الجزاء .

١٧ - اصبر - يا محمد - على ما يقوله فيك المشركون ، واذكر عبدنا داود ذا القوة في الدين والدنيا ، انه كان رجاءا إلى الله في جميع أحواله .

مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُسْطِطْ وَاهِدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ ﴿٢٥﴾ يَلِدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

١٨ - انا ذللنا الجبال معه ، يستغل ما فيها من منافع ، وهن يزهن الله - تعالى - عن كل نقص في آخر النهار وأوله .

١٩ - وذللتنا له الطير مجموعة من كل صنف وكل مكان ، كل من الجبال والطيور رجاعة لمشيئة داود ، يصرفها كيف شاء للخير العام .

٢٠ - وقوينا ملكه ، وآتيناه النبوة ، وتمييز الحق من الباطل .

٢١ - وهل جاءك - يا محمد - خبر الخصوم الذين جاءوا داود من سور المحراب وهو محل العبادة ، لا من باب .

٢٢ - إذ دخلوا على داود فخاف منهم واضطرب . قالوا : لا تخف ، نحن متخاصمان ، ظلم بعضنا بعضا ، فاحكم بيننا بالعدل ولا تتجاوز ، وأرشدنا إلى الطريقة المثلى .

٢٣ - قال أحد الخصمين : ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فقال : اجعلنى كافلا لها كما أكفل ماتحت يدى : وغلبنى فى المخاطبة .

٢٤ - قال داود قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر : لقد ظلمك بطلب ضم نعجتك إلى نعاجه ، وان كثيرا من المتخالطين ليجور بعضهم على بعض ، إلا من استقر الايمان فى قلوبهم ، وكان عمل الصالحات من دأبهم ، وهم قلة نادرة ، وعرف داود أن الأمر ما هو إلا امتحان منا له ، فطلب من الله المغفرة ، وانحنى راکعاً لله ، ورجع إليه خاشعاً .

٢٥ - ففقرنا له تعجله فى الحكم ، وان له عندنا لقربى وحسن مرجع .

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ
 الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ
 النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾
 كَتَبْنَا نُزْلَهُ لَكَ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِّدَّبَرٍ وَّءَايَاتِهِ ۖ وَلِيُنذَرَ أُولَٰئِكَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعَمَ الْعَبْدِ
 إِنَّهُ ءَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِرَاتُ الْجِبَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ
 رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ۖ وَالْقَيْنَا عَلَىٰ

٢٦ - وأوحى الله إليه : يا داود انا صيرناك خليفة عنا في الأرض ، فاحكم بين الناس بما شرعت لك ،
 ولا تسر في الحكم وراء الهوى ، فيحيد بك عن سبيل الله ، ان الذين يحيدون عن سبيل الله باتباع أهوائهم لهم
 عذاب شديد بغفلتهم عن يوم الجزاء .

٢٧ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينها عبثا ، ذلك ما يظنه الكافرون ، فأجروا الأحكام على أهوائهم ،
 فعذاب شديد للذين كفروا من النار .

٢٨ - أيليق بحكمتنا وعدلنا أن نسوى بين المؤمنين الصالحين وبين المفسدين في الأرض ، أم يليق أن نسوى
 بين من خاف عذابنا واتق عقابنا وبين المتعدين على أحكامنا ؟ !

٢٩ - هذا المنزل عليك - يا محمد - كتاب أنزلناه كثير النفع ، ليتعمقوا في فهم آياته ، وليتعض به أصحاب
 العقول الصحيحة والبصائر النيرة .

٣٠ - وهبنا لداود سليمان المستحق للثناء ، الخلق أن يقال فيه : نعم العبد ، لأنه رجاع إلى الله في كل
 أحواله .

٣١ - واذكر من أخبار سليمان أنه عرض عليه بعد الظهر الخيل الأصيلة التي تسكن حين وقوفها وتسرع حين
 سيرها .

٣٢ - فقال سليمان : انى أشربت حب الخيل - لأنها عدة الخير وهو الجهاد في سبيل الله - حبا ناشئا عن ذكر
 لربى ، ومازال مشغولا بعرضها حتى غابت عن ناظره .

٣٣ - أمر بردها عليه ليتعرف أحوالها ، فأخذ يمسح سوقها وأعناقها ترفقا بها وحبا لها .

كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَافٍ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِلْأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ إِذْ سَمِعَ بِأَنَّ آلَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُحَرِّمُونَ

٣٤ - ولقد امتحنا سليمان حتى لا يفتر بأبهة الملك ، فألقيناه جسدا على كرسيه لا يستطيع تدبير الأمور ، فتنبه إلى هذا الامتحان فرجع إلى الله - تعالى - وأناب .

٣٥ - دعا سليمان ربه - منيبا إليه - رب اغفر لي ما بدر مني ، وهب لي ملكا لا يليق لأحد من بعدى ، انك أنت الوهاب الكثير العطاء .

٣٦ - فذللنا له الريح ، تجري حسب مشيئته رحية هينة ، حيث قصد وأراد .

٣٧ - وذللنا له كل بناء وغواص في أعماق البحار من الشياطين المتمردين .

٣٨ - وآخرين من هؤلاء الشياطين قرن بعضهم ببعض في الأغلال والسلاسل ، ليكف فسادهم عن الآخرين .

٣٩ - وأوحى إليه أن هذا الذى أنعمنا به عليك عطاؤنا ، فاعط من شئت واحرم من شئت ، فلا حساب عليك فى الاعطاء أو المنع .

٤٠ - ان لسليمان عندنا لقربة عظيمة وحسن مرجع ومآل .

٤١ - واذكر - يا محمد - عبدنا أيوب إذ دعا ربه أنى أصابني الشيطان بالتعب والألم .

٤٢ - فاستجبنا له وناديناه : أن اضرب برجليك الأرض ، فثمت ماء بارد تغتسل منه وتشرب ، فيزول ما بك من نصب وعذاب .

٤٣ - وجمعنا شمله بأهله الذين تفرقوا عنه أيام محنته ، وزدنا عليهم مثلهم ، وفعلنا ذلك رحمة منا له وعظة لأولى العقول ، ليعرفوا أن عاقبة الصبر الفرج .

٤٤ - كان أيوب قد حلف أن يضرب أحدا من أهله عددا من العصي ، فحلل الله يمينه بأن يأخذ حزمة فيها العدد الذى حلف أن يضربه به ، فيضرب بالحزمة من حلف على ضربه ، فيبر يمينه بأقل ألم ، وقد من الله عليه بهذه النعم ، لأن الله وجده صابرا على بلائه ، فاستحق بذلك الثناء ، فنعم الموصوف بالعبادة هو لأنه رجع إلى الله فى كل الأمور .

وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرَ ۖ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۖ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ
 الْأَخْيَارِ ۖ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۖ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
 مِثَابٍ ۖ جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ۖ مُتَكِّينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۖ
 * وَعِنْدَهُمْ قَلْصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ ۖ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۖ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ
 نَفَادٍ ۖ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مِثَابٍ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ السَّيِّئَاتُ ۖ هَذَا فَلْيَذُقُوهُ حِمِيمٌ
 وَغَسَّاقٌ ۖ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۖ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ

٤٥ - واذكر عبدنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى القوة في الدين والدنيا والبصائر النيرة .

٤٦ - انا اخصصناهم بصفة هي ذكرهم الدار الآخرة ويذكرونها ويذكرون بها .

٤٧ - وإنهم عندنا لمن المختارين الأخيار .

٤٨ - واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكلهم من الأخيار .

٤٩ - هذا الذى قصصناه عليك نبأ بعض المرسلين تذكير لك ولقومك ، وان للمتقين المتحرزين من عصيان

الله - تعالى - حسن مرجع ومآل .

٥٠ - أعد لهم جنات عدن مفتحة لهم أبوابها ، لا يصدهم عنها صاد .

٥١ - يجلسون فيها متكئين على الأرائك والسرر شأن المترفين ، ويتمتعون فيها بطلب فاكهة كثيرة وشراب

كثير .

٥٢ - وعندهم في الجنة من نسوة قصرن أبصارهن على أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم ، وهن مستويات

السن معهم ، ليكون ذلك أدعى إلى الوفاق .

٥٣ - هذا النعيم هو الذى توعدهن ليووم القيامة .

٥٤ - ان هذا لعطاؤنا ما له من نهاية .

٥٥ - هذا النعيم جزاء المتقين . وان للطاغين المتمردين على أنبيائهم لشر مآل ومنقلب .

٥٦ - وهو جهنم ، يدخلونها ويقاسون حرها ، وبشس الفراش هي .

٥٧ - هذا ماء بلغ الغاية في الحرارة وصديد أهل جهنم ، يؤمرون أن يذوقوه .

٥٨ - وعذاب آخر مثل هذا العذاب أنواع مزدوجة .

٥٩ - ويقال للطاغين - وهم رؤساء المشركين - : هذا جمع كثير داخلون النار معكم في زحمة وشدة ، وهم

اتباعكم ، فيقول هؤلاء الرؤساء : لا مرحبا بهم ، إنهم داخلون النار مقاسون حرها .

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدِمْتُمُوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا
ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَوَّا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ
لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنْتُمْ أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ

٦٠ - قال الأتباع : بل أنتم أحق بهذا الدعاء الذي دعوتكم به علينا ، لأنكم الذين قدمتم لنا هذا العذاب
باغرائكم لنا ودعوتنا إلى الكفر ، فكفرنا بسبيكم ، فبس الدار والمستقر جهنم .

٦١ - قال الأتباع : ربنا ، من تسبب لنا في هذا العذاب فزده عذابا مضاعفا في النار .

٦٢ - وقال أهل النار : ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم في الدنيا من الأشرار الأراذل الذين لا خير فيهم ؟ !
وهم فقراء المسلمين .

٦٣ - كيف اتخذناهم في الدنيا هزوا ولم يدخلوا النار معنا ، ام انهم دخلوها وزاغت عنهم أبصارنا فلم
نرهم ؟ ! .

٦٤ - ان ذلك الذي ذكرناه من حديث أهل النار حق لأبد أن يقع ، وهو تخاصم أهل النار بعضهم مع
بعض .

٦٥ - قل للمشركين - يا محمد - : انما أنا مخوف من عذاب الله ، وما من معبود بحق إلا الله الواحد الذي
لا شريك له ، القهار الذي يغلب كل ذي سلطان .

٦٦ - رب السموات والأرض وما بينها ، العزيز الذي لا يغلب ، الغفار المتجاوز عن ذنوب من آمن به .

٦٧ ، ٦٨ - قل لهم - يا محمد - : هذا الذي أنذرتكم به خبر عظيم أنتم عنه معرضون لا تفكرون فيه .

٦٩ - ما كان لي من علم بأخبار الملائكة الأعلى وقت اختصاصهم في شأن آدم ، لأنني لم أسلك للعلم الطريق
المتعارف بين الناس من قراءة الكتب أو التلقى عن المعلمين ، وطريق علمي هو الوحي .

٧٠ - ما يوحى إلى الا لأنني رسول أبلغكم رسالة ربي بأبين عبارة .

٧١ - اذكر لهم حين قال ربك للملائكة : اني خالق بشرا - وهو آدم عليه السلام - من طين .

٧٢ - فإذا أنمت خلقه ونفخت فيه سر الحياة - وهو الروح - فخروا له ساجدين سجود تعظيم وتحية ،
لا سجود عبادة .

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٦﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٨٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٨١﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٣﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَصِينَ ﴿٨٦﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٧﴾ لَا مَلَأَن جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالِينَ ﴿٩٠﴾ وَلِتَعْلَمَنَ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩١﴾

٧٣، ٧٤ - فامتثل الملائكة كلهم أجمعون، وخرروا له ساجدين، إلا إبليس لم يسجد، وتعاضم وتكبر، وكان بهذا التكبر من الكافرين.

٧٥ - قال الله تعالى: يا إبليس، ما منعك من السجود لما خلقتك بنفسى بلا واسطة! أتكبرت مع أنك غير كبير، أم أنت فى حقيقة نفسك من المتفوقين!.

٧٦ - قال إبليس: أنا خير من آدم، لأنك خلقتنى من نار وخلقتة من طين، فكيف أسجد له!.

٧٧ - قال الله تعالى لإبليس - جزاء له على تكبره عن أمر ربه -: فاخرج من جماعة الملائكة الأعلى، فإنك مطرود من رحمتى.

٧٨ - وأن عليك ابعادى لك عن كل خير إلى يوم الجزاء، فتجزى على كفرك بى وتكبرك على.

٧٩ - قال إبليس: رب أمهلنى ولا تمتنى إلى يوم البعث.

٨٠، ٨١ - قال الله تعالى: فإنك من الموجلين المهلين إلى يوم الوقت المعلوم لنا، وهونهاية الدنيا.

٨٢، ٨٣ - قال إبليس: فبعظمتك وجلالك لأغوين البشر أجمعين، إلا عبادك الذين أخلصتهم لطاعتك، فلا سلطان لى عليهم.

٨٤، ٨٥ - قال الله تعالى: الحق يمينى وقسمى، ولا أقول إلا الحق، لأملأن جهنم من جنسك من الشياطين ومن تبعك من ذرية آدم أجمعين، لا فرق عندى بين تابع ومتبوع.

٨٦ - قل لأمتك - يا محمد - ما أسألكم على ما أمرت بتبليغه إليكم من القرآن والوحى أجرا، وما أنا من الذين يتحلون بإبليس فيهم حتى أدعى النبوة.

٨٧ - ما القرآن الا تذكير وعظة للعالمين جميعا.

٨٨ - ولتعلمن - أيها المكذبون به - صدق ما اشتمل عليه من وعد ووعد وأخبار عن أمور مستقبلية وآيات كونية بعد وقت قريب.

(٣٩) سُورَةُ الزُّمَرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الْخَيْرُ وَسَبْعُونَ

هذه السورة مكية، قيل إلا ثلاث آيات منها هي الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤، وآياتها ٧٥ آية. افتتحت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن، ثم بالدعوة إلى اخلاص العبادة لله - وحده - والرد على من قال: إن الله ولدا، ثم عرضت الآيات قدرة الله - تعالى - في خلق السموات والأرض وخلق الإنسان، وأن الناس إن يكفروا به فهو غنى عنهم، وإن يشكروا يرضه لهم ولا يرضى لهم الكفر، كما عرضت لخلق من أخلاق الإنسان في موضعين: أنه إذا مسه الضر دعا ربه وأناب إليه، وإذا أنعم عليه نسي ما كان يدعو إليه من قبل.

ثم عقدت مقارنة بين من يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وبين المتمردين عليه، وما أعد هؤلاء وأولئك من الجزاء يوم القيامة، ثم ذكرهم بنعمة الله عليهم بانزاله الماء، وأنه يحيى به الأرض بعد موتها، وينبت به النبات الذي يأخذ أطوارا متعددة، وفي ذلك ذكرى لأولى الألباب.

وتعود السورة للحديث عن القرآن وتأثيره على الذين يخشون ربه، وأن الله قد ضرب فيه الأمثلة لعلهم يتذكرون، قرآنا غير ذي عوج لعلهم يتقون، ثم قارنت السورة بين العبد المشرك والعبد المخلص لله، وأنها لا يستويان، وأن الموت هو مال الجميع، ثم عند ربه يختصمون.

ثم بينت مآل من كذب على الله وكذب بالصدق، ومآل الصادقين في أقوالهم، المصدقين ما أنزل إليهم، وأن هؤلاء المشركين لو سألتهم: من خلق السموات والأرض؟ ليقولن: الله. ولكنهم - مع ذلك - يعبدون من لا يدفعون عنهم ضرا إن أرادهم الله بضر، ولا يمسون رحمة إن أراد الله بهم رحمة، ثم تقرر هذه السورة أن هذا الكتاب أنزل بالحق، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإثم على نفسه، وأن الرسول - ﷺ - ليس عليهم بوكيل.

ثم تعود إلى تذكيرهم بالموت والبعث، وأن الشركاء الذين اتخذوهم من دون الله لا يملكون لهم شيئا، حتى الشفاعة، فإن الله الشفاعة جميعا.

ولما كثر الكلام عما أعد للعصاة والمسرئين من العذاب الأليم - وربما كان هذا مما يبعث في قلوبهم اليأس من رحمة الله - فتح لهم باب الأمل في رحمته «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا، انه هو الغفور الرحيم» ودعاهم إلى الانابة إليه قبل أن يأتيتهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون: «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة». والذين اتقوا لا يسهم السوء ولا هم يحزنون. وختمت السورة بالحديث عن اليوم الآخر من مبدئه يوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. إلى أن يأخذ كل ذي حق حقه، فيساق أهل النار إليها، كما يساق أهل الجنة إليها، ويقولون فيها: الحمد لله الذي صدقنا وعده وقضى بين الجميع بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفْلُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَرْوِجَ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا

١ - تنزيل القرآن من الله الذي لا يغلبه أحد على مراده ، الحكيم في فعله وتشريعه .

٢ - انا أنزلنا إليك - يا محمد - القرآن أمرا بالحق ، فاعبد الله مخلصا له - وحده - العبادة .

٣ - الا الله - وحده - الدين البرى من كل شائبة ، والمشركون الذين اتخذوا من دونه نصراء يقولون : ما نعبد هؤلاء لأنهم خالقون ، إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله - تقريبا - بشفاعتهم لنا عنده ، ان الله يحكم بين هؤلاء المشركين وبين المؤمنين الموحدون فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الشرك والتوحيد ، ان الله لا يوفق لادراك الحق من شأنه الكذب والامعان فيه .

٤ - لو أراد الله أن يتخذ ولدا - كما قالت النصارى في المسيح والمشركون في الملائكة - لاختار الولد من خلقه كما يشاء هو ، لا كما تشاءون أنتم ، تنزه الله عن أن يكون له ولد ، هو الله الذي لا مثيل له ، القهار الذي بلغ الغاية في القهر .

٥ - خلق السموات والأرض متلبسا بالحق والصواب على ناموس ثابت ، يلف الليل على النهار ويلف النهار على الليل على صورة الكرة ، وذلّل الشمس والقمر لارادته ومصلحة عباده ، كل منها يسير في فلكه إلى وقت محدد عنده .. وهو يوم القيامة ، الا هو - دون غيره - الغالب على كل شيء ، فلا يخرج شيء عن ارادته ، الذي بلغ الغاية في الصفح عن المذنبين من عباده (١) .

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الأرض كروية تدور حول نفسها لأن مادة التكوير معناها لف الشيء على الشيء على سبيل التتابع ، ولو كانت الأرض غير كروية « مسطحة مثلا » لحيم الليل أوطلع النهار على جميع أجزائها دفعة واحدة .

مَنْ بَعْدَ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَتَدَا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِنَّهُ آتَاءٌ الْبَلَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

٦ - خلقكم - أيها الناس - من نفس واحدة هو آدم أبو البشر، وخلق من هذه النفس زوجه حواء، وأنزل لصلحكم ثمانية أنواع من الأنعام ذكرا وأنثى : وهى الابل والبقر والضأن والماعز، يخلقكم فى بطون أمهاتكم طورا من بعد طور فى ظلمات ثلاث : هى ظلمة البطن والرحم والمشيمة، ذلكم المنعم بهذه النعم الله مربيكم ومالك أمركم، له - لا لغيره - الملك الخالص، لا معبود بحق إلا هو، فكيف يعدلون عن عبادته إلى عبادة غيره؟! (١).

٧ - ان تكفروا بنعمه - أيها الناس - فإن الله غنى عن إيمانكم وشكركم، ولا يحب لعباده الكفر، لما فيه من ضرهم، وان تشكروه على نعمه يرض هذا الشكر لكم، ولا تحمل نفس أثمة اثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم مآلكم فيخبركم بما كنتم تعملون فى الدنيا، إنه عليم بما تكنه قلوبكم التى فى الصدور (٢).

٨ - وإذا أصاب الإنسان مكروه - من مكاره الدنيا - دعا ربه راجعا إليه بعد أن كان معرضا عنه، ثم إذا أعطاه ربه نعمة عظيمة نسى الضر الذى كان يدعو ربه إلى ازالته وكشفه من قبل أن يمن عليه بهذه النعمة، وجعل الله شركاء متساوين معه فى العبادة، فعل هذا الإنسان ذلك ليضل نفسه وغيره عن طريق الله. قل - يا محمد - لمن هذه صفته متوعدا : تمتع بكفرك بنعم الله عليك زمنا قليلا، انك من أهل النار.

(١) تنشأ البويضة فى أحد مبيضى المرأة، حتى إذا اكتمل نضجها انطلقت منه فيتلقفها أحد بوق فالوب، ثم تمضى فى قناة فالوب فى طريقها إلى الرحم فلا تصله الا بعد بضعة أيام قد يقدر لها فى أثنائها أن يخصبها الحيوان النوى من الرجل فتبدأ توارى مراحل تطورها المبكرة، وفى الرحم يمضى الجنين بقية مدة الحمل حيث يكون لنفسه فيها غلافين « السلى » Charlon ويسهم جزء منه فى تكوين المشيمة والرحل Awnion الذى يحيط بالجنين احاطة مباشرة.

وقد اختلفت الآراء فى تحديد الظلمات الثلاث فى الآية الكريمة فن ذلك أنها :

١ - البطن، الرحم، والمشيمة (ويقصد بها ما يغلف الجنين بصفة عامة).

٢ - الرحم والسلى والرحل.

٣ - البطن والظهر والرحم.

٤ - المبيض وقناة فالوب والرحم.

والظاهر أن الرأى الأخير هو الأرجح لأنها ثلاث متفرقات فى أماكن مختلفة، أما الآراء الأخرى فإنها تشير فى الواقع إلى ظلمة واحدة فى مكان واحد تحيط به طبقات متعددة، ولعل الخالق العظيم قد أومأ فى كتابه إلى هذه الحقيقة العلمية فى زمن لم يكن الناس قد اكتشفوا فيه بويضة الثدييات ومسلكتها ذاك فى أجسام الاناث بعيدا عن العيون.

(٢) هذا من القرآن الكريم صريح فى مبدأ شخصية العقوبة مثل ما ورد فى سورة يوسف من قوله تعالى : « قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده، انا إذن لظالمون » وهذا من القرآن الكريم تأصيل للمبدأ المذكور وهو المبدأ الذى لم يستقر فى فقه القانون إلا فى العصور الحديثة.

وَبَرِّجُوا رَحْمَةً رَبِّهِ ۖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۚ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾
 قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ
 دُونِهِ ۚ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ
 مِنَ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَعْبَادُ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا

٩ - أمن هو خاشع لله أثناء الليل يقضيه ساجدا وقائما ، يخشى الآخرة ويرجو رحمة ربه ، كمن يدعو ربه في
 الضراء وينسأه في السراء ؟! قل لهم - يا محمد - : هل يستوى الذين يعلمون حقوق الله فيوحدونه ، والذين
 لا يعلمون ، لا همالم النظر في الأدلة ؟! انما يتعظ أصحاب العقول السليمة .

١٠ - قل - أيها النبي - مبلغا عن ربك يا عبادي الذين آمنوا بي ، اتخذوا وقاية من غضب ربكم ، فإن لمن
 أحسن العمل عاقبة حسنة ، في الدنيا بالتأييد ، وفي الآخرة بالجنة . ولا تقيموا في ذل ، فأرض الله واسعة ،
 واصبروا على مفارقة الأوطان والأحباب ، إنما يوفى الله الصابرين أجرهم مضاعفا ، لا يدخل تحت حساب
 الحاسبين .

١١ - قل : انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له عبادى من كل شرك ورياء .

١٢ - وأمرت منه تعالى - أمرا مؤكدا - أن أكون أول المنقادين لأوامره .

١٣ - قل : انى أخشى ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم الهول .

١٤ ، ١٥ - قل لهم يا محمد - : الله وحده - أعبد ، مبرئا عبادى من الشرك والرياء ، فإذا عرفت طريقي ولم
 تطيعون فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل لهم : ان الخاسرين - كل الخسران - هم الذين أضاعوا أنفسهم بضلالهم ،
 وأهليهم باضلالهم يوم القيامة . ألا ذلك الضياع هو الخسران الكامل الواضح .

١٦ - لهؤلاء الخاسرين من فوقهم طبقات متراكمة من النار ومن تحتهم مثلها ، ذلك التصوير للعذاب يخوف
 الله به عباده ، يا عباد : فآخشوا بأسى .

الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَنَحْنُ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَنَحْنُ شَرٌّ مِّنْ اللَّهِ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ

١٧ ، ١٨ - والذين اجتنبوا الأصنام والشياطين أن يتقربوا إليها ، ورجعوا إلى الله في كل أمورهم ، لهم البشارة العظيمة في جميع المواطن ، فبشر - يا محمد - عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون الأحسن والأهدى إلى الحق ، أولئك - دون غيرهم - الذين يوفقههم الله إلى الهدى ، وأولئك هم - دون غيرهم - أصحاب العقول النيرة .

١٩ - أتملك التصرف في ملكي ، فمن وجبت عليه كلمة العذاب تستطيع أن تمنعه ؟ ! ألك هذه القوة ، فأنت تنقذ من في النار بعد أن وجبت لهم ؟ !

٢٠ - لكن الذين خافوا ربهم لهم أعلى الجنة وقصورها ، مبنية بعضها فوق بعض ، تجري من تحتها الأنهار ، وعدا من الله ، والله لا يخلف وعده .

٢١ - ألم تر - أيها المخاطب - أن الله أنزل من السماء ماء ، فأجراه في ينابيع وعيون في الأرض ، ثم يخرج به زرعاً مختلفاً أشكاله ، ثم يبس بعد نضارته فتراه مصفراً ، ثم يجعله فتاتاً متكسراً ، ان في ذلك التنقل من حال إلى حال لتذكير لأولي العقول المنيرة (١) .

٢٢ - أكل الناس سواء ، فمن شرح الله صدره للإسلام بقبول تعاليمه ، فهو على بصيرة من ربه ، كمن أعرض عن النظر في آياته ؟ ! . فعذاب شديد للذين قست قلوبهم عن ذكر الله ، أولئك القاسية قلوبهم في انحراف عن الحق واضح .

(١) دورة المياه في الطبيعة من السماء إلى الأرض حيث تسلك فيها عيوناً لم تعرف قبل أواسط القرن الثامن ، حيث أن الفكرة التي كانت سائدة قبل ذلك كانت تقول : ان ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتياً إليه من حفر وآبار في قيعان البحار .

ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَسْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ اَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَبًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّا نَكُفِّرُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكَ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٣ - الله نزل أحسن الحديث كتابا تشابهت معانيه وألفاظه في بلوغ الغاية في الإعجاز والاحكام ، تتردد فيه المواعظ والأحكام ، كما يكرر في التلاوة ، تنقبض عند تلاوته وسماع وعيده جلود الذين يخافون ربه ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك الكتاب الذي اشتمل على هذه الصفات نور الله يهدي به من يشاء ، فيوفقه إلى الايمان به ، ومن يضلله الله - لعلمه أنه سيعرض عن الحق - فليس له من مرشد ينقذه من الضلال .

٢٤ - أكل الناس متساوون ، فمن يتقى بوجهه العذاب السوء الشديد يوم القيامة بعد أن تغل يداه ، كمن يأتي أمنا يوم القيامة ؟ وقيل للظالمين : ذوقوا وبال عملكم .

٢٥ - كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين فجاءهم العذاب من حيث لا يتوقعون .

٢٦ - فأذاقهم الله الصغار في الحياة الدنيا ، أقسم : لعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا ، لو كانوا من أهل العلم والنظر .

٢٧ - ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل يذكرهم بالحق ، رجاء أن يتذكروا ويتعظوا .

٢٨ - أنزلنا قرآنا عربيا بلسانهم ، لا اختلال فيه ، رجاء أن يتقوا ويخشوا ربه .

٢٩ - ضرب الله مثلا للمشرك رجلا مملوكا لشركاء متنازعين فيه ، وضرب مثلا للموحد رجلا خالص الملكية لواحد ، هل يستويان مثلا ؟ لا يستويان . الحمد لله على اقامة الحججة على الناس ، لكن أكثر الناس لا يعلمون الحق .

٣٠ ، ٣١ - انك - يا محمد ، وإنهم جميعا ميتون . ثم انكم بعد الموت والبعث عند الله يخاصم بعضهم بعضا .

* فَنَ أظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرَّهُ ۚ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ

٣٢ - فليس أحد أشد ظلماً ممن نسب إلى الله ما ليس له ، وأنكر الحق حين جاءه على لسان الرسل من غير تفكير ولا تدبر ، أليس في جهنم مستقر للكافرين المغترين حتى يجتروا على الله ؟ !

٣٣ - والذي جاء بالحق وصدق به إذ جاءه ، أولئك هم المتقون لا غيرهم .

٣٤ - هؤلاء المتقين عند ربهم ما يحبون ، ذلك الفضل جزاء كل محسن في عقيدته وعمله .

٣٥ - أكرم الله المتقين بما أكرمهم به ، ليغفر لهم أسوأ عملهم ، ويوفيهم أجورهم بأحسن ما عملوا في الدنيا .

٣٦ - الله - وحده - كاف عباده كل ما يهيمهم ، ويخوفك - يا محمد - كفار قريش بأهتهم التي يدعونها من دون الله ، وذلك من ضلالهم ، ومن يضل الله - لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى - قاله من مرشد يرشده .

٣٧ - ومن يرشده الله إلى الحق ويوفقه إليه - لعلمه أنه يختار الهدى على الضلالة - قاله من مضل ينحرف به عن سبيل الرشاد ، أليس الله بمنع الجناب ، ذى انتقام شديد ، فيحفظ أوليائه من أعدائه ؟ !

٣٨ - وأقسم : لنن سألت - يا محمد هؤلاء المشركين - من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : الله هو الذي خلقهن . قل لهم - يا محمد - : أعقلتم فرأيتم الشركاء الذين تدعونهم من دون الله ، ان شاء الله ضرى هل هن مزيلات عنى ضره ، أو شاء لى رحمة هل هن مانعات عنى رحمته ؟ ! قل لهم - يا محمد - : الذى يكفينى فى كل شىء وحده ، عليه - لا على غيره - يعتمد المتوكلون المفوضون كل شىء إليه .

٣٩ ، ٤٠ - قل لهم - متوعداً - : يا قوم اثبتوا على طريقتكم من الكفر والتكذيب انى ثابت على عمل

فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلِ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

ما أمرني به ربى ، فسوف تدركون من منا الذى يأتيه عذاب بذله ، وينزل عليه عذاب دائم لا ينكشف عنه ؟
٤١ - انا أنزلنا عليك - أيها النبي - القرآن الكريم لجميع الناس مشتملا على الحق الثابت . فن استرشد به فنتفع ذلك لنفسه ، ومن ضل عن طريقه فانما يرجع وبال ضلاله على نفسه وما أنت - يا محمد - بموكل بهدائيتهم ، فاعليك الا البلاغ ، وقد بلغت .

٤٢ - الله يقبض الأرواح حين موتها ، ويقبض الأرواح التى لم تمت حين نومها ، فيمسك التى قضى عليها الموت لا يردها إلى بدنها ، ويرسل الأخرى التى لم يحن أجلها عند البقطة إلى أجل محدد عنده . ان فى ذلك لأدلة واضحة لقوم يتدبرون .

٤٣ - بل اتخذ المشركون من دون الله شفعاء يتقربون بهم إليه . قل لهم - يا محمد - : أفعلمت هذا ولو كان هؤلاء الشفعاء لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟

٤٤ - قل لهم - يا محمد - لله وحده الشفاعة كلها ، فلا يناها أحد إلا برضاه ، له - وحده - ملك السموات والأرض ، ثم إليه - وحده - ترجعون فيحاسبكم على أعمالكم .

٤٥ - وإذا ذكر الله - وحده - دون أن تذكر آلهتهم انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يؤمنون بالحياة الآخرة ، وإذا ذكرت آلهتهم التى يعبدونها من دون الله سارعوا إلى الفرح والاستبشار .

٤٦ - قل يا محمد - متوجها إلى مولاك : يا الله يا خالق السموات والأرض على غير مثال ، يا عالم السر والعلن ، أنت - وحدك - تفصل بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدنيا والآخرة ، فاحكم بينى وبين هؤلاء المشركين .

٤٧ - ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك كل ما فى الأرض جميعا وضعفه معه لقدموه افتداء لأنفسهم من سوء العذاب الذى أعد لهم يوم القيامة ، وظهر لهم من الله ما لم يخطر على بالهم من العذاب .

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَتْهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ ۚ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ

٤٨ - وظهر لهم في هذا اليوم سوء عملهم، وأحاط بهم من العذاب ما كانوا يستهزئون به في الدنيا.

٤٩ - فإذا أصاب الإنسان ضرر نادانا متضرعا، ثم إذا أعطيناه - تفضلا منا - نعمة قال هذا الإنسان: ما أوتيت هذه النعم الا لعلم مني بوجوه كسبه، وفات هذا الإنسان أن الأمر ليس كما قال، بل هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه اختبار له ليبين له الطائع من العاصي، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها اختبار وفتنة.

٥٠ - قد قال هذه المقالة الذين من قبل هؤلاء المشركين، فادفع عنهم العذاب ما اكتسبوه من مال ومتاع.

٥١ - فأصاب الكفار السابقين جزاء سيئات عملهم، والظالمون من هؤلاء المخاطبين سيصيبهم جزاء سيئات عملهم، وما هؤلاء بفلتين من عقاب.

٥٢ - أيقول هؤلاء ما قالوا ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويعطيه بقدر لمن يشاء على مقتضى حكته: ان في هذا لعبرا لقوم يؤمنون.

٥٣ - قل - يا محمد - مبلغا عن ربك: يا عبادي الذين أكثروا على أنفسهم من المعاصي، لا تيأسوا من رحمة الله، ان الله يتجاوز عن الذنوب جميعا، انه هو - وحده - العظيم في مغفرته ورحمته.

٥٤ - وارجعوا - أيها المسرفون على أنفسهم - إلى مالك أمركم ومربيكم، وانقادوا له من قبل أن يجيئكم العذاب ثم لا ينصركم أحد من الله ويدفع عنكم عذابه.

٥٥ - واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم - وهو القرآن الكريم - من قبل أن يجيئكم العذاب فجأة وعلى غير استعداد، وأنتم لا تعلمون بمجيئه.

نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

٥٦ - ارجعوا إلى ربكم ، وأسلموا له ، واتبعوا تعاليمه ، لئلا تقول نفس مذنبه حيناً ترى العذاب : يا أسقى على ما فرطت في جنب طاعة الله وحقه ، وإني كنت في الدنيا لمن المستهزئين بدينه .

٥٧ - أوتقول تلك النفس المذنبه - متحملة للعذر - : لو أن الله وفقني للهدى لكنت في الدنيا من الذين وقوا أنفسهم من عذاب الله بالإيمان والعمل الصالح .

٥٨ - أوتقول تلك النفس المذنبه - حين تشاهد العذاب - : ليت لي رجعة إلى الدنيا ، فأكون فيها ممن يحسنون العقيدة والعمل .

٥٩ - بلى - أيها النادم - قد جاءتك تعاليمى على لسان الرسل ، فكذبت بها وتعاليت عن اتباعها ، وكنت في دنياك من الثابتين على الكفر .

٦٠ - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله - فنسبوا إليه ما ليس له - وجوههم مسودة من الحزن والكآبة ، إن في جهنم مقراً للمتكبرين المتعاليين عن الحق .

٦١ - وينجي الله الذين جعلوا لهم وقاية من عذاب الله ، بما سبق في علمه من فوزهم ، لاختيارهم الهدى على الضلال ، لا يصيبهم في هذا اليوم السوء ، ولا هم يحزنون على فوت نعيم كانوا يؤملونه .

٦٢ - الله خالق كل شيء - وهو وحده - على كل شيء وكيل ، يتولى أمره بمقتضى حكمته .

٦٣ - لله وحده تصاريف أمور السموات والأرض ، فلا يتصرف فيهن سواء الكافرون بحجج الله وبراهينه هم - وحدهم - الخاسرون أتم خسران .

٦٤ - قل - يا محمد - : أفبعد وضوح الآيات على وجوب توحيد الله بالعبادة تأمروني أن أخص غيره بالعبادة أيها الجاهلون ؟ !

لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالسَّانِدِينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا

٦٥ - وأقسم : لقد أوحى إليك - يا محمد - وإلى الرسل من قبلك : لن أشركت بالله شيئاً - ما - ليبطن الله عملك ، ولتكونن من القوم الخاسرين أتم خسران .

٦٦ - لا تجبهم - أيها الرسول - إلى ما طلبوه منك ، بل اعبد الله - وحده - وكن من القوم الشاكرين له على نعمه .

٦٧ - وما عظم المشركون الله حق عظمتهم ، وما عرفوه حق معرفته اذ أشركوا معه غيره ، ودعوا الرسول - ﷺ - إلى الشرك به ، والأرض جميعها مملوكة له يوم القيامة ، والسموات قد طويت - كما تطوى الثياب - بيمينه ، تنزه الله عن كل نقص ، وتعالى علوا كبيرا عما يشركونه من دونه .

٦٨ - وسينفخ - حتماً - في الصور^(١) ، فيموت من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله أن يؤخرهم إلى وقت آخر ، ثم نفخ فيه أخرى فإذا الجميع قائمون من قبورهم ، ينتظرون ما يفعل بهم .

٦٩ - وأضاءت الأرض - يومئذ - بنور خالقها ومالكها ، وأعد الكتاب الذي سجلت فيه أعمالهم ، وأحضر الأنبياء والعدول ليشهدوا على الخلق ، وفصل بين الخلق بالعدل ، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب .

٧٠ - وأعطيت كل نفس جزاء عملها ، والله أعلم بفعلهم .

٧١ - وحث الكافرون على السير - بعنف - إلى جهنم جماعات . جماعات ، حتى إذا بلغوها فتحت أبوابها ، وقال لهم حراسها - موجحين - : ألم يأتكم سفراء عن الله من نوعكم ، يقرأون عليكم آيات ربكم ، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا ؟ ! قال الكافرون مقرين : بلى جاءتنا الرسل ، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين ، لاختيارهم الكفر على الإيمان .

(١) الصور لغة : البوق ، والصور الذي حدثنا عنه القرآن من عالم الغيب ، لا ندري كنهه وحقيقته .

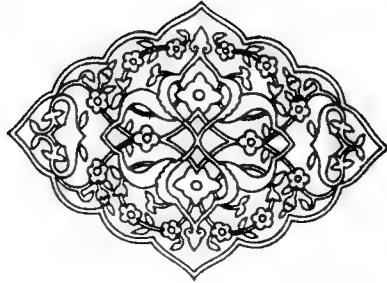
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِن حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

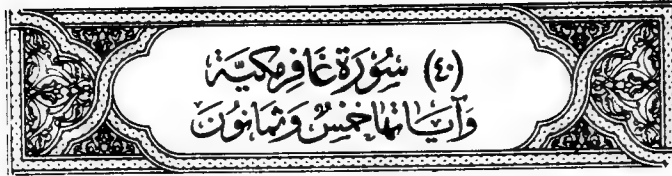
٧٢ - قيل لهم : ادخلوا أبواب جهنم مقدرًا لكم فيها الخلود فبئس مثوى للمتكبرين مستقروا للمتعالين عن قبول الحق .

٧٣ - وحث المتقون على السبر - مكرمين إلى الجنة جماعات جماعات ، حتى إذا بلغوها ، وقد فتحت أبوابها ، وقال لهم حفظتها : أمان عظيم عليكم ، طبتم في الدنيا من دنس المعاصي ، وطبتم في الآخرة - نفسا - بما نلتهم من النعيم ، فادخلوها مقدرًا لكم الخلود ، فإن لكم من النعيم مالا يحظر على بال .

٧٤ - وقال المتقون : الثناء لله - وحده - الذي حقق لنا ما وعدنا به على لسان رسله وملكتنا أرض الجنة ننزل منها حيث نشاء ، فنعلم أجر العاملين المحسنين الجنة .

٧٥ - وترى - أيها الرائي - الملائكة محيطين بالعرش ، يزدهون الله عن كل نقص ، تنزيها مقترنا بحمد خالقهم ومربيهم ، وفصل بين جميع الخلائق بالعدل ، ونطق الكون كله قائلا : الحمد لله رب الخلائق كلها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ۝ مَا يُجَدِّدُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ۝

افتتحت هذه السورة - كما افتتحت سور كثيرة - بحرفين من حروف الهجاء ، وابتدئت بالتنويه بشأن القرآن المنزل من العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول . ثم دعت إلى التوحيد وعدم الاغترار بما قد يكون عليه الكافرون من سلطان ، ودعتهم إلى أن يذكروا مآل الأمم قبلهم .

وتحدثت السورة - بعد ذلك - عن حملة العرش وتسبيحهم ودعائهم ، وصورت حال الكافرين وما هم فيه من غضب الله . وتحدثت السورة - في أكثر من موضع - عن آيات الله وقدرته في أنفسهم وما يحيط بهم من السموات والأرض ، وما أفاض عليهم من نعمه ، كما دعاهم الله - في أكثر من آية - إلى توحيده بالعبادة « فادعوا الله مخلصين له الدين » « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو » . كما اشتملت السورة - في بعض آياتها - على التذكير باليوم الآخر « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين » وتحدثت السورة عن شيء من قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وقومه . ولاسيما مؤمن آل فرعون ، وختمت السورة بدعوة الناس إلى أن يسيروا في الأرض لينظروا ما حل بالأمم قبلهم ، وكيف كان عاقبة غرورهم بما عندهم من العلم ، فلما حل بهم عذاب الله قالوا : أمانا بالله - وحده - وكفرنا بما أشركنا به ، ولكنهم آمنوا بعد فوات الاوان « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » وتلك سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وعند نزول العذاب خسر هنالك الكافرون .

١ - ح ، م : حرفان من حروف الهجاء بدئت بها السورة - على طريقة القرآن في بعض السور - للإشارة إلى أن القرآن من جنس كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله .

٢ ، ٣ - تنزيل القرآن من الله القوى الغالب ، المحيط علمه بكل شيء ، وقابل التوبة من التائبين ، شديد العذاب ، صاحب الإنعام ، لا معبود بحق إلا هو ، إليه - وحده - المرجع والمآل .

٤ - ما يمارى في آيات الله الدالة عليه الا الذين كفروا ، فلا يخدعك تنقلهم في البلاد بتيسير الله شئونهم مع كفرهم .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ۖ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا

٥ - كذبت قبل هؤلاء المشركين قوم نوح والمجتمعون على معاداة الرسل من بعد قومه ، وحرصت على إيقاع الشر برسولهم ليأخذوه بالبطش ، وتمازوا في الباطل الذي لا حقيقة له ، ليزيلوا بمجدلهم الحق الثابت ، فأخذتهم بالعذاب المستأصل ، فانظر كيف كان عقابي لهم ؟!

٦ - وكما حقت كلمة العذاب على الأمم التي كذبت أنبياءها ، حقت كلمة ربك على الكافرين بك - يا محمد - لأنهم أصحاب النار ، لاختيارهم الكفر على الإيمان .

٧ - الذين يحملون العرش من الملائكة ، والمحيطون به ، ينزهون مالك أمرهم ومربيهم عن كل نقص تنزها مقترنا بالثناء عليه ، ويؤمنون به ويطلبون المغفرة للمؤمنين قائلين : ربنا وسعت رحمتك كل شيء ، وأحاط علمك بكل شيء ، فاصفح عن سيئات الذين رجعوا إليك واتبعوا طريقك ، وجنبهم عذاب الجحيم .

٨ - ويقول هؤلاء الملائكة : ربنا وأدخل المؤمنين جنات الإقامة التي وعدتهم بها على لسان رسلك ، وأدخل معهم الصالحين من الآباء والأزواج والذرية ، انك أنت - وحدك - الغالب الذي لا يقبل ، الحكيم الذي لا يخطئ .

٩ - ويقولون في دعائهم : جنب المؤمنين جزاء سيئاتهم ، ومن جنبته جزاء سيئاته يوم الجزاء فقد رحمتهم بفضلك ، والوقاية من جزاء السيئات هو الظفر البالغ العظم .

١٠ - ان الذين كفروا ينادون : لكرهه الله وبفضه لكم أكبر من كراهتكم أنفسكم التي أوردتكم موارد العذاب ، حين كنتم تدعون إلى الإيمان مرة بعد مرة فتسارعون إلى الكفر .

أَنْتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَنْتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوُومُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَلْظَمِينَ مَالِ الظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

١١ - قال الكافرون: ربنا أمتنا موتين: مorte من حياتنا الدنيا، ومorte من حياتنا في البرزخ^(١)، وأحييتنا مرتين: مرة هي حياتنا الدنيا، ومرة أخرى بالبعث من القبور، فهل إلى خروجنا من العذاب من طريق.

١٢ - ذلكم العذاب الذي أنتم فيه، لأن شأنكم في الدنيا إذا دعى الله - وحده - كفرتم وان يشرك به غيره تؤمنوا، وإذا كان هذا شأنكم فقد استحققتهم جزاء شرككم، فالحكم لله العلي الكبير الذي يجازى من كفر بما يستحقه.

١٣ - الله الذي يريكم دلائل قدرته، فينزل لمصالحكم من السماء ماء يكون سبب رزقكم وما يتعظ بهذا الا من يرجع إلى التفكير في آيات الله.

١٤ - فاعبدوا الله مخلصين له العبادة، ولو أبغض الكافرون عبادتكم واخلاصكم.

١٥، ١٦ - الله على المقامات، صاحب العرش، ينزل الوحي من قضائه وأمره على من اصطفاه من عباده، ليخوف الناس عاقبة مخالفة المرسلين يوم التقاء الخلق أجمعين: يوم الحساب الذي يظهر فيه الناس واضحين، لا يخفى على الله من أمرهم شيء، يتسامعون نداء رهيباً: لمن الملك اليوم؟ وجواباً حاسماً: لله الواحد المتفرد بالحكم بين عباده، البالغ القهر لهم.

١٧ - اليوم تجزى كل نفس بما فعلت، لا ظلم اليوم بنقص أجر أو زيادة عقاب، ان الله سريع حسابه فلا يتأخر عن وقته.

١٨ - وخوفهم - يا محمد - يوم القيامة القريبة، حين تكون القلوب عند الحناجر من شدة الخوف، ممتلئين غيظاً لا يستطيعون التعبير عنه، ليس للظالمين أنفسهم بالكفر قريب ولا شفيع يطاع في أمرهم.

١٩ - وهو - سبحانه - يعلم النظرة الخائنة للعين، وما تخفيه الصدور من المكنونات.

(١) وقد يدل على حياة البرزخ - التي هي حياة خاصة لا نعلم كنهها - ما ذكره الله تعالى في قوله عن آل فرعون « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وقوله تعالى: « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون ».

دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَدْرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ

٢٠ - والله يحكم بالعدل ، والشركاء الذين يدعونهم من دون الله لا يحكون بشيء لعجزهم ، ان الله - وحده - هو المحيط بكل ما يسمع ويبصر .

٢١ - أقعد المشركون ولم يسيروا في الأرض ، فبروا كيف كان حال الأمم الذين كانوا من قبلهم ؟ ! كانوا هم - أشد منهم قدرة وأناراً في الأرض ، فاستأصلهم الله بذنوبهم وليس لهم من الله حافظ يحفظهم من عذابه .

٢٢ - ذلك العذاب الذي نزل بهم ، لأنهم كانت تأتيم رسلهم بالأدلة الواضحات فجحدوها ، فعجل الله عذابهم المستأصل ، انه ذو قوة عظيمة ، بالغ الشدة في العذاب .

٢٣ ، ٢٤ - أقسم : لقد أرسلنا موسى بمعجزاتنا وبرهان ذي سلطان واضح إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا : هو ساحر بما جاء من المعجزات ، مبالغ في الكذب لدعواه أنه رسول من ربه .

٢٥ - فلما أتاهم موسى بالحق من عندنا قال فرعون ومن معه لاتباعهم : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واتركوا نساءهم أحياء ، وليس مكر الكافرين الا ذاهبا في متاهة وضياح .

٢٦ - وقال فرعون : دعوني أقتل موسى وليدع ربه لينقذه مني ، اني أخشى أن يغير دينكم - يا قوم - أو أن يشيع في الأرض الفتن .

٢٧ - وقال موسى لفرعون وقومه : اني تحصنت بمالك أمري الذي رباني ، ومالك أمركم ومريكم بنعمه واحسانه ، من كل متفطرس متعال لا يؤمن بيوم الحساب .

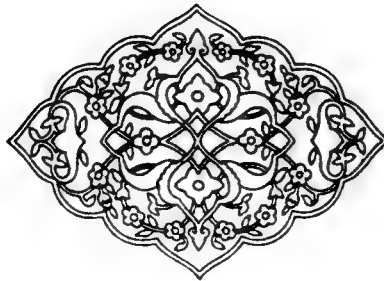
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَنْقُومُ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْرَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَنْقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنْأَوْنَ مَذْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ

٢٨ - وقال رجل مؤمن من أهل فرعون يخفى إيمانه - مخاطبا قومه - : أنتقصدون رجلا بالقتل لأنه يقول : معبودى الله ، وقد جاءكم بالأدلة الواضحات من مالك أمركم ومربيكم ، وإن يكن كاذبا في دعواه فعليه - وحده - وبال كذبه ، وإن يكن صادقا ينزل بكم بعض الذى يخوفكم به من العذاب ، إن الله لا يوفق إلى طريق النجاة من هو مجاوز الحد مبالغ في الكذب .

٢٩ - يا قومى : لكم الملك اليوم عالين في أرض مصر دون غيركم . فمن ينقذنا من عذاب الله إن جاءنا ؟ ! قال فرعون : ما أظهر لكم من رأى إلا الذى أعتقد ، وما أرشدكم بهذا رأى إلا طريق الهداية .

٣٠ ، ٣١ - وقال الرجل الذى آمن من آل فرعون : يا قوم انى أخشى عليكم يوما مثل يوم الاقوام المتحزبين على رسلهم ، مثل عادة قوم نوح وعاد وثمود والاقوام الذين من بعدهم ، وما الله يشاء ظلما لعباده .

٣٢ ، ٣٣ - ويا قوم : انى أخاف عليكم يوم تصايح الخلق بعضهم على بعض ، يوم تفرون مدبرين ، ليس لكم من الله من مانع ، ومن يضلله الله - لعلمه أنه يختار الضلالة على الهدى - فاله من مرشد يهديه .



مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلُومُ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا ۖ وَكَذَلِكَ زُينَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كِيدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُولُمُ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُحْزَنُ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَقُولُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَآشْرِكُ بِهِ ۖ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ

٣٤ - أقسم : لقد أتاكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات ، فما زلتم في شك مما أتاكم به ، حتى إذا مات قلتم : لن يرسل الله من بعد يوسف رسولا ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله من هو بمجاوز الحد ، كثير الشك والارتباب .

٣٥ - الذين يجادلون في آيات الله بغير برهان جاءهم ، كبر كرها وسخطا عند الله وعند المؤمنين ما انطبعوا عليه من الجدل ، مثل هذا الختم يختم الله على كل قلب متعال على الخلق ، متسلط على الناس .

٣٦ ، ٣٧ - وقال فرعون : يا هامان ابن لي بناء عاليا رجاء أن أبلغ المسالك .. مسالك السموات فأرى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذبا في دعوى الرسالة ، ومثل هذا التزين الباطل زين لفرعون سوء عمله حتى رآه حسنا ، ومنع عن سبيل الحق لاختياره سبيل الضلالة ، وليس مكر فرعون الا في خسر عظيم .

٣٨ - وقال الذي آمن من قوم فرعون : يا قوم اقتدوا بي أرشدكم طريق الصلاح .

٣٩ - يا قوم : ما هذه الحياة الدنيا الا كمتاع الراكب يقف بسرعة ، وإن الدار الآخرة هي - وحدها - دار الاستقرار .

٤٠ - من عمل سيئة في الدنيا فلا يجازى عليها في الآخرة الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها رزقا غير مقدر بحساب الحاسين .

٤١ ، ٤٢ - ويا قوم : أى شيء لى ، أدعوكم إلى أسباب النجاة وتدعوننى إلى النار ؟ . تدعوننى إلى الكفر بالله واشراك من لا علم لى به ، وأنا أدعوكم إلى القوى الذى لا يغلب ، الكثير المغفرة للذنوب .

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفِئُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾
فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَآكِرُوهًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَخْجَاجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ
تَأْتِيكُمُ الرُّسُلُ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَتُوكُمُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ

٤٣ - لا محالة أن الاله الذي تدعونني إلى عبادته ليس له دعوة يستجيبها في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن
مرجعنا إلى الله ، وأن المجاوزين الحدود هم أهل النار لا المؤمنين المعتدلين .

٤٤ - فستعلمون صدق ما قلته لكم ، وأكل أمرى إلى الله ، إن الله محيط بصره بالعباد فيجازيهم على أعمالهم .

٤٥ ، ٤٦ - فوق الله مؤمن آل فرعون شدايد مكرهم وأحاط بآل فرعون العذاب السيئ ، النار يدخلونها
صباحا ومساء ، هذا في الدنيا وهم في الدنيا وهم في عالم البرزخ ، ويوم القيامة يقول الله تعالى : ادخلوا قوم فرعون
أشد أنواع العذاب .

٤٧ - واذكر لهم - يا محمد - حين يتخاصم أهل النار فيها ، فيقول الضعفاء - وهم الاتباع - للمستكبرين -
وهم الرؤساء - : انا كنا لكم في الدنيا تبعاً ، فهل أنتم حاملون عنا جزءاً من عذاب النار ؟ .

٤٨ - قال المستكبرون : اننا كلنا فيها نحن وأنتم ، ان الله فصل بالحق بين العباد ، فلكل منا ما قضاء عليه
من العذاب .

٤٩ - وقال الذين في النار من الضعفاء والكبراء لحفظة جهنم - متوسلين إليهم - ادعوا آلهكم يخفف عنا يوماً
من العذاب نستروح فيه .

٥٠ - قال خزنة جهنم لهم - موبخين - : ألم تنبهوا إلى ما نزل بكم وكانت تحيىكم الرسل بالبراهين
الواضحات ؟ قال أهل جهنم :

بلى جاءتنا الرسل فكذبناها . قال الخزنة : فإذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم ، وما دعاء الجاحدين إلا في
ضياح .

٥١ - انا لننصر رسلنا والمؤمنين في الحياة الدنيا بالانتقام من أعدائهم واقامة الحجة عليهم ، وفي يوم القيامة
يوم يقوم الشهود يشهدون للرسل بالتبليغ ، ويشهدون على الكفرة بالتكذيب .

سُوءِ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى

٥٢ - يوم لا ينفع الظالمين اعتذارهم عما فرط منهم في الدنيا، ولهم الطرد من الرحمة، ولهم سوء الدار.

٥٣، ٥٤ - أقسم لقد آتينا موسى ما يهتدى به إلى الحق، وأورثنا بني اسرائيل التوراة هادية ومذكرة لأصحاب العقول السليمة.

٥٥ - إذا عرفت ما قصصناه عليك فاصبر - يا محمد - على ما ينالك من أذى، إن وعد الله بنصرك ونصر المؤمنين حق لا يتخلف، واطلب المغفرة من ربك لما قد يعد ذنبا بالنسبة إليك، ونزه ربك عن النقائص تنزهها مقترنا بالثناء عليه أواخر النهار وأوائله.

٥٦ - ان الذين يمارون في دلائل الله بغير حجة جاءتهم منه - تعالى - ليس في صدورهم إلا تعال عن اتباع الحق، وليس تعالىهم بموصلهم إلى غايتهم. فاطلب الحفظ من الله، انه هو المحيط سمعه وبصره وكل شيء.

٥٧ - أقسم: لخلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس، لكن أكثر الناس سلبوا العلم، فلم يؤمنوا بالبعث مع اقرارهم بأنه خالق السموات والأرض.

٥٨ - وما يستوى الأعمى عن الحق والبصير العارف به، ولا يستوى المحسنون الذين آمنوا وعملوا الصالحات والسيء في عقيدته وعمله، قليلا - أى قليل - تذكرون أيها الناس.

٥٩ - إن القيامة لآتية لا شك فيها، ولكن أكثر الناس لا يصدقون.

٦٠ - وقال خالقكم ومالك أمركم: اسألوني أعطكم، إن الذين يتعاضمون عن دعائي سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين.

النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾
كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۖ وَصَوَّرَكُمُ
فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۖ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ * قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ
لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُمْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَمُوتُ مِن قَبْلٍ ۚ وَلِتَبْلُغُوا

٦١ - الله - وحده - الذى جعل لكم الليل لتهدأوا فيه وتستريحوا من العمل ، والنهار مضياً لتعملوا فيه ، ان
الله لصاحب فضل عظيم على الناس ، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على نعمه .

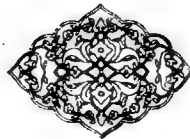
٦٢ - ذلکم المنعم بهذه النعم الجليلة الله مالک أمرکم ، خالق کل شیء ، لا معبود بحق إلا هو فالى أى جهة
تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره ؟ !

٦٣ - مثل هذا الانصراف عن الحق إلى الباطل انصرف الذين كانوا من قبلكم ينكرون آيات الله
ويجحدونها .

٦٤ - الله - وحده - الذى جعل لكم الأرض مستقرة صالحة لحياتكم عليها ، والسماء بناء محکم الترابط ،
وقدر خلقكم فأبدع صوركم ، وجعلكم فى أحسن تقويم ، ورزقكم من المباحات ما يلد لكم ، ذلك المنعم بهذه النعم
الله ربكم ، فتعالى الله مالک العوالم كلها ومريهم .

٦٥ - هو المنفرد بالحياة الدائمة ، لا معبود بحق إلا هو ، فتوجهوا بالدعاء إليه مخلصين له العبادة ، الثناء كله
حق ثابت لله رب الخلائق جميعا .

٦٦ - قل - أيها الرسول - : إني نهيت عن عبادة الآلهة التى تعبدونها من دون الله . حين جاءنى الحجج من
ربى ، وأمرت أن أنقاد فى كل أمورى لله رب العوالم كلها .



أَجْلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَلَمَّا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يَصْرِفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذَا الْأَغْصَانُ فِي أَعْنَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُن نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَمَّا نُرِيتَكَ بِعَضِّ الذِّبْنِ نَعْدُهُمْ

٦٧ - الله - وحده - الذي خلقكم - يا بني آدم - من تراب ، ثم حول من هذا التراب نطفة ، ثم حول هذه النطفة إلى قطعة دم جامدة ، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا ، ثم يد في آجالكم لتبلغوا سن الكمال في القوة والعقل ، ثم يطيل أعماركم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى قبل سن الشباب أو الشيخوخة ، وخلقكم الله على هذا النمط لتبلغوا وقتا مسمى عنده وهو يوم البعث ، ولكي تعقلوا ما في هذا التنقل في الأطوار من حكم وعبر (١) .

٦٨ - الله الذي يحيى ويميت ، فإذا أراد إبراز أمر إلى الوجود فلانما يقول له : كن ، فيكون دون تخلف .

٦٩ - ألم تنظر إلى الذين يجادلون في آيات الله الواضحة ، كيف يصرفون عن النظر فيها ويصرون على ما هم فيه من ضلال .

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ - الذين كذبوا بالقرآن وبما أرسلنا به رسلنا - جميعا - من الوحي ، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم حين تكون الأغصان والسلاسل في أعناقهم ، يحرقون بها في الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة ، ثم بعد ذلك يلقون في النار يصطلون حرها ، ثم يقال لهم - توبيخا وتبكيتا - : أين معبوداتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟ ! قال الكافرون : غابوا عنا ، بل الحق أننا لم نكن نعبد من قبل في الدنيا شيئا يعتد به ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله الكافرين عن سبيل الحق لعلهم أنهم يؤثرون الضلالة على الهدى .

٧٥ ، ٧٦ - يقال للكافرين : ذلكم العذاب بسبب ما كنتم في الدنيا تفرحون في الأرض بغير ما يستحق الفرح ، وبسبب توسعكم في الفرح بما يصيب أنبياء الله وأوليائه من أذى ، ادخلوا أبواب جهنم مقدرًا لكم فيها الخلود ، فبئس مستقرا المتكبرين جهنم .

(١) « هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة .. الخ » ..

التعليق على النطفة والعلقة والمضغة الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ السجدة ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ المؤمنون ، ٦٧ غافر و ٥ الحج .

النطفة في اللغة : تطلق على معان منها منى الرجل .

وبالرجوع إلى الآية الكريمة (ألم يك نطفة من منى) تبين أن المقصود بالنطفة جزءه خاص من هذا المنى ، وقد كشف العلم عن المقصود بهذا الجزء وهو الحيوان المنوى الذي يحمله السائل المنوى وهذا الحيوان هو الذي يلقح بويضة الأنثى .

أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ

٧٧ - فاصبر - يا محمد - ان وعد الله لك - بعذاب أعدائك - حق لا ريب فيه ، وسيأتيهم هذا العذاب اما في حياتك أو حين يرجعون إلينا ، فإن نرك بعض ما خوفناهم من العذاب في حياتك فذاك ، وان تمتك قبل ذلك فالينا يرجعون ، فنحاسبهم على ما كانوا يفعلون .

٧٨ - وأقسم : لقد أرسلنا رسلا كثيرين من قبلك ، منهم من أوردنا أخبارهم عليك ومنهم من لم نرد عليك أخبارهم ، وما كان لرسول منهم أن يأتي بمعجزة الا بمشيئة الله وإرادته ، لا من تلقاء نفسه ولا باقتراح قومه ، فاذا جاء أمر الله بالعذاب في الدنيا أو الآخرة قضى بينهم بالعدل ، وخسر في ذلك الوقت أهل الباطل .

٧٩ - الله الذي ذلل لكم الإبل ، لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها .

٨٠ - ولكم فيها منافع كثيرة غير الركوب والأكل ، ولتبلفوا عليها حاجة تهتمون بها في أنفسكم ، كجسر الانتقال وحملها ونحو ذلك . وعلى الإبل التي هي نوع من الأنعام ، وعلى الفلك تحملون أتم وأمتعتكم .

٨١ - ويريكم الله دلائل قدرته فأخبروني أي دليل منها تنكرون ، وهي من الوضوح بحيث لا ينكرها من له أدنى عقل ! ؟

٨٢ - أقعدوا فلم يسيروا في الأرض فإروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الهلاك والتدمير ! ؟ كان من قبلهم أكثر منهم عدداً وأشد منهم قوة وآثارا في الأرض ، فادفع عنهم عذاب الله ما كسبوه من مال أو قوة أو سلطان .

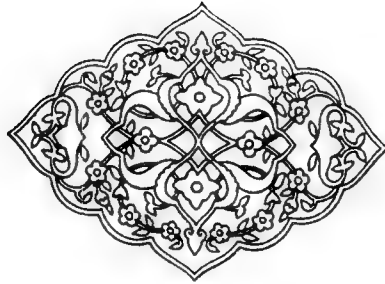
العلقة : من معانيها في اللغة الدم الجامد أو السائل أو الذي اشتدت حرته . . والمراد بها علميا خلايا الجنين التي تعلق بجدار الرحم بعد طور تليح الحيوان المنوي للبيضة وصيرورتها خلية واحدة تنقسم إلى عدة خلايا وتكاثر وتتحرك نحو جدار الرحم وتنشعب وتستنبط محدة نزيها من الدم محليا .

المضغة : هي الجنين في طور من أطوار تكوينه ، يتلو العلقه بعد التصاقها بجدار الرحم واستدارتها بغير انتظام واحاطتها بأغشية ، حيث تبقى المضغة كذلك بضعة أسابيع حتى يبدأ تكوين العظام ، والمضغة تحتوى على خلايا مخلقة وهي التي يتكون منها الجنين ، وعلى خلايا غير مخلقة وهي التي تحيط بالجزء المخلق ووظيفتها وقايته وامتداده بالغذاء .

العظام : أثبت علم الاجنة أخيرا أن مراكز تكوين العظام تظهر في الطبقة المتوسطة من خلايا المضغة المختلفة في مرحلة سابقة تميز الخلايا العضلية .

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

- ٨٣ - فحين جاءت هذه الأمم رسلهم بالشرائع والمعجزات الواضحات فرحت هذه الأمم بما عندهم من علوم الدنيا ، واستهزءوا بعلم المرسلين ، فغزل بهم العذاب الذي أخبرهم به المرسلون وكانوا به يستهزئون .
- ٨٤ - فلما رأَت هذه الأمم شدة عذابنا قالوا : صدقنا بالله - وحده - وأنكرنا الآلهة التي كنا بسببها مشركين .
- ٨٥ - فلم يكن ينفعهم إيمانهم حين رأوا شدة عذابنا ، سن الله سنة قد سبقت في عباده ألا يقبل الإيمان حين نزول العذاب ، وخسر وقت نزول العذاب الكافرون .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف المعجم على طريقة القرآن الكريم في كثير من السور، وقد نوهت هذه السورة في كثير من آياتها بشأن القرآن الكريم وما اشتمل عليه من بشارة وإنذار، وبينت موقف المشركين منه، من الإعراض عنه ومحاربة دعوته، وموقف الرسول منهم من الثبات على دعوته وقوله لهم: «انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد، فاستقيموا إليه واستغفروه» وتأخذ السورة في تذكير المشركين بآيات قدرة الله - تعالى - في خلق السموات والأرض ثم تخويفهم بما وقع لأقرب الأمم إلى ديارهم عاد وثمود، وتذكرهم باليوم الآخر يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وما يكون بينهم وبين أعضائهم من المجادلة يومئذ، وما يدعو به الاتباع ربه يوم القيامة: «ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين». وكما هي سنة الله في هذا الكتاب أنه إذا تحدث عن الكافرين تحدث عن المؤمنين، فقد تحدثت السورة عن الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، وما أعد لهم من نعيم مقيم، وعقدت المقارنة بين الخير والشر: «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة».

ثم تنتقل السور فتلفت الأنظار إلى آيات قدرة الله - تعالى - الدالة على امكان البعث وحياء الموقى. ثم تعود مرة أخرى - إلى تشديد التذكير على المحرفين لآيات الله وأنهم لا يخفون على الله، وأن هذا الكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وأن رسالة محمد ليست بدعا من الرسالات. وتقرر السورة خلقا من أخلاق الإنسان أنه إذا أنعم الله عليه أعرض عن الحق، وإذا مسه الشر فذود دعاء عريض.

وختمت السورة بتقرير أمرين هما أهم ما اشتملت عليه من الأغراض، أولهما: التنويه بالقرآن الكريم وما اشتمل عليه من الحق الذي لا ريب فيه: «سنرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». وثانيهما: أن ما عليه الكافرون ما هو إلا شك في البعث حملهم على الكفر والضلال: «ألا إنهم في مرية من لقاء ربه، ألا إنه بكل شيء محيط».

١ - حرفان من حروف المعجم افتتحت بهما السورة - كمادة القرآن في افتتاح كثير من السور - لإثارة الانتباه والتدليل على اعجاز القرآن.

٢ - هذا الكتاب تنزيل بديع من المنعم بجلال النعم ودقائقها.

٣ - كتاب ميزت آياته لفظا ومقاطع، ومعنى بتمييزه بين الحق والباطل، والبشارة والإنذار، وتهذيب النفوس، وضرب الأمثال، وبيان الأحكام، وهو مقروء باللسان العربي مسيرا فهمه لقوم يعلمون.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ * قُلْ إِنكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا

٤ - مبشرا المؤمنين العاملين بما أعد لهم من نعيم ، ومخوفا المكذبين بما أعد لهم من عذاب أليم ، فانصرف عنه أكثرهم ، فلم ينتفعوا به ، كأنهم لم يسمعوا .

٥ - وقال الكافرون للرسول - ﷺ : قلوبنا في أغشية متكافئة مما تدعونا إليه من توحيد الله ، وفي آذاننا صمم فلا نسمع ما تدعونا إليه ، ومن بيننا وبينك حجاب منيع يمنعنا من قبول ما جئت به ، فاعمل ما شئت إننا عاملون ما شئتنا .

٦ ، ٧ - قل لهم - أيها الرسول - : ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إلى من الله إنما معبودكم الحق إله واحد ، فاسلكوا إليه الطريق القويم ، واطلبوا منه المغفرة لذنوبكم ، وعذاب شديد للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة إلى مستحقها ، وهم بالحياة الآخرة - دون غيرهم - جاحدون .

٨ - إن المؤمنين الذين عملوا الصالحات لهم جزاء حسن غير مقطوع .

٩ - قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين : عجباً لكم ، تكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين ، وأنتم - مع هذا - تجعلون له شركاء متساوين معه ، ذلك الخالق للأرض مالك العوالم كلها ومربيهم ^(١) .

١٠ - وجعل في الأرض جبلاً ثابتة من فوقها لئلا تميد بكم ، وأكثر فيها الخير وقدر فيها أرزاق أهلها ، حسباً تقتضيه حكمته ، في أربعة أيام ، وأنتم - مع هذا - تجعلون له شركاء ، وقدر كل شيء لا نقص فيه ولا زيادة ، هذا التفصيل في خلق الأرض وما عليها بيان للسائلين .

(١) ذكر اليوم والأيام في سورة أخرى ، ففي سورة الحج الآية (٤٧) قال تعالى : « وإن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون » وفي سورة السجدة الآية (٥) قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » وفي سورة المعارج الآية (٤) قال تعالى : « تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » .

التعليق العلمي : وحدات الزمن التي يستخدمها الناس مرتبطة بالأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس . فإذا ما غادر أحد الأرض إلى جرم سماوي اختلفت هذه الوحدات طولا أو قصراً . والآيات الكريمة تشير إلى هذه الحقيقة العلمية وإلى أن الزمن نسبي . ولا شك في أن هناك سنوات فلكية نسبية يمكن التفرقة بينها ، فالسنة الشمسية على الأرض تحسب بمقدار الزمن الذي تقطع فيه الأرض دورة كاملة حول الشمس في نحو ٣٦٥ يوماً شمسية على حين أن السيارات القريبة من الشمس مثل عطارد يقطع دورته حول الشمس في ٨٨ يوماً ، وعلى حين أن بلوتو وهو أبعد الكواكب السيارة في الشمس وأبطؤها يتم دورته حولها في ٢٥٠ سنة من سنواتنا .

أَوْ كَرِهًا^ط قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ

١١ - ثم تعلقت قدرته بخلق السماء وهي على هيئة دخان فوجدت، وخلقها للسموات والأرض - على وفق ارادته - حين عليه بمنزلة ما يقال للشيء: احضر - راضيا أو كارها - فيطيع.

١٢ - وأتم خلق السموات سبعا في يومين آخرين، وأوجد في كل سماء ما أعدت له واقتضته حكمته، وزين السماء القريبة من الأرض بالنجوم المنيرة كالمصابيح، للهداية من استماع الشياطين لأخبار الملائكة الأعلى، ذلك الخلق المتقن تدبير العزيز الذي لا يغلب، المحيط علمه بكل شيء.

١٣ - فإن أعرض المشركون عن الإيمان بعد وضوح دلائله فقل لهم - أيها الرسول - : خوفتكم عذابا شديدا الوقع كالصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

١٤ - أتت عادا وثمود الصاعقة حين أتتهم رسلهم من جميع الجهات، فلم يدعوا طريقا لإرشادهم إلا سلكوه، وقالوا لهم: لا تعبدوا إلا الله. قالوا: لو أراد الله إرسال رسول لأنزل إلينا ملائكة، فإننا بما أرسلتم به من التوحيد وغيره جاحدون.

١٥ - فأما عاد فتمالوا في الأرض بغير حق لهم في هذا التعالي، وقالوا - مغترين بأنفسهم - : من أشد منا قوة؟! يقولون ذلك ولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟! وكانوا بآياتنا ينكرون.

١٦ - فأرسلنا عليهم ريحا ذات صوت شديد في أيام مشؤمات لنذيقهم عذاب المهوان في الحياة الدنيا، وأقسم: لعذاب الآخرة أشد خزيا، وهم لا ينصروهم ناصر يومئذ.

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجِّنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدَتْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ * وَقَبَضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

١٧ - وأما ثمود فبينما لهم طريق الخير وطريق الشر، فاختراروا الضلالة على الهدى فأصابتهم صاعقة أحرقتهم في مذلة وهوان، بسبب ما كسبوا من ذنوب.

١٨ - ونجينا من هذا العذاب الذين آمنوا وكانوا يتقون الله ويخشون عذابه.

١٩ - واذكر لهم - أيها النبي - يوم يحشر أعداء الله إلى النار، فيجىء أولهم على آخرهم، لبتهم الزام الحجة عليهم بين جميعهم.

٢٠ - حتى إذا ما جاءوا النار وسئلوا عما ارتكبوا من الآثام في الدنيا، فأنكروا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا.

٢١ - وقال أعداء الله لجلودهم: لم شهدتم علينا؟ قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة من العدم، وإليه - وحده - ترجعون بعد البعث فيحاسبكم على ما قدمتم من عمل.

٢٢ - وما كان باستطاعتكم أن تخفوا أعمالكم القبيحة عن جوارحكم مخافة أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، ولكن كنتم تظنون أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالكم، بسبب اتيانها في الخفاء.

٢٣ - وذلك الظن الفاسد الذي ظنتموه بربكم أهلككم، فأصبحتم - يوم القيامة - من الخاسرين أتم خسران.

٢٤ - فإن يكظموا آلامهم فالنار مصيرهم ومستقرهم الدائم، وإن يطلبوا رضا الله عليهم فاهم بمجاين إلى طلبهم.

٢٥ - وهيانا لهم قرناء فاسدين - في الدنيا - فحسنوا لهم ما بين أيديهم من أمور الآخرة - فأغروهم بأنه لا بعث ولا حساب - وما خلفهم من أمور الدنيا ليستمتعوا بها، وثبتت عليهم كلمة العذاب مع أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس ممن كانوا على شاكلتهم، لاختيارهم الضلالة على الهدى، أن هؤلاء - جميعا - كانوا من الخاسرين أتم خسران.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا

٢٦ - وقال الكفار بعضهم لبعض : لا تصفوا لهذا القرآن ، وأتوا بالغو الباطل عند تلاوته فلا يستمع لتلاوته أحد ولا ينتفع به ، رجاء أن تغلبوا محمدا بذلك .

٢٧ - فنقسم : لنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا على فعلهم - ولا سيما محاربتهم القرآن - ولنجزهم أسوأ جزاء على أعمالهم .

٢٨ - ذلك الذي ذكر من العذاب جزاء حق لأعداء الله ، النار معد لهم فيها دار الخلود ، جزاء جحودهم المستمر بآيات الله وحججه .

٢٩ - وقال الكافرون - وهم في النار - : ربنا أرنا الفريقين اللذين أوقعنا في الضلال من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ، ليكونا من الأسفلين مكانة ومكانا .

٣٠ - إن الذين قالوا : ربنا الله اقرارا بوحدانيته ، ثم استقاموا على شريعته ، نزل عليهم الملائكة مرة بعد مرة ، قائلين : ألا تخافوا من شر ينزل لكم ، ولا تحزنوا على خير يفوتكم ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها على لسان الأنبياء والمرسلين .

٣١ ، ٣٢ - وتقول لهم الملائكة : نحن نصرأؤكم في الحياة الدنيا بالتأييد وفي الآخرة بالشفاعة والتكريم ، ولكم في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ والطيبات ولكم فيها ما تتمنون اكراما وتقية من رب واسع المغفرة والرحمة .

٣٣ - لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته ، وعمل - مع ذلك - عملاً صالحاً ، وقال - اعترافاً بعقيدته - : إني من المنقادين لأوامر الله .

٣٤ - ولا تستوى الخصلة الحسنة ولا الخصلة القبيحة ، ادفع الإساءة - إن جاءتك من عدو - بالخصلة التي هي أحسن منها ، فتكون العاقبة العاجلة إن الذي بينك وبينه عداوة كأنه ناصر مخلص

ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أُحْضَاهَا لَمُعْجِزٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَمِينَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ

٣٥ - وما يرزق هذه الخصلة - وهى دفع السيئة بالحسنة - إلا الذين عندهم خلق الصبر ، وما يرزقها إلا ذو نصيب عظيم من خصال الخير وكمال النفس .

٣٦ - وإن يوسوس لك الشيطان ليصرفك عما أمرت به - أيها المخاطب - فتحصن بالله منه ، إن الله هو المحيط سمعه وعلمه بكل شيء فيعبدك منه .

٣٧ - ومن دلائل قدرته - تعالى - الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا القمر ، لأنها من آياته ، واسجدوا لله - وحده - الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار إن كنتم حقا تعبدونه وحده .

٣٨ - فإن تعاطم المشركون عن امتثال أمرك فلا تأسف ، فالذين عند ربك فى حضرة قدسه - وهم الملائكة - يزهونه عن كل نقص فى كل وقت بالليل والنهار ، مخلصين له ، وهم لا يملون من تسبيحه ،

٣٩ - ومن دلائل قدرته - تعالى أنك ترى - يا من يستطيع أن يرى - الأرض يابسة فإذا أنزلنا عليها الماء تحركت بالنبات وانتفخت وزادت ، إن الذى أحيا الأرض بعد موتها لخلق أن يحيى الموتى من الحيوان ، إنه على كل شيء تام القدرة (١) .

٤٠ - إن الذين يميلون عن الصراط السوى فى شأن آياتنا ، ويزيفون عنها تكديبا لها ، لا يغيب عنا أمرهم وما يقصدون ، وسنجازيهم بما يستحقون ، أفمن يرمى فى النار خير أم من يأتى مطمئنا يوم القيامة إلى نجاته من كل سوء ؟ قل لهم متوعدا : اعملوا ما أردتم ، إن الله محيط بصره بكل شيء ، فيجازى كلا بعمله .

٤١ ، ٤٢ - إن الذين جحدوا بالقرآن ذى الشأن حين جاءهم - من غير تدبر - سيكون لهم من العذاب ما لا يدخل تحت تصور أحد ، جحدوه وإنه لكتاب عز نظيره ، يغلب كل من عارضه ، لا يأتیه الباطل الذى لا أصل له من أية ناحية من نواحيه ، نزل متتابعا من اله منزله عن العبث ، محمود كثير الحمد بما أسدى من نعم .

(١) تبين الآية أن عناصر التربة ومركباتها الميتة عندما ينزل عليها ماء المطر تذوب فيه ، فيسهل وصولها إلى بذور النباتات وجنورها ، حيث تتحول إلى خلايا وأنسجة وأعضاء حية ، وبذلك تبدو حية ، ويزيد حجمها بما يتخللها ويعملوها من نبات .

لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ * إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيْعُوسٌ

٤٣ - لا يقال لك - يا محمد - من أعدائك إلا كما قيل للرسول من قبلك من أعدائهم من شتم وتكذيب ، إن خالقك ومريك لذو مغفرة عظيمة وذو عقاب بالغ الألم ، فيغفر لمن تاب منهم وينتقم لك ممن أصر على عناده .

٤٤ - ولو جعلنا القرآن أعجمياً - كما اقترح بعض المعتننين - لقالوا منكبين : هلا بينت آياته بلسان نفقهه . أكتاب أعجمي ومحاطب به عربي ؟ ! قل لهم - أيها الرسول - هو كما نزل للمؤمنين - دون غيرهم - هدى وشفاء للمؤمنين ، ينقذهم من الحيرة ، ويشفيهم من الشكوك . والذين لا يؤمنون به كأن في آذانهم - من الاعراض - صمما ، وهو عليهم عمى ، لأنهم لا يرون منه إلا ما يبتغون به الفتنة ، أولئك الكافرون كمن يدعون إلى الإيمان به من مكان بعيد ، لا يسمعون فيه دعاء .

٤٥ - أقسم : لقد آتينا موسى التوراة فاختلف فيها قومه ، ولولا قضاء سبق من ربك - يا محمد - أن يؤخر عذاب المكذبين بك إلى أجل محدد عنده لفصل بينك وبينهم باستئصال المكذبين ، وإن كفار قومك لفي شك من القرآن موجب للقلق والاضطراب .

٤٦ - من عمل عملاً صالحاً فأجره لنفسه ، ومن أساء في عمله فإثمه على نفسه ، وليس ربك بظلام لعبيده ، فيعاقب أحداً بذنب غيره .

٤٧ - إلى الله - وحده - يرجع علم قيام الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها ، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا كان هذا مقترناً بعلمه ، واذكر يوم ينادي الله المشركين - توبيخاً لهم - : أين شركائي الذين كنتم تدعونهم من دوني ؟ ! قالوا معتذرين : نعلمك - يا الله - ليس منا من يشهد أن لك شريكاً .

٤٨ - وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه من قبل من الشركاء ، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم .

قُنُوطٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ
إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَإِذَا
أَنعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ ۚ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ
عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۞ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۚ
أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ۞

٤٩ - لا يعل الإنسان من دعاء ربه بالخير الدنيوى ، فإذا أصابه الشر فهو ذو بأس شديد من الخير ، ذو قنوط بالغ من أن يستجيب الله دعاءه .

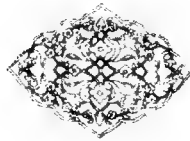
٥٠ - ونقسم : إن أذقنا الإنسان نعمة - تفضلا منا - من بعد ضر شديد أصابه ليقولن : هذا الذى نلت من النعم حق ثابت لى ، وما أظن القيامة آتية ، وأقسم : إن فرض ورجعت إلى ربى أن لى عنده للعاقبة البالغة الحسن ، ونقسم نحن . لنجزين الذين كفروا - يوم القيامة - بعملهم ، ولنذيقنهم من عذاب شديد متراكما بعضه فوق بعض .

٥١ - وإذا أنعمنا على الإنسان تولى عن شكرنا ، وبعد بجانبه عن ديننا ، وإذا مسه الشر فهو ذو دعاء كثير .

٥٢ - قل لهم - يا محمد - : أخبرونى إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم به ، فن أبعد عن الصواب ممن هو فى خلاف بعيد عن الحق ؟ !

٥٣ - قريبا نرى هؤلاء المنكرين دلائلنا على صدقك فى أقطار السموات والأرض وفى أنفسهم حتى يظهر لهم أن ما جئت به هو الحق دون غيره ، أنكروا اظهارنا لهم الآيات أولم يكف بربك أنه مطلع على كل شيء ؟ !

٥٤ - ألا إن هؤلاء الكفار فى شك عظيم من لقاء ربهم لاستبعادهم البعث ، ألا إن الله بكل شيء محيط بعلمه وقدرته .



(٤٢) سُورَةُ الشُّورَى مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ عَسَى ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ

هذه السورة مكية، وعدد آياتها ثلاث وخمسون، وسميت الشورى لإرشادها المؤمنين إلى السير في تصريف أمور مجتمعاتهم على أساس الشورى، احقاقا للحق، وتقريراً للعدل، وقد اشتملت على كثير من مسائل الدين وأدلة العقائد.

وقد افتتحت بالتنويه بشأن القرآن بأنه وحى من عند الله، وردت طعن الكافرين، وحرصت على تسليية الرسول - ﷺ - وانتقلت بعد ذلك إلى تقرير قدرة الله الذى أنزله وعظم سلطانه، وكفر بعض الناس مع وضوح الأدلة على أنه من عند الله، ببيان اختلافهم في أدراك الحق، وبعده أكدت قدرته - تعالى - على كل شيء، ثم أثبتت وحدة الشرائع، وأشارت إلى من كفر به مع ذلك، كما أشارت إلى إرشاد الكتب السماوية إلى الحق، وقد نددت السورة بشرك المشركين واختلافهم في الحق ظلماً، واستعجال المكذبين بالقيامة استهزاء، وأرشدت إلى ما يجب أتباعه في دعوة الناس إلى الدين، كما بينت عظم لطف الله بعباده، وحذرت السورة من الانهالك في طلب الدنيا فحسب، وبيّنت سوء حال الجاحدين وحسن حال المؤمنين في الآخرة، ونددت بادعاء المكذبين على رسول الله - ﷺ - افتراء - القرآن، مع عجزهم عن الإتيان بأقصر سورة من مثله، ثم أبانت قبول الله توبة المؤمنين، والحكمة في توزيع الرزق بين الناس بتقدير محكم، فلم يكونوا - جميعاً - أغنياء خشية بغيهم، ولم يكونوا فقراء خشية هلاكهم، بل وسع لبعض وضيق على آخرين.

وأوضحت عظم بركات الغيث، ودلائل قدرة الله في هذا الوجود، وأن مصائب الدنيا بسبب المعاصي، ثم كرر - سبحانه - بأسلوب آخر حال المؤمنين والمكذبين في الآخرة، وما يكون عليه المكذبون من ذل، ودعت إلى المبادرة بإجابة دعوة الله من قبل أن تنتهى الحياة فرصة العمل، كما عنيت السورة بتسليية رسول الله - ﷺ - وبيان قدرته - سبحانه - على هبة الإنان لمن يشاء، والذكور لفريق آخر، والجمع بينها لثالث، وحرمان فريق رابع منها، ثم ذكرت طرق خطاب الله - تعالى - لأنبيائه، وختمت ببيان الطريق الحق المستقيم الذى يجب اتباعه.

١، ٢ - حم عسق: افتتحت هذه السورة بهذه الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور يمثل هذه الحروف.

٣ - مثل ما في هذه السورة من المعاني يوحى إليك وإلى المرسلين من قبلك الله الغالب بقهره، الذى يضع كل شيء موضعه، على وفق الحكمة في أفعاله وتدييره.

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ

٤ - الله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا وتديرا ، وهو المتفرد بعلو الشأن وعظم السلطان .

٥ - تكاد السموات - مع عظمهن وتماسكنهن أن يتشققن من فوقهن ، خشية من الله ، وتأثرا بعظمته وجلاله ، والملائكة ينزهون الله عما لا يليق به ، مثنين عليه بما هو أهله ، ويسألون الله المغفرة لأهل الأرض ، وبنه - سبحانه - إلى أن الله هو - وحده - صاحب المغفرة الشاملة والرحمة الواسعة .

٦ - والذين اتخذوا من دون الله نصراء ، الله رقيب عليهم فيما يفعلون ، وما أنت بمفوض إليك أمر الرقابة عليهم .

٧ - ومثل ذلك الإيحاء البين أوحينا إليك قرآنا عربيا لا لبس فيه ، لتنذر أهل مكة ومن حولها من العرب ، وتنذر الناس عذاب يوم يجمع الله فيه الخلائق للحساب ، لا ريب في مجيئه ، الناس فيه فريقان : فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

٨ - ولو شاء الله أن يجمع الناس في الدنيا على طريقة واحدة لجمعهم ، ولكن يدخل من يشاء في رحمته ، لعلمه أنهم سيختارون الهدى على الضلالة ، والظالمون أنفسهم بالكفر ليس لهم من دون الله ولي يتكفل بحمايتهم ، ولا نصير ينقذهم من عذاب الله .

٩ - هؤلاء الظالمون لم يتخذوا الله وليا ، بل اتخذوا غيره أولياء ، وليس لهم ذلك ، فإله - وحده - الولي بحق إن أرادوا وليا ، وهو يحیی الموق للحساب ، وهو المسيطر بقدرته على كل شيء .

١٠ - والذي اختلفتم فيه من الإيمان والكفر فالحكم الفصل فيه مفوض إلى الله ، وقد بينه . ذلكم الحاكم فيما اختلفتم فيه الله مالك أمري ، عليه اعتمدت في أموري ، وإليه - وحده - أرجع مسترشدا .

أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَبَسَ كَيْفَ شِئْتُمْ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ
الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ
إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ
بَعْدِهِمْ لَنَنشِكُ مِنْهُ مِزْيَبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَحْجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ وَجِبَّتْ دَاحِضَةٌ

١١ - مبدع السموات والأرض ، خلق لكم من جنسكم أزواجا ذكورا وإناثا ، وخلق من الأنعام من جنسها
أزواجا كذلك ، يكثركم بهذا التدبير المحكم ، ليس كذاته شيء ، فليس له شيء يزوجه ، وهو المدرك - ادراكا
كاملا - لجميع المسموعات والمرئيات بلا تأثر حاسة .

١٢ - له مقاليد السموات والأرض حفظا وتدبيرا ، يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيقه على من يشاء ، إنه -
تعالى - محيط علمه بكل شيء .

١٣ - شرع لكم من العقائد ما عهد به إلى نوح ، والذي أوحيناه إليك ، وما عهدنا به إلى ابراهيم وموسى
وعيسى ، أن تثبتوا دعائم الدين - بامتنال ما جاء به - ولا تختلفوا في شأنه ، شق على المشركين ما تدعوهم إليه من
إقامة دعائم الدين ، الله يصطفى لرسالته من يشاء ، ويوفق للإيمان وإقامة الدين من يترك العناد ويقبل عليه .

١٤ - وما اختلف أتباع الرسل السابقين في الدين إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته . عداوة وحسدا
فيا بينهم ، ولولا وعد سابق من الله بتأجيل العذاب إلى يوم القيامة لأهلكوا ، وأن الذين ورثوا الكتاب من
أسلافهم وأدركوا عهدك لئى شك من كتابهم موقع في الريب ، حيث لم يستجيبوا لدعوتك .

١٥ - فلأجل وحدة الدين وعدم التفرق فيه فادعهم إلى إقامة الدين ، وثابر على تلك الدعوة كما أمرك
الله ، ولا تسائر أهواء المشركين ، وقل : آمنت بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله ، وأمرني الله بإقامة العدل
بينكم ، وقل لهم : الله خالقنا وخالقكم ، لنا أعمالنا لا لكم ، ولكم أعمالكم لا لنا ، لا احتجاج بيننا وبينكم
لوضوح الحق . الله يجمع بيننا للفصل بالعدل ، وإليه - وحده - المرجع والمآل .

عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَالٌ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ

١٦ - والذين يجادلون في دين الله من بعدما استجاب الناس لدعوته الواضحة ، حجة هؤلاء المرتابين باطلة عند ربهم ، وعليهم غضب شديد بكفرهم ، ولهم عذاب أليم ينتظرهم .

١٧ - الله الذي أنزل كتاب محمد وما قبله من كتب المرسلين مشتملة على الحق والعدل ، وما يعلمك لعل وقت الساعة قريب وأنت لا تدري .

١٨ - يستعجل بمجيء الساعة - استهزاء - الذين لا يصدقون بها ، والذين صدقوا بها خائفون من وقوعها فلا يستعجلونها ، ويعلمون أنها الحق الثابت الذي لا ريب فيه ، وينبه - سبحانه - إلى أن الذين يجادلون في وقوعها لفي ضلال بعيد عن الحق .

١٩ - الله عظيم البر بجميع عباده ، يرزق من يشاء كما يشاء ، وهو الغالب على كل شيء ، المنيع الذي لا يغلب .

٢٠ - من كان يريد بعمله ثواب الآخرة نضاعف له أجره ، ومن كان يريد بأعماله متاع الدنيا - فحسب - نعظه ما قسم له فيها ، وليس له في الآخرة نصيب من الثواب .

٢١ - بل أهم آفة شرعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله ؟ ! لم يكن ذلك ، ولولا عدة سابقة بتأخر الفصل إلى يوم القيامة لقضى بين الكافرين والمؤمنين في الدنيا ، وإن الظالمين أنفسهم بالكفر لهم عذاب شديد الإيلام .

٢٢ - ترى في القيامة - أيها المخاطب - الذين ظلموا أنفسهم بالشرك خائفين عقاب شركهم وهو نازل بهم - لا محالة - وترى الذين آمنوا وعملوا الصالحات متمتعين في أطيب بقاع الجنة ، لهم ما يتمنون من النعيم عند ربهم ، ذلك الجزاء العظيم هو الفضل الكبير الذي تتعلق به الآمال .

يَقْتَرِفَ حَسَنَةً تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ أَيْتَنَّهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مِصْبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

٢٣ - ذلك الفضل الكبير هو الذى يشر الله به عباده المؤمنين الطائعين ، قل - أها الرسول - ! لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة أجرا إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه - سبحانه - بعمل الصالحات ، ومن يكتسب طاعة يضاعف الله له جزاءها ، إن الله واسع المغفرة للمذنبين ، شكور لعباده طيبات أعمالهم .

٢٤ - بل أيقول الكفار : اختلق محمد الكذب على الله !؟ فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم ، واتهامك بالإفتراء على الله ، ويزيل الله الشرك ويغذله ، ويثبت الإسلام ويظهره بالوحي الذى أنزله على رسوله - ﷺ - إنه - سبحانه - محيط بخفايا قلوبكم جميعا .

٢٥ - والله - وحده - الذى يقبل التوبة من أهل طاعته بالتجاوز عما تابوا منه ، ويصفح - تفضلا ورحمة - عن السيئات دون الشرك ، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر .

٢٦ - ويحبب الله المؤمنين إلى ما طلبوا ، ويزيدهم خيرا على مطلوبهم ، والكافرون لهم عذاب بالغ غاية الشدة والابلام .

٢٧ - ولو وسع الله الرزق لجميع عباده - كما يبتغون - لطفوا فى الأرض وظلموا ، ولكن الله يوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيقه على من يشاء ، حسبما اقتضته حكمته ، إن الله محيط علما بما خفى وظهر من أمور عباده ، فيقدر بحكمته لكل ما يصلح شأنه .

٢٨ - والله - وحده - هو الذى ينزل المطر الذى يغينهم من الجذب من بعد اليأس واشتداد القحط ، رحمة بعباده ، وينشر بركات المطر فى النبات والثمار والحيوان والسهل والجبل ، وهو - وحده - الذى يتولى تدبير أمور عباده ، المحمود على انعامه وجميع أفعاله .

٢٩ - ومن دلائل قدرة الله على خلق ما يشاء خلق السموات والأرض على هذا النظام المحكم ، وخلق ما فرق ونشر فيها من الدواب المربية وغيرها ، والله الذى ثبتت قدرته بإبداع ما تقدم قدير على جمع المكلفين فى الوقت الذى يشاء بعثهم فيه للجزاء .

كثير ٣٠ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٣١ وَمِنْ آيَاتِهِ
الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ٣٢ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَبَظَلَلَنْ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ٣٣ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ ٣٤ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ٣٥ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ
مِنْ مَحْصٍ ٣٦ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ٣٧ وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَرَهُمُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٣٨ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا

٣٠ - وأي مصيبة أصابتكم مما تكرهونه فبسبب معاصيكم ، وما عفا عنه في الدنيا أو أخذ عليه فيها فالله أكرم
من أن يعاقب به في الآخرة ، وبهذا تنزه عن الظلم واتصف بالرحمة الواسعة .

٣١ - ولستم بقادرين على أن تعجزوا الله عن انزال المصائب في الدنيا عقابا على معاصيكم وإن هربتم في
الأرض كل مهرب ، وليس لكم من دون الله من يتولاكم بالرحمة عند نزول البلاء ، ولا من ينصركم بدفعه عنكم .

٣٢ - ومن دلائل قدرة الله السفن الجارية في البحر ، كالجبال الشاهقة في عظمتها .

٣٣ - إن يشأ الله يسكن الريح فتظل السفن ثوابت على ظهر الماء لا تجري بهم إلى مقاصدهم ، إن في سيرها
ووقوفها بأمر الله لدلائل واضحة على قدرة الله ، يعتبر بها المؤمنون الصابرون في الضراء ، الشاكرون في السراء .

٣٤ - أو يهلكهن بذنوب ركبها بإرسال الرياح العاصفة ، وإن يشأ يعف عن كثير ، فلا يعاقبهم بإسكان
الريح ، أو بإرسالها عاصفة مفرقة .

٣٥ - الله - سبحانه - فعل ذلك ليعتبر المؤمنون ، ويعلم الذين يردون آياته بالباطل أنهم في قبضته ، ما لهم
مهرب من عذاب الله .

٣٦ - لا تغفروا بمتاع الدنيا ، فكل ما أعطيتموه - أيها الناس - من المال والبنين وسواها فهو متاع لكم في
الحياة الدنيا ، وما أعدّه الله من نعم الجنة خير وأدوم للذين آمنوا ، وعلى خالقهم ومربيهم - وحده - يعتمدون .

٣٧ - والذين يبتعدون عن ارتكاب كبائر ما نهى الله عنه ، وكل ما زاد قبحه من الذنوب ، وإذا ما استغفروا
بالإساءة إليهم في دنياهم ، هم - وحدهم - يبادرون بالصفح حتى كان ذلك علاجا نافعا .

لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذَلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ

٣٨ - والذين أجابوا دعوة خالقهم ومربيهم ، فآمنوا به ، وحافظوا على صلواتهم ، وكان شأنهم التشاور في أمورهم لإقامة العدل في مجتمعهم ، دون أن يستبد بهم فرد أو قلة من الناس ، وما أنعم الله به عليهم ينفقون في وجوه الخير .

٣٩ - والذين إذا اعتدى عليهم ظالم هم ينتصرون لأنفسهم بمقاومة عدوانه .

٤٠ - وجزاء السيئ اساءة مماثلة تقريراً للعدل ، فمن عفا عن أساءة عند القدرة ، وأصلح ما بينه وبين خصمه تقريراً للود ، فتوابه على الله الذي لا يعلم بقدره سواء ، إن الله لا يرحم المعتدين على حقوق الناس بمجاوزة شريعة الله .

٤١ - وإن الذين يعاقبون المعتدين بمثل ما اعتدوا به فلا مؤاخذة عليهم ولا لوم .

٤٢ - إنما اللوم والمواخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس ويتكبرون في الأرض ويفسدون فيها بغير الحق ، أولئك لهم . عذاب شديد الإيلام .

٤٣ - أقسم : لمن صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه ، ولم ينتصر لنفسه حيناً لا يكون العفو تمكيناً للفساد في الأرض ، إن ذلك لمن الأمور التي ينبغي أن يوجها العاقل على نفسه .

٤٤ - ومن ضل طريق الهدى - لسوء اختياره - فليس له ناصر سوى الله يهديه أو يمنعه من العذاب ، وترى في القيامة - أيها المخاطب - الظالمين حين يشاهدون عذاب الآخرة يسألون ربه أي وسيلة يرجعون بها إلى الدنيا ، كي يعملوا صالحاً غير الذي كانوا يعملون .

٤٥ - وترى الظالمين - كذلك - يعرضون على النار متضائلين بسبب الذل لما لحقهم من الهول ، يسارقون النظر إلى النار خوفاً من مكارهاها ، ويقول المؤمنون - حينئذ - : إن الخاسرين حقاً هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، وخسروا أزواجهم وأولادهم وأقاربهم بما حيل بينهم ، وبينه الله إلى أن الظالمين في عذاب دائم .

مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّ بِهَا وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَبِيلًا مَّا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ زَوْجَهُمْ ذَكَرًا وَإِنَّا وَجَعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
* وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ
عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

٤٦ - وما كان لهم نصراء مما عبدوهم من دون الله ومن أطاعوا في معصيته ينقذونهم من عذاب الله ، ومن
ضل طريق الحق - لسوء اختياره - فليس له أى طريق ينجيه من سوء المصير .

٤٧ - سارعوا - أيها الناس - إلى إجابة ما دعاكم إليه رسول خالقكم ومربيكم من الإيمان والطاعة ، من
قبل أن تنتهى الحياة فرصة للعمل ، ويأتى يوم الحساب الذى لا يرده الله بعد أن قضى به ، ليس لكم - يومئذ - أى
ملاذ يحميكم من العذاب ولا تجدون أى منكر لما حل بكم .

٤٨ - فإن أعرض المشركون عن إجابتك - أيها الرسول - فلا تحزن ، فلست رقيباً عليهم فيما يفعلون ،
إنما كلفت البلاغ ، وقد بينت ، وإن شأن الناس إذا منحناهم من لدنا سعة بطروا لأجلها ، وإن تصبهم مصيبة
بسبب معاصيهم فإنهم ينسون النعمة ، ويمزعون لزول البلاء كفرة وجحوداً .

٤٩ - لله - وحده - ملك السموات والأرض خلقاً وتديراً وتصرفاً ، يخلق ما يشاء خلقه ، يهب لمن يشاء
الإنثى من الذرية ، ويمنح من يشاء الذكور دون الإنثى .

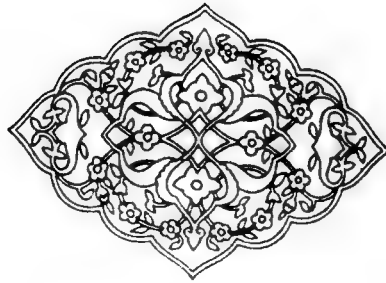
٥٠ - ويتفضل - سبحانه - على من يشاء بالجمع بين الذكور والإنثى ، ويجعل من يشاء لا ولد له ، إن الله
محيط علمه بكل شيء ، قدير على فعل كل ما يريد .

٥١ - وما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا وحياً بالالقاء فى القلب الهاماً أو مناماً أو باسماع الكلام
الإلهى دون أن يرى السامع من يكلمه ، أو بإرسال ملك يرى صورته ، ويسمع صوته ، ليوحى بإذن الله ما يشاء ،
إن الله قاهر فلا يمانع ، بالغ الحكمة فى تصرفاته وتديريه .

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي
لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

٥٢ - ومثل ما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك - أيها الرسول - هذا القرآن حياة للقلوب بأمرنا ، ما كنت تعرف قبل الإيحاء إليك ما هو القرآن ، ولا تعرف ما شرائع الإيمان ، ولكن جعلنا القرآن نوراً عظيماً يرشد به من اختار الهدى ، وإنك لتدعو بهذا القرآن إلى طريق مستقيم .

٥٣ - طريق دين الله الذى له - وحده - ما فى السموات وما فى الأرض خلقاً وتديراً أو تصرفاً ، وينبه - سبحانه - إلى أنه - وحده - ترجع إليه جميع الأمور .



﴿٤٣﴾ سُورَةُ الزَّخْرِفِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ۝ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَرَّرْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝

افتتحت بمحرفين من حروف الهجاء ، واتبع ذلك بذكر القرآن وبيان منزلته عند الله ، ثم أخذت السورة تبين موقف المستهزئين بالرسالات من رسلهم ، وسأقت أدلة كثيرة موجبة للإيمان بالله - وحده - ومع تلك الحجج نسبوا إليه الأنداد ، وجعلوا له البنات ولهم البنين ، وحينما فقدوا الحجة تمسكوا بتقليد آبائهم .

ثم تحدثت عن قصة إبراهيم وأعبتها باستعظام كفار مكة نزول القرآن على محمد دون عظيم من عظماء القرينين ، كأنهم يقسمون فضل الله ، والله قد قسم بينهم معيشتهم في الدنيا لعجزهم عن ذلك . ثم قررت السورة أنه لولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً لأعطى الكافر كل ما في الدنيا من متاع وزخرف وزينة . كما بينت أن من يعرض عن الحق يسلط الله عليه شيطاناً يقوده إلى الهلاك . ثم تعرض السورة قصة موسى وفرعون ، وغرور فرعون بملكه ، وما نزل بفرعون وقومه من انتقام الله ، واتبعت ذلك بذكر ابن مريم ، وإنه عبد منعم عليه من الله ، دعا إلى الصراط المستقيم . وبعد تخويف من عذاب يوم القيامة ، للظالمين ، وبشارة للمؤمنين بالجنة التي لهم فيها ما تفر به أعينهم ، تختم السورة بعموم ملك الله ، وعجز من أشركوهم معه ، فأعرض عنهم - يا محمد - وقل : سلام ، فسوف يعلمون .

١ - حم : افتتحت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف .

٢ - أقسم - سبحانه بالقرآن الموضح لما اشتمل عليه من العقائد والأحكام .

٣ - إنا صيرنا الكتاب قرآناً عربياً ، لكي تستطيعوا ادراك إعجازه وتدبر معانيه .

٤ - وإن هذا القرآن الثابت في اللوح المحفوظ عندنا ، لرفيع القدر ، وبحكم النظم ، في أعلى طبقات البلاغة .

٥ - انهلكم فنمنع إنزال القرآن إليكم اعراضاً عنكم ، لاسرافكم على أنفسكم في الكفر ، لا يكون ذلك ، لاقتضاء الحكم الزامكم الحجة .

٦ - وأرسلنا كثيراً من الأنبياء في الأمم السابقة ، فليس عجيباً إرسال رسول إليكم .

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نَخْرُجُوكَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْغَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لِلْإِنسَانِ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ

٧ - وما يجيئهم من رسول يذكرهم بالحق الا استمزأهم به .

٨ - فأهلكنا المكذبين السابقين ، وقد كانوا أشد من كفار مكة قوة ومنعة ، فلا يفتقر هؤلاء بسطوتهم ، وسلف في القرآن من قصص الأولين العجيب ما جعلهم عبرة لغيرهم ، فاعتبروا أيها المكذبون .

٩ - وأقسم إن سألت الكافرين - أي الرسول - عن خلق السموات والأرض ؟ ليقولن - جواباً لذلك - : خلقهن الله ، المتصف في واقع الأمر بالعزة والعلم المحيط .

١٠ - الذي جعل لكم الأرض مكاناً مهاداً ، لتستطيعوا الإقامة فيها واستغلالها ، وجعل لأجلكم فيها طرقاً تسلكونها في أسفاركم كي تصلوا إلى غاياتكم .

١١ - والذي نزل من السماء ماء بقدر الحاجة ، فأحيينا به بلدة مجدبة لا نبات فيها ، مثل ذلك الإحياء تبعثون من قبوركم للجزاء ، فكيف تنكرونه ؟ !

١٢ - والذي خلق أصناف المخلوقات كلها ، وسخر لكم من السفن والابل ما تركبونه في أسفاركم لقضاء حوائجكم .

١٣ - كي تستقروا فوق ظهورها ، ثم تذكروا نعمة خالقكم ومربيكم في تسخيرها لكم عند الاستقرار عليها ، ولتقولوا - استعظماً لتذليلها العجيب ، واعترافاً بالعجز عن ضبطها والتسلط عليها - : سبحان الذي ذلل لنا هذا ، وما كنا لتذليلها مطيقين .

١٤ - وإنا إلى خالقنا لراجعون بعد هذه الحياة ، ليحاسب كل على ما قدمت يداه .

١٥ - وجعل المشركون لله - سبحانه - بعض خلقه ولداً ظنوه جزءاً منه ، ان الإنسان بعمله هذا المبالغ في كفره ، واضح في جحوده .

وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝
 أَوْ مِنْ يُنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا
 خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
 إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ أَمْ أَتَيْنَاهُم بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ
 وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ * قُلْ أُولَئِجِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ

- ١٦ - بل أتزعمون أنه اتخذ لنفسه من خلقه البنات وأنركم بالذكور؟! إن هذا لأمر عجيب حقاً .
 ١٧ - نسبوا إليه ذلك ، والحال أنه إذا بشر أحدهم بولادة انثى له صار وجهه مسوداً غيظاً ، وهو مملوء كآبة
 وحزناً لسوء ما بشر به .
 ١٨ - أيجترئون ويجعلون ولداً لله من شأنه النشأة في الزينة ، وهو في الجدل وإقامة الحجة عاجز لقصور
 بيبانه ! إن هذا لعجيب .
 ١٩ - وسموا الملائكة المخلوقين للرحمن إنثاءً ، أراؤا خلقهم رؤية مشاهدة حتى يحكموا بذلك ! لم يروه ، سنسجل
 عليهم هذا الافتراء ، ويحاسبون عليه يوم القيامة .
 ٢٠ - وقال المشركون : لو شاء الرحمن عدم عبادتنا لهؤلاء الشركاء ما عبدناهم ، زاعمين أنه راض عن
 عبادتهم لهؤلاء الشركاء ، ليس لديهم بما قالوا أى علم يستندون إليه ، وما هم إلا واهمون ، يقولون قولاً غير مستند
 إلى دليل .
 ٢١ - بل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد افتراءهم ، فهم به متعلقون أشد التعلق ؟! لم نزل عليهم
 ذلك ، فلا حجة لهم من النقل .

- ٢٢ - بل قال المشركون - حين فقدوا كل حجة - : إنا وجدنا آباءنا على دين ، وإنا على آثارهم سائرون .
 ٢٣ - ومثل الحال الذى عليه هؤلاء حال الأمم السابقة ، ما أُرسلنا من قبلك في قرية رسولاً إلا قال المتنعمون
 فيها - وهم الذين أبطرتهم النعمة - : إنا وجدنا آباءنا على دين ، وإنا على آثارهم سائرون ، فالتقليد ضلال قديم .

قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا

٢٤ - قال النذير : اتبعون آباءكم ولو جئتكم بما هو أدخل في الهداية مما وجدتم عليه آباءكم ؟ ! قالوا - مجيبين لرسولهم يكذبونهم بالدين - : إننا بما أُرسلتم به جاحدون .

٢٥ - فعاقبنا المكذبين لرسولهم عقاباً شديداً في الدنيا ، فانظر - أيها التأمل - كيف صار مآل المكذبين لكم مثلاً عجبياً وعظة بالغة ؟ !

٢٦ - واذكر - يا محمد - للمكذبين قصة إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه : انني برىء من عبادة ألهتكم الباطلة .

٢٧ - لكنني أعبد الله الذي خلقتني ، لأنه الذي سيرشدني الى طريق الحق .

٢٨ - وصيرها - بإعلانها لهم - كلمة باقية في ذريته - هي كلمة التوحيد - لعلهم يرجعون إليها ، فيؤمنون بها .

٢٩ - لم يحقق المشركون رجاء إبراهيم ، ولم أعجل لهم العقوبة ، بل تمتع الحاضرين - لك - يا محمد - وامتعت آباءهم من قبل بأنواع النعم ، حتى نزل القرآن داعياً إلى الحق وجاءهم رسول مبين يدعوهم إليه .

٣٠ - وحين نزل القرآن يرشدهم إلى التوحيد ضموا إلى شركهم تسميته سحراً وقومياً - استهزاء به - وأصروا على كفرهم .

٣١ - وقال المشركون ، استخفافاً بمحمد ، واستعظاماً أن ينزل عليه القرآن : هلا نزل القرآن الذي يزعم أنه وحى الله على رجل عظيم من مكة أو الطائف !

٣٢ - ليس بأيدى المشركين مفاتيح الرسالة ، حتى يجعلوها في أصحاب الجاه ، نحن تولينا تدبير معيشتهم لعجزهم عن ذلك ، وفضلنا بعضهم على بعض في الرزق والجاه ، ليتخذ بعضهم من بعض أعواناً يسخروهم في قضاء حوائجهم ، حتى يتساندوا في طلب العيش وتنظيم الحياة ، والنبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير من أكبر مقامات الدنيا .

لَمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلًا بَاطِلًا فَلَهُ أَلْفُ نَارٍ وَنُفُوسُهُ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٦﴾ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ يُنْقِضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَمْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٩﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا نَذَهَبْنَا بِكَ فَمِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٢﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَلَمَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي

٣٣ - ولولا كراهة أن يكفر الناس جميعاً إذا رأوا الكفار في سعة من الرزق لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سُقْفًا ومساعد يرتقون عليها من الفضة، لهوان الدنيا علينا.

٣٤ ، ٣٥ - ولجعلنا لبيوتهم أبواباً وسُرراً من فضة ينعمون بها ويتكئون عليها، ولجعلنا لهم زينة من كل شيء، وما كل ذلك المتاع الذي وصفناه لك الا متاعاً فانياً مقصوراً على الحياة الدنيا، وثواب الآخرة عند خالقك ومربيك معد للذين اتقوا الشرك، واجتنبوا الموبقات.

٣٦ - ومن يتعامى عن القرآن الذي أنزله الرحمن ذكرى للعالمين، نتح له شيطاناً يتسلط عليه، فهو معه دائماً - يضلّه ويغويه.

٣٧ - وإن شياطين المتعالمين عن القرآن لينعمونهم عن الطريق الذي يدعو إليه الرحمن، وبحسب المتعاملون أنهم - باتباع قرنائهم - على الهدى.

٣٨ - حتى إذا جاء من تعامى عن القرآن إلى الله يوم القيامة، ورأى عاقبة تعامله، قال لقرينه - نادماً: يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرق عن المغرب، فبئس الصاحب كنت لي، حتى أوقعني في الهاوية.

٣٩ - ويقال لهم حينئذ - توبيخاً -: لن يخفف العذاب عنكم اليوم - إذا ظلمتم أنفسكم بالكفر - اشتراك شياطينكم معكم فيه، لأن كلا يعانى من العذاب ما يشق له.

٤٠ - أتقدر على هداية من بالغوا في الضلال، أفأنت تسمع الصم عن الحق، والعمى عن الاعتبار، ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلال؟! لا تستطيع ذلك، لأنهم استقروا في الكفر، فلم ينتفعوا بما يسمعونه ويرونه.

٤١ - فإن قبضناك قبل أن نريك عذابهم، ونشقي بذلك صدرك وصدور قوم مؤمنين فانا سننتقم منهم - لا محالة - في الدنيا والآخرة.

٤٢ - أو أردت أن نريك العذاب الذي وعدناهم قبل وفاتك أريناك، لأننا مسيطرون عليهم بقدرتنا وقهرنا.

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَدَرُّ كَرٍّ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَعَلَ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يَعْْبُدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ۖ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا

٤٣ - إذا كان أحد هذين الأمرين واقعاً - لا محالة - فكن مستسكاً بالقرآن الذي أوحينا إليك ، واثبت على العمل به ، لأنك على طريق الحق القويم .

٤٤ - وإن هذا القرآن لشرف عظيم لك - يا محمد - ولأمتك ، لنزوله عليك بلغة العرب ، وسوف تسألون يوم القيامة عن القيام بحقه وشكر نعمته .

٤٥ - وانظر في شرائع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، أ جاءت فيها دعوة الناس إلى عبادة غير الله ! لم يجر ذلك ، فالعابدون لغير الله متوغلون في الضلال بعبادتهم .

٤٦ - ولقد أرسلنا موسى بالمعجزات الدالة على صدقه إلى فرعون وقومه ، فقال : إني رسول خالق العالمين ومربيهم إليكم ، فطالبوه بالمعجزات .

٤٧ - فلما جاءهم بالمعجزات المؤيدة لرسالته قابلوه فور مجيئها بالضحك منها - سخرية واستهزاء - دون تأمل فيها .

٤٨ - وكل معجزة من المعجزات التي تواتت عليهم - لوضوح دلالتها على صدق الرسول ، واستقلالها بإفادة هذا المراد على أتم الوجوه ، وكمالها في نفسها - إذا نظر إليها قيل : هي أكبر من قرينتها وصاحبها . وحينئذ أصروا على الطغيان أصبناهم بأنواع البلايا ، ليرجعوا عن غيهم .

٤٩ - وقالوا - مستغيثين بموسى حينئذ عمهم البلاء - : يَا أَيُّهَا السَّاحِر - وهو العالم - ادع لنا ربك متوسلاً بعهدك عندك أن يكشف عنا العذاب ، إنا - إذا كشف - لمهتدون .

٥٠ - فلما كشف الله عنهم المصائب بدعاء موسى فاجأوه بنقض عهدهم بالإيمان .

٥١ - ونادى فرعون في قومه - معلناً قوته وتسلطه - : أليس لي - لا لغيري - ملك مصر ، وهذه الأنهار التي تشاهدونها تجري من تحت قصرى ؟ ! أعميت عن مشاهدة ذلك ، فلا تعقلون ما تملية المشاهدة من قوتي وضعف موسى ؟ ! وأراد بنداؤه تثبيتهم على طاعته .

الَّذِي هُوَ مِهِنٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أُسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ جَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخَرِينَ ﴿٥٦﴾ * وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلٰهِنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خِصْمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَّلَأِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعِلَّ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ

٥٢ - قال فرعون - مبالغه في الطغيان : بل أنا خير من هذا الذي هو ضعيف ذليل ، ولا يكاد يبين دعواه بلسان فصيح .

٥٣ - وقال أيضاً - محرضاً على تكذيب موسى - : فهلا ألقى عليه ربه أسورة من ذهب ليلقى اليه بمقاليد الأمور ، أو إعانة بملائكة يؤيدونه إن كان صادقاً في دعواه الرسالة ؟ .

٥٤ - فاستغفر فرعون قومه بالقول ، وأثر فيهم هذا التوبيه ، فأطاعوه في ضلاله ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن دين الله القويم .

٥٥ - فلما أغضبونا أشد الغضب - بإفراطهم في الفساد - انتقمنا منهم بإغراقهم أجمعين .

٥٦ - فجعلنا فرعون وقومه قدوة للكافرين بعدهم في استحقاق مثل عقابهم ، وحديثاً عجيب الشأن يعتبر به جميع الناس .

٥٧ - ولما ضرب الله عيسى ابن مريم مثلاً ، في كونه كآدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن فيكون ، فهو عبد مخلوق ، منعم عليه بالنبوة ، لا تصح عبادته من دون الله . إذا قومك من وصفه المضروب يعرضون ولا يعون .

٥٨ - وقال الكافرون : آلهتنا خير أم عيسى ؟ ! فإذا كان هو في النار فلنكن نحن وآلهتنا معه . ما ضرب الكفار هذا المثل لك إلا للجدل والغلبة في القول لا لطلب الحق ، بل هم قوم شدداد في الخصومة معنون فيها .

٥٩ - ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة ، وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل - لخلقهم بدون أب - لبني إسرائيل ، يستدلون به على كمال قدرتنا .

٦٠ - ولو نشاء لحولنا بعضكم - أيها الرجال - ملائكة يخلقونكم في الأرض كما يخلقكم أولادكم ، لتعرفوا أن الملائكة خاضعون لتصرف قدرة الله ، فن أين لهم استحقاق الألوهية ؟ !

بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِئَاسَتِي إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٣﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٦٤﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ يَلْعَابِدِ لَاخَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٩﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا

٦١ - وأن عيسى يحدوثة بدون أب، وإبرائه الأكمه والأبرص لدليل على قيام الساعة، فلا تشكن فيها، واتبعوا هداى ورسولى. هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة.

٦٢ - ولا يمنعكم الشيطان عن اتباع طريق المستقيم، انه لكم عدو ظاهر العداوة.

٦٣ - وحينما أرسل عيسى الى بنى اسرائيل بالمعجزات الواضحات والآيات البينات قال لهم. قد جئتكم بشريعة حكيمة تدعوكم الى التوحيد، وجئتكم لأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه من أمر الدين لتجتمعوا على الحق، فآخسوا عذاب الله وأطيعوا فيما أدعوكم اليه.

٦٤ - ان الله - وحده - هو خالق وخالقكم، فاعبدوه دون سواه، وحافظوا على شريعته، هذا الذى أدعوكم اليه طريق مستقيم موصل الى النجاة.

٦٥ - فاختلف الأحزاب من بين النصارى بعد عيسى فرقاً في أمره، فهلاك للذين ظلموا بما قالوه في عيسى مما كفروا به من عذاب شديد الإيلام يوم القيامة.

٦٦ - ما ينتظر الكافرون شيئاً بعد اعراضهم عن الايمان الا اتيان الساعة بغتة، وهم غافلون عنها.

٦٧ - الأصدقاء الذين جمعهم الباطل في الدنيا يكون بعضهم لبعض عدوا يوم إتيان الساعة بغتة، وتنقطع كل محبة إلا محبة الذين خافوا - وهم في الدنيا - عذاب الله، واجتمعوا فيها على طاعته.

٦٨ - ينادى الله المتقين - تكريماً لهم - يا عبادى، لا تخافوا اليوم عذاباً، ولا أنتم تحزنون، فقد أمنتكم العذاب، وضمن الله لكم الثواب.

٦٩ - الذين صدقوا بآيات الله وأطاعوه، وكانوا له منقادين.

٧٠ - يقال لهم يوم القيامة تشرifa: ادخلوا الجنة أنتم مع أزواجكم، تسرون فيها سروراً عظيماً، يظهر أثره على وجوهكم.

مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَاوَا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۖ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ

٧١ - وبعد دخولهم الجنة يطاف عليهم بأوان من ذهب وأكواب كذلك ، وفيها ألوان الأطعمة وأنواع الأشربة ، وهم في الجنة كل ما تشتهي النفس وتقربه الأعين ، ويقال لهم - اكملوا للسرور - : انتم في هذا النعيم تخلدون .

٧٢ - ويقال - اتماماً للنعمة - : تلك هي الجنة التي ظفرت بها بسبب ما قدمتم في الدنيا من عمل الصالحات .

٧٣ - لكم فيها فاكهة كثيرة الأنواع والمقادير ، تتمتعون بالأكل منها .

٧٤ - ان الذين أوجروا بالكفر في عذاب جهنم خالدون دائمون .

٧٥ - لا يخفف العذاب عن هؤلاء المجرمين ولا يسكن ، وهم فيه يائسون من النجاة .

٧٦ - وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بهذا العذاب ، ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم باختيارهم الضلالة على الهدى .

٧٧ - ونادى المجرمون - حين يشوا من تخفيف العذاب الشديد - مالكا خازن النار قائلين له : سل ربك أن يمتتنا لنستريح من أهوال جهنم . قال لهم مالك : انكم مقيمون في العذاب دائماً .

٧٨ - قال تعالى - رداً عليهم - : لقد جاءكم رسولنا - يا أهل مكة - بالدين الحق ، فأمن به قليل ، وأعرض عنه أكثركم . وهم لهذا الحق كارهون .

٧٩ - بل أحكم مشركو مكة أمرهم على تكذيب الرسول والتأمر على قتله ، فإنا محكمون امرا في مجازاتهم واظهارك عليهم .

٨٠ - بل أحيى هؤلاء المشركون اننا لا نسمع حديث أنفسهم بتدبير الكيد ، وما يتكلمون به فيما بينهم من تكذيب الحق ؟ ! بلى نسمعها ، والحفظة من الملائكة عندهم يكتبون ذلك .

٨١ - قل للمشركين : ان صح بالبرهان أن للرحمن ولداً فأنا أول العابدين لهذا الولد ، لكنه لم يصح بالحجة أن ولداً للرحمن ، لما يقترب عليه من عجز القوى وفقر الفنى ، وهو - سبحانه - المنزه عن النقص المتصف بالكمال .

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَنُؤَلَاءُ قَوْمٌ لَا يَأْتُمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

٨٢ - تنزيهاً لخالق السموات والأرض خالق العرش العظيم عما يصفه به المشركون ، مما لا يليق بألوهيته .

٨٣ - فدعهم ينغمسوا في أباطيلهم ويلعبوا في دنياهم - بترك الجادة - غير ملتفت اليهم ، حتى يحسب يوم القيامة الذي وعدوا به ، لتجزى كل نفس بما كسبت .

٨٤ - وهو الذي يعبد في السماء بحق ، ويعبد في الأرض بحق ، وهو - وحده - ذو الاحكام البالغ في أفعاله وتدبيره ، المحيط علمه بما كان وما يكون .

٨٥ - وتعالى وتعظم الذي له - وحده - كمال التصرف في السموات والأرض وفيما بينها من مخلوقات الجبر المشاهدة وغيرها ، وله تدبير الأمر في ذلك وعنده - وحده - علم وقت القيامة ، واليه - وحده - ترجعون في الآخرة للحساب .

٨٦ - ولا يملك ألهتهم الذين يعبدونهم من غير الله الشفاعة لمن عبدوهم ، لكن من شهد بالتوحيد - وهم يعتقدون أن الله ربهم حقاً - هم الذين يشفعون فيمن يشاء الله من المؤمنين .

٨٧ - ولئن سألت - أيها الرسول - هؤلاء المشركين عن خلقهم ، فيقولن : خلقهن الله ، فكيف يصرفون عن عبادته تعالى الى عبادة غيره مع اقرارهم بأنه خالقهم ؟ ! ان هذا لعجيب .

٨٨ - أقسم بقول محمد ﷺ - مستغيثاً داعياً : « يارب » ان هؤلاء المعاندين قوم لا ينتظر منهم ايمان .

٨٩ - فأعرض - أيها الرسول - عنهم - لشدة عنادهم - ودعهم ، وقل لهم : شأنى متاركتكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم ، فسوف يعلمون أن عاقبة عنادهم الخسران المبين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۝ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ

ابتدأت السورة بالحديث عن القرآن، وأنه أنزل من عند الله في ليلة القدر المباركة للأنذار والتوحيد، وأنه الحق. كما تحدثت عن البعث، وأنه لا ريب فيه، وناقشت حجج المنكرين له، وردت على المشركين، وقارنت بين مشركي مكة واسلافهم قوم فرعون، وتعرضت لما حل بهم من انتقام الله، ثم أكدت أن يوم القيامة هو موعد فرق الكفر والضلال جميعاً، وتحدثت عن جزاء الضالين في هذا اليوم وجزاء المهتدين، وانتهت بالحديث عن القرآن، كما بدئت به، وبتهديد المكذبين بأمره - ﷻ - بانتظار ما يحل بهم من البلاء والمصائب.

١ - حم: ابتدأت هذه السورة ببعض الحروف الصوتية على طريقة القرآن الكريم في افتتاح كثير من السور بمثل هذه الحروف.

٢ - أقسم الله بالقرآن الكاشف عن الدين الحق، الموضح للناس ما يصلح دنياهم وآخرتهم، اعلماً برفعة قدره.

٣ - اننا ابتدأنا انزال القرآن في ليلة وفيرة الخير، كثيرة البركات، لأن من شأننا الانذار بأرسال الرسل وانزال الكتب.

٤ - في هذه الليلة المباركة يفصل ويبين كل أمر محكم، والقرآن رأس الحكمة، والفيصل بين الحق والباطل، ولذا كان انزاله فيها.

٥ - أعنى بهذا الأمر أمراً عظيماً صادراً من عندنا كما اقتضاه تدييرنا، لأن من شأننا ارسال الرسل بالكتب لتبليغ العباد.

٦ - لأجل رحمة ربك بعباده أرسل رسله للناس يبلغونهم هديه، لأنه - وحده - السميع لكل مسموع، المحيط علماً بكل معلوم.

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^ط إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
 بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الدِّكْرُ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا
 عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا
 مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكَ رَسُولٌ

٧ - هو خالق السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين بالحق ، مدعين له ، مؤمنين بأنه المنزل للقرآن رحمة وهداية .

٨ - لا اله يستحق العبادة سواه ، هو - وحده - يحيى ويميت ، وهو - وحده - خالقكم وخالق آبائكم الأولين .

٩ - بل الكفار في شك من هذا الحق ، يتبعون أهواءهم ، وذلك شأن اللاهين اللاعبين ، لا شأن أهل العلم واليقين .

١٠ - فانتظر - أيها الرسول - حينما ينزل بهم القحط - فيصابون بالهزال وضعف البصر ، فيرى الرجل بين السماء والأرض دخاناً واضحاً ! بحيث يسمع اطاء ولا يراه !

١١ - يحيط هذا الدخان بالمكذبين الذين أصابهم الجذب ! فيقولون لشدة الهول : هذا عذاب شديد الإيلام .

١٢ - كما يقولون استغاثة بالله : اننا سنؤمن ان تكشف عنا عذاب الجوع والحرمان .

١٣ - كيف يتعظ هؤلاء ، ويوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب ، وقد جاءهم رسول واضح الرسالة بالمعجزات الدالة على صدقه ، وذلك اعظم موجبات الاعتاظ ؟ !

١٤ - ثم اعرضوا عن التصديق بالرسول المؤيد بالمعجزات الواضحة ! وقالوا - كذباً وافتراء - : تارة يعلمه البشر ، وقالوا تارة أخرى : اختلط عقله .

١٥ - فرد الله عليهم : انا سترفع عنكم العذاب زمن الدنيا ، وهو قليل ، وانكم عائدون - لا محالة - الى ما كنتم عليه .

١٦ - اذكر - أيها الرسول - يوم نأخذهم الأخذة الكبرى بعنف وقوة ، اننا - بهذا الأخذ - منتقمون منهم .

١٧ - ولقد امتحنا قبل كفار مكة قوم فرعون بالدعوة الى الايمان ، وجاءهم موسى رسول كريم على الله ، فكفروا به عناداً ! وكذلك شأن هؤلاء المشركين .

أَمِينٌ ۝ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۚ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ۝
 وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونِ ۝ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ۝ فَأَسْرِعَ بَآدِيَ لَيْلٍ إِنَّكُمْ مَتَّبِعُونَ ۝
 وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ۝ كَرَّ تَرْكُومًا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝
 وَنِعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَلَکِهِنَّ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَسَبَّكَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ
 وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ۝ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۝ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنْ

١٨ - قال لهم الرسول الكريم : أدوا الى يا عباد الله ما هو واجب عليكم من قبول دعوتي ، لأنى لكم رسول مختص بكم ، أمين على رسالتى .

١٩ - ولا تتكبروا على الله بتكذيب رسوله ، لأنى آتىكم بمعجزة واضحة تبين صدق نبوتى ورسالتى .

٢٠ - وانى اعتصمت بخالقى من أن تتمكنوا من قتلى رجلاً .

٢١ - وإن لم تصدقوا بى فكونوا بمعزل منى ، ولا تؤذوننى .

٢٢ - فدعا موسى ربه - شاكياً قومه حين يش من ايمانهم - بأن هؤلاء قوم تنهى أمرهم فى الكفر ، فافعل بهم ما يستحقون .

٢٣ - فسر بالمؤمنين ليلاً فى خفية ، حتى لا يدركونكم ، لأن فرعون وجنوده سيقتبعونكم اذا علموا ، للايقاع بكم .

٢٤ - واترك البحر ساكناً على هيئته بعد ضربه بالعصا ، ليدخله المنكرون ، فانهم مغروقون لا محالة .

٢٥ - تركوا بعد اغراقهم كثيراً من الجنات الناضرة والعيون الجارية .

٢٦ - والزروع المتنوعة ، والمنازل الحسنة .

٢٧ - وعيشة مرفهة نضرة كانوا فيها متنعين .

٢٨ - مثل ذلك العقاب يعاقب الله من خالف أمره ، وخرج على طاعته ، ويحول ما كان فيها من النعم الى قوم آخرين ليسوا منهم فى شىء من قرابة ولادىن .

٢٩ - فاحزنت عليهم الساء والأرض عندما أخذهم العذاب . لهوان شأنهم . ولم ينظروا لتوبة ، ولم يمهلوا لتدارك تقصيرهم احتقاراً لهم .

٣٠ - ولقد نجى الله بنى اسرائيل من العذاب المذل لهم .

الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تَبَعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْنِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَىٰ شَيْعًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ

٣١ - نجاهم من فرعون، ان فرعون كان مستعلياً على قومه، مسرفاً في الشر والطفيان.

٣٢ - أقسم: لقد اخترنا بني اسرائيل على علم منا بأحقيتهم بالاختيار على عالمي زمانهم، فبعثنا فيهم أنبياء كثيرين مع علمنا بجهلهم.

٣٣ - وآتاهم الله على يد موسى من الدلائل ما فيه اختبار ظاهر لهم.

٣٤، ٣٥ - ان هؤلاء المكذبين بالبعث ليقولون: ما الموت الا موتتنا الأولى في الدنيا وما نحن بعدها ببعوثين.

٣٦ - ويقولون لرسول الله والمؤمنين: ان كنتم صادقين في دعواكم أن ربكم يحیی الموتي للحساب في الآخرة فمجلوا لنا أحياء من مات من آبائنا، بسؤالكم ربكم ذلك.

٣٧ - أكفار مكة خير في القوة والمنعة والسلطان وسائر أمور الدنيا أم قوم تبع ومن سبقهم؟! ليس مشركو قومك - يا محمد - أقوى منهم، وقد أهلكناهم في الدنيا بكفرهم واجرامهم، فليتعبروا بهم.

٣٨ - وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما دون حكمة.

٣٩ - ما خلقناهما الا خلقاً منوطاً بالحكمة، على نظام ثابت يدل على وجود الله ووحديته وقدرته، ولكن أكثر هؤلاء في غفلة عمياء، لا يعلمون هذه الدلالة.

٤٠ - ان يوم الحكم بين الحق والمبطل وقت مواعدهم أجمعين.

٤١ - يوم لا يدفع أى قريب عن أى قريب، ولا أى حليف عن أى حليف شيئاً قليلاً من العذاب، ولا هم ينصرون عند الله بأنفسهم.

٤٢ - لكن الذين رحمهم الله من المؤمنين يعفو الله عنهم، ويأذن لهم بالشفاعة، انه الغالب على كل شيء، الرحيم بعباده المؤمنين.

٤٣، ٤٤ - ان شجرة الزقوم المعروفة بقبح منظرها وخبث طعمها وريحها طعام الفاجر كثير الآثام.

٤٥، ٤٦ - طعامها كسائل المعدن الذى صهرته الحرارة، يغلى في البطن كغلي الماء الذى بلغ النهاية في غليانه.

سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ٥٠ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٢ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ٥٣ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ٥٥ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٥٦ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ٥٩

٤٧ - خذوا يا زبانية جهنم - هذا الفاجر الأنيم، فقوده بعنف وغلظة إلى وسط جهنم.

٤٨ - ثم صبوا فوق رأسه الماء الشديد الحرارة، زيادة في تعذيبه وإيلامه.

٤٩ - يقال له - استهزاء وتهكما به - ذق العذاب الشديد، انك أنت العزيز في قومك، الكريم في حسابك.

٥٠ - ان هذا العذاب الذي لستموه حقيقة واقعة هو ما كنتم تخاصمون بشأنه في الدنيا، وتشكون في وقوعه.

٥١ - ان الذين وقوا أنفسهم من المعاصي بالتزام طاعة الله في مكان عظيم، يأمنون فيه على أنفسهم.

٥٢ - في جنات ينعمون فيها، وعيون من الماء تجري من تحتها، اكراما لهم باعظام نعيمهم.

٥٣ - يلبسون مارق وما غلظ من الحرير زيادة في زيتهم، متقابلين في مجالسهم، لئيم لهم الأنس.

٥٤ - ومع هذا الجزاء زوجناهم في الجنة بحور عین، يحار فيهن الطرف لفرط حسنهن وجمالهن وسعة عيونهن.

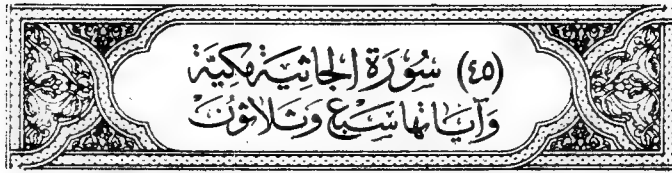
٥٥ - يطلبون في الجنة كل فاكهة يشتهونها، آمنين من الفصص والزوال والحرمان.

٥٦ - لا يذوقون في الجنة الموت بعد الموت الأولى التي ذاقوها في الدنيا عند انقضاء آجالهم، وحفظهم ربه من عذاب النار.

٥٧ - حفظوا من العذاب فضلا واحسانا من خالقك، ذلك الحفظ من العذاب ودخول الجنة هو غاية الفوز العظيم.

٥٨ - فإنما سهلنا عليك تلاوة القرآن وتبليغه منزلا بلغتك ولغتهم كي يتعظوا، فيؤمنوا به ويعملوا بما فيه.

٥٩ - فانتظر ما يحل بهم، انهم منتظرون ما يحل بك وبدعوتك من الدوائر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

افتتحت هذه السورة بحرفين من حروف الهجاء ، وأتبع ذلك ببيان أن تنزيل القرآن ، من الله العزيز الحكيم ، ثم عرضت أدلة كونية وعقلية لاثبات عقيدة الايمان والدعوة إلى اعتناقه كما تضمنت الدعاء على المكذبين للآيات ، ثم أخذت تعدد نعم الله وفضله على عباده ، وطلبت من المؤمنين أن يغفروا للمنكرين ، فالله - وحده - هو الذى يجزى كل نفس بما كسبت ، وبعد ذلك تحدثت السورة عما تفضل الله به على بنى اسرائيل من نعم كثيرة وما وقع بينهم من اختلاف سيقضى الله فيه يوم القيامة . ثم أخذت تفرق بين من اتبعوا الحق ومن اتبعوا الهوى فأنكروا البعث وردوا آيات القدرة بطلبهم أحياء آبائهم ، والله هو المحيى والمميت ، له ملك كل شئ ، ويوم يحشر المبطلون تدعى كل نفس إلى كتابها ، ويفوز المؤمنون ويؤنب المستكبرون ، وتعود السورة إلى الحديث عن انكارهم الساعة وتكذيبهم بالآيات الدالة عليها ، وعن نسيان الله إياهم كما نسوا هذا اليوم . وبيان أن مأواهم النار باستهزائهم بآيات الله وغرورهم بالدنيا ، وختمت السورة بالثناء على خالق السموات والأرض ، صاحب الكبرياء فيها ، العزيز الحكيم .

١ - حم : حرفان من الحروف الصوتية ابتدأت بها هذه السورة على طريقة القرآن فى افتتاح بعض سورته بمثل هذه الحروف للإشارة إلى عجز المشركين عن الاتيان بمثله مع أنه مؤلف من الحروف التى يستعملونها فى كلامهم .

٢ - تنزيل القرآن من الله القوى المنيع ، الحكيم فى تدبيره وصنعه .

٣ - إن فى خلق السموات والأرض من بديع صنع الله لدلالات قوية على ألوهيته ووحدانته ، يؤمن بها المصدقون بالله بفطرتهم السليمة .

٤ - وفى خلق الله لكم - أيها الناس - على ما أنتم عليه من حسن الصورة وبديع الصنع ، وما يفرق وينشر من الدواب على اختلاف الصور والمنافع لدلالات قوية واضحة لقوم يستيقنون بأمورهم بالتدبر والتفكر .

رَزَقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مَن رَّآهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ

- ٥ - وفي اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلام مع تعاقبها على نظام ثابت ، وفيما أنزل الله من السماء من مطر فأحيا به الأرض بالآيات بعد موتها بالجذب ، وتصريف الرياح إلى جهات متعددة مع اختلافها بزيادة وحرارة وقوة وضعفا علامات واضحة على كمال قدرة الله لقوم فكروا بعقولهم فخلص بيقينهم .
- ٦ - تلك آيات الله الكونية التي أقامها الله للناس ، نقرؤها عليك في القرآن على لسان جبريل مشتملة على الحق ، فإذا لم يؤمنوا بها فبأي حديث بعد حديث الله - وهو القرآن - وآياته يصدقون .
- ٧ - هلاك شديد لكل من افتري على الله اقبح الأكاذيب ولمن كثرت آثامه بذلك .
- ٨ - يسمع هذا المفترى آيات الله تنلى عليه ناطقة بالحق ، ثم يصير على الكفر متكبرا عن الإيمان ، شأنه شأن من لم يسمع الآيات ، فبشره أيها النبي - تهكما - بعذاب أليم لاصراره على عمل ما يوصل إليه .
- ٩ - وإذا علم هذا العنيد أى شيء من آيات الله جعل آيات الله كلها مادة لسخريته واستهزائه ، أولئك الأفاكون الآثمون لهم عذاب مذل لكبريائهم .
- ١٠ - من ورائهم جهنم تنتظرهم ، ولا يدفع عنهم ما كسبوا في الدنيا شيئا من عذابها ، ولا الآلهة التي اتخذوها من دون الله نصراء تدفع شيئا من عذابها ، ولهم عذاب عظيم في هوله وشدته .
- ١١ - هذا القرآن دليل كامل على الحق من عند الله ، والذين جحدوا ما اشتمل عليه من حجج خالقهم ومربيهم لهم عذاب من أشد أنواع العذاب .

١٢ - الله - وحده هو الذى ذلل لكم البحر لتسير السفن فيه بإذنه وقدرته حاملة لكم ولحاجاتكم ، ولتطلبوا من فضل الله من خيرات البحر باستفادة علم وتجارة وجهاد وهداية وصيد واستخراج آتية ، ولعلكم تشكرون نعمه بإخلاص الدين لله .

لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلِ الَّذِينَ آمَنُوا
يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ
فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ
الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْعًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

١٣ - وذلل لكم جميع ما في السموات من نجوم مضيئة وكواكب ، وكل ما في الأرض من زرع وضرع
وخصب وماء ونار وهواء وصحراء جميعا منه - تعالى - ليوفر لكم منافع الحياة . ان فيما ذكر من نعم آيات دالة على
قدرته لقوم يتدبرون الآيات .

١٤ - قل - أيها الرسول - للذين صدقوا بالله واتبعوك : يصفحوا عن الايذاء الذي يصيبهم من الذين
لا يتوقعون أيام الله التي يجزي فيها أقواما بالخير وأقواما بالشر حسبما كانوا .

١٥ - من عمل صالحا فلنفسه الأجر والثواب ، ومن أساء عمله فعلى نفسه وزر عمله ، ثم إلى خالقكم
ترجعون للجزاء .

١٦ - أقسم : لقد أعطينا بنى اسرائيل التوراة والحكم بما فيها والنبوّة الملهمة من قبل الله ، ورزقناهم من
الخيرات المتنوعة وفضلناهم بكثير من النعم على الخلق أجمعين .

١٧ - وأعطيناهم دلائل واضحة من أمر دينهم فاقع بينهم اختلاف الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الدين
وأحكامه عداوة وحسدا فيما بينهم ، ان ربك يفصل بين المختلفين يوم القيامة في الأمر الذي كانوا فيه يختلفون .

١٨ - ثم جعلناك - يا محمد - بعد اختلاف أهل الكتاب مبعوثا على منهاج واضح من أمر الدين الذي
شرعناه لك ولن قبلك من رسلنا فاتبع شريعتك الحقّة ، الثابتة بالحجج والدلائل ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون
طريق الحق .

١٩ - ان المبطلين الطامعين في اتباعك لهم لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعتم ، وان المتجاوزين
لحدود الله بعضهم أنصار بعض على الباطل ، والله ناصر الذين يخشونه فلا ينالهم ظلم الظالمين .

٢٠ - هذا القرآن المنزل عليك دلائل للناس تبصرهم بالدين الحق ، وهدى يرشدكم إلى مسالك الخير ، ونعمة
لقوم يستيقنون بثواب الله وعقابه .

أَجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾
وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ
إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاةً فَمِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ جُحَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنِيَّاءَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾
قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ

٢١ - بل حسب الذين اكتسبوا مايسوء من الكفر والمعاصي أن نجعلهم كالذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات من الأعمال ، فنسوى بين الفريقين في الحياة ونسوى بين الفريقين في المات ، بس ما يقضون إذا أحسوا أنهم كالمؤمنين .

٢٢ - وخلق الله السموات والأرض متلبسا بالحكمة والنظام ، لتظهر دلائل ألوهيته وقدرته ، ولتجزى كل نفس بما كسبت من خير أو شر ، وهم لا ينقصون شيئا من جزائهم .

٢٣ - أنظرت فرأيت أيها الرسول من اتخذ هواه معبودا له فخضع له وأطاعه ، وضل عن سبيل الحق على علم منه بهذا السبيل ، وأغلق سمعه فلا يقبل وعظا وقلبه فلا يعتقد حقا ، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر عبرة . فن يهديه من بعد اعراض الله عنه ، أتتركون النظر فلا تذكرون ؟ .

٢٤ - وقال المنكرون للبعث : ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها ، نحيا ونموت ، وليس وراء ذلك حياة بعد الموت ، وما يهلكنا الا مرور الزمان . وما يقولون ذلك عن علم ويقين ، ولكن عن ظن وتخمين .

٢٥ - وإذا قرئت عليهم آيات الله واضحات الدلالة على قدرته على البعث ما كان حجتهم إلا مقاتلهم - فرارا من الحق - : أحيوا آباءنا إن كنتم صادقين في دعوى وقوع البعث .

٢٦ - قل لهم - يا محمد - الله يحييكم في الدنيا من العدم ثم يميتكم فيها عند انقضاء آجالكم ، ثم يجمعكم في يوم القيامة ، لا شك في هذا الجمع ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث ، لاعراضهم عن التأمل في الدلائل ، والقادر على ذلك قادر على الاتيان بآبائكم .

٢٧ - والله - وحده - ملك السموات والأرض خلقا وملكا وتديرا ، وحين تقوم الساعة - يوم قيامها - يخسر الذين اتبعوا الباطل .

إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَعَاتٌ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيفُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَا وَدَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُمْخِرُونَ مِنْهَا وَلَا لَهُمْ

٢٨ - وترى يوم تقوم الساعة - أيها المخاطب - أهل كل دين جالسين على الركب من هول الموقف متحفزين لاجابة النداء ، كل أمة تدعى إلى سجل أعمالها ويقال لهم : اليوم تستوفون جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .
 ٢٩ - ويقال لهم : هذا كتابنا الذي سجلنا فيه أعمالكم وأخذتموه بأيديكم ينطق عليكم بما عملتم شهادة صدق ، انا كنا نستكتب الملائكة لنحاسبكم على ما فرط منكم .
 ٣٠ - فأما الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة فيدخلهم ربهم في جنته ، ذلك الجزاء هو الفوز البين الواضح .

٣١ - وأما الذين كفروا بالله ورسله فيقال لهم - توبيخا - : ألم تأتكم رسل ، ألم تكن آياتي تتلى عليكم ، فتعاليتم عن قبول الحق ، وكنتم قوما كافرين ؟ .

٣٢ - وإذا قال لكم رسول الله - أيها المنكرون للبعث - : ان وعد الله بالجزاء حق ثابت ، والساعة لا شك في مجيئها ، قلتم : ما نعلم ، أى شيء الساعة وما حقيقتها ؟ ما نحن إلا نظن مجيء الساعة ظنا ، وما نحن بموقنين أنها آتية .

٣٣ - وظهر لهؤلاء الكفار قبائح أعمالهم ، ونزل بهم جزاء استهزائهم بآيات الله .

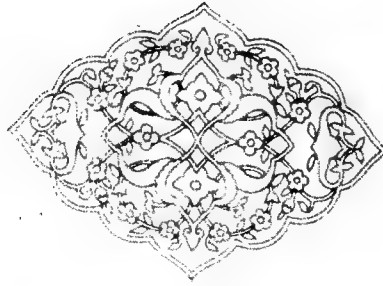
٣٤ - وقيل لهؤلاء المشركين - توبيخا - : اليوم نترككم في العذاب كما تركتم الاستعداد للقاء ربكم في هذا اليوم بالطاعة والعمل الصالح ، ومقرمكم النار ، وليس لكم من ناصرين ينقذونكم من عذابها .

يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٥ - ذلكم العذاب الذى نزل بكم بسبب كفركم واستهزائكم بآيات الله ، وخذعتكم الحياة الدنيا بزخرفها ،
فاليوم لا يستطيع أحد اخراج هؤلاء من النار ، ولا هم يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالاعتذار .

٣٦ - فله - وحده - الثناء ، خالق السموات والأرض وخالق جميع الخلق ، فإن هذه الربوبية العامة توجب
الحمد على كل نعمة .

٣٧ - وله - وحده سبحانه - العظمة والسلطان فى السموات والأرض ، وهو العزيز الذى لا يغلب ، ذو الحكمة
الذى لا يخطئ فى أحكامه .
والله أعلم .



(٤٦) سُورَةُ الْاِخْفَافِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأْنَا بِهَا جَنِينَ وَتَبْلَاوُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ أَنُتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ

تحدثت هذه السورة الكريمة عن انزال القرآن من عند الله ، وجوب الايمان به وبمحمد ﷺ ، والتصديق بالقيامة ، وعنت بالتنبيه إلى الاعتبار بما أصاب السابقين الذين عصوا الله ورسله ، ودعت إلى العناية ببر الوالدين ورعاية حقوقهما ، وعرضت لقصة نفر من الجن استمعوا إلى القرآن الكريم وتواصوا بالانصات له ، فوجدوه مصدقا لما جاء به الرسل قبل محمد ﷺ ، يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فآمنوا به ، ودعوا قومهم إلى ذلك ، وأنهت الحديث بدعوة النبي - ﷺ - إلى الصبر على تكذيب قومه والناسى في ذلك بما احتمله أولو العزم من الرسل قبله .

١ - افتتحت هذه السورة ببعض الحروف على طريقة القرآن الكريم في افتتاح طائفة من سوره بالحروف .

٢ - تنزيل القرآن من عند الله الغالب على كل شيء ، ذى الحكمة في كل ما يفعل .

٣ - ما خلقنا السموات والأرض وما بينها إلا على نواميس ثابتة ، لغايات تقتضيها الحكمة ، وإلى أمد معين تنفى بعده ، والذين جحدوا بهذه الحقيقة معرضون عما أُنذروا به من خلق جديد يوم يبعث الناس للجزاء .

٤ - قل للذين يدعون غير الله : أخبروني عن حال ما تدعون من دون الله ؟ أعلموني : أى شيء خلقوا من الأرض أم لهم مشاركة في السموات ؟ ! ايتوني بكتاب من عند الله أو أثر من علم الأولين تستندون إليه في دعواكم ان كنتم صادقين .

٥ - ومن أكثر ضلالا ممن يدعو من دون الله معبودات لا تستجيب له ما بقيت الدنيا ؟ ! وهم مع ذلك غافلون عن دعائهم ، غير شاعرين به .

النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْعًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَبَقُولُوا هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرِيبٍ لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ

٦ - وإذا جمع الناس للحساب يوم القيامة كان هؤلاء المعبودون أعداء لمن عبدوهم ، يتبرءون منهم ، ويكذبونهم فيما زعموا من استحقاقهم لعبادتهم .

٧ - وإذا تتلى على المشركين آياتنا واضحات لكفرهم وعنادهم - عن تلك الآيات - دون تأمل : هذا سحر ظاهر .

٨ - بل أيقول هؤلاء الكافرون : اختلق محمد القرآن وأضافه إلى الله ؟ قل ردا عليهم . ان افترته عاجلني الله بعقوبته ، فلا تستطيعون أن تدفعوا عني من عذابه شيئا . هو - وحده - أعلم بما تخوضون فيه من الطعن في آياته ، كفى به شهيدا لي بالصدق وشهيدا عليكم بالكذب ، وهو - وحده - واسع المغفرة لمن تاب ، عظيم الرحمة ، يمهل العصاة ليتداركوا .

٩ - قل لهم : ما كنت أول رسول من عند الله فتنكروا رسالتي ، ولست أعلم ما يفعل الله بي ولا بكم ، ما أتبع فيما أقول أو أفعل الا الذي يوحى الله إلي ، وما أنا الا منذر بين الانذار .

١٠ - قل : أخبروني ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بني اسرائيل على نزول مثله من عند الله ، فآمن به واستكبرتم ، ألا تكونون حينئذ أضل الناس وأظلمهم لأنفسهم ؟ ! ان الله لا يوفق إلى الهدى من ظلم نفسه واستكبر عن الحق .

١١ - وقال الذين كفروا في شأن الذين آمنوا استهزاء بهم واستعلاء عليهم : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إلى الايمان به ، فإننا نحن أصحاب السيادة والعقول الراجحة ! ! وحين لم يهتدوا به يطعنون فيه فيقولون : هذا كذب قديم من أساطير الأولين .

لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ مَا تُعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِihanَ اللَّهَ وَيَلْكُ أَمِنْ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ

١٢ - ومن قبل القرآن أنزل الله التوراة قدوة ورحمة للعاملين بها ، وهذا القرآن الذي يكذبونه مصدق لما قبله من الكتب ، أنزله الله بلسان عربي ليكون انذارا متجددا للذين ظلموا ، وبشرى للذين استقاموا على الطريقة .
١٣ - ان الذين قالوا : ربنا الله وحده ، ثم أحسنوا العمل ، فلا خوف عليهم من نزول مكروه ولا هم يحزنون لفوات مطلوب .

١٤ - أولئك الموصوفون بالتوحيد والاستقامة هم المختصون بدخول الجنة خالدين فيها ، أعطاهم الله ذلك جزاء بما كانوا يعملون من الصالحات .

١٥ - ووصينا الانسان بوالديه أن يحسن اليها احسانا عظيما ، حملته أمه حملا ذا مشقة ، ووضعته وضعاً ذا مشقة ، ومدة حمله وفصاله ثلاثون شهرا قاست فيها صنوف الآلام ، حتى إذا بلغ كمال قوته وعقله ، وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قال : رب ألهني شكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وألهني أن أعمل عملا صالحا ترضاه ، واجعل الصلاح ساريا في ذريتي ، اني تبنت إليك من كل ذنب ، وإني من الذين أسلموا أنفسهم اليك (١) .

١٦ - أولئك الموصوفون بتلك الحماد هم الذين نتقبل عنهم أعمالهم الحسنة ، ونغفو عن سيئاتهم في عداد أصحاب الجنة ، محققين لهم وعد الصديق الذي كانوا يوعدون به في الدنيا .

١٧ - والذي قال لوالديه حين دعوا إلى الايمان بالبعث ، متضرعا منها ومنكرا عليها : أف لكما . أتعداني بالخروج من القبر وقد مضت الأمم من قبلي ولم يبعث من القبور أحد ؟ وأبواه يستغيثان الله استعظاما لجرمه ، ويقولان له حنا على الايمان : هلكت ان لم تؤمن ، ان وعد الله بالبعث حق ، فيقول امعانا في التكذيب : ما هذا الذي تقولانه الا خرافات سطرها الأولون .

١٨ - أولئك القائلون ذلك هم الذين حق عليهم وقوع العذاب . في عداد أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس ، لأنهم كانوا خاسرين .

(١) أقل مدة الحمل ستة أشهر لقوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » وقوله تعالى : « وفصاله في عامين » وقوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة » فبإسقاط مدة الفصال عن مدة الحمل والفصال يبق للحمل ستة أشهر . وهذا يتفق مع ما ثبت علميا من أن الطفل إذا ولد لسته أشهر فإنه قابل للحياة .

مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْعَتَكُمْ
فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ * وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذِيرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا
بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا
تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

١٩ - ولكل من المسلمين والكفار منازل ملائمة لما عملوا ، ليظهر عدل الله فيهم ، وليوفيهم جزاء أعمالهم ، وهم لا يظلمون ، لاستحقاقهم ما يجزون به .

٢٠ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم : أذهبت طبعكم من الطيبات في حياتكم الدنيا ، واستمتعتم بها . فالיום تجزون عذاب الهوان بما كنتم عليه في الدنيا من الاستكبار في الأرض بغير الحق ، والخروج عن طاعة الله .

٢١ - واذكر هودا أخا عاد إذ حذر قومه المقيمين بالأحقاف - وقد مضت الرسل قبله وبعده بمثل إنذاره - قائلاً لهم : لا تعبدوا إلا الله ، اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم الهول^(١) .

٢٢ - قال قوم هود انكارا عليه : أجيئنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا ؟ فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في هذا الوعيد .

٢٣ - قال هود : انما العلم بوقت عذابكم عند الله وحده ، وأنا أبلغكم الذي أُرسلت به ، ولكني أراكم قوما تجهلون ما تبعث به الرسل .

٢٤ ، ٢٥ - فأتاهم العذاب في صورة سحب ، فلما رأوه ممتدا في الأفق ، متوجها نحو أوديتهم ، قالوا فرحين : هذا سحب يأتينا بالمطر والخير . فقيل لهم : بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب شديد الألم ، تهلك كل شيء بأمر خالقها ، دمرتهم فأصبحوا لا يرى من آثارها إلا مساكنهم . كذلك الجزاء نجزي كل من ارتكب مثل جرمهم .

(١) وكانت منازل هذه القبيلة بالأحقاف ، وموقع الأحقاف مختلف فيه : وبعض المؤرخين يذكرون أنه بين اليمن وعان إلى حضرموت والشحر : أى في الجنوب الشرقى من جزيرة العرب . وبعض المنقبين في الزمن القريب يرون أنه شرق العقبة معتمدين على كتابات نبطية عثروا عليها في خرائب معبد كشفوا عنه في جبل ارم ، ووجدوا في جوانب الجبل آثارا جاهلية قديمة ، فرجحوا أن هذا المكان هو موضع ارم التي ذكرها القرآن الكريم ، ثم خرجت قبل الاسلام ولم يبق منها حينئذ ظهر إلا عين ماء كان التجار وأصحاب القوافل ينزلون عليها في طريقهم إلى الشام .

وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْعِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْعِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ

٢٦ - ولقد مكنا عادا فيما لم نمكنكم فيه من السعة والقوة يا أهل مكة ، وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ، لو شاءوا الانتفاع بها ، فما نفعهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم شيئا قليلا ، لأنهم كانوا يكذبون بآيات الله ، فحال ذلك بينهم وبين انتفاعهم بما أوتوا ، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون .

٢٧ - ولقد أهلكنا القرى التي كانت حولكم يا أهل مكة ، وبيننا لهم الدلائل بأساليب متنوعة ، لعلمهم يرجعون عن الكفر ، فلم يرجعوا .

٢٨ - فهلا منعهم من الهلاك الذين اتخذوهم من دون الله آلهة متقربين بهم إليه تعالى !! بل غابت هذه الآلهة عنهم وهم أحوج ما كانوا إلى النصرة ، وذلك الذي حل بهم من خذلان آلهتهم لهم وضلالهم عنهم هو عاقبة كذبهم وافترائهم .

٢٩ - واذكر يا محمد - إذ وجهنا إليك جماعة من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروا تلاوته قال بعضهم لبعض : انصتوا ، فلما تمت تلاوته رجعوا مسرعين إلى قومهم ، محذرين من الكفر ، داعين إلى الإيمان .

٣٠ - قالوا : يا قومنا انا سمعنا كتابا عظيم الشأن ، أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما تقدمه من الكتب الآلهية ، يرشد إلى الحق في الاعتقاد ، وإلى شريعة قوية في العمل .

٣١ - يا قومنا : أجبوا داعي الله الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وصدقوا بالله ، يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ويمنعكم من عذاب شديد الأليم .

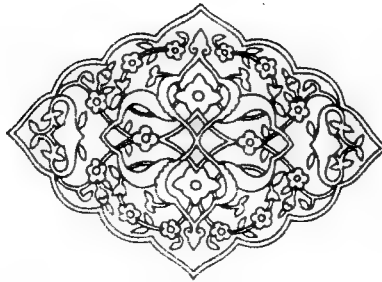
لَهُ مِنْ دُونِهِ ؕ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعۡبُدْهُنَّ بِقَدۡرِ عَالِي ۤأَن يُجۡئِيَ ٱلْمَوۡتَىٰ بَلَىٰ ۖ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرِضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى
ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ ٱلۡأَوَّلُوا۟
ٱلْعَزِمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِلۡ لَهُمۡ ۚ كَانَهُمْ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبِثُوا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنۢ نَّهَارٍۭ ۚ فَهَلۡ يَهۡلِكُ
إِلَّا ٱلْقَوۡمُ ٱلْفٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٣٢ - ومن لا يجب داعى الله فليس بمستطيع أن يعجز الله عن أخذه وان هرب في الأرض كل مهرب ، وليس له من دون الله نصراء يمنعون من عذابه . أولئك الذين يعرضون عن اجابة الداعى إلى الله في حيرة وبعد واضح عن الحق .

٣٣ - أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعجز عن خلقهن قادر على احياء الموتى ؟ ! بلى هو قادر على ذلك ، لأنه - تعالى - على كل شىء تام القدرة .

٣٤ - ويوم يوقف الذين كفروا على النار يقال لهم تقرعوا : أليس هذا العذاب بالأمر الحق المطابق لما أنذرناكم في الدنيا ؟ ! قالوا : بلى وربنا ، هو الحق ، قال : فذوقوا ألوان العذاب الشديد باصراركم على الكفر والتكذيب .

٣٥ - فاصبر - يا محمد - على الكافرين كما صبر أصحاب القوة والثبات من الرسل في الشدائد ، ولا تستعجل لهم العذاب ، فهو واقع بهم - لا محالة - وان طال الأمد . كأنهم يوم يشاهدون هوله يحسبون مدة لبثهم قبله ساعة من نهار . هذا الذى وعظتم به كاف في الموعظة ، فلن يهلك بعذاب الله الا الخارجون عن طاعته .



(٤٧) سُورَةُ مَجِيلٍ مَلِكِيَّةٍ
وَأَنبِيَاؤُهَا ثَمَانٌ وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ

بينت هذه السورة في بدايتها أن الله أبطل أعمال الكافرين باتباعهم الباطل، وكفر عن المؤمنين سيئاتهم باتباعهم الحق. كما بينت باطناب وجوب الدفاع عن الحق، وأن جزاء ذلك في الآخرة دخول الجنة، وحرضت المؤمنين على نصر دين الله والقتال في سبيله. وأوضحت أن المبطلين إذا تولوا عن الإيمان أفسدوا في الأرض وقطعوا أرحامهم، وحذرت من المنافقين أن يكونوا بين المؤمنين حتى لا يستمعوا لتبليطهم. وهددت المنافقين بهتك أستارهم لظاهر رسول الله على أحقادهم. ونهت المؤمنين أن يضعفوا عن قتال الكافرين، وهم الأعلون والله معهم ولن يترهم أعمالهم. ثم ختمت بالدعوة إلى الانفاق في سبيل الله، وبيان أن من يبخل بذلك فإنما يبخل على نفسه، وبأن الاعراض عن اتباع الحق يكون سببا في هلاك المعرضين والاتباع بقوم آخرين خير منهم.

- ١ - الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا غيرهم عن الدخول في الاسلام، أبطل الله كل ما عملوه.
- ٢ - والذين آمنوا وعملوا الصالحات وصدقوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم، محاه عنهم سيئاتهم وأصلح حالهم في الدين والدنيا.
- ٣ - ذلك بأن الذين كفروا سلكوا طريق الباطل، وأن الذين آمنوا اتبعوا طريق الحق من ربهم - مثل ذلك البيان الواضح بين الله للناس أحوالهم ليعتبروا.

يَسَاءَ اللَّهُ لَا تَنْصَرُ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ①
 سَيِّدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ② وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ③ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ④ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ⑤ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ
 أَعْمَالَهُمْ ⑥ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ⑦ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑧ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ
 الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ⑨ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا

٤ ، ٥ ، ٦ - فإذا لقيتم الذين كفروا في الحرب فاضربوا رقابهم ، حتى إذا أضعفتهم بكثرة القتل فيهم فأحكموا قيد الأسارى ، فاما أن تموتوا بعد انتهاء المعركة منا باطلاقتهم دون عوض ، واما أن تفسدوهم بالمال أو بالأسرى من المسلمين ، فتلقوهم بالعوض . ولكن هذا شأنكم مع الكافرين ، حتى تضع الحرب أوقالها وتنتهى ، حكم الله فيهم ذلك ولو شاء الله لاتنصر منهم بغير قتال ، ولكن ليختبر المؤمنين بالكافرين شرع الجهاد ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل أفعالهم ① ، سيديهم ويصلح قلوبهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم .

٧ - يا أيها الذين آمنوا : ان تنصروا دين الله ينصركم على عدوكم ، ويوطد أركانكم .

٨ - والذين كفروا فاشقاهم الله وأبطل أفعالهم .

٩ - أمرهم ذلك بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن والتكاليف ، فأبطل أفعالهم .

١٠ - أقعدوا عن طلب ما يعظمهم ، فلم يسيروا في الأرض فينظروا في أى حال كان عاقبة الذين كذبوا الرسل من قبلهم ، أوقع الله عليهم الهلاك في كل ما يختص بهم من نفس ومال وولد ، وللکافرين بالله وبرسوله أمثال هذه العاقبة .

١١ - ذلك الجزاء من نصر المؤمنين وقهر الكافرين بأن الله مولى الذين آمنوا وناصرهم ، وأن الكافرين لا مولى لهم ينصرهم ويمنع هلاكهم .

١٢ - ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عظيمة تجري من تحتها الأنهار ، والذين كفروا يتمتعون في الدنيا قليلا ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، غافلين عن التفكير في العاقبة ، لا هم لهم سوى شهواتهم ، والنار في الآخرة مأوى لهم .

(١) عنت الرقاب في هذه الآية الكريمة لأن ضررها أجمع وسيلة للاجهاز السريع على المضروب بغير تعذيب له ولا تخيل به ، إذ أنه من الثابت علميا أن الرقبة حلقة الاتصال بين الرأس وسائر الجسد ، فإذا قطع الجهاز العصبي شلت جميع وظائف الجسم الرئيسية ، وإذا قطعت الشرايين والأوردة توقف الدم عن تغذية المخ ، وإذا قطعت الممرات الهوائية وقف التنفس وفي جميع هذه الحالات تنتهى الحياة سريعا .

نَاصِرَهُمْ ⑬ أَفَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ⑭ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي
وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ
مِنْ عَسَلٍ مُصْنًى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ⑮ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ⑯ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ
الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ⑰ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ⑱ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ⑲ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ⑳ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ

١٣ - وكثير من أهل القرى السابقين هم أشد قوة من أهل قريتك - مكة - التي أخرجك أهلها يا محمد .
أهلكناهم بأنواع العذاب ، فلا ناصر لهم يمنعهم منا .

١٤ - أيستوى الفريقان في الجزاء ؟ أفن كان منها على معرفة بينة بخالفه ومريبه فأطاعه ، كمن زين له سوء
عمله ، واتبعوا فيما يأتون ويدورون أهواءهم الباطلة .

١٥ - صفة الجنة التي وعد الله بها المتقين : فيها أنهار من ماء غير متغير ، وأنهار من لبن لم يفسد طعمه ، وأنهار
من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى مما يخالطه . ولهم فيها أنواع من كل الثمرات ، ومغفرة عظيمة من
ربهم . أصفة جنة هؤلاء كصفة جزاء من هو خالد في النار ، وسقوا ماء مفرطاً في الحرارة ، ففقط أمعاءهم (١) .

١٦ - ومن الكفار فريق يستمعون إليك - يا محمد - غير مؤمنين بك ولا منتفعين بقولك ، حتى إذا انصرفوا من
مجلسك قالوا استهزاء للذين أوتوا العلم : أى قول قال محمد الآن ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم بالكفر ،
فانصرفوا عن الخير منقادين لشهواتهم .

١٧ - والذين اهتدوا إلى طريق الحق زادهم الله هدى ، وأعطاهم تقواهم التي يتقون بها النار .

١٨ - لم يتعظ المكذبون بأحوال السابقين . فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم فجأة ؟ ! فقد ظهرت علاماتها
ولم يعتبروا بحجبتها ، فن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟ !

(١) توجه الآية الكريمة الأنظار إلى أن الماء الأسن الراكد المتغير ماء ضار ، وقد قررت الآية الكريمة ذلك قبل كشف المناظير
المكبرة - ميكروسكوب - بقرن عدة ، حيث تبين أن الماء الراكد المتغير مستودع للملايين البكتريا الضارة وغيرها من الطفيليات التي تصيب
الناس والأنعام بأمراض شتى .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا
لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ۖ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصْمَتُهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَةَ أَنْ أَمَّ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا ۚ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۖ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ

١٩ - فأنبت على العلم بأنه لا معبود بحق إلا الله ، واستغفر الله لذنبك ولذنوب المؤمنين والمؤمنات ، والله يعلم كل منصرف لكم وكل إقامة .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ - ويقول الذين آمنوا : هلا نزلت سورة تدعونا إلى القتال !! فإذا نزلت سورة لا تحتل غير وجوبه ، وذكر فيها القتال مأمورا به ، رأيت الذين في قلوبهم نفاق ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت ، خوفا منه وكرهية له ، فأحق بهم طاعة لله وقول يقره الشرع ، فإذا جد الأمر ولزمهم القتال ، فلو صدقوا الله في الإيمان والطاعة لكان خيرا لهم من النفاق ، فهل يتوقع منكم - أيها المنافقون - ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا صلاتكم بأقاربكم ؟!

٢٣ - أولئك الذين أبعدهم الله عن رحمته ، فأصمهم عن سماع الحق ، وأعمى أبصارهم عن رؤية طريق الهدى .

٢٤ - أعموا فلا يتفهمون هدى القرآن ؟ ! بل على قلوبهم ما يحجبها عن تدبره .

٢٥ - ان الذين ارتدوا إلى ما كانوا عليه من الكفر والضلال من بعد ما ظهر لهم طريق الهداية . الشيطان زين لهم ذلك ، ومد لهم في الآمال الكاذبة .

سَنُطِيعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آخَضَهُ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكَ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكَ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكَ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ * يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُطِيلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ

٢٦ ، ٢٧ - ذلك الارتداد بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله : سنطيعكم في بعض الأمر ، والله يعلم أسرار هؤلاء المنافقين . ذلك حالهم في حياتهم ، ففي أى حال يكونون إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم اذلالا لهم ؟

٢٨ - ذلك التوفى الرهيب على تلك الحالة بأنهم اتبعوا الباطل الذى أغضب الله ، وكرهوا الحق الذى يرضاه ، فأبطل كل ما عملوه .

٢٩ - بل أظن هؤلاء الذين في قلوبهم نفاق أن لن يظهر الله أحقادهم لرسوله وللمؤمنين ؟

٣٠ - ولو نشاء لدللك عليهم ، فلعرفتهم بعلامات نسهم بها ، وأقسم : لتعرفنهم من أسلوب قولهم ، والله يعلم حقيقة أفعالكم جميعا .

٣١ - وأقسم : لتعاملكم معاملة المختبر ، حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين في البأساء والضراء ، ونبلو أخباركم من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره .

٣٢ - ان الذين كفروا وصدوا عن طريق الله ، وخالفوا الرسول في عناد واصرار ، من بعد ما ظهر لهم الهدى ، لن يضرؤا الله شيئا ، وسيبطل كل ما عملوه .

٣٣ - ياأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله فيما أمركم به ، وأطيعوا الرسول فيما دعاكم إليه ، ولا تضيعوا أفعالكم .

٣٤ - ان الذين كفروا وصدوا عن الدخول في الاسلام ، ثم ماتوا وهم كفار ، فلن يغفر الله لهم .

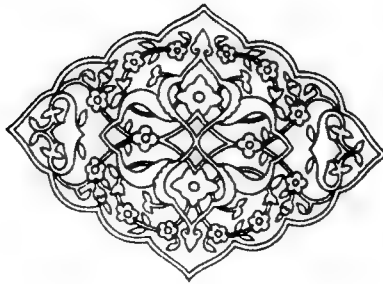
الْأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَتَمَلَّكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَبِحِفْظِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَنْتَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَلِمَآ يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ ؕ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ؕ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

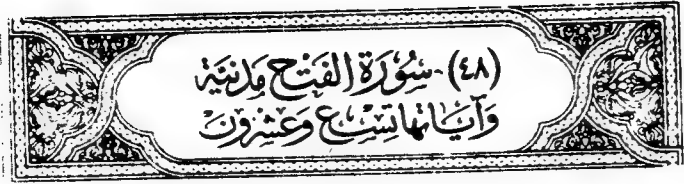
٣٥ - فلا تضعفوا لأعدائكم إذا لقيتموهم ، ولا تدعوهم إلى المسألة خوفا منهم ، وأنتم الأعلىون الغالبون بقوة الايمان ، والله معكم بنصره ، ولن ينقصكم ثواب أعمالكم .

٣٦ ، ٣٧ - إنما الحياة الدنيا باطل وغرور ، وان تؤمنوا وتركوا المعاصي ، وتفعلوا الخير ، يعطكم الله ثواب ذلك ، ولا يسألكم أموالكم ، ان يسألكم اياها فيبالغ في طلبها تبخلوا بها ، ويظهر أحقادكم لحبكم لها .

٣٨ - هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله الذي شرعه ، فممنكم من يبخل بهذا الانفاق ومن يبخل فاضر إلا نفسه . والله - وحده - الغني ، وأنتم الفقراء المحتاجون إليه .

وان تعرضوا عن طاعة الله يستبدل مكانكم قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم في الاعراض عن طاعته .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَزَلَّ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ

تحدثت في افتتاحيتها عن الفتح المبين، الذي يسره الله لرسوله، وعن آثاره العظيمة في انتشار الاسلام، واعزاز المسلمين. وعن تثبيت الله قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا، وعن عذاب المنافقين والمشركين، بتشككهم في نصر الله لرسوله، وعن ارسال محمد ﷺ - شاهدا ومبشرا، ليتحقق الايمان بالله. وانتقلت بعد ذلك إلى حديث بيعة أهل الصدق والوفاء لرسوله، وبينت كذب اعتذار المتخلفين عن الخروج مع الرسول، وأنهم تخلفوا لظنهم أن الله لا ينصره، وعرضت لطلبهم الخروج معه للفنائم.

ثم بينت أنهم سيدعون إلى قتال قوم ذوى بأس وقوة، وأنه لا اثم في التخلف عن القتال لعذر صحيح، كما أوضحت عظم الخير الذى وعد الله به من رضى عنهم في بيعة الرضوان، وتكلمت عن فرار الكافرين وهزيمتهم إذا ما قاتلوا المؤمنين، وشرحت حكمة الله في كف الكافرين عن المؤمنين، والمؤمنين عن الكافرين يوم فتح مكة، وأنهت الحديث ببيان أن الله صدق رسوله رؤياه دخول المسجد الحرام، وأن محمدا والذين آمنوا معه غلاظ على الكفار، متراحون فيما بينهم، وبيان ما يعرف به المؤمنون، وصفتهم في التوراة وصفتهم في الانجيل، ووعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات بالمغفرة الواسعة والأجر العظيم.

١، ٢، ٣ - انا فتحنا لك - يا محمد - فتحا عظيما مبينا بانتصار الحق على الباطل. ليغفر لك الله ما تقدم مما يعد لمثل مقامك ذنبا، وما تأخر منه، ويكمل نعمته عليك بانتشار دعوتك. ويشبك على طريق الله المستقيم، وينصرك الله على أعداء رسالتك نصرا قويا غالبا.

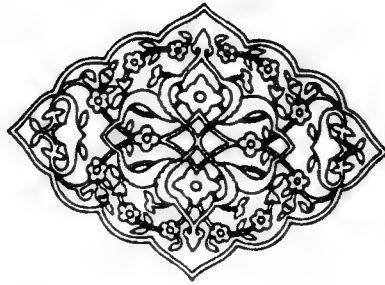
لِيَعْنِيَهُمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنَّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۖ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

٤ - هو الذى أنزل الطمأنينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا بها يقينا مع يقينهم ، والله - وحده - جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها كما يشاء ، وكان الله محيطا علمه بكل شيء ، ذا حكمة بالغة فى تدبير كل شأن .

٥ ، ٦ - ليدخل الله المؤمنين والمؤمنات بالله ورسوله جنات تجري من تحتها الأنهار ، دائمين فيها ، يحو عنهم سيئاتهم وكان ذلك الجزاء عند الله فوزا بالغا غاية العظم . ويعذب المنافقين والمنافقات ، والمشركين مع الله غيره والمشركات ، الظالمين بالله ظنا فاسدا ، وهو أنه لا ينصر رسوله ، عليهم وحدهم دائرة السوء ، لا يفلتون منها ، وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته وهيا لعذابهم جهنم وساءت نهاية لهم .

٧ - والله جنود السموات والأرض ، يدبر أمرها بحكمته كما يشاء ، وكان الله غالبا على كل شيء ، ذا حكمة بالغة فى تدبير كل شأن .

٨ - إنا أرسلناك - يا محمد - شاهدا على أمتك وعلى من قبلها من الأمم ، ومبشرا للتقين بحسن الثواب ، ونذيرا للعصاة بسوء العذاب .



وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ جَزَاءٌ عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَالِيسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزِينَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَاخِذُهَا ذُرُونَا نَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ

٩ - لتؤمنوا - أيها المرسل إليكم - بالله ورسوله ، وتنصروا الله بنصر دينه ، وتعظموه مع الإجلال والإكبار ، وتزهو عما لا يليق به غدوة وعشيا .

١٠ - إن الذين يعاهدونك - على بذل الطاقة لنصرتك - إنما يعاهدون الله ، قوة الله معك فوق قوتهم ، فمن نقض عهده بعد ميثاقه ، فلا يعود ضرر ذلك الا على نفسه ، ومن وفى بالعهد الذى عاهد عليه الله - باتمام بيعتك - فسيعطيه الله ثوابا بالغا غاية العظم .

١١ - سيقول لك من خلفهم النفاق من سكان البادية - إذا رجعت من سفرك - : شغلنا عن الخروج معك أموالنا وأهلونا ، فاستغفر لنا . يقولون بألسنتهم غير ما فى قلوبهم قل ردا عليهم : فمن يملك لكم من الله شيئا يدفع عنكم قضاءه ، إن أراد بكم ما يضركم ، أو أراد بكم ما ينفعكم ؟ ! بل كان الله بكل ما تعملون محيطا .

١٢ - بل ظننتم أن لن يرجع الرسول والمؤمنون من غزوهم إلى أهليهم أبدا ، فتخلفتم ، وزين ذلك الظن فى قلوبكم ، وظننتم الظن الفاسد فى كل شئونكم ، وكنتم فى علم الله قوما هالكين ، مستحقين لسخطه وعقابه .

١٣ - ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، فإننا هيأنا للكافرين نارا موقدة ذات لهب .

١٤ - والله - وحده - ملك السموات والأرض يديره تدبير قادر حكيم ، يغفر الذنوب لمن يشاء ، ويعذب بحكمته من يشاء ، وكان الله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ
لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسْ شَدِيدِ تَغْتَابُونَ أَوْ يُسْلِمُونَ فَلَمَّا تَطِيعُوا بِؤْتِكُمْ اللَّهُ
أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ * لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغْنَمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّ اللَّهُ

١٥ - سيقول هؤلاء الذين خلفهم النفاق عن الخروج معك من سكان البادية : إذا انطلقتم إلى مغنم ، وعدكم الله بها لتأخذوها ، دعونا نتبعكم إليها يريدون بذلك تغيير وعد الله بتلك الغنائم لمن خرج مع الرسول إلى الحديبية ، قل لهم - يا محمد - : لن تتبعونا . مثل ذلك الحكم بعدم اتباعهم حكم الله من قبل ذلك بتلك الغنائم لمن خرج إلى الغزو مع رسوله ، فسيقولون : لم يأمركم الله بذلك ، بل تحسدونا أن نشارككم ، بل كان هؤلاء - بما قالوا - لا يفهمون من تشريع الله إلا فهمًا قليلًا .

١٦ - قل للمتخلفين عن الخروج من أهل البادية : ستدعون إلى قتال قوم ذوى شدة قوية في الحرب ، فإن تستجيبوا لهذه الدعوة يعظم الله الغنيمة في الدنيا ، والثواب في الآخرة ، وإن تعرضوا عنها كما أعرضتم من قبل ، يعذبكم الله عذابًا بالغ الألم .

١٧ - ليس على الأعْمى اثم في التخلف عن قتال الكفار ، ولا على الأعرج اثم ، ولا على المريض اثم كذلك ، حيث لا يستطيعون ، ومن يطع الله ورسوله في كل أمر ونهى يدخله جنات فسيحات تجري من تحتها الأنهار ، ومن يعرض عن طاعة الله ورسوله يعذب به عذابًا بالغ الألم .

١٨ ، ١٩ - لقد رضى الله عن المؤمنين حين يعاهدونك مختارين تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص والوفاء لرسالتك ، فأنزل الطمأنينة عليهم وأعطاهم بصدقهم في البيعة وأقام الصلح عزا عاجلا . ومغنم كثيرة وعدهم الله بها يأخذونها ، وكان الله غالبا على كل شيء ذا حكمة بالغة في كل ما قضاه .

مَغَامٍ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُمُ أَنْ يُبْلَغَ مُحَلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ

٢٠ ، ٢١ - وعدكم الله مغامم كثيرة تأخذونها في الوقت المقدر لها ، فعجل لكم هذه ، وهو ما وعدكم به من الغنائم ، ومنع أذى الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين على صدق وعد الله لهم ، ويهديكم طريقا مستقيما ، بطاعته واتباع رسوله ، ومغامم أخرى لم تقدرُوا عليها قد حفظها الله لكم فأظفركم بها ، وكان الله على كل شيء تام القدرة .

٢٢ - ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ، ولم يعقدوا معكم صلحا ، لفروا منهزمين رعبا منكم ، ثم لا يجدون أى ولى يلى أمرهم ، ولا أى نصير ينصرهم .

٢٣ - سن الله سنة قد مضت من قبل في خلقه ، أن تكون العاقبة لرسوله وللمؤمنين ، ولن تجد لسنة الله تغييرا .

٢٤ - وهو الله - وحده - الذى منع أيدى الكفار من ايذانكم وأيديكم من قتالهم بوسط مكة ، من بعد أن أقدركم عليهم ، وكان الله بكل ما تعملون بصيرا .

٢٥ ، ٢٦ - أهل مكة هم الذين كفروا ومنعوكم من دخول المسجد الحرام ومنعوا الهدى الذى سقتموه محبوسا معكم على التقرب به من بلوغ مكانه الذى ينحر فيه . ولولا كراهة أن تصيبوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات بين الكفار بمكة ، لم تعلموهم ، فتقتلوهم بغير علم بهم ، فيلحقكم من أجل قتلهم عار وخزى ، لسلطانكم عليهم . . كان الكف ليدخل الله في حفظه من كان بينهم من المؤمنين ، ومن أسلم من الكافرين . لتمييز المؤمنين لعاقبتنا الذين أصروا على الكفر منهم عقابا بالغ الألم ، حين جعل الذين كفروا في قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية فأنزل الله طمانينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة الوقاية من الشرك والعذاب ، وكانوا أحق بها وأهلا لها ، وكان الله محيطا علمه بكل شيء .

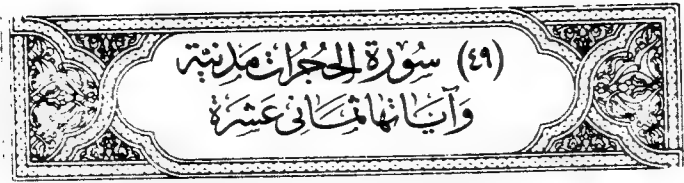
الْحَمِيَّةَ حِمْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾

٢٧ - لقد صدق الله ورسوله رؤياه دخول المسجد الحرام بتحققها . أقسم : لتدخلن المسجد الحرام - إن شاء الله - آمنين عدوكم ، بين محلق رأسه ومقصر ، وغير خائفين : فعلم سبحانه الخير الذي لم تعلموه في تأخير دخول المسجد الحرام ، فجعل من قبل دخولكم فتحا قريبا .

٢٨ - هو الله الذي أرسل رسوله بالإرشاد الواضح ودين الإسلام ليعليه على الأديان كلها ، وكفى بالله شهيدا على ذلك .

٢٩ - محمد رسول الله وأصحابه الذين معه أشداء أقوياء على الكفار . متراحون ، متعاطفون فيما بينهم تبصرهم راكعين ساجدين كثيرا ، يطلبون بذلك ثوابا عظيما من الله ورضوانا غنيا ، علامتهم خشوع ظاهر في وجوههم من أثر الصلاة كثيرا ، ذلك هو وصفهم العظيم في التوراة . وصفهم في الإنجيل كصفة زرع أخرج أول ما ينشق عنه ، فأزره ، فتحول من الدقة إلى الغلظ ، فاستقام على أصوله ، يعجب الزراع بقوته ، وكان المؤمنون كذلك ، ليفيظ الله بقوته الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة تمحو جميع ذنوبهم ، وثوابا بالغا غاية العظم .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ۖ يَكْهَرُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۖ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ۖ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ

افتتحت بنهى المؤمنين عن الحكم بشئ قبل أن يأمر به الله ورسوله ، وعن رفع أصواتهم فوق صوت النبى - ﷺ - وأنت على الذين يخفضون أصواتهم فى حضرته ، ونددت بمن يتركون الأدب فينادونه - ﷺ - من وراء حجراته ، ثم أمرت المؤمنين ، بالتثبت من أخبار الفاسقين وضعاف الإيمان ، وأمرت الولاة بما يفعلونه عند تقاتل فريقين من المؤمنين ، ونهى المؤمنين عن استهزاء بعضهم ببعض ، وتعييب بعضهم بعضا ، وعن ظن السوء بأهل الخير ، وعن تتبع بعضهم ، ونهى الأعراب عن ادعاء الإيمان قبل أن يستقر فى قلوبهم ثم أبانت من هم المؤمنون الصادقون ، وختمت الحديث بالنهى عن المن على رسول الله بالإسلام ، وبينت أن المنه لله عليهم بهدايتهم إلى الإيمان ، إن كانوا صادقين فى دعواهم .

١ - يا أيها الذين آمنوا : لا تقدموا أى أمر فى الدين والدنيا ، دون أن يأمر به الله ورسوله واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامثال شريعته إن الله تام السمع لكل ما تقولون ، محيط علمه بكل شئ .

٢ - يا أيها الذين آمنوا : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى إذا تكلم وتكلمتم ، ولا تساوا أصواتكم بصوته ، كما يخاطب بعضهم بعضا ، كراهة أن تبطل أعمالكم وأنتم لا تشعرون ببطانها .

٣ - إن الذين يخفضون أصواتهم فى مجلس رسول الله ، اجلالا له ، أولئك - وحدهم - هم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ، فليس لغيرها مكان فيها ، لهم مغفرة واسعة لذنوبهم وثواب بالغ غاية العظم .

٤ - إن الذين ينادونك من وراء حجراتك أكثرهم لا يعقلون ما ينبغى لمقامك من التوقير والاجلال .

تُخْرِجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّاهُمُ اللَّهُ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا

٥ - ولو أن هؤلاء صبروا - تأدبا معك - حتى تقصد الخروج إليهم ، كان ذلك خيرا لهم في دينهم ، والله عظيم المغفرة ذورحة واسعة .

٦ - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم أى خارج عن حدود شريعة الله بأى خبر ، فتثبتوا من صدقه ، كراهة أن تصيبوا أى قوم بأذى - جاهلين حالهم - فتصيروا على ما فعلتم معهم - بعد ظهور براءتهم - مفتنين دائما على وقوعه ، متنين أنه لم يقع منكم .

٧ ، ٨ - واعلموا - أيها المؤمنون - أن فيكم رسول الله ، فأقدروه حتى قدره ، وأصدقوه ، لو يطيع ضعاف الإيمان منكم ، في كثير من الأمور ، لوقعتم في المشقة والهلاك ، ولكن الله حبيب في الكاملين منكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ، فتصونوا عن تزوين مالا ينبغي ، وبغض اليكم جحود نعم الله ، والخروج عن حدود شريعته ، ومخالفة أوامره ، أولئك هم - وحدهم - الذين عرفوا طريق الهدى وثبتوا عليه ، تفضلا كريما ، وانعاما عظيما من الله عليهم ، والله محيط علمه بكل شيء ، ذو حكمة بالغة في تدبير كل شأن .

٩ - وإن طائفتان من المؤمنين تقاتلوا فأصلحوا أيها المؤمنون بينها ، فإن تعدت إحداها على الأخرى ، ورفضت الصلح معها ، فقاتلوا التي تتعدى ، إلى أن ترجع إلى حكم الله ، فإن رجعت فأصلحوا بينها بالإنصاف ، واعدلوا بين الناس جميعا في كل الشئون ، إن الله يحب العادلين .

١٠ - إنما المؤمنون بالله ورسوله أخوة ، جمع الإيمان بين قلوبهم ، فأصلحوا بين أخويكم رعاية لإخوة الإيمان ، واجعلوا لأنفسكم وقاية من عذاب الله بامتنال أمره واجتناب نهيه ، راجين أن يرحمكم الله بتقواكم .

مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْبِسُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بَشَرٌ
 الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّا يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا
 مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
 فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
 وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّا تُؤْمِنُوا
 وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءُثْمَ لَّا يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

١١ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: لا يسخر رجال منكم من رجال آخرين، عسى أن يكونوا عند الله خيرا من
 الساخرين. ولا يسخر نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى أن يكن عند الله خيرا من الساخرات. ولا يعيب
 بعضكم بعضا، ولا يدع الواحد أخاه بما يستكره من الألقاب، بش الذكور للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد
 انصافهم بالإيمان، ومن لم يرجع عما نهى عنه فأولئك هم - وحدهم - الظالمون أنفسهم وغيرهم.

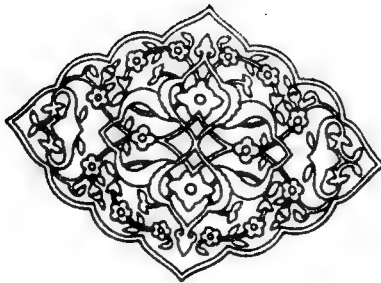
١٢ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: ابتعدوا عن كثير من ظن السوء بأهل الخير. إن بعض الظن اثم يستوجب العقوبة،
 ولا تتبعوا عورات المسلمين، ولا يذكر بعضكم بعضا بما يكره في غيبته، أيجب أحداكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، فقد
 كرهتموه؟! فاكروهوا الغيبة فإنها مماثلة له، وقوا أنفسكم عذاب الله بامتنال ما أمر، واجتناب ما نهى. إن الله
 عظيم في قبول توبة التائبين. ذو رحمة واسعة بالعالمين.

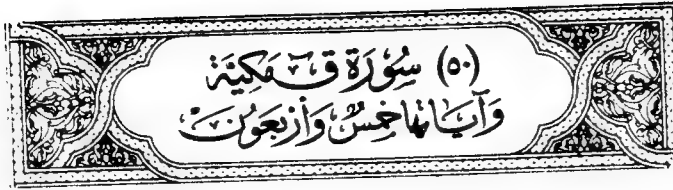
١٣ - يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إنا خلقناكم متساوين من أصل واحد هو آدم وحواء، وصيرناكم بالتكاثر جموعا عظيمة
 وقبائل متعددة، ليتم التعارف والتعاون بينكم، إن أرفعكم منزلة عند الله في الدنيا والآخرة اتقاكم له، إن الله
 محيط علمه بكل شيء، خير لا تخفى عليه دقائق كل شأن.

١٤ - قَالَتِ الْأَعْرَابُ بِالْسِتْمِ: آمنا، قل لهم - يا محمد - : لم تؤمنوا، لأن قلوبكم لم تصدق ما نطقتم به،
 ولكن قولوا: انقدنا ظاهرا لرسالتك، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم بعد، وإن تطيعوا الله ورسوله صادقين
 لا ينقصكم من ثواب أعمالكم أى شيء، إن الله عظيم المغفرة للعباد، ذو رحمة واسعة بكل شيء.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

- ١٥ - إنما المؤمنون - حقاً - هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يقع في قلوبهم شك فيما آمنوا به ، وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في طريق طاعة الله ، أولئك هم - وحدهم - الذين صدقوا في إيمانهم .
- ١٦ - قل لهم - يا محمد - تكذيباً لقولهم آمنا : أنخبرون الله بتصديق قلوبكم ، والله وحده يعلم كل ما في
السموات ، وكل ما في الأرض ، والله محيط علمه بكل شيء ؟!
- ١٧ - يعدون إسلامهم يدا لهم عليك - يا محمد - تستوجب شكرك لهم ، قل : لا تمنوا على إسلامكم ، فخير
لكم ، بل الله - وحده - يمين عليكم بهدايته إياكم إلى الإيمان ، إن كنتم صادقين في دعواكم .
- ١٨ - إن الله يعلم كل ما استتر في السموات والأرض ، والله محيط الرؤية بكل ما تعملون .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ٢ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ ٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ

تحدثت في بدايتها عن اثبات رسالة محمد ﷺ - وعن انكار الكفار أن يجيء رسول منهم ، واستبعادهم البعث بعد أن يصيروا ترابا ، وعرضت للأدلة الكونية الدالة على أن الله لا يعجزه أن يبعث الناس بعد موتهم وهو الذى خلقهم أولا ويعلم ما توسوس به نفوسهم ، وأحصى أعمالهم وأقوالهم في كتاب دقيق الحفظ ، وأبانت أن محاولة الكفار في يوم القيامة التنصل من الكفر الذى كان في الدنيا بالقاء التبعة على قرنائهم من الشياطين لا تجديهم نفعا . إذ يتنهي الجدال بينهم بالفائهم جميعا في النار ، في حين يتفضل الله على المؤمنين بالنعيم الدائم في الجنة ، ثم نهت السورة حديثها بأمره ﷺ - بالصبر على أذى الكافرين الذين لم يعتبروا بمصير المكذبين من الأمم قبلهم ، وتوجيهه ﷺ - إلى الثبات على عبادة الله ، وتأكيده أمر البعث ، وتسليته ﷺ - بأنه مذكر للمؤمنين ، وليس بمسيطر على الكافرين .

١ ، ٢ - ق : حرف من حروف الهجاء افتتحت السورة به على طريقة القرآن الكريم في افتتاح بعض السور ببعض هذه الحروف للتحدى وتنبيه الأذهان ، أقسم بالقرآن ذى الكرامة والمجد والشرف : إنا أرسلناك - يا محمد - لتنذر الناس به فلم يؤمن أهل مكة ، بل عجبوا أن جاءهم رسول من جنسهم ينذرهم بالبعث ، فقال الكافرون : هذا شيء منكر عجيب .

٣ - أبعد أن نموت ونصير ترابا نرجع ؟ ذلك البعث بعد الموت رجوع بعيد الوقوع .

٤ - قد علمنا ما تأخذ الأرض من أجسامهم بعد الموت ، وعندها كتاب دقيق الإحصاء والحفظ .

٥ - لم يتدبروا ما جاءهم به الرسول ، بل كذبوا به من فورهم دون تدبر وتفكر ، فهم في شأن مضطرب لا يستقرون على حال .

فُرُوجٌ ① وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَیْعٍ ② تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ③ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ④ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ⑤ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ⑥ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرِّسِّ وَثَمُودُ ⑦ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطَ ⑧ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ⑨ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ⑩ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ⑪ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ⑫

٦ - أغفلوا فلم ينظروا إلى السماء مرفوعة فوقهم بغير عمد ، كيف أحكنا بنامها وزيناها بالكواكب ، وليس فيها أى شقوق تعاب بها (١) .

٧ - والأرض بسطناها وأرسينا فيها جبالا ثوابت ضاربة في أعماقها ، وأنبتنا فيها من كل صنف يبتهج به من النبات ، يسر الناظرين (٢) .

٨ - جعلنا ذلك تبصيرا وتذكيرا لكل عبد راجع إلى ربه ، يفكر في دلائل قدرته .

٩ - ونزلنا من السماء ماء كثير الخير والبركات ، فأنبطنا به جنات ذات أشجار وأزهار وثمار ، وأخرجنا به حب الزرع الذى يحصد .

١٠ - والنخل ذاهبات إلى السماء طولا ، لها طلع مترامك بعضه فوق بعض ، لكثرة ما فيه من مادة الثمر .

١١ - أنبتنا رزقا للعباد ، وأحيينا بالماء أرضا جف نباتها ، كذلك خروج الموتى من القبور حين يبعثون .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ - كذبت بالرسول قبل هؤلاء أمم كثيرة . قوم نوح ، والقوم المعروفون بأصحاب الرس ، وثمود ، وعاد ، وفرعون وقوم لوط والقوم المعروفون بأصحاب الأيكة ، وقوم تبع . كل من هؤلاء كذب رسوله ، فحق عليهم ما وعدهم به من الهلاك .

١٥ - أعطت ارادتنا أو عوقت قدرتنا ، فعجزنا عن الخلق الأول ، فلا نستطيع اعادةهم ؟ لم نعجز باعترافهم ، بل هم في ريب وشبهة من خلق جديد بعد الموت .

١٦ - أقسم : لقد خلقنا الإنسان ، ونعلم ما تحدث به نفسه ، ونحن - بعلمنا بأحواله كلها - أقرب إليه من عرق الوريد ، الذى هو أقرب شيء منه .

١٧ - إذ يتلقى الملقان أحدهما عن اليمين قعيد ، والآخر عن الشمال قعيد ، لتسجيل أعماله .

(١) السماء كل ما يعلونا وتسبح فيه أجرام مختلفة ، منها النجوم والكواكب ، وذلك بنظام دقيق ، وتناسق تام ، كما أنها تحتفظ بأوضاعها طبقا لقوانين المجاذبية فلا يصبها خلل .

(٢) القشرة الأرضية مرتفعة في مواضع معينة هي الجبال ، ومنخفضة في مواضع أخرى هي قيعان المحيطات ، وتتوازن أنقال هذه الأجزاء بعضها مع بعض . ومن قدرة الله وحكمته أن أوجد هذا التوازن ، وجعله ثابتا عن طريق انسياب المواد الأرضية المكونة للقشرة الرقيقة تحت الطبقات السطحية ، وذلك من الأنقل إلى المكان الأقل ثقلا .

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ﴿٢٣﴾ الْفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كَفَّارٌ عَنِيدٌ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيدٌ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ

- ١٨ - ما يتكلم به من قول الا لديه ملك حافظ مهياً لكتابة قوله .
 ١٩ - وجاءت غشية الموت بالحق، الذي لا مرية فيه، ذلك الأمر الحق ما كنت تهرب منه .
 ٢٠ - ونفخ في الصور نفخة البعث، ذلك النفخ يوم وقوع العذاب الذي توعدهم به .
 ٢١ - وجاءت كل نفس برة أو فاجرة معها من يسوقها إلى المحشر، ومن يشهد بعملها .
 ٢٢ - ثم يقال - تقرعاً للمكذب: لقد كنت في الدنيا في غفلة تامة من هذا الذي تقاسيه، فأزلنا عنك الحجاب الذي يغطي عنك أمور الآخرة، فبصرك اليوم نافذ قوى .
 ٢٣ - وقال شيطانه الذي كان مقبضاً له في الدنيا: هذا الكافر الذي عندي مهياً لجهنم باضلالى .
 ٢٤، ٢٥ - يقال للملكين: ألقيا في جهنم كل مبالغ في الكفر، مبالغ في العناد، وترك الانقياد للحق، مبالغ في المنع لكل خير، ظالم متجاوز للحق، شك في الله تعالى وفيما أنزله .
 ٢٦ - الذي اتخذ مع الله إلهاً آخر يعبد، فألقياه في العذاب البالغ غاية الشدة .
 ٢٧ - قال الشيطان رداً لقول الكافر: ربنا ما أطغيته، ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق، فأعنته عليه باغوائى .
 ٢٨ - قال تعالى للكافرين وقرنائهم: لا تختصموا عندي في موقف الحساب والجزاء، وقد قدمت إليكم في الدنيا وعيدا على الكفر في رسالتى إليكم، فلم تؤمنوا .
 ٢٩ - ما يغير القول الذي عندي ووعيدى بإدخال الكافرين النار، ولست بظلام للعبيد فلا أعاقب عبداً بغير ذنب .

مِنْ مَزِيدٍ ۝٣٠ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَنْ خَشِيَ
الرَّحْمَنَ يَأْتِ الْغَيْبَ وَجَاءَ قَلْبُهُ مُنِيبٌ ۝٣٣ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ۝٣٥ وَكَرَّاهَتَنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرَنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيسٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۝٣٨ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩

٣٠ - يوم نقول لجهنم تقريراً للكافرين : هل امتلأت ، وتقول جهنم غضباً عليهم : هل من زيادة استزيد بها من هؤلاء الظالمين ؟

٣١ - وأدريت الجنة مزية للذين اتقوا ربهم - بامثال أمره واجتناب نهي - مكاناً غير بعيد منهم .

٣٢ - هذا الثواب الذي توعدون به لكل رجاء الى الله ، شديد الحفظ لشريعته .

٣٣ - من خاف عقاب من وسعت رحمته كل شيء ، وهو غائب عنه لم يره ، وجاء في الآخرة بقلب راجع اليه تعالى .

٣٤ - يقال تكريماً لهم : ادخلوا الجنة آمنين ، ذلك اليوم الذي دخلتم فيه الجنة هو يوم البقاء الذي لا انتهاء له .

٣٥ - هؤلاء المتقين كل ما يشاءون في الجنة ، وعندنا مزيد من النعيم مما لا يحظر على قلب بشر .

٣٦ - وكثيراً أهلكتنا من قبل هؤلاء المكذبين من أهل القرون الماضية ، هم أشد من هؤلاء قوة وتسلطاً ، فطوفوا في البلاد وأمعنوا في البحث والطلب ، هل كان لهم مهرب من الهلاك ؟

٣٧ - إن فيما فعل بالأمم الماضية لعظة لمن كان له قلب يدرك الحقائق ، أو أصفى إلى الهداية وهو حاضر بفطنته .

٣٨ - أقسم : لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من الخلق في ستة أيام ، وما أصابنا أي إعياء^(١) .

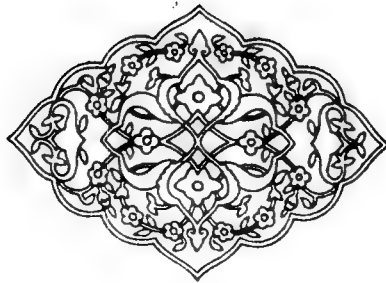
٣٩ ، ٤٠ - إذا تبين ذلك ، فاصبر أيها الرسول على ما يقول هؤلاء المكذبون من الزور والبهتان في شأن رسالتك ، ونزه خالقك ومربيك عن كل نقص ، حامداً له وقت الفجر ، ووقت العصر ، لعظم العبادة فيها ، ونزوه في بعض الليل وأعقاب الصلاة .

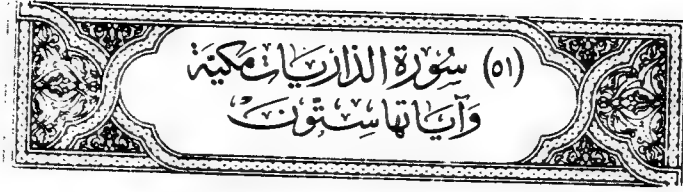
(١) يراجع في شأن معنى الأيام التعليق العلمي على الآيات من رقم ٩ - ١٢ من سورة فصلت .

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ السُّجُودَ ﴿٤١﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٣﴾ إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ﴿٤٤﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاقًا ﴿٤٥﴾ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٦﴾ نحن أعلم بما يقولون وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٧﴾

٤١ ، ٤٢ - واستمع لما أخبرك به من حديث القيامة لعظم شأنه ، يوم ينادى الملك المنادى من مكان قريب من يناديهم ، يوم يسمعون النفخة الثانية بالحق الذى هو البعث . ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور .
٤٣ - انا - نحن - وحدنا - نحيي الخلائق ونميتهم فى الدنيا ، وإلينا - وحدنا - الرجوع فى الآخرة .
٤٤ - يوم تنشق الأرض عنهم فيخرجون منها مسرعين إلى المحشر . . . ذلك الأمر العظيم حشرهم ويسير علينا وحدنا .

٤٥ - نحن أعلم بكل ما يقولون من الأكاذيب فى شأن رسالتك وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على ما تريد ، وإنما أنت منذر فذكر بالقرآن المؤمن الذى يخاف عقابي ، فتنفعه الذكرى .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَّتِ ذُرُوءًا ❶ فَالْحَمِيمِ وَقُرْأَ ❷ فَالْجَارِيَّتِ يُسْرًا ❸ فَالْمُقَسِّمِ أَمْرًا ❹ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ❺ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ❻ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ❼ إِنكُرْنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ❽ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ❾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ❿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ⓫ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ⓬ يَوْمَ هُمْ عَلَى

بدأت السورة بالقسم على صدق البعث ووقوع الجزاء ، ثم أردفت بقسم آخر على اضطراب المنكرين فيما يقولونه عن رسول الله وعن القرآن الكريم ، ثم انتقلت الى إنذار المنكرين بسوء ما لهم في الآخرة ، وإلى تصوير ما أعد للمتقين فيها جزاء ما قدموا من أعمال صالحة في الدنيا . ثم نهت إلى تأمل آيات الله في الكون وفي الأنفس ، وما أودع فيها من عجائب الصنع ولطائف الخلق .

وتحدثت عن قصة إبراهيم مع ضيفه من الملائكة ، ثم عرضت لأحوال بعض الأمم ، وما أصابهم من الهلاك بتكذيبهم لأنبيائهم ، ثم أشارت باجمال إلى بعض الآيات الكونية ، وحثت على الرجوع إلى الله ، وافراده بالعبادة التي هي الغاية من خلق الجن والانس ، وختمت بانذار من كذبوا رسول الله - ﷺ - بعذاب مثل العذاب الذي أصاب الأمم قبلهم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - أقسم بالرياح المثيرات للسحاب ، تدفعها دفعاً ، فالحمالات منها ثقلاً عظيماً من الماء ، فالجاريات به ميسراً بتسخير الله ، فالمقسّات رزقاً يسوقه الله الى من يشاء .

٥ ، ٦ - ان الذي توعدونه من البعث وغيره لتحقيق الوقوع ، وان الجزاء على أعمالكم لحاصل لا محالة .

٧ ، ٨ - أقسم بالسما ذات الطرائق المحكمة : انكم إذ تقولون - ما تقولون لى قول مضطرب .

٩ - ينصرف عن الايمان بذلك الوعد الصادق والجزاء الواقع من صرف عنه ، لا يثاره هواء على عقله .

١٠ ، ١١ - هلك الكذابون القائلون في شأن القيامة بالظن والتخمين ، الذين هم مغمورون في الجهل ، غافلون

عن أدلة اليقين .

١٢ - يسألون مستهزئين مستبعدين : متى يوم الجزاء ؟ !

النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
 ءِاخِذِينَ مَاءً مَّائِهِمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ مَنِيعُونَ ﴿١٧﴾
 وَإِلَّا تَحَارَهُمْ بَسْتَفْغِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾
 وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
 مِّثْلَ مَا أَنْكُمْ تُنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ
 سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ

١٣ - يوم هم موقوفون على النار، يصهرون بها .

١٤ - يقال لهم : ذوقوا عذابكم هذا الذي كنتم في الدنيا تستعجلون وقوعه .

١٥ - ان الذين أطاعوا الله وخافوه ينعمون في جنات وعيون لا يحيط بها الوصف .

١٦ - متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب والتكريم ، انهم كانوا قبل ذلك - في الدنيا - محسنين في أداء ما طلب منهم .

١٧ ، ١٨ - كانوا ينامون قليلاً من الليل ، ويستيقظون أكثر للعبادة ، وبأواخر الليل هم يستغفرون .

١٩ - وفي أموالهم نصيب ثابت للمحتاجين ، السائلين منهم والمهرومين المتعففين .

٢٠ - وفي الأرض دلائل واضحات موصلة إلى اليقين ، لمن سلك طريقه .

٢١ - وفي أنفسكم كذلك آيات واضحات ، أغفلم عنها فلا تبصرون دلالتها ؟ !

٢٢ - وفي السماء أمر رزقكم وتقدير ما توعدون .

٢٣ - فأقسم برب السماء والأرض : ان كل ما تنكرون من وقوع البعث والجزاء وتعذيب المكذبين واثابة المتقين ، لثابت مثل نطقكم الذي لا تشكون في وقوعه منكم .

٢٤ ، ٢٥ - هل علمت قصة الملائكة أضياف ابراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاماً ، قال : سلام ، قوم غير معروفين .

٢٦ ، ٢٧ - فذهب إلى أهله في خفية ، فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم ، فلم يأكلوا منه قال منكرأ حالهم : ألا تأكلون ؟ !

مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرُ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾

٢٨ - فأحس في نفسه خوفاً منهم، قالوا: لا تخف، وبشروه بغلام له حظ وافر من العلم.

٢٩ - فأقبلت امرأته في صيحة حين سمعت البشارة، فضربت وجهها بيدها - استبعاداً وتعجباً - وقالت: أنا عجوز عاقر، فكيف ألد؟!

٣٠ - قالوا: كذلك قضى ربك، انه هو الحكيم في كل ما يقضى، العليم الذي لا يخفى عليه شيء.

٣١ - قال إبراهيم: فما شأنكم - بعد هذه البشارة - أيها المرسلون؟!

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مفرطين في العصيان، لتلقى عليهم حجارة من طين لا يعلم كنهه إلا الله، معلمة مخصصة عند ربك للمجاوزين الحد في الفجور.

٣٥ ، ٣٦ - ففضينا باخراج من كان في تلك القرية من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير أهل بيت واحد من المسلمين.

٣٧ - وتركنا فيها علامة على هلاك أهلها، ليعتبر بها الذين يخافون العذاب الأليم.

٣٨ - وفي قصة موسى عظة، إذ أرسلناه إلى فرعون مؤيداً ببرهام بين.

٣٩ - فأعرض فرعون عن الايمان بموسى معتدّاً بقوته، وقال: هو ساحر أو مجنون.

٤٠ - فأخذناه ومن اعتز بهم، فرميناهم في البحر، وهو مقترف ما يلام عليه من الكفر والعناد.

٤١ - وفي قصة عاد عظة، إذ أرسلنا عليهم الريح التي لا خير فيها.

مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي مُوَدِّ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعْتَوْا عَنْ
 أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمُ نُوحٍ
 مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ
 الْمُهَيِّدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَعَرَّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾
 وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ
 أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْنَا لِلْذِكْرَىٰ

٤٢ - ما ترك من شيء مرت عليه الاجعلته كالعظم البالي .

٤٣ ، ٤٤ - وفي قصة مود آية ، اذ قيل لهم : تمتعوا في داركم الى وقت معلوم ، فتجبروا وتعالوا عن الاستجابة
 لأمر ربهم ، فأهلكهم الصاعقة وهم يماينون وقوعها بهم .

٤٥ - فاتمكنوا من نهوض ، وما كانوا قادرين على الانتصار بدفع العذاب .

٤٦ - وقوم نوح أهلكناهم من قبل هؤلاء ، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله .

٤٧ - ٤٨ - والسما أحكناها بقوة ، وإنا لقادرون على أكثر من ذلك ^(١) . والأرض بسطناها ، فنعم المهيئون
 لها نحن كالمهاد .

٤٩ - ومن كل شيء خلقنا صنفين ، مزدوجين ، لعلكم تتذكرون فتؤمنوا بقدرتنا

٥٠ ، ٥١ - فسارعوا إلى طاعة الله ، ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر ، اتي لكم من الله نذير مبين عاقبة الاشراك .

٥٢ - كذلك كان شأن الأمم مع رسلهم ، ما أتى الذين من قبل قومك من رسول الا قالوا : ساحر أو مجنون .

٥٣ - أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى تواردوا عليه ؟ بل هم قوم متجاوزون الحدود فتلاقوا في الطعن
 على الرسل .

٥٤ - فأعرض عن هؤلاء المعاندين ، فما أنت بملوم على عدم استجابتهم .

(١) تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية كثيرة ، منها أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون الواسع بقوة وهو على ما يشاء قدير ،
 ومعنى السهام في الآية كل ما علا الجرم (النوء) وأظله ، فكل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية ومجرات (سما) هذا
 الجزء المرئي من الكون متسع اتساعاً لا يدركه العقل ولا يتسنى تحديده ، إذ المسافات فيه تقاس بملايين السنين الضوئية والسنة الضوئية ،
 على ما أثبتته العلم الحديث في هذا القرن العشرين هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة تبلغ ٣٠٠.٠٠٠ ثلثائة ألف كيلو متر في الثانية ،
 وعبرة الآية الكريمة (وانا لموسعون) تشير إلى ذلك : أي إلى تلك السعة المذهلة التي عليها الكون منذ خلقه .
 كما أنها تشير أيضاً إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن ، وهو ما أثبتته العلم الحديث أيضاً ، وعرف بنظرية التمدد التي أصبحت حقيقة
 علمية في أوائل هذا القرن ، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التي نعيش فيها تبتعد عنا بسرعات متفاوتة بل ان الأجرام السحابية في المجرة
 الواحدة تبتعد بعضها عن بعض .

تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

٥٥ - ودم على التذكير، فان الذكرى تزيد المؤمنين بصيرة وقوة يقين.

٥٦ - وما خلقت الجن والانس لشيء يعود على بالنفع، وانما خلقتهم ليعبدوني، والعبادة نفع لهم.

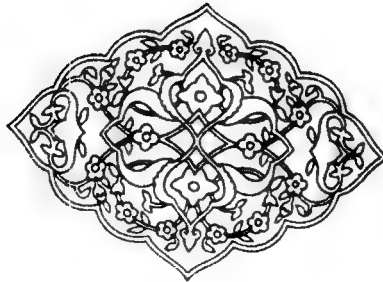
٥٧ - ما أريد منهم من رزق، لأني غني عن العالمين، وما أريد أن يطعموني لأني أطمع ولا أطمع.

٥٨ - ان الله - وحده - هو المتكفل برزق عباده، وهو ذو القوة، الشديد الذي لا يعجز.

٥٩ - فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم من الأمم

الماضية، فلا يستعجلوني بإنزال العذاب قبل أوانه.

٦٠ - فهلاك للذين كفروا من يومهم الذي يوعده، لما فيه من الشدائد والأحوال.



(٥٢) سُورَةُ الطُّورِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ٢ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ وَالسَّافِرِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ١٣

بدأت السورة بالقسم بخمسة من أعظم المخلوقات على وقوع العذاب بالمكذبين ، ثم خلصت إلى الحديث عن نزوله بهم ، وألوانه معهم يوم البعث والجزاء ، وانتقلت إلى الحديث عن نعيم المتقين وما يتفكحون به في جنات الخلد وما ينالون من صنوف الاكرام ، ثم ما تقر به أعينهم من اتباع ذريتهم بهم ، ورفع درجاتهم اليهم . وأعقبت ذلك أمر رسول الله - ﷺ - بالمداومة على التذكير دون مبالاة بما يتقول عليه الكافرون ، أو التفات لما يصفون به القرآن الكريم ، مظهرة عجزهم عن أن يأتوا بحديث مثله .

كما سفهت كثيراً من آرائهم الفاسدة اعلاناً لضلالهم ، وسوء تقديرهم ، ثم ختمت بتوجيه الخطاب الى النبي - ﷺ - أن يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وأمرته أن يصبر لحكم ربه بامهالهم فان ذلك لن يضره لأنه في حفظ ربه ورعايته ، كما دعت الى تسبيح الله وتنزيهه في جميع الأوقات في كل قيام يكون منه لأى غرض من الأغراض وفي الليل عند غروب النجوم .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ - اقسام يجبل طور سيناء الذى كلم عليه موسى ، وكتاب منزل من عند الله مكتوب في صحف ميسرة للقراءة ، وبالبيت المعمور بالطائفين والقائمين والركع السجود ، وبالسما المرفوعة بغير عمد ، وبالبحر الملوأ .

٧ ، ٨ - ان عذاب ربك الذى توعده الكافرين لنازل بهم لا محالة ، ليس له من دافع يدفعه عنهم .

٩ ، ١٠ - يوم تضطرب السماء اضطراباً شديداً ، وتنتقل الجبال من مقارها انتقلاً ظاهراً .

١١ ، ١٢ - فهلاك شديد في هذا اليوم للمكذبين بالحق ، الذين هم في باطل يلهون .

١٣ - يوم يدفعون الى نار جهنم دفعاً عنيفاً .

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَاءٍ أَنْتَهُمْ رُبُّهُمْ وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴿٢٠﴾ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢٢﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَلَاحَةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَّاشَتُونَ ﴿٢٣﴾ يَنْزِلُوعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِمْ ﴿٢٤﴾ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٥﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ

١٤ - يقال لهم : هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا .

١٥ - ابقيتهم على انكاركم ، فهذا الذي تشاهدونه من النار سحر ، أم أنتم لا تبصرون ؟

١٦ - ادخلوها وذوقوا حرها ، فاصبروا على شدائدها أو لاتصبروا ، فصبركم وعدمه سواء عليكم ، وإنما تلاقون اليوم جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا .

١٧ - ان المتقين في جنات فسيحات ، لا يحاط بوصفها ، ونعيم عظيم كذلك .

١٨ - متنعمين بما أعطاهم ربهم ، ووقاهم ربهم عذاب النار .

١٩ - يقال لهم : كلوا طعاماً هنيئاً ، واشربوا شرباً سائغاً ، جزاء بما كنتم تعملون في الدنيا .

٢٠ - جالسين متكئين على أرائك مصفوفة ، وزوجانهم بنساء بيض واسعات العيون حسانها .

٢١ - والذين آمنوا واستحقوا درجات عالية ، واتبعهم ذريتهم بإيمان ، ولم يلفوا درجات الآباء ، ألحقنا بهم ذريتهم ، لتقر أعينهم بهم ، وما نقصناهم شيئاً من ثواب أعمالهم . ولا يحمل الآباء شيئاً من أخطاء ذرياتهم ، لأن كل انسان مرهون بعمله ، لا يؤخذ به غيره .

٢٢ - وزدناهم بفاكهة كثيرة ، ولحم مما يشتهون .

٢٣ - يتجاذبون في الجنة - متوادين - كأساً مليئة بالشراب ، لا يكون منهم بشرها كلام باطل ، ولا عمل يستوجب الاثم .

٢٤ - ويطوف عليهم غلمان معدون لخدمتهم ، كأنهم في الصفاء والبياض لؤلؤ مصون .

عَلَى بَعْضِ نِسَاءِ لُونٍ ۚ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۚ فَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّعِيرِ ۚ
 إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۚ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۚ أَمْ
 يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ ۚ رَبِّبِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ۚ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
 أَهْلُهُمْ بِهَذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۚ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ ۚ إِنْ
 كَانُوا صَادِقِينَ ۚ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ۚ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ
 لَا يَوْقِنُونَ ۚ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُصِيطِرُونَ ۚ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ

٢٥ - وأقبل بعض أهل الجنة على بعض ، يسأل كل صاحبه عن عظم ما هم فيه وسببه .

٢٦ ، ٢٧ - قالوا : إنا كنا قبل هذا النعيم بين أهلينا خائفين من عذاب الله ، فن الله علينا برحمته ووقانا عذاب النار .

٢٨ - إنا كنا من قبل في الدنيا نعبده ، انه وحده هو المحسن الواسع الرحمة .

٢٩ - قدم على ما أنت عليه من التذكير ، فإنت بما أنعم الله عليك من النبوة ورجاحة العقل بكاهن ، تخبر بالغيب دون علم ، ولا مجنون تقول ما لا تقصد .

٣٠ ، ٣١ - بل يقولون هو شاعر ، ننتظر به نزول الموت ، قل تهديداً لهم ، انتظروا فإنى معكم من المنتظرين عاقبة أمرى وأمركم .

٣٢ - بل أنأمرهم عقولهم بهذا القول المتناقض ، فالكاهن والشاعر ذو فطنة وعقل ، والمجنون لا عقل له ، بل هم قوم مجاوزون الحد في العناد .

٣٣ - بل يقولون : اختلق محمد القرآن ؟ بل هم لمكابرتهم لا يؤمنون .

٣٤ - فليأتوا بمحدث مثل القرآن ، ان كانوا صادقين في قولهم ان محمداً اختلقه .

٣٥ - بل أخلقوا من غير خالق ، أم هم الذين خلقوا انفسهم ، فلا يعترفون بخالق يعبدونه ؟ .

٣٦ - بل أخلقوا السموات والأرض على هذا الصنع البديع ؟ بل هم لا يوقنون بما يجب للخالق ، فلهذا يشركون به .

٣٧ - بل أعندهم خزائن ربك يتصرفون فيها ، بل أهم القاهرون المدبرون للأمور كما يشاءون ؟ .

مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾
 أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ
 سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا
 يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
 عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ
 تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

٣٨ - بل ألهم مرق يصعدون فيه الى السماء ، فيستمعون ما يقضى به الله ؟ فليأت مستمعهم بحجة واضحة تصدق دعواه .

٣٩ - بل الله البنات كما تزعمون ، ولكم البنون كما تحبون ؟ .

٤٠ - بل أتسألهم شيئاً من الأجر على تبليغ الرسالة ، فهم لما يلحقهم من الغرامة مثقلون متبرمون ؟ .

٤١ - بل أعندهم علم الغيب ، فهم يكتبون منه ما شاءوا ؟ .

٤٢ - بل أيريدون مكرأ بك وابطالاً لرسالتك ؟ ، فالذين كفروا هم الذين يحق بهم مكرهم .

٤٣ - أم لهم معبود غير الله يمنعهم من عذاب الله ، تنزيهاً لله عما يشركون .

٤٤ - وان يشاهدوا جزءاً من السماء ساقطاً عليهم لعذابهم ، يقولوا عناداً : هو سحب متجمع .

٤٥ - فدعهم غير مكترث بهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون .

٤٦ - يوم لا يدفع عنهم مكرهم شيئاً من العذاب ولا هم يجدون ناصراً .

٤٧ - وان للذين ظلموا عذاباً غير العذاب الذي يهلكون به في الدنيا ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك .

٤٨ - واصبر لحكم ربك بامهالهم ، وعلى ما يلحقك من أذاهم ، فانك في حفظنا ورعايتنا ، فلن يضرك كيدهم ، وسبح بحمد ربك حين تقوم .

٤٩ - وتخير جزءاً من الليل فسبحه فيه ، وسبحه وقت ادبار النجوم .

(٥٢) سُورَةُ النَّجْمِ الْمَكِينَةِ
وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَسُبُّوتٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

القسم في مستهل هذه السورة يجلي صدق الرسول - ﷺ - فيما يتحدث به من خبر الوحي ، وما يبلغه عنه ، ما ضل في شيء منه وما غوى ، وصدق الرسول - ﷺ - فيما تحدث به عن رحلته الى السماء ، في حادث المعراج ، ما زاغ بصره وما طغى .

ثم تنتقل السورة الى الحديث عن تفاهة عقول الكافرين في عبادتهم لأصنام اصطنعوها بأيديهم ، وسموها بأسماء من عندهم ، كما سمو الملائكة إنثاءً بعد أن جعلوا لله البنات ، واختصوا انفسهم بالذكر .

ثم تطلب إلى الرسول - ﷺ - الاعراض عنهم ، وترك أمرهم الى الله الذى له ما فى السموات والأرض ملكاً وخلقاً ، والذى سيجازى المسئء بأساءته ، والمحسن باحسانه ، وهو أعلم بجميع أطوار خلقه وأحوالهم ، متبعة ذلك بالتنديد بمن أنكر حساب كل انسان على عمله ، كما جرت بذلك الشرائع السابقة ، وأخبرت صحف موسى وإبراهيم . وقررت الآيات كل هذه المعاني بما عرضت من صور القدرة وآيات الله فى الأمم السابقة .

ثم تختم بتوضيح ان القرآن نذير من النذر التى أنذرت بها الأمم السابقة ، ليخشوا يوم القيامة الذى قرب وقته ، وتنعى على الكافرين بالقرآن غفلتهم عن ذلك ، واستبدالهم الضحك مكان بكائهم واتعاضهم به ، وقد طلبت الى المؤمنين أن يسجدوا لله الذى أنزله ويعبدونه .

١ ، ٢ - أقسم بالنجم اذا هوى للغروب : ما عدل محمد عن طريق الحق وما اعتقد باطلاً .

٣ - وما يصدر نطقه فيما يتكلم به من القرآن عن هوى نفسه .

٤ - ما القرآن الذى ينطق به إلا وحى من الله يوحى إليه .

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ⑨ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ⑪ أَفَتُمَلُّونَهُ عَلَى مَا يَبْصُرُ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ⑬ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ⑭ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ⑰ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ⑱ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ⑲ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ⑳ الْكُرُ الْكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ㉑ تِلْكَ إِذْ أَسْمَعُ ضَبِيرَى ㉒ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْنَاهَا

٥ - علمه هذا الوحي ملك شديد القوى .

٦ ، ٧ - ذو حصافة في عقله ورأيه ، فاستقام على صورته ، وهو بالجهة العليا من السماء المقابلة للنظر .

٨ ، ٩ - ثم قرب جبريل منه ، فزاد في القرب ، فكان دنوه قدر قوسين ، بل أدنى من ذلك .

١٠ - فأوحى جبريل إلى عبد الله ورسوله ما أوحاه ، وأنه أمر عظيم الشأن بعيد الأثر .

١١ - ما أنكر فؤاد محمد ما رآه بصره .

١٢ - أتكذبون رسول الله ، فتجادلونه على ما يراه معاينة ؟ !

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ - ولقد رأى محمد جبريل على صورته مرة أخرى ، في مكان لا يعلم علمه إلا الله ، سماه « سدرة المنتهى » ، وأنبا أن عنده جنة المأوى ، اذ يغشاها ويغطيها من فضل الله ما لا يحيط به وصف ، ما مال بصر محمد عما رآه ، وما تجاوز ما أمر برؤيته .

١٨ - لقد رأى كثيراً من آيات الله وعجائبه العظمى .

١٩ ، ٢٠ - أعلمتم ذلك ففكرتم في شأن اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، التي اتخذتموها آلهة

تعبدونها ؟ !

٢١ - أقسمتم الأمر فجعلتم لأنفسكم الذكور ، وجعلتم لله الاناث ؟ !

٢٢ - تلك - اذن قسمة جائزة ، اذ تجعلون لله ما تكرهون .

أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ^{٢٣} إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ^{٢٤} وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى^{٢٥} أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى^{٢٦} فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى^{٢٧} * وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى^{٢٨} إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى^{٢٩} وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ^{٣٠} وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا^{٣١} فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا^{٣٢} ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى^{٣٣} وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

٢٣ - ما الأصنام الا مجرد اسماء ليس فيها شيء من معنى الألوهية ، سيمتوها أنتم وآبائكم بمقتضى أهوائكم الباطلة ، ما أنزل الله بها من حجة تصدق دعواكم فيها ، ما يتبعون الا الظن وما تهواه النفوس المنحرفة عن الفطرة السليمة ، ولقد جاءهم من ربهم ما فيه هدايتهم لو اتبعوه .

٢٤ ، ٢٥ - بل ليس للانسان ما تمناه ، من شفاعة هذه الأصنام أو غير ذلك بما تستهيه نفسه ، فله وحده - أمر الآخرة ، والدنيا جميعاً .

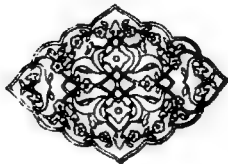
٢٦ - وكثير من الملائكة في السموات مع علو منزلهم لا تغني شفاعتهم شيئاً - ما - إلا بعد إذنه تعالى للشفيع ورضاه عن المشفوع له .

٢٧ - إن الذين لا يؤمنون بالدار الآخرة ليصفون الملائكة بالأنوثة ، فيقولون : الملائكة بنات الله !

٢٨ - وما لهم بهذا القول من علم ، ما يتبعون فيه الا ظنهم الباطل وان الظن لا يغني من الحق شيئاً .

٢٩ - فانصرف عن هؤلاء الكافرين الذين أعرضوا عن القرآن ولم يكن همهم الا الحياة الدنيا ، جاهدين فيما يصلحها .

٣٠ - ذلك الذي يتبعونه في عقائدهم وأعمالهم منتهى ما وصلوا اليه من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن أصر على الضلال ، وهو أعلم بمن شأنه قبول الاهتداء .



لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَفُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ
إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ
فَلَا تَرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ
الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا تَرَى وَاِزْرَةً وَإِذْ أُخْرِئَ ﴿٣٨﴾
وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ

٣١ - لله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقاً وتديراً . ليجزي الضالين المسئين بعملهم ، ويجزي
المهتدين المحسنين بالمتوبة الحسنى .

٣٢ - الذين يجتنبون ما يكبر عقابه من الذنوب وما يعظم قبحه منها ، لكن الصغائر من الذنوب يعفو الله
عنها ، ان ربك عظيم المغفرة ، هو أعلم بأحوالكم ، اذ خلقكم من الأرض ، وإذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم في
أطواركم المختلفة ، فلا تصفوا أنفسكم بالتزكى تمداً وتفاخراً . هو أعلم بمن اتقى ، فزكت نفسه حقيقة بتقواه .
٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ - انأملت فرأيت الذى أعرض عن اتباع الحق ، واعطى شيئاً قليلاً من المال ، وقطع
العطاء ؟! أعنده علم الغيب فهو منكشف له عما يدفعه الى التولى عن الحق والبخل بالمال ؟! .

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - بل ألم يخبر بما في صحف موسى وإبراهيم الذى بلغ الغاية في الوفاء بما عاهد الله عليه : أنه
لا تحمل نفس أثم نفس أخرى ؟!

٣٩ - وأنه ليس للإنسان الا جزاء عمله .

٤٠ - وان عمله سوف يعلن ، فيرى يوم القيامة تشريعاً للمحسن وتوبيخاً للمسيء .

٤١ - ثم يجزي الإنسان عن عمله الجزاء الأوفى .



الْمُنْتَهَى ٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَكَ وَأَبْكَى ٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ٤٥) مِنْ نَظْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ٤٧) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ٥٠) وَثَمُودًا قَوْمَ آبَائِ ٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُتَمَارَى ٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ٥٦)

٤٢ - وأن إلى ربك - لا إلى غيره - المعاد .

٤٣ - وأنه هو - وحده - بسط أسارير الوجوه وقبضها ، وخلق أسباب البسط والقبض .

٤٤ - وأنه هو - وحده - سلب الحياة ووهبها .

٤٥ ، ٤٦ - وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى - من الإنسان والحيوان من نقطة دافقة (١) .

٤٧ - وأن عليه الأحياء بعد الاماتة .

٤٨ - وأنه هو أعطى ما يكتى ، وأرضى بما يقتنى ويدخر .

٤٩ - وأنه هو رب هذا الكوكب العظيم المسمى بالشعرى (٢) .

٥٠ ، ٥١ - وأنه أهلك عاداً الأولى قوم هود ، وأهلك قوم صالح ، فأبقى عليهم .

٥٢ - وأهلك قوم نوح من قبل هلاك عاد وثور ، انهم كانوا هم أكثر ظلماً وأشد طغياناً من عاد وثور .

٥٣ - والقرى المتقلبة بقوم لوط هو الذى قلبها .

٥٤ ، ٥٥ - فأحاط بها من العذاب ما أحاط ، فبأى نعمة من نعم ربك ترتاب !

٥٦ - هذا القرآن نذير من جنس النذر الأولى التى أُنذرت بها الأمم السابقة .

(١) المقصود بالآية الكريمة الدلالة على قدرة الله تعالى بأنه خلق الذكور والاناث جميعاً من الناس والحيوانات من نقطة يشترك في إفرازها الذكر والأنثى ، وهى على دقة محتوياتها وصغر حجمها ينبوع الحياة ومصدر الأحياء ، وأن الإعجاز القرآنى كما يتضح في الآية الكريمة إذ تذكر أن العالم لم يكن يعلم إلى عهد قريب أن في سائل الذكر حيوانات منوية وأن في سائل الأنثى بويضات ، فاذا التقى حيوان منوى وبويضة واتحدوا حدث الاخصاب والحمل ، وهذه حقيقة سبق القرآن الكريم إلى ذكرها قبل أن يكشف عنها العلم .
(٢) المراد هنا الشعرى اليمانية وهى المع نجم في كوكبة الكلب الأكبر وألمع ما يرى من نجوم السماء ، وتشاهد جنوبي الاستواء السواى بمقدار ١٨ درجة ، وتسمى بالنجم الكلبى وكانت تعرف بهذا الاسم منذ نحو ثلاثة آلاف سنة . وأشير إليها بكلب في الآثار الفرعونية ، وقد =

أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

٥٧ ، ٥٨ - قربت القيامة ، ليس لها من دون الله من يكشف عن وقت وقوعها .

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ - أتجحدون كل حق فمن هذا القرآن تعجبون انكارا ، وتضحكون استهزاء وسخرية ،
ولا تبكون كما يفعل الموقنون ، وأنتم لاهون متكبرون ؟ !

٦٢ - فاسجدوا لله الذى أنزل القرآن هدى للناس ، وأفردوه بالعبادة جل جلاله .

= اختصها الله بالذكر لأن بعض العرب كانوا يعبدونها ، وكان قدماء المصريين يعبدونها أيضا ، لأن ظهورها من جهة الشرق حوالى منتصف
شهر يوليه قبل شروق الشمس يتفق مع زمن الفيضان فى مصر الوسطى أى مع أهم حادث فى العالم وهذا الحادث قد يكون أول تحديد
لطول السنة فى العالم كله لأن ظهور الشعرى قبيل شروق الشمس لا يحدث إلا مرة واحدة فى العام ، فهذا ابتداء عام جديد .

(٥٤) سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّاتُهَا خَمْسٌ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَآنَسَقَ الْقَمَرُ ۖ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعِمَّرٌ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَا تُغْنِ النُّذُرُ ۚ

جاءت الآية الأولى من هذه السورة تنبه الأسماع إلى اقتراب القيامة ، وتحذر الناس أمرها ، ثم جاءت آيات بعدها توضح موقف الكفار من المعجزات ، واصرارهم على التكذيب ، وتطلب إلى رسول الله - ﷺ - الإعراض عنهم وإمهالهم ليوم يخرجون فيه الأجداث كأنهم جراد منتشر .

وتتابعت الآيات بعد ذلك ، تعرض أطرافا من أحوال الأمم السابقة مع رسلهم ، والعذاب الذى حاق بهم ، وبين كل قصة وأخرى تنبه الأذهان إلى أن القرآن الكريم ميسر لمن يطلب العظة والاعتبار .

منتبهة إلى بيان أن كفار مكة ليسوا أقوى ولا أشد من الأمم السابقة ، وأنه ليس لهم أمان من العذاب ، ثم ختمت السورة بتهديد المكذبين المعاندين بمصائرهم يوم يسحبون فى النار على وجوههم ، ويقال لهم : ذوقوا مس جهنم التى كنتم بها تكذبون ، وتطمئن المتقين إلى منازلهم فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

١ - دنت القيامة وسينشق القمر لا محالة .

٢ - وإن ير الكفار معجزة عظيمة يعرضوا عن الايمان بها ، ويقولوا : هى سحر دائم متتابع !

٣ - وكذبوا الرسل واتبعوا ما تزينه لهم أهواؤهم ، وكل أمر منته إلى غاية يستقر عليها .

٤ - وأقسم لقد جاء الكفار من أخبار الأمم السابقة والحقائق الكونية ما فيه كفاية لزجرهم .

٥ - هذا الذى جاءهم حكمة عظيمة بالغة غايتها . فأى نفع تفيد النذر من انصرف عنها ؟ !



فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾
 مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ * كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ
 وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَخَرْنَا الْأَرْضَ
 عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ
 كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ بَسَرْنَا الْفُرْءَانَ
 لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ

٦ - فأعرض - يا محمد - عن هؤلاء الكفار، وانتظر يوم يدعو داعي الله إلى أمر شديد تنكره النفوس !!

٧ - خاضعة أبصارهم من شدة الهول، يخرجون من القبور كأنهم - في الكثرة والسرعة - جراد منتشر !!

٨ - مسرعين إلى الداع، ينظرون إليه في ذل وخضوع، لا يتحول بصرهم عنه، يقول الكافرون يوم القيامة :
 هذا يوم صعب شديد .

٩ - كذبت قبل كفار مكة قوم نوح، فكذبوا نوحا عبدنا ورسولنا ورموه بالجنون، وحالوا بأنواع الأذى
 والتخويف بينه وبين تبليغ الرسالة .

١٠ - فدعا نوح ربه اني مغلوب من قومي، فانتقم لي منهم .

١١، ١٢ - ففتحنا أبواب السماء بماء منصّب كثير متتابع، وشققنا الأرض عيونا متفجرة بالماء . فالتقى ماء
 السماء وماء الأرض على أهلكهم الذي قدره الله تعالى .

١٣، ١٤ - وحملنا نوحا على سفينة من خشب، وخیوط من ليف تشد ألواحها، تجري على الماء بحفظنا،
 جزاء لنوح الذي استمر قومه على تكذيب دعوته .

١٥ - ولقد تركنا حادثة اغراق الكافرين وانجاء المؤمنين عظة، فهل من متعظ !!

١٦ - فعلى أى حال كان عذابي وانداری للمخالفين !!

١٧ - وأقسم لقد سهلنا القرآن للتذكر والاتعاظ، فهل من متعظ ؟!

١٨ - كذبت عاد رسولهم هودا، فعلى أى حال كان عذابي وانداری للمخالفين !!

نَحْسُ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبْتَ تُمُودُ بِالْأَنْذَرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَبِئْنَا
ضَلَّلًا وَسُعْرًا ﴿٢٤﴾ أَتُلْقِي اللَّذِ كُرْ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾
إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾
فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ

١٩ ، ٢٠ - انا سلطنا عليهم ريحا باردة مدوية في يوم شؤم دائم ، تقلع الناس من أماكنهم ، وترمى بهم على الأرض صرعى ، كأنهم أصول نخل منقلع من مغارسه .

٢١ - فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين !!

٢٢ - ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ !!

٢٣ - كذبت تمود بانذارات نبيهم صالح .

٢٤ - فقالوا : أبشرا من عامتنا لا عصبية له نتبعه ؟ ، انا إذا اتبعناه لى بعد عن الحق وجنون .

٢٥ - أنزل الوحي عليه من بيننا وفينا من هو أحق منه ؟ ! بل هو كثير الكذب ، منكر للنعمة .

٢٦ - سيعلمون قريبا يوم ينزل بهم العذاب ، من الكذاب المنكر للنعمة ، أهم أم صالح رسولهم ؟ !

٢٧ - انا مرسلو الناقة آية لرسولنا صالح امتحانا لهم ، فانتظرهم وتبصر ما هم فاعلون ، واصبر على أذاهم حتى يأتى أمر الله .

٢٨ - ونبئهم أن الماء مقسوم بينهم وبين الناقة ، كل نصيب يحضره صاحبه في يومه .

٢٩ ، ٣٠ - فنادوا صاحبهم ، فتبأ لعقر الناقة ، فعقرها . فعلى أى حال كان عذابى وانذارى للمخالفين ؟ !



الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ

٣١ - انا سلطنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا بها كسجرا يابس يجمعه من يريد اتخاذ حظيره !!

٣٢ - ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ !

٣٣ - كذبت قوم لوط بانذارات رسولهم .

٣٤ ، ٣٥ - انا أرسلنا عليهم ريحا شديدة ترميهم بالحصى ، الا آل لوط المؤمنين نجيناهم من هذا العذاب آخر الليل ، انعاما عليهم من عندنا ، كذلك الانعام العظيم نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة .

٣٦ - ولقد خوف لوط قومه أخذتنا الشديدة ، فشكوا في انذاراته تكذيبا له .

٣٧ - ولقد أرادوا منه تمكينهم من ضيفه ، فحونا أبصارهم جزاء ما أرادوا ، فقل لهم تهكبا : تجرعوا عذابي وانذاراتي .

٣٨ ، ٣٩ - ولقد فاجأهم في الصباح الباكر عذاب ثابت دائم ، فقيل لهم : تجرعوا عذابي وانذاراتي .

٤٠ - ولقد سهلنا القرآن للعظة والاعتبار ، فهل من متعظ ؟

٤١ - ولقد جاء آل فرعون الانذارات المتتابعة .

٤٢ - كذبوا بآياتنا ومعجزاتنا التي جاءت على يد رسلنا ، فأهلكناهم اهلاك قوى لا يغلب ، عظيم القدرة .



بَرَاءَةٍ فِي الزُّبْرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ
وَالسَّاعَةُ أَذْهَنُ وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا
مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبْرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

٤٣ - أنتم - أيها الكفار - أقوى من أولئكم الأقوام السابقين الذين أهلكوا !! بل ألكم براءة من العذاب
فما نزل من الكتب السهاوية !!

٤٤ - بل يقول هؤلاء الكفار: نحن جمع مؤنث ممتنع على أعدائه لا يقلب ؟!

٤٥ - سيفعل هذا الجمع ، ويفرون مولين الأدبار .

٤٦ - بل القيامة موعد عذابهم ، والقيامة أعظم داهية وأقسى مرارة .

٤٧ - ان المجرمين من هؤلاء وأولئك في هلاك وجحيم مستعرة .

٤٨ - يوم يجرون في النار على وجوههم يقال لهم : قاسوا آلام جهنم وحرارتها .

٤٩ - انا خلقنا كل شيء ، خلقناه بتقدير على ما تقتضيه الحكمة .

٥٠ - وما أمرنا لشيء أردناه إلا كلمة واحدة هي أن نقول له : « كن » فيكون في سرعة الاستجابة كلمح
البصر .

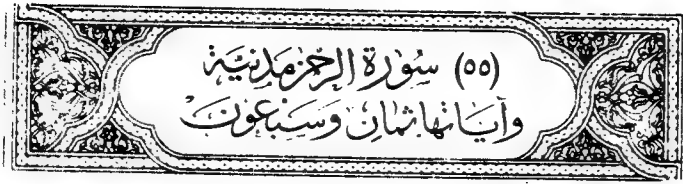
٥١ - ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر ، فهل من منتهى ؟!

٥٢ - وكل شيء فعلوه في الدنيا مكتوب في الصحف ، مقيد عليهم .

٥٣ - وكل صغير وكبير من الأعمال مكتوب ، لا يغيب منه شيء .

٥٤ - ان المتقين في جنات عظيمة الشأن ، وأنهار متعددة الأنواع .

٥٥ - في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ، عند ملك عظيم القدرة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾
وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكَيْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ﴿١١﴾

أخذت هذه السورة في تعداد آلاء الله ونعمه ، بادئة بعد ذكر الرحمن بذكر اشرف نعمة : وهى تعليم القرآن الكريم ، ثم سارت الآيات في عرض هذه الآلاء ، في صورة توضح عظمة خالقها جل شأنه ، وتبرز قدرته وسلطانه على الانس والجن في السموات والأرض .

وقد عرضت لعذاب المجرمين المكذبين في جهنم ، وأفاضت في نعم المتقين في الجنة .
وختمت السورة بتنزيه الله تعالى والثناء عليه .

وقد ذكرت في السورة آية « فبأى آلاء ربكما تكذبان » إحدى وثلاثين مرة على طريقة القرآن الكريم في التكرير المستحسن الذى يقتضيه المقام . كل واحدة منها تقرر المكذبين على تكذيبهم نعم الله في الآية قبلها .

١ ، ٢ - الرحمن . علم الإنسان القرآن ويسره له .

٣ ، ٤ - أوجد الانسان ، علمه الابانة عما في نفسه تميزا له عن غيره .

٥ - الشمس والقمر يجريان في بروجها بحساب وتقدير لا اخلال فيه^(١) .

٦ - والنبات الذى لا ساق له ، والشجر الذى يقوم على ساق ، يخضعان لله تعالى في كل ما يريد بها .

٧ ، ٨ - والسماء خلقها مرفوعة ، وشرع العدل لئلا تتجاوزوا الحد .

٩ - وأقيموا الوزن بالعدل في كل معاملتكم ولا تنقصوا الميزان .

١٠ - والأرض بسطها ومهدا للخلائق ، ينتفعون بها .

١١ - في الأرض أنواع كثيرة من الفاكهة ، وفيها النخل ذات الأوعية التى فيها الثمر .

(١) تنص هذه الآية الكريمة على حركة الشمس والقمر تجرى طبقا لنظام دقيق منذ خلقها الله تعالى ولم تتصرف على دقائق هذا النظام الدقيق إلا حديثا حوالى ٣٠٠ سنة خلت ، حيث تبين أن حركة الشمس الظاهرية حول الأرض وحركة القمر حول الأرض تتم في مدارات فلكية طبقا لقوانين الجاذبية وهى حسابات رياضية في غاية العمق والدقة وخصوصا في حالة القمر .

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾
وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ

١٢ - وفيها الحب ذو القشر، رزقا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة.

١٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان أيها الثقلان ١٤

١٤، ١٥ - خلق جنس الإنسان من طين يابس غير مطبوخ كالخزف، وخلق جنس الجان من لبيب خالص

من نار ١

١٦ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

١٧ - رب مشرق الشمس في الصيف والشتاء، ورب مغربها فيها^(١).

١٨ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

١٩، ٢٠ - أرسل الله البحرين العذب والملح يتجاوران ويتماس سطوحهما، بينها حاجز من قدرة الله، لا يطفى أحدهما على الآخر فيمتزجان.

٢١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

٢٢ - يخرج منها اللؤلؤ والمرجان، تتخذون منها حلية تلبسونها^(٢).

٢٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ١٤

(١) قد يكون المراد هناك مشرق الشمس والقمر ومغربها، ومن ثم تكون الإشارة إلى آية الليل وآية النهار « انظر أيضا التعليق العلمى على الآيات ٧١، ٧٢، ٧٣، من سورة القصص، التى تبدأ بقوله تعالى: « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة ».

ويصح أيضا أن تكون الإشارة هنا إلى الشمس وحدها وهى عماد الحياة فى هذا الكوكب الأرضى فيكون المقصود هو مشرق الشتاء ومغرب ومشرق الصيف ومغرب كما ذهب كثير من المفسرين.

وترجع هذه الظاهرة إلى ميل محور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس بمقدار ٥٢٣,٥ درجة، لذلك فإن النصف الشمالى من الكرة الأرضية، مثلا يميل نحو الشمس فى الصيف فيطول النهار ويقصر الليل حتى يبلغ ذلك أقصى مداه فتظهر الشمس مشرقة أو غاربة على أقصى بعد شمالى من المشرق والمغرب الصادقين ثم تقفل راجعة يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين عند الاعتدال الخريفى ثم يأخذ هذا النصف فى الميل عن الشمس، فيطول الليل ويقصر النهار وتستمر الشمس فى تأخرها الظاهرى نحو الجنوب حتى تبلغ مدى بعدها إلى الجنوب فى قمة الشتاء ثم ترتد إلى الشمال يوما بعد يوم حتى تبلغ المشرق والمغرب الصادقين فى الاعتدال الربيعى، وهكذا. ويصدق عكس هذا جميعه فى نصف الكرة الجنوبى، كما أن هذه الظواهر تبدو بصورة متطرفة كلما اقتربنا من أقصى الشمال أو أقصى الجنوب. ولأنك فى أن هذا التدبير الحكم صالحا لأحوال الأحياء على الأرض، إذ منه تحدث الفصول المناخية وما يترتب عليها من مواسم الزرع والحصاد وكافة صور التباين الموسمى فى نشاط الإنسان والحيوان والنبات.

(٢) ينظر التعليق العلمى على آية ١٢ من سورة فاطر.

فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكَ أَيْهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾
يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِإِذْنِ بَاسِطِينَ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَغُحَّاسٍ فَلَا تَنْصَرِفَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ

٢٤ - وله السفن المصنوعات بأيديكم الجاريات في البحر، العظيمة كالجبال الشاهقة .

٢٥ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٢٦ ، ٢٧ - كل من على الأرض زائل ويبقى الله صاحب العظمة والإنعام .

٢٨ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٢٩ - يسأل الله جميع من في السموات والأرض حاجاتهم ، كل وقت هو في شأن ، يعز ويذل ، ويعطي ويمنع .

٣٠ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٣١ - سنقصّد لحسابكم يوم القيامة أيها الجن والإنس .

٣٢ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٣٣ - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هاربين فاخرجوا ،
لا تستطيعون الخروج إلا بقوة وقهر ، ولن يكون لكم ذلك^(١) .

٣٤ - فبأي نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟!

٣٥ - يصب عليكم هب من نار ونحاس مذاب ، فلا تقدران على دفع هذا العذاب^(٢) .

(١) ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية الأرض ، وحيث اقتضى النجاح الجزئي في زيارة
الفضاء - لمدة محدودة بجدا بالنسبة لعظم الكون بذل الكثير من المجهود العلمية الضخمة في شتى الميادين الهندسية والرياضية والفنية
والجيولوجية فضلا عن التكاليف الخيالية المادية التي انفتحت في ذلك وما زالت تنفق ، ويدل ذلك دلالة قاطعة على أن النفاذ المطلق من أقطار
السموات والأرض التي تبلغ ملايين السنين الضوئية لإنس أوجن مستحيل .

(٢) النحاس هو فلز يعتبر من أول العناصر الفلزية التي عرفها الإنسان منذ قديم الزمن ، ويتميز بأن درجة انصهاره مرتفعة جدا
حوالي ١٠٨٣ درجة مئوية فإذا ماصب هذا السائل الملتهب على جسد ، مثل ذلك صنفا من أقسى أنواع العذاب ألما وأشدّها أثرا .

ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ
 فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأُقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾
 يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
 ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءِالَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءِالَاءِ

٣٦ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٣٧ - فإذا انشقت السماء فكانت حمراء كدرة كالزيت المحترق

٣٨ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٣٩ - فيوم إذ تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جن .

٤٠ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤١ - يعرف المجرمون من الانس والجن بعلامة يتميزون بها ، فيؤخذ بمقدم رؤوسهم وأقدامهم ، فيلقى بهم في

جهنم .

٤٢ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤٣ ، ٤٤ - يقال تقريرا : هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون منكم ، يترددون بين نارها وبين ماء متناه في

الحرارة .

٤٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤٦ - ولن خاف قدر ربه جنتان عظيمتان .

٤٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٤٨ - صاحبتا أغصان نضرة حسنة .

٤٩ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٠ - في هاتين الجنتين عينان تجريان حيث شاءوا .

رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ
 بَطَّانِيهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَنَاصِرُ الْطَرَفِ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ
 إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ
 تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
 فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَمَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾

٥١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٢ - فيها من كل فاكهة صنفان .

٥٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٤ - معتمدين مطمئين على فرش بطائنها من ديباج خالص ، وثمر الجنتين قريب للمتناول .

٥٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٦ - فى الجنان زوجات حابسات أبصارهن على أزواجهن ، أبكار لم يقرهن انس قبلهم ولا جان .

٥٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٥٨ - كأن هؤلاء الزوجات فى الحسن وصفاء اللون الياقوت والمرجان .

٥٩ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٠ - ما جزاء الاحسان فى العمل إلا الاحسان فى الثواب .

٦١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٢ - ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان .

٦٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

٦٤ - خضراوان قد اشتدت خضرتهما حتى مالت إلى السواد .

٦٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟ !

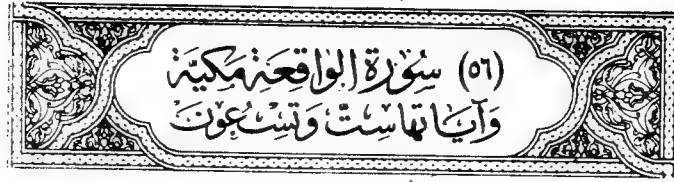
٦٦ - فيها عينان فوارتان بالماء لا تنقطعان .

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَتَخْلُ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْفُسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَاءَتْ مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حَسَنِ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٦﴾

- ٦٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟
 ٦٨ - فيها فاكهة من صنوف مختلفة وتخل ورمان (١).
 ٦٩ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟
 ٧٠ - فيهن زوجات طيبات الأخلاق، مشرقات الوجوه .
 ٧١ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟
 ٧٢ - حسان العيون، مقصورات في خيامهن .
 ٧٣ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟
 ٧٤ - لم يقربهن انس قبل أزواجهن ولا جان .
 ٧٥ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟
 ٧٦ - متكئين على عرش ذوات أغطية خضر وطنافس حسان عجيبة الصنع .
 ٧٧ - فبأى نعمة من نعم ربكما تجحدان ؟
 ٧٨ - تعالى وتنزه اسم ربك صاحب العظمة والانعام .

(١) قد يكون وجه تخصيص النخل والرمان هو فضل ثمارها على غيرها من الثمار لما أودع الله فيها من مزايا أثبت العلم وجودها فيها .

فبتحليل الثمر كما ويا وجد أنه يحتوى على نسبة مرتفعة من السكريات (٧٥٪ تقريبا) فعظمها من سكر القصب ، وكذلك السكر المحول (سكر الفاكهة وسكر العنب - الفركتوز والجلوكوز) وهو سهل الاحتراق ويستفيد الجسم منه في إنتاج طاقة عالية وسعر حرارى كبير . ولعل ذلك ربما كان وجه الحكمة في أمر الله للسيدة مريم تناول الرطب كى يعوضها عما بذلته وفقدته أثناء المحاض . هذا فضلا عن أن الثمر يحوى أيضا نسبة عالية من الكالسيوم والحديد والفسفور التى يحتاج إليها الجسم ومقدارا مناسباً من حمض النيكوتينيك (الفيتامين الواقى من مرض البلاجرا) وفيتامينى ا ، ب) ويحتوى أيضا على نسبة من البروتينات والدهنيات وكل هذه المكونات تجعل من البلح غذاء كاملا . أما الرمان فيحتوى له أو عصيره على نسبة مرتفعة (إذا قيس بغيره من الفواكه) من حمض الليمونيك الذى يساعد عند احتراقه على تقليل أثر الحموضة في البول والدم مما يكون سببا في تجنب النقرس وتكوين بعض حصى الكلى هذا فضلا عن احتواء عصير الرمان على نسبة لا بأس بها من السكريات (حوالى ١١٪) السهلة الاحتراق ، والمولدة للطاقة . كما أن قشر الرمان به مادة عفصية قابضة (تنينية) تقى الأمعاء مما يصيبها من إسهال كما أن قشور سيقان أشجار الرمان تستخدم في القضاء على الدودة الشريطية .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ① لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ② خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ③ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ④ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ⑥ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ⑦ فَأَصْحَبُ الِأَمْنَةِ مَأْصَحَبُ الِأَمْنَةِ ⑧

بدئت السورة بالحديث عن وقوع القيامة ، والأحداث التي تصحب وقوعها ، ثم أخبرت أن الخلق في ذلك اليوم ثلاثة أصناف ، معقبة ذلك بتفصيل واف عما أعد لكل صنف من نعيم يلائم منزلته ، أو عذاب يناسب كفره وعصيانه .

ثم أوضحت الآيات بعد ذلك مظاهر نعم الله تعالى ، وآثار قدرته في الخلق والزرع والماء والنار ، وما تقتضيه هذه الآثار الواضحة من تسبيح الله العظيم وتقديسه ، وأقسمت الآيات على مكانة القرآن الكريم وما يستحقه من تقديس ناعية على الكافرين سوء صنيعهم ، من وضعهم التكذيب مكان الشكر . وعقبت ذلك باجمال لما فصلته عن الأصناف الثلاثة وما ينتظر كل صنف من نعيم أو جحيم .

وختمت السورة بتأكيد أن كل ما جاء فيها هو اليقين الصادق والحق الثابت ، ورتبت على ذلك الأمر بتنزيه الله تعالى وتقديسه .

١ ، ٢ ، ٣ - إذا وقعت القيامة ، لا تكون نفس مكذبة بوقوعها ، هي خافضة للأشقياء رافعة للسعداء .

٤ ، ٥ ، ٦ - إذا زلزلت الأرض واهتزت اهتزازا شديدا ، وفتت الجبال تفتتا دقيقا ، فصارت غبارا

متطائرا^(١) .

٧ - وصرتم جميعا في هذا اليوم بأعمالكم أصنافا ثلاثة .

(١) تقرر هذه الآيات الكريمة مدى الأحوال التي تحمل بالعالم عند قيام القيامة ، ومن هذه الأحوال تلك الكوارث الكونية التي تؤثر على الأرض وطبقاتها . فالأرض التي تعيش على سطحها ليست مستقرة ومتوازنة تماما فهي تتكون من طبقات صخرية متداخلة غير منتظمة قد أنزلت بعضها بالنسبة لما يجاورها وكونت ما يسمى الغالق الجيولوجي في مناطق عديدة . هذه القوالب كانت ولا تزال المراكز العميقة للزلازل الكبرى لأنها تحت تأثير قوى الشد والجذب التي صاحبت الطبقة الأرضية عند انكسارها فإذا ما اختل توازن هذه القوى نتيجة لعوامل التأثير الإضافية الخارجية فقد يؤدي ذلك إلى انطلاق طاقة حركة كبرى تنبعث منها هزات أو زلازل أرضية قد تهدم كل شيء على سطح الأرض القريب من مركز الزلزال فيحدث خراب كبير .

والتفسير العلمي المذكور لا يؤثر بل ولا يبعد عن الوجهة الدينية ، فإن الله تعالى قد يجعل الأسباب الكونية المعتادة يجتمع بعضها إلى بعض على غير ما عهدنا ليكون تفاعلها الرهيب سببا مباشرا لتخريب الدنيا ، ويكون التفسير العلمي متجاوبا مع الآيات المنذرة بالأحوال الجسام وكل ذلك من عند الله ، ويحصل عندما يأذن الله بتنفيذ قضائه في دنيانا .

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ۚ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ۖ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۖ مُتَكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۖ
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۖ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ۖ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ۖ
وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۖ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۖ وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۖ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۖ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ

٨ ، ٩ - فأصحاب اليمين أهل المنزلة السنية ما أعظم مكانتهم ، وأصحاب الشمال أهل المنزلة الدنية ما أسوأ حالهم .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة ، أولئك هم المقربون عند الله ، يدخلهم ربهم في جنات النعيم .

١٣ ، ١٤ - هؤلاء المقربون جماعة كثيرة من الأمم السابقة وأنبيائهم ، وقليل من أمة محمد بالنسبة اليهم .
١٥ ، ١٦ - على سرر منسوجة بالجواهر النفيسة ، مضجعين عليها في راحة واستقرار متقابلة وجوههم زيادة في المحبة .

١٧ ، ١٨ - يدور عليهم للخدمة ولدان باقون أبداً على هذا الوصف ، بأقداح وأباريق مملوءة من شراب الجنة ، وبكأس مملوءة خمرًا من عيون جارية .

١٩ - لا يصيبهم بشرها صداع يصرفهم عنها ، ولا تذهب عقولهم .

٢٠ ، ٢١ - وفاكهة من أى نوع يختارونه ويرونه ، ولحم طير مما ترغب فيه نفوسهم .

٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ونساء ذوات عيون واسعة ، كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفه صفاء ورونقا ، يعطون هذا الجزاء بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا .

٢٥ ، ٢٦ - لا يسمعون في الجنة كلاما لا ينفع ، ولا حديثا يآثم سامعه ، الا قول بعضهم لبعض : نسلم سلاما .

مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ٢٧ فِي سِدْرٍ مَحْضُودٍ ٢٨ وَطَلَحٍ مَّنْضُودٍ ٢٩ وَظِلٍّ تَمْدُودٍ ٣٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ٣١
وَفَلَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ٣٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٣٣ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْسَاءً ٣٥ جَعَلْنَهُنَّ
أَبْكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ٣٧ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ٣٨ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ٣٩ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٤٠ وَأَصْحَابُ
الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ٤١ فِي سُمُورٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٤٣ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا

٢٧ - وأصحاب اليمين لا يعلم أحد ما جزاء أصحاب اليمين .

٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - في شجر من النبق مقطوع شوكه ، وشجر من الموز متراكب ثمر بعضه فوق بعض ، وظل منبسط لا يذهب وماء منصب في أنبتهم حيث شاءوه ، وفاكهة كثيرة الأنواع والأصناف لا مقطوعة في وقت من الأوقات ، ولا ممنوعة عن يريدها ، وفرش عالية ناعمة .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ - انا ابتدأنا خلق الحور العين ابتداء ، فخلقناهن أبكاراً . محبيات إلى أزواجهن ، متقاربات في السن ، مهيبات لنعيم أصحاب اليمين .

٣٩ ، ٤٠ - أصحاب اليمين جماعة كثيرة من الأمم السابقة ، وجماعة كثيرة من أمة محمد .

٤١ - وأصحاب الشمال لا يدرى أحد ما فيه أصحاب الشمال من العذاب .

٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ - في ريح حارة تنفذ في المسام وتحيط بهم ، وماء متناه في الحرارة يشربونه ويصب على رؤوسهم ، وفي ظل من دخان حار شديد السواد ، لا بارد يخفف حرارة الجو ، ولا كريم يعود عليهم بالنفع إذا استنشقوه .

٤٥ - انهم كانوا قبل هذا العذاب مسرفين في الاستمتاع بنعيم الدنيا ، لاهين عن طاعة الله تعالى .

٤٦ - وكانوا يصممون دائماً على الذنب العظيم الجرم ، حيث أقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت .



أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧. أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٤٨. قُلْ إِنِّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩. لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٥٠. ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ٥١. لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ٥٢. فَالِقُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ٥٣. فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤. فَشَرِبُوا شَرَبَ الْهَيْمِ ٥٥. هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ٥٦. نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٥٧. أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٥٨. أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٥٩. نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ٦٠. عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦١. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ٦٢. أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ٦٣. أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ٦٤. لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطًا فَظَلَمْتُمْ تَفْكَهُونَ ٦٥. إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ٦٦. بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ٦٧. أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ٦٨.

٤٧ - وكانوا يقولون انكارا للاعادة : أنبت إذا متنا ، وصار بعض أجسامنا ترابا وبعضها عظاما بالية ، أننا لعائدون إلى الحياة ثانية ؟ .

٤٨ - أنبت نحن وأبائنا الأقدمون الذين صاروا ترابا متفرقا ضالا في الأرض .

٤٩ ، ٥٠ - قل لهم ردا لانكارهم ، ان الأولين من الأمم والآخريين الذين أنتم من جملتهم لمجوعون إلى وقت يوم معين لا يتجاوزونه .

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ - ثم أنكم أيها الجاحدون عن سبيل الهدى ، المكذبون بالبعث ، لا تكون في جهنم من شجر هو الزقوم ، فالتون من هذا الشجر يطونكم من شدة الجوع .

٥٤ ، ٥٥ - فشاربون على ما تأكلون من هذا الشجر ماء متناهيا في الحرارة لا يروى ظمأ ، فشاربون بكثرة كشراب الابل العطاش التي لا تروى بشرب الماء .

٥٦ - هذا الذي ذكر من ألوان العذاب ما أعد قرى لهم يوم الجزاء .

٥٧ - نحن ابتدأنا خلقكم من عدم ، فهلا تقرون بقدرتنا على اعادتكم حين بعثكم ؟ .

٥٨ ، ٥٩ - أفرايتم ما تقدفونه في الأرحام من النطف ، أنتم تقدرونه وتعهدهونه في أطواره حتى يصير بشرا ، أم نحن المقدرين له ؟

٦٠ ، ٦١ - نحن قضينا بينكم بالموت ، وجعلنا لموتكم وقتا معيناً ، وما نحن بمفسولين على أن نبدل صوركم بغيرها ، وننشئكم في خلق وصور لا تمهدونها .

٦٢ - ولقد أيقنتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ، فهلا تتذكرون أن من قدر عليها فهو على النشأة الأخرى أقدر .

٦٣ ، ٦٤ - أفرايتم ما تبتذرونه من الحب في الأرض ؟ أنتم تنبتونه أم نحن المنبتون له وحدنا ؟

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ - لو نشاء لصيرنا هذا النبات هشيا متكسرا قبل أن يبلغ نضجه ، فلا تزالون تتعجبون من سوء

ما أصابه قائلين : انا للملزمون الغرم بعد جهدنا فيه ، بل نحن سيئو الحظ ، محرومون من الرزق .

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتْنَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ

٦٨ ، ٦٩ - أفرأيت الماء العذب الذى تشربون منه ، أأنتم أنزلتموه من السحاب أم نحن المنزلون له رحمة بكم ؟ (١) .

٧٠ - لو نشاء صيرناه مالها لا يساغ ، فهلا تشكرون الله أن جعله عذبا سائغا ؟ .

٧١ ، ٧٢ - أفرأيت النار التى توقدون ، أأنتم أنبتم شجرتها وأودعتم فيها النار ، أم نحن المنشئون لها كذلك ؟ .

٧٣ - نحن جعلنا هذه النار تذكيرا لنار جهنم عند رؤيتها ، ومنفعة للنازلين بالقفر ، ينتفعون بها فى طهو طعامهم وتدفئتهم .

٧٤ - قدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تزيها وشكرا له على هذه النعم الجليلة .

٧٥ ، ٧٦ - فأقسم حقا بمساقط النجوم عند غروبها آخر الليل أوقات التهجد والاستغفار وانه لقسم - لو تفكرون فى مدلوله - عظيم الخطر بعيد الأثر (٢) .

٧٧ ، ٧٨ - انه لقرآن كثير المنافع ، فى اللوح المحفوظ مصون لا يطلع عليه غير المقربين من الملائكة .

٧٩ ، ٨٠ - لا يمس القرآن الكريم إلا المطهرون من الأدناس والأحداث ، منزل من عند الله رب الخلق أجمعين .

(١) المزن هى السحب الممطرة ، وعملية الأمطار تتطلب توفر ظروف جوية خاصة لا يمكن أن يسيطر عليها الانسان أو يوفرها صناعيا مثل مهبوب تيار بارد فوق آخر ساخن أو حالات عدم الاستقرار فى الجو .

وقد حاول الانسان استمطار السحب العابرة صناعيا إلا أن هذه المحاولات لاتزال مجرد تجارب على أن الثابت علميا أن نجاح هذه التجارب على نطاق ضيق جدا مع وجوب توفر بعض الظروف الملائمة طبيعيا .

(٢) تبين هاتان الآيتان مدى أهمية هذا القسم العظيم ، فان النجوم أجرام مضيئة بذاتها وأقرب النجوم إلينا وهى الشمس تبعد عنا بمقدار ٥٠٠ سنة ضوئية تقريبا بينما النجم الذى يليها فى القرب يبعد عنا بمقدار ٤ سنوات ضوئية تقريبا . فالطاقة التى نستخدمها من الشمس هى المقومات الأساسية للحياة ، فلو كان بعد الشمس عن الأرض أقل أو أكثر مما هو عليه الآن فان الحياة تصبح قاسية متعذرة كما أن أحجام النجوم تختلف بعضها عن بعض فهنا النجوم المعلقة وهم من الاتساع بحيث تشمل الأرض والشمس على بعدها . هناك مجموعات من النجوم تسمى بالمناقيد ساجمة فى الفضاء تفتقر الهجرة اللبينة من حين لآخر ، فإذا صادفت خلال مرورها المجموعة الشمسية واصطدمت بها فان فى ذلك الهلاك والفناء المحقق حتى إذا ما اقترب نجم من النجوم من الشمس فان ذلك يؤدى أيضا إلى اختلال فى التوازن وإلى الهلاك والفناء .

لذلك فان آيات العبرة والقدرة تظهر فى هذا الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى ونظمه .

مُذْهِبُونَ ۝٨١ وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكَ أَنْكَرَ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ۝٨٣ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ۝٨٤
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ۝٨٧ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ
الْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢ فَتُرْلٌ مِنْ جَحِيمٍ ۝٩٣
وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۝٩٥ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ۝٩٦

٨١ - تعرضون فهذا القرآن العظيم وبقدرة أنتم متهاونون ؟

٨٢ - وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبونه .

٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ - فهلا إذا بلغت روح أحدكم عند الموت بجرى النفس ، وأنتم حين بلوغ الروح الحلقوم حول المحتضر تنظرون إليه ، ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم ، ولكن لا تدركون ذلك ولا تحسونه .

٨٦ ، ٨٧ - فهلا ان كنتم غير خاضعين لرؤيتنا ، تردون روح المحتضر إليه ان كنتم صادقين في أنكم ذو قوة لا تقهر .

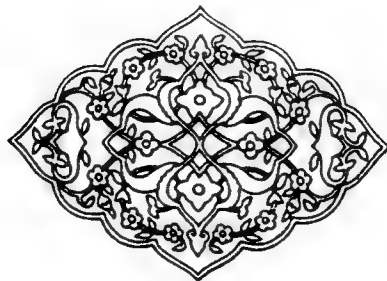
٨٨ ، ٨٩ - فأما ان كان المحتضر من السابقين المقربين فأله راحة ورحمة ورزق طيب وجنة ذات نعيم .

٩٠ ، ٩١ - وأما ان كان من أصحاب اليمين فيقال له تحية وتكريما : سلام لك من أخوانك أصحاب اليمين .

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ - وأما ان كان من أصحاب الشمال المكذبين الضالين فله نزل وقرى أعد له من ماء حار تنهت حرارته ، واحراق بنار شديدة الانتقاد .

٩٥ - ان هذا الذى ذكر في هذه السورة الكريمة هو عين اليقين الثابت الذى لا يداخله شك .

٩٦ - قدم على التسبيح بذكر اسم ربك العظيم ، تنزيها له وشكرا على آلائه .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبحانه له ونزهه عما لا يليق به كل ما في السموات والأرض متبعة ذلك بمقتضيات هذا التسبيح من ملك السموات والأرض، والاحاطة بها، والتصرف فيها، ثم أمرت بالايان بالله والانفاق في سبيله، وبينت اختلاف درجات الانفاق باختلاف دواعيه ومقتضياته، ثم عرضت صورة المؤمنين يوم القيامة، يسعى نورهم أمامهم ومن حولهم، وصورة المنافقين يلتمسون الانتظار من المؤمنين، ليقتبسوا من نورهم، وقد ضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب.

وانتقلت بعد ذلك تستحث المؤمنين إلى الخشوع لذكر الله، وما نزل من الحق، وتبصرهم بمنازل المصدقين والمصدقات عند ربهم، ومآل الكافرين المكذبين في الجحيم، وتضرب الأمثال لهوان الدنيا وما حوته من متاع، وعظم الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، وتطلب السبق إلى مغفرة الله، وتطمئن النفوس إلى أن ما يصيب كل نفس من خير أو شر هو في كتاب عند الله، لتذعن بالتسليم لقضاء الله، ثم تحدثت عن إرسال الرسل وتابيعهم مؤبدين بالأدلة والكتب وأسباب القوة والعمل، ليقوم الناس بالقسط، ثم ختمت الآية بدعوة المؤمنين إلى التقوى، ووعدهم بمضاعفة الرحمة، والمحظوة بالفضل الذي لا يقدر أحد على شيء منه إلا الله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

١ - نزه الله تعالى ما في السموات والأرض من الإنسان والحيوان والجهاد، وهو الغالب الذي يصرف الأمور بما تقتضيه الحكمة.

٢ - لله ملك السموات والأرض لا لغيره، يتصرف في كل ما فيها، يفعل الاحياء والاماتة، وهو على كل شيء تام القدرة.

٣ - هو الموجود قبل كل شيء، والباقي بعد فناء كل شيء، والظاهر في كل شيء، فكل شيء له آية، والباطن فلا تدركه الأبصار، وهو بكل شيء ظاهر أو باطن تام العلم.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا فَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا

٤ - هو الذى خلق السموات والأرض وما بينها فى ستة أيام ثم استولى على العرش بتدبير ملكه ، يعلم كل ما يغيب فى الأرض وما يخرج منها ، وكل ما ينزل من السماء وما يصعد إليها ، وهو عليم بكم . يحيط بشئونكم فى أى مكان كنتم ، والله بما تعملون بصير ، مطلع لا يخفى عليه شيء من ذلك .

٥ - الله وحده ملك السموات والأرض ، وإليه تعالى ترجع أمور خلقه ، وتنتهى مصائرهم .

٦ - يدخل من ساعات الليل فى النهار ، ويدخل من ساعات النهار فى الليل ، فتختلف أطوالها ، وهو العليم بمكنونات الصدور وما تضرره القلوب .

٧ - صدقوا بالله ورسوله ، وأنفقوا فى سبيل الله من المال الذى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيه ، فالذين آمنوا منكم بالله ورسوله ، وأنفقوا مما استخلفهم فيه ، لهم بذلك عند الله ثواب كبير .

٨ - وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم للإيمان بربكم ويحثكم عليه ، وقد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان من قبل ، إن كنتم تريدون الإيمان فقد تحقق دليله .

٩ - هو الذى ينزل على رسوله آيات واضحات من القرآن ، ليخرجكم بها من الضلال إلى الهدى ، وإن الله بكم لكثير الرؤفة ، واسع الرحمة .



فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^٤ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ^٥ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ
 دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتِلُوا^٦ وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى^٧ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ^٨ مَن ذَا الَّذِي
 يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ^٩ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^{١٠} يَوْمَ
 يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا
 فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ^{١١} يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا
 بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^{١٢}

١٠ - وأى شيء حصل لكم في ألا تنفقوا في سبيل الله من أموالكم ، والله ميراث السموات والأرض ؟ يرث كل ما فيها ، ولا يبقى أحد مالكا لشيء منها ، لا يستوى في الدرجة والثوبة منكم من أنفق من قبل فتح مكة وقاتل ، والإسلام في حاجة إلى من يسنده ويقويه ، أولئك المنافقون المقاتلون قبل الفتح أعلى درجة من الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا ، وكلا من الفريقين وعد الله الثوبة الحسنی مع تفاوت درجاتهم ، والله بما تعملون خبير ، فيجازى كلا بما يستحق .

١١ - من المؤمن الذي ينفق في سبيل الله مخلصا ، فيضاعف الله له ثوابه ، وله فوق المضاعفة ثواب كريم يوم القيامة .

١٢ - يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسبق نور إيمانهم وأعمالهم الطيبة أمامهم وعن أيانهم تقول لهم الملائكة : بشراكم في هذا اليوم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ، لا تخرجون منها أبدا ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم لقاء أعمالكم .

١٣ - يوم يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين والمؤمنات : انتظرونا نصب بعض نوركم ، قيل - توبيخا لهم :- ارجعوا إلى حيث أعطينا هذا النور فاطلبوه ، فضرب بين المؤمنين والمنافقين مجاز له باب ، باطن الحاجز الذي يلى الجنة فيه الرحمة والنعم ، وظاهر الحاجز الذي يلى النار من جهته النعمة والعذاب .

١٤ - ينادى المنافقون المؤمنين : ألم نكن في الدنيا معكم وفي رفقتكم ؟ قال المؤمنون : بل كنتم معنا كما تقولون ، ولكنكم أهلكم أنفسكم بالنفاق ، وانتظرتهم للمؤمنين الحوادث المهلكة ، وشككتهم في أمور الدين ، وخذعتكم الآمال ، وأنكم على خير ، حتى جاء الموت وخذعكم بعفو الله ومغفرته الشيطان .

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ * أَلَرَأَيْتَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ
 فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ
 وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ
 وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ
 وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

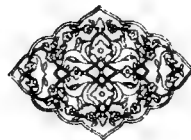
١٥ - فالיום لا يقبل منكم ما تفتدون به أنفسكم من العذاب مهما أغلبيت في ذلك . ولا يقبل من الكافرين
 المعلنين كفرهم فدية كذلك ، مرجعكم جميعا النار ، هي منزلكم الأولى بكم ، وبئس المصير النار .

١٦ - ألم يحسن الوقت للذين آمنوا أن ترق قلوبهم لذكر الله والقرآن الكريم ، ولا يكونوا كالذين أوتوا
 الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى ، عملوا به مدة فطال عليهم الزمن ، فجمدت قلوبهم وكثير منهم خارجون
 عن حدود دينهم .

١٧ - اعلما أيها المؤمنون أن الله يصلح الأرض ويبينها للنبات بزول المطر بعد يسسها ، قد وضعنا لكم
 الآيات ، وضربنا لكم الأمثال لعلكم تعقلون ما فيها ، فتخشع قلوبكم لذكر الله .

١٨ - ان المتصدقين والمتصدقات وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم ، يضاعف الله لهم ثواب
 ذلك ، ولهم فوق المضاعفة أجر كريم يوم القيامة .

١٩ - والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك هم الصديقون والشهداء منزلة وعلو مرتبة ،
 لهم ثواب ونور يوم القيامة ، مثل ثواب الصديقين والشهداء ونورهم ، والذين كفروا وكذبوا بآيات الله أولئك هم
 أصحاب النار لا يفارقونها أبدا .



حُطْمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا
إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ ۚ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۚ وَأَنزَلْنَا

٢٠ - اعلّموا أيها المغرورون بالدنيا انما الحياة الدنيا لعب لا ثمرة له ، وهو يشغل الإنسان عما ينفعه ، وزينة لا تحصل شرفا ذاتيا . وتفاخر بينكم بأنساب زائلة وعظام بالية ، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد ، مثلها في ذلك مثل مطر أعجب الزراع نباته ، ثم يكمل نضجه ويبلغ تمامه ، فتراه عقب ذلك مصفرا أخذا في الجفاف ، ثم يصير بعد فترة هشيما جامدا متكسرا ، لا يبقى منه ما ينفع ، وفي الآخرة عذاب شديد لمن آثر الدنيا وأخذها بغير حقها ، ومغفرة من الله لمن آثر آخرته على دنياء . وليست الحياة الدنيا إلا متاع هو غرور لا حقيقة له لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة للآخرة .

٢١ - سارعوا في السبق إلى مغفرة من ربكم ، وإلى جنة فسيحة الأرجاء ، عرضها مثل عرض السموات والأرض ، هيئت للذين صدقوا بالله ورسله ، ذلك الجزاء العظيم فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والله وحده صاحب الفضل الذي جل أن تحيط بوصفه العقول .

٢٢ - ما نزل من مصيبة في الأرض من قحط أو نقص في الثمرات أو غير ذلك ، ولا في أنفسكم من مرض أو فقر أو موت أو غير ذلك الا مكتوبة في اللوح ، مثبتة في علم الله من قبل أن نوجدتها في الأرض أو في الأنفس ، إن ذلك الانبات للمصيبة والعلم بها على الله سهل ، لاحاطة علمه بكل شيء .

٢٣ - أعلمناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما لم تحصلوا عليه حزنا مفرطا يجركم إلى السخط ، ولا تفرحوا فرحا مبطرا بما أعطاكم . والله لا يحب كل متكبر فخور على الناس بما عنده .

٢٤ - الذين يضمنون بأموالهم عن الانفاق في سبيل الله ، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم ، ومن يعرض عن طاعة الله فإن الله وحده الغني عنه ، المستحق بذاته للحمد والثناء .

الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾
 ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
 وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْثِرْ كُفْلَيْنِ مِنْ

٢٥ - لقد أرسلنا رسلنا الذين اصطفياناهم بالمعجزات القاطمة، وأنزلنا معهم الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين والميزان الذي يحقق الانصاف في التعامل، ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل، وخلقنا الحديد فيه عذاب شديد في الحرب، ومنافع للناس في السلم، يستغلونه في التصنيع، لينتفعوا به في مصالحهم ومعاشهم، وليعلم الله من ينصر دينه، وينصر رسله غائباً عنهم أن الله قادر بذاته، لا يفتقر إلى عون أحد^(١).

٢٦ - ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب الهادية، فبعض هذه الذرية سالكون طريق الهداية، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧ - ثم تابعنا على آثار نوح وإبراهيم ومن سبقهما أو عاصرهما من الرسل برسولنا، رسولا بعد رسول، واتبعنا بإرسال عيسى بن مريم، وأوحينا إليه الإنجيل وأودعنا في قلوب المتبعين له شفقة شديدة ورقة وعطفا، وابتدعوا زيادة في العبادة وغلوا في التدين رهبانية ما فرضناها عليهم ابتداء، لكن التزموها ابتغاء رضوان الله تعالى، فما حافظوا عليها حق المحافظة، فأعطينا الذين آمنوا بمحمد نصيبهم من الأجر والثواب، وكثير منهم مكذبون بمحمد خارجون عن الطاعة والطريق المستقيم.

(١) الحديد أحد سبعة عناصر عرفها القدماء وهي الذهب والفضة والزئبق والنحاس والرصاص والحديد والقصدير وهو أكثر الفلزات انتشاراً في الطبيعة، فيوجد أساساً في الحالة المركبة هل هيئة أكاسيد وكبريتيد وكربونات وسليكات وتوجد كذلك مقادير صغيرة من الحديد الخالص في الشهب والنيازك الحديدية.

أشارت الآية إلى أن الحديد ذو بأس شديد ومنافع للناس وليس أدل على ذلك من امتياز الحديد وسبائكها المتنوعة بخواص متعددة ومتفاوتة الدرجات في مقاومة الحرارة والشد والصدأ والبلل، وفي مرونة تقبل المغناطيسية وغيرها، ولذلك كان أنسب الفلزات لصناعة أسلحة الحروب وأدواتها وأساساً لجميع الصناعات الثقيلة والخفيفة ودعامة للحضارات.

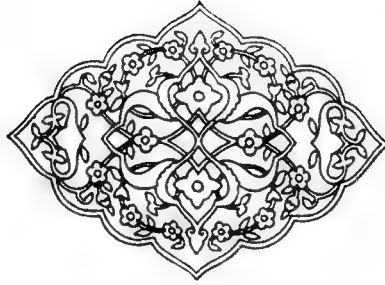
وللحديد منافع جمة للكائنات الحية إذ تدخل مركبات الحديد في عملية تكوين الكلوروفيل وهو المادة الأساسية في عمليات التمثيل الضوئي التي ينشأ عنها تنفس النبات وتكوين البروتينات الهامة، وعن طريقه يدخل الحديد جسم الإنسان والحيوان.

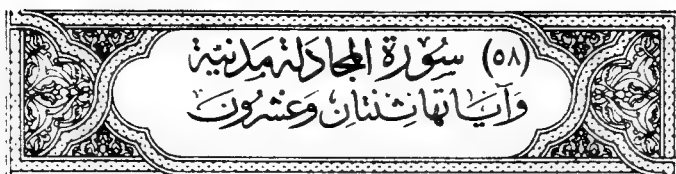
ويدخل الحديد في تركيب بروتينات النواة (المادة الكروماتينية) في الخلية الحية كما أنه يوجد في سوائل الجسم مع غيره من العناصر، وهي أحد مكونات الهيموجلوبين (المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء) ويقوم بدورها في عملية الاحتراق الداخلي للأنسجة والتمثيل الحيوي بها. والحديد يوجد كذلك في الكبد والطحال والكلب والعضلات والنخاع الأحمر ويحتاج الجسم إلى كمية من الحديد يجب أن يزود بها من مصادره المختلفة فإذا نقصت تعرض الإنسان لعدة أمراض أهمها فقر الدم.

رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٢٨ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خَافُوا عِقَابَ اللَّهِ ، وَاتَّبِعُوا عَلَى إِيْمَانِكُمْ بِرَسُولِهِ يُعْطِيكُمْ نَصِيْبِيْنَ مِنْ رَّحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ مَا فَرُطَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَافِرُ الرَّحْمَةِ .

٢٩ - يَنْحِكُمُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَنْعَامِ اللَّهِ ، يَكْسِبُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ أَوْ يَمْنَحُونَهُ لِغَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ وَحْدَهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَاللَّهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كُفَّائِهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ وَلَهُنَّ مِثْلُ النَّسَاءِ لِيَقُولُوا مِنْكُمْ
مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ

افتتحت بالحديث عن المرأة التي ظاهر منها زوجها، واتبع ذلك ببيان حكم الظهار، ونعى الله في هذه السورة في أكثر من آية على المعادين لدينه، وحذرهم من التناجى بالإثم والعدوان، وأرشد المؤمنين إلى أدب المناجاة بين بعضهم وبعض، وبينهم وبين الرسول ﷺ، كما نعى على المنافقين موالاتهم للكافرين، ووصفهم بأنهم حزب الشيطان الخاسرون.

وختمت السورة بوصف جامع لما يجب أن يكون عليه المؤمنون من إثارة رضا الله ورسوله على من عداها، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، ووصفهم بأنهم حزب الله المفلحون.

١ - قد سمع الله قول المرأة التي تراجعك في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وتضرع إلى الله، والله يسمع ما تراجعان به من الكلام. إن الله محيط سمعه بكل ما يسمع، محيط بصره بكل ما يبصر ^(١).

٢ - الذين يظاهرون منكم أيها المؤمنون من نسائهم بتشبيههن في التحريم بأُمَّهَاتِهِمْ مَخْطُوتُونَ، ما الزوجات أمهاتهم، ما أمهاتهم - حقاً - إلا اللَّائِي وَلَدَنَّهُمْ، وأن المظاهرين ليقولون منكراً من القول تنفر منه الأذواق السليمة، وكذباً منحرفاً عن الحق، وإن الله لعظيم العفو والمغفرة عما سلف منكم.

٣ - والذين يظاهرون من نسائهم ثم يرجعون لقولهم، فيظهر لهم خطوهم، ويودون بقاء الزوجية، فعليه عتق رقبة قبل أن يتامسا، ذلكم الذي أوجبه الله - من عتق الرقبة - عظة لكم توعظون به كيلا تعودوا والله بما تعملون خبير.

(١) روى أن أوس بن الصامت غضب من زوجته خولة بنت ثعلبة فقال لها: أنت على كظهر أمي، وكان هذا تحريماً في الجاهلية فأخبرت النبي ﷺ فقال لها: «ما أمرت في شأنك بشيء»، وما أراك إلا قد حرمت عليه». وجادلت النبي ﷺ وراجعته، وجعلت تشتكي إلى الله تعالى مما تخاف من فرقة الزوج وضياح الولد، فابليت أن نزلت هذه الآية والآيات الثلاث التي بعدها.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَكَابِتُونَ مِمَّا كَتَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَدَأْنَاهُ بِآيَاتِنَا بَيْنَتٍ وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآفَامِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّجْتُمْ

٤ - فن لم يجد رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل أن يتاسا ، فن لم يستطع ذلك الصوم فعليه اطعام ستين مسكينا ، شرعنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتعملوا بمقتضى هذا الإيمان ، وتلك حدود الله فلا تتجاوزوها ، وللكافرين عذاب شديد الأليم .

٥ - إن الذين يعاندون الله ورسوله خذلوا كما خذل الذين من قبلهم ، وقد أنزلنا دلائل واضحات على الحق ، وللجاحدين بها عذاب شديد الإهانة .

٦ - يوم يحییهم الله جميعا بعد موتهم ، فيخبرهم بما عملوا ، أحصاه الله عليهم ونسوه ، والله على كل شيء شاهد مطلع .

٧ - ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من مسارة بين ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه ما يتسارون به . ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ، يعلم ما يتناجون به - أيضا كانوا - ثم يخبرهم يوم القيامة بكل ما عملوا ، إن الله بكل شيء تام العلم .

٨ - ألم تر أيها الرسول إلى الذين نهوا عن المسارة فيما بينهم بما يثير الشك في نفوس المؤمنين ، ثم يرجعون إلى ما نهوا عنه ، ويتسارون فيما بينهم بالذنب يفترونه ، والعدوان يعزموه ، ومعصيتهم لرسول الله ، وإذا جاءوك حيوك بقول محرف لم يحكيك به الله ، ويقولون في أنفسهم : هلا يعذبنا الله بما نقول إن كان رسولا حقا ؟ ، حسبهم جهنم يدخلونها ويحترقون بنارها ، فبئس المال ما لهم ^(١) .

(١) كان بين المسلمين واليهود بالمدينة مهادة وكانوا إذا مر الرجل من المسلمين بهم يتسارون فيما بينهم حتى يظن أنهم يتآمرون على قتله ، أو على ما يكره فيعدل عن المرور بهم ، فنهاهم النبي - ﷺ - عن ذلك فلم ينتهوا ، وعادوا إلى ما نهوا ، وكانوا إذا جاءوا النبي ﷺ حيوه بالدعاء عليه في صورة التحية له ، فنزلت هذه الآية .

فَلَا تَتَلَجَّجُوا بِالْإِيمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَلَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾
 إِنَّمَا النُّجُوى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَإِذَا قِيلَ
 أُشْرُوا فَأَنْشُرُوا ۚ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ ۚ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقْتُمْ ۚ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَاءَ

٩ - يأيا الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا تناجيتم فلا تناجوا بالذنوب والاعتداء ومخالفة الرسول ، وتناجوا
 متواصين بالخير والتحرز عن الآثام ، وخافوا الله الذى إليه - لا إلى غيره - تساقون بعد بعثكم .

١٠ - إنما التناجى المثير للشك من تزيين الشيطان ، ليدخل الحزن على قلوب المؤمنين ، وليس ذلك بضارهم
 شيئاً إلا بمشيئة الله ، وعلى الله وحده - فليعتمد المؤمنون .

١١ - يأيا الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا طلب منكم أن يوسع بعضكم فى المجالس لبعض فأوسعوا ، يوسع
 الله لكم ، وإذا طلب منكم أن تنهضوا من مجالسكم فانهضوا ، يعل الله مكانة المؤمنين المخلصين ، والذين أوتوا العلم
 درجات والله بما تعملون خبير .

١٢ - يأيا الذين صدقوا بالله ورسوله : إذا أردتم مناجاة رسول الله فقدموا قبل مناجاتكم صدقة ، ذلك خير
 لكم وأطهر لقلوبكم ، فإن لم تجدوا ما تنصدقون به فإن الله واسع المغفرة شامل الرحمة .

١٣ - أخشيتم أن تلتزموا تقديم صدقات أمام مناجاتكم رسول الله ؟ فإذا لم تقدموا وعفا الله عنكم ، فحافظوا
 على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأطيعوا الله ورسوله ، والله خير بعملكم فيجازيكم عليه .

١٤ - ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين والوا قوما غضب الله عليهم ، ما هؤلاء الموالون منكم ولا من
 والوهم ، ويحلفون على الكذب مع علمهم بأنهم كاذبون .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ؕ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ؕ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

١٥ - أعد الله لهؤلاء المنافقين عذابا بالغ الشدة ، انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والحلف على الكذب .

١٦ - اتخذوا أيمانهم وقاية لأنفسهم من القتل ، ولأولادهم من السبي ، ولأموالهم من الغنيمة ، فصدوا بذلك عن سبيل الله ، فلهم عذاب شديد الإهانة .

١٧ - لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا ، أولئك أهل النار هم فيها مخلدون .

١٨ - يوم يبعثهم الله جميعا فيقسمون له انهم كانوا مؤمنين كما يقسمون لكم الآن ، ويظنون انهم بقسمهم هذا على شيء من الدماء ينفعهم ، إلا انهم هم البالغون الغاية في الكذب .

١٩ - استولى عليهم الشيطان فأنساهم تذكر الله واستحضار عظمته ، أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الذين بلغوا الغاية في الخسران .

٢٠ - إن الذين يعاندون الله ورسوله أولئك في عداد الذين بلغوا الغاية في الذلة .

٢١ - قضى الله لأنتصرن أنا ورسلي ، إن الله تام القوة لا يغلبه غالب .

٢٢ - لا تجد قوما يصدقون بالله واليوم الآخر يتبادلون المودة مع من عادى الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم ، أولئك الذين لا يوالون من حاد الله ، ثبت الله في قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بقوة منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، لا ينقطع عنهم نعيمها ، أحبهم الله وأحبه ، أولئك حزب الله ، إلا إن حزب الله هم الفائزون .

(٥٩) سُورَةُ الْحَشْرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاجِ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

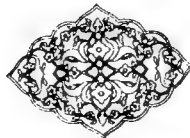
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

بدأت السورة بالاخبار بأن الله سبحانه له ونزهه عما لا يليق به كل شيء في السموات والأرض ، وأنه العزيز الذي لا يغلب ، الحكيم في تصرفاته وتشريع ، ومن آثار عزته وحكمته ما تحدثت عنه السورة من عاقبة بنى النضير - وهم من يهود المدينة - وكانوا قد صالحوا النبي ﷺ بعد الهجرة على ألا يكونوا عليه ولا له ، فلما كانت هزيمة المسلمين في يوم أحد نكثوا عهدهم ، وحالفوا قريشا عليه ﷺ ، فحاصروهم في حصونهم التي ظنوا أنها تمنعهم ، فلم تمنعهم ، ثم أجلاهم عن المدينة ، ثم بينت حكم الله : وهو ما كان من الفناء بلا حرب ولا اسراع بركوب الخيل ونحوها ، فذكرت أنه لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم . ثم تحدثت عن الأنصار وفضلهم ، وإيثارهم المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة إلى ما آثروهم به ، ولفتت النظر إلى ما كان من وعود المنافقين لبني النضير ، في قولهم لهم : لن أخرجكم لنخرجن معكم ، ولن قوتلن لنصرتكم ، وفضحت كذبهم وتغريهم في ذلك .

ثم خلصت السورة إلى تذكير المؤمنين بما ينبغي أن يكونوا عليه من تقوى الله والتزود للمستقبل القريب والبعيد ، ولا يكونوا كالذين أعرضوا عن الله فأنساهم أنفسهم .

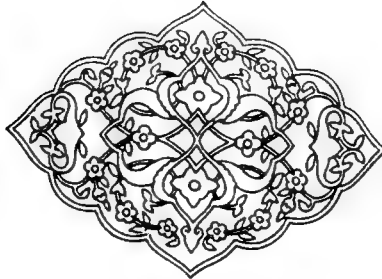
وختمت ببيان شأن القرآن وعظيم تأثيره ، ذلك لأن الذي أنزله هو الله الذي لا إله الا هو له الأسماء الحسنی .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، وهو الغالب الذي لا يعجزه شيء ، الحكيم في تدبيره وأفعاله .



حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يٰٓأُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾
 وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ
 وَرُسُلَهُ وَمَنْ يُّشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ
 اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا تَنْسَكُوا لِلرَّسُولِ

- ٢ - هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم يهود بنى النضير - من ديارهم عند أول إخراج لهم من جزيرة العرب . ما ظننتم - أيها المسلمون - أن يخرجوا من ديارهم لقوتهم ، وظنوا - هم - أنهم مانعتهم حصونهم من بأس الله ، فأخذهم الله من حيث لم يظنوا أن يؤخذوا من جهته ، وألقى في قلوبهم الفزع الشديد ، يخربون بيوتهم بأيديهم ليتركوها خاوية ، وأيدى المؤمنين ليقضوا على تحصنهم ، فاتعظوا بما نزل بهم يا أصحاب العقول .
- ٣ - ولولا أن كتب الله عليهم الإخراج من ديارهم على هذه الصورة الكريمة لعذبهم في الدنيا بما هو أشد من الإخراج ، ولهم في الآخرة - مع هذا الإخراج - عذاب النار .
- ٤ - ذلك الذى أصابهم في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة لأنهم عادوا الله ورسوله أشد العداء ومن يعاد الله فلن يفلت من عقابه ، فإن الله شديد العقاب .
- ٥ - ما قطعتم - أيها المسلمون - من نخلة أوتركتوها باقية على ما كانت عليه فبأمر الله ، لا حرج عليكم فيه ، ليعز المؤمنين ، وليبين الفاسقين المنحرفين عن شرائعه .
- ٦ - وما أفاء الله ورده على رسوله من أموال بنى النضير فما أسرعتم في السير إليه بخيل ولا إبل ، ولكن الله يسלט رسله على من يشاء من عباده بلا قتال ، والله على كل شيء تام القدرة .



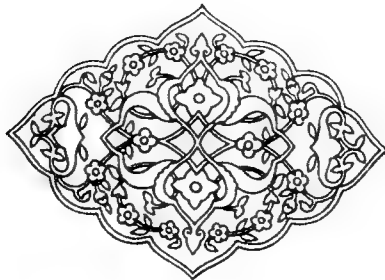
فَخَذُوهُ وَمَا نَهَكَرَ عَنْهُ فَانْتَهَوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخْصَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ

٧ - ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى بغير إيجاب خيل أو ركاب فهو لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . كيلا تكون الأموال متداولة بين الأغنياء منكم خاصة ، وما جاءكم به الرسول من الأحكام فتمسكوا به ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واجعلوا لكم وقاية من غضب الله ، إن الله شديد العقاب .

٨ - وكذلك يعطى ما رده الله على رسوله من أموال أهل القرى الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، يرجون زيادة من الله في أرزاقهم ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله بنفوسهم وأموالهم ، أولئك هم المؤمنون .

٩ - والأنصار الذين نزلوا المدينة وأقاموا بها ، وأخلصوا الإيمان من قبل نزول المهاجرين بها ، يحبون من هاجر إليهم من المسلمين ، ولا يحسون في نفوسهم شيئا مما أوقى المهاجرون من القى ، ويقدمون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم حاجة ، ومن يحفظ - بتوفيق الله - من بخل نفسه الشديد فأولئك هم الفائزون بكل ما يحبون .

١٠ - والمؤمنون الذين جاءوا بعد المهاجرين والأنصار يقولون : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غدا للذين آمنوا ، ربنا إنك بالغ الرأفة والرحمة .



لَنَخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِئَكُمُ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَنْ نَنْصُرَهُمْ لِيَبْئُوتَ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً
فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِمَّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

١١ - ألم تنظر - متعجباً - إلى المنافقين ، يتكرر منهم القول لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب - وهم
بنو النضير - : والله إن اجبرتم على الخروج من المدينة لنخرجن معكم ، ولا نطيع في شأنكم أحداً منها طال
الزمان ، وإن قاتلكم المسلمون لننصركم ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به :

١٢ - لن أخرج اليهود لا يخرج المنافقون معهم ، ولن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولن نصروهم ليفرون مدبرين
ثم لا ينصرون .

١٣ - لأنتم - أيها المسلمون - أشد مهابة في صدور المنافقين واليهود من الله ، ذلك لأنهم قوم لا يعلمون حقيقة
الايان .

١٤ - لا يقاتلكم اليهود مجتمعين إلا في قري محصنة أو من وراء جدران يستترون بها ، بأسهم بينهم شديد ،
تظنهم مجتمعين . متحدين مع أن قلوبهم متفرقة ، اتصافهم بهذه الصفات لانهم قوم لا يعقلون عواقب الأمور .
١٥ - مثل بني النضير كمثل الذين كفروا من قبلهم قريباً ، ذاقوا في الدنيا عاقبة كفرهم ونقضهم العهد ،
ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

١٦ - مثل المنافقين في اغرائهم بني النضير - بالتردد على رسول الله - كمثل الشيطان حين أغرى الانسان
بترك الايمان ، فقال له : اكفر ، فلما كفر قال : اني برىء منك ، اني أخاف الله رب العالمين .

١٧ - فكان مآل الشيطان ومن اغواه انها في النار خالدين فيها ، وذلك الخلود جزاء المعتدين المتجاوزين
سبيل الحق .

تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمْلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

١٨ - يأيها الذين آمنوا اجعلوا لكم وقاية من عذاب الله بالتزام طاعته ، ولتتدبر كل نفس أى شئ قدمت من العمل لغد ، والتزموا تقوى الله ، ان الله خير بما تعملون ، فيجازيكم عليه .

١٩ - ولا تكونوا - أيها المؤمنون - كالذين نسوا حقوق الله ، فأنساهم أنفسهم - بما ابتلاهم من البلى - فصاروا لا يعرفون ما ينفعها مما يضرها ، أولئك هم الخارجون عن طاعة الله .

٢٠ - لا يستوى أصحاب النار المعذبون وأصحاب الجنة النعمون ، أصحاب الجنة هم - دون غيرهم - الفائزون بكل ما يحبون .

٢١ - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل شديد لرأيت هذا الجبل - على قوته - خاضعاً متشققاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نعرضها للناس لعلهم يتدبرون عواقب أمورهم .

٢٢ - هو الله الذى لا معبود بحق إلا هو وحده ، عالم ما غاب وما حضر ، هو الرحمن الرحيم .

٢٣ - هو الله الذى لا إله إلا هو ، المالك لكل شئ على الحقيقة ، المطهر عن كل نقص ، المبرأ عما لا يليق ، ذو السلامة من النقائص ، المصدق رسله بما أيدهم به من معجزات ، الرقيب على كل شئ ، الغالب فلا يعجزه شئ ، العظيم الشأن فى القوة والسلطان ، والمتعظم عما لا يليق بجماله وجلاله ، تنزه الله وتعالى عما يشركون .

٢٤ - هو الله المبدع للأشياء من غير مثال سابق ، الموجد لها بريته من التفاوت ، المصور لها على هيئاتها كما أراد ، له الأسماء الحسنى ، ينزهه عما لا يليق كل ما فى السموات والأرض ، وهو الغالب الذى لا يعجزه شئ ، الحكيم فى تدبيره وتشريعه .

(٦٠) سُورَةُ الْمُنْتَحَنَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثٌ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخْرُجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْقُوْكُمْ يَكُونُوا

بدأت السورة بنهى المؤمنين عن موالاة المشركين أعداء الله واعدائهم ، لاصرارهم على الكفر ، واخراجهم رسول الله والمؤمنين من ديارهم بمكة ، وأشارت إلى أن عداوة هؤلاء كامنة للمؤمنين ، لا تلبث أن تستعلن حين يلاقونهم ويتمكنون منهم .

ثم انتقلت الى بيان الاسوة الحسنة في ابراهيم والذين معه في تبرئهم من المشركين وما يعبدون من دون الله ، معلنين عداوتهم لهم ، حتى يؤمنوا بالله وحده ، موضحة ان ذلك شأن الذين يرجون لقاء الله ويخشون عقابه . ثم بينت من تجوز صلتهم من غير المسلمين ومن لا تجوز ، فأما الذين لا يقاتلوننا في الدين ولا يعينون علينا فإن لنا أن نبرهم ونقسط إليهم ، وأما الذين قاتلونا في الدين ، وظاهروا على اخراجنا من ديارنا ، فأولئك الذين نهى الله عن برهم والصلة بهم .

ثم بينت السورة ، حكم المؤمنات اللاتي هاجرن إلى دار الإسلام ، وتركن أزواجهن مشركين ، وحكم المشركات اللاتي هاجر أزواجهن مسلمين وقد تركهن بدار الشرك .

واتبعت ذلك ببيان بيعة النساء ، وما بايعن عليه الرسول ﷺ ، ثم ختمت بما بدأت به من النهى عن موالاة الأعداء الذين غضب الله عليهم ، تقريراً للحكم الذى بينته في مفتتحها ، وأكدت في ثنائها .

١ - يأيا الذين صدقوا بالله ورسوله : لا تتخذوا أعدائى وأعداءكم أنصاراً تفضون إليهم بالهبة الخالصة . مع أنهم جعدوا بما جاءكم من الايمان بالله ورسوله وكتابه ، يخرجون الرسول ويخرجونكم من دياركم ، لإيمانكم بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد فى سبيلى وطلب رضائى فلا تتولوا أعدائى ، تلقون إليهم بالمودة سراً ، وأنا أعلم بما أسرتم وما أعلنتم ، ومن يتخذ عدو الله ولياً له فقد أخطأ الطريق المستقيم .

لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ۚ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا أُبْغِضُكَ لِأَنَّكَ مِنْ آلِ اللَّهِ مِنَ شَيْءٍ ۖ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ * عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

٢ - إن يلقوكم ويتمكنوا منكم تظهر لكم عداوتهم ، ويمدوا اليكم ايديهم وألسنتهم بما يسوءكم ، وتمنوا كفركم مثلهم .

٣ - لن تنفعكم قراباتكم ولا أولادكم الذين تتخذونهم أولياء وهم عداؤه ولكم ، يوم القيامة يفصل الله بينكم ، فيجعل أعداءه في النار وأوليائه في الجنة ، والله بكل ما تعملون بصير .

٤ - قد كانت لكم قدوة حسنة تقتدون بها في ابراهيم والذين آمنوا معه ، حين قالوا لقومهم : انا بريئون منكم ومن الآلهة التي تعبدونها من دون الله ، جعدنا بكم ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ، لا نزول أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ، لكن قول ابراهيم لأبيه : لأطلبن لك المغفرة ، وما أملك من الله من شيء ، ليس مما يقتدى به ، لأن ذلك كان قبل أن يعلم أنه مصمم على عداوته لله ، فلما تبين له أنه عداؤه تبرا منه . قولوا أيها المؤمنون : ربنا عليك اعتمدنا ، وإليك رجعنا ، وإليك المصير في الآخرة .

٥ - ربنا لا تجعلنا بحال نكون بها فتنة للذين كفروا ، واغفر لنا ذنوبنا يا ربنا ، انك انت العزيز الذي لا يقلب ، ذو الحكمة في تصرفاته .

٦ - لقد كان لكم - أيها المؤمنون - في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة في معادتهم أعداء الله ، هذه القدوة لمن كان يرجو لقاء الله واليوم الآخر ومن يعرض عن هذا الاقتداء فقد ظلم نفسه ، فإن الله هو الغني عما سواه ، المستحق للحمد من كل ما عداه .

٧ - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من الكافرين مودة بتوفيقهم للإيمان ، والله تام القدرة ، والله واسع المغفرة لمن تاب ، رحيم بعباده .

إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حِلٌّ فَمَتَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسْءَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِ بَيْنِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْعًا

٨ - لا ينهاكم الله عن الكافرين الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم وتمنعوهم صلحكم ، ان الله يحب أهل البر والتواصل .

٩ - إنما ينهاكم الله عن الذين حاربوكم في الدين ليصدوكم عنه ، وأجبروكم على الخروج من دياركم ، وعاونوا على إخراجكم منها أن تتخذوهم أنصاراً ومن يتخذ هؤلاء أنصاراً فأولئك هم الظالمون لأنفسهم .

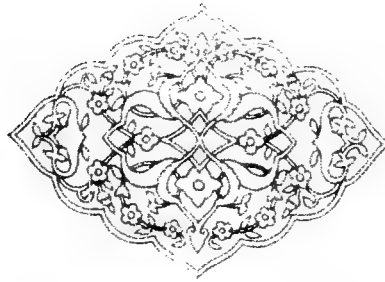
١٠ - يأيها الذين آمنوا : إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الشرك فاخبروهن لتعلموا صدق إيمانهم ، الله أعلم بحقيقة إيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترودهن إلى أزواجهن الكفار . لا المؤمنات حلال للكافرين ، ولا الكافرين حلال للمؤمنات ، وآتوا الأزواج الكافرين ما أنفقوا من الصداق على زوجاتهم المهاجرات اليكم ولا حرج عليكم أن تزوجوا هؤلاء المهاجرات إذا آتيتوهن صداقهن ، ولا تمسكوا بعقد زوجية الكافرات الباقيات في دار الشرك أو اللاحقات بها . واطلبوا من الكفار ما أنفقتم من صداق على اللاحقات بدار الشرك وليطلبوا - هم - ما أنفقوا على زوجاتهم المهاجرات ، ذلكم التشريع حكم الله ، يفصل به بينكم ، والله عليم بمصالح عباده ، حكيم في تشريعه .

١١ - وان أفلت منكم بعض زوجاتكم إلى الكفار ، ثم حاربتموهن ، فاتوا الذين ذهب زوجاتهم مثل ما أنفقوا عليهن من صداق ، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون .

وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُمْ وَلَا يَأْتِينَ بِهِنَّ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَلَا يَعِصِبَكَ
 فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُمْ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُونَ الْآخِرَةَ كَمَا يَسْؤُونَ الْكَفَّارِينَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

١٢ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ: إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَعَاهِدَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا يَسْرِقْنَ، وَلَا يَزْنِينَ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ، وَلَا يَلْحَقْنَ بِأَزْوَاجِهِنَّ مِنْ لَيْسَ مِنْ أَوْلَادِهِنَّ بِهَتَانًا وَكَذِبًا يَخْتَلِقُهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِنَّ، وَلَا يَخَالِفَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ تَدْعُوهُنَّ إِلَيْهِ، فَعَاهِدَهُنَّ عَلَى ذَلِكَ، وَاطْلُبْ لَهُنَّ الْمَغْفِرَةَ مِنَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَظِيمُ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

١٣ - يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْؤُونَ الْآخِرَةَ وَمَا فِيهَا مِنْ نَوَابٍ وَحِسَابٍ كَمَا يَسْؤُونَ الْكَفَّارِينَ أَحْيَاءُ أَصْحَابِ الْقُبُورِ.



(١١) سُورَةُ الصَّفِّ مَكِّيَّةٌ وَأَنبِأَتْهَا زَيْجُ عَشْرَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْنِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي

افتتحت هذه السورة بالاخبار بأنه سبّح لله ما في السموات وما في الأرض ، وأنه لا يليق بالمؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، وإن الله يحب أن يكونوا يداً واحدة ، ثم وصفت بنى اسرائيل بالعناد والكفر على لسان وسولين كريمين هما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وبأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ، والله متم نوره ، وفيها وعد الله - ووعده الحق - أن يظهر هذا الدين على ما سواه ولو كره المشركون . وختمت بالحث على الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس وبوعد المجاهدين بالمغفرة والجنة ، وأخرى يجهها المؤمنون : نصر من الله وفتح قريب ، ويحث المؤمنين أن يكونوا انصار الله كما كان الحواريون مع عيسى ابن مريم ، وبأن الله يؤيد المؤمنين بنصره وهو الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة .

١ - نزه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، وهو وحده - الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة .

٢ - يا أيها الذين آمنوا : لأى غرض تقولون بالسننكم ما لا تصدقه أفعالكم ؟ .

٣ - كره الله كرها شديداً أن تقولوا ما لا تفعلون .

٤ - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمته متمسكين ، كأنهم بنيان محكم .

٥ - واذكر - يا محمد - حين قال موسى لقومه : يا قومى ، لم تؤذوننى وأنتم تعلمون أنى رسول الله اليكم ؟ . فلما أصروا على الانحراف عن الحق أمال الله قلوبهم عن قبول الهداية ، والله لا يهدى القوم الخارجين عن طاعته .

إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَاللَّهُ مُمِيتُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَلَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْفُونِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ

٦ - واذكر حين قال عيسى ابن مريم : يا بني إسرائيل اني رسول الله إليكم ، مصدقاً لما تقدمني من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم الرسول المبشر به بالآيات الواضحات قالوا : هذا الذى جئنا به سحر بين .

٧ - ومن أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام دين الحق والخير ، والله لا يهدى القوم المصرين على الظلم .

٨ - يفتري بنو إسرائيل الكذب على الله ، لكى يطفئوا نور دينه بأقواهم ، كمن يريد اطفاء نور الشمس بنفخة من فيه ، والله مكمل نوره باتمام دينه ولو كره المجاهدون .

٩ - الله الذى أرسل رسوله محمداً بالقرآن هدى للناس وبالإسلام دين الحق ، ليعليه على كل الأديان ولو كره المشركون .

١٠ - يأيا الذين آمنوا : هل أرشدكم الى تجارة عظيمة تنجيكم من عذاب شديد الألم ؟ .

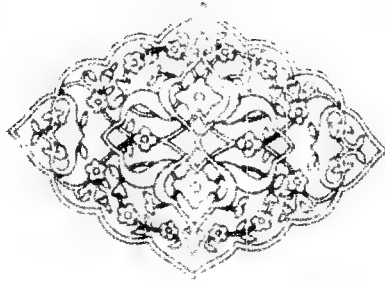
١١ - هذه التجارة هى أن تثبتوا على الايمان بالله ورسوله ، وتجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم . ذلك الذى أرشدكم اليه خير لكم ان كنتم تعلمون .

١٢ - ان تؤمنوا وتجاهدوا فى سبيل الله يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري تحتها الأنهار ، ومسكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم .

وَفَتَحَ قَرِيبٌ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِثِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَمَأْتَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

١٣ - ونعمة أخرى لكم أيها المؤمنون المجاهدون تحبونها ، هي نصر من الله وفتح قريب تغنمون خيره ، وبشر المؤمنين - يا محمد - بهذا الجزاء .

١٤ - يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله اذا دعاكم رسول الله أن تكونوا أنصاره ، كما كان أصفياء عيسى أنصاراً لله حين قال : من أنصاري الى الله ؟ فأمئت طائفة من بني اسرائيل بعيسى ، وكفرت طائفة ، فقويننا الذين آمنوا به على عدوهم الذين كفروا ، فأصبحوا بتقويتنا منتصرين غالبين .



(١٢) سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا اخْدُذِي عَشِيرَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝

افتتحت هذه السورة باخباره تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض ، وقد امتن - جل شأنه - على العرب الأميين أنه بعث فيهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وإن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقد نعى الله تعالى على اليهود تركهم العمل بالتوراة مع علمهم بما فيها ، وأنكر عليهم دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس ، وتحذاهم أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين . وختمت السورة بأمر المؤمنين أن يبادروا إلى صلاة الجمعة إذا سمعوا النداء ، وأن يذروا البيع ، وإذا قضيت الصلاة ينتشرون في الأرض ويبتغون من فضل الله ، وأنكر عليهم أن يشغلهم عن سماع خطبتها شاغل من تجارة أو هو ، وتكفل لهم بالرزق ، والله خير الرازقين .

١ - يسبح لله وينزهه عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض ، المالك لكل شيء المتصرف فيه بلا منازع ، المنزه تنزهاً كاملاً عن كل نقص ، الغالب على كل شيء ، ذى الحكمة البالغة .

٢ - الله هو الذى أرسل في العرب الذين لا يعرفون الكتابة رسولاً منهم ، يقرأ عليهم آياته ويظهرهم من خباثت العقائد والأخلاق ، ويعلمهم القرآن والتفقه في الدين ، وإنهم كانوا قبل بعثته في انحراف عن الحق شديد الوضوح .

٣ - وبعثه في آخرين منهم ، لم يجيئوا بعد وسيجيئون ، وهو - وحده - الغالب على كل شيء ، ذو الحكمة البالغة في كل أفعاله .

٤ - ذلك البعث فضل من الله يكرم به من يختار من عباده ، والله - وحده - صاحب الفضل العظيم .

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا أَلَمَوْا الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلْأَقِيمٌ ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

٥ - مثل اليهود الذين علموا التوراة ، وكلفوا العمل بها ، ثم لم يعملوا ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً لا يعرف ما فيها ، ساء مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يوفق الى الهدى القوم الذين شأنهم الظلم .

٦ - قل - يا محمد - : يأياها الذين صاروا يهوداً ، ان ادعيتهم باطلاً انكم احباء الله من دون الناس جميعاً ، فتمنوا من الله الموت ، ان كنتم صادقين في دعوى حب الله لكم .

٧ - قال الله : ولا يتمنى الموت يهودى أبداً بسبب ما قدموه من الكفر وسوء الفعل ، والله محيط علمه بالظالمين .

٨ - قل : ان الموت الذى تهربون منه لا مهرب منه ، فانه ملائكم ، ثم تردون الى عالم السر والعلانية ، فيخبركم بما كنتم تعملون .

٩ - يأياها الذين آمنوا اذا اذن للصلاة فامضوا الى ذكر الله ، حريصين عليه ، واتركوا البيع ، ذلكم الذى امرتم به أنفع لكم ان كنتم تعلمون .

١٠ - فإذا أدبتم الصلاة فتفرقوا في الأرض لمصالحكم ، واطلبوا من فضل الله ، واذكروا الله بقلوبكم والستكم كثيراً ، لعلكم تفوزون بخيرى الدنيا والآخرة .

١١ - واذا ابصروا متاعاً للتجارة أو لهواً تفرقوا اليها وتركوك قائماً تخطب ، قل لهم : ما عند الله من الفضل والثواب انفع لكم من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين ، فاطلبوا رزقه بطاعته .

(٦٣) سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ قَدْ نَبِئَنا
وَأَنبَأَتِهَا إِخْدَى عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا

اشتملت هذه السورة على طائفة من أوصاف المنافقين ، فذكرت انهم يعلنون ايمانهم بالستهم غير صادقين ،
وبينت انهم يعملون ايمانهم الكاذبة ، وقاية لهم من وصف الكفر الذى هم عليه وبجازاتهم به ، كما بينت انهم ذوو
اجسام حسنة تعجب من رآها ، وأصحاب فصاحة يستمع اليها ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الايمان كأنهم خشب
مسندة لا حياة فيهم .

وعرضت لحالهم حين يدعون لستغفر لهم رسول الله مبينة انهم يستكبرون ، ويظهرون اعراضهم عن الاستجابة
متعاليين .

ثم انتقلت إلى ما زعمه المنافقون من انهم أعزة وأن المؤمنين أذلة ، وما تواعدوا به المؤمنين من إخراجهم بعد
رجوعهم إلى المدينة ، مبينة أى الفريقين هو الأعز .

ووجهت في ختامها الخطاب للمؤمنين لينفقوا في سبيل الله ، مبادرين إلى ذلك قبل أن يأتي أحدهم الموت ،
فيندم ويتمنى أن لو تأخر أجله ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها .

١ - اذا جاءك المنافقون - يا محمد - قالوا بالستهم : تشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون في دعواهم الايمان بك لعدم تصديقهم بقلوبهم .

٢ - جعلوا ايمانهم الكاذبة وقاية لهم من المواجهة ، فنموا أنفسهم عن طريق الله المستقيم ، انهم قبح ما كانوا
يعملون من النفاق والايمان الكاذبة .

٣ - ذلك الذى دأبوا عليه من الظهور بغير حقيقته والهلل بالايمان الكاذبة ، بسبب انهم آمنوا بالستهم ، ثم
كفروا بقلوبهم ، فحتم على قلوبهم بهذا الكفر ، فهم لا يفهمون ما ينتجهم من عذاب الله .

تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ ۚ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْعَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَوْا بِرُءُوسِهِمْ وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۚ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ ۚ
وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ

٤ - وإذا أبصرتهم تعجبك أجسامهم لوجاهتهم ، وإن يتحدثوا تسمع لقولهم لحلاوته ، وهم مع ذلك فارغة قلوبهم من الإيمان كأنهم خشب مسندة لا حياة فيهم ، يحسبون كل نازلة عليهم لشعورهم بحقيقة حالهم ، هم العدو فاحذروهم ، طردهم الله من رحمته ، كيف يصرفون عن الحق إلى ما هم عليه من النفاق !

٥ - وإذا قيل لهم : اقبلوا يستغفر لكم رسول الله ، حركوا رؤوسهم استهزاء ، ورأيتهم يعرضون وهم مستكبرون عن الامتثال !

٦ - سواء على هؤلاء المنافقين استغفارك لهم أو عدم استغفارك ، لأنهم لن يرجعوا عن نفاقهم ، فلن يغفر الله لهم ، لن الله لا يهدي إلى الحق الخارجين على أمره والإيمان به .

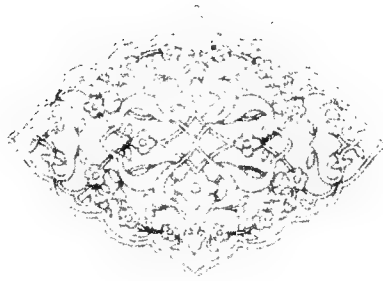
٧ - هم الذين يقولون لأهل المدينة : لا تنفقوا على من عند رسول الله من المؤمنين حتى يتفرقوا عنه ، والله خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق ، يعطيها من يشاء ، ولكن المنافقين لا يفهمون ذلك .

٨ - يقول المنافقون متوعدين : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن فريقنا الأعز منها فريق المؤمنين الأذل ، والله العزة ولسوله وللمؤمنين لا للهؤلاء المتوعدين ، ولكن المنافقين لا يعلمون .

٩ - يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله ، لا تشغلكم العناية بأموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وأداء ما فرضه عليكم ، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك فأولئك هم الخاسرون يوم القيامة .

أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

- ١٠ - وانفقوا - أيها المؤمنون - من الأموال التي رزقناكم ، مبادرين بذلك من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول نادماً : رب هلا أمهلتنى إلى وقت قصير ، فأصدق وأكن من الصالحين في عمل الصالحات .
- ١١ - ولن يمهّل الله نفساً إذا حان وقت موتها ، والله تام العلم بما تعملون ، فيجازيكم عليه .



عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْهُدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ

٤ - يعلم كل ما في السموات والأرض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون من أقوال وأفعال ، والله تام العلم بمضمرات الصدور .

٥ - قد أتاكم خبر الذين كفروا من قبلكم ، فتجرعوا سوء عاقبة أمرهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم .

٦ - ذلك الذي أصابهم ويصيبهم من العذاب لأنه بسبب أنهم اتهم رسلكم بالمعجزات الظاهرة ، فقالوا منكروين : أبشر مثلنا يرشدوننا ، فأنكروا بعتهم ، وانصرفوا عن الحق ، وأظهر الله غناه عن إيمانهم باهلاكهم ، والله تام الفنى عن خلقه ، مستحق للثناء والحمد على جميل نعمه .

٧ - ادعى الذين كفروا - باطلاً - أنهم لن يبعثوا بعد الموت ، قل لهم - يا محمد - ليس الأمر كما زعمتم . أقسم برى لتبعثن بعد الموت ولتخبئن بما عملتم في الدنيا ثم تجازون عليه ، وذلك البعث والحساب والجزاء على الله سهل يسير .

٨ - فصدقوا بالله ورسوله ، واهتدوا بالنور الذى أنزلناه اذ وضح لكم أن البعث آت لا ريب فيه ، والله بما يصدر منكم من عمل تام العلم .

٩ - يوم يجمعكم في يوم الجمع للاولين والآخرين . يجازيكم على أعمالكم ، ذلك يوم التغابن الذى يظهر فيه غيب الكافرين لانصرافهم عن الإيمان ، وغيب المؤمنين المقصرين لهاونهم في تحصيل الطاعات ، ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يذهب عنه سيئاته ، ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبداً ، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم .

النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُنَسِّ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

١٠ - والذين جحدوا بالآيمان وكذبوا بمعجزاتنا التي أيدنا بها رسلنا ، أولئك أصحاب النار ماكنين فيها ، وساء المصير الذى صاروا إليه .

١١ - ما أصاب العبد من بلاء الا بتقدير الله ، ومن يصدق بالله يهد قلبه الى الرضا بما كان ، والله بكل شيء تام العلم .

١٢ - وأطيعوا الله فيما كلفكم به ، وأطيعوا الرسول فيما بلغ عن ربه ، فإن اعرضتم عن هذه الطاعة فلن يضره اعراضكم ، فإنما على رسولنا ابلاغكم الرسالة بلاغا بينا .

١٣ - الله لا معبود بحق إلا هو وعلى الله - وحده - فليعتمد المؤمنون فى كل أمورهم .

١٤ - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم بما يصرفونكم عن طاعة الله لتحقيق رغباتهم ، فكونوا منهم على حذر ، وان تتجاوزوا عن سيئاتهم التى تقبل العفو وتعرضوا عنها وتستروها عليهم يغفر الله لكم ، فإن الله واسع المغفرة والرحمة .

١٥ - إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء وامتحان ، والله عند أجر عظيم لمن يؤثر طاعة الله .

١٦ - فابذلوا فى تقوى الله جهدكم وطاقتكم ، واسمعوا مواعظه وأطيعوا أوامره ، وأنفقوا مما رزقكم فيما أمر بالانفاق فيه ، وافعلوا خيرا لأنفسكم ، ومن يكفه الله يحل نفسه وحرصها على المال فأولئك هم الفاسقون بكل خير .

١٧ - ان تنفقوا فى وجوه البر انفاقا مخلصين فيه يضاعف الله ثواب ما أنفقتم ، ويغفر لكم ما فرط من ذنوبكم ، والله عظيم الشكر والمكافأة للمحسنين ، حلیم فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه .

١٨ - هو عالم كل ما غاب وما حضر ، القوى القاهر ، الحكيم فى تدبير خلقه الذى يضع كل شيء موضعه .

(١٥) سُورَةُ الطَّلَاقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ

تحدثت السورة عن بعض أحكام الطلاق، وعن العدة، وأنواعها، وأحكامها: من بقاء المعتدة في مسكنها الذي طلقت فيه، ومن وجوب الانفاق عليها، واسكانها. وفي ثنايا هذه الأحكام - كما هي سنة القرآن - وعد لمن امتثل أوامر الله، ووعيد لمن تعدى حدوده، ثم أشارت إلى عاقبة المتكبرين عن امتثال أوامر الله ورسله. وختمت السورة ببحث المؤمنين على تقوى الله، وتذكيرهم بنعمة إرسال رسول يتلو عليهم آيات الله، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وبقدرته العظيمة في خلق سبع سموات، ومن الأرض مثلهن.

١ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ، واتقوا الله ربكم، لا تخرجوا المطلقات من مساكنهن التي طلقن فيها، ولا يخرجن منها إلا أن يفعلا فعلة منكراً واضحة، تلك الأحكام المتقدمة معالم الله، شرعها لعباده، ومن يجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه، لا تدرى لعل الله يوجد بعد ذلك الطلاق أمراً لا تتوقعه، فيتحابان.

٢ - فَإِذَا قَارَبْتَ الْمَطْلَقَاتِ نَهَاةَ عِدَّتِهِنَّ، فراجعوهن مع حسن معاشرة، أو فارقوهن من غير مضارة، وأشهدوا على الرجعة والمفارقة صاحبي عدالة منكم. وأدوا الشهادة على وجهها خالصة لله، ذلكم الذي أمرتم به يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ومن يخف الله فيقف عند أوامره ونواهيه يجعل له مخرجاً من كل ضيق.

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾ وَاللَّيْئِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ آرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ
وَاللَّيْئِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَئِ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٢﴾
ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٣﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ
فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَفَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِنْ تَعَاَسَ رُمْ فَسْتَرْضِعُوهُنَّ لَكُمْ ۖ لِيُنْفِقَ
دُوسَعَةً مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنْتَاهَا سَبَجُ لُ
اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا
نُكْرًا ﴿٥﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي

٣ - وبهية له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله ، ومن يفوض إلى الله كل أموره فهو كافيه ، إن الله بالغ مراده ، منفذ مشيئته ، قد جعل الله لكل شيء وقتا لا يعدوه ، وتقديرا لا يجاوزه .

٤ - والمعتدات من المطلقات اللاتي يسسن من الحيض لكبرهن ، إن لم تعلموا كيف يعتدن ، فعدتتهن ثلاثة أشهر ، واللاتي لم يحضن عدتهن كذلك وصواحب الحمل عدتهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله فينفذ أحكامه يسر الله له أموره .

٥ - ذلك التشريع أمر الله - لا غير - أنزله إليكم ، ومن يتق الله بالمحافظة على أحكامه يمح عنه خطاياه ، ويعظم له جزاء .

٦ - أسكنوا المعتدات بعض أماكن سكناكم ، على قدر طاقتكم ، ولا تلحقوا بهن ضررا ، لتضيقوا عليهن في السكنى ، وإن كن ذوات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعت المطلقات لكم أولادكم ، فوفوهن أجورهن ، وليأمر بعضكم بعضا بما تعرف عليه من سماحة وعدم تعنت ، وإن أوقع بعضكم بعضا في العسر بالشح والتعنت ، فسيرضع للأب مرضعة أخرى ، غير الأم المطلقة .

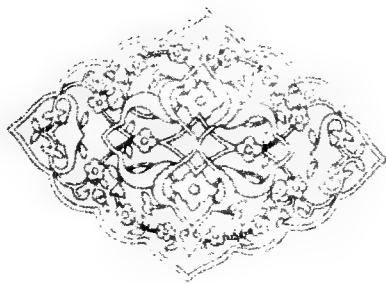
٧ - لينفق صاحب بسطة في الرزق مما بسطه الله له ، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما أعطاه ، سيجعل الله بعد ضيق فرجا .

٨ ، ٩ - وكثير من القرى التي تجبر أهلها وأعرضوا عن أمر ربهم ورسله ، فحاسبناها حسابا شديدا ، بتقصي كل ما فعلوه ومناقشتهم ، وعذبناها عذابا منكرًا فظيما ، ففجرعوا سوء مآل أمرهم ، وكان عاقبة أمرهم خسرا شديدا .

الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ
مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

١٠ ، ١١ - هيا الله لأهل القرى المتجبرين عذابا بالغ الشدة ، فاحذروا غضب الله يا أصحاب العقول
الراجعة ، الذين اتصفوا بالإيمان ، قد أنزل الله إليكم ذا شرف ومكانة رسولا بقرأ عليكم آيات الله مبينات لكم
الحق من الباطل ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلال إلى نور الهداية ، ومن يصدق بالله
ويعمل عملا صالحا يدخله جنات تجري من خلالها الأنهار ، مخلدين فيها أبدا ، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقا
طيبا .

١٢ - الله - وحده - الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ، يجرى أمره بينهن ، لتعلموا أن الله على كل
شئ تام القدرة ، وأن الله قد أحاط بكل شئ علما .



(٣) سُورَةُ الْخُذْرِ مَدَنِيَّةٌ وَأَنبَأْنَا لَنَا عَشِيرَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ
مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ
الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تُتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَحُ

أشارت السورة إلى أمر أغضب النبي ﷺ من بعض زوجاته . فامتنع عن بعض ما ترغب فيه النفوس بما أحله الله له ، وحذرت زوجاته مغبة ما أقدمن عليه ، ثم انتقلت السورة إلى أمر المؤمنين أن يقوا أنفسهم وأهلهم نارا وقودها الناس والحجارة ، وبينت أنه لا يقبل من الكافرين اعتذار يوم القيامة . ودعت المؤمنين إلى التوبة النصوح ، والرسول ﷺ إلى جهاد الكفار والمنافقين ، والقلظة عليهم ، وختمت بضرب الأمثلة لبيان : أن صلاح الأزواج لا يرد عذاب الله عن زوجاتهم إن كن منحرفات وإن فساد الأزواج لا يضر الزوجات إن كن صالحات مستقيات ، فكل نفس بما كسبت رهينة .

- ١ - يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ؟ ! تريد ارضاء زوجاتك . والله بالغ المغفرة واسع الرحمة .
- ٢ - قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم بالتكفير عنها ، والله سيحكم ومتولى أموركم ، وهو التام العلم فيشرع لكم ما فيه خيركم ، الحكيم فيما يشرعه لكم .
- ٣ - واذكر حين أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ، فلما أخبرت به ، وأطلع الله نبيه على افشائه ، أعلم بها بعضا ، وأعرض - تكرما - عن بعض ، فلما أعلمها به ، قالت : من أعلمك هذا ؟ قال : أنبأني العليم بكل شيء الذي لا تخفى عليه خافية .

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلُوبَةٍ
 مُؤْمِنَاتٍ قَلِيلَاتٍ تَيَبَّتْ عَدِيدَاتٍ سَبَّحَتْ ثِيَابُهَا بِأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
 نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
 نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾

٤ - ان ترجعا إلى الله نادمين فقد فعلتما ما يوجب التوبة ، لأنه قد مالت قلوبكما عما يحبه رسول الله من حفظ سره ، وإن تعاونا عليه بما يسوءه فإن الله هو ناصره وجبريل والمتصفون بالصالح من المؤمنين والملائكة بعد نصرة الله مظاهرون له ومعينون .

٥ - عسى ربه ان طلقن - أيها الزوجات - أن يزوجه بدلا منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة ، مصدقات بقلوبهن ، خاشعات لله ، رجاعات إلى الله ، متعبدات متذللات له ، ذاهبات في طاعة الله كل مذهب ، ثيبات وأبكارا .

٦ - يأيا الذين آمنوا : احفظوا أنفسكم وأهليكم من نار وقودها الناس والحجارة ، يقوم على أمرها وتعذيب أهلها ملائكة قساة في معاملتهم أقوياء ، يتقبلون أوامر الله ، وينفذون ما يؤمرون به ، غير متوانين .

٧ - يقال للكافرين يوم القيامة : لا تلتمسوا المعاذير اليوم ، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا .

٨ - يأيا الذين آمنوا : ارجعوا إلى الله من ذنوبكم رجعة بالغة في الإخلاص ، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئاتكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، يوم يرفع الله شأن النبي والذين آمنوا معه ، نور هؤلاء يسير أمامهم وهو بأيامهم ، يقولون - تقربا إلى الله - : يا سيدنا ومالك أمرنا ، أقم لنا نورنا ، حتى نهتدى إلى الجنة ، وتجاوز عن ذنوبنا إنك على كل شيء تام القدرة .

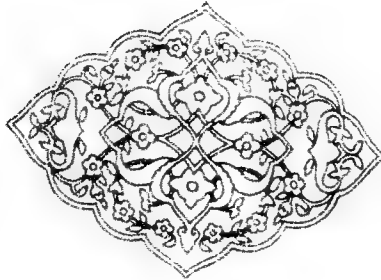
٩ - يأيا النبي : جاهد الكفار الذين أعلنوا كفرهم والمنافقين الذين أبطنوه بما تملكه من قوة وحجة . واشتد على الفريقين في جهادك ، ومستقرهم جهنم ، وبئس المآل مآلهم .

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتِينَ ﴿١٢﴾

١٠ - ذكر الله حالة عجيبة تعرف بها أحوال مماثلة للذين كفروا ، هي امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عصمة عبدین من خالص عبادنا صالحین ، فخانتاهما بالتآمر عليهما وافشاء سرهما إلى قومهما ، فلم يدفع هذان العبدان الصالحان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئاً ، وقيل للزوجتين عند هلاكهما : ادخلا النار مع الداخلين .

١١ - وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً من رحمتك بيتاً في الجنة ، وأنقذني من سلطان فرعون وعمله ، المسرف في الظلم ، وأنقذني من القوم المعتدين .

١٢ - وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنة عمران ، التي حفظت فرجها ، فنفخنا فيه من روحنا ، فحملت بغيري ، وصدقت بكلمات الله ، وهي أوامره ونواهيه وكتبه المنزلة على رسله ، وكانت من عداد الموابطين على طاعة الله .



(٦٧) سُورَةُ الْمُلْكِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاتُهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ
تَرَى مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ

السورة مسماة بسورة الملك أخذنا من كلمة الملك التي وقعت في أول آية منها ، وأهم مقاصد هذه السورة
الكريمة ، أنها توجه الافكار وتلفت الأنظار إلى آثار قدرة الله الباهرة في الأنفس والآفاق ، علوها وسفلها ، ليكون
ذلك سبيلا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وبيان حال الكافرين الذين يلقون في جهنم ، فيسمعون شهيقها ،
ويصلون نارها ، ويعترفون بذنبهم ، ويتحسرون على مصيرهم ، حين تبكهم الملائكة بعدم استجابتهم للرسول
فيما دعاهم إليه وأنذرههم به .

وأما من خافوا ربهم ، وآمنوا به ، فلهم مغفرة وعفو عما فرطوا ، وأجر كبير بما قدموا وبذلوا .

- ١ - تعالى وازدادت بركات من يملك وحده التصرف في جميع المخلوقات ، وهو على كل شيء تام القدرة .
- ٢ - الذي خلق الموت والحياة لغاية أرادها ، هي أن يختبركم أيكم أصح عملا وأخلص نية ، وهو الغالب
الذي لا يعجزه شيء ، العفو عن المقصرين .
- ٣ - الذي أبدع سبع سموات متوافقة على سنة واحدة من الإتقان ، ما ترى في صنع الله - الذي عمت رحمته
خلقه - أي تفاوت . فأعد بصرك ، هل تجد أي خلل ؟ !
- ٤ - ثم أعد البصر مرة بعد مرة يرجع إليك البصر مردودا عن إصابة ما التمس من عيب ، وهو متعب كليلا .

الدُّنْيَا بِمَصَدِّحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ^٥ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ^٦ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ^٨ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ عَزَازَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٩﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ

٥ - ولقد زيننا السماء القريبة التي تراها العيون بكواكب مضيئة ، وجعلناها مصادر شهب يرجم بها الشياطين ، وأعدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة (١) .

٦ - وللذين لم يؤمنوا برهم عذاب جهنم ، وساءت عاقبة لهم هذه العاقبة .

٧ ، ٨ - إذا طرحوا فيها سمعوا لها صوتا منكرا ، وهي تغل غليانا شديدا ، تكاد تنقطع وتتفرق من شدة الغضب عليهم ، كلما أُلقي فيها جماعة منهم سألهم الموكلون بها موبخين لهم : ألم يأتكم رسول يحذركم لقاء يومكم هذا ؟

٩ - قالوا مجيبين : قد جاءنا نذير فكذبناه ، وقلنا : ما نزل الله من شيء عليك ولا على غيرك من الرسل ما أنتم - أيها المدعون للرسالة - إلا في انحراف بعيد عن الحق .

١٠ - وقالوا : لو كنا نسمع سماع من يطلب الحق أو نفكر فيما ندعى إليه ، ما كنا في عداد أصحاب السعير .

١١ - فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم ، فبعدا لأصحاب السعير عن رحمة الله .

١٢ - إن الذين يخافون ربهم ، وهم لا يرونه ، لهم مغفرة لذنوبهم ، وثواب عظيم على حسناتهم .

(١) السماء كل ما علانا فأظننا ، وقال ابن سيده ، هي خضم الفضاء بما فيه من الأجرام والشهب . والصورة التي يراها سكان الأرض في الليالي الصافية هي القبة الزرقاء تزينها النجوم والكواكب وكأنها مصابيح كما ترى الشهب تهوى محترقة في أعالي جو الأرض . وما القبة الزرقاء إلا نتيجة لتلاق ضوء الشمس والنجوم مع دقائق الغبار العالقة في الهواء وجزيئات الهواء نفسه وتشتته بها . هذا فضلا عن الظواهر الضوئية الخاصة التي تزين السماء الدنيا مثل الشفق والفجر والأضواء البروجية وأضواء الشال أو الفجر القطبي وكلها ظواهر متباينة ترجع إلى تفاعل الضوء مع غلاف الأرض الجوى وبجائها المنعطف .

أَجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَلْحَنُ ۖ إِنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٍ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا

١٣ - وأخفوا قولكم أو أعلنوه ، فهما عند الله سواء ، لأنه عظيم الإحاطة ، عليم بخفايا الصدور .

١٤ - أليس يعلم الخالق لجميع الأشياء خلقه ، وهو العالم بدقائق الأشياء وحقائقها ؟ !

١٥ - هو الذي جعل لكم الأرض طيبة ميسرة ، فامشوا في جوانبها ، وكلوا من رزقه الذي يخرج لكم منها ، وإليه وحده البعث للجزاء .

١٦ - أأمنتم من في السماء سلطانه ، أن يقطع بكم الأرض ، فيفاجئكم أنها تضطرب اضطرابا شديدا ؟ !

١٧ - بل أأمنتم من في السماء سلطانه ، أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحصباء ؟ ! فستعلمون حينئذ هول وعيدى لكم .

١٨ - ولقد كذب الذين من قبل قومك رسولهم ، فعلى أى حال من الشدة كان إنكارى عليهم بإهلاكهم وأخذهم ؟ !

١٩ - أعموا ولم ينظروا إلى الطير فوقهم ، بأسطاط أجنحتهم ، ويقبضن حيناً بعد حين ما يسكنهن أن يقعن إلا الرحمن ؟ ! إنه بكل شيء عليم خبير ، يعطيه ما يصلح عليه أمره (١) .

(١) الصف هو أن يسط الطائر جناحيه دون أن يحركهما . وفي طيران الطيور آيات معجزات لم تفهم بعضها إلا بعد تقدم علوم الطيران ونظريات الحركة (الليناميكا) الهوائية ، ولكن أكثر ما يثير العجب هو أن يضي الطائر في الجو بجناحين ساكنين حتى يغيب عن الأبصار . وقد كشف العلم أن الطيور الصافة تركب متن التيارات الهوائية المساعدة التي تنشأ إما من اصطدام الهواء بعائق ما أو من ارتفاع أعمدة من الهواء الساخن ، فإذا ما كانت الريح هيئة ظلت الأعمدة قائمة وصفت الطيور في أشكال حلزونية ، أما إذا اشتدت انقلبت الأعمدة أفقيا فنصف الطيور في خطوط مستقيمة بعيدة المدى .

وتتحل الطيور عامة بمخصائص منها خفة الوزن ومثانة البناء وعلو كفاءة القلب ودورة الدم وجهاز التنفس ودقة اتزانها وانسياب أجسامها وهي خصائص أودعها فيها العليم البصير لتحفظها في الهواء حين تبسط جناحيها أو تقبضها ، إلا أن الطيور الصلابة تتميز على سائر الطيور باختصار حجم عضلات صدورهما مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها حتى تستطيع بسطها فترات طوال من جهد كبير .

أما الطيور صفار الأحجام ، التي تعتمد في طيرانها على الدفيف ، فإنها تضرب بجناحيها إلى أسفل وإلى الأمام لتوفير الدفع والرفع اللازمين لطيرانها ثم تقبض أجنحتها ولكنها تظل طائرة بقوة اندفاعها المكتسبة . وهكذا يتضافر البناء التشريحي والتكوين الهندسي للطيور بكافة أنواعها على طيرانها وحفظ توازنها وتوجيه أجسامها في أثناء الطيران .

فِي غُرُورٍ ۝ ٢٠ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝ ٢١ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ ٢٢ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ ٢٣ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ ٢٤ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ٢٥ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ ٢٦ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَبَعَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ۝ ٢٧ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝ ٢٨ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ ٢٩ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ۝ ٣٠

- ٢٠ - بل من هذا الذى هو قوة لكم يدفع عنكم العذاب سوى الرحمن ؟! ما الكافرون إلا فى غرور بما يتوهمون .
- ٢١ - بل من هذا الذى يرزقكم - بما تكون به حياتكم وسعادتكم - إن حبس الله رزقه عنكم ؟! بل تمادى الكافرون فى استكبارهم وشرودهم عن الحق .
- ٢٢ - أتنعكس الحال ، فمن يمشى متعثرًا ساقطًا على وجهه أهدى فى سيره وقصده ، أم من يمشى مستوياً القائمة على طريق لا اغوجاج فيه ؟!
- ٢٣ - قل : هو الذى أوجدكم من العدم ، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة التى هى أسباب عملكم وسعادتكم ، قليلاً ما تؤدون شكر هذه النعم لواهبها .
- ٢٤ - قل : هو الذى يترككم فى الأرض ، وإليه وحده تجمعون لحسابكم وجزائكم .
- ٢٥ - ويقول المنكرون للبعث : متى يتحقق هذا الوعد بالنشور ؟! نبشونا بزمانه إن كنتم صادقين ؟!
- ٢٦ - قل يا محمد : هذا علم اختص الله به ، وإنما أنا نذير بين الإنذار .
- ٢٧ - فلما عاينوا الموعود به قريباً منهم ، علت وجوه الكافرين الكآبة والذلة ، وقيل توبيخاً وإيلا ما لهم : هذا الذى كنتم تطلبون تعجيله .
- ٢٨ - قل : أخبروني إن أمانتى الله ومن معى من المؤمنين كما تتمنون ، أو رحمتنا فأخبر آجالنا وعافانا من عذابه ، فقد أنجانا فى الحالين ، فمن يمنع الكافرين من عذاب أليم استحقوه بكفرهم وغرورهم بأهتهم ؟!
- ٢٩ - هو الرحمن صدقنا به ولم تصدقوا وعليه - وحده - اعتمدنا ، واعتمدتم على غيره ، فستعلمون إذا نزل العذاب أى الفريقين هو فى انحراف بعيد عن الحق .
- ٣٠ - قل : أخبروني إن أصبح ماؤكم ذاهباً فى الأرض لا تصلون إليه بأى سبب ، فمن غير الله يأتىكم بماء طاهر متدفق يصل إليه كل من أراد ؟!

سُورَةُ الْقَلَمِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَمَانُونَ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ١ مَا أَنْتَ بِمُجْنُونٍ ٢ وَإِنْ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ٣ وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ٥ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ٦ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ٧ فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ٩ وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ

تضمنت هذه السورة الكريمة الدفاع عن رسول الله ﷺ، وبعث همته وتقوية عزيمته، ليبقى مستمسكا بالحق من غير ملالة فيه لأحد، وتشبيه ما وقع لأهل مكة من العذاب، بما وقع لأصحاب الجنة الذين جاءت قصتهم فيها، وتبشير المؤمنين بما لهم عند ربهم، وعدم التسوية بينهم وبين الكافرين، والإنكار على المكذبين فيما يدعونه لأنفسهم بغير حق، وتخويفهم بوصف حالهم في الآخرة، وتهديدهم، والنصح لرسول الله - ﷺ، بالصبر والاحتمال، وقد ختمت السورة بتمجيد القرآن الكريم.

- ١ - ن: حرف من حروف المعجم التي بدئت بعض السور بها، تحديا للمكذبين وتنبيها للمصدقين.
- ٢ - أقسم بالقلم الذي يكتب به الملائكة وغيرهم، وبما يكتبونه من الخير والمنافع، ما أنت - وقد أنعم الله عليك بالنبوة - بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي.
- ٣ - وإن لك على ما تلقاه في تبليغ الرسالة لثوابا عظيما غير مقطوع.
- ٤ - وإنك لمستمسك بمحاسن الصفات ومحاسن الأفعال التي فطرك الله عليها.
- ٥، ٦ - فعن قريب تبصر يا محمد، ويبصر الكافرون بأيكم الجنون.
- ٧ - إن ربك هو أعلم بمن حاد عن سبيله، وهو أعلم بالعقلاء المهتدين إليه.
- ٨، ٩ - فلا تترك ما أنت عليه من مخالفة للمكذبين، تمنوا لو تلين لهم بعض الشيء، فهم يلينون لك طمعا في تجاوبك معهم.

مَهِينٌ ١٠ هَمَزٌ مَشَاءٌ بِمَبِيرٍ ١١ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ١٢ عُنَى بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ١٣ أَنْ كَانَ
 ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٥ سَنَسِفُهُ عَلَى الْجُرُطُومِ ١٦ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا
 بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَنْبِئُونَ ١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ
 وَهُمْ نَائِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 صَٰرِمِينَ ٢٢ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ
 قَدِيرٍ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦ بَلْ لَّحْنُ مَحْرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ - ولا تترك ما أنت عليه من مخالفتك كل كثير الحلف ، حقير ، عياب ، مغتاب ، يقال
 للحديث بين الناس على وجه الإفساد بينهم ، شديد الصد عن الخير ، معتد ، كثير الآثام ، غليظ القلب جاف
 الطبع ، لئيم معروف بالشر ، فوق ماله من تلك الصفات الذميمة .
 ١٤ ، ١٥ - لأنه كان صاحب مال وبنين ، كذب بآياتنا وأعرض عنها ، إذا يتلى عليه القرآن قال : هذا
 قصص الأولين وخرافاتهم .

١٦ - سنجعل على أنفسه علامة لازمة ، ليكون مفتضحا بها أمام الناس .
 ١٧ ، ١٨ - إنا اخترنا أهل مكة بالإععام عليهم فكفروا ، كما اخترنا أصحاب الجنة حين حلفوا ليقطعن ثمار
 جنتهم مبكرين ، ولم يذكروا الله فيعلقوا الأمر بمشيئته .
 ١٩ ، ٢٠ - فزل بها بلاء شديد من ربك ليلا وهم نائمون ، فأصبحت كالليل المظلم مما أصابها .
 ٢١ ، ٢٢ - فنادى بعضهم بعضا عند الصباح ، أن بكروا مقبلين على حرثكم إن كنتم مصرين على قطع
 الثمار .

٢٣ ، ٢٤ - فاندفعوا وهم يتهايمسون متواصين ، ألا يمكن أحد منكم اليوم مسكينا من دخولها عليكم .
 ٢٥ - وساروا أول النهار إلى جنتهم ، على قصدهم السوء ، وهم في غاية القدرة على تنفيذه في زعمهم .
 ٢٦ ، ٢٧ - فلما رأوها سوادا محترقة قالوا مضطربين : إنا لضالون فاهذه بجنتنا . بل هي جنتنا ، ونحن
 محرومون .

نُسِيعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا
 إِنَّا كُنَّا طُغْيَانٌ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ
 أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
 مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَحْيَرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ
 عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا
 بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةً

٢٨ - قال أعد لهم وأخيرهم لانما لهم: ألم أقل لكم حين تواصيتهم بحرمان المساكين: هلا تذكرون الله فتعدلوا عن نيتكم!!

٢٩ - قالوا بعد أن ثابوا الى رشدهم نزه الله أن يكون قد ظلمنا بما أصابنا، إنا كنا ظالمين لسوء قصدنا.

٣٠، ٣١ - فأقبل بعضهم على بعض يلوم كل منهم الآخر، قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا مسرفين في ظلمنا.

٣٢ - عسى ربنا أن يعوضنا خيرا من جنتنا، إنا إلى ربنا وحده راغبون في عفوه وتعويضه.

٣٣ - مثل ذلك الذى أصاب الجنة، يكون عذابي الذى أنزله فى الدنيا بمن يستحقه، ولعذاب الآخرة أكبر لو كان الناس يعلمون ذلك

٣٤ - إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم الخالص.

٣٥، ٣٦ - أنظلم فى حكنا فنجعل المسلمين الكافرين؟! ماذا أصابكم؟! كيف تحكمون مثل هذا الحكم الجائر؟!

٣٧، ٣٨ - بل ألكم كتاب من الله فيه تقرأون! ان لكم فيه للذى تتخيرونه!

٣٩ - بل ألكم عهد علينا مؤكدة بالايمان باقية إلى يوم القيامة، ان لكم للذى تحكمون به؟!

٤٠ - سل المشركين يا محمد: أيهم بذلك الحكم كفيّل؟!

٤١ - بل ألهم من يشاركهم ويذهب مذهبهم فى هذا القول؟! فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين فى

دعواهم.

أَبْصَرُهُمْ تَرَهَّقُ هُمْ ذَلَّةً ۖ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٢، ٤٣ - يوم يشتد الأمر ويصعب، ويدعى الكفار إلى السجود - تعجيزا وتوبيخا - فلا يستطيعون، منكسرة أبصارهم، تفشاهم ذلة مرهقة، وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود وهم قادرين فلا يسجدون.
٤٤ - فدعنى - يا محمد - ومن يكذب بهذا القرآن، سندنيهم من العذاب درجة درجة من الجهة التي لا يعلمون أن العذاب يأتي منها.

٤٥ - وأمهلهم بتأخير العذاب، إن تديري قوى لا يفلت منه أحد.

٤٦ - بل أنسلهم أجرا على تبليغ الرسالة، فهم من غرامة كلفتهم إياها مثقلون ؟!

٤٧ - بل أعندهم علم الغيب فهم يكتبون عنه ما يحكون به !!

٤٨ - فاصبر لإمهالهم وتأخير نصرك عليهم، ولا تكن كيونس صاحب الحوت في العجلة والغضب على قومه، حين نادى ربه وهو مملوء غيظا وغضبا، طالبا تعجيل عذابهم.

٤٩ - لولا أن تداركته نعمة ربه بقبول توبته، لطرحت من بطن الحوت بالفضاء، وهو معاقب بزلته.

٥٠ - فاصطفاه ربه بقبول توبته، فجعله من الصالحين.

٥١ - وإن يكاد الكافرون ليزيلونك عن مكانك، ينظرون إليك عداوة وبغضا حين سمعوا القرآن، ويقولون: إنك لمجنون.

٥٢ - وما القرآن إلا عظة وحكمة وتذكير للعالمين.

(٦٩) سُورَةُ الْحَاقَّةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثِنْتَانِ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَجْمَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ

عرضت هذه السورة الكريمة لأحوال القيامة ، وذكرت بما أصاب الأمم السابقة من الهلاك والأخذ الشديد حين كذبوا ، وتحدثت عن النفخ في الصور ، وما يصيب الأرض والجبال والسماء من التغير والزوال ، وما يكون بعد ذلك من العرض للحساب ، وبشرت أصحاب اليمين بما يلقون من جزاء كريم ونعيم مقيم ، وأنذرت أصحاب الشمال والعذاب الأليم ، وختمت بالحديث عن صدق رسول الله - ﷺ - فيما بلغه ، وعن صدق القرآن الذي هو حق اليقين .

١ ، ٢ - القيامة الواقعة حقا ، ما القيامة الواقعة حقا ؟ !

٣ - وأى شيء أدراك حقيقتها ، وصور لك هولها وشدها ؟ !

٤ - كذبت ثمود وعاد بالقيامة التي تفرع العالمين بأهوالها وشدائدها .

٥ - فأما ثمود فأهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة .

٦ - وأما عاد فأهلكوا بريح باردة عنيفة متمردة .

٧ - سلطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابة لا تنقطع ، فترى في مهاب الريح موتى كأنهم أصول نخل خاوية أجوافها .

٨ - فهل ترى لهم من نفس باقية دون هلاك ؟ !

بِالْحَاطَةِ ٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرًّا فِي الْجَارِيَةِ ١١)
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
فُتُكًّا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى
أَرْجَائِهَا ١٧) وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ١٨) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ١٩) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ
كِتَابَهُ يَمِينًا ٢٠) فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ ٢١) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ٢٢) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٢٣)
فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٤) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٥) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٦) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ

٩ - وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التي كفرت ، والجباة المنصرفة عن الحق والفترة السليمة بالأفعال ذات الخطأ العظيم الفاحش .

١٠ - فعصت كل أمة من هؤلاء رسول ربهم ، فأخذهم بعقابه أخذه زائدة في الشدة .

١١ - أنا لما جاوز الماء حده ، وعلا فوق الجبال في حادث الطوفان ، حملناكم - بحمل أصولكم - في السفينة

الجارية .

١٢ - لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين واغراق الكافرين عبرة لكم وعظة ، وتحفظها كل أذن حافظة

لما تسمع .

١٣ ، ١٤ - فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، ورفعت الأرض والجبال عن موضعها ، فذكرنا مرة واحدة .

١٥ ، ١٦ - فيومئذ نزلت النازلة ، وانشقت السماء بزوال أحكامها ، فهي يومئذ ضعيفة بعد أن كانت محكمة

قوية .

١٧ - والملائكة على جوانبها ، ويحمل عرش ربك فوق هؤلاء الملائكة يومئذ ثمانية .

١٨ - يومئذ تعرضون للحساب ، لا يخفى منكم أى سر كنتم تكتُمونه .

١٩ - فأما من أعطى كتابه يمينه فيقول معلنا سروره لمن حوله : خذوا اقرءوا كتابي .

٢٠ - انى أيقنت فى الدنيا أنى ملاق حسابي ، فأعددت نفسى لهذا اللقاء .

٢١ - فهو فى عيشة يعمها الرضى .

٢٢ - فى جنة رفيعة المكان والدرجات .

٢٣ - ثمارها قريبة التناول .

٢٤ - كلوا واشربوا أكلا وشربا لا مكروه فيها ، ولا أذى منها ، بما قدمتم من الأعمال الصالحة فى أيام الدنيا

الماضية .

كَتَبَهُ بِشِمَالِهِ ۖ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ ۖ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ^(٢٧)
 مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ۖ خَذُوهُ فَعُغْلُوهُ ۖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ^(٢٨)
 ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۖ^(٢٩)
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۖ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ ۖ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۖ فَلَا أُقْسِمُ^(٣٠)
 بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۖ^(٣١)
 وَلَا يَقُولُ كَا هَٰئِنِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۖ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۖ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ^(٣٢)
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۖ وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرٌ

٢٥ ، ٢٦ - وأنا من أعطى كتابه بشماله فيقول ندما وحسرة : يا ليتني لم أعط كتابي ، ولم أعلم ما حسابي .

٢٧ - ياليت المنة التي متها كانت الفاصلة في أمري ، فلم أبعث بعدها .

٢٨ ، ٢٩ - ما نفعني شيء ملكته في الدنيا ، ذهبت عني صحتي ، وزالت قوتي .

٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ - يقال لحزنة جهنم : خذوه فاجمعوا يديه إلى عنقه ، ثم لا تدخلوه إلا نار المحسيم ، ثم في سلسلة بالغة الطول فاسلكوه .

٣٣ ، ٣٤ - انه كان لا يصدق بالله العظيم ، ولا يبحث أحدا على اطعام المسكين .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - فليس لهذا الكافر اليوم في الجحيم قريب يدفع عنه ، وليس له طعام إلا من غسالة أهل النار التي هي دم وقيع وصديد ، لا يأكله الا المذنبون المتعمدون المصرون .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - فلا أقسم بما تبصرون من المراتب وما لا تبصرون من عالم الغيب . ان القرآن لمن الله على لسان رسول رفيع المكانة .

٤١ - وما القرآن بقول شاعر كما تزعمون ، قليلا ما يكون منكم ايمان بأن القرآن من عند الله .

٤٢ - وما القرآن بسجع كسجع الكهان الذي تعهدون ، قليلا ما يكون منكم تذكر وتأمل للفرق بينها .

٤٣ - هو تنزيل ممن تعهد العالمين بالخلق والتربية .

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ - ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لأخذنا منه كما يأخذ الآخذ يمين من يجهز عليه للحال ، ثم لقطعنا منه نياط قلبه ، فيموت لساعته .

٤٧ - فليس منكم أحد - مهما بلغت قوته - يمحجز عقابنا عنه .

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

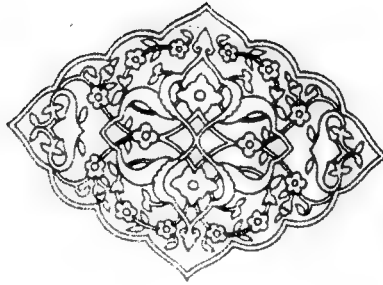
٤٨ - وأن القرآن لعظة للذين يمتثلون أوامر الله ، ويجتنبون نواهيه .

٤٩ - وأنا لنعلم أن منكم مكذبين بالقرآن .

٥٠ - وأنه لسبب في ندامة شديدة على الجاحدين به ، حين يرون عذابهم ونعيم المصدقين .

٥١ - وإن القرآن لحق ثابت لا ريب فيه .

٥٢ - فزه ربك العظيم ، ودم على ذكر اسمه .



(٧٠) سُورَةُ الْمَعَارِجِ مَكِينَةٌ
وَأَيَّاتُهَا الزَّانِبُ وَإِنِ يَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ② مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥ وَزَلَّهُ
قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ⑧ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ⑩

في هذه السورة الكريمة تهديد بيوم القيامة، وتخويف بطوله وما فيه من أهوال جسام وعذاب لا تقبل فيه فدية
بأبناء ولا صاحبة ولا أخ ولا فصيلة، بل لا يقبل فيه فدية بأهل الأرض جميعا.
وفيها نعى على الانسان ضعفه في حال الضراء والسراء، إلا من عصمهم الله بالتقوى والعمل الصالح،
فإنهم يسلمون من هذا الضعف.

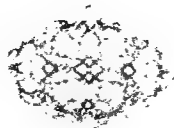
وفيها كذلك انكار على الكافرين في أطاعهم الفاسدة. وختامها وصية لرسول الله - ﷺ - بتركهم في
سفهم، ولعبيهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

١، ٢، ٣ - دعا داع - استعجلا على سبيل الاستهزاء - بعذاب واقع من الله للكافرين لا محالة، ليس
لذلك العذاب راد يصرفه عنهم، فوقوعه من الله صاحب السموات التي هي مصدر القهر القائم والحكم النافذ.

٤ - تصعد الملائكة وجبريل إلى مهبط أمره في يوم كان طوله خمسين ألف سنة من سنى الدنيا.

٥، ٦، ٧ - فاصبر - يا محمد - على استهزائهم واستعجالهم بالعذاب صبرا لا جزع فيه ولا شكوى منه. ان
الكفار يرون يوم القيامة مستحيلا لا يقع، ونراه هينا في قدرتنا غير متعذر علينا.

٨، ٩، ١٠ - يوم تكون السماء كالفضة المذابة، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش، ولا يسأل قريب
قريبه كيف حاله، لأن كل واحد منها مشغول بنفسه.



يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بَيْنِيهِ ⑪ وَصَلَحَتِهِ ⑫ وَأَخِيهِ ⑬ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تَقْوِيهِ ⑭ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑮ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْهَا لَطَى ⑯ تَزَاةً لِلشَّوَى ⑰ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ⑱
وَجَمَعَ فَأَوْعَى ⑲ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ⑳ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ㉑ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ㉒
إِلَّا الْمُصْلِينَ ㉓ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ㉔ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ㉕ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ㉖
وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الدِّينِ ㉗ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ㉘ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ㉙
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ㉚ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ㉛ فَمَنْ أَتَبَغَى
وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ㉜ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ㉝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ

١١، ١٢، ١٣، ١٤ - يتعارفون بينهم حتى يعرف بعضهم بعضا يقينا، وهو مع ذلك لا يسأله، يود الكافر لو

يفدى نفسه من عذاب يوم القيامة بينه وزوجته وأخيه وعشيرته التي تضمه وينتمى إليها، ومن في الأرض جميعا،
ثم ينجي هذا الفداء.

١٥، ١٦، ١٧، ١٨ - ارتدع أيها المجرم عما تتعناه من الافتداء، ان النار لهب خالص، شديدة الزرع ليدرك
ورجليك وسائر أطرافك، تنادى بالاسم من أعرض عن الحق، وترك الطاعة، وجمع المال فوضعه في خزائنه، ولم
يؤد حق الله فيه.

١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ - ان الانسان طبع على الهلع، شديد الجزع والسخط إذا مسه المكروه والعسر،
شديد المنع والحرمان إذا أصابه الخير واليسر، إلا المصلين الذين هم دائمون على صلاتهم فلا يتركونها في وقت من
الأوقات، فإن الله يعصمهم ويوفقهم إلى الخير.

٢٤، ٢٥ - والذين في أموالهم حق معين مشروع لمن يسأل المعونة منهم، ولمن يتعفف عن سؤالها.

٢٦، ٢٧، ٢٨ - والذين يصدقون بيوم الجزاء فيترودون له، والذين هم من عذاب ربهم خائفون فيبتقونه
ولا يقعون في أسبابه، ان عذاب ربهم غير مأْمُون لأحد أن يقع فيه.

٢٩، ٣٠، ٣١ - والذين هم حافظون لفروجهم فلا تغلبهم شهواتها، لكن على أزواجهم وامائهم
لا يحفظونها، لأنهم غير ملومين في تركها على طبيعتها، فن طلب متاعا وراء الزوجات والاماء فأولئك هم
المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ مَنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

٣٢، ٣٣، ٣٤ - والذين هم لأمانات الشرع وأمانات العباد وما التزموه لله وللناس حافظون غير خائنين ولا ناقضين، والذين هم بشهاداتهم قائمون بالحق غير كاثمين لما يعلمون، والذين هم على صلاتهم يحافظون فيؤدونها على أكمل الوجه وأفضله.

٣٥ - أصحاب هذه الصفات المحمودة في جنات مكرمون من الله تعالى.

٣٦، ٣٧، ٣٨ - أى شيء ثبت للذين كفروا إلى جهنك مسرعين ملتفين عن يمينك وشمالك جماعات ؟ ! أيطمع كل امرئ منهم وقد سمع وعد الله ورسوله للمؤمنين بالجنة أن يدخل جنة نعيم ؟ !

٣٩ - فليرتدعوا عن طمعهم في دخولهم الجنة، انا خلقناهم من ماء مهين.

٤٠، ٤١ - فلا أقسم برب المشارق والمغارب من الأيام والكواكب والهدايات، انا لقادرون على أن نهلكهم ونأق بمن هم أطوع منهم لله، وما نحن بعاجزين عن هذا التبديل^(١).

٤٢ - فاتركهم يحضوا في باطلهم، ويلعبوا بدينامهم، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب.

٤٣، ٤٤ - يوم يخرجون من القبور سراعاً إلى الداعي، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبدوه في الدنيا من دون الله يسرعون، ذليلة أبصارهم، لا يستطيعون رفعها، تغشاهم الحقارة والمهانة ذلك اليوم كانوا يوعدون به في الدنيا وهم يكذبون.

(١) قد يكون المراد بالمشارق والمغارب أقطار ملك الله على سمته التي لا تحد كما أشير في الآية ١٣٧ من سورة الأعراف: «وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها»، للدلالة على أرجاء الأرض المشار إليها. وقد يكون المراد أيضاً مشارق الشمس والقمر وكافة النجوم والكواكب ومغاربها جميعاً للدلالة أيضاً على ملك الله كله. وترجع ظاهرة شروق الأجرام السماوية وغروبها إلى دوران الأرض حول محورها من الغرب نحو الشرق ومن ثم تبدو لنا تلك الأجرام متحركة في قبة السماء على عكس ذلك الاتجاه مشرقة على الأفق الشرق وغاربة من الأفق الغربى، أو على الأقل دائرة من الشرق إلى الغرب حول النجم القطبي - في نصف الكرة الشمالي مثلاً - وإذا كان البعد القطبي للنجم أصغر من عرض مكان الراصد فالنجم لا يشرق ولا يغرب بل يرسم دائرة صغيرة وهمية حول القطب الشمالي، وبذلك تشير الآية كذلك إلى ساعات الليل - راجع قوله تعالى: «وعلامات والنجوم هم يهتدون». وظاهرة الشروق والغروب إشارة إذن إلى دوران كرة الأرض، هي نعمة كبرى من نعم الله على أحياء هذا الكوكب. فلو لا دوران الأرض حول محورها لتعرض نصفها لضوء الشمس مدة نصف سنة وحر من الضوء تماماً النصف الآخر، وهذا ما لا تستقيم معه الحياة كما نعهدها.

وإذا اقتصرنا عند ذكر المشارق والمغارب على تدبير الشمس وحدها دون سائر النجوم والكواكب، كانت هذه إشارة إلى التعدد اللانهائي لمشارق الأرض ومغاربها يوماً بعد يوم في كل موضع على سطح الأرض، أوحق في لحظة من لحظات الزمان تمر على الكرة الأرضية، فالشمس في كل لحظة غاربة عند نقطة ومشرقة في نقطة أخرى تقابلها. وهذا من محكم تدبير الله وإعجاز قدرته. (انظر أيضاً التعليق العلمى على الآية ٥ من سورة الصافات والآية ١٧ من سورة الرحمن).

(٧١) سُورَةُ نُوحٍ مَكِّيَّةٌ
وَإِنِّي أَنَا نوحٌ وَأَنبِيَائُهُمَا ثَمَانِينَ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْفَوُمَ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا لَكُمْ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيءَ إِذْنِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

فصلت هذه السورة الكريمة قصة نوح عليه السلام مع قومه، فتحدثت عن دعوته لهم جهرا، ثم سرا وجهرا، وقصت شكواه إلى الله من اعراضهم عنه وعنادهم له، وسجلت اصرارهم على عبادة الأصنام حتى استحقوا عذاب الله. ولما يس نوح عليه السلام من قبولهم الدعوة دعا عليهم بالهلاك والانقراض، ودعا لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات بالغفران.

١ - انا أرسلنا نوحا إلى قومه وقلنا له: أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب شديد الايلام.

٢، ٣، ٤ - قال نوح: يا قوم اني لكم نذير مبين رسالة ربكم بلغة تعرفونها، أن أطيعوا الله واخضعوا له في أداء الواجبات، وخافوه بترك المحظورات، وأطيعوني فيما أنصح لكم به، يغفر الله لكم ذنوبكم ويمد في أعماركم إلى أجل مسمى جعله غاية الطول في العمر، ان الموت إذا جاء لا يؤخر أبدا، لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمنتم.

٥، ٦ - قال نوح: رب اني دعوت قومي إلى الايمان ليلا ونهارا بلا فتور، فلم يزدني دعائي لهم الا هروبا من

طاعتك.

أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أُنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا

٧ - واني كلما دعوتهم إلى الايمان بك لتغفر لهم وضعوا أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا دعوتي ، وتغطوا بشياهم حتى لا يروا وجهي ، وأقاموا على كفرهم ، وتعظيوا عن اجابتي تعظي بالغا .

٨ ، ٩ - ثم اني دعوتهم إليك بصوت مرفوع ، ثم اني جهرت بالدعوة في حال ، وأخفيتها اخفاء في حال أخرى ، حتى أجرب كل خطئة .

١٠ ، ١١ ، ١٢ - فقلت لقومي : اطلبوا مغفرة الكفر والعصيان من ربكم ، انه لم يزل غفارا لذنوب من يرجع إليه ، يرسل السماء عليكم غزيرة الدر بالمطر ، ويمدكم بأموال وبنين هما زينة الحياة الدنيا ، ويجعل لكم بساتين تنعمون بجبالها وثمارها ، ويجعل لكم أنهارا تسقون منها زرعكم ومواشيكم .

١٣ ، ١٤ - ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته حتى ترجو تكريمكم بانجائكم من العذاب وقد خلقكم كرات متدرجة ، نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ولحمًا ؟ !

١٥ ، ١٦ - ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وجعل القمر في هذه السموات نورا ينبعث منها ، وجعل الشمس مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوئه ما يحتاجون إلى رؤيته .

١٧ ، ١٨ - والله أنشأكم من الأرض ، فنبت نباتا عجيبا ، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت ، ويخرجكم منها اخراجا محققا لا محالة .

١٩ ، ٢٠ - والله جعل لكم الأرض مبسطة لتذهبوا فيها طرقا واسعة .

٢١ ، ٢٢ - قال نوح : رب ان قومي عصوني فيما أمرتهم به من الايمان والاستغفار ، واتبع الضعفاء منهم من لم يزد ماله وولده الا خسرانا في الآخرة ، ومكر أصحاب الأموال والأولاد بتابعيهم من الضعفاء مكرًا بالغ النهاية في العظم .

كُبَارًا ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾ تَمَّا خَطِبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنْصَارًا ﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ
وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا
تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٩﴾

٢٣ ، ٢٤ - وقالوا لهم : لا تترك عبادة آلهتكم ، ولا تترك ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وكانت
أصناما منحوتة على صور مختلفة من الحيوان ، وقد أضل هؤلاء المتبعون كثيرا من الناس ، ولا تزد الظالمين
لأنفسهم بالكفر والعناد الا بعدا عن الحق .

٢٥ - بسبب ذنوبهم أغرقوا بالطوفان ، فأدخلوا عقب هلاكهم نارا عظيمة اللهب والاحراق فلم يجدوا لهم
من دون الله أنصارا يدفعون عنهم العذاب .

٢٦ - وقال نوح بعد يأسه من قومه : رب لا تترك على الأرض من الكافرين بك أحدا يدور في الأرض
ويدب عليها .

٢٧ - انك - يارب - ان تتركهم دون اهلاك واستئصال يوقعوا عبادك في الضلال ولا يلدوا الا مائلا عن
الحق شديد الكفر بك والعصيان لك .

٢٨ - رب اغفر عني وعن والدي اللذين كانا سببا في وجودي ، وعن من دخل بيتي مؤمنا بك ، وعن المؤمنين
والمؤمنات جميعا ، ولا تزد الكافرين إلا هلاكا .



(٧٢) سُورَةُ الْجِنِّ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا ثَمَانِيَانِ وَعِشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ

أمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه السورة الكريمة أن يبلغ الناس ما أوحى إليه من استماع الجن إلى قراءته ، واستجابتهم لدعوته ، وأخبارهم بما كان من سفهائهم وصالحيم ، وما كان من قعودهم لاستراق السمع ثم طردهم عنه الآن ، وعرضت آيات السورة للمستقيمين على طريقة الاسلام والمعرضين عنه ، وتحدثت عن خلوص المساجد والعبادة لله وحده ، وعن دعوة الرسول إلى الله ، والتفاف الجن حوله ، وحددت ما لا يملكه الرسول من الأمور وما يملكه ، وحذرت العاصين الله ورسوله من جهنم وخلودهم فيها .

وذكرت في ختامها أن الله مختص بعلم الغيب ، ويطلع عليه من يصطفيه من خلقه ليكون رسولا ويحفظ الوحي بحراس حتى يبلغه الناس تاما والله يعلمه كذلك .

١ ، ٢ - قل يا محمد لأمتك : أوحى الله إلي أن استمع إلى قراءتي جماعة من الجن ، فقالوا لقومهم : انا سمعنا قرآنا بديعا لم نسمع مثله من قبل ، يدعو إلى الهدى والصواب ، فأما بالقرآن الذي سمعناه ، ولن نشرك مع ربنا الذي خلقنا وربانا أحدا في عبادته .

٣ - وأنه تعالى قدر ربنا وعظمته ، ما اتخذ زوجة ولا ولدا .

٤ - وأنه كان يقول جاهلنا على الله قولا بعيدا عن الحق والصواب .

٥ - وأنا ظننا أن لن تنسب الانس والجن إلى الله ما لم يكن ويصفوه بما لا يليق به .

فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ٦) وَأَنْهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ٧) وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا ٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ ٩) فَنَ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا ١٠) وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشْرًا أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ١١) وَأَنَا مِنْ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ١٢) وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ١٣) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ١٤) فَنَ يُؤْمِنُ رَبِّهِ ١٥) فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ١٦) وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ١٧) فَنَ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ١٨) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٩) وَالْوَّاسِقُونَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ٢٠)

٦ - وأنه كان رجال من الانس يستجيرون برجال من الجن ، فزاد رجال الانس الجن طغيانا وسفها وجراً .

٧ - وأن الجن ظنوا كما ظننتم - معشر الانس - أن لن يبعث الله أحدا بعد الموت ، ولا رسولا من البشر اليهم .

٨ - وأنا طلبنا بلوغ السماء ، فوجدناها ملئت حرسا قويا من الملائكة وشهبا محرقة من جهتها .

٩ - وانا كنا قبل اليوم نقعد من السماء مقاعد لاستراق أخبار السماء ، فن يرد الاستماع الآن يجد له شهابا مترصدا ينتقض عليه فيهلكه .

١٠ - وأنا لا نعلم أعذاب أريد بمن في الأرض من حراسة السماء لمنع الاستماع ، أم أراد بهم ربهم خيرا وهدى ؟ .

١١ - وأنا منا الأبرار المتقون ومنا دون ذلك ، وهم قوم مقتصدون في الصلاح ، كنا ذوى مذاهب متفرقة .

١٢ - وأنا أيقنا أن لن نعجز الله أبنا كنا في الأرض ولن نعجزه هارين من قضائه نحو السماء .

١٣ - وأنا لما سمعنا القرآن آمنا به فن يؤمن بربه فلا يخاف نقصا من حسنة ، ولا ظلما يلحقه بزيادة سيئاته .

١٤ - وأنا منا المسلمون المقرون بالحق ومنا الحائدون عن طريق الهدى ، فن أسلم فأولئك قصدوا سبيل الحق مجتهدين في اختياره .

١٥ - وأما المجاثرون عن طريق الاسلام فكانوا لجهنم وقودا .

١٦ - وأنه لو سار الانس والجن على طريقة الاسلام ولم يجيدوا عنها ، لأسقيناها ماء كثيرا يعم أوقات الحاجة .

لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَإِنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾
قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾
إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أُدرِىَ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي

١٧ - لنختبرهم فيه كيف يشكرون الله نعمه عليهم ، ومن يعرض عن عبادة ربه يدخله عذابا شاقا لا يطيقه .

١٨ - وأوحى إلى أن المساجد لله وحده ، فلا تعبدوا مع الله أحدا .

١٩ - وأوحى إلى أنه لما قام عبد الله محمد في صلاته يعبد الله كاد الجن يكونون عليه جماعات ملتفة ، تعجبا مما رأوه وسمعوه .

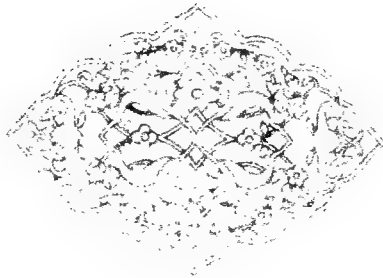
٢٠ - قل : إنما أعبد ربى وحده ، ولا أشرك به فى العبادة أحدا .

٢١ - قل : انى لا أملك لكم دفع ضر ولا تحصيل هداية ونفع .

٢٢ - قل : انى لن يدفع عنى عذاب الله احد أن عصيته ، ولن أجد من دونه ملجأ أفر إليه من عذابه .

٢٣ - لكن أملك تبليغا عن الله ورسالاته التى بعثنى بها ، ومن يعص الله ورسوله فأعرض عن دين الله فإن له نار جهنم باقين فيها أبدا .

٢٤ - حتى إذا أبصروا ما يوعدونه من العذاب ، فسيعلمون عند حلوله بهم من أضعف ناصرا وأقل عددا ، أهم أم المؤمنون ؟ .

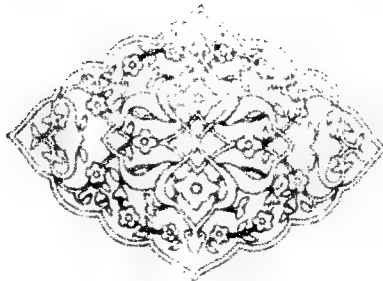


أَمَدًا ٢٥ عِلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ٢٧ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ٢٨

٢٥ - قل : ما أدرى - أيها الكافرون - أقرب ما توعدون من العذاب ، أم يجعل له ربي غاية بعيدة ؟

٢٦ ، ٢٧ - هو عالم الغيب ، فلا يطلع على غيبه أحدا من خلقه ، الا رسولا ارتضاه لعلم بعض الغيب ، فإنه يدخل من بين يدي الرسول ومن خلفه حفظة من الملائكة تحول بينه وبين الوسوس .

٢٨ - ليعلم الله ذلك واقعا موافقا لما قدره أن الأنبياء قد أبلغوا رسالات ربهم ، وقد علم تفصيلا بما عندهم ، وعلم عدد الموجودات كلها ، لا يغيب عنه شيء منها .



سُورَةُ الْمِزْمَلِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّيَّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفُهُ - أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ
سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

في هذه السورة أمر الله رسوله بقيام قدر كبير من الليل ، للصلاة وقراءة القرآن مرتلا فيها ، فقام هو وطائفة من الذين معه ، ثم خفف الله عنهم في آخرها ، وأمرهم بالصلاة والزكاة والصدقة والاستغفار .

وفي أثنائها أمره بالصبر على ما يقول المكذبون ، وتركهم لما أعدده الله لهم من العذاب ، وهدد الكافرين بمثل العذاب الذي وقع على فرعون ومن معه ، حين عصوا رسول ربهم ، وخوفهم ببعض أهوال القيامة .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - يأياها المتلف بثيابه ، قم الليل مصليا إلا قليلا ، قم نصف الليل أو أنقص من النصف قليلا حتى تصل إلى الثلث أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين وقرأ القرآن متمهلا مبينا الحروف والوقوف قراءة سالمة من أي نقصان .

٥ - انا سنلق عليك أيها الرسول قرآنا مشتملا على الأوامر والنواهي والتكاليف الشاقة .

٦ - ان العبادة التي تحدث بالليل ، هي أسد رسوخا في القلب ، وأبين قولا ، وأصوب قراءة من عبادة النهار . -

٧ - ان لك في النهار تقلبا في مصالحك ، واشتغالا بأمور الرسالة ، ففرغ نفسك ليلا لعبادة ربك .

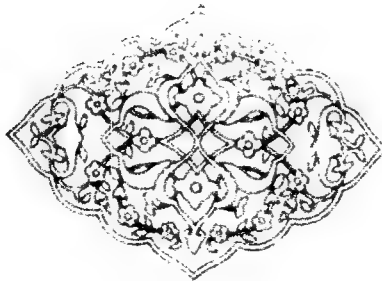
٨ - وأجر على لسانك ذكر اسم من تعهدك بالخلق والتربية ، وانقطع لعبادته من كل شيء انقطاعا تاما .

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦ فَكَيْفَ نُنْقِظُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝١٧ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝١٩ * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

- ٩ - هو مالك المشرق والمغرب ، لا معبود بحق إلا هو ، فاتخذهُ كافياً لأمرِك ، كفيلاً بما وعدك .
- ١٠ - واصبر على ما يقولون من الأباطيل ، وجانبهم بقلبك ، وخالفهم في أفعالهم ، مع الاغضاء عنهم ، وترك الانتقام منهم .
- ١١ - واطرقتي والمكذبين ، أصحاب النعيم ، وأمهلهم امهالاً قصير الأمد .
- ١٢ ، ١٣ - ان لدينا للمكذبين في الآخرة قيوداً ثقالاً ، ونارا محرقة ، وطعاماً ينشب في الحلق لا يستساغ ، وعذاباً شديداً لا يطاق .
- ١٤ - يوم تتحرك الأرض والجبال حركة شديدة ، وصارت الجبال رملاً مجتمعاً متناثراً ، بعد أن كانت حجارة صلبة متأسكة .
- ١٥ ، ١٦ - انا أرسلنا اليكم يا أهل مكة محمداً ، رسولا يشهد عليكم يوم القيامة بالإجابة والامتناع ، كما أرسلنا موسى إلى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ثقيلاً شديداً .
- ١٧ - فكيف تدفعون عنكم ان كفرتم ، عذاب يوم يجعل الشبان لهوله شيوخاً ضعافاً .
- ١٨ - السماء في قوتها وعظمتها ، شيء منشق في ذلك اليوم لشدته وهوله ، كان وعد الله واقعاً لا محالة .
- ١٩ - ان هذه الآيات الناطقة بالوعد موعظة ، فمن شاء الانتفاع بها اتخذ إلى ربه سبيلاً بالتقوى والخشية .

عَلِمَ أَنَّ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ
يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۚ وَءَاخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٢٠- ان ربك يعلم أنك تقوم يا محمد، أقل من ثلثي الليل أحياناً، وتقوم نصفه وثلثه أخرى، ويقوم طائفة من أصحابك كما تقوم، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار وضبط ساعاتها إلا الله، علم أنه لا يمكنكم احصاء كل جزء من أجزاء الليل والنهار، فخفف عليكم، فاقروا في الصلاة ما تيسر من القرآن، علم أنه سيكون منكم مريض، يشق عليهم قيام الليل وآخرون ينتقلون في الأرض للتجارة والعمل، يطلبون رزق الله، وآخرون يجاهدون في سبيل الله لاعلاء كلمته، فاقروا ما تيسر من القرآن وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم، وأقرضوا الله قرضاً حسناً، باعطاء الفقراء نافلة فوق ما وجب لهم، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله هو خيراً مما خلفتم وتركتم، وأجزل ثواباً، واستغفروا الله من فعل السيئات والتقصير في الحسنات ان الله غفور لذنوب المؤمنين، رحيم بهم.



(٧٤) سُورَةُ الْمِذْثَرِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا نَسَبَتْ وَخَمْسُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَذْثَرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ٨ فَذَلِكَ يَوْمٌ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ١٠ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤

حث هذه السورة الكريمة رسول الله ﷺ على انذار قومه وتعظيمه الله تعالى وترك مالا يصح أن يصدر منه وتحدثت عن نفخ الصور وشدة العذاب على الكافرين وأمرته ﷺ أن يترك من جحد فضله عليه ثم يطمع في الزيادة بدون اعتراف ولا شكر وبينت كيف كان تفكير ذلك الجاحد وانكاره للقرآن وفصلت كيف يكون عذابه في سقر التي وصفت بما يزعج ويخيف وذكرت الأنفس بما تكسب من خير أو شر وأخبرت عن حال أصحاب اليمين وتبكيهم للمجرمين بسؤالهم عما سلكهم في سقر وختمت بالحديث عن القرآن بأنه لمن شاء أن يتذكر وأن من تذكر به هم أهل التقوى وأهل المغفرة .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ - يا أيها المذثرف بشابه قم من مضجعك فاحذر الناس من عذاب الله ان لم يؤمنوا ، وخص ربك بالتعظيم ، وثيابك فطهرها بالماء عن النجاسة .

٥ ، ٦ ، ٧ - والعذاب فاترك ، أى دم على هجر ما يوصل الى العذاب ، ولا تعط أحداً مستكثراً لما تعطيه اياه ولرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي وكل ما فيه جهد ومشقة .

٨ ، ٩ ، ١٠ - فاذا نفخ في الصور فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين غير سهل ان يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب ، وغيرها من الأحوال .

١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - اتركنى وحدي مع من خلقته ، فاني أكفيك أمره ، جعلت له مالا مبسوطة واسعا غير منقطع ، وبين حضوراً معه وبسطت له الجاه والرياسة بسطة تامة ، ثم يطمع ان أزيده في ماله وبنيه وجاهه بدون شكر .

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ①٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ①٦ سَاهِقُهُ صُعُودًا ①٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ①٨ فَقَتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ①٩ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ②٠ ثُمَّ نَظَرَ ②١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ②٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ②٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ②٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ②٥ سَاصِلِيهِ سَقَرٌ ②٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ②٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ②٨ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ②٩ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ③٠ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ③١ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ③٢ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزدادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا ③٣ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ③٤ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ③٥ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ ③٦ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرُنَا لِلْبَشَرِ ③٧ كَلَّا وَالْقَمَرِ ③٨ وَاللَّيْلِ إِذَا دُبِرَ ③٩

١٦ ، ١٧ - ردعاً له عن طمعه انه كان للقرآن معانداً مكذباً سأغشيه عقبة شاقة ، لا يستطيع اقتحامها .

١٨ ، ١٩ ، ٢٠ - انه فكر في نفسه وهياً ما يقوله من الطعن في القرآن فاستحق بذلك الهلاك ، كيف هياً هذا الطعن ، ثم استحق الهلاك كيف أعد في نفسه هذا الطعن .

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ثم نظر في وجوه الناس ، ثم قطب وجهه وزاد في كلوحه ، ثم أعرض عن الحق وتعاضل أن يعترف به فقال : ما هذا الاسحر ينقل عن الأولين .

٢٥ - ما هذا الا قول الخلق تعلمه محمد وادعى أنه من عند الله .

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - سأدخله جهنم ليحترق بها ، وما أدراك ما جهنم ، لا تبقى لها ولا تترك عظماً الا احرقته ، مسودة لأعلى الجلد ، عليها تسعة عشر يلون أمرها وتعذيب أهلها .

٣١ - وما جعلنا خزنة النار الا ملائكة وما جعلنا عنهم تسعة عشر الا اختباراً للذين كفروا ليحصل اليقين للذين أوتوا الكتاب بأن ما يقوله القرآن عن خزنة جهنم انما هو حق من الله تعالى ، حيث وافق ذلك كتبهم ، ويزداد الذين آمنوا بحمد إيماناً ، ولا يشك في ذلك الذين اعطوا الكتاب والمؤمنون ، وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون . ما الذي أراد الله بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ، يمثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين ، وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتهم إلا هو سبحانه وتعالى ، وما سقر إلا تذكرة للبشر وتخويف لهم .

وَالصُّبْحَ إِذَا اسْفَرَفَ ۖ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۖ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۖ لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۚ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَنسَاءُ لُؤْلُؤٌ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَاسَلَكُكُمْ فِي سَفَرٍ ۖ قَالُوا لَرَنكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ وَلَرَنكَ نَظْعُ الْمُسْكِينِ ۖ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَاطِبِينَ ۖ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ۖ حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْيَقِينَ ۖ فَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ فَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكَةِ مُعْرِضِينَ ۖ كَانَهُمْ حُرٌّ مُّسْتَنْفِرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۖ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ۖ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ۖ فَن شَاءَ ذَكْرُهُ ۖ وَمَا يَذْكُرُونَ ۖ إِلَّا أَن يَسَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۖ

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - ردعاً لمن ينذر بها ولم يخف ، أقسم بالقمر وبالليل اذا ذهب ، وبالصبح اذا أضاء وانكشف أن سقر لأعظم الدواهي الكبرى انذاراً وتخويفاً .

٣٧ - انذار للبشر لمن يشاء منكم ان يتقدم الى الخير أو يتأخر عنه .

٣٨ ، ٣٩ - كل نفس بما عملت مأخوذة الا المسلمين الذين فكوا رقابهم بالطاعة .

٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ - هم في جنات لا يدرك وصفها ، يسأل بعضهم بعضاً عن المجرمين وقد سألوهم عن حالهم ، ما أدخلكم في سقر .

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ - قالوا لم نك من المصلين كما كان يصلى المسلمون ، ولم نك نطعم المسكين كما كان يطعم المسلمون ، وكنا نندفع ونتغص في الباطل والزور مع الخائضين فيه ، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء حتى أتانا الموت .

٤٨ - فا تغيثهم شفاعة الشافعين من الملائكة والنبين والصالحين .

٤٩ - فا لهم عن العظة بالقرآن منصرفين .

٥٠ ، ٥١ - كأنهم حمر شديدة النفار فرت من مطاردتها .

٥٢ - بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً من السماء واضحة مكشوفة تثبت صدق الرسول ﷺ .

٥٣ - ردعاً لهم عما أرادوا بل هم لا يخافون الآخرة فأعرضوا عن التذكرة وتفطنوا في طلب الآيات .

٥٤ ، ٥٥ - حقا ان القرآن تذكرة بليغة كافية ، فن شاء أن يذكره ولا ينسأه فعل .

٥٦ - وما يذكرون الا بمشيئة الله هو أهل لأن يلقى وأهل لأن يغفر لمن اتقاء .

(٧٥) سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا أَرْبَعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ يُحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ نَجْمَ عِظَامِهِ ۝ بَلَىٰ قَدِيرِينَ ۝ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۝ بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ

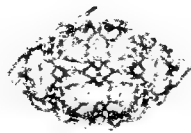
تحدثت هذه السورة الكريمة عن بعث الناس وحسابهم، وعن القيامة وأهوالها، ثم طمأنت الرسول ﷺ على جمع القرآن في صدره، ووجهت الردع إلى من يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، ووازنت بين وجوه المؤمنين الناضرة ووجوه الكافرين الباسرة، وتحدثت كذلك عن حال المهتضر، وما كان من تقصيره في الواجبات، حتى كأنه يظن أن لا حساب عليه، وختمت بالأدلة التي توجب الإيمان بالبعث.

١، ٢، ٣ - أقسم وأؤكد القسم بيوم القيامة - وهو الحق الثابت - وأقسم وأؤكد القسم بالنفس التي تلوم صاحبها على الذنب والتقصير: لتبعثن بعد جمع ما تفرق من عظامكم يحسب الإنسان - بعد أن خلقناه من عدم - أن لن نجتمع ما بلى وتفرق من عظامه.

٤ - بلى نجتمعها قادرين على نسوى مادق من عظام أصابعه، : فكيف بما كبر من عظام جسمه .

٥ - بل أينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره كلها ؟ ! .

٦ - يسأل مستبعدا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة ؟ ! .



الْبَصْرُ ٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ١٠)
 كَلَّا لَا وَزَرَ ١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ١٢) يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ١٣) بَلِ
 الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ١٥) لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
 وَقُرْآنَهُ ١٧) فَلِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ٢٠)
 وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ ٢٤) تَظُنُّ أَنْ

٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ - فإذا تحير البصر فزعا ودهشا ، وذهب ضوء القمر ، وقرن بين الشمس والقمر في الطلوع من المغرب ، يقول الإنسان يومئذ : أين الفرار من العذاب ؟ !

١١ ، ١٢ - ردعا لك - أيها الإنسان - عن طلب المفر ، لا ملجأ لك ، إلا إلى ربي - وحده - مستقر العباد من جنة أو نار .

١٣ - يخبر الإنسان يومئذ بما قدمه من عمل وما أخره .

١٤ ، ١٥ - بل الإنسان على نفسه حجة واضحة تلزمه بما فعل أو ترك ، ولو طرح معاذيره وبسطها لا يمكنه أن يتخلص منها .

١٦ ، ١٧ - لا تحرك بالقرآن لسانك حين الوحي لتعجل بقراءته وحفظه ، ان علينا جمعه في صدرك ، واثبات قراءته في لسانك .

١٨ ، ١٩ - فإذا قرأ عليك رسولنا فاتبع قراءته منصتا لها ، ثم ان علينا بعد ذلك لك بيانه اذا أشكل عليك شيء منه .

٢٠ ، ٢١ - ردعا لكم عن انكار البعث وهو حق ، بل انتم تحبون الدنيا ومتاعها ، وتتركون الآخرة ونعيمها .

٢٢ ، ٢٣ - وجوه يومئذ حسنة ناعمة ، الى رها ناظرة بدون تحديد بصفة أو وجهة أو مسافة .

٢٤ ، ٢٥ - وجوه يومئذ كالحة شديدة العبوس ، تتوقع أن يفعل بها ما هو في شدته داهية تقصم فقرات الظهر .

يُفْعَلُ بِهَا فَاقِرَةٌ ٢٥ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ٢٨ وَالْتَفَتِ
 السَّاقُ بِالسَّاقِ ٢٩ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ٣٠ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ٣١ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ٣٢
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ٣٣ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ٣٤ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأُولَى ٣٥ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
 سُدىً ٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ٣٨ فَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣٩ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ٤٠

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ - ردعاً لكم عن حب الدنيا التي تفارقونها اذا بلغت الروح عظام النحر ، وقال
 الحاضرون بعضهم لبعض : هل من راق يرقيه مما به ؟ وظن المحتضر ان الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة ،
 وبلغت به الشدة أقصاها ، والتوت احدى الساقين على الأخرى عند نزاع الروح ، الى ربك يومئذ مساق العباد ،
 اما الى الجنة واما الى النار .

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ - أنكر الانسان البعث فلا صدق بالرسول والقرآن ، ولا أدى لله فرائض الصلوات ، ولكن
 كذب القرآن ، فأعرض عن الايمان ، ثم ذهب الى أهله يمد ظهره متبخراً .

٣٤ ، ٣٥ - هلاك لك أيها المكذب فهلاك . ثم هلاك دائم لك فهلاك .

٣٦ - أيحسب هذا الانسان المنكر للبعث أن يترك مهملًا يرتفع في حياته ، ثم يموت ولا يبعث فيحاسب على
 عمله !!

٣٧ ، ٣٨ - ألم يك الانسان نطفة من منى يقدر تكوينه في الرحم ، ثم صار قطعة دم جامد ، فخلقه الله ،
 فسواه في أحسن تقويم ؟ !

٣٩ - فجعل منه الصنفين الذكر والأنثى .

٤٠ - أليس ذلك المبدع الفعال لهذه الأشياء بقادر على أن يحيي الموتى بعد جمع عظامهم ؟ !

(٧٦) سُورَةُ الْإِنْسَانِ مَلَانِيثُ
وَأَيَّانَهَا أَحَدَى وَثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا

تضمنت هذه السورة الكلام على خلق الانسان وابتلائه ، واستعداده لشكر الله أو كفره ، وأجلت الحديث عن جزاء الكافرين ، وفصلت النعم الذي تفضل الله به على المؤمنين ثم وجهت الخطاب الى رسول الله ﷺ ، وامتنت عليه بإنزال القرآن ، وأمرته بالصبر ودوام الطاعة ، وأنذرت من يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ، وتحدثت عن العظة بهذه الآيات . وعلقت الانتفاع بها بمشيئة الله تعالى ، وجعلت رحمة الله وعذابه خاضعين لحكمه ومشيبته .

١ - قد مضى على الانسان حين من الزمان قبل أن ينفخ فيه الروح ، لم يكن شيئاً يذكر باسمه ، ولا يعرف ما يراد منه .

٢ - انا خلقنا الانسان من نطفة ذات عناصر شتى ، مختبرين له بالتكاليف فيما بعد ، فجعلناه ذا سمع وذا بصر ، ليسمع الآيات ويرى الدلائل .

٣ - انا بينا له طريق الهدى : اما مؤمناً واما كافراً .

٤ - انا أعدنا للكافرين سلاسل لأرجلهم ، وأغلالاً لأيديهم وأعناقهم ، ونارا موقدة .

٥ ، ٦ - ان الصادقين في إيمانهم يشربون من خمر كان ما تخرج به ماء كافور ، عيناً يشرب منها عباد الله ، يجرونها حيث شاءوا اجراء سهلاً .

٧ - يوفون بما أوجبوا على أنفسهم ، ويخافون يوماً عظيماً كان ضرره البالغ فاشياً منتشراً كل الانتشار .

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لِيُوجِهَ اللَّهُ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ۝١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِعَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ۝١٨ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا

٨ - ويطعمون الطعام مع حبيهم له وحاجاتهم اليه فقيراً عاجزاً عن الكسب ، وصغيراً فقد أباه ، ومأسوراً لا يملك شيئاً .

٩ - ويقولون في أنفسهم : إنما نطعمكم لطلب ثواب الله ، لا نريد منكم عوضاً أو هدية ، ولا نريد منكم ثناء .

١٠ - انا نخاف من ربنا يوماً اشتد عبوس من فيه ، وقطبوا وجوههم وجباههم .

١١ ، ١٢ - فصانهم الله من شدائد ذلك اليوم ، واعطاهم بدل عبوس الفجار حسناً في وجوههم ، وبهجة وفرحاً في قلوبهم ، وجزاهم بصبرهم جنة ملكها هناء ، وملبسها حرير ناعم الملمس .

١٣ - متكئين في الجنة على السرر ، لا يجدون فيها حر شمس ، ولا شدة برد .

١٤ - وجنة وارفة عليهم ظلال أشجارها ، وسهل لهم أخذ ثمارها تسهيلاً .

١٥ ، ١٦ - ويطوف عليهم خدمهم بأوعية شراب من فضة ، وبأكواب كونت قواير شفافة ، قواير مصنوعة من فضة ، قدرها الساقون تقديرًا على وفاق ما يشتهي الشاربون .

١٧ ، ١٨ - ويسقي الأبرار في الجنة خمرًا كان ما تخرج به ما يشبه الزنجبيل في الطعم ، عيناً في الجنة تسمى - لسلامة شرايها وسهولة مساغه وطيبه - سلسيلاً .

١٩ - ويطوف عليهم للبهجة والسرور غلمان داعمون على حالهم ، إذا أبصرتهم عند طوافهم بخفة

ونشاط - حسبتههم لحسنهم وصفاء ألوانهم - لؤلؤاً منثوراً حولك مضيئاً .

كَبِيرًا ﴿٢١﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٣﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٥﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٨﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣٠﴾ وَمَا نَشَاءُ وَنَآلَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣١﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٢﴾

٢٠ - وإذا أبصرت أى مكان فى الجنة رأيت فيه نعيماً عظيماً وملكاً واسعاً.

٢١ - يعلوهم ثياب من حرير رقيق خضر، وثياب من حرير غليظ، وجعلت حلبيهم التى فى أيديهم أساور من فضة، وسقاهم رهم شراباً آخر طهوراً لا رجس فيه ولا دنس.

٢٢ - ان هذا النعيم أعد لكم جزاء لأعمالكم، وكان سعيكم فى الدنيا محموداً عند الله مرضياً ومقبولاً.

٢٣ - انا - برحمتنا وحكمتنا - نزلنا عليك القرآن على وجه يسكن به فؤادك، ويدوم به حفظك، فلا تنساه أبداً.

٢٤ - فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرتك على أعدائك، وابتلائك بأذاهم، ولا تطع من المشركين من هو ذا اثم أو مستغرقاً فى الكفر.

٢٥، ٢٦ - ودم على ذكر ربك، فصل الفجر بكرة، والظهر والعصر أصيلاً، ومن الليل فصل له المغرب والعشاء، وتهجد زمناً طويلاً من الليل.

٢٧ - ان هؤلاء الكفرة يحبون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، ويتركون خلف ظهورهم يوماً ثقيلاً كربه، شديداً هوله، فلم يعلموا ما ينجيهم من ذلك.

٢٨ - نحن خلقناهم وأحكنا خلقهم، واذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم ممن يطيع الله تبديلاً.

٢٩ - ان هذه السورة عظة للعالمين، فمن شاء اتخذ بالإيمان والتقوى الى ربه طريقاً يوصله الى مغفرته وجنته.

٣٠ - وما تشاءون شيئاً من الأشياء الا وقت أن شاء الله، ان الله كان عليماً بأحوالكم حكماً فيما يشاء ويختار.

٣١ - يدخل من يشاء فى جنته، فدخولها بفضله ورحمته، وأذل الظالمين هياً لهم عذاباً أليماً.

(٧٧) سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ
وَأَيُّهَا خَسِرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَصْفِ عَصْفًا ② وَالنَّشْرِ شَرًّا ③ فَالْفِرْقَتِ فِرْقًا ④ فَالْمُلْقِيَتِ ⑤ ذِكْرًا ⑥ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ⑦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑩ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ⑪ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ⑫ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑬ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑭ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑮ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑯ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ⑰ ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ ⑱ كَذَلِكَ نَفْعَلُ

أهم ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة الكلام عن البعث والقيامة واقامة الأدلة على وقوعها ، وتهديد من يكذب بها ، وتكرير ذلك التهديد بالويل عشر مرات ، وتخويفه بما يذوق من الذلة والعذاب ، وتبشير المتقين بما يلقونه من الرفاهة والنعيم وختامها الويل للكافرين الذي لا يؤمنون بالقرآن .

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ - أقسم بالآيات المرسل على لسان جبريل الى محمد للعرف والخير ، فالآيات القاهرة سائر الأديان الباطلة تنسفها نسفاً ، وبالآيات الناشرات للحكمة والهداية في قلوب العالمين نشرًا عظيمًا ، فالفارق بين الحق والباطل فرقاً واضحاً ، فالملقيات على الناس تذكرة تنفعهم - إذاراً لهم وانذاراً فلا تكون لهم حجة : ان الذي توعده من مجيء يوم القيامة لنازل لا ريب فيه .

٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ - فإذا النجوم محقت ذواتها ، وإذا السماء شقت ، وإذا الجبال فتتت ونسفتها الرياح نسفاً ، وإذا الرسل عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم .

١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - لأي يوم أخرت هذه الأمور العظيمة ؟ ليوم يكون فيه الفصل بين الخلائق ، وما أعلمك ما شأن يوم الفصل ؟ هلاك دائم يومئذ للمكذبين بما أوعدهم به الرسل .

١٦ ، ١٧ ، ١٨ - ألم نهلك الأولين من الأمم المكذبة ، ثم تنبع الأولين الآخرين في الهلاك مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وكفر بالله .

بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَى قَدِيرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شُعْبٍ ۝ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ رَاكِلَيْهِ ۝ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكَ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِنْ كَانَ لَكُم كَيْدٌ فَكِيدُوا ۝ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَكَهٍ مِّمَّا يَسْتَهْوُونَ ۝ كُلُوا

١٩ - هلاك يومئذ للمكذبين بما أوعدنا .

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ - ألم تخلقكم من ماء حقير وهو النطفة ، فجعلنا هذا الماء في مقر يتمكن فيه ، فيتم خلقه وتصويره مؤخراً الى وقت قد علمه الله ، فقد رنا على خلقه وتصويره واخراجه ، فنعم المقدرون الخالقون له نحن ؟! ويل يومئذ للمكذبين بنعة الخلق والتقدير .

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ - ألم نجعل الأرض ضامة على ظهرها أحياء لا يعدون ، وفي بطنها أمواتاً لا يحصرون ، وجعلنا فيها جبلاً ثوابت عاليات ، وأسقيناكم ماء عذبا سائغا ؟! هلاك يومئذ للمكذبين بهذه النعمة .

٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ - يقال للكافرين يوم الفصل : سيروا الى النار التي كنتم بها تكذبون ، سيروا الى حرارة دخان من جهنم يتشعب لعظمه ثلاث شعب ، لا مظل من حر ذلك اليوم ، ولا يغني ذلك الظل من حر اللهب شيئا .

٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ - ان النار ترمي بما تطاير منها كالقصر في العظم ، كأن الشرر جمال سود تضرب الى الصفرة ، هلاك يومئذ للمكذبين بأن هذه صفتها .

٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ - هذا الذي قص عليكم انه واقع يوم لا ينطقون بشيء ينفعهم ، ولا يكون لهم اذن في النطق ، ولا يصدر منهم اعتذار لأنه لا عذر لهم ، هلاك يومئذ للمكذبين بهذا اليوم .

٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ - هذا يوم الفاصل بين الحق والمبطل بجزاء كل بما يستحقه ، جعلناكم .. يا مكذبي محمد - والأولين المكذبين مثلكم ، فان كان لكم حيلة في دفع هذا العذاب عنكم فاحتالوا ، فأحضروا وتحلصوا من عذابي ، هلاك يومئذ للمكذبين بوعيد الله .

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ - ان المتقين من عذاب الله في ظلال عظيمة ، وعيون جارية ، وفواكه مما يستلذون ويستطيبون ، مقولاً لهم تحية وتكريماً : كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات ، انا مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين ، هلاك يومئذ للمكذبين بالجنة .

وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٥١﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾

٤٦ ، ٤٧ - ويقال للكافرين : كلوا وتمتعوا متاعاً ليس له بقاء ، انكم مجرمون باسراكم بالله . هلاك يومئذ للمكذبين بالنعم .

٤٨ ، ٤٩ - واذا قيل لهم : صلوا لله ، واخشعوا اليه ، لا يخشعون ولا يصلون ، بل يصرون على استكبارهم . هلاك يومئذ للمكذبين بأوامر الله ونواهيهِ .

٥٠ - فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون ان لم يؤمنوا بالقرآن ، مع انه معجزة من السماء ؟ !



(٧٨) سُورَةُ النَّبَاكِتْ وَأَنبَايَاتُهَا زَجْرَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

قررت هذه السورة أمر البعث، وهددت المرتابين فيه، وأقامت الأدلة على امكانه بما عرضت من مظاهر القدرة، وأكدت حصوله، وذكرت بعض علاماته، ثم ذكرت مآل الطاغين ومآل المتقين، وختمت بالانذار والتخويف من هذا اليوم الرهيب.

- ١ - عن أى شيء يسأل هؤلاء المجاهدون بعضهم بعضاً ؟
- ٢ ، ٣ - عن الخبر العظيم، خبر البعث الذى هم موغلون فى الاختلاف فيه بين منكر له وشاك فيه.
- ٤ - زجراً لهم عن هذا التساؤل سيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمراً واقعاً.
- ٥ - ثم زجراً لهم، سيعلمون ذلك عندما يحل بهم النكال.
- ٦ - ألم يروا من آيات قدرتنا أننا جعلنا الأرض ممهدة للاستقرار عليها والتقلب فى أنحائها !!
- ٧ - وجعلنا الجبال أوتاداً للأرض تثبتها (١).
- ٨ - وخلقناكم مزدوجين ذكوراً وإناثاً.

(١) يبلغ سمك الجزء الصلب من القشرة الأرضية نحو ٦٠ كيلومتراً، وتكثر فيه التجاويف فيرتفع حيث الجبال وينخفض ليكون بطون البحار وقيعان المحيطات، وهو فى حالة من التوازن بسبب الضغوط الناتجة من الجبال ولا يختل هذا التوازن إلا بعوامل التعرية، فقشرة الأرض اليابسة ترسيبها الجبال كما ترسي الأوتاد الخيمة.
(يراجع التعليق العلمى على الآية ٧ من سورة ق) .

سُبَاتًا ٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥) وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتُنَا ١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٩) وَسُيِّرَتِ

- ٩ - وجعلنا نومكم راحة لكم من عناء العمل^(١).
- ١٠ - وجعلنا الليل ساتراً لكم بما يغطيكم من ظلمته.
- ١١ - وجعلنا النهار وقت سعى لكم، لتحصيل ما به تعيشون.
- ١٢ - وأقمنا فوقكم سبع سموات قويات محكمات.
- ١٣ - وأنشأنا شمساً مضيئة متوقدة^(٢).
- ١٤ - وأنزلنا من السحب التي حان أمطارها ماء قوى الانصباب^(٣).
- ١٥ - لنخرج بهذا الماء حباً ونباتاً غذاء للناس والحيوان.
- ١٦ - وبساتين ذات أشجار ملتفة متشابكة الأغصان.
- ١٧ - ان يوم الفصل بين الخلائق كان ميعاداً مقدراً للبعث.
- ١٨ - يوم ينفخ في الصور للبعث، فتأتون الى المحشر جماعات جماعات.
- ١٩ - وشققت السماء من كل جانب فصارت أبواباً.

(١) النوم هو توقف نشاط الجزء المدرك الواعي من المخ - أي قشرته أو هبوط ذلك النشاط هبوطاً كبيراً متفاوت الدرجات في نشاط كافة أعضاء الجسم وأنسجته مما يترتب عليه انخفاض في توليد طاقة الجسم وحرارته - ثم يأخذ الجسم أثناء النوم نصيباً من الهدوء والراحة بعد عناء المجهودات العضلية أو العصبية أو كليهما، فتهدأ جميع وظائف الجسم الحيوية، ما عدا عمليات الهضم وإفراز البول من الكليتين والعرق من الجلد فإن في وقف هذه العمليات الأخيرة ضرراً على حياة الفرد أما التنفس مثلاً فيبطئ ويصير أكثر عمقا ويغدو صدريا أكثر منه بطنياً، وتبطئ سرعة النبض ويقل مقدار ما يدفعه من القلب من كل ضربة، ويضعف توتر العضلات ويصير من الصعب الحصول على الحركات العكسية وكل هذا بسبب الراحة للانسان أثناء نومه.

(٢) المراد بالسراج الوهاج: الشمس، وذلك كما ثبت علمياً من أن درجة حرارة سطحها المشع تبلغ ٦٠٠٠ درجة مطلقاً، أما المركز فتزيد فيه درجة الحرارة على ٣٠ مليون درجة بسبب ما تعانيه المواد فيه من الضغوط العالية، وتشتع الشمس النسب الآتية من الطاقات ٩٪ أشعة فوق البنفسجية، ٤٦٪ أشعة ضوئية، ٤٥٪ أشعة حرارية، وأتحت الحمراء، ولذلك عبرت عنها الآية الكريمة بالسراج الذي يطلق للضوء والحرارة معاً.

(٣) المطر هو المصدر الوحيد للماء العذب على الأرض. والأصل في المطر تكاثف أبخرة المياه المتصاعدة من المحيطات والبحار ونحوها على شكل سحب وتحولها إلى نقط من الماء أو بلورات من الثلج أوهما معاً، وتتساقط هذه المكونات عندما تزداد حجوماً على هيئة مطر أو برد.

الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۚ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۚ لِلطَّغْيِينِ مَعَابًا ۚ لَّيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۚ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۚ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا ۚ جَزَاءُ وِفَاقًا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۚ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۚ فَذُوقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۚ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۚ حَدَاقًا وَاعْتِبَاءً ۚ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۚ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۚ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۚ جَزَاءُ مَن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ۚ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ۚ

٢٠ - وسيرت الجبال بعد قلعها من مقارها وتفتتها، فصارت تريك صورة الجبال وهي غبار متكاثف، كالسراب يريك صورة الماء وليس بماء.

٢١ - ان جهنم كانت موضع رصد يترقب منه الخزنة أهلها.

٢٢ - للمعتدين حدود الله مرجعاً ونزلاً.

٢٣ - ماكنين فيها دهوراً متتابعة.

٢٤ - لا يذوقون فيها نسيماً ينفس عنهم حرها، ولا شراباً يسكن عطشهم فيها.

٢٥ - لكن يذوقون ماء بالغاً للغاية في الحرارة، وصديداً يسيل من جلود أهلها.

٢٦ - جزاء موافقاً لأعمالهم السيئة.

٢٧ - انهم كانوا لا يتوقعون الحساب، فيعملوا للنجاة منه.

٢٨ - وكذبوا بآيات الله الدالة على البعث تكذيباً شديداً.

٢٩ - وكل شيء ضبطناه كتابة.

٣٠ - فذوقوا، فلن يكون لكم منا الا مزيد من عذاب شديد.

٣١ - ان للذين يتقون رهم نجاة من العذاب وظفراً بالجنة.

٣٢ - حدائق منمرة وأغنائاً طيبة.

٣٣ - وعذارى نواهد متائلات في السن.

٣٤ - وكأساً ممتلئة صافية.

٣٥ - لا يسمعون في الجنة لغواً من القول ولا كذباً.

٣٦ - جزاء عظيماً من ربك، تفضلاً منه واحساناً كافياً.

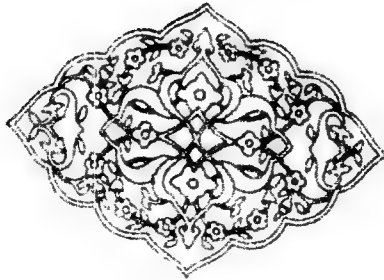
٣٧ - رب السموات والأرض وما بينها، الذي وسعت رحمته كل شيء، لا يملك أحد حق مخاطبته.

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ
فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ
يَلْبِثَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴿٤٠﴾

٣٨ - يوم يقوم جبريل والملائكة مصطفىين خاشعين ، لا يتكلم أحد منهم الا من اذن له الرحمن بالكلام .
ونطق بالصواب .

٣٩ - ذلك اليوم الذي لا شك فيه ، فمن شاء اتخذ الى ربه مرجعاً كريماً بالايان والعمل الصالح .

٤٠ - انا حذرناكم عذاباً قريباً وقوعه ، يوم ينظر المرء ما قدمت يده من عمل ، ويقول الكافر متمنياً
الخلاص : يا ليتني بقيت تراباً بعد الموت ، فلم أبعث ولم أحاسب .



(٧٩) سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا سُنَّتِ وَارِيعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ٢ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْعًا ٣ فَالْسَّيِّغَاتِ سَبْقًا ٤ فَالْمَدْبِرَاتِ ٥
أَمْرًا ٦ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ٧ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ٨ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ٩ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ١٠ يَقُولُونَ
أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ١١ أءَا كُنَّا عِظْمًا تَنَحَّرَةً ١٢ قَالُوا بَلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٣ فَلِئَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ

بدئت هذه السورة بالقسم على إمكان البعث ووقوعه، وعقبت ذلك بالحديث عن موسى وفرعون تسلية لرسول الله ﷺ، وذكرت الانسان بسعيه، وأبرزت ما ينتظر الطغاة وما ينتظر المحائنين، وختمت السورة بتساؤل المشركين عن وقت الساعة، وبيان أن وظيفة الرسول انذار من يحشاها لا علم وقتها.

- ١ - أقسم بكل ما أودعت فيه قوة نزع الأشياء من مقارها بشدة.
- ٢ - وبكل ما أودعت فيه قوة اخراج الأشياء في خفة ولين.
- ٣ - وبكل ما أودعت فيه السرعة في تأدية وظائفه بسهولة ويسر.
- ٤ - فالسابقات التي تسبق في اداء ما وكل اليها سبقا عظيما.
- ٥ ، ٦ ، ٧ - فالمدبرات التي تدبر الأمور وتصرفها بما أودع فيها من خصائص، لتقومن الساعة يوم تزلزل النفخة الأولى جميع الكائنات، وتتبعها النفخة الثانية التي يكون معها البعث.
- ٨ - قلوب في ذلك اليوم فزعة خائفة.
- ٩ - أبصار أصحابها حزينة ذليلة.
- ١٠ - يقول هؤلاء في الدنيا منكبين للبعث: أنرد بعد الموت الى الخلقة الأولى كما كنا؟!
- ١١ - أنذا صرنا عظاما بالية نرد ونبعث من جديد؟
- ١٢ - قالوا - منكبين - مستهزئين - تلك الرجعة ان وقعت رجعة خاسرة، ولسنا أهل خسران.

وَاحِدَةً ١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٦
 أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٧ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَكَنِي ١٨ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ١٩
 فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَى ٢١ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى ٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ
 الْأَعْلَى ٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ٢٥ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ٢٦ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ
 السَّمَاءُ بَنَاهَا ٢٧ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ٢٩ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ٣٠

١٣ ، ١٤ - لا تحسبوا الرجعة عسيرة، فإنما هي صبيحة واحدة، فإذا الموق حضور بأرض المحشر.

١٥ ، ١٦ - هل أتاك - يا محمد - حديث موسى، حين ناداه ربه بالوادي المطهر، المسمى «طوى».

١٧ - اذهب الى فرعون، الذي جاوز الحد في الظلم.

١٨ - فقل هل لك ميل الى أن تتطهر؟

١٩ - وارشدك الى معرفة ربك، فتخشاه.

٢٠ - فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى.

٢١ - فكذب فرعون موسى فيما جاء به، وعصاه فيما دعاه اليه.

٢٢ - ثم تولى عنه يجتهد في معارضته.

٢٣ ، ٢٤ - فجمع السحرة، ودعا الناس فقال: أنا ربكم الأعلى.

٢٥ - فعذبه الله عذاب المقالة الآخرة: وهى أنا ربكم الأعلى، وعذاب المقالة الأولى: وهى تكذيبه لموسى عليه السلام.

٢٦ - إن فى ذلك الحديث لعظة لمن يخاف الله.

٢٧ ، ٢٨ - أخلقكم أيها المنكرون للبعث أمتق أم خلق السماء؟! ضم أجزاءها المتفرقة بعضها الى بعض، رفع جرمها فوقنا، فجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا خلل.

٢٩ - وأظلم ليلها وأظهر نهارها.

٣٠ - والأرض بعد ذلك بسطها ومهدا لسكنى أهلها.

أُخْرِجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ٣١ وَالْجِبَالُ أُرْسِنَتْ ٣٢ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَكُمْ ٣٣ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ
الْكُبْرَى ٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ٣٥ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ٣٦ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٧
وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤٠
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ٤٢ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنْتَهَاهَا ٤٤ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَحْشَاهَا ٤٥ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ٤٦

٣١ - أخرج منها ماءها بتفجير عيونها واجراء أنهارها ونباتها ليقنت به الناس والدواب .

٣٢ - والجبال ثبتها .

٣٣ - متاعا لكم ولانعامكم .

٣٤ - فاذا جاءت القيامة التي تعم أحوالها .

٣٥ - يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير أو شر .

٣٦ - وأظهرت الجحيم اظهارا بينا ، يراها كل ذى بصر وقع الجزاء .

٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ - فأما من تجاوز الحد بعصيانه ، واختار لنفسه الحياة الفانية ، فإن النار المتأججة في مهواة هي المنزل لا غيرها .

٤٠ ، ٤١ - وأما من خاف عظمة ربه وجلاله ، وكف نفسه عن الشهوات ، فإن دار النعيم هي المنزل لا غيرها .

٤٢ - يسألونك - يا محمد - عن الساعة متى وقوعها ؟

٤٣ - ليس علمها اليك حتى تذكرها لهم .

٤٤ - الى ربك منتهى علمها لا الى غيره .

٤٥ - إنما واجبك انذار من يخاف لا الاعلام بوقتها .

٤٦ - كأنهم يوم يشاهدونها لم يلبثوا في الدنيا الا مقدار عشية أو ضحاها .

(٨٠) سُورَةُ عَبَسَ بِكَرِيمٍ وَأَيُّهَا شَذَنَاتُ وَارْجِعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ٣ أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى ٤ أَمَّا مَنْ
أَسْتَفْنَى ٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكُبَى ٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨ وَهُوَ يَحْشَى ٩
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ١٢ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ١٤

بدأت هذه السورة بعتاب النبي - ﷺ - على ما كان من اعراضه عن ابن أم مكتوم، حين جاءه راغبا في العلم والهداية، وقد كان النبي - ﷺ مشغولا بدعوة سادة قريش، رجاء أن يستجيبوا له، فيسلم باسلامهم خلق كثير. ثم ذكرت الانسان بنعم الله عليه منذ نشأته الى نشوره، وختمت بالحديث عن يوم القيامة، مبينة أن الناس فيه فرقان: مؤمنة مستبشرة، وكافرة فاجرة.

- ١ - تغير وجهه كارها وأعرض.
- ٢ - لأن جاءه الأعمى يسأل عن أمر دينه.
- ٣ - وما يدريك لعل هذا الأعمى يتطهر بما يتلقاه عنك.
- ٤ - أو يتعظ فتتنفع العظة.
- ٥، ٦ - أما من استغنى بثروته وقوته، فأنت تقبل عليه، وتهتم بتبليغه دعوتك.
- ٧ - وأى شئ عليك إذا لم يتطهر بالايمان؟
- ٨، ٩، ١٠ - وأما من جاءك يسرع لطلب العلم والهداية، وهو يخاف الله فأنت عنه تتشاغل.
- ١١ - حقا ان هذه الآيات عظة.
- ١٢ - فمن شاء اتعظ بالقرآن.
- ١٣ - هو في صحف مكرمة عند الله.
- ١٤ - عالية القدر والمكانة، منزهة عن كل نقص.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑩ كَرَامٍ بَرَّةٍ ⑪ قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ⑫ مِنْ أَيْ شَيْءٍ وَخَلَقَهُ ⑬ مِنْ نُطْفَةٍ
 خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ⑭ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ⑮ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ⑯ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ⑰ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
 مَا أَمَرُهُ ⑱ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ⑲ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ⑳ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ㉑
 فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ㉒ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ㉓ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ㉔ وَحَدَاقٍ غُلْبًا ㉕ وَفُكْهَةً وَأَبًّا ㉖

١٥ - بأيدي ملائكة جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله .

١٦ - أخيار محسنين .

١٧ - هلاكا للانسان ، ما أكفره مع احسان الله اليه !!

١٨ - أما يذكر من أى شئ خلقه ؟ !

١٩ - من ماء مهين ، بدأ خلقه فقدره أطوارا .

٢٠ - ثم الطريق الى الايمان يسره له ، وأعلمه به .

٢١ - ثم أماته ، فكرمه بأن يقبر .

٢٢ - ثم إذا شاء أحياء بعد الموت .

٢٣ - حقا لما يقض الانسان - مع امتداد حياته فى الدنيا - ما أمره الله به من الايمان والطاعة .

٢٤ - فليتأمل الانسان شأن طعامه ، كيف دبرناه ويسرناه !!

٢٥ - إنا انزلنا الغيث من السماء انزالا .

٢٦ - ثم شققنا الأرض بالنبات شقا .

٢٧ - فأنبثنا فيها حبا يقتات به الناس ويدخرونه .

٢٨ - وعنبا ونباتا يؤكل رطباً .

٢٩ - وزيتونا طيبا ، ونخلا مثمرا .

٣٠ - وحدائق ملتفة الأغصان .

٣١ - وثمارا يتفكه بها ، وعشبا تأكله البهائم .

مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلْبَتِهِ
وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَibrَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

٣٢ - أنبتنا ذلك متاعا لكم ولأنعامكم .

٣٣ - فإذا جاءت صبيحة القيامة التي تصم الأذان .

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - يوم يهرب المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وزوجته وبنيه .

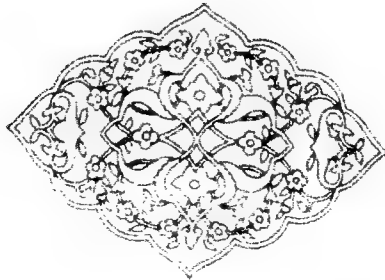
٣٧ - لكل امرئ من هؤلاء في هذا اليوم شأن يشغله .

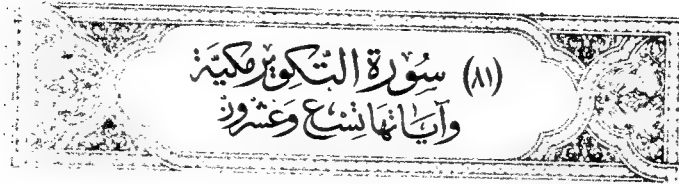
٣٨ ، ٣٩ - وجوه في هذا اليوم مضيئة مشرقة مسرورة بنعيم الله .

٤٠ - ووجوه في هذا اليوم عليها غبار وكدورة .

٤١ - تغشاها ظلمة وسواد .

٤٢ - أولئك أصحاب هذه الوجوه الكفرة الفجرة ، الذين لا يبالون ما ارتكبوا من المعاصي .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ❶ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ❷ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ❸ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ❹
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ❺ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ❻ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ❼ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ❽
بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ❾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ❿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⓫ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⓬

في هذه السورة تصوير لما يقع من أحداث عند قيام الساعة وبعد قيامها، وعرض لمظاهر القدرة، وتأكيد لشأن القرآن الكريم، ودفع الفرية عنه، وتنزيه للرسول عن الجنون، وتهديد للمتأذين في الضلال، وتوجيه إلى ما في القرآن من عبر ينتفع بها أهل الاستقامة، ورد أمر الناس لمشينة رب العالمين.

١ - إذا الشمس لفت ومعى ضوءها.

٢ - وإذا النجوم انطمس نورها.

٣ - وإذا الجبال حركت من أماكنها.

٤ - وإذا من شأنه أن يحمل فقد خاصته.

٥ - وإذا الوحوش جمعت من أوكارها وأجعارها، ذاهلة من شدة الفزع.

٦ - وإذا البحار تأنجت نارا.

٧ - وإذا الأرواح قرنت بأجسادها.

٨ ، ٩ - وإذا المدفونة حية سئلت - ترضية لها، وسخطا على من وأدها - بأي جريمة قتلت، ولا ذنب لها.

١٠ - وإذا الصحف التي كتبت فيها أعمال أصحابها بسطت عند الحساب.

١١ - وإذا السماء أزيلت من مكانها.

١٢ - وإذا النار أوقدت أيقادا شديدا.

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى
الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ
شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

١٣ - وإذا الجنة أذنت وقربت .

١٤ - وإذا حدثت تلك الظواهر علمت كل نفس ما قدمته من خير أو شر .

١٥ - فأقسم قسمًا مؤكدًا بالنجوم التي تنقبض عند طلوعها ، فيكون ضوءها خافتا .

١٦ - الجارية التي تستتر وقت غروبها ، كما تستتر الطباء في مغاراتها .

١٧ - وبالليل إذا خف ظلامه عند إدباره .

١٨ - وبالصبح إذا بدأ ضوءه وهب نسيمه .

١٩ - إن القرآن لقول رسول من الله كريم عليه .

٢٠ - صاحب قوة في أداء مهمته ، صاحب مكانة ومنزلة عند الله ذي العرش .

٢١ - مطاع أمين على الوحي هناك في الملأ الأعلى .

٢٢ - وما رسولكم الذي صاحبتموه وعرفتم رجاحة عقله بمجنون .

٢٣ - وأقسم : لقد رأى محمد - ﷺ - جبريل بالآفق المظهر لما يرى فيه .

٢٤ - وما محمد على الوحي ببخيل يقصر في تبليغه وتعليمه .

٢٥ - وما الوحي المنزل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله .

٢٦ - فأى طريق أهدى من هذا الطريق تسلكون ؟؟ !

٢٧ - ما القرآن الا تذكير وموعظة للعالمين .

٢٨ - لمن أراد منكم الاستقامة لتحرى الحق والصواب .

٢٩ - وما تشاءون شيئًا الا أن يشاء الله رب العالمين ذلك .

(٨٢) سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا الشَّعْبُ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ ⑥ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ⑦ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ⑧ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ⑨ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ⑩

عرضت هذه السورة طائفة من أهوال الساعة بأسلوب مؤذن بتحقيق الوقوع في يوم تعلم فيه كل نفس ما قدمت وما أخرت ، وانتقلت الآيات الى تحذير الانسان المغرور بربه الذي خلقه فسواه فركبه في أبداع صورة وأحسن تقويم مقررة تكذيبه بيوم الدين ، مؤكدة وجود ملائكة عليه حافظين كراما كاتبين ، وعقبت ذلك بما يكون للابرار من نعيم ، وما يكون للفجار من جعيم . يصلونها يوم القيامة ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، ويكون الأمر كله لله .

- ١ - اذا السماء انتثقت .
- ٢ - وإذا الكواكب تساقطت متبعثرة .
- ٣ - وإذا البحار فتح بعضها في بعض بزوال الحواجز بينها .
- ٤ - وإذا القبور بعثرت فخرج من فيها من الموق .
- ٥ - علمت نفس ما أسلفت من خير أو شر ، وما أخرت من ذلك .
- ٦ - يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ : أى شئ خدعك بربك الكريم حتى تجرأت على معصيته ؟ !
- ٧ - الذى أوجدك من العدم ، فخلق لك أعضاء تتنفع بها ، يجعلك معتدلا تناسب الخلق .
- ٨ - فى أى صورة من الصور شاءها ركبك وأوجدك عليها .
- ٩ - ردعا لكم ، بل تكذبون بالجزاء يوم القيامة .

كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾
يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وإن عليكم للملائكة حافظين . كراما لدنيا ، مسجلين عليكم أعمالكم يعلمون الذى تفعلونه من

خير وشر .

١٣ - إن الصادقين فى إيمانهم لى نعيم عظيم .

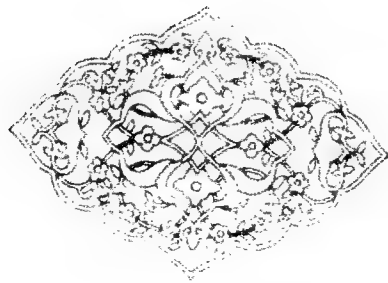
١٤ ، ١٥ - وإن الذين انشقوا عن أمر الله لى نيران محرقة يدخلونها يوم الجزاء .

١٦ - وما هم عن جهنم بمخرجين .

١٧ - وأى شئ أعلمك ما يوم الجزاء ، وأمره خارج عن درأيتك وتصورك ؟ !

١٨ - ثم أى شئ أعلمك ما يوم الجزاء فى الهول والشدة ؟ !

١٩ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا أو الضرر والأمر يومئذ لله وحده .



(٨٣) سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا سَيِّئُ الْفِعْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ

بدأت هذه السورة بوعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وافيًا . ويعطى غيره ناقصًا . وصورت ذلك بما قامت عليه معاملات الناس في استيفاء حقوقهم من الكيل والوزن ، وهددت هذا النوع بوقوع البعث والحساب ، وقررت أن أعمالهم مسجلة عليهم في كتاب مرقوم ، لا يكذب به الا كل معتد أثيم محجوب عن ربه ، مصيره الى جهنم . وانتقلت الآيات الى الأبرار فطمأنتهم على أعمالهم ، وذكرت نعيمهم وسماتهم ، مشيرة الى نوع من النعيم فيه يتنافس المتنافسون ، وصورت الآيات ما كان يفعله الكفار المجرمون مع المؤمنين حين يرونهم أو حين يمر بهم المؤمنون ، وختمت السورة بتطمين المؤمنين الى أن يوم القيامة سينصفهم ، فيكونون في النعيم ، من الكفار يضحكون ، على الأرائك ينظرون ، فيثوب الكفار ما كانوا يفعلون .

١ ، ٢ ، ٣ - هلاك للمطففين الذين اذا أخذوا لأنفسهم الكيل من الناس يأخذونه وافيًا زائدًا ، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم حقهم الواجب لهم اعتداء عليهم .

٤ ، ٥ - ألا يخظر ببال هؤلاء المطففين أنهم سيبعثون ليوم عظيم الهول .

٦ - يوم يقوم الناس لأمر رب العالمين وقضائه .

٧ - ارتدعوا عن التطفيف والغفلة عن البعث . إن ما كتب على الفجار من عملهم السيئ في سجين .

٨ - وما أعلمك ما سجين ؟

٩ - هو كتاب مسطور بين الكتابة .

١٠ - هلاك للمكذبين يوم إذ يكون البعث والجزاء .

يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
 كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ
 لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
 يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِشْمُهُمْ مِسْكٌَ وَفِي
 ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِي

١١ - الذين يكذبون بيوم الجزاء .

١٢ - وما يكذب بيوم الجزاء الا كل متجاوز الحد كبير الذنب .

١٣ - إذا تتلى عليه آيات الله الناطقة بحصول الجزاء قال : باطيل السابقين .

١٤ - ارتدع - أيها المعتدى - عن هذا القول الباطل ، بل غطى على قلوب المعتدين ما اكتسبوه من الكفر والمعاصي .

١٥ - حقا ان المكذبين عن رحمة ربهم يومئذ لمحجوبون بسبب ما اكتسبوه من المعاصي .

١٦ - ثم انهم لداخلون الجحيم .

١٧ - ثم يقال تبكيئا لهم : هذا العذاب النازل بكم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا .

١٨ - حقا إن ما يكتب من أعمال المحسنين لفي عليين .

١٩ - وما أعلمك ما عليون ؟ !

٢٠ ، ٢١ - هو كتاب مسطور بين الكتابة ، يحضره ويحفظه المقربون من الملائكة .

٢٢ ، ٢٣ - إن الأبرار لفي نعيم الجنة . على الأرائك ينظرون الى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة .

٢٤ - تعرف في وجوههم بهجة النعيم ونضارته .

٢٥ ، ٢٦ - يسقون من شراب خالص مصون لا تزيده الصيانة الا طيبا ، وفي نيل ذلك النعيم فليتناسق المتسابقون .

٢٧ - ٢٨ - ومزاج الرحيق من ماء تسنيم في الجنة : عينا يشرب منها المقربون دون غيرهم من أهل الجنة .

أَجْرُمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
 انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾
 فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِتُونَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

٢٩- إن الذين ارتكبوا الجرم في حق الدين كانوا يضحكون استهزاء في الدنيا من الذين آمنوا.

٣٠- وإذا مر المؤمنون بهم يغمز بعضهم بعضا استهزاء.

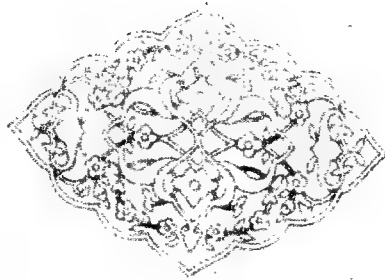
٣١- وإذا رجع المجرمون الى أهلهم رجعوا متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين.

٣٢، ٣٣- وإذا رأوا المؤمنين قالوا: ان هؤلاء لضالون لايمانهم بمحمد. وما أرسل هؤلاء المجرمون حاكمين
 عليهم بالرشد أو الضلال، حافظين لأعماهم.

٣٤- فيوم الجزاء الذين آمنوا من الكفار يضحكون جزاء ما ضحكوا سخرية بهم في الدنيا.

٣٥- على الأسرة والمنتكات ينظر المؤمنون ما أولاهم الله من النعيم.

٣٦- هل جوزى الكفار في الآخرة ما كانوا يفعلون في الدنيا؟!



(٨٤) سُورَةُ الْاِنْشِقَافِ مَكِّيَّةٌ
وَاَيُّهَا خَمْسُ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ① وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ② وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤ يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فُتْلِقِيهِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينِهِ ⑦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

ذكرت هذه السورة بعض أشرط الساعة ، وخضوع الأرض والسماء لتصرفه تعالى ، وأفادت أن الانسان مسوق الى لقاء ربه ، وأن عمله مسجل عليه في كتاب سيلقاه ، فن أخذه باليمين كان حسابه يسيرا ، ومن أخذه بالشمال استجار من لقاء العذاب واصطلى النيران ، ثم أقسم - سبحانه - بظواهر من آياته تشهد بقدرته وتدعو الى الايمان بالبعث ، ومع ذلك فالذين كفروا لا يؤمنون ولا يتدبرون القرآن ولا يخضعون لأحكامه . ثم ختمت بتهديدهم بأن الله يعلم ما يضمرون ، وأنه أعد لهم العذاب الأليم ، كما أعد للمؤمنين الأجر الدائم الذي لا ينقطع .

- ١ - إذا السماء انصدعت يؤذن بزوالها .
- ٢ - وسمعت لربها وأطاعت ، وجدير بها أن تسمع وتطيع .
- ٣ - وإذا الأرض زيدت سعة بدك جبالها وازالة أكامها ..
- ٤ - ورمت ما بجوفها من الموقى والكنوز ، وتخلت عنه .
- ٥ - وانقادت لربها في زيادة سعتها والقاء ما في جوفها وتخليها عنه وحقيق بها ذلك . إذا حدث كل ما تقدم لى كل انسان جزاء عمله .
- ٦ - يأتيها الانسان : انك مجد في عملك جدا يوصلك الى غايتك ، فلاق ربك بعملك ، فيجازيك عليه .
- ٧ ، ٨ ، ٩ - فأما من أعطى كتاب عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، ويرجع الى عشيرته من المؤمنين مبتهجا .

وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصْلَى سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٤ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥ فَلَا أَقْسَمُ بِالشَّفَقِ ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩ فَهَلْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ٢١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ٢٢ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥

١٠ ، ١١ ، ١٢ - وأما من أوقى كتابه بشاله من وراء ظهره تحقيرا لأمره ، فسوف يصبح متمنيا هلاك نفسه ، ويدخل جهنم يحترق بنارها .

١٣ - انه كان بين أهله في الدنيا مسرورا بما أوتيها لاهيا عن العمل لعاقبته .

١٤ - انه ظن أنه لن يرجع إلى الله فيحاسبه .

١٥ - بلى سيرجع ويحاسب ، وان ربه كان به وبأعماله بصيرا .

١٦ - فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد الغروب .

١٧ - والليل وما جمع ولف في ظلمته من الناس والدواب وغيرها .

١٨ ، ١٩ - والقمر إذا تكامل وتم نوره ، لتلاقن حالا بعد حال بعضها أشد من بعض من الموت والبعث وأهوال القيامة .

٢٠ - فأى شيء هؤلاء الجاحدين يمنعهم من الايمان بالله والبعث بعد وضوح الدلائل على وجوبه .

٢١ - وإذا سمعوا آيات القرآن لا يسجدون ولا يخضعون .

٢٢ - بل هؤلاء - لكفرهم - يكذبون عنادا وتعاليا عن الحق .

٢٣ - والله أعلم بما يضمرون في قلوبهم .

٢٤ - فبشرهم بعذاب أليم مستهزئا بهم .

٢٥ - لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله أجر غير مقطوع عنهم ولا محسوب عليهم .

(٨٥) سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَنَانٌ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ❶ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ❷ وَشَهِيدٍ مَّشْهُودٍ ❸ قَتِيلٍ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ❹
النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ❺ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ❻ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ❼ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

في هذه السورة تسلية وتذكير للمؤمنين ، وتهديد ووعد للمعاندين ، بدأت بقسمه تعالى بمظاهر قدرته على أن المتعرضين لا يذأ المؤمنون سيطردون من ساحة الرحمة كما طرد من سلك سبيلهم ممن سبقوهم من الأمم . وأخذت السورة تقص فعل الطغاة بالمؤمنين ، وأتبع ذلك بوعيد المؤمنين وتخويف الطاغين . وأن الحق في كل المصور معرض لناواة المناوئين ، وإن القرآن الذي هو دعامه الحق - وإن كذب به القوم - فهو في منأى عن الشك ، لأنه في لوح محفوظ عند الله .

١ - أقسم بالسماء ذات المنازل التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها (١) .

٢ - وباليوم الموعود للحساب والجزاء .

٣ - ومحاضر من الخلائق في هذا اليوم وما يحضر فيه من الأهوال والعجائب .

٤ - لقد لعن الله أصحاب الشق المستطيل في الأرض .

٥ - أصحاب النار ذات الوقود التي أضرموها لعذاب المؤمنين .

٦ - إذ هم على حافتها قعود يشهدون عذاب المؤمنين .

٧ - وهم على الذي يفعلون بالمؤمنين - من تعذيبهم - حضور .

(١) البروج هي هذه المجموعات من مواقع النجوم التي تظهر على أشكال مختلفة في السماء مقسمة إلى اثني عشر قسماً تمر خلالها الأرض والكواكب في أثناء دورتها حول الشمس . ولما كان مستوى مدار القمر خلال دورته حول الأرض وهي « التي تسمى بمنازل القمر » وهي أيضاً مجموعة من النجوم على أشكال مختلفة فقد جمع الشاعر القديم أسماء هذه البروج الاثني عشر في هذين البيتين :

ورعى الليث سنبيل الميزان
ومن الدلو مشرب الحيتان

حمل الثور جوزة السرطان
ورمى عقرباً وقوساً بجدي

إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾
 إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
 لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لَمَّا
 يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَنَحْمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ
 مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

٨ - وما أنكروا من المؤمنين إلا إيمانهم بالله القوى الذى يخشى عقابه، الحميد الذى يرجى ثوابه.

٩ - الذى له - وحده - ملك السموات والأرض، والله على كل شىء مما يفعله المؤمنون والكافرون شهيد يشهد ذلك ويميز علىه.

١٠ - ان الذين امتنعوا المؤمنين والمؤمنات فى دينهم بالأذى والتعذيب بالنار، ثم لم يرجعوا عن ذلك، فلهم فى الآخرة عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق باحراقهم المؤمنين.

١١ - ان الذين جمعوا إلى الايمان بالله العمل الصالح، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك النعيم الذى جوزوا به هو الفوز الكبير.

١٢ - ان أخذ ربك للجباية والظلمة بالغ الغاية فى الشدة.

١٣ - انه وحده يبدأ الخلق ويعيدهم.

١٤ - وهو كثير المغفرة لمن تاب وأناب، كثير الهبة لمن أحبه وأطاعه.

١٥ - صاحب العرش ومالكة، العظيم فى ذاته وصفاته.

١٦ - فعال لما يريد لا يتخلف عن قدرته مراد.

١٧ - هل أتاك - يا محمد - حديث الجموع الطاغية من الأمم الخالية ؟

١٨ - قوم فرعون ونمود وما حل بهم من جزاء تماديهم فى الباطل.

١٩ - بل الكافرون من قومك أشد فى تكذيبهم لك من تكذيب هؤلاء لرسولهم.

٢٠ - والله متمكن منهم، عالم بهم.

٢١ - بل ما جئتهم به قرآن عظيم بين الدلالة على صدقك.

٢٢ - فى لوح محفوظ لا ترقى إليه قوة بتحريف أو تبديل.

(٨٦) سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا سِتْعَ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ❶ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ❷ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ❸ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ❹ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❺ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ❻ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ❼ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ

افتتحت هذه السورة بقسم يشير إلى دلائل القدرة، ويؤكد أن كل نفس عليها مهيمن وراقب، وطلبت أن يفكر الانسان في نشأته، وأنه خلق من ماء دافق، ليستدل بذلك على أن الذي أنشأه هكذا قادر على اعادته بعد موته، ثم ننت بقسم آخر على أن القرآن قول فصل وما هو بالهزل، ومع كونه كذلك فقد جد الكفار في انكاره والكيد له، وقد رد الله كيدهم بكيد أشد من كيدهم، ثم ختمت السورة بطلب امهال الكافرين.

١ - أقسم بالسما والنجم الذي يظهر ليلا.

٢ ، ٣ - وأى شيء أعلمك ما حقيقة هذا النجم؟! هو الذى ينفذ ضوءه فى الظلام.

٤ - ما كل نفس الا عليها حافظ يرقبها ويحصى عليها أعمالها.

٥ - فليفكر الانسان من أى شيء خلق!؟

٦ - خلق الانسان من ماء متدفق.

٧ - يخرج هذا الماء من بين الصلب وعظام الصدر من الرجل والمرأة^(١).

(١) الصلب هو منطقة العمود الفقرى - والترائب هى عظام الصدر.

وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسل والجهاز البولى فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقرى وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر.

وتبقى الكلى فى مكانها وتنزل الحصى إلى مكانها الطبيعى فى الصفن عند الولادة. وعلى الرغم من المحذور الحصى إلى أسفل فإن الشريان الذى يغذى بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بجذء الشريان الكلى.

كما أن العصب الذى ينقل الإحساس إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدرى العاشر الذى يغادر النخاع الشوكى بين الضلعين العاشر والحادى عشر.

وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذىها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع فى الجسم بين الصلب والترائب « العمود الفقرى والقفص الصدرى ».

لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ ۝١٠ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١ وَالْأَرْضِ ذَاتِ
الْصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٌ ۝١٤ إِنَّمَا يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهْلٍ
الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُويَدًا ۝١٧

٨ - ان الله الذى خلقه هكذا ابتداء لقادر على اعادة خلقه بعد موته .

٩ - يوم تمتحن الضائير ويميز بين ما طاب منها وما خبت .

١٠ - فما للانسان فى ذلك الوقت من قوة بنفسه يمتنع بها ، ولا ناصر ينتصر به .

١١ - أقسم بالسما ذات المطر الذى يعود ويتكرر .

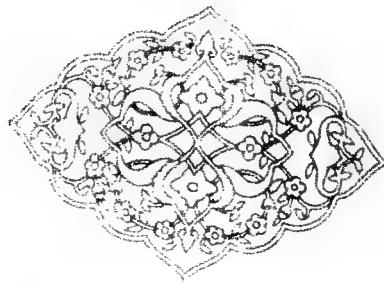
١٢ - وبالأرض ذات الانشقاق عن النبات الذى يخرج منها .

١٣ ، ١٤ - ان القرآن فاصل بين الحق والباطل ، وليس فيه شائبة اللعب والباطل .

١٥ - ان المكذبين بالقرآن يمحرون فى ابطال أمره مكرا بالغ الغاية .

١٦ - وأجازهم وأقابل كيدهم بكيد متين لا يدفعونه .

١٧ - فانظر الكافرين ، أهملهم أمهالا قريبا حتى أمرك فيهم بأمر حاسم .



(٨٧) سُورَةُ الْأَعْلَى الْحَكِيمَةِ وَأَيُّهَا السَّنْعُ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤ سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ⑥ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ⑦ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْتَى ⑧ وَيُبْسِرُكَ

بدئت هذه السورة بتنزيه من خلق الأشياء فجعلها سواء في الاقتان ، وقدر لكل شيء ما يصلحه ، فهدها إليه ، وأنبئت المرعى فجعله غثاء أحوى ثم أخبرت الآيات أن الله سيقريه رسوله القرآن ، فيحفظه ولا ينسى منه شيئا إلا ما شاء الله ، ويسره لليسرى ، ثم أمرت الرسول أن يذكر بالقرآن ليذكر من يخشى ، ويتجنب الذكرى الأثقى الذى يصلى النار الكبرى . وأكدت الآيات أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصل . وختمت السورة ببيان أن ما جاء فيها ثابت في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .

- ١ - نزه اسم ربك الأعظم عما لا يليق به .
- ٢ - الذى خلق كل شيء فجعله مستوى الخلق فى أحكام واتساق .
- ٣ - والذى قدر لكل شيء ما يصلحه فهدها إليه .
- ٤ - والذى أخرج من الأرض ما ترعاه الدواب من صنوف النباتات .
- ٥ - فصيره بعد الخضرة يابسا مسودا .
- ٦ - سنجعلك - يا محمد - قارنا بالهام منا ، فلا تنسى ما تحفظ .
- ٧ - الا ما شاء الله أن تنساه ، انه تعالى يعلم ما يجهر به عباده وما يخفونه من الأقوال والأفعال .

لِّلْبَاسِ ۝ فَذِكْرٌ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝ ١١ ۝ الَّذِي يَصْلَى
النَّارَ الْكُبْرَى ۝ ١٢ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ ١٣ ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ ١٤ ۝ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝ ١٥ ۝
بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ ١٦ ۝ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝ ١٧ ۝ إِنَّ هَذَا لَنِ الصُّحُفِ الْأُولَى ۝ ١٨ ۝ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى ۝ ١٩

- ٨ - ونوفك للطريقة البالغة البسر في كل أحوالك .
- ٩ - فذكر الناس ان نفعت الذكرى ، فشأنها أن تنفع .
- ١٠ - سينتفع بتذكيرك من يخاف الله .
- ١١ - ويتجنب الذكرى الأشقى المصير على العناد والكفر .
- ١٢ - الذى يدخل النار الكبرى المعدة للجزاء .
- ١٣ - ثم لا يموت فى النار فيستريح بالموت ، ولا يحيا حياة يمثا بها .
- ١٤ - قد فاز من تطهر من الكفر والمعاصى .
- ١٥ - وذكر اسم خالقه بقلبه ولسانه فصلى خاشعا ممتلا .
- ١٦ - لم تفعلوا ما يؤدى إلى الفلاح ، بل تقدمون فى اهتمامكم الحياة الدنيا على الآخرة .
- ١٧ - والآخرة خير من الدنيا بصفاء نعيمها ، وأبقى بدوامه .
- ١٨ ، ١٩ - ان هذا المذكور فى هذه السورة لثابت فى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى فهو مما توافقت فيه الأديان وسجلته الكتب السماوية .



(٨٨) سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَإِنِّي أَنَا سِتُّ وَعَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ① وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَعَةٌ ② عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
ءَانِيَةٍ ⑤ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ⑥ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ⑦ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ⑧
لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ⑨ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑪ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ⑬

بدأت السورة بأسلوب يشوق إلى سماع الحديث عن يوم القيامة وما يكون فيه ، مشيرة إلى أن الناس فيه قسمان : فتنهم من لا يرون فيه كرامة عند استقبالهم ويدخلون نارا حامية ، ومنهم من يستقبلونه فرحين بمظاهر الرحمة والرضوان المعدة لهم ، ثم ساق الأدلة الواضحة على قدرته تعالى على البعث مما يشاهدونه بأعينهم ويتنفعون به في حياتهم ، وبعد ذكر هذه الأدلة انتقلت إلى أمر الرسول بالتذكير لأنه مهمته الأولى بالنسبة إليهم ، مبينة أنه ليس مسلطا عليهم فيجبرهم على الايمان ، وأن من تولى وكفر بعد هذا التذكير فسوف يأخذه الله بذنبيه ويعذبه العذاب الأكبر ، حين يرجع إليه بعد الموت لأن رجوعهم جميعا إليه وحسابهم جميعا عليه .

- ١ - هل أتاك يا محمد حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها .
- ٢ ، ٣ - وجوه يوم القيامة ذليلة ، دائبة العمل فيما يتعبها ويشقىها في النار .
- ٤ - تدخل نارا شديدة الحرارة .
- ٥ - تسقى من عين تنهى حرها .
- ٦ - ليس لهم طعام الا من نوع خبيث يعذب به أكله .
- ٧ - لا يؤثر سمن في الأجسام ولا يدفع شيئا من جوع .
- ٨ ، ٩ ، ١٠ - وجوه يوم القيامة ذات نضارة لجزاء عملها الذي عملته في الدنيا ، راضية في جنة مرتفعة مكانا وقدرًا .
- ١١ ، ١٢ - لا تسمع فيها كلمة ذات لغو ، فيها عين جارية بالماء لا تنقطع .
- ١٣ - فيها سرر مرتفعة مكانا وقدرًا زيادة لهم في النعيم .

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۝ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ ١٥ وَزَرَّائِي مُمْبِثَةٌ ۝ ١٦ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝ ٢٠ فَذَكِّرْ

١٤ - وأكواب حاضرة بين أيديهم .

١٥ - ووسائد صف بعضها إلى جانب بعض .

١٦ - وبسط كثيرة متفرقة في المجالس .

١٧ - أيمهلون التدبر في الآيات ، فلا ينظرون إلى الابل ، كيف خلقت خلقا بديعا يدل على قدرة الله ؟ (١) .

١٨ - وإلى السماء التي يشاهدونها دائما ، كيف رفعت رفعا بعيد المدى بلا عمد ؟ !

١٩ - وإلى الجبال التي يتصعدون إلى قممها ، كيف أقيمت شامخة ، تمسك الأرض فلا تميل ولا تميد ؟ (٢) .

٢٠ - وإلى الأرض التي يتقلبون عليها ، كيف بسطت ومهدت ؟ !

(١) في خلق الابل آيات معجزات دالة على قدرة الله ليتدبر في ذلك المتدبرون . فمن المعروف أن من صفاتها الظاهرة ما يمكنها من أن تكون سفن الصحراء بحق . فالعينان ترتفعان فوق الرأس وترتدان إلى الخلف فضلا عن طيقتين من الأهداب تقياها الرمال والقذى ، وكذلك المنخران والأذنان يكتنفها الشعر للغرض نفسه . فإذا ما هبت العواصف الرملية انقلبت المنخران ، واثنت الأذن - على صفرها وقلة بروزها - نحو الجسم - أما القوائم فتطول تساعد على سرعة الحركة ، مع ما يناسب ذلك من طول العنق ، وأما الأقدام فتنبسطة في صورة خفاف تمكن الابل من السير فوق الرمال الناعمة . وللجمل لكل تحت صدره ووسائد قرنية على مفاصل أرجله تمكنه من الرقود فوق الأرض الخشنة الساخنة ، كما أن على جانبي ذيله الطويل شعرا يحمي الأجزاء الخلفية الرقيقة من الأذى . أما مواهب الجمل الوظيفية فأبلغ وأبدع ، فهو في الشتاء لا يطلب الماء ، بل قد يعرض عنه شهرين متتالين إذا كان الغذاء غضا رطبا أو أسبوعين إن كان جافا . كما أنه قد يتحمل العطش الكامل في قيظ الصيف أسبوعا أو أسبوعين ، يفقد في أثناءها أكثر من ثلث وزن جسمه ، فإذا ما وجد الماء تجرع منه كمية هائلة يستعيد بها وزنه المعتاد في دقائق معدودات . والجمل لا يختزن الماء في كرشه كما كان يظن . بل أنه يحتفظ به في أنسجة جسمه ويقتصد في استهلاكه غاية الاقتصاد ، فمن ذلك أنه لا يلهث أبدا ولا يتنفس من فمه ولا يصدر من جلده إلا أدنى العرق ، وذلك لأن حرارة جسمه تكون شديدة الانخفاض في الصباح المبكر ، ثم تأخذ في الارتفاع التدريجي أكثر من ست درجات قبل أن تدعو الحاجة إلى تلطيفها بالعرق والتبخير ، وعلى الرغم من كمية الماء الهائلة التي يفقدها الجسم بعد العطش الطويل فإن كثافة دمه لا تتأثر إلا في الحدود ومن ثم لا يقضى العطش عليه . وقد ثبت أن دهن السنام مخزن للطاقة يكفيه غوائل الجوع ، ولكنه لا يفيد كثيرا في تدبير الماء اللازم لجسمه .

وما زال العلماء يجدون في الجمل كلما بحثوا مصداقا لحض الله تعالى لهم على النظر في خلقه المعجز .
(٢) تردد في القرآن الكريم وصف الأرض بأنها مسطحة وبأنها مبسوطة : والمراد بذلك أن الأرض وإن كانت كروية الشكل تبدو للناظرين مسطحة مبسوطة ، وهذا لا يخالف ما قرره العلم في شيء .

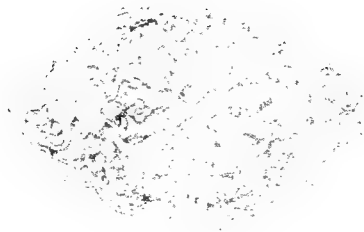
إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ ٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۚ ٢٢ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ ٢٤
إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۚ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۚ ٢٦

٢١ ، ٢٢ - فذكر بدعوتك ، انما مهمتك التبليغ ، لست عليهم بمسيطر .

٢٣ ، ٢٤ - لكن من أعرض منهم وكفر ، فيعذبه الله العذاب الأكبر الذي لا عذاب فوقه .

٢٥ - ان الينا رجوعهم بالموث والبعث ، لا إلى غيرنا .

٢٦ - ثم ان علينا وحدنا حسابهم وجزاءهم .



(٨٩) سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ① وَلَيْلٍ عَشْرِ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَالْأَيْلِ إِذَا بَسَرِ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ⑤
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫

بدأت هذه السورة بأقسام تناولت ظواهر متعددة ، توجه النظر إلى آثار القدرة على أن المنكرين لله والبعث معذبون ، كما عذب الذين كذبوا من قبل ، وأخذت السورة تقرّر سنن الله في ابتلاء عباده بالخير والشر ، وأن أعطاه وامسأكه ليس دليل رضا أو سخطه ، وتوجه الحديث للمخاطبين بأن أحوالهم تكشف عن شدة حرصهم وشحهم ، ثم تختم - بالاشارة إلى ما يكون من ندم المفرطين وتمنيهم أن لو قدموا من الصالحات ما ينجيهم ، مما يعاينونه من أهوال يوم القيامة ، وإلى ما يكون من ايناس النفس المطمئنة التي قدمت الصالحات ولم تفرط ، ودعوتها إلى الدخول مع المكرمين من عباد الله في جنة الله .

١ - أقسم بضوء الصبح عند مطاردته الليل .

٢ - ولبيل عشر مفضلة عند الله .

٣ - وبالزوج والفرد من كل شيء .

٤ - وبالليل إذا يتقضى بحركة الكون العجيبة .

٥ - هل فيما ذكر من الأشياء ما يراه العاقل قسماً مقنعاً ؟ !

٦ ، ٧ - ألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بعباد قوم هود ، أهل ارم ذات البناء الرفيع ؟ !

٨ - التي لم يخلق مثلها في البلاد متانة وضخامة بناء .

٩ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بشمود قوم صالح ، الذين قطعوا الصخر من الجبال بينون به القصور

بالوادي ؟ !

١٠ - وألم تعلم كيف أنزل ربك عقابه بفرعون ذى الجنود الذين يشدون ملكه كما تشد الأوتاد الحيام ؟

١١ - الذين تجاوزوا الحدود في البلاد .

١٢ - فأكثرُوا فيها الفساد بالكفر والظلم .

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۖ إِنَّ رَبَّكَ لَیْلَمِ الرَّصَادَ ۝۱۴ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝۱۵ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝۱۶ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ۝۱۷ وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝۱۸ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝۱۹ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝۲۰ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝۲۱ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝۲۲ وَجِئَاءَ يَوْمٍ يُؤَيِّدُ بَعْضُهُمْ أَوْسَادَ بَعْضِهِمْ خَالِدِينَ ۝۲۳ يَقُولُ يَلْبِئْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ۝۲۴

١٣ - فأنزل عليهم ربك ألوانا ملهية من العذاب .

١٤ - ان ربك ليرقب عمل الناس ، ويحصيه عليهم ، ويجازيهم به .

١٥ - فأما الإنسان إذا ما اختبره ربه فأكرمه ، ونعمه بالمال والجاه والقوة ، فيقول مغترا بذلك : ربى فضلنى لاستحقاقى لهذا .

١٦ - وأما الانسان إذا ما اختبره ربه بضيق الرزق فيقول غافلا عن الحكمة فى ذلك : ربى أهاننى .

١٧ - ارتدعوا ، فليس الأمر كما تقولون ، بل أنتم لا تكرمون اليتيم .

١٨ - ولا يحث بعضكم بعضا على اطعام المساكين .

١٩ - وتأكلون المال الموروث أكلا لما ، لا تميزون فيه بين ما يحمى وما يذم .

٢٠ - وتحبون المال حبا كثيرا ، يدفعكم إلى الحرص على جمعه والبخل بانفاقه .

٢١ - ارتدعوا عن تلك الأفعال ، لما ينتظركم من الوعيد إذا سويت الأرض تسوية بعد تسوية .

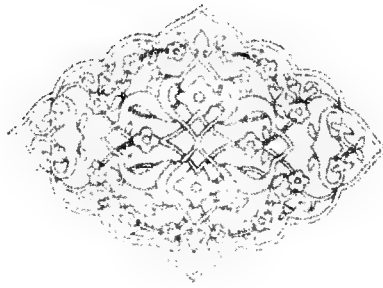
٢٢ - وجاء ربك مجيئا يليق به سبحانه ، وجاءت الملائكة صفا صفا .

٢٣ - وجىء يومئذ ببهم دار العذاب ، يومئذ يحدث ذلك يتذكر الانسان ما فرط فيه ، ومن أين له الذكرى النافعة ، وقد فات أوانها ؟ !

٢٤ - يقول نادما : يا ليتنى قدمت فى الدنيا أعمالا صالحة تنفنى لحياتى الآخرة .

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ۖ يَأْتِيَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَعِيَ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ۖ

- ٢٥ ، ٢٦ - فيومئذ تكون هذه الأحوال ، لا يعذب أحد كعذاب الله ، ولا يقيد أحد كقيده .
 ٢٧ - يأتيها النفس المطمئنة بالحق .
 ٢٨ - ارجعي إلى رضوان ربك راضية بما أوتيت من النعم ، مرضية بما قدمت من عمل .
 ٢٩ - فادخلي في زمرة عبادي الصالحين .
 ٣٠ - وادخلي جنتي دار النعيم المقيم .



(٩٠) سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِينَةٌ وَإِنِّي أَنَا عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ❶ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ❷ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ❸ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ❹
أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ❺ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ❻ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ❼ أَلَّا نَجْعَلَ لَهُ
عَيْنَيْنِ ❽ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ❾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ❿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ⓫ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⓬

أقسم الله بالبلد الحرام، مكة، موطن محمد ﷺ الذي نشأ فيه، وأحبه وبوالد وما ولد، لأن بها حفظ النوع وبقاء العمر، على أن الانسان خلق في مشقة ومكابدة متاعب، ثم بين أنه مفتر يحسب أن قدرته لا تغلب، وأنه ذو مال كثير ينفقه ارضاء لشهواته وأهوائه، ثم عدد سبحانه ما أنعم به عليه مما ييسر له سبل الهداية واقتحام العقبة، ليكون من أهل الجنة أصحاب اليقين ويفر مما يحمله من أصحاب المشأمة الذين يرمى بهم في النار وتغلق عليهم أبوابها.

- ١ - أقسم قسمًا مؤكدًا بمكة البلد الحرام.
- ٢ - وأنت مقيم بهذا البلد تزیده شرفًا وقدرًا.
- ٣ - وبوالد وما ولد وبها حفظ النوع وبقاء العمران.
- ٤ - لقد خلقنا الانسان في مشقة وتعب منذ نشأته إلى منتهى أمره.
- ٥ - أظن الانسان المخلوق في هذه المشقة أن لن يقدر على اخضاعه أحد.
- ٦ - يقول أنفقت في عداوة محمد ﷺ وصدته عن دعوته مالا كثيرا تجمع بعضه إلى بعض.
- ٧ - أظن أن أمره قد خفي فلم يطلع عليه أحد حتى من خلقه.
- ٨، ٩ - ألم نخلق له عينين ينظر بها ولسانا وشفتين ليتمكن من النطق والابانة.
- ١٠ - وبيننا له طريق الخير والشر وهيأناه للاختيار.
- ١١ - فلا انتفع بما هيأناه له، ولا تخطى العقبة التي تحول بينه وبين النجاة، وهي شح نفسه.
- ١٢ - وأي شيء أعلمك ما اقتحام العقبة؟!

فَكَ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ اطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعَيْنَانَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۝٢٠

١٣ - عتق النفس وتحريرها من العبودية .

١٤ - أو اطعام في يوم ذي مجاعة .

١٥ - يتيمًا ذا قرابة يواسى لرحمه وفقره .

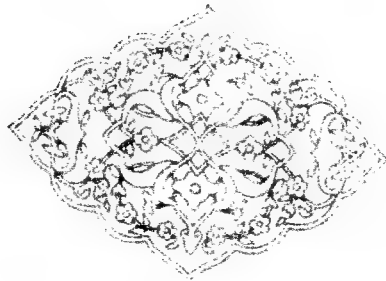
١٦ - أو مسكينًا ذا حاجة وافتقار .

١٧ - ثم كان مع ذلك من أهل الايمان الذين يتوحدون فيما بينهم بالصبر وبالرحمة .

١٨ - أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم السعداء أصحاب اليمين .

١٩ - والذين كفروا بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة هم الأشقياء أهل الشؤم والعذاب .

٢٠ - عليهم نار مطبقة مغلقة أبوابها .



(٩١) سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسُ عَشْرَةَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءِ
وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧ قَدْ أَفْلَحَ
مَنْ زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ⑩ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ⑪ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ

أقسم الله تعالى في مفتتح هذه السورة بأشياء عدة من مخلوقاته العظيمة، المنبئة عن كمال قدرته تعالى ووحدانيته، على فوز من طهر نفسه بالإيمان والطاعة، وخسران من ضيعها بالكفر والمعاصي، ثم ساق مثلاً ثمود قوم صالح وما حل بهم، ليعتبر بهم كل معاند مكذب، فأنهم لما كذبوا رسولهم، وعقروا الناقة، أهلكهم الله جميعاً وهو لا يخاف عاقبة أهلاكهم وما أنزله بهم، لأنه لا يسأل عما يفعل، وقد أنزل بهم ما يستحقون.

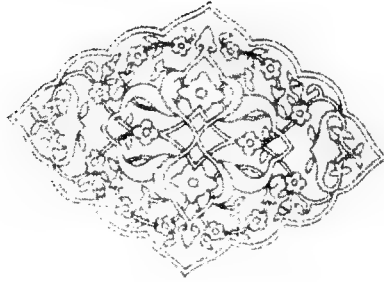
- ١ - أقسم بالشمس وبضوئها واشراقها وحرارتها.
- ٢ - وبالقمر إذا تبعها وخلفها في الإضاءة بعد غروبها.
- ٣ - وبالنهار إذا أظهر الشمس واضحة غير محجوبة.
- ٤ - وبالليل إذا يغشى الشمس، فيغطي ضوءها.
- ٥ - وبالسما وبالقادر العظيم الذي رفعها وأحكم بناءها.
- ٦ - وبالأرض وبالقادر العظيم الذي بسطها من كل جانب، وهبها للاستقرار، وجعلها فراشاً.
- ٧ - وبالنفس ومن أنشأها وعدلها، بما أودع فيها من القوى.
- ٨ - فعرّفها الحسن والقبيح، ومنحها القدرة على فعل ما تريد منها.
- ٩ - قد فاز من طهر نفسه بالطاعات وعمل الخير؟
- ١٠ - وقد خسر من أخفق فضائلها، وأما استعدادها للخير.
- ١١، ١٢ - كذبت ثمود نبيها بطغيانها وبغيها، حين نهض أشقاها مريداً عقراً الناقة.

رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ
عُقَابَهَا ﴿١٥﴾

١٣ - فقال لهم صالح رسول الله : اتركوا ناقة الله تأكل في أرض الله ، واحذروا منعها الشرب في يومها .

١٤ - فكذبوا رسولهم في وعيده ، فعقروها ، فدمر عليهم ربهم ديارهم بذنوبهم ، فسواها بالأرض !

١٥ - ولا يخاف تبعة هذه العقوبة ، لأنها الجزاء العادل لما صنعوا .



(١٢) سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا اجْزَى عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنبَئُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧ وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنبَئُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫ وَإِنَّ

أقسم الله تعالى بأقسام ثلاثة على أن أعمال الناس مختلفة بعضها هدى وبعضها ضلال ، فمن أنفق واتقى وصدق بالخصلة الجامعة للخير يسره الله لليسرى ، ومن بخل واستغنى وكذب بالخصلة الجامعة للخير يسره الله للعسرى ، ولا يغنى عنه ماله إذا وقع في العذاب ، وقد بينت الآيات بعد ذلك أن الله تكفل ببيان طرق الهدى ، تفضلا منه وأن له أمر الحياتين الآخرة والأولى ، وقد أندر بالنار يصلها الأشقياء ويتجنبها الأتقياء .

١ - أقسم بالليل حين يعم ظلامه .

٢ - وبالنهار إذا سطع ضوءه .

٣ - وبالعالم الذى خلق الصنفين الذكر والأنثى من كل ما يتوالد .

٤ - ان سعيكم مختلف ، فنه ما يسعد به الساعى ، ومنه ما يشق به .

٥ ، ٦ ، ٧ - فأما من أنفق في سبيل الله وخاف ربه فاجتنب محارمه وابتغى بالفضيلة الحسنى ، وهى الايمان بالله عن علم ، فسنبئه للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة بتوجيهه إلى طريق الخير .

٨ ، ٩ ، ١٠ - وأما من بخل بماله فلم يؤد حق الله فيه ، واستغنى به عما عند الله وكذب بالخصلة الحسنى فسنبئه للخصلة التى تؤدى إلى العسر والشقاء الأبدى .

١١ - وأى شيء من العذاب يدفعه عنه ماله الذى بخل به إذا هلك ؟

١٢ - ان علينا بمقتضى حكمتنا أن نبين للخلق طريق الهدى .

لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى ۝ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى ۝
وَسُيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى ۝ الَّذِي يُوَفِّي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝

١٣ - وان لنا وحدنا لأمر التصرف في الدارين .

١٤ - فخوفتكم نارا تتوقد وتلهب .

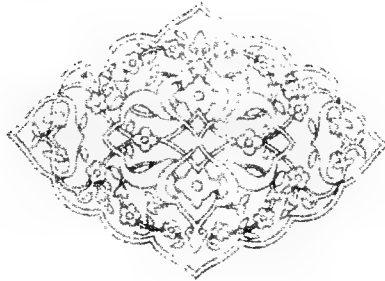
١٥ ، ١٦ - لا يدخلها على جهة الدوام الا الكافر الذي كذب بالحق وأعرض عن آيات ربه .

١٧ ، ١٨ - وسيبعد عنها المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي ، الذي يعطى ماله في وجوه اليسر يتطهر من رجس
البخل وذنس الامساك .

١٩ - وليس لأحد عند هذا المنفق من نعمة أو يد يكافأ بها .

٢٠ - لكن يعطيه ابتغاء وجه ربه الأعلى .

٢١ - ولسوف ينال من ربه ما يبتغيه على أكمل الوجوه حتى يتحقق له الرضا .



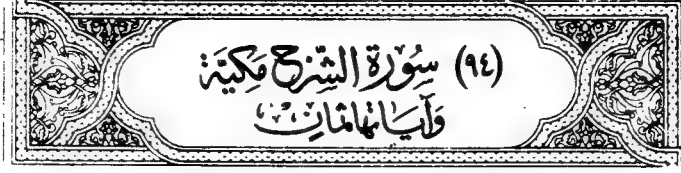
(٩٣) سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الْحَذَى عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ① وَاللَّيْلِ إِذَا جَنَى ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ③ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ④ وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ⑤ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ⑦ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ⑧
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ⑪

افتتحت السورة بقسمين معبرين عن وقى النشاط والسكون ، على أن الله ماترك رسوله ولاكرهه ومابعده له في الآخرة من منازل الرفعة خير مما يكرمه به في الأولى ، ثم أقسم سبحانه على أنه سيعطى حتى يرضى ، والسوابق شواهد على اللواحق ، فقد كان يتيمًا فأواه ، وضالًا فأحسن هداه وفقيرًا فأغناه ، ثم دعت الآيات الى اكرام اليتيم وعدم نهر السائل ، والى التحدث بنعمة الله .

- ١ - أقسم بوقت ارتفاع الشمس . والنشاط في العمل .
- ٢ - وبالليل اذا سكن وامتد ظلامه .
- ٣ - ماتركك ربك يا محمد وماكرهك .
- ٤ - ولعاقبة أمرك ونهايته خير من بدايته .
- ٥ - واقسم لسوف يعطيك ربك من خيري الدنيا والآخرة حتى ترضى .
- ٦ - ألم يجدك يتيمًا تحتاج الى من يرعاك فأواك بضمك الى من يحسن القيام بأمرك .
- ٧ - وجدك حائرًا لاتنفعك المعتقدات حولك فهداك الى منهج الحق .
- ٨ - وجدك فقيرًا من المال فأغناك بما أعطاك من رزق .
- ٩ ، ١٠ ، ١١ - اذا كان هذا حالنا معك ، فأما اليتيم فلا تذله ، وأما السائل فلا ترده بقسوة ، وأما بنعمة ربك فحدث شكريا لله واطهارا للنعمة .

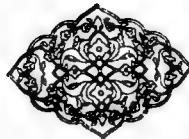


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾

تقرر هذه السورة أن الله قد شرح صدر نبيه وجعله مهبط الأسرار والعلوم، وحط عنه ما أنقل ظهره من أعباء الدعوة، وقرن اسمه باسمه في أصل العقيدة وشعائر الدين، ثم ذكرت الآيات سنة الله في أن يقرن اليسر بالعسر، ودعت الرسول كلما فرغ من فعل خير أن يجتهد في فعل خير آخر، وإن يجعل قصده إلى ربه فهو القادر على عونه.

- ١ - قد شرحنا لك صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والايان.
- ٢ - وخففنا عنك ما أنقل ظهرك من أعباء الدعوة بمساندتك وتيسير أمرك.
- ٣ - الذي أنقل ظهرك.
- ٤ - ونوهنا باسمك، فجعلناه مذكورا على لسان كل مؤمن مقرونا باسمنا.
- ٥ - تلك بعض نعمتنا عليك، فكن على ثقة من الطافه تعالى، فإن مع العسر يسرا كثيرا يقارنه.
- ٦ - ان مع العسر يسرا كثيرا كذلك.
- ٧ - فاذا فرغت من أمر الدعوة ومقتضيات الجهاد، فاجتهد في العبادة واتعب نفسك فيها.
- ٨ - وإلى ربك وحده فاتجه بمسألتك وحاجتك.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والتين والزيتون ❶ وطور سينين ❷ وهذا البلد الأمين ❸ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ❹ ثم رددناه أسفل سافلين ❺ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ❻ فأي كذبك بعد بالدين ❼ أليس الله بأحكم الحاكمين ❽

يقسم الله في هذه السورة بثمرتين مباركتين . ومكانين طيبين على أنه خلق الإنسان في أعدل صورة ، مكملاً بالعقل والارادة الى غير ذلك من صفات الكمال ، ثم ذكرت الآيات ان الانسان لم يقم بمقتضى خلقته ، فنزلت درجته الى أسفل سافلين ، الا من آمن وعمل الصالحات فقد مد له في العطاء . ثم اتجهت السورة منكرة على من كذب بالبعث بعد ظهور أدلة قدرته وأنباء حكمته .

- ١ - أقسم بالتين والزيتون لبركتها وعظيم منفعتها .
- ٢ - وبالجبيل الذي كلم الله عليه موسى .
- ٣ - وهذا البلد مكة المعظمة . يشهد بعظمتها من زارها ، الأمن من دخلها .
- ٤ - لقد خلقنا جنس الانسان مقوماً في أحسن ما يكون من التعديل ، متصفاً بأجل ما يكون من الصفات .
- ٥ - ثم أنزلنا درجته الى أسفل سافلين لعدم قيامه بموجب ما خلقناه عليه .
- ٦ - لكن الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة ، فلهم أجر غير مقطوع عنهم ولا ممنون به عليهم .
- ٧ - فأى شيء يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء ، بعد أن وضحت قدرتنا على ذلك .
- ٨ - أليس الله الذي فعل ما أنبأناك به بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيراً .



سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا الشَّعْ عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغٍ ⑥ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ⑦ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ⑧ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ⑩ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ⑪ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ⑫ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ⑬ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ⑭ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا

في هذه السورة دعوة الى القراءة والتعلم ، وأن من قدر على خلق الانسان من أصل ضعيف قادر على ان يعلمه الكتابة يضبط بها العلوم ويتم بها التفاهم ، ويعلمه مالم يعلم فهو سبحانه مفيض العلم على الانسان ، وتنبه السورة الى أن الثراء والقوة قد يدفعان النفوس الى مجاوزة حدود الله ، ولكن مصير الكل الى الله في النهاية ، وتوجه الحديث لكل من يصلح للخطاب منذرة الطغاة الصادين عن الخير مهددة لهم بأخذهم بالتواصي الى النار ، فلا تنفعهم الأنصار ، وتختتم السورة بدعوة الممثلين الى مخالفة المعاندين المكذبين والتقرب بالطاعة الى رب العالمين .

- ١ - اقرأ يا محمد مايوحى اليك مفتتحا باسم ربك الذى له وحده القدرة على الخلق .
- ٢ - أوجد الانسان الكامل الجسم والعلم من علق لا يظهر فيه مايدعو الى افخار .
- ٣ - امض فى القراءة وربك الاكرم ، يقدرك ولا يخذلك .
- ٤ - الذى علم الانسان الكتابة بالقلم ولم يكن يعلمها .
- ٥ - علم الانسان مالم يكن يخاطر بباله .
- ٦ ، ٧ - حقا ان الانسان ليجاوز الحد ويستكبر على ربه ، من أجل أن رأى نفسه ذا غنى وثراء .
- ٨ - ان الى ربك وحده يا محمد رجوع الكل بالبعث والجزاء .
- ٩ ، ١٠ - أبصرت هذا الطاغى الذى ينهى عبدا عن الصلاة اذا صلى ؟!
- ١١ ، ١٢ - أخبرنى عن حال هذا الطاغى ان كان على الهدى فى نبيه ، أو أمر بالتقوى فيما أمر .
- ١٣ - أخبرنى عن حال هذا الناهى ان كذب بما جاء به الرسول ، وأعرض عن الايمان والعمل الطيب .
- ١٤ - أجهل أن الله يطلع على أحواله فيجازيه بها ؟!

بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تَطْمَعُ فِيهِ ۝
وَأَقْرَبَ ۝

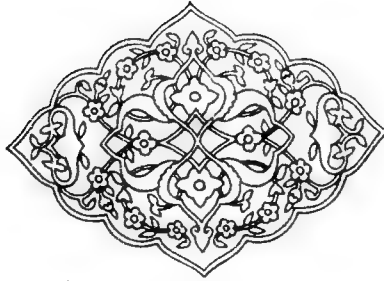
١٥ - ردعا لهذا الناهي ، لئن لم ينزجر عما هو عليه ، لنأخذن بناصيته الى النار بشدة .

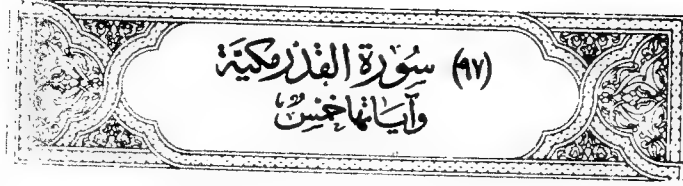
١٦ - ناصية يعلو وجه صاحبها الكذب وأتار الخطيئة .

١٧ - فيطلب عشيرته وأهل مجلسه ليكونوا نصراء في الدنيا أو في الآخرة .

١٨ - سندعو جنودنا لينصروا محمدا ومن معه ، وليدفعوا هذا الناهي وأعدائه الى جهنم .

١٩ - ردعا لهذا الناهي ، لاتطمع فيما نهاك عنه ، ودم على صلاتك وواظب على سجودك ، وتقرب بذلك الى ربك .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ❶ وَمَا أَذْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❷ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ❸ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ❹ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ❺

في هذه السورة تنويه بشأن القرآن وشأن الليلة التي أنزل فيها ، وإخبار أنها خير من ألف شهر ، وأن الملائكة وجبريل تنزل فيها بإذن ربهم من أجل كل أمر . سلام هي من الأذى والسوء حتى طلوع فجرها .

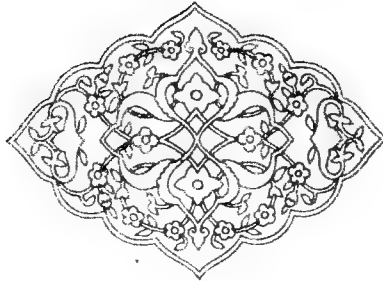
١ - انا أنزلنا القرآن في ليلة القدر والشرف .

٢ - وأي شيء أعلمك ما ليلة القدر والشرف ؟! .

٣ - ليلة القدر والشرف خير من ألف شهر ، بما اختصت به من تنزيل القرآن الكريم .

٤ - تنزل الملائكة وجبريل فيها إلى الأرض بإذن من أجل كل أمر .

٥ - أمان من الأذى والسوء هي كذلك حتى مطلع الفجر .



(٩٨) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ هَذِهِ
وَأَيُّهَا مَن كَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا ليعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُ هُمْ

علم أهل الكتاب من كتبهم ، وعلم منهم مشركو مكة نعت نبى آخر الزمان ، وكان مقتضى ذلك أن يؤمنوا به اذا بعث فلما بعث فيهم رسول الله مؤيدا بالقرآن اختلفوا وأخلفوا وعدمهم ، وتبعة أهل الكتاب في ذلك أشد من المشركين ، وأمر هؤلاء جميعا في الآخرة أن يخلدوا في النار ، والمؤمنون أصحاب المنازل العالية في الفضل هم خير البرية ، جزاؤهم الخلود في الجنة ، والرضى بما بلغوا من المطالب وأعطوا من المآرب . هذا النعيم لمن خاف ربه .

١ - لم يكن الذين كفروا بالله وبرسوله من اليهود والنصارى ، ومن المشركين منصرفين عن غفلتهم وجهلهم بالحق حتى تأتيهم الحجة القاطعة .

٢ ، ٣ - رسول مبعوث من عند الله يقرأ عليهم صحفا منزهة عن الباطل ، فيها أحكام مستقيمة ناطقة بالحق والصواب .

٤ - وما تفرق الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى . الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن محمدا هو رسول الله الموعود به في كتبهم .

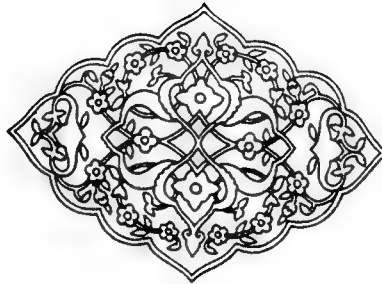
٥ - وما كلفوا بما كلفوا به الا لتكون عبادتهم لله مخلصين له الدين ، مائلين عن الباطل مستقيمين على الحق ، وأن يحافظوا على الصلاة ويؤدوا الزكاة ، وذلك دين الملة المستقيمة .

٦ - ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم يصلونها ، لا يخرجون منها ، أولئك هم شر الخلق عقيدة وعملا .

٧ - ان الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، أولئك هم خير الخلق عقيدة وعملا .

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

٨ - جزاؤهم في الآخرة على ما قدموا من الإيمان والأعمال الصالحة ، جنات اقامة تجري من تحتها الأنهار ماكنين فيها أبدا ، قبل الله اعمالهم ، وشكروا احسانه اليهم ذلك الجزاء لمن خاف عقاب ربه ، فأمن وعمل صالحا .



(٩٩) سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّاهُمَا ثَلَاثٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ ③ يَوْمَئِذٍ
تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَى هَآ ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧

آيات هذه السورة لتجاوز أحوال القيامة :

زلزال الأرض ، وخروج الكنوز والموتى منها ، وعجب الانسان وتساؤله عما فاجأه ، وانصراف الناس من قبورهم متفرقين ليلاقوا جزاءهم .

١ - اذا حركت الأرض حركة شديدة ، واضطربت أقوى مايكون من التحريك والاضطراب الذى تطبيقه وتحتمله .

٢ - وأخرجت الأرض مافى بطنها من الكنوز والموتى .

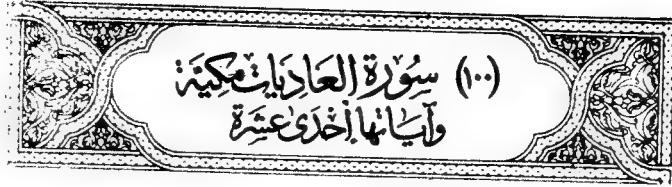
٣ - وقال الانسان فى دهشة وخوف ما الأرض تزلزل ، وتخرج مافى بطنها ، جاءت الساعة ؟ .

٤ ، ٥ - يومئذ تحدث الأرض الانسان أخبارها التى أفزعته بأن مربيه وخالقه أوحى لها : ان تزلزل وتضطرب ، فسارعت الى امتثال أمره .

٦ - يومئذ ينصرف الناس من قبورهم سراعا متفرقين ، ليتبينوا حسابهم وجزاءهم الذى وعدهم الله به .

٧ - فمن يعمل زنة ذرة من التراب خيرا يره فى صحيفته ويلقى جزاءه عليه .

٨ - ومن يعمل زنة ذرة من التراب شرا يره كذلك ، ويلقى جزاءه عليه ولا يظلم ريك أحدا .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَّاتِ ضَبْعًا ① فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ
 بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧
 * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪

أقسم الله تعالى في فاتحة هذه السورة بخيل الجهاد ان الانسان لنعمة ربه لشديد الكفران ، وانه على ذلك في
 الآخرة لشهيد على نفسه بما كان منه ، وانه لحبه المال لبخيل به حريص عليه ، وذكر في خاتمتها بالبعث ونبه الى
 الحساب والجزاء .

- ١ - أقسم بخيل الجهاد المسرعات يسمع لأنفاسها صوت هو الضيغ .
- ٢ - فالخيل التي تخرج شرر النار من الأرض بوقع حوافرها واندفاعها في سيرها .
- ٣ - فالخيل التي تغير على العدو قبل طلوع الشمس .
- ٤ - فأثارت هذه الخيل في مواقع العدو غبارا كثيفا لا يشق .
- ٥ - فجعلن الغبار يتوسط جمع العدو حتى يصيبه الرعب والفرع .
- ٦ - ان الانسان لنعم ربه التي لا تحصى لشديد الكفران .
- ٧ - وانه على ذلك في الآخرة لشهيد على نفسه معترف بذنوبه .
- ٨ - وانه لحبه المال وحرصه عليه لبخيل به لا يؤدي ماوجب فيه .
- ٩ ، ١٠ - أجهل عاقبة أمره فلا يعلم اذا نشر ما في القبور من أجساد ، وجمع ما في الصدور وقد سجل في
 صحفهم - من خير اكتسبوه وشر اقترفوه .
- ١١ - ان مربيهم وخالقهم - بأعمالهم وجزائهم يوم البعث والحساب - لخبير .

(١٠) سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا إِحْدَى عَشْرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ
الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارُ حَامِيَةٍ ١١

هذه السورة الكريمة بدأت بالتهويل من شأن القارعة التي تصك أسماع الناس . وذكرت بعض أحوال القارعة الخاصة بالناس وبالجبال . وعنيت بالحديث عن ثقلت موازينهم برجحان حسناتهم وعمن خفت موازينهم برجحان سيئاتهم .

- ١ - هي القيامة التي تبدأ بالنفخة الأولى ، وتنتهى بفصل القضاء بين الناس .
- ٢ - أى شيء عجيب هي في فحاشتها وخطرها وفظاعتها ؟ !
- ٣ - أى شيء أعلمك ما شأن القارعة في هولها على النفوس ؟ !
- ٤ - هي يوم يكون الناس كالفرش المبثوث كثرة وتدافعا عينا وشمالا ضعيفا ذليلا .
- ٥ - وتكون الجبال كالصوف الملون المنفوش في تفرق الأجزاء والتطاير في الجو هنا وهناك .
- ٦ ، ٧ - فأما من ثقلت موازينه فرجحت حسناته على سيئاته ، فهو في عيشة يرضاها صاحبها تطيب نفسه بها .
- ٨ ، ٩ - وأما من خفت موازينه فرجحت سيئاته على حسناته فأواه جهنم .
- ١٠ - وما أعلمك ما الهاوية ؟ !
- ١١ - نار حامية لا تبلغ حرارتها أية نار مهما سرعت وألقت فيها من وقود .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَكَرُ الْكَأْرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ
عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝

عابت هذه السورة من شغلهم التكاثر عن أداء الواجبات ، وأنذرتهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة تقصيرهم ،
وخوفت الناس بمعاينة النار وسؤالهم عما كانوا فيه من نعيم .

١ ، ٢ - شغلكم عن الواجبات والطاعات تباهيكم بالأولاد والأنصار ، وتفاخركم بالأموال والحساب
والأنساب حتى أصابكم الموت .

٣ - حقا سوف تعلمون عاقبة سفهكم وتفريطكم .

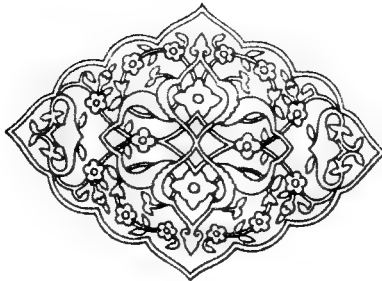
٤ - ثم حقا سوف تعلمون حتما تلك العاقبة .

٥ - حقا لو تعلمون يقينا سوء مصيركم لفزعتم من تكاثركم وتزودتم لآخرتكم .

٦ - أقسم لكم وأؤكد أيها الناس أنكم ستشهدون النار الموقدة .

٧ - ثم أقسم وأؤكد انكم ستشهدونها عيانا ويقينا .

٨ - ثم أقسم وأؤكد أنكم ستحاسبون على الوان النعيم الذى اترفتم فيه واستمتعتم به .



(١٠٣) سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا ثَلَاثُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

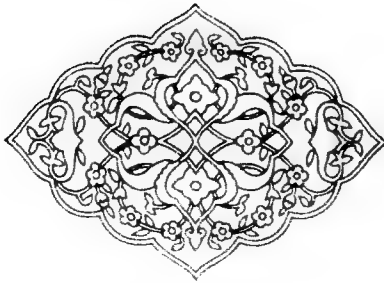
وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا
بِالصَّبْرِ ③

في هذه السورة أقسم سبحانه بالزمان لانطوائه على العجائب ، والعبر الدالة على قدرة الله وحكمته ، على أن الانسان لا ينفك عن نقصان في اعماله وأحواله الا المؤمنين الذين عملوا الصالحات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق ، وهو الخير كله ، وتواصوا بالصبر على ما أمروا به وما نهوا عنه .

١ - أقسم بالزمان لكثرة ما انطوى عليه من عجائب وعبر .

٢ - أن كل انسان لى نوع من الخسران لما يغلب عليه من الأهواء والشهوات .

٣ - الا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات وأقاموا على الطاعات وأوصى بعضهم بعضا بالتمسك بالحق : اعتقادا وقولا وعملا ، وأوصى بعضهم بالصبر على المشاق التي تعترض من يعتصم بالدين ، فهؤلاء ناجون من الخسران ، مفلحون في الدنيا والآخرة .



(١٠٤) سُورَةُ الْهُضْرَةِ وَكِتَرَا
وَأَيَّانَهَا نَسَجَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةٌ ① الَّتِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَّهُ ② بِحَسَبِ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ④
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ⑥ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْعِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ⑧
فِي عَمْدٍ مُّمدَّدةٍ ⑨

في هذه السورة وعيد شديد لمن اعتاد أن يعيب الناس بالاشارة أو بالعبارة الذي جمع مالا كثيرا وعنده افتخارا به ، يظن أن ماله يقيه في الدنيا .

وفيها تهديد عظيم لهؤلاء بالقائهم في نار موقدة تحطم اجسامهم وقلوبهم ، وتغلق عليهم أبوابها ، ويوثقون فيها مع ذلك فلا يستطيعون التحرك ولا الخلاص .

١ - عذاب شديد وهلاك لمن دأبه أن يعيب الناس بالقول أو بالاشارة أو يتكلم في أعراضهم .

٢ - الذي جمع مالا كثيرا وأحصى عده مرة بعد أخرى حبا له وتلذذا باحصائه .

٣ - يظن أن ماله يخلده في الدنيا ويدفع عنه مايكره .

٤ - ليرتدع عن هذا الظن . والله ليطرحن لسوء عمله في النار التي تحطم كل ما يليق فيها .

٥ - وأي شيء أعلمك ماحقيقة هذه النار الحطمة .

٦ - نار الله المسعرة بأمره الموقدة دائما .

٧ - التي تصل القلوب وتحيط بها .

٨ ، ٩ - انها عليهم مغلقة الأبواب وهم موثقون فيها مشدودون الى عمد ممدودة فلا حركة لهم فيها ولا خلاص

لهم منها .

(١٠٥) سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا خَمْسٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝
تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝
فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُوِلَ ۝

يخبر الله رسوله ﷺ بقصة أصحاب الفيل الذين قصدوا هدم بيت الله، ويلفته إلى ماحوته القصة من عبرة دالة على عظم قدرته تعالى وانتقامه من المعتدين على حرمانه. فقد سلط الله عليهم من جنوده ماقطع أوصالهم وأذهب الباهم، ولم يبق منهم غير أثر كأنه غلاف بر ذهب له.

١ - قد علمت يا محمد علما لا يخالطه شك فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قصدوا الاعتداء على البيت الحرام.

٢ - قد علمت ان الله قد جعل سعيهم لتخريب الكعبة في تضييع وإبطال، فخيّب مسعاهم، ولم ينالوا قصدهم.

٣ - وسلط الله عليهم من جنوده طيرا أتتهم جماعات متتابعة وأحاطت بهم من كل ناحية.

٤ - تقذفهم بحجارة من جهنم.

٥ - فجعلهم كورق زرع أصابته آفة فأتلفتهم.

تعليق الخبراء على السورة :

تشير هذه السورة الشريفة إلى حملة أبرهة الأشمر الحبشي التي وجهها من اليمن نحو مكة لهدم الكعبة ليصرف عنها حجاج العرب، فقد ورد جيشا كبيرا مزودا ببعض الفيلة وسار به إلى الحجاز وعسكر بقرب مكة في مكان يدعى المغمس « على ثلثي فرسخ من مكة في طريق الطائف » وهناك دارت مناوشات بينه وبين العرب ولكن حملته باءت بالفشل، وذلك بسبب المتاعب الكثيرة التي لاقاها من القبائل اليمنية والحجازية ولتفشي المرض في جيشه كذلك على نحو ما تشير إليه السورة الشريفة، فعاد إلى بلده بعد أن هلك معظم جيشه دون أن يحقق هدفه، وقد دخلت هذه الغزوة التي تكون قد وقعت عام ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلادية، في تقويم عرب الحجاز قبل الاسلام، وعرفت عندهم بعاصم الفيل وقيل: ان الرسول ولد فيه.

(١٠٦) سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ
وَأَيَّانَهَا أَنْبِغْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

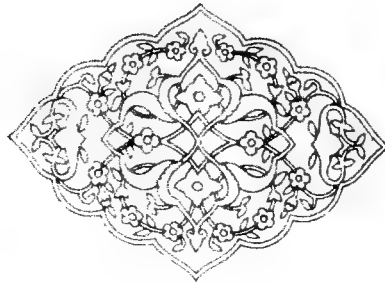
لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ ① إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

يَمُنُّ اللَّهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى قُرَيْشٍ بِبَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي دَفَعَ عَنْهُ أَعْدَاءَهُ ، وَأَسْكَنَهُمْ بِحِوَارِهِ فَتَنَالُوا الشَّرَفَ
وَالْأَمْنَ ، وَرَحَلُوا فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ ، يَتَاجَرُونَ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ
مِنْ حَوْلِهِمْ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَوْجِبُ عَلَيْهِمْ عِبَادَةَ مَنْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ .

١ ، ٢ - أَعْجَبُوا لِمَا التَّزَمَتْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ ، وَرِحْلَةُ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي أَطْمَئِنِّانٍ وَأَمْنٍ لِلتَّجَارَةِ وَابْتِغَاءِ
الرِّزْقِ .

٣ - فَلْيُخَلِّصُوا الْعِبَادَةَ لِرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي مَكَّنَهُمْ مِنْ هَاتَيْنِ الرَّحْلَتَيْنِ .

٤ - الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَهُمْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ، وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ وَالنَّاسُ يَتَخَطَّفُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ .



(١٠٧) سُورَةُ الْمَاعُونِ كَثِيرَةً
وَأَيَاتُهَا مَبْنُوعَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ❶ فذلِكَ الَّذِي يُدْعُ الْيَتِيمَ ❷ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❸
فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ❹ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ❺ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ❻ وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ ❼

تحدثت هذه السورة عن المكذب بالجزاء في الآخرة، فذكرت من أوصافه أنه يهين اليتيم ويزجره غلظة لاتأديا، وأنه لا يبحث أحدهم بقول أو فعل على اطعام المساكين، لأنه شحيح بماله، بخيل بما في يده. ثم ذكرت فريقا شبيها بهذا المكذب بالجزاء. وهم الغافلون عن صلاتهم الذين لا يؤدونها كما طلبت، والذين يقومون بها صورة لامعنى، المراءون بأعمالهم، المانعون معوتهم من المحتاجين اليها، وتوعدت هؤلاء بالويل والهلاك ليرجعوا عن غيهم.

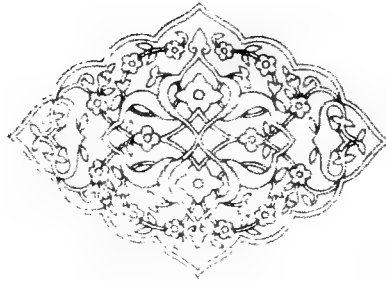
١ - أعرفت الذى يكذب بالجزاء والحساب فى الآخرة !؟

٢ ، ٣ - ان أردت أن تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا، ويقهره ويظلمه، ولا يبحث على اطعام المسكين.

٤ ، ٥ - فهلاك للمصلين المتصفين بهذه الصفات الذين هم عن صلاتهم غافلون غير منتفعين بها.

٦ - الذين هم يظهرون للناس أعمالهم، لينالوا المنزلة فى قلوبهم والثناء عليهم.

٧ - ويمنعون معروفهم ومعوتهم عن الناس.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

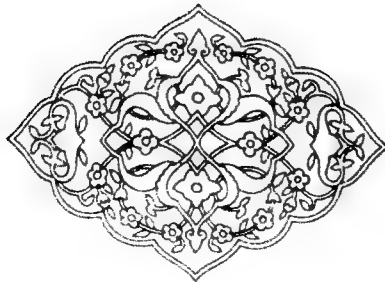
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

امتن الله في هذه السورة على رسوله ﷺ باعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة، وطلب منه أن يديم الصلاة خالصة لوجهه، وأن ينحر حيار أمواله ضحية شكرا على ما أولاه من الكرامة. ثم ختمت السورة ببشارة النبي ﷺ بقطع مبغضه وشائئه.

١ - انا أوليناك الخير الكثير الدائم في الدنيا والآخرة.

٢ - واذا أعطيت ذلك قدم على الصلاة لربك خالصة له، وانحر ذبائحك شكرا لله على ما أولاك من كرامة وخصك من خير.

٣ - ان مبغضك هو المنقطع عن كل خير.



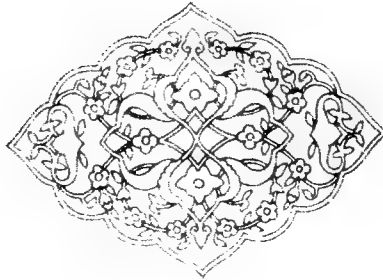
سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا سُبْحَتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ بِمَا عِبَادُكُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

في هذه السورة أمر الله رسوله ﷺ أن يقطع أطباع الكافرين في مساومتهم إياه في دعوة الحق . فهو باق على عبادة الله الذي لا اله الا هو ، وهم باقون على عبادة آلهتهم التي لا تنفي من الحق شيئاً . لهم دينهم الذي قللوا أباؤهم فيه ، وله دينه الذي ارتضاه الله له .

- ١ - قل يا محمد : يا أيها الكافرون المصرون على كفرهم .
- ٢ - لا أعبد الذي تعبدون من دون الله .
- ٣ - ولا أنتم عابدون الذي أعبد ، وهو الله وحده .
- ٤ - ولا أنا عابد مثل عبادتكم ، لأنكم مشركون .
- ٥ - ولا أنتم عابدون مثل عبادي لأنها التوحيد .
- ٦ - لكم دينكم الذي اعتقدتموه ، ولي ديني الذي ارتضاه الله لي .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۝ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

طلبت هذه السورة من رسول الله ﷺ - إذا جاءه نصر الله والفتح ، ورأى الناس يدخلون في دين الله جماعات لاستقرار أمره وعلو كلمته وإكمال الله له - أن يسبح بحمد ربه ، وينزهه عما لا يليق به ، ويستغفره لنفسه وللمؤمنين لانه التواب الذى يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات .

١ - إذا تحقق نصر الله والفتح لك وللمؤمنين .

٢ - ورأيت الناس يدخلون في دين الله جماعات جماعات .

٣ - فاشكر ربك ، وسبح بحمده واطلب مغفرته لك ولأمتك . انه كان توابا كثير القبول لتوبة عباده .

تعليق الخبراء على سورة النصر .

تشير هذه السورة الشريفة إلى فتح مكة ، والسبب المباشر لفتح مكة هو نقض قريش لهدنة الحديبية بمهاجمتها خساعة - وكانت قد دخلت في عهد النبي ﷺ - ومظاهرتها بنى بكر عليها ، عند هذا رأى النبي أن ما قامت به قريش من نقض للعهد يحتم عليه فتح مكة فحشد جيشا قويا مكونا من عشرة آلاف مقاتل ، وسار في رمضان من العام الثامن للهجرة (في ديسمبر سنة ٦٣٠ م) فأوصى رجاله بعدم القتال إلا إذا أكرهوا عليه . وقد شاء الله أن يدخل النبي وجيشه مكة من غير حرب . وهكذا استطاع أن يكسب أكبر نصر في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير حرب وبغير إراقة دماء .

وكان لفتح مكة آثار بعيدة المدى في الناحيتين الدينية والسياسية ، فقد قضى على الوثنية في معقلها الأكبر بتحطيم الأصنام المقامة بالكعبة وأزال ما بها من صور وتماثيل .

وبدخول مكة حظيرة الإسلام استطاع النبي صلوات الله عليه التغلب على بقية القبائل في الحجاز ، التي غلبت عليها حمية الجاهلية مثل هوازن وثقيف ، وكتب الله له التوفيق في إرساء دعامة دولة عربية تحت راية الإسلام .

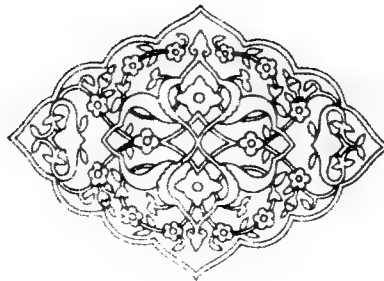
(٣٣) سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ وَأَيُّهَا خَمْسٌ

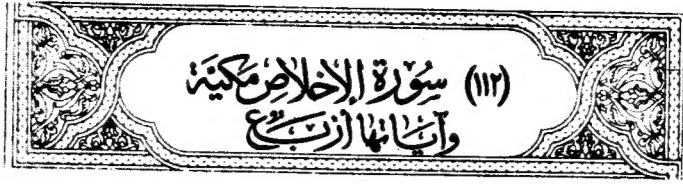
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَأَمْرَأتُهُ حِمْلَةَ
الْحَطْبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤

بدأت هذه السورة بالاخبار بهلاك أبي لهب عدو الله ورسوله . وعدم اغناء شيء عنه من ذلك ، مالا كان أوجاها أو غيرها وتوعدته في الآخرة بنار موقدة يصلها ويشوى بها وقرنت زوجته به في ذلك . واختصتها بلون من العذاب هو ما يكون حول عنقها من حبل تجذب به الى النار زيادة في التنكيل بها لما كانت عليه من ابداء الرسول والاساءة الى دعوته .

- ١ - هلكت يدا أبي لهب اللتان كان يؤذى بها المسلمين . وهلك معها .
- ٢ - مادفع عنه عذاب الله ماله الذي كان له ولا جاهه الذي كسبه .
- ٣ - سيدخل نارا ذات اشتعال يحرق بها .
- ٤ - وستدخل امرأته حمالة النجاسة بين الناس النار كما دخلها .
- ٥ - في عنقها حبل من ليف للتنكيل بها .





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

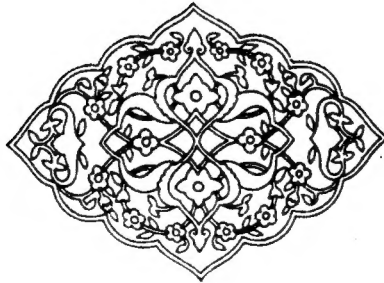
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سئل النبي ﷺ عن ربه فأمر في هذه السورة بالاجابة بأنه الجامع لصفات الكمال الواحد الأحد المقصود على الدوام في الحوائج ، الغنى عن كل ما سواه المنتزه عن الجانسة والمماثلة لم يلد ولم يولد ولم يكن له من خلقه نظير ولا مشاكل .

١ - قل يا محمد لمن قالوا مستهزئين : صف لنا ربك : هو الله أحد لا سواه ، ولا شريك له .

٢ - الله المقصود وحده في الحوائج والمطالب .

٣ ، ٤ - لم يتخذ ولدا ، ولم يولد من أب أو أم ولم يكن له أحد شبيها أو نظيرا ليس كمثلته شيء .



(١١٣) سُورَةُ الْفَلَقِ كَثِيرًا
وَأَيُّهَا الْخَيْرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④
وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤

طلبت هذه السورة من النبي ﷺ ان يلجأ الى ربه ويعتصم به من شر كل ذى شر، من مخلوقاته، ومن شر الليل اذا دخل ظلامه، لما يصيب النفوس فيه، من الوحشة، ولما يتعذر من دفع ضرره، ومن شر المفسدات الساعيات في حل ما بين الناس من روابط وصلات، ومن شر حاسد يتمنى زوال ما يسبغ الله على عباده من نعمة.

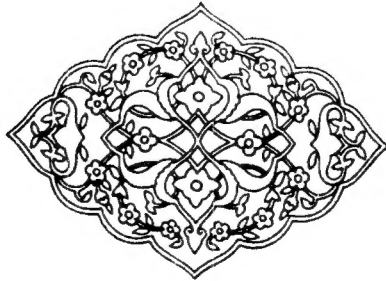
١ - قل أعتصم برب الصبح الذى ينجلي الليل عنه.

٢ - من شر كل ذى شر من المخلوقات التى لا يدفع شرها الا مالك أمرها.

٣ - ومن شر الليل اذا اشتد ظلامه.

٤ - ومن شر من يسعى بين الناس بالافساد.

٥ - ومن شر حاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره.





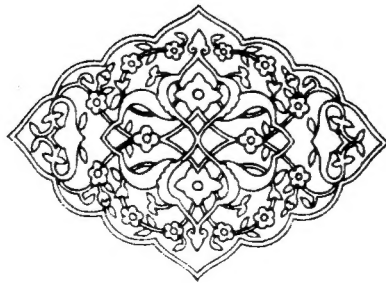
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④
الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْإِنِّةِ وَالنَّاسِ ⑥

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ في هذه السورة أن يلجأ إليه ويستعيز به في دفع شر عظيم يخفى على كثير من الناس إدراكه لانه يبيّنهم من جهة شهواتهم واهوائهم فيوقعهم ذلك فيما نهوا عنه .

ذلك هو شر الوسواس الخناس مستترا عن العيون أو ظاهرا لها مخفيا وسوسته بالمكر أو الخديعة .

- ١ - قل أعتصم برب الناس ومدبر شؤونهم .
- ٢ - مالك الناس ملكا تاما حاكمين أو محكومين .
- ٣ - إله الناس القادر على التصرف الكامل فيهم .
- ٤ - من شر الوسوس للناس الذي يمتنع اذا استعنت عليه بالله .
- ٥ - الذي يلقي في خفية - في صدور الناس ما يصرفها عن سبيل الرشاد .
- ٦ - من الجن والناس .



فهرست المنتخب في تفسير القرآن الكريم

صفحة	صفحة	صفحة
سورة النازعات ٨٨١	سورة غافر ٦٩٤	سورة الفاتحة ١
سورة عبس ٨٨٤	سورة فصلت ٧٠٦	سورة البقرة ٢
سورة التكويد ٨٨٧	سورة الشورى ٧١٤	سورة آل عمران ٧٠
سورة الانفطار ٨٨٩	سورة الزخرف ٧٢٣	سورة النساء ١٠٥
سورة المطففين ٨٩١	سورة الدخان ٧٣٣	سورة المائدة ١٤٣
سورة الانشقاق ٨٩٤	سورة الجاثية ٧٣٨	سورة الانعام ١٧١
سورة البروج ٨٩٦	سورة الاحقاف ٧٤٤	سورة الاعراف ٢٠٤
سورة الطارق ٨٩٨	سورة محمد ٧٥٠	سورة الانفال ٢٤١
سورة الأعلى ٩٠٠	سورة الفتح ٧٥٦	سورة التوبة ٢٥٧
سورة الغاشية ٩٠٢	سورة الحجرات ٧٦٢	سورة يونس ٢٨٤
سورة الفجر ٩٠٥	سورة ق ٧٦٦	سورة هود ٣٠٦
سورة البلد ٩٠٨	سورة الذاريات ٧٧١	سورة يوسف ٣٣٠
سورة الشمس ٩١٠	سورة الطور ٧٧٦	سورة الرعد ٣٥٢
سورة الليل ٩١٢	سورة النجم ٧٨٠	سورة ابراهيم ٣٦٣
سورة الضحى ٩١٤	سورة القمر ٧٨٦	سورة الحجر ٣٧٢
سورة الشرح ٩١٥	سورة الرحمن ٧٩١	سورة النحل ٣٨٤
سورة التين ٩١٦	سورة الواقعة ٧٩٧	سورة الاسراء ٤٠٩
سورة العلق ٩١٧	سورة الحديد ٨٠٣	سورة الكهف ٤٣٦
سورة القدر ٩١٩	سورة المجادلة ٨١٠	سورة مريم ٤٤٣
سورة البينة ٩٢٠	سورة الحشر ٨١٤	سورة طه ٤٥٥
سورة الزلزلة ٩٢٢	سورة الممتحنة ٨١٩	سورة الانبياء ٤٧٢
سورة العاديات ٩٢٣	سورة الصف ٨٢٣	سورة الحج ٤٨٧
سورة القارعة ٩٢٤	سورة الجمعة ٨٢٦	سورة المؤمنون ٥٠٢
سورة التكاثر ٩٢٥	سورة المنافقون ٨٢٨	سورة النور ٥١٦
سورة العصر ٩٢٦	سورة التغابن ٨٣١	سورة الفرقان ٥٣١
سورة الهمة ٩٢٧	سورة الطلاق ٨٣٤	سورة الشعراء ٥٤٢
سورة الفيل ٩٢٨	سورة التحريم ٨٣٧	سورة النمل ٥٦٢
سورة قريش ٩٢٩	سورة الملك ٨٤٠	سورة القصص ٥٧٥
سورة الماعون ٩٣٠	سورة القلم ٨٤٤	سورة العنكبوت ٥٩٠
سورة الكوثر ٩٣١	سورة الحاقة ٨٤٨	سورة الروم ٦٠٢
سورة الكافرون ٩٣٢	سورة المعارج ٨٥٢	سورة لقمان ٦١١
سورة النصر ٩٣٣	سورة نوح ٨٥٥	سورة السجدة ٦١٨
سورة المسد ٩٣٤	سورة الجن ٨٥٨	سورة الاحزاب ٦٢٢
سورة الاخلاص ٩٣٥	سورة المزمل ٨٦٢	سورة سبا ٦٣٤
سورة الفلق ٩٣٦	سورة المدثر ٨٦٥	سورة فاطر ٦٤٣
سورة الناس ٩٣٧	سورة القيامة ٨٦٨	سورة يس ٦٥١
	سورة الانسان ٨٧١	سورة الصافات ٦٦٠
	سورة المرسلات ٨٧٤	سورة ص ٦٧٤
	سورة النبأ ٨٧٧	سورة الزمر ٦٨٢